تفسير البدليسي

تفسير إشاري صوفي شارح لمقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان - الشريعة والطريقة والحقيقة

تأليف

العارف بالله تعالى الشيخ
حسام الدين علي بن عبد الله البدليسي الحنفي الصوفي
المتوفى حوالي سنة 900 هجرية

اعتنى به وضبطه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

الجزء الرابع

المحتوى

من سورة الأسراء - حتى سورة ياسين

BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon | بيروت - لبنان | كتاب - ناشرون

TAFSĪR AL-BIDLĪSI

تفسير البدليسي

Author : *Al-Shaykh Houssamuddin Ali ben Abdullah Al-Bedlisi Al-Hanafi Al-Sufi (D. Around 900 H.)*

المؤلف : الشيخ حسام الدين علي بن عبدالله البدليسي الحنفي الصوفي (ت حوالي سنة ٩٠٠ هـ)

Editor : *Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali*

المحقق : الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

Classification : *Exegesis Of Qur'an - Sufism*

التصنيف : تفسير قرآن – تصوّف

Year : *1441 H. - 2020 A.D*

سنة الطباعة : ١٤٤١ هـ – ٢٠٢٠ م

Pages: *4072 (5 Vols. / 5 Pasrts)*

عدد الصفحات : ٤٠٧٢ (٥ أجزاء / ٥ مجلدات)

Size : *17 × 24 cm*

القياس : ٢٤ × ١٧ cm

Printed in : *Lebanon*

بلد الطباعة : لبنـــان

Edition : *First edition*

الطبعة : الأولى

BOOKS - PUBLISHER

كتـــاب ـ نـاشرون | بيروت - لبنان Beirut-Lebanon

Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street, Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon

Tel :+961 76 944 855-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh

E-mail: books.publisher@hotmail.com

ISBN 978-2-7451-7929-6

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

آياتها 111 مكية	سُورَةُ الإِسْرَاءِ	ترتيبها 17

الجزء الخامس عشر: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي أسرى وأذهب بالحقيقة المحمدية والماهية الأحمدية من مسجد الحرام الطور الروحي إلى مسجد أقصى الصور الخفي ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي يدعو كل أناس بإمامهم ومرشدهم من الأنبياء والمرسلين والأولياء والمرشدين، فمن عرف إمام زمانه وأرشده إلى شهود تجلياته ومعاني عهود مقاماته الأزلية وحالاته الأولية، فقد فاز فوزًا عظيمًا ومن لم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتةً جاهليةً، وخسر خسرانًا مبينًا وعمي عميانًا عميمًا ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 72]، ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي خصص حبيبه بصلاة التهجد وجعلها وسيلةً في الترقي في اللّهِ للوصول إلى المقام المحمود والمرام المعهود ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 79-81].

مطلب استخارة المفسّر حسام الدين علي البدليسي

في ليلته كتب هذا فأشار الحق وأمرني أن أجعل شرح كتاب أسرار النقطة باسم من أيده الله من عنده فاستخرت الله بأن يكشف لدي باب هذا الخاطر من الله وهو خير محض أم لا، فجاءت هذه الحكاية وانكشفت هذه الآية.

﴿ ۞ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ يريد قدرته وعظمته بالليل بعبده ﷺ يريد بعد منام الناس ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ يريد البيت المقدس ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ يريد البركة فيه وحوله ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ يريد من عظمة ربوبيتي وعظمتي ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1] يريد السميع لخلقة البصير لأوليائه.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ﴾

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 2] يريد إلٰهًا وربًّا.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3] يريد طائعًا لله.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: 4] يريد قضاء حكمًا ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة: 159] يريد التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 4] يريد المعاصي، وخالفوا أحكام التوراة.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ يريد الفساد إلا ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: 5] يقول عز وجل: يملأ قلوبهم منه خوفًا، أصواتهم كالرعد وأبصارهم كالبرق، ولا يعرفون، قد أرعب منه قلوبهم جبابرة مسلطين، يريد بختَ نصّر وفارس وهم قوم، وذلك حين قتلت بنو إسرائيل يحيى بن زكريا، وكان قد قال

لهم: إياكم أن يقع شيء من دمي في الأرض فهلك بنو إسرائيل فاختطفوا من دمه وحملوه في طشت من ذهب، فوقعت نقطة في الأرض فما زالت تفور وتغلي حتى هجم عليهم بخت نصّر، وبيت المقدس في الدنيا باب لا أحصن منه، ولا يقدر أحد أن يصل إليه، فأسقط بخت نصّر يقول: كيف الحيلة، فخرجت إليه امرأة من بني إسرائيل فقالت: اعطني عهدًا أن لا تقتلني وأنا أدلك كيف تفتح المدينة، فأعطاها عهد اللّهِ وهو لا يعرف الله ولا عهده، فقالت له: خذ الحمامة التي تطير واغمس أجنحتها في هذا الدم ثم خلها فإنها لا تقع على حصن إلا انهدم ففعل ذلك، فانهدمت الحصون، فأخذ تلك المرأة فربطت ضفاير لها بأذناب الخيل ثم ركض بها حتى تقطعت قطعة قطعة، ثم ذبح على ذلك الدم سبعين ألفًا من بني إسرائيل وسبى بني إسرائيل حتى سبت آتيناهم وخرج بهم إلى العراق، فيهم عزير وأرمينيا ودانيال وآتينا كثيرًا، والبأس القتال كما قال في البقرة: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البَقَرَة: 177] يريد القتال ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ بيت المقدس وقال بعض العلماء والعُقَّل ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: 5] يريد قوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ يريد خرج عليهم مِنَ العراق إلى اليمن وملك الدنيا، لا يمتنع عليه أحد من أهل المدن والأمصار ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ يريد بعد خروج بخت نصّر ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: 6] يريد أكبر رجالًا.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ يريد أطعتم الله فما عفى عنكم المساوئ ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ يريد الفساد وعصيان الأنبياء ﴿فَلَهَا﴾ يريد على أنفسكم يقع الوبال ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: 7] يريد أقبح وجوهكم

لجوابكم، يريد أسلط من لا يعرفني على من يعرفني، يريد استحلت محاربتي وانتهكت حرمتي، وأنتم اقتضاء حضور لا يفترون قالوا ربنا قد كنا ننهاكم فلا تطيعونا، ومعناهم قال الله عز من قائل: «أنا الخالق لا تخافونِ وتخافوا خلقي» ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ يريد مسجد بيت المقدس ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: 7].

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ يريد أن يعفو عنكم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: 8] يريد رجلًا حسيبًا مثل حصرتم وحبستم.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ يريد يدعو ويرشد يريد الذي هو أحسن وأفضل البر وأحسن التقوى ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يريد يقيمون ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9] يريد ثوابًا.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يريد الثواب والعقاب ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: 10] يريد وجيعًا.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾ [الإسراء: 1] أقول (سبحان) عَلَمٌ للتسبيح كعمران علم للرجل، نصبه بمضمر أسبح سبحانًا أو اسبّح الله سبحانًا، يكون كسبحان الله نفسه بنفسه ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ أي أسرى وأذهب به يعني محمدًا، وإنما نكره إشعارًا بأن كل فرد من أفراد الإنسانِ له صلاحية وقابلية لأن يسرى به لإشراكهم في صفات الإنسانية والتشخُّص بفرد معين إنما هو بإرادة الله ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [فصلت: 6] إن الشواهد النقلية والقواعد العقلية قد دلت على انقضاء النبوة واجتناء أنوارها وارتقاء أعلام الولاية وأطوار أسرارها إلى حدّ ما انحطت آثارها وانخرمت ديارها، فحينئذ فشت الضلالة ونهشت الهداية فتظهر وتقوم القيامة.

﴿لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أي بعضًا من الليل (مِنَ) لابتداء الغاية أي ابتداء الإسراء من المسجد الحرام أي حرم مكة ﴿إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: 1] بيت المقدس قبل الهجرة بسنة في رجب وقيل في رمضان. اختلف في المكان الذي أسري منه قيل: هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر، أو من [بيت] أم هانئ بنت أبي طالب، والأول هو الظاهر بل أظهر لما روي أنه عليه السلام قال: «**بينما أنا في المسجد الحرام في الحِجْر عند البيت بين النوم واليقظان إذ أتى جبرائيل بالبراق**»، أو من الحرم لأن كله مسجد أو لأنه محيط ليطابق المبدأ المنتهى لما روي: أنه كان نائمًا في بيت أم هانيء بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانئ وقال: «**مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج إلى المسجد وقام ليخرج إلى المسجد فثبت أم هانيء نبوته فقال: مالك؟ قالت: أخشى أن يكذبوك قومك، قال: وإن كذبوني**».

فخرج فجلس إليه أبو جهل فأخبره رسول الله بحديث الإسراء فقال أبو جهل: يا معشر بني كعب، هلُمَّ فحدثهم فتعجبوا واستنكروا وارتد ناس ممن آمن به، وسعى رجال إلى أبي بكر فقال: إن كان قال ذلك فلقد صدق قالوا: أتصدقه على ذلك؟ قال: إني لأصدقه على أبعد من ذلك، فلذا سمي بالصديق، ومنهم من قال: رأيت المسجد فصفه، فخلي في بيت المقدس فطفق ينظر إليه فنعته ووصفه لهم، فقالوا: أما النعت فقد أصاب فيه، فقالوا: أخبرنا عن عيرنا، فأخبرهم بعدد جمالهم وأحوالها، وتقدم يوم كذا مع طلوع الشمس بعدها جمل أورق، فخرجوا ذلك اليوم ونظروا نحو البقعة فقال قائل منهم: هذه والله الشمس فقد شرقت وقال آخر: وهذه العير قد أقبلت تقدمها جمل أورق كما قال محمد، فما آمنوا وقالوا ما هذا إلا سحر.

واختلفوا في كيفية المعراج أبروحه أم بجسده؟ فقال: قوم بروحه متمسكين بحديث عائشة رضي الله عنها إنها كانت تقول: والله ما فقدت جسم النبي، وكان علماء الحجاز والشام ومصر ينكرون قولها، وذهب الآخرون إلى أن المعراج كان بالجسد في اليقظة، أي ما كان في المنام بل بين النوم واليقظان.

كما روي هكذا عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «**فرج عني سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبرائيل ففرج بصدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جيئ بطشت من ذهب**

فملئ حكمة وإيمانًا، وأفرغه في صدري ثم أطبقه». وقال مالك بن صعصعة: إن نبي الله حدثهم عن ليلة أسري به قال: «**بينما أنا في الحطيم أو في الحِجْر بين النائم واليقظان، ثم أُتيت بالبراق وهي دابة بيضاء طويلة فوق الحمار دون البغل فركبته وانطلقت مع جبرائيل حتى أتيت بيت المقدسِ قال فربطه بالحلقة التي تربط بها الأنبياء فقال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبرائيل بإناءٍ من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال: اخترت الفطرة، فانطلق بي جبرائيل حتى أتيت السماء الدنيا فاستفتح قيل من هنا؟ قال جبرائيل؛ ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قيل: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد على يمينه أسورة وعلى يساره أسورة إذا نظر إلى يمينه ضحك وإذا نظر إلى يساره بكى، قلت لجبرائيل: من هذا؟ قال: أبوك آدم وهذه الأسورة على يمينه أهل الجنة وعن يساره أهل النار، ثم صعد بي حتى إلى السماء الثانية فاستفتح ففتح ودخلت فيها فإذا عيسى ويحيى فسلمت عليهما فردا عليّ السلام، ثم عرجت إلى السماء الثالثة فدخلت فيها فرأيت يوسف الصديق جالسًا فيها فسلمت عليه فرد عليَّ، ثم رقيت إلى السماء الرابعة فدخلت فيها فرأيت إدريس عليه السلامُ فسلّمت عليه، ثم أتيت السماء الخامسة فاستفتح ففتح فدخلت فرأيت هارون فسلمت عليه فرد السلام، ثم عرجت إلى السادسة فاستفتح ففتح فدخلت فرأيتُ موسى فسلمت عليه فرد عليَّ السلام فرفع إلى البيت المعمور فسألت جبرائيل، ثم ترقيت إلى السابعة فاستفتح ففتح فدخلت فيها فرأيت فيها إبراهيم الخليل فسلمت عليه فرد عليّ السلام فرفع إلى البيت المعمور فسألت جبرائيل قال: [البيت] المعمور فعرج إلى سدرة المنتهى، فإذا نبتها وثمرتها مثل تلال، وإذا ورقها مثل آذان الفيلِ»**.

قال عليه السلام: «**فلما غشاها من أمرِ اللّهِ ما غشاها فما أحد من خلق الله يستطيع أن يرى أبهى من جنسها، وفي أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت: ما هذان يا جبرائيل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، فأوحى إلي ما أوحى، فعرض خمسين صلاةً في يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة قال: ارجع إلى ربك فاسأل التخفيف فإن أمتك لا تطيق قال: فرجعت إلى ربي**

وسألت التخفيف، فحط عني خمسًا ورجعت ثانيًا وثالثًا إلى أن بقي خمس فقال: يا محمد إنهن خمس صلوات بكل يوم وليلة وكل صلاة عشرة فهي خمس وخمسون لا يبدل القول لدي، من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت حسنة، فإن عملت كتبت عشرة، ومن هم بسيئة وما فعلها لم يكتب، وإن عملها كتبت سيئة واحدة».

وقد روي المعراج بعبارات مختلفة واختلفوا أبروح كان أم بجسد أم بهما معًا؟ والكل واقع إذ المعراج وقع مرارًا متعددة، اثنان وثلاثون مرة بإزاء أحوال منازل القمر وهي ثمانية وعشرون منزلًا، وأربعة أحوال أُخرى من الأوج والحضيض والرأس والذنب، ولذا وقعت كلمات الله وأسماؤه البسيطة في العرب والعجم اثنان وثلاثون. ومن قال: إنه وقع بالجسد فمراده الجسد البرزخي لأن الجسد الجسماني بلا روح ميت لا إدراك له، فلا فائدة في هذا النوع من المعراج إذ الغرض مشاهدة عجائب الملك وغرائب الملوك.

وأما الروح بلا جسد برزخي وملكي لا يدرك عجائب عالم الملك والشهادة، ولذا ينزل من تجرده إلى عالم التقيد والتعلق بالجسم، فالكل راجع إلى القسم الثالث وهو الروح تارة بالجسد المكتسب البرزخي، وأخرى بالجسد الجسماني الملكي، فإنه بالنسبة إلى قدرة القادر المختار ليس بممتنع ومستحيل، وما قيل إنه يلزم الخرق والالتئام، فهو ليس يمتنع على قاعدة المسلمين إذ الأنبياء قاطبةً قائلون بالحشر وقيام القيامة وظهور الساعة، وأن أجسام الأنبياء من طين لا من طين الدنيا ليلزم الخرق والالتئام وأيضًا، هي ألطف من الشعاع البصري وهو في آن واحد يبعد في الأفلاك وأجرام السماوات ويقع على الكواكب الثابتة، ولما جاز الخرق والالتئام بالخطوط الشعاعية لم لا يجوز به بأجسام الأنبياء وأجسام الملائكة، فإن الملمين بالعلوم قالوا: بأن ما سوى الله كلها مركبةً فلكًا أو ملكًا.

﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ ما قالوا في باب المعراج كان سبحانه والجواز ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1] بأحوال العباد وبأصل الحقيقة والمجاز والضمير عائد إلى الله، ويجوز أن يعود إلى العبد المتحقق بأسماء الله وصفاته «لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره» إلخ الحديث.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة وكتبنا فيه كيفية أحوال الأنبياء من المعراج والتكلم بهم ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي أولاد يعقوب وأحفاده وهم اثنا عشر سبطًا كل سبط خمسون ألف نفس على ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 2] ربًّا ووليًّا وكفيلًا على متعلق بهدى كما قيل كتبت إلى فلان أن أفعل أي على أن أفعل.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ نصبه إما على النداء أو على المدح إن قرئ بالياء أو على أنه أحد مفعولي تتخذون من دوني حال من وكيلًا مثل قوله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا قرئ مرفوعًا على أنه خبر مبتدأ محذوف أو بدل منه، أو تتخذوا منه ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي نوحًا ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3] يحمد اللّه ويشكره، على جميع حالاته لدى النوم والاستيقاظ والأكل والشرب في الخلأ والملأ في السراء والضراء، فيجب على ذريته شكرًا لله وحمده في كل الأحوال، وفي ذكر ذرية من حملنا مع نوحٍ إشعار بأن من حق ذرية نوح وطائفة هم أنهم اقتدوا به في دوام الشكر والحمد لتتم النسبة إليه ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي أعلمنا وأوحينا إليهم في التوراة وحكمنا بأنكم ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ وكان بينهما مائتا سنة وعشرين ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 4] وكان الاستعلاء والاستكبار سببًا لهلاكهم وذلك أنه لما فشى بعد موسى بين بني إسرائيل الفساد والبغي والذنوب والإفساد وكان اللّهُ متجاوزًا ومحسنًا إليهم بركة طاعة نبي بينهم كان الدأب والعادة بينهم أن يكون ملك يتولّى أمرهم ونبي يرشد الملك.

وكان بعد موسى مَلِك كان صديقه، وأرسل موسى شعيا بن [. . .] وهو الذي بشّر لقدوم عيسى عليهما، فلما انقضى زمان موسى وجدت بينهم فساد وإفساد وتجبر وعناد، بعث الله عليهم سنحاريب مَلِك بابل فتوجه حتى نزل بيت المقدس، وملكهم في هذا الوقت كان مريضًا فجاء شعيبًا وقال: يا ملك إن سنحاريب قد نزل بك ومعه عساكر عظيمة فشق ذلك على الملك فقال الملك: يا نبيّ الله هل أتاك وحي في هذا الباب؟ قال: لا فأوحى الله بعد ذلك إلى شعيا أن قل للمَلِك أن يوصي وليستخلف على ملكه، فأخبر شعيا للملك وحي اللّهِ وقال: إن اللّه يقول إنك ميت فلتتهيأ له. فأقبل الملك إلى شعيا ويلقى إلى قوله، وتوجه إليه باكيًا متضرعًا خاشعًا

خائفًا خالصًا مخلصًا لله وبحضور القلب: اللهم يا مالك الملك ويا ربّ الأرباب ويا مسبّب الأسباب بلا إلٰه إلا الله يا قدوس المتقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤوف يا كريم يا عطوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وأذكر إليك حاجتي واستجب دعائي في حق بني إسرائيل ولا تأخذهم بقبايح أفعالهم ولا تسلط عليهم أعداءهم وارحم عليهم بحق أنبيائِك وبحق حسن طاعتهم وخلوص نياتهم إليك يا أرحم الراحمين، فيا دليل المتحيرين ويا غياث المستغيثين ومعين الضعفاء ولا تغيث الأشرار، ارحم علينا ولا تسلّط العدوّ علينا فأوحى اللّهُ تعالى إلى شعيا ثانيًا أن بشِّر صديقك الملك إن ربك استجاب دعاءك وأجاب دعوتك ورحمك وأخّر أَجَلك خمسة عشر سنة، وألجأك من عدوك ونصرك على عدوك وقهر عدوك وذلك إن الملك كان رجلًا صالحًا، فإذا ذهب روع الملك ورعبه وسكن وجعه واندفع مرضه خرّ ساجدًا وقال: إلهي وإله آبائي لك سجدت وبك اعتصمت، أنت مالك الملك تعطي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممّن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، وأنت عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطِن، وأنت ترحم وأنت تستجيب دعائي ودعوة المضطرين، أنت الذي أجبت دعائي ورحمت تضرعي وأهلكت عدوي، قال الله تبارك وتعالى: يا شعيا قل للملك إنك كفيت عدوك وأنجيتُك من عدوك، وإنهم يصبحون كلهم موتى إلا سنحاريب وخمسة عشر نفر.

فلما أصبحوا صارخ وصرخ على باب المدينة يا ملك بني إسرائيل إن الله قهر عدوك فاخرج إلى سنحاريب. فلما خرج الملك والتمس سنحاريب فلم يجده بين الموتى، فبعث الملك في طلبه فأدركه لطلبه مع عشر نفر أحدهم بخت نصّر، فأتوهم إلى الملك، فلما رآهم الملك خرّ ساجدًا من طلوع الشمس إلى العصر فقال لسنحاريب: كيف ترى ما فعل ربنا وما صنعه بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته وكمال قدرته، ونحن وأنتم عنه غافلون، قال سنحاريب: أنا من خير ربّكم وكمال عنايته بكم قبل أن أخرج من بلادي إلا أن قلة عقلي قد أمرتني بهذا، فقال الملك: الحمد لله رب العالمين، فأمر الملك أن يوضع في رقابهم الجوامع والغل والسلاسل وأدارهم في ديارهم سبعين يومًا حول بيت المقدس واليًا فأراد الملك أن يقتلهم فأوحى الله إلى شعيا: قل لملك بني إسرائيل أن أطلق سنحاريب

فسمعه لينذروا ومن معه، ورآهم فأطلقهم، وتوجهوا إلى بابل فقال كهنته ومنجموه: ألم نقل لك إنك لا تستطيع أن تدفعهم لأن فيهم أنبياء وكتاب اللّهِ.

ثم لبث سنحاريب سبع سنين فمات واستخلف بخت نصّر، فمكث بخت نصّر عشرًا فقبض الله تعالى ملك بني إسرائيل وفشت بينهم الفتن، وقتل بعضهم بعضًا قال الله تعالى لشعيا: قم في قومك، وأُوحي على لسانه فقام وقال: يا سماء اسمعي، ويا أرض أَقلعي، فإن اللّه يريد أن ينقض شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده في عموم بلاده، وهم اليوم كالغنم الضائعة التي لا راعي لهم ليجمع ضالتها ويداوي مريضها ويجبر كسيرها ويحفظ سمينها وكبيرها ويسمن مهزولها، فإذا بطرت وتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضًا فويل لهذه الأمة الخاطئة، هم لا يعلمون من أين جاءت الخيرات، وهم أولو الألباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير، فإني أضرب لهم مثلًا فاستمعوا له قل لهم: كيف ترون أرضًا كانت لي خوانًا زمانًا خربة لا عمران فيها، وكان لها رب حكيم قوي فأقبل عليها بالعمارة فأحاط وشيد فيها قصرًا وأجرى فيها نهرًا أو أغرس غراسًا من الزيتون والرمان والنخيل والتفاح والأعناب وغير ذلك، وجعل عليها حفيظًا، فجاء عدو فهدم جدارها وخرب سورها وعمارتها وقصورها، ودفن نهرها، وأهلك قيمها وحفيظها، وحرق غراسها حتى عادت إلى ما كانت أولًا. قال الله تعالى: قل يا شعيا إن السور ديني والقصور شريعتي والنهر كتابي والقَيِّم الحفيظ بنيّ فهم على هذه الحالة يريدون أن يتقربوا إليّ بذبح البقر والغنم وليس ببالي اللحم ولا أكله، ويدعون أن يتقربوا إلي بالتقوى، وهم استنكفوا عن ذبح النفس وترك الهوى، ويأخذون بيوتهم مساجدهم ويظهرونها وينجسون قلوبهم وأجسادهم، يقصدون إلى تزيين المساجد وتعميرها ويخربون عقولهم ويفسدون أخلاقهم، فأي حاجة إلى تشييد البيوت وترتيبها ولست أسكنها، وأي حاجة إلى تزيين المساجد ولست أدخلها، ويقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم ينور صلاتنا، ودعونا فلم يستجب دعاءنا، فمثل هذا الذنب في كل ذلك لا يستجاب.

قال الله تعالى: كيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور وينظرون بالحرام، وكيف أنور صلاتهم وقلوبهم ساعية إلى من يحاربني ويجادلني، وكيف أقبل صدقاتهم وهم يسرقون أموال غيرهم، وإني قد قضيت يوم خلقت السماء

والأرض أن أجعل النبوة في الأحوال، وأن أجعل الملك في الدعاء والعز في الضعفاء والغناء في الفقراء، والعلم في الجهالة، والحكم في الأميين، فأسلهم من هذا ومن القائم بهذا الأمر ومن أعوانه وأنصاره، وإن كانوا ليعلمون فإني باعثك نبيًّا أمينًا هاديًا من الصالحين، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا متيسر بالفحش والأقوال الفحشاء، أسديه لكل جميل وأهب له كل خلق كريم، ثم جعل السكينة لباسه، والبرَّ شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة مفعوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه والإسلام ملّته، وأحمد اسمه، ومحمد رسمه، وقاسم حكمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الحمولة، وأشهد به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلّة، وأحيي به بعد العبادة، وأجمع به بعد الفرقة، وأألف به فنون قلوب مختلفةٍ وأهواء منشية، وأمم متفرقة، واجعل أمته خير أمةٍ أخرجت للناسِ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقولون توحيدًا لي وإيمانًا بي وإصلاحًا لعبادي، يصلون لي قيامًا وقعودًا وركوعًا وسجودًا، ويقاتلون في سبيلي صفوفًا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاءً لرضواني ألهمتهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والمدحة والتمجيد بي في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم يكبِّرون ويهلّلون ويقدِّسون على رؤوس الأشراف، ويظهرون لي الوجوه والأطراف، ويقيدون النيات على الإنصاف، أناجي لهم في صدورهم، نساك بالليل ليوث بالنهار، وذلك كله فضلي أوتيه مَن أشاء وأنا ذو الفضل العظيم.

هذه النعوت كلها مكتوبة في التوراة في حق محمد وأمته وأصحابه، فلما فرغ شعيا من مقالته هذه، وثبوا كلهم لديه ومال جميعهم إليه ليقتلوه هرب عنهم فلقيته شجرة فانغلقت له فدخل فيها، فأدركه الشيطان وأخبرهم، فوضعوا المنشار في وسطها فقطعوه واستخلف الله بعد ذلك رجلًا منهم يقال له مايشة بن الموص، وبعث أرميا بن جلييا نبيًّا وكان من سبط هارون بن عمران أخ موسى عليه السلام، فبعث الله تعالى هذا النبي إلى ذلك الملك ليسددهم ويهددهم ويرشدهم. ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل فركبوا المعاصي واستحلُّوا المحارم، فأوحى إلى أرميا أن ائتِ إلى قومك فاقصص عليهم ما أمرك به وذكرهم نعمتي، فقال أرميا: إني ضعيف إن لم تقوني فإني عاجز.

قال الله تبارك وتعالى: أَوَلَم تعلم إن الأمور تصدر بمشيئتي والقلوب والألسنة بيدي أقلبها كيف أشاء، وإني معك لن يصل إليك شيء وأنا معك. فقام أرميا فيهم ولم يدر ما يقول لقومه، فألهمه الله في الوقت فخطت لهم خطيئة بليغة، فأوحى الله تعالى: إني مهلك بيافث فأسلط عليهم بخت النصّر فخرج بستمائة رايةٍ فدخل بيت المقدس ووطئ الشام، فقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخرب بيت المقدس إلَّا أرميا فأمر جنوده أن يملأ كل واحد ترسه ترابًا وطرح في بيت المقدس، فأمر أن يجمعوا صبيانهم فاختار منهم سبعين ألف صبي قسمهم على ملوك وأمراء كانوا منه فأصاب ملك أربعة غلمة، وفرق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق، فثلثًا أقرهم وأقامهم بالشام، وثلثًا أسرى، وثلثًا قتلى، فكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزلها في بني إسرائيل بظلمهم وفشوّ فسادهم وإفسادهم في الأرض وقتلهم الأنبياء بغير الحق.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ [الإسراء: 5] يريد بخت نصّر وأصحابه لما قام في سلطانه ما شاء الله، ثم رأى رأيًا شديدًا عجيبًا مخوفًا مهيبًا، فأنساه الذي رأى ودعا دانيال وحنانيا وغزاريا وعزير وميتاهل كانوا من ذراري الأنبياء وسألهم عنها فدعوا الله بعد إنذاره، وتخويفه أشد تخويف وإنذار وتضرعوا إليه فأعلمهم الله الذي سألهم عنه فجاؤوا وقالوا: أرأيت تمثالًا قدماه وساقاه من فخّار، وركبتاه وفخذاه من نحاس، وبطنه من فضة، وصدره من ذهب، ورأسه من حديد قال: صدقتهم قالوا: فيما أنت تنظر إليه قد أعجبك أرسل الله صخرة من السماء وهي التي أنسيتها قال: صدقتم قال: فما تأويلها إنك لرأيت ملك الملوك وأملاكهم فبعضهم كان ألين وأسهل، وبعضهم كان خشنًا، وكان بعضهم أشد، أما الفخار أسهل وألين وأضعف وفوقه النحاس أشد منه، والذهب أحسن من الفضة وأفضل، ثم الحديد هو ملك وهو أعز وأشد عندك، والصخرة التي رأيتها هي التي قد وقعت الكل وقهرتها.

﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ يطلبوا أهلها ﴿وَكَانَ﴾ أمر بخت نصّر وقهره وقتله أمرًا مفعولًا ﴿وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا﴾ [الإسراء: 5] في الأزل مسطورًا في اللوح المحفوظ، ثم لما رجع بخت نصّر إلى ملكه وهو بابل، ثم رأى ملك لرأيه وكان يعبر الرؤيا الذي قالوا قد صرحوا بالبعض وكتموا بالبعض وهو الصخرة، فإن تعبير الصخرة

وهو غضب الله وسخطه على بخت نصّر وهو البعوضة، وذلك أنه لما تأولوا رؤياه أنفقوا علماء بلده وقالوا لبخت نصّر: أخرجوا هذه الأسارى من بيننا أو اقتلهم بمن كانوا أسراء من بقية بني إسرائيل فإنهم شؤم وفي حفظهم شآمة، فقصد بخت نصّر أن يقتلهم فلما قربهم للقتل بكوا وتضرعوا إلى اللّهِ وابتهلوا عند اللّهِ فرحمهم اللّهُ، ويرحم بهم فبعث بقدرته بعوضة فدخلت منخره ونفذ في دماغه حتى خرقت أم دماغه فمات فلما شقت دماغه وجد في دماغه بعوضة قد بششت بمخ دماغه، فلما نجا بنو إسرائيل من بخت نصّر وأعاد الله إياهم في وطنهم.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي مرة أخرى من أرض بابل إلى أرض الشام ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: 6] عددًا وعمر الله بلادهم وأعادها أحسن مما كانت، وفيه إشعار بغلبة الروم على الشام في الكرة الثانية، فلما عادوا إلى أرض الشام مع الأنبياء الذين كانوا أسارى في يد بخت نصّر، وهم دانيال وعزير، وقد أحرق التوراة وكان بينهم كتاب، وكان عزير يبكي ليلًا ونهارًا على فوت الكتاب وموت أولي الألباب، وخرج من بين الناس إلى أن جاء رجل وقال له: يا عزير ما يبكيك؟ قال: أبكي على فوت الكتاب وكان مَلَكًا متمثلًا بصورة الرجل، فجاء ذلك الرجل بإناءٍ مملوءٍ بماء فسقاه من ذلك الماءِ فمثلت التوراة في صدره، فرجع إلى بني إسرائيل فكتب لهم التوراة ووضعها لهم، فلذا أحبوه وانقادوا لأمره.

ثم بعد ذلك قبضه الله فحدث بين بني إسرائيل أيضًا فتن وأحداث كلما جاءهم رسول أو نبي فكذبوا فريقًا وقتلوا فريقًا، حتى جاء آخر زمن بعث الله فيهم إلى أن بعث فيهم زكريا ويحيى وكانوا من آل داود فمات زكريا. وقيل: قتل، فقتلوا يحيى وقصدوا قتل عيسى بن مريم فرفعه الله من بينهم، فسلط الله عليهم ملكًا من ملوك بابل اسمه جردوس فسار بأهل بابل حتى دخل الشام، فأمر رأسًا من رأس جنوده يدعى ينوزران صاحب الفيل إلى أهل بيت المقدس، وأمر بقتل أهلها وتفحص عن يحيى فأمر بجنوده أن يقتلوا أهل بيت المقدسِ، وتفحصوا عن دم يحيى فقام في البيعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجدوا دمًا فيها يغلي، فقال: ما بال هذا الدم؟ قالوا دم قربانٍ لم يقبل قال: كذبتم فذبح من بني إسرائيل على هذا الدم تسعمائة وسبعين زوجًا من أغنامهم وأصولهم فلم يهدأ إلا أن يأتي

بتسعمائة غلام من غلمانهم، فذبحهم على الدم لم يهدأ، فأمر بسبعة آلاف من سبيهم وأزواجهم فذبحوا على الدم فلم يبرد، فلما رأى مواراذان أن الدّم لم يهدأ قال لهم: يا بني إسرائيل صدقوني فإني استأصلكم ولم أبق منكم أحدًا.

فلما رأوا الجهد وشدة القتل قالوا: إنّ هذا دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله وغضبه، فلو كنا أطعناه لما ابتلينا هذا البلاء، وكان يأمرنا بأمور ولو فعلناه لكنا من أسعد الناسِ فما قتلناه بل قتلناه، فقال لهُمْ الآن صدقتم فقال: ما اسمه؟ قالوا: يحيى بن زكريا فقال: يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك فاهدأ بإذن اللّهِ قبل أن لا أُبقي من قومك أحدًا فهدأ الدم ورفع القتل بإذن الله وإرادته، وقال: آمنتُ بما آمنتْ به بنو إسرائيل وكانت هذه الواقعة الأخيرة التي قدّرها الله تعالى لبني إسرائيل، فبعد ذلك انتقل الملك من الشام إلى الروم واليونانية، إلى أن كثرة بقايا بني إسرائيل وكانت لهم الرياسة والتولية على بيت المقدس ونواحيها لا على وجه التملك، فزادوا في نعمة وكثرة أمنٍ وخالفوا الروم وأحدثوا الأحداث وأظهروا المعاصي.

فسلّط اللّهُ عليهم طيطوس الرومي بن استانوس فأخرب بلادهم وطردهم عنه، ونزع اللّهُ الملك والرياسة عنهم، وضرب عليهم الذلّ والصغار والجزية، وخربوا بيت المقدس وكان خرابًا إلى أن عمره عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته في دولة الإسلام.

عن ابن عباس: إنه لما قُتل يحيى بن زكريا غلى دمه فطرح عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو يغلي، فسمع سنحاريب فبعث جيشًا إليهم وأمر عليهم بخت نصّر فسار حتى بلغ إلى ذلك المكان وقصد بتسخير ذلك المقام فلم يظفر به واشتد عليه الأمر فيهم إلى أن يرجع، فجاءت إليه عجوزة من بني إسرائيل وقالت: أتريد أن ترجع قبل فتح المدينة؟ قال: نعم قالت: أرأيت إن فتحت المدينة تعطيني ما أسألك؟ قال: نعم قالت: إذا أصبحت فاقسم جندك أرباعًا فاقسم على كل زاوية أربعًا فارفعوا أيديكم إلى السماء فنادوا: ألا لنستفتحك باللّهِ دم يحيى بن زكريا فإنها تساقط ففعلوا فتساقطت المدينة، فدخلوا على جوانبها فقالت: أقتل على هذا الدم حتى يسكن، فقتل من بني إسرائيل سبعين ألفًا حتى سكن دم يحيى فخرب بيت المقدس، فرجع إلى بابل مع دانيال بقوم من

أولاد أنبياء بني إسرائيل وكان دانيال بأصحابه.

فلما قدم بابل وسنحاريب قد مات فقام مقامه، وكان أكرم الناس عنده مع أصحابه، فحسده مجوسي فقال: إن دانيال لم يعبد ربك ولم يأكل ذبيحتك قالوا: أجل فأمر بخندق فهالوهم فيه وهم ستة، وألقى معهم سبع ضاري ليأكلهم، فلما طرحت في الخندق ما تعرضت بهم بل قد انقادت لهم وأطاعتهم، فلما رجعوا إليهم وجدوهم جلوسًا والسبع مفترش ذراعيه معهم ووجدوا معهم رجلًا فقالوا: ما هذا السابع؟ فخرج السابع ملك فلطمه بخت نصّر فصار في الوحشِ ومسخه الله سبع سنين، وذكر وهب إن اللّه تعالى مسخ بخت نصّر يسير في الطير، ثم مسخه ثورًا، ثم طلب مسخه أسدًا في الوحش والدواب، وكان سبع سنين وقلبه في ذلك قلب إنسان، ثم رد اللّهُ إليه فآمن، قال السدي ثم أن بخت نصّر لما رجع إلى صورته بعد المسخ ورد الله إليه ملكه، وكان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه وكان دانيال لما شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عارًا، فجعل لهم طعامًا وشرابًا فأكلوا وشربوا، وقال بخت نصّر للبواب: انظر إن من خرج أولًا يبول فاضربه بالطبرزين فإن قال أنا بخت نصّر فقل له كذبت إن بخت نصّر أمرني أن أضربه بالطبرزين، فكان أول من قام للتبول بخت نصّر فلما رآه البواب شد عليه فقال: أنا بخت نصّر قال البواب فضربه فقتله، وما قتل في بنيان بخت نصّر من أنه عزا إلى بني إسرائيل قتل شعيا، وبعد قتل يحيى مع أن بينهما أربعمائة وإحدى وستين سنة، مبني على بروزه وتناسخه وظهوره في نشأة مختلفة كما قيل في شأنها.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ الأعمال والأقوال والأحوال خالصًا للّهِ بعد هذه المرة خلافًا لما تقدم ﴿أَحْسَنتُمْ ﴾ في الدنيا والآخرة والدين والعقبى فينجون ويفلحون في الدارين ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ وخالفتم حكم الله فيما ذكر ﴿فَلَهَا﴾ أي بعدد نكايتها ونكبتها وخسارتها إلى أنفسكم أي يختص سعادة الإحسان وشقاوة الإساءة والعصيان بأنفسكم لا يتعدى ولا يتجاوز ولا يتأدى إلى غيرها ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ﴾ أي المرة الأخرى والكرة الثالثة والأولى سلّط اللّهُ عليهم طيطوس بعد قتل يحيى وقصد إهلاك عيسى ورفعه إلى السماء، فقتلهم ونفاهم وغربهم عن ديارهم وضرب الجزية عليهم ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: 7] بإدخال الغم والحزن والكآبة والهم في

أنفسهم أو المراد هم الأصول والرؤساء والفحول لا مع الضعفاء والنحول حيث ذللهم وأهانهم وعللهم وأبانهم وغللهم ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ يعني بيت المقدس كما دخل بخت نصّر وخربه وطرحوا الجيف والقاذورات في الصيف والخريف فيه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ سنحاريب ليسؤوا وجوهكم مضارع مفرد فاعله هو (الله) أو الوعد جواب إذا ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾ ويهلكوا ﴿مَا عَلَوْا۟﴾ أي علو كل شيء غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى من علومهم أو ما دام بعلوهم ﴿تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: 7] إهلاكًا قويًّا كليًّا يجوز أن يكون الجزاء تعينًا لهم وليسيئوا متعلقًا وليدخلوا يكون معطوفًا عليه.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ أي قرب لطف ربكم وعنايته بكم ﴿أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ أي لأن أرحمكم أو ارتجوا من ربكم رحمة وعنايةً بأن يردّ دولتكم بعد المرة الثانية والثالثة إليكم إن أسبغهم في إقامة أحكام التوراة والرجوع والإنابة إلى ربكم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى المعاصي وإطاعة النفوس بأحدها إياكم بالنواصي وجعلها لكم مجرورين من الصياصي بمخالفة أمر اللّهِ ﴿عُدْنَا﴾ بأن يبعث محمد عليكم بأن يقتلكم وأن ينفوكم عن دياركم، ونضرب عليكم جزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: 8] وسجنًا ومجلسًا من الحصيرِ وهو الإحاطة، أو بساطًا كما ينبسط الحصير الذي تركب من الإذخر وعبرة.

﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى﴾ أي للحالة التي ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾ الحالات وأتم المطالب وأقوم الغايات وأكرم الملة وأعم الطريق وأدوم الهدايات، أي يختص الهداية بهذه الحالة والطريقة والملة المخصوصة قيل هي الكلمة التي هي أعدل وهي كلمة لا إلٰه إلا الله ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ﴾ أي الأعمال التي يصلح لأن ﴿ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [الإسراء: 9] تعرض في حضرة ربوبيته وألوهيته ويرفع إلى حضائر قدسه وسرائر أنسه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: 10]، ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ إما بمعنى أن لهم أو مفسرة يعني أن البشارة هي أن لهم ﴿أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9] يعني أن للمؤمنين بشارتين سعادة أنفسهم وشقاوة أعدائهم، فإن شماتة الأعداء أعظم البلية سئل عن أيوب عليه السلام أي البلية أشد عليكم قال شماتة الأعداء فخذلانهم أعظم السعادات.

إشارة وتأويل

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى﴾ [الإسراء: 1] قد تقرر من قبل أن لكل نفس كاملة كانت أو ناقصةً مؤمنة كانت أو كافرة ثلاثة أوجه: وجه إلى اللّهِ والحق، ووجه إلى الخلق وإلى الكثرة والفرق، ووجه إلى نفسها، وقلبه مجمع المكارم ومربعه حسن الخلق وهو أحدية جمعيتها، ولهذا الوجه عروج وصعود ورجوع إلى الوجه الأول الذي هو الأصل، وهو عين الحق وذاته وهبوطه إلى نهاية الكثرات في ملك عالم الناسوت، وهي الصورة النوعية البشرية والهيئة الكلية العنصرية، وتسمى هذه الصورة بالمسجد الأقصى، والوجه الأول بالمسجد الحرام، ووجد التسمية فيهما غير خفية يعني أن الذات جامعة لجميع الأسماء والصفات، جذب وجه الثاني الكوني للحقيقة المحمدية السارية في تمام المظاهر الكنانية المرتبطة بوجوه جميع الكائِنات إلى وجه الهيئة وشأن أحديته ليستعد لقبول أسرار ذاته البحت ولنزول أنوار غيب هويته وتنزلها إلى الشؤونات الذاتية، ثم إلى الأعيان الثابتة ثم إلى أطوار العقول إلى النفوس والأرواح، ثم إلى الأشباح والمثل النورية، ثم إلى الأفلاك ونفوسِها والملائِكة المدبرة لها، ثم إلى الإمكان العنصرية وإلى ما يتركب منها من المواليد الثلاثة وهو العروج والمعراج والنزول، والاستخراج على نوعين: دفعي عام وتدريجي تام، أما الدفعي فهو في كل آن يعم الكلّ بحسب اقتضاء امتداد النفس الرحمانية، واعتداد الظلال الإلٰهية الربانية، يخرج الأشياء عن عين الباطن إلى أين الظاهِر والأماكن، ثم يعيدها إلى ما كانت عليها مِن غيب الغيوب وجيب المواطن، وهذا الاقتضاء في الممكنات من حيث إنها لا تقتضي لذاتها لا وجودًا ولا عدمًا بل هما يقتضيان من مطلق الوجود والعدم من النعت العدمي وهو الإطلاق والتعجب.

والبحت ذاتي لها ومتواتر عليها بحسب الأسماءِ والصفات البسائط من الصفات والمركبات من الأسماء، وكل منها إما آفاقي أو أنفسي، أما الآفاقي فهو بحسب التجلي النوري الجمالي الوجودي والجلالي الظلي العدمي، فكل من الأشياء الوجودية والعدمية على ما تقتضيه الذات من حيث الذات لا من حيث الأسماء والصفات، معراج وعروج وصعود وخروج عن تمام المراتب والأدوار وعما فيهما من الأعيان وأحوالها دفعة، وأما التدريجي الآفاقي على ما تقتضيه

الذات من حيث الأسماء والصفات فهو يظهر في الأدوار والأكوار في أعيان المراتب وأكوان المناقب، والعروج والصعود من حال إلى حالٍ، ومن مقام إلى مقام إلى أن تنتهي الأعيان إلى كمالها اللائق على ما يقتضي رب الدورة من العلم والحياة والقدرة والإرادة، فعروج أعيان هذه الأدوار النورية إنما يكون بطريق النزول والهبوط، فعروج الشؤونات الذاتية عند استكمال الدورة العظمى الذاتية مقتضياتها إنما يكون بالنزول إلى مرتبة الواجدية واكتسابها وتلبسها بصور المعلومات ونعوت الأعيان الثابتة والنسب العقلية عند استفتاء فرداريّة العلم مقتضياتها في الدورة العظمى النورية، وعروج الأعيان الثابتة والحقائق الإلٰهية والعقول المجردة والملائكة المقربين إنما هو بالنزول من عالم الإلٰهية ومرتبة الجبروت إلى عالم الجبروت الربوبية ومرتبة الملكوت والدورة الكبرى النورية، وعالم الأرواحِ بتدبير اسم الحي، وعروج الأرواح ومعراجها إنما هو بالنزول والهبوط إلى عالم الجبروت، ومرتبة البرزخ وتلبسها بصور الأشباح وبهيئات المثل النورية والأرباب النوعية، وعروج هذه الأعيان إنما يكون بالهبوط إلى عالم الملك ومرتبة الأجسام والشهادة، وتعينها بصور الأجرام السماوية، وبما فيها من الكواكب وتصور العناصر وتهيئات ما يتركب، وعروج الكواكب والسماوات إنما يكون بالتنزل إلى عالم الناسوت ومرتبة الإنسان، ويجعلها مسخرات بأمره ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [النحل: 12].

وإذا انتهت التنزلات وانقضت التعينات إلى الإنسانِ، صار عروجه ومعراجه مخالفًا لعروج ما عداه ومعراجه، ومتضمنًا لعروج ما سواه، وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ووهب والسدي رضي الله عنهما في شأن بخت نصر وغيرهم من أنّ اللّه تعالى مسخ بخت نصّر بصورة النسر والثور والأسد، ثم صوّره بصورة الإنسانِ وملكه الأقاليم السبعة إنما هو بطريق البروز، وهو أن يتعلق نفس إلى نفس آخر وإن كان تلك النفس نفس بعوضة وملكوت حجر كما أشار إليه آدم الأولياء كرم الله وجهه أنا آدم الأول أنا نوح الأول أنا البعوضة التي ضرب الله بها مثلًا، أنا الحجر الذي تفجر منه اثنا عشر عينًا وغير ذلك، وإطلاق النسخ عليه إنما هو على سبيل التشبيه والاستعارة، والفرق بين التناسخ والبروز أن التناسخ

هو أن يتعلق نفس ناقصة خارجة من بدن إلى بدن أو جسم آخر مجردًا عن النفس. وأما البروز فهو أن يتعلق نفس إلى نفس آخر متعلقة ببدن أو غير متعلقة وسواء خرجت من البدن أو لم تخرج.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ يريد النضر بن الحرث بن علقمة بن كلده بن عبد الدار ﴿دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ [الإسراء: 11] يريد كما يدعو المؤمنون بالمغفرة والرحمة مثل آل عمران: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [193]. ودعاء النضر بن الحرث: اللّهمّ إن كان هذا الذي جاء به محمد حقًّا من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتنا بعذاب أليم ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: 11] يريد أن عجلة نضر بن الحرث في الدعاء على نفسه من عجلة آدم حيث نهض قبل أن يجري الروح فيه.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ كشمسين فيهما ضياءًا واحدًا وأحب الله أن يخالف بينهما لتصرف الليل من النهار والأيام والشهور والسنين ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ يريد فأظلم الليل فصار المحو في القمر وهو السواد ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يريد التجارة وطلب الرزق والمعايش ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: 12] يريد فصلت ما خلقت للمنافع تفصيلًا.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: 13] مثل قوله في يس: ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ [الآية: 19] حيث وعظتم ولم تصل في عنقه يريد المستهزئين والمقتسمين ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: 13] يريد كلما عمل وكلما قال وكلما فعل.

﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾

﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: 14] مهيلًا يريد الأسود بن عبد الأسد.

﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾

﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ﴾ يريد قتيبة، يضل يريد وليد بن المغيرة والذي اهتدى أبو سلمة بن عبد الأسد ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ﴾ يريد وليد بن المغيرة قال: اتبعوني وأنا أحمل أوزاركم يقول لا يحمل أحد ذنب أحد ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: 15] اتخاذ الحجة على خلقه.

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ يريد سلطة ملوكها ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ يريد المعاصي ﴿فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ﴾ يريد استوجب العذاب ﴿فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾ [الإسراء: 16] يريد إله أن يعينه.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ١٧﴾

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا﴾ يريد خابرًا بأعمالهم قبل أن يعملوا أو يجرمهم قبل أن يجرموا ﴿بَصِيرٗا﴾ [الإسراء: 17] يريد بصيرًا بذلك كله.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨﴾

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾ [الإسراء: 18] يريد مغبونًا.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ﴾ يريد الجنة ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ يريد العمل لله بفرائضه والقيام بحقوقه ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فإن الله لا يقبل حسنةً إلا ممن صدق به ﴿فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: 19] يريد يضاعف لهم الحسنات ويمحي عنهم السيئات ويرفع لهم الدرجات مثل قوله له في فاطر: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الآية: 34] يريد غفور لنا العظيم من ذنوبنا ويكثر لنا اليسر من أعمالنا الذي أحلنا دار المقامة من فضله يريد أن لنا دار الكرامة فضلًا منه علينا وليس من أعمالنا لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب يريد كلغوب الدنيا ونصبها.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يريد المشركين وما أعطاهم ﴿وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: 20] يا محمد يريد رزق ربك يا محمد يريد على المؤمنين محصورًا يريد قد حصره عليه موعدًا من الله لهم كما قال سبحانه في: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾﴾ [الشعراء: 1]: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: 6] كذلك نمكن الذين صدقوك ونصروك واتبعوك ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: 10].

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ أقول: على نفسه وعلى نفس غيره وماله وولده وأهل بيته ﴿دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ أي دعاء يكون مثل دعاء الخير في الإخلاص وصفاء النية وضياء لنفسه ولنفس غيره إلا أن اللّه لا يستجيب دعائه على نفسه وإلا لهلك هو وأهلك ماله وكل ما دعا عليه في الحال ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ في دعائه على نفسه وماله وعلى كل الأمور كلها لعدم اصطباره على السراء والضراء ﴿عَجُولًا﴾ [الإسراء: 11] مستعجلًا بالطبع لاستجماعه الطبايع المتضادة كل منها يميل إلى مقتضى طبعه من غير تراخ ومهل فيحصل منه كل منها في الإنسان استعجال طبعي إلى شيء مال إليه وثبت لديه من غير مانع، فتدعو العذاب وتسأله كما تدعو الخيرات والثواب

إذا مسه الشدة قال النبي ﷺ: «**إني سألت اللّه تعالى أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة، لأني بشر أغضب كما يغضب البشر**». ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر فإنه يدعو بالعذاب استهزاءً، وليستعجل به كما يدعو بالخير عند مساس الشدة.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ الحسّي لا العقلي ولا النفسي ﴿ءَايَتَيْنِ﴾ علامتين وإمارتين دالتين على وجودنا ووحدانيتنا وكمال قوتنا وبلوغ حكمتنا ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ وغشاها. روي عن ابن عباس أنه جعل الله نور الشمس سبعين جزءًا ونور القمر كذلك، فمحى منه نور القمر تسعة وتسعين أو ستين جزءًا، فجعلها مع نور الشمس، هذا كلام أقولُ ولذا جعل الله النهار منوطًا بوجود الشمس مضبوطًا بنورها مع أن أنوار الكواكب التي تكون فوق الأرض من الثباتات والسيارات آلاف وأضعاف نور الشمس مع أنه لا يقيد إليها إلا وجود الشمس ونورها وذلك لخاصة الصورة الجمعية في الشمس دون الكواكب الباقية، حكى أن اللّه أمر جبرائيل فأمرّ بجناحيه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه أعني النور المستفاد من ضوء الشمس، سئل أمير المؤمنين علي عليه السلام عن السواد الذي في القمر قال: هو أثر المحو.

﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ مضيئةً يبصر بها الأشياء، يقال: أبصر النهار إذا أضاءه بحيث يبصر بها، والإضافة كإضافة العدد إلى المعدود ﴿لِتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ أي لتتوصلوا بياض النهار وبياض الأنوار إلى استتابة الأعمال والتصرف في المعاش والتعطف إلى الانتعاش، ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين والحساب وما يحتاجون إليه، ولو ترك الله إياهما كما خلقا لم يعرف الليل والنهار واختلّ نظام العالم، واعتلّ صاحب القعود والقيام واعتطلت أيام الحجّ وأوقات الصيام وابتل حلول الآجال بين الأنام لانتفاء الليالي والأيام واختفاء العهود والأعوام ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: 12] أي بينا تبيينًا كاشفًا من غير القياس فأرحنا عللكم وأرحنا خللكم وأزلناه.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ عمله وما قرر عليه وكل ما قرر لديه فهو يلازمه لا ينفك عنه أصلًا، أو خيره وشره، أو يمينه وشؤمته، قال بعضهم ما من مولود إلا في عنقه ورقة مكتوبة فيها شقي وسعيد، قيل المعنى بالطائر ما قضى عليه

أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة وشقاوة، كما هو من عادة العرب إنه يتفاءلون ويتشاءمون من سوانِح الطير ونوارحها، وإنما خص العنق لأنه موضِع القلادة والأطواق وغيرها مما يزين ويشين ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ من أعماله وأحواله وأقواله ﴿كِتَـٰبًا﴾ صحيفة كتب فيها أعماله وما صدر منه في حال حيويته وإرادته واختياره فإن الأعمال الإرادية والأفعال الاختيارية تحدث بنفس ملكات راسخة وهيئات باسخة، إما مفعول أو حال منه مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: 13] حال من الضمير المنصوب أو مع الفعل صفة للكتاب.

﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ﴾ على تقدير القول ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ﴾ فاعل كفى أي كفى نفسك ﴿ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 14] تمييز، والجار صلة لأنه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارِم، ويومئذٍ يقرأ كل أحد كتابه، إذ كل نفس في أصل الفطرة قارئ وكاتب وعالم ومسلم كما قال عليه السلام: «**كل مولود يولد على فطرة الإسلام**»، فكما أن أب العقل وأم النفس يجعلان المولود يهوديًّا ونصرانيًّا كذلك يجعلها أميًّا، وإذا رفع سلطنتها عنها عادت إلى ما كانت عليه أولًا، قال الفاصل الحكيم الإلهي: كل نفس فهي في ذاتها عالمة إلا أنها بسبب مجاورتها الطبيعة الظلمانية الكدرة نسبت ما كانت عليها في الفطرة الأولى، ونحن منبهون ومذكرون ولذا كثر ذكر الذكر والتذكر في الكتاب الإلهي والأمر بالتفكر ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: 1 - 3] وغير ذلك.

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ لرجوع ثمرات الهداية وهي النجاة والفوز والتوفيق على اكتساب السعادة والعروج إلى أوج السيادة وإلى ذروة الرئاسة إليها ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ وترك طريق الهداية وفقد رفيق الدراية ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي يرجع ويعود وبال الضلالة ونكالة الجهالة إلى نفس الضال ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا يسأل أحد عن أعمال غيره ولا يحمل أحد وزر الآخر وذنبه ولا يعاقب على معصية الآخر ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحدًا من إقرار الإنسانِ على عمل وترك فعلٍ وعلى حصول أملٍ ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15] ونبيًّا معه كتاب فيه أحكام لبيان السعادة وحصول السيادة بينهم، وبين لهم أحكام الكتاب ومراد الله من الأوامر والنواهي وبيان الحلال والحرام للخواصِ والعوام ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أي إذا أردنا وقت دنو إهلاكهم وزمان انهماكهم ولم يبق لهم موجب

الإهمال وسبب الإمهال، أمرنا متنعمها ورؤسائها ومنعمها بالطاعة والانقياد والإطاعة بأحكام الله وبامتثال أوامرنا ولاجتناب عن نواهينا وعما نهيناهم عنه فتركوا الطاعة وارتكبوا المعصية ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ وخرجوا فيها عن إطاعة أحكام اللّهِ وهرجوا ومرجوا في الفتنة والفساد والإفساد ﴿فَحَقَّ﴾ أي فحيث ثبت ووجب ونبت ﴿عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ أي الأمر بحلول كلمة العذاب ونزول شدة العقاب، أو هيّأنا لهم فيها أسباب الفسق والفجور والفساد، وأعددنا أرباب الظلم والجور لإظهار الفساد والجور على مقتضى قضائه السابق والحكم في الأزل الشاهق.

﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: 16] وخربناها وأهلكنا من كان فيها قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: إلهي إن حسناتي بعطائك وسيئاتي بقضائك، فمنّ علي حتى يمحو ذلك بذلك. أما الفاسقون فيشددهم فسقهم وفسادهم، وأما المطيعون فلرضائهم بالفسق والفجور والفساد والإفساد وعدم خروجهم من بينهم، فإن الفرار من الفتن والفساد من سنن الأنبياء المرسلين. عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دعا يقول: «**لا إلٰه إلّا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وحلق بأصبعيه قالت زينب: فقلت يا رسول اللّهِ أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبيث**».

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ المكذبة، كم: للتكثير مفعول أهلكنا من القرون بيان لكم وبمنزلة كما تميز العدد بالجنس ﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ أي أهلكنا كثيرًا من القرون بعد نوح أي عادًا وثمودًا وقرونًا بين ذلك كثيرًا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: 17] قال بعضهم القرن مائة وعشرون سنة فبعث رسول الله في أول قرن آخره يزيد بن معاوية قيل مائة سنةٍ أو ثمانون أو أربعون.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي الدار العاجلة للفناء والهلاك وهي الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ﴾ وأعطينا له عجلة وعجالة وتعجيلًا ﴿فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ من البسط والتقتير ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ بدل البعض من الكل ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: 18] مطرودًا بعدًا مردودًا.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ ونعيمها والجنة ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ في العمل والطاعة ورفع الأمل والعبادة وكمال الإطاعة ووفور المطاوعة ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ جملة حالية ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: 19] واقعًا في حيز القبول أداءً

لحق النعمة وقضاءً لشق وظائف الشكر وتعظيم المنعم.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ ونعينهم بالإمداد من الإمداد وهو الإعانة والنصرة أي نعين كلا الفريقين أي طالبي الدنيا والآخرة ونرزقها رغدًا كائنًا ثابتًا ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾ وفضله وإحسانه ﴿مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: 20] ممنوعًا ومنفيًّا ومقطوعًا من العاصي لعصيانه من الأدنى والأقصى.

إشارة وتأويل

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِۖ﴾ إلخ، قد علمت أن الإنسان عبارة عن أمور ثلاثة: مولود مُلك، ومولود جني، ومولود جمعي إلهي لزمه الجمال والنور والجلال، وجمعيتهما الإلٰهية وإن كلًّا منها يستدعى وصفًا ويقتضي نعتًا يكون مخالفًا وسنًّا وقضاءً للآخر، مثلًا المولود المُلْكي الإنسي يقتضي خيرًا صريحًا، والجني سرًّا ضمنيًّا، والنعت لجمع جمعيتهما ويوافقهما في الخير كما ورد في الحديث أن شيطاني قد أسلم بيدي لا يأمرني إلا بالخير كما يلوح إليه قوله تعالى: دعاه بالخير أي يوافق سره بتقدير الله وتدبيره.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: 11] نظرًا إلى الاقتضاء الإفرادي أي عجولًا مستعجلًا لإجراء الوقار مقتضاه الذي يرتضي إجراءه، وأما الجمع بخيره وارتضائه له يستدعي الاستكانة والطمأنينة والقرار، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي الدورة النورية الجمالية والكورة الظلية الجلالية واقتضاءهما ﴿ءَايَتَيْنِۖ﴾ علامتين دالتين على كمال قدرته ووفور حكمته البالغة مندمجة إحديهما في الأخرى ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ أي خفينا مقتضى الليل والجلال والعدم وجعلناه ضمنًا ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ﴾ أي مقتضى الدورة النورية والجمالية الوجودية ﴿مُبْصِرَةً﴾ ظاهرة صريحة وهو الإيمان بالله ومعرفته وشهوده وشهادته ومقتضى الظل والجلال هو الكفر والشرك، فلا بد أن يكون خفيًّا ضمنًا إذا كان حكم فرداريّة الدورة النورية صريحًا، وإذا انتقل الفرد ذاته إلى الظل والجلال والكفر والشرك صريحًا وصار الإيمان والمعرفة ضمنًا وخفيًّا ﴿لِّتَبْتَغُوا۟﴾ وتطلبوا ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الإسراء: 12] أي إحسانه وهو كمال العبادة التي تقتضي شهود المعهود ومشاهدة ربه، كما قال النبي ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ﴾ أي كمية التجليات الأسمائية الصريحة النورية الجمالية ﴿وَٱلْحِسَابَ﴾ أي التجليات الضمنية والعلم المتعلق بها والعلم بالعلم، فإن كل تجلي على مقتضى تجدد الأمثال يتضمن تجليات كثيرة وإدراكات وعلوم متعلقة بها متضاعفة غير متناهية كما يقتضي الظل والجلال.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾[الإسراء: 12] أي كل تجلي ذاتي وأسمائي وأفعالي وآثاري وتجلي جمعي، بيناه ومر بنا بعضه على بعض تفصيلًا وتبيينًا وبيانًا ظاهرًا غير ملبس ومشبه بعضه ببعض ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: 13] إشارة إلى أن مقتضى الظل والجلال ومرتضى النور والجمال كما لا ينفك عن المولود الإنسي بل لا زمان له أبدًا وهو الإيمان والكفر ومقتضاهما كذا التعينات النورية والهويات الضمورية بحسب النوع يبقى لا يزول عن كل المولود الإنسي ثابت في البرزخ المعادي، وكذا الإمكان الذاتي لازم للممكن وهو معدن كل فعل مذموم وموطن كل فعل موجود ومعدوم من الخير والشر والنفع والضر والربح والخسر، وهو لا ينفك من الممكن ولا ينقلب إلى الوجود الذاتي والامتناع، ويلزمه العقل المكتسب الذي لا يزول عن المكاسب.

قال النبي ﷺ: «**يا قيس إنه لا بدّ لك من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت**» فإن كان كريمًا أكرمك، وإن كان لئيمًا أساءك، ثم لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلاّ معه ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحًا فإنه إن كان صالحًا لم تأنس إلا به، وإن كان فاحشًا لم تستوحش إلا منه ومعك، ويخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه يعني لدى انتقال الفردانية من اسم إلى اسم ذاتي ومن دورة إلى دورة تقوم قيامة وتظهر ساعة وتحشر النفوس ويلقى إليه كتاب وكان معه مكتوبًا فيه جميع الأعمال المكتسبة ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ الكتاب عبارة عن صحيفة الإمكان الذاتي وصحيفة الاستعداد الأزلي الذي كان جميع ما كان وما يكون كامنًا في تلك الصحيفة ثابتًا وكامنًا فيه يظهر له تبدل فلك الإمكان الذاتي ويحول هيئات الاستعداد الذاتي بحركة الواجب الوجود بقدرته الكاملة وقوته الشاملة والأمر بالغواة هو الاستعداد الوصفي، الذي رباه الفاعل المختار وجعل النفس مظهرًا لما فيه من الأحوال ولذا أسند ﴿كَفَىٰ﴾ [الإسراء: 14] إلى النفس فكلما فعلته النفس وتوهم الوهم وأدركه العقل واستشعرت به سائر مبادئ

الإحساس فهو مخزون في الخزانة الاستعداد المذكور وهو النفس، ويحفظه الملائكة التي هي موكلة على ضبط الأفعال وحفظ الأعمالِ وصيانة الأحوال ووقاية الأقوال.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ متفاخرًا متجبرًا فرحًا ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ بالقوة ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 36، 37] بوفور القدرة والمقدار في الكمية والامتداد في العرض والسمك والطول والباقي ظاهر.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾

﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 21] يريد منازلًا وقصورًا ومواعد من اللّهِ للمؤمنين.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: 22] يريد إني عصمتك وختمت على النبوة والوفاء والصدق ومحوت كل باطل وهذه مخاطبة لمن أتبعه.

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: 23] يريد وأقر ربك ليس هو قضاء ختم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ يريد وصيته من اللّهِ ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ يريد لهما ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ يريد بالأف الرديء من الكلام كقول إبراهيم لقومه: أف لكم ولما تعبدون من دون اللّهِ، والرديء من الكلام هو أن يقول لهما أماتكما الله أراحني الله منكما، فهذا الرديء من الكلام ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا﴾ يريد الإنهار والجواب والغلظة وقل لهما ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23] يريد لينًا.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ يريد لا ترفع وجهك إليهم طرفة عين، ولا تحدّ النظر إليهما وإلى الكلام والجواب لهما، ولا يزيدانك إلا إحسانًا إليه ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24].

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ يريد مما يكون قبل أن يكن وما كان ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ﴾ يريد طائعين لله ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: 25] يريد الراجعين عن معاصي الله التاركين لسخط اللّهِ النادمين على الزلات.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: 26] يريد الحض على صلة القرابة فبدأ بحق القرابة لما جعل الله في الأرحام من الصلة لأن اللّه تعالى خلق الرحم فشق لهما اسمًا من اسمك فتعلقت من اللّهِ بموضع جرمه فقال: يا رحمٰن أنت الرحمٰن وأنا الرحيم شَقَّيت أسمائي من أسمائِك هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال الله تبارك وتعظم وتقدس: وعزتي وجلالي وعظمتي وسلطاني لأقطعن من قطعك ولأوصلنّ من وصلك. وكذلك جعل الرضاع مثل النسب محرم منه ما حرم من النسب وأحل منه ما أحل من النسب، وقد فك رسول اللّهِ ﷺ بني ثوبان بعد أن أقسموا أنهم أرضعوه جارية أخيه من الرضاعة فبسط لها رسول الله ﷺ رداءه ورد بسببهم سببها ولم يفعل بذلك أحد من العرب قبلهم ولا بعدهم ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ يريد عابري سبيل ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: 26] افتراه بالافتقار.

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ﴾ يريد في غير طاعة اللّهِ والإنفاق فيه في سبيل الطاغوت ﴿كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 27] يريد جاحدًا لأنعمه.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ يريد عن المشركين من قومك ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ يريد نظرًا وثوابًا يريد فافعل ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: 28] يريد سدادًا من القول مثل قوله في سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: 63] يريد سدادًا من القول في لين.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ يريد في النفقة والقطيعة ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29] ليس عنك مني.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ يريد لو أردت أن أبسط الرزق عليك وأجعل جبال الدنيا لك ذهبًا وفضة لفعلت ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: 30] يريد خابرًا بعباده بصيرًا بهم حيث لم اجعلِ لك ذنبًا لكرامتك علي ولكني جعلت لك الآخرة.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا﴾ أقول: فقهنا وأعلونا ﴿بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الرزق والعلم والعمل والسعادة والشرف والسيادة وأمور الإمارة وآداب السياسة روي أن قومًا من أشراف قريش وغيرهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الإذن لبلال وصهيب فشق ذلك على سفيان فقال سهيل بن عمرو: وإنما أتينا من قبلنا إنهم دعوا ودعينا إلى الإسلام فأسرعوا وأبطأنا، هذا باب عمر فكيف الحال في الآخرة بباب الله وسرادقات عظمته وهو أحب كبرياءه ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ﴾ اللام للابتداء وهي مبتدأ وخبر ﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 21] قرئ: وأكثر تفضيلًا أي التفاوت في الآخرة أكبر والأجر الجزيل والثواب الجميل فيها أشهر وأكثر.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ﴾ الخطاب إما خاص أو عام والخاص يتضمن العام إذ الخطاب بالنفس الكاملة يتضمن الخطاب بالنفوس الجزئية المتضمنة المندرجة تحتها ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ﴾ أي تصير من قولهم تشحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حرة

أو فتعجز من قولك من الشيء إذا عجز عنه ﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: 22] أي تصير جامعًا على نفسك وما يتبعها من الهلاك من الملائكة والمؤمنين والخذلان والهوان من الله، ومفهوم المخالف وبطريق شبه أخذ النقيض الزم التوحيد لتقعد وتصير عند الله وعند الناس ممدوحًا خير الناسِ. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: كن عند الله خير الناسِ، وعند نفسك شر الناسِ، وعند الناسِ ناسًا مِن الناسِ.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي حكم في الفطرة الأولى والمعهد الأعلى في مقام ألست بربكم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إما على التفسير أو اعتبار الحذف والتقدير على تقدير النهي، أي لا تعطوا أو لا تبخلوا ولا تكرموا إلا من الحق غاية التعظيم وتدق أعناق المتجبرين ورقاب المتكبرين بالقهر العميم والجبر الجسيم ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ وبأن تحسنوا أو أحسنوا، وإنما قرن الإحسان بالوالدينِ بالتوحيد إشعارًا بأن حق الوالدين كحق الله لأنهما في الظاهر سببان لوجوده، فلا يجوز أن تكون الباء متعلقة بالإحسانِ، لأن الصدر بالتوحيد يقتضي الصدارة والمصدر لا يتقدم معموله عليه ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء: 23] إما أصلها إن ما زيدت أن الشرطية على ما به المؤكدة، ولذا دخل على فعله نون التأكيد إذ لو جردت إن عن ما لم يصح دخول التأكيد ولا تقول: إن تكرمن زيدًا يكرمك، ولو قيل: إما يبلُغن كلاهما، فكلاهما تأكيد لا يدلّ لأنه عطف على ما لا يصح أن يكون تأكيدًا للآيتين وهو أحدهما فانتظم حكمه فوجب أن يكون مثله، وإذا أريد توكيد التنبيه ليقل كلاهما فحسب فلما قيل أحدهما أو كلاهما علم أن التأكيد غير، فكان بدلًا وتكرارًا للتأكيد لكمال الاهتمام ووفور الاعتناء برعاية حقوق الوالدين أحدهما فاعل الفعل كلاهما عطف عليه إما فاعلًا أو بدلًا.

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ صوت أو اسم صوت بدل تضجّر منونًا أو غير منون، أو مبني على فتح أو كسر وبالضم كمنذ، ومفهوم عندك يشعر بأنّ الأبوين لو كبرا عند الولد إلى أن صار وهما كلان على مولاهما، وبلغا إلى مرتبة شق عليه، وجب عليه التحمل يعني نهي عن إظهار أمر يوهم بالتضجر ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ ولا تزجرهما والنهي والنهر والهمزُ أخوات ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23] لينًا جميلًا حسنًا لا شراسة فيه بدل التأفف.

﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ أي اخفض لهما في مقام التواضع والتذلل إلى أن تجعل جناحك أي جنبيك موطئًا لهما و مبالغة في التواضع والتذلل لهما ﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما. وقال رسول الله ﷺ: «**إن أبوي قد بلغا من الكبر إلى أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيت لهما؟ قال: لا قال: فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان لقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما**». شكا رجل إلى رسول الله ﷺ أباه وإنه يأخذ ماله فدعا به فإذا به شيخ يتوكأ على عصائه فسأله فقال: يا رسول الله إنه كان صبيًّا وأنا قوي، وكان فقيرًا وكنت غنيًّا وكنت لا أمنعه شيئًا من مالي، واليوم أنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني وهو يبخل عليّ بماله، فبكى رسول الله ﷺ وقال: «**ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى، ثم قال للولد: «أنت ومالك لأبيك أنت ومالك لأبيك**»، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: 24] أي ادع الله أن يرحمهُما برحمته الفائقة ولو كانا كافرين لأن من الرحمة أن يهديهما.

﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾ وضمائركم وقلوبكم وسرائركم من قصد البر إليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير، فكأنه تهديد على أن يضمر لهما كراهةً واستثقالًا، إن تكونوا صالحين قاصدين للصلاحِ والبر والمحبة أو أبرارًا مطيعين محسنين بما يعالجون منهما، أو لا محببين، فإن فرطت منكم حمية الإسلام في حال الغضب ولدى جرح الصدر وقلق القلب، وأدت إلى إيذائهما وإهانتهما ثم استغفرتم إلى الله فتوبوا إلى الله، فإنه كان للأوابين الراجعين مِن المعاصي، الآخذين نفوسهم بالنواصي، الرادين طبائعهم إلى الصياصي، منيبين إلى باب بارئهم وموجدهم ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾ [الإسراء: 25] رحيمًا لما فرط عند جرح الصدر من أصحاب الحكومة وأرباب الصدارة والصدر.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أي اعط أصحاب القرابة وأرباب الصلة مطلقًا أو قربى الرسول ﴿حَقَّهُۥ﴾ من صلة الرحم وحسن المعاشرة والرفق في المصاحبة والمعاملة، يعني اعطِ صلة الرحم حقوقهم إن وصلوا بغير الوالدين من الأقارب بعد التوصية بهما، فأتوا حقهما وحقهم من المحارم، والأبوينِ والأولاد فقراء عاجزين من الكسب، وإن كان الرجل موسرًا فينفق عليهم عند أبي حنيفة وعند الشافعي لا ينفق عليهم إلا على الولد والوالدين فحسب، وإن كانوا مياسر ولم

يكونوا محارم كأبناء العم والعمة والخال والخالة فحقهم صلتهم بالزيارة والمودة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمقاصدة والمعونة والمساعدة ونحو ذلك.

﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ كالسائل ولو جاء على الفرس قال له حقًّا فتصدق عليه والضيف النازل، وإن كانت الضيافة على أهل الخيام والوبر لا على أهل الجدار والمدر قوله ﷺ: «**أكرموا الضيف ولو كان كافرًا**». وحق الضيافة ثلاثة أيام ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: 26] وهو صرف المال فيما لا ينبغي على وجه لا ينبغي، وهو الإسراف والتعدي عن طريق الاقتصادِ والتبذير هو تفريق المال وصرفه على وجه لا ينبغي شرعًا وإن كان قليلًا كما قيل، ولو أنفق برًّا في باطلٍ كان تبذيرًا، وكان بعضهم مبالغًا في الإنفاق في الخير فقال له صاحبه: لا خير في السرف فقال: لا سرف في الخير.

روي أن رسول الله ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال: «**ما هذا السرف يا سعد؟**» قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: «**نعم وإن كنت على نهر جارٍ**». وبالجملة إن التجاوز عن حدّ الاعتدال والتوسط والاقتصاد فهو مذموم ولما كان الخير أولًا وآخرًا ووسطًا وثانيًا وباطنًا وظاهرًا محمودًا ومستحسنًا وممدوحًا لا يكون له حدّ محدود وطرف وسدّ ممدود وحرف معدود فلا تجاوز فيه ولا إسراف ولا تبذير.

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: 27] أمثالهم ونظائرهم في السرارة وهي غاية المذمة لأنه لا شرًّا أشر ولا شيء أضرّ من الشياطين، فالمبذرون هم أشر الأشرار لأنهم إخوانهم يمدونهم في الغي أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف والإسرار، أو قرباؤهم في النار على سبيل الوعيد ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 27] جحودًا لنعمه كنودًا لمنحه وكرمه، فلا الناقه لأن يطاع ولا صلاح أن يطاوع، فالحق والخالق أحق لأن يتبّع لأنه يدعو العبد إلى أن يتحقق بأخلاقه كما قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يس: 26، 27].

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾ يا محمد ﴿عَنْهُمُ﴾ أي عن الفقراء الصابرين في الفقر الصائرين إلى اللّهِ المحررين من النار والسقر، وهم عمار وصهيب وخبابًا وسالم وأبو ذر الغفاري وأشباههم، فإنهم كانوا السائِلين رسول اللّهِ بعض ما يحتاجون إليه فلا

يجدون ما يسألون ليعطيهم فتعرض عنهم فيسكت يعني أن يعرض عن هؤلاء الذين أمر بك أن يأتيهم ويعطيهم ما يحتاجون إليه ﴿ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ﴾ واطلب رحمة ربك التي ﴿تَرۡجُوهَا﴾ برحمتك عليهم وإما متعلق بالشرط أي إن أعرضت عنهم تريد رزقًا ورحمة من ربك ترجو أن تفتح ويسمى الرزق رحمة فردهم ردًّا جميلًا فوضع الابتغاء للفقد إذ فاقد الرزق مبتغٍ له فكان الفقد سببًا للابتغاء والابتغاء مسببًا عنه موضع السبب.

ويجوز أن يكون معنى: وإما يعرضن إن لم ينفعهم ولم يرفع خصائصهم لعدم الاستطاعة، ولا يريد الإعراض بالوجه كناية بالإعراض عن ذلك، لأن من أبى منع أن يعطى أعرض بوجهه من باب ذكر اللازم أو الأمر بالعكس لتساويهما على الأكثر، قيل معناه قل لهم: رزقنا الله وإياكم من فضله، على أنه دعاء لهم إذ يغير عليهم فقرهم لغناه. ﴿فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾ [الإسراء: 28] قولًا لينًا سهلًا. يقال: يسر الأمر وعسر مثل: يسعد وينحس اسم مفعول، أي إذا سئلت ولم يكن عندك شيءٌ فعدهم وعدًا حسنًا جميلًا رحمة منك لهم وتطييبًا لقلوبهم، أو الرسول عليه السلام كان إذا سئل ولم يكن له شي أعرض عن السائل وسكت حياء منه.

﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ نزلت حين أعرض النبي ﷺ عن بعض الفقراء ﴿وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ [الإسراء: 29] نزلت حين أتى صبي إلى رسول الله ﷺ وقال: إن أمي تستكسيك درعًا، ولم تكن له إلا قميص فأعطاه إياه، فعاد إلى أمه فقالت: عد له وقل له: إن أمي تسألُ منك درعًا يكون عليك، فدخل النبي ﷺ بيته ونزع درعه وأعطاه وقعد عريانًا، فأذن بلال للصلاة فانتظره فلم يخرج فشغلت قلوب أصحابه فدخل عليه بعض منهم فوجدوه عريانًا فأنزلت ﴿فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا﴾ يلومك سائلك بالإمساكِ إذا لم تعطهم ويردهم صفرًا، أو الملوم هو الذي أتى بما يلوم نفسه ويلومه غيره ﴿مَّحۡسُورًا﴾ [الإسراء: 29] منقطعًا بك لا شيء عندك مِن حسرة الصفر إذا بلغ منه وحسرة بالمسألة إذا التحق منها نادمًا على ما فرط منك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ ويقتر ويضيق ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا﴾ يعلم المصلحة والغبطة والحكم ما هِي عليه من أحوال الخلائق سرًّا وجهرًا ﴿بَصِيرٗا﴾ [الإسراء: 30] يرى أحوالهم ويشاهد آمالهم وأعمالهم فيعصمهم ويمنعهم على ما يقتضيه الحكمة والمصلحة.

إشارة وتأويل

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الكمالات النفسانية والحالات الجنانية والمقامات الروحانية، وما يلزمها من الأرزاق المعنوية والأخلاق الإلٰهية والملكات الفاضلة الربانية التي يترتب عليها الحالات والمقامات والمعارف والعلوم والإدراكات والمشاهدات المتضاعفة والتجليات المتقاطبة، فإن كل تجلٍّ بناء على استحالة التكرار فيه يتجدد بتجدد الأمثال ويتعلق بها علوم وإدراكات، وهي أيضًا تتضاعف إلى غير النهاية.

﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ﴾ أي التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية الإفرادية ﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 21] إن التجلي الجمعي بالصورة النوعية الإنسانية أو المراد بالأولى هي شهود التجليات، وبالثانية هي العلوم والإدراكات المتعلقة بالتجليات المتضاعفة المراد بالأولى هي الجنات الإفرادية وبالثانية هي الجنات الجمعية، أي الواقعة في الأدوار النورية الإفرادية والأدوار النورية الجمعية والواقعة في الأدوار والواقعة في الأكوار.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء: 22] أي في الأدوار النورية وفي الأكوار، فإن مقتضيات الأدوار وإن كانت مغايرة للمرتضيات الواقعة في الأكوار وإن التجليات المشهودة في الأدوار غير التجليات المشاهدة في الأكوار لتغاير المرات، فإن المرات في الأولى هي ظاهر الأسماء والصفات، وفي الثانية هي باطن الأسماء والصفات، إلا أن الذات فيها واحدة غير الأسماء والصفات ظاهرة وباطنة رد على المجوسيات القدرية وهي المعتزلة فإنهم قالوا بالإلٰهين أليزدان والأهرمان، فإن أليزدان هو خالق الخير والأهرمان هو خالق الشر.

قد علمت أن للذات صفتين النور والجمال والظل والجلال، فمظهر النور والجمال هو الملائكة، ومظهر الظل والجلال هو الأهرمان، ففي فرداريّة النور والجمال والدورة العظمى تظهر أعيان الملائكة صريحة، وأكوان الظل والجلال تصير خفية ضمنية، فالخير والأمور الوجودية والتجليات الثبوتية إنما تظهر من الذات بذريعة النور والملأ العالية والسافلة صريحة، والسرور والأمور العدمية يظهر ويثبت ويصدر من الذات بوسيلة الأهرمان والشياطين والأغوال والجان

الضمنية الخفية بواسطة الظل والجلال، فالمؤثر في كل الأحوال إنما هو الذات.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ في الأدوار والأكوار كلها ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23] صورة ومعنى ظاهرًا وباطنًا في تمام الأطوار وعموم الأكوار والأدوار سواء كانت بصور الأوثان وهيئات الأصنام وتماثيل الأجرام وأباطيل الأجسام وأن لا تشاهدوا شرقًا وغربًا بُعدًا وقربًا لينًا وصلبًا إلا وجه الله وذاته في ذاته وصفاته ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة: 115] فأينما تولوا فثم وجه الله إن اللّه واسع عليم ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ أي اليقين النوري والجمالي والجلالي ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾ [الإسراء: 23] وهي ليست كمالات بالمكانِ الجمعي والجمع الكمالي وجمع الجمع والباقي ظاهر.

تفسير

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ يريد أن العرب كانوا يقتلون أولادهم البنات وبعضهم غيرة وبعضهم يقتل خشية الفقر ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ﴾ الإملاق الفقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 31] يريد إثمًا عظيمًا.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ ويريد عمل الشرك والشيطان ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 32] يريد سواء السبيل النار. وقد جاء عن النبي ﷺ: «**إن الزنا يورث ستة خصال ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة، فالأولى في الدنيا فإنه يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص من العمر، وأما التي في الآخرة فتوجب سخط اللّهِ وسوء الحسنات والخلود في النار**».

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ يريد القود ومن عاداكم من هذا الشرك وأهل الكتاب حتى يعطوا جزية ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾

يريد حجة لولي المقتول ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ يريد فلا يقتل عين قاتل أخيه وابنه وقرابته فقد تعدى حدود اللّهِ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: 33] وكان الله للمعتدى عليه ناصرًا.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: 34] يريد من شيء اشتراه أو مهر بتزويج أو شيء يلزمه ذلك كما قال في سورة البقرة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ في البيع والشراء والتزويج والعارية ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: 220] يريد في مال اليتيم الصلح فيه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ يريد الحلم ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 34] يريد أوفوا بعهدِ الله يريدكم وبخدمة إياكم والعهد بالعهد مثل قوله في سورة التوبة: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [75].

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ يريد الكيل في البيع ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ يريد الوافي ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ يريد وأقرب إلى الله ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: 35] يريد أعظم ثوابًا عند اللّهِ.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ يريد ولا تشهد ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36] يريد لا تشهد إلا بما رأته عيناك وسمعته أذناك ووعاه قلبك، وإلى مواقف أهل الشهادة إلى شهاداتهم يوم القيامة.

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ يريد الكبر والعظمة يومًا فلا تنازعوا الله سبحانه

وتعالى فيه ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ﴾ يريد إنك لن تخرق الأرض بكبرك ومشيك عليها ولن تبلغ الجبال ﴿طُولًا﴾ [الإسراء: 37] بعظمتك وإنما أنت مخلوق دليل أن لطف الله رفعك وإن غضبه وضعك.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ الأمر المذكور ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: 38] ومن قرأها سيئة يريد التاء التي نهى الله عنها المؤمنين وكرهها.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ يا محمد ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ يريد من الفرائض والسنن والأحكام والحلال والحرام ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء: 39] وهي عشرة كلمات في التوراة ومثله في الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: 151] وهي الآيات المحكمات وهي التي ذكرها الله في أول آل عمران منها: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: 7] يريد التي تشابهت على اليهود من حروف أول القرآن مثل: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: 1]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ [البقرة: 255] في سورة آل عمران والبراءة ﴿فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: 39] في جهنم، هذا أدب من اللّهِ لخلقه ومخاطبة للمؤمنين.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم﴾ يا معشر المشركين ﴿بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ يريد أجعلتم الملائكة بنات الله جل الله ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: 40].

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ أقول: مخافة فقر وقلة وفاقة فنهاهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك وضمن لهم أرزاقهم ورزق أولادهم ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ وذلك أن مثل الجاهلية كانوا يأذون بناتهم خشية الفقر والفاقة والنفقة والعار فأخبر الله أن رزقهم ورزق أولادهم إنما هو على اللّهِ ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 31] وذنبًا كثيرًا لما فيهِ من قطع التناسلِ ورفعِ النوع الإنساني،

الخطأ: هو الإثم يقال: خطأ خطأً كأثم إثمًا وهو ضدّ الثواب ودفعه ونقيضه، والخِطإ بالكسر والمدّ وخطأ بالفتح والمدّ وخطأ بالفتح والسكون وخطا بالفتح وحذف الهمزة وبكسر الخاء بلا همزة.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ الجزم نجوم وبمجرد القصد والإتيان بمقدماته فضلًا عن مباشرته ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ قبيحة زائدة على حد القبح ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 32] وبئس طريقًا، طريقه وهو الغضب على الإبضاع المقضي إلى قطع الأسباب الشرعية وتهيج الفتن الإلهية وهو الوباء والطاعون أو الأرضي وهو القتال وذلك بحسب الخاصة.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ بإحدى ثلاث الارتداد وزنا المحصن وقتل مؤمن معصوم عمدًا ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ بلا مستوجب للقتل ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾ أي الذي يلي أمره بعد وفاته وهو الواجب النسبي لا التبعي ﴿سُلْطَٰنًا﴾ وقوة وولاية وسلطنة وتسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه القتل أي القصاصِ على القاتل، فإن قوله مظلومًا يدل على أن القتل قهر عدوان، فإن الخطأ الإسمي ظلمًا ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ أي الولي القاتل بأن لا يقتل غير القاتل ولا اثنين بواحد ولا مؤمن بكافرٍ كما جرت عادة الجهال فقتل جماعة لقتل واحد اللهم إلا أن يباشروا أسباب قتله بأن طرحوا بأجمعهم واحدًا في مهلك ومقتل ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: 33] أي المقتول قد نصره الله بأن وجب له القصاص فلا يرد على ذلك أو بأنّ الله نصره بمعونة السلطان وبإظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يمنع ما وراء حقه أو بنصره في الآخرة بالثواب، ولهذا ثواب القاتل وحسناته الأولية، أو الذي يقتله الولي لغير حق ويسرف في قتله فإنه منصور بإيجاب القصاص على المسرف.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟﴾ ولا تتصرفوا ﴿مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي الأرباح والأثمار وحفظه وما يناسبه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ يعني ثماني عشر سنة ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ والميثاق الذي بينكم وبين الناسِ أو فيما بينكم وبين اللّهِ في المعهدِ الأول والمقعد المؤوّل ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 34] من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به.

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ والمكيلات ﴿إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ﴾ يريد الإيفاء في الكيل ﴿خَيْرٌ﴾ لكم في الدنيا ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: 35] ومرجعًا وعاقبة في الآخرة.

﴿وَلَا تَقْفُ﴾ أي لا تتبع ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36] لك به وبقوله وبعمله وبأخذ له سبيل، قفا يقفو أثره أي تابعه واقتدى به، يعني فلا يكن في اتباعك متبعًا بما لا علم لك من قول وفعل ليكون كمن يتتبع مسلكًا لا يدري إنه يوصلك إلى مقصدك، فتكون ضالًّا في نفسك هالكًا ومستهلكًا في وجودك وحسك، والغرض النهي من أن يقول الرجل ما لا يعلم وأن يعمل بما لا يعلم، ويدخل فيه النهي عن التقليد والتقلد بمجرد الظن والوهم، وهو لأنه اتباع بما لا يعلم صحته من فسادِهِ. قال النبي ﷺ: «**من قفا مؤمنًا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة حتى يأتي المخرج**».

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي كل واحد منهما ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36] والجار والمجرور فاعل مسؤولًا كـ(عليهم) في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7]، وإنه في القيامة يسأل عن كل واحد من أفراد الإنسان لم سمعت ذلك الكلام المحرم عليك سماعه؟ أو تسئل كل واحدٍ من السمع والبصر والفؤاد بأنك لم سمعت تلك الغيبة؟ ولم نظرت إلى ذلك الشيء الذي حرم الله عليك النظر إليهِ؟ ولم توجهت إليه وأدركته مع إن إدراكه قد حرّمه عليك؟ والغرض إخبار عن كمال إحاطة علم اللّهِ وعموم شمول قدرته تمام الممكنات بحيث ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 3]، وهذا السؤال إنما يكون في يوم تجلي لكل نفس عن نفسها وعن أجزائها لتصير شهيدًا على نفسها عن النبي ﷺ لمشكل بن حميد: «**قل أعوذ بك من شر سمعي وبصري وشرّ لساني وشر قلبي ومن نفسي**» الحديث.

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ بطرًا فرحًا ومفتخرًا وخيلاء شرحًا وسرحًا ومتعظمًا وطرحًا ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ﴾ أي تساويها ﴿طُولًا﴾ [الإسراء: 37] وكبرًا وعظمًا وطولًا.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ الأمر المذكور من قوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلى هذه الآية ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: 38].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمر المذكور في التوراة من الأمر والنهي ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ يا محمد وهي ثمانية عشر آية كانت في ألواح موسى أولها ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وكتبت له في الألواحِ من كل شيء موعظة، وهي عشر آيات في التوراة، لقد جعل الله عز وجل فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لأن التوحيد

رأس كل حكمة وملاكها، ومن فاته لم ينفعه حكمته ولا حكومته ولا علومه بل هي جهل وغواء ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ﴾ الخطاب مع النبي ﷺ إلا أن الغرض منه أمته ﴿مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: 39] مطرودًا مبعدًا مردودًا من كل خير.

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم﴾ [الإسراء: 40] خطاب إلى طائفة قالوا الملائكة بنات اللّهِ يعني أن اللّه اختاركم واصطفاكم ﴿بِالْبَنِينَ﴾ الذين هم أشرف من البنات ﴿وَاتَّخَذَ﴾ واتخذ واختار لنفسه ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: 40] افتراءً جسيمًا وتَقوُّلًا بإضافة الأولاد الخسيسة إليه تعالى.

إشارة وتأويل

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ أي لا تردوا نتائج أنظاركم ولا تسدوا موالية أفكاركم مخافة عدم مطاوعة القوة العاقلة لاستنباط مقدمات البراهين العقلية والقوانين الحالية والقرائن النقلية، رد على أرباب السلوك العامية الذين يمنعون الاشتغال باقتناصِ العلوم الرسمية والرسوم المدنية، ومخافة احتجاجهم عن شهود التجليات أيضًا حجاب على التحقق بالذات بتمام الأسماء والصفات، وعلى التحقيق بالكمال الجمعي والجمع الكمالي في السير في اللّهِ وباللّهِ ومع اللّهِ في جمعية الأدوار والأكوار وجمعية جمعيتهما ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: 31] أي نقبض تلك العلوم والإدراكات ونقيضها في المدارس على قلوبهم وعقولهم وغيوبهم كما نقيض الخلوات تلك الأحوال وأفياض المقامات وتفسير المنامات على سرائرهم وزوايا ضمائرهم، ويحتمل أن يكون الخطاب العلماء الرسميين للدين الذين أنكروا على أرباب الأحوال والمقامات وشهود التجليات سيّما أهل الاعتزال وبعض الشيعة الذين اقتصروا على الأئمة الاثني عشر وحصروا الولاية عليهم، فإنهم اقتنعوا بالعلوم الشرعية الظاهرة وأنكروا الحقيقة التي هي الركن الأعظم من الدين وما يتبعها من الأحوال والمقامات والولاية وأنوارها كما أشار إليه النبي ﷺ: «**الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي**»، فإنهم قتلوا الأحوال التي هي أولاد القلوب الصافية ونتائج القلوب الوافية وثمرات الفؤاد والسرائر الكافية، وأنكروا الولاية المقيدة والمطلقة، وترصدوا الإمام محمد الحسن العسكري وظهوره وحصروا الولاية المطلقة والمقيدة عليه.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: 151] إشارة إلى غاية الحق والعدالة في رياضة النفس ومخالفة الهوى التي هي حياة النفس، وإلى رد من بالغ في رياضة النفس ومجاهدتها وخرج عن حد الاقتصاد في الرياضة والجهاد، فإنّ للنفس حقوقًا على صاحب النفس من منعها فقد ظلم في حق النفس وإشاعتها، ولها نصيب من الدنيا ونعيمها، فمن جاوز فقد تعدى وجاز في حقها ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77] أي أحسن مع نفسك كما أحسن الله بك، قال آدم الأولياء علي المرتضى عليه السلام: لا تبالِغ في منع حقوق النفس لئلا يعمى الحي ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي القلب الذي إن مات ماتت، ألا وهي النفس العاملة المتصرفة في البدن، وإنه هو العقل الجزئي وماله هو العلم اللدني، الذي أورثه الله عند موت الأبوين، ومن قتله فأنا ديته، والطريق الأحسن وهو العدالة الظاهرة بين تساوي نسبة القلب إلى النفس والعقل وهو مولود في الفطرة الأولى على الإسلام، وإمام العقل والنفس يهودانه وينصرانه، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل على التساوي لنسبته الولد إليها بالطريق المحمدي الذي هو الوسط وهو شهود جمال الحق وتوحيده وتخليه الذي هو وسط بين التنزيه والتشبيه، والطريق الوسطاني المحمدي هو شهود التجلي الإلهي الذاتي والإيماني والأفعالي والآثاري، والصورة الجهرية والهيئة النوعية، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة. قال النبي ﷺ: «**إن الله أعطى موسى الكلام وأعطاني التجليات**»، وإن شهود التجليات مبني على العدالة والاعتدال والاقتصاد.

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ [الأنعام: 152] أي المعلوم والإدراكات المتعلقة بظاهر التجليات الأفعالية والآثارية، وزنوا بالقسطاس المستقيم أي العلوم الحقيقية المتعلقة بالتجليات الأسمائية والذاتية وأوفوا بالعهدِ عبارة عن العلوم بالتجلي الجمعي والكمال المعي الذي يظهر بالصورة النوعية والهيئة الجمعية.

تفسير

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝٤١﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ أي ولقد بينا في هذا القرآن كل شيء مما كان ومما هو كائن إلى يوم القيامة ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ يريد ليتعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: 41] يريد ينفرون من الحق ويتبعون الباطل.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ۝٤٢﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 42] يريد تلك الآلهة التي جعلوهم للّهِ شركاء، يريد منازعة وقتالًا كما يفعل ملوك الدنيا.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤٣﴾

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ يا محمد يريد تنزيه نفسه ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 43].

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ يريد بعظمته وتمجيده ويخشع له ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: 44] يريد حليمًا من عذاب أوليائه غفورًا لهم يريد يسبح الملائكة الذين ذكرهم، وإن من شيء إلا يسبح بحمده يريد أن تسبيحهم يا حليم يا غفور.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥﴾

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ يا محمد ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45] يريد لا يصدقون بالبعث والجنة والنار حجابًا مستورًا يريد قضاء من قضائه.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ يريد مثل كنانة النبل ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ يريد أن يفهموه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ﴾ يريد صممًا ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ يريد أنه واحد لا ندّ له ولا ضدّ وهم يجعلون له أندادًا أو شركاء ﴿وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: 46] يريد كارهين أن يوحدوا اللّهِ.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ يريد يتناجون بينهم بالتكذيب والاستهزاء ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يريد المستهزئين أتباعهم ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: 47] يريد مخلوقًا معه وهم.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 48] يريد سبيل الهدى.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ يريد إذا ذهب اللحوم والعروق والدم وبقيت عظامًا قد رثت وبليت ورميت يريد الذي إذا مسته وجعلته بين أصابعك سحق ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: 49] جلّ الله تبارك وتعالى وتقدّس.

أقول: قد كررنا هذا المعنى المذكور وقررناه من العبر والحكم والأمثال والأحكام والحجج والأعلام في مواضع عديدة ومرابع عقيدة، ويجوز أن يختص بإبطال إضافة البنات إليه على تقدير ولقد صرفنا القول.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ وأوقعنا التصريف فيه والتبيين والتعريف ليذكّروا سائر الناس أو ليتذكروا بأنفسهم.

وقرئ: ليذكر من التذكر، الذكر: بمعنى ﴿لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: 41] أي تصريفيًا أو تكريريًا أو يذكرنا إلا ليعبدوا أو التنفر والاستبعاد والفرار عن الحق وقبوله.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ﴾ معبودات ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾ أنتم يا معشر المشركين ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ﴾ لتطلبوا يعني الإلهية وإذا هِي جواب وجزاء دالة على أن ما بعدها وهو لابتغوا، وجواب عن مقالة المشركين وجزاءً لِـ(لو) إذا كان قولكم وهو أن مع اللّهِ آلهة لطلبوا ﴿إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ أو إلى من له الملك والربوبية ﴿سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 42] طريقًا بالمقالية كما يفعلوا الملوك الذاتية إلى الملوك العالية ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22] ولعلى بعضهم على بعض أو لتقربوا إليه الوسيلة والواسطة كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: 57].

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 43] أي متعاليًا متعظمًا متباعدًا غاية البعد فإن الواجب لذاته والباقي في بداية، والغني بداية لا نسبة له إلى الممكن فكيف بالنعت الأخس وهو التولد والتوالد بالأنثى وبالمباشرة بها وهو من خصائص الأجسام الخسيسة التي امتنع بقاؤها وارتفع غناؤها.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ أي تقدسه عن الحالات الحسية والمناسبات الجسمية ومن نعوتها وهي التغيرات الحسية والتحركات الجسمية المختلفة بالبطئ والسرعة والرجوع والاستقامة والوقوف والهبوط والصعود وغير ذلك من الحركات إلى المركز وبين المركز وعلى المركز، وهذه كلها من خصائص السماوات السبع والأرض وهي العناصر، ولذا خصها بالذكر دون الثاني وهو الكرسي والتاسع وهو العرش وهما يبعدان من هذه التغيرات والحركات ولذا خص السماوات السبع والأرض بالذكر لنا بينهما بالربوبية المقدسة عن سمات التغير والحدوث، ولذا جهل حالهما واختلف العقلاء فيهما ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي بالصفات الكاملة الجامعة للتنزيه والتشبيه جمعًا خفيًا ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44] لكونه ضمنيًا خفيًا لا يعلم إلا بالنظر الصحيح وبالفكر الفصيح وفي إيراد ضمير ذوي العقول تنبيه على أن لكل شيء علمًا كاملًا فأيضًا من الواجب الغني العالم بذاته على كل الممكنات من غير فرق بين الصغير والكبير والقليل والكثير ويجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاستناده إلى ما يتصور منه اللفظ والدلالة.

واعلم أن الله تعالى خلق الأشياء مجملًا ومفصلًا وجعل لكل شيءٍ لسانًا لائقًا مناسبًا كليًّا وجزئيًّا، أما الكلي فهو إما جزئي من أشهر الأنواع المشترك في الطبيعة الجنسية، أو نوعي وصنفي وكلاهما لاشتراك الأشخاص في الحقيقة النوعية والصنفية والكل ثابت، أما الجنسي والنوعي والصنفي فهو في عالم البرزخ بين الملكوت والملك، فإن للأجناس والأنواع والأصناف بل لجميع الأشخاص فتمام أحوالها وأعمالها وأقوالها وأفعالها ثبوتًا وكونًا في هذا العالم، وتثبت هذه الأحوال للأشخاص أولًا في هذا العالم في ضمير الأجناسِ والأنواع والأصناف على الوجه الكلي، بمعنى أنه لا يظهر من الأشخاص آثار وأعمال جزئية، لأن شرط ظهورها هو الوجود والكون الحسيّ الشهادي، ويقال لها رب النوع كما أشار أفلاطون: أن لكل شخص نوعًا مجردًا باقيًا أزلًا وأبدًا وهي المثل النورية الأفلاطونية، وقد يطلق الخارج على هذا الوجود الحسي.

وقد يطلق الخارج على نفس الأمر الثابت سواء اعتبره العقل أولًا، وقد تعبر عن هذا بالعلم الإلهي واللوح المحفوظ وعالم الجبروت وعالم العقل، ويطلق الوجود والذات البحت، وما تقرر في عالم الميزان والمنطق أن بيوت الأحكام والأحوال للأجناس والأنواع والإضعاف إنما هو في الأشخاص والوجود الخارجي باعتبار ظهور الآثار، لا بمعنى أن الأجناس والأنواع ليس لها تحقق في نفس الأمر أصلًا، بل بمعنى أنّ ظهور الآثار الجنسية كالصورة الجسمية والنوعية المعدنية والنباتية من النشوء والنماء وتوليد المثل والحس والحركة الإرادية والإدراكات الكليّة بالفعل الشخصية، فلكل شخص بل لكل شيء أربع ألسنة جنسية ونوعية وصنفية وشخصية، كما تقرر أيضًا أن لكل شيء أربع وجودات كتابية ولفظية وذهنية ووجود نفس الأمر فباعتبار كل وجود ولسان له تسبيح وحمد، وباعتبار جمعية الكل له لسان خامس جامع للكل، نوع آخر ناسوتي فباللسان الأول بحمد اللّهِ وتقدسه عن المشاركة الذاتية والجنسية وبالثاني عن المشاركات الوصفية والإسمية، وبالثالث عن المشاركات الفعلية، وبالرابع عن المشاركة العينية والهوية الغيبية، وبالخامس تقدسه عن المشاركات الجمعية وبحمده بجميع المحامد الإفرادية في الجمعية ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم عن المحامد والتسبيحات المذكورة ﴿غَفُورًا﴾ [الإسراء: 44] ساترًا عليكم في أداء المحامد والتسبيحات.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وأظهرت قراءته ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ ونعيمها من الجنة وحالاتها والنار وجحيمها وإدراكاتها سواء آمنوا بالحق والحقائق وظاهر الشرائع أو لا ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45] حاجبًا ذا أسر عن سماعه كسلى منعم ذي إنعام قيل: حجابًا لا يرى فهو مستور ويجوز أن يراد أنه حجاب وراء حجاب مستور بها إشارة إلى أنه يكون بينه وبينهم أسباب وحجب كثيرة وكناية على كمال ثورتهم وبعدهم عن فهم الحق وسماعه نزلت في أبي لهب وامرأته وسهيل وعمر بن الأسد فإنهم قالوا قلوبنا غلف.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ ستر وساترًا كراهة ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أي منعناهم عن فهم وإدراك معانيه ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ وأسماعهم ﴿وَقْرًا﴾ ثقلًا صدًّا أو كلًّا عن الأسماع ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ أي حال كونك توحده في الذكر وتفرده في النداء والفكر والحمد والشكر والدعاء، يقال وحدَ يحدُ وحدًا وحدة كوعدَ يعِد وعدًا وعدة، وهو مصدر ساد مسد الحال، أي يحد وحدة بمعنى واحدًا وحدةً يعني إذا ذكرت الله إما باسم الذات أو بالصفات الذاتية والأفعالية نحو: الله الحي العليم القادر الخالق المحيي المميت الرازق وغير ذلك ﴿وَلَّوْا﴾ أعرضوا وانصرفوا عنك ﴿عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ﴾ رجع القهقري ﴿نُفُورًا﴾ [الإسراء: 46] جمع نافر نحو كافر وكفور وساتر وستور، أي نافرين عن ذكر التوحيد واسم اللّهِ وحده لأنهم يريحون أن يذكر آلهتهم أيضًا، دخل على النبي علي بن أبي طالب ولديه الملأ وأشراف قريش فقال قولوا: لا إلٰه إلا الله تملكون العرب ويدين لكم بهذا العجم فتفرقوا.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ﴾ يعني وليد بن المغيرة وأصحابه يوم دار الندوة حيث اجتمعوا لأمر رسول الله ﷺ ﴿بِهِۦٓ﴾ [الإسراء: 47] متعلق بيستمعون يعني نحن أعلم بما قالوا في حق محمد في دار الندوة وتسامعوا واستمعوا من الهزء والاستخفاف بمحمد وبالقرآن بأنه شاعر أو كاهن أو ساحر أو مجنون ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ ظرف الأعلم أي أعلم وقت استماعهم بما يستمعون ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ أي نحن أعلمهم بعرضهم وإعراضهم من الاستماع في وقت هم يستمعون إليك يضمرون له، وحين هم ذوو نجوى يتناجون في أمرك بأن قال بعضهم بأنك مجنون أو ساحر نجوى مصدر، ويحتمل أن يكون جمع نجى على وزن على ﴿إِذْ

﴿يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ المشركون الذين مر ذكرهم بدل من إذْ هم ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: 47] سُحر فجنّ وقيل: هو من السحر وهو الريبة أي هو بشر مثلكم أو مصروفًا عن الحق يقال ما سحرك عن كذا، أي ما صرفك.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ أي جعلوا لك الأشياء والأمثال والأنظار بأن مثلوك بالشاعر والمجنون والساحر ﴿فَضَلُّوا۟﴾ جاوزوا سواء السبيل ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أن يسلكوا ﴿سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 48] يوصل إلى الحق.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا﴾ أي صرفنا أجزاء متفرقة عظامًا صغارًا وعظامًا متفتتة صغارًا بعد الموت ﴿وَرُفَٰتًا﴾ وترابًا وأجزاء متلاشية وأبعاضًا منشية فبعد التفرق وطريان النشية والتفرق ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ وتحشرون ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: 49] مخلوقًا مجددًا ومخلوقًا مرددًا.

إشارة وتأويل

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الإسراء: 41] أي بينا في القرآن الجمالي والنور التفصيلي والإجمالي ليذكروا الأكوان الجلالية ضمنًا معًا للأعيان النورية الجمالية والحال أنهم نفروا واستبعدوا كلّ نفرة وغاية استبعادًا ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ﴾ أي هو مع الذات الحاكم في الفرداريّة الوجودية التي هي مقتضى الوجود والذات على أعيانها صريحًا وعلى الأكوان الظلية ضمنًا ﴿ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ مجوس هذه الأمة وهم القدرية الذين أسندوا الخير والنفع إلى اللّهِ والشر والضر إلى النفس والشيطان. قال النبي ﷺ: «**القدرية مجوس هذه الأمة**».

﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ [الإسراء: 42] الجمعي والكمال النوعي ﴿سَبِيلًا﴾ عند انتقال الدورة النورية الوجودية إلى الظل والغمور والعدم الذي هو مرتضى الإطلاق والبحت ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء: 43] الظالمون المتقيدون في النوبة الوجودية متابعة أعيانها المتقلدون بمبايعة أكوانها صريحًا وضمنًا تسبح السماوات أي الأدوار الأربعة الاستقلالية وهي العلمية والحيثية والقدرية والإرادية والأدوار الثلاثة التبعية المشتركة بينهما وهي السمعية والبصرية والكلامية.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي الأكوار الظلية العدمية ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾ من الأكوار التي كانت في ضمن الأعيان وهي أيضًا سبع، ولذا صرح في

السماوات بذكر السبع وضمن في الأرض ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي تنزيهه وتقدسه بلسان الوجه الإلهي القائم بالحق وبحمده بخصوصية لسان الوجه الذي يلي الخلق، وبحمده بلسان الجمعية خصوصية وجوده الإضافي وكونه الجمعي إلا أنه ليس له علم بواحد منها، والغرض من نشأته حصول هذا العلم والعلم بهذا العلم إلى ما لا يتناهى، والإدراكات المتضاعفة من غير أن يتناهى كمال الحمد، إنما يكون بشهود المحمود والمحمودية والمحمود عليه، كما قيل الحمد هو البيان الجميل بالجميل على الجميل على قصد التعظيم والتبجيل ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لانتفاء البحث الجمعي والوصف الإحاطي ألمعية ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ على مقتضى النور والجمال ﴿غَفُورًا﴾ [الإسراء: 44] على مرتضى الظل والجلال.

واعلم أن التسبيح والتنزيه يقتضيه الارتضاء الضمني ويرتضيه الارتضاء الضمني التبعي الإفرادي، فإن كان ضمنًا نوريًّا يسمى بالتقديس سواء كان ذاتيًّا أو وصفيًّا أو فعليًّا أو عينيًّا، فالتنزيه الظلي الضمني يسمى بالتسبيح هذا على ما تقتضيه الأدوار والأكوار الإفرادية، وهي التقديسات والتنزيهات البسيطة وأما التقديس والتنزيه الجمعي وهو التنزيه والتشبيه والتبعيد مع التمجيد فهو مقتضى جمعية الأدوار والأكوار وجمعية جمعيتهما بأن تستوى نسبتهما، وصار الضمن صريحًا كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 44] وذلك عند ظهور الحضرة الختمية النبوية وكما أن لدى استواء أحكام النبوة والولاية واستعلاء أحكامِها في زمان المظهر الموعود فصار كل حمد تسبيحًا وتقديسًا وفي مقابلة كل تشبيه تنزيهًا واستوى التشبيه والتنزيه والتحميد والتقديس وذلك عند استواء مقتضى الأدوار والأكوار لدى جمعيتهما.

تفسير

﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: 50] لأنه ليس أبعد من الحجارة والحديد.

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يريد الموت ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ يريد الذي يحول رأسه كذبًا بهذا القول يريد الإبعاض بالكذب ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ﴾ يا محمد ﴿أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: 51] والعسى من الذنوب واجب ثم قال تبارك وتعالى.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يريد يبغيكم ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ يريد عند النفخة الثانية ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 52] يريد بين النفختين الأولى والثانية، ويكف عنكم العذاب فينادون مثل قوله في سورة يس: ﴿يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: 52] لأنهم يعذبون من حيث يموتون إلى النفخة الأولى وهذا خاص لمن قاتل نبيًّا، أو قيل: هي مثل قوله في ألم السجدة [21]: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ يريد بالعذاب الأدنى الجوع الذي كان بمكة والعذاب الأكبر القتل الذي كان في بدر مثل قوله في القرآن: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ [الفرقان: 77] يريد عذاب الدنيا متصل بعذاب الآخرة، ومثل قوله في حم الدخان: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدّخان: 16].

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَقُل﴾ يا محمد ﴿لِّعِبَادِي﴾ يريد لأوليائي ﴿يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهي التي لا إلـٰه إلا الله ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: 53] يريد المشركين والمنافقين والكافرين خاصةً يريد ينزع عنهم يريد يوسوس بعضهم بعضًا في تكذيب الشيء وجحود بعظمة اللّهِ يريد يا معشر الموحدين والمصدقين.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ يريد حيث جعل لكم اليقين في قلوبكم ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾

يريد يعصمكم ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ يخذلكم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 54] يريد على المشركين ولكنك شاهدٌ للمؤمنين.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء: 55] يريد أنهم خلقه كما قال في التغابن: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [الآية: 2]، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يريد كذلك فضلت أولاد آدم يعني النبيين، يريد بعضهم على بعض منهم من عصمت ومنهم من خذلت ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: 55] يريد فضلتُ داوود حيث أعطيته الزبور وحسن الصوت على من لم أجعل ذلك فيه من النبيين.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿قُلْ﴾ بالمنع معشر المشركين ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الإسراء: 56] كل زعم في كتاب فهو كذب مثل قوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: 48]، ومثل قوله: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ [التّغابُن: 7]، ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: 56] يريد الانتقام ولا تحويلًا من السقم والفقر والصحة والغنى، ثم ذكر أولياءه فقال تبارك وتعالى:

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يريد الرقة والرحمة ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ يريد يتضرعون إلى ربهم في طلب الجنة. والوسيلة: الدرجة العليا ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ يريد يتقربوا إلى اللهِ بالصالحِ ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ يريد يخافوا أن يعذبهم الله على اللفظ في الكلام واليسر في الثقال والغضب والبيع ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: 57] يريد فظيعًا.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾ يريد مثل مكة ممن قد كذب ويكذب الأنبياء ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ يريد يهلك أهلها ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الإسراء: 58] مثل ما فعل أهل مكة عذبهم بالجوع حتى أكلوا [العهن] ومثل قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدّخان: 10]، ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يريد أيضًا الجوع والقتل ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: 58] يريد مكتوبًا في اللوح المحفوظ وجماعة أهل اليمن لأنهم يقولون يسطر يريد بذلك كلمة الكتاب.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ يريد فرعون والآيات التي كانت مع موسى العصا واليد والتسع الآيات كلها إلا أن كذبها الأولون يريد الفرعون وهو الوليد بن الرّيان العملقي ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ يريد كانت لهم عيانًا ورحمة يشربون لبنًا مربًّا ممرعًا والممرع الكبير من غير موته في تلف يكلف بشيء ولا مرزية ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ يريد كانوا صلحاء فعقروا الناقة ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: 59] يريد ليتعظوا ويخافوا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ يريد أهل مكة يريد عن قريب إما موتًا وإما مفعولًا ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ الرؤية التي أريناك يريد ما أراهُ الله تبارك وتعالى ليلة المعراج من الكرامات والآيات في السماوات من الملائكة وخلقهم والحجب والعرش فتنة يريد فتنة لأهل مكة والناس هم أهل مكة يريد جعل الله المعراج فتنة لهم حتى كذبوه وقالوا محمد

يزعم أنه مضى إلى بيت المقدس وطلع إلى السماءِ في ليلة وكان تكذيبهم له فتنة لهم ﴿وَٱلشَّجَرَةَ﴾ [الإسراء: 60] يريد الشجرة الزقوم: وهي شجرة نابتة في النار فقالوا: كيف تنبت في النار شجرة والنار تأكل الشجرة؟

وذكر الأستاذ أبو الحسن بن حبيب رحمه الله في كتابه كتاب التفسير أن النبي ﷺ ليلة المعراج أراه الله عجائب السماوات وخزّانها وأراه الجنة والنار فرأى في النار شجرةً الزقوم فذلك قوله تعالى عز وجل: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصَّافات: 64] فلما أخبر أهل مكة بما رأى كان تكذيبهم له فتنة لهم قال و﴿ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: 60] أي في أي موضع لعنت فإنها لعنت في قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصَّافات: 65] والشياطين ملعونين ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ يريد يعظهم ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 60] يريد وعظناهم وخوفنا بهذه الآيات وما زادهم إلا تكذيبًا.

تفسير

﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ أقول: في الشدة والقوة والصلابة وليس هذا أمرًا إلزاميًّا بل هو أمر إعجازي وتعجزي لما قالوا (أإذا كنا عظامًا ورفاتًا) إلى آخرها إنكارًا للتعجب فأمر اللّهُ النبي ﷺ بأن يقول لهم: ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: 50] في القوة والشدة أو حديدًا في الصلابة وعدم قبول التائهين بالسهولة فسوف يميتكم ويهلككم ثم يجمع أجزاءكم وينجيكم، فأين ينجون ويغزون من كمال قهرمان قدرته فلا تفاوت في كمال قدرته وشمول حكمته أن يكونوا عظامًا رميمًا وبين أن يكونوا حجارة وحديدًا.

﴿أَوْ خَلْقًا﴾ جديدًا أو خلقًا آخر حال كونه ﴿مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ ويتعظم في قلوبكم وعقولكم من إحياء الموتى وخلق السماوات والأرض فإن إحياء الموتى وإيجاد السماوات والأرض مع وجود المادة في الأول دون الثاني ﴿فَسَيَقُولُونَ من يُعِيدُنَا﴾ ويبعثنا في المحشر العظمى حال كوننا عظامًا رميمًا ﴿قُلِ﴾ الخالق والفاطر ﴿ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ﴾ وخلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ من غير أصل ومادة والإحياء والبعث مع وجود الأصل والمادة أهون من الخلق والإيجاد من اللاشيء ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ ويحرّكون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ تعجبًا واستهزاءً وإنكارًا لأصل الإحياء

والبعث ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ على سبيل التسليم، فهذا الاستهزاء أشنع يعني سلمنا البعث وقللنا الاستهزاء فمتى يقع البعث ﴿قُلْ عَسَىٰٓ﴾ ويرتجي ﴿أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: 51] أي يقع البعث والإعادة في زمان قريب.

مطلب: نفخ الصور

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ ويبعثكم من قبوركم إلى موقف القيامة والمحشر العظمى ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ وتنقادون وتتبعون ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ حال كونكم حامدين لله شاكرين لأنعمه، اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم، ومنقادين لأمره ومطاوعين لحكمه نافضين التراب من دونهم قائلين: سبحانك اللهم وبحمدك ولا إلٰه غيرك ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا أو القبور ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 52] زمانًا قليلًا إذ مدة الدنيا في جنب الآخرة حقيرة وذلك أن إسرافيل قائم على الحجرة لبيت المقدس يدعو أهل القبور وفي قرن فيقول: أيتها العظام البالية وأيتها اللحوم المتمزقة المنقطعة وأيتها الشعور المتفرقة اخرجوا إلى فضاء القضاء وفراغ الخلاء عن أطوار الدنيا وأدوار الآخرة وأكوار العقبى، واجتمعوا على أمثال الأجساد التي كانت في طور الدنيا، وعلى مثل الأجسام البرزخية التي كانت وراءكم، ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون، لينفخ فيكم أرواحكم وتجازوا بأعمالكم، فيخرجون إلى فضاء طور الآخرة وبهذه الأجسام على طبق صور الأشباح النورية الثابتة في البرزخ المعادي المطابقة لما في البرزخ البدائي.

وبالجملة إن الأجسام المعادة ليست بعينها هي الأجسام الدنياوية، أي تكونُ الدنيا طرفًا لوجودها وهي محفوفة بها مظروفة لها، وهي أي هذه الأجسام إنما تعاد إذا اعتدت الدنيا مع ما فيها من الأعيان المخصوصة من السماوات وما فيها من الكواكب والعناصر وما يتركب منها والزمان وما كان فيه من الحركات، فكميتها وكيفياتها من السرعة والبطء أو الوقوف والرجوع والاستقامة، وغير ذلك من الخصوصيات والنسب والإضافات مما يتخصص ويتعين بها الأجسام.

وأنت خبير بأن السماوات قد انفطرت والنجوم قد انكدرت والكواكب قد انتثرت والشمس قد كورت، فإذن العادة هي أجسام تماثل الأجسام الدنياوية وكذا أجزائها من الأعضاء والجوارح واللحوم والعظام المعادة إنما هي متماثلة

لأجزاء الأجسام الدنياوية وإن أجزاءها الأولية التي قد جمعت وصارت أعضاء ولحومًا وعظامًا وأجزاءً قد كانت ثابتة في البرزخ المعادي بل البرزخ المبدئي أزلًا وأبدًا، وما كانت دنياوية وإن تعينت في الدنيا واجتمعت فيها. فالفاني والمستهلك والمتلاشي إنما هو خصوصية اجتماعها وانتظامها لأنفسها، فعلى هنا قد اندفعت النقوض والمنوع التي أوردها الملحدون الجاحدون البعث وحشر الأجساد وسهل عليك قبول خفية القيامة والبعث بعناية اللّهِ وحسن التوفيق وبيده أزمة الهداية وعنان التحقيق.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ وأوليائي المؤمنين حق الإيمان وهم الذين ماتوا بالموت الإرادي وشاهدوا البعث ووقوعه بعين اليقين ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: الآيات 5-7] إلخ ﴿يَقُولُواْ﴾ مع المشركين والكفار المعاندين والملحدين الجامعين فضلًا مع المؤمنين المذنبين والمقلدين العاصين الكلمة الطيبة ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: 53] ولا تكتف في النصح والموعظة بالأحسن أن يقول: إن لله رحمةً واسعة ليتجرأ المذنبون والعاصون على الذنب والمعصية ولو يقول ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الإسراء: 54]، ولا تقولوا لهم كلمة حسنة بأن مأواكم النار وأنتم جهنميون وأنتم معذبون عذابًا مخلدًا، وأنتم واجب القتل وما أشبه ذلك من المغلظات والمخشنات بل اسلك مسلك الحكمة والاقتصاد كما أشار إليه بقوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النّحل: 125] والناصح والواعظ والداعي إلى الحق لا بدّ وأن يكون عارفًا بالمصالح والحكم. نزلت في عمر رضي الله عنه حيث شتمه رجل من كفار مكة فهمّ أن يضربه فأمره الله بالصفح: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ [الزّخرُف: 89] وذلك ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ أي يفشل ويوقع الفتنة ويهيجها ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: 53] وتكرار العلة إشارة إلى كمال عداوة الشيطان لأشخاص الإنسان وأفرادها.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ ويوفقكم للخير والصّلاح فيرتجى الإيمان ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ يبقيكم على الكفر ويميتكم عليه فيعذبكم به ولهذه الآية مقام وللمرضيات مقام وللمغلظات مقام، والناصح لا بدَّ أن يعرف المقامات ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 54] حفيظًا وعاصمًا وكفيلًا أو بأمر موكولًا إليك

أمرهم فيقرهم ويلجئهم على الإسلام ويجبر على قبول الأحكام وإنما أرسلناك مبشرًا ونذيرًا فمر أصحابك بالمداراة مع الخلق والاحتلام وترك المخالفة والمكافآت وذلك قبل نزول آية السيف والقتال فتكون منسوخةً بها.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾ من جملة الكلمات التي هي أحسن وأمر الله عباده المؤمنين أن يتكلموا أنها مع الخلقِ في النصح والمعاملات ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: 55] كما فضلنا أهل السماوات بعضهم على بعض فجعلهم مختلفين في صورهم وأخلاقهم وأحوالهم ومللهم ونحلهم وأعمالهم فاتخذ آدم صفيًّا ولإدريس مكانًا عليًّا ونوح نجيًّا وإبراهيم خليلًا وموسى كليمًا وعيسى روحًا ومحمدًا حبيبًا.

﴿قُلِ﴾ يا محمد للذين أشركوا ﴿ٱدْعُواْ﴾ واطلبوا ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ من الأصنام والأوثان إنها آلهة نزلت حين أصاب المشركين قحط شديد حتى أكلوا الكلاب مع تحرزهم عنها أشد التحرّز والجيف الكريهة فأتوا النبي ﷺ فقال الله تبارك: قل للمشركين يا محمد اطلبوا الذين زعمتم أنهم آلهتهم من دون اللّهِ ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ﴾ ولا يقتدرون دفع الجوع ﴿عَنكُمْ﴾ ورفع القحط، ويدعو لهم منفعة ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: 56] ولا تغيير الحال وتبديلها من العسر إلى اليسر ومن الضيق إلى السعة إلى غير ذلك من الأحوال المتقابلة والأطوار المتبادلة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ﴾ ويستدعون ويتحرون ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ فالقربة والذريعة إلى التقرب باللّهِ ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ يكون أقرب إلى اللّهِ ومن اللّهِ وذلك باعتداد الطاعات وازدياد الخيرات وامتداد النوافل والتطوعات وقضاء الفرائض والنذور والميراث ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ ويخرجون نعمته ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ ويعافون عقابه فيكونون بين الخوف والرجاء ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: 57] أي حقيقًا وحريًّا بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلًا من غيرهم ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًاۚ﴾ [الإسراء: 58] أي العذاب ماضيًا في شدائد العقاب إشعارًا بالأمكنة والبقاع لها شعور بالمنافر والملائم وبالسعادة والشقاوة، وإن لها تأثرًا وتأثيرًا كما مر في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: 21]، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۚ﴾ [الإسراء: 44].

حكي أن رجلًا من الصحابة قد اشترى أرضًا فمضت عليه أيام وشهور وأعوام إذا زرعت لم يحصل له منها شيء من الزراعة، فأتى إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه واشتكى منها فقال إلى طرف منها وناد بأن: يا أرض إن لم تعطني زرعًا جعلتك مقابر العصاة فأتت في القابلة بغلات كثيرة وحبات كبيرة زائدةً على ما كانت عليه ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإهلاك والتعذيب ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: 58].

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ﴾ وننزل ﴿بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ إن الأولى منصوبة بالمنع والثانية في محل تأويلِ المصدر المرفوع فاعله، أي ما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيبًا، ولأن الآيات التي اقترحتها قريش وهو قلب الصفا ذهبًا والمنى فضة وإحياء الموتى وغير ذلك من الآيات المقترحة ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ مضيئة واضحة بينة ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ وجحدوا أنها من اللّهِ ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ﴾ وما نظهرها ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: 59] للناس وإنذارًا لهم بأنهم إن لم يؤمنوا بها حق عليهم العذاب بالإهلاك والاستيصال في الدنيا والخلود في النار في العقبى.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء: 60] وشملهم شمول القبضة واليد على ما أحاط بالناسِ وغيرهم من المخلوقات كلها على وجه لا يشذّ منها شيء ولا يخرج عنها شيء ما أصلًا ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ﴾ أي ما يرى في المنام والسِنة من المنامات والبشرى ﴿أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ والتي أراها ليلة المعراج من العجائب الباهرة والغرائب المجاهرة من الآيات والمعجزات، ومن قال إنه رأى في اليقظة فسر الرؤيا يما يرى بعين القلب، قال عليه السلام: «**إن للقلب عينين وأذنين إذا أراد الله بعبد خيرًا فتحهما**».

ولا ريب أن هذه الرؤيا سبب لاختلاف الناسِ في شأن الرسول، فمنهم من أنكرها وكان ذلك سببًا لهلاكهم في الغزوات وغيرها ﴿وَٱلشَّجَرَةَ﴾ لما سمعوا الشجرة أخذوها هزءًا وسخريةً، وقالوا: أنّ محمدًا زعم أن الجحيم يحرق الحجر ويأكلها ثم يقول نبت فيها الشجرة، ومن قال هذا فإنه ما عرف الله وما قدره حق قدره، وما علموا أنّ اللّه قد جعل الشجرة من نوع لا تأكله النار، كما جعل من نوع الحيوانات صنفًا يقال له سمندر في بلاد الترك ليستكن في النار ويتخد منها المناديل ويتخذ

منها ظروف فإذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ ويطهر المنديل والظروف وتنقى وتبقى سالمًا لا يؤثر فيها النار، وأقرب من ذلك وأغرب منه أنه خلق في خلق شجرة نار لا يحرقها وأما الزقوم والشجرة ﴿ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ ففقهتهما بوجهين: أحدهما ما مر من الاعتراض، والثاني أن عبد الله بن الزهري قال أن محمدًا يخوفنا بالزقوم، ونحن لا نعرف من الزقوم إلّا الزند والتمر فأمرتهما فأتيا فقال: بل قوم تزقموا فإن هذا ما يخوفكم به محمد كما قال إن شجرة الزقوم طعام الأثيم، وأما كونها ملعونة فلكونها في قعر الجحيم الذي هو أبعد من رحمةِ اللّهِ أو لكون اللعنة نفت أكلها من قبيل المرسل. قيل: هي نبت يلتوي على شجرة يقال لها المعشقة أعني الكشوث ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ وينذرهم ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التخويف والإنذار ﴿إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 60] تمردًا كثيرًا وعتوًّا كريرًا.

تأويل إشارة

﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا﴾ [الإسراء: 50، 51] إشارة إلى تطور مواد البدن وتنوع العنصر الغالب في البدن وتحسب ما يقتضيه الأدوار الأربعة ويتفرع عليها تنوع حال القلب كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ﴾ [البَقَرَة: 74] الآية إلخ.

فإن لكل عنصرٍ من العناصرِ الأربعة أربع مراتب، وإن كل دورة تقتضي أن يكون عنصر أبدان أعيان ذلك الدورة على مقتضى طبقه رب ذلك الدورة فإن عنصر أبدان أعيان الدورة العظمى إنما يكون على مقتضى طبيعة ربها وهو العليم، وأنت خبير بأن مراتب العلم أربع: التعقل المحض والإحسان الصرف وما بينهما هو التوهم والتخيل، والتوهم يناسب العلم، والتعقل الصرف وهو مقتضى العقل الصريح وهو إدراك المجردات والمعاني الكلية، والتوهم وهو إدراك المعاني الجزئية والإحساس وهو إدراك الصور المادية والهيئات الشخصية وهي الجزئيات والتخيل، وهو إدراك الصور الجزئية وانتفاشها في القوة المتخيلة بعد غيبوبتها عن البصر، فالدورة العظمى وعنصر أعيان هذه الدورة وهو النار تنقسم على أربعة أقسام.

وعلى هذا القياسِ سائر الأدوار والعناصِر كل منها ينقسم على أربعة أنواعٍ:

فالدورة الصغرى باعتبار اختلاف مقتضى ربها وهو الإرادة التابعة للعلم وأقسامه، وكذا عنصر أبدان أعيانها وهو التراب ينقسم على أربعة أقسام وعلى هذا القياسِ الماء والهواء، فكل من العناصر الأربعة على أربعة مراتب، أما التراب فمزيتها الأولى هي الباردة، والثانية هي الباردة الرطبة، والثالثة هي الحارة اليابسة، والرابعة هي الحارة الرطبة وكذا الدورة الصغرى ولكن سندها ينقسم على أقسام أربعة، وكل مرتبة من مراتب التراب مادة وأبدان أعيان قسم من أقسام الدورة الصغرى، فلكل بدن من أبدان أعيان هذه الدورة قلب تناسبه، وإذ امتزجت هذه العناصِرُ بمراتبها الأربع وهي ستة عشر حاصلة من ضرب الأربعة في الأربعة جذب منها مزاج وجداني يناسبه قلب وروح، يعني أن الحقيقة الأحدية الجنسية النوعية الشخصية إذا تنزلت من مجيد الأحدية بحسب اقتضاء الأدوار الإلٰهية والربانية والكونية متطورة حيث اقتضاء خصوصية الأدوار النورية والأكوار الظلية، فيخرج منها الشؤونات الذاتية منها الأعيان الثابتة والحروفات العالية ثم العقول والنفوس والأفلاك والعناصِر، ثم منها الأمزجة ثم منها الأرواحِ النباتية ثم منها الأرواح الحيوانية ثم من الكل القلب الإنسانية ثم ينفصل فيه المعاني الكلية والجزئية الإلٰهية والكونية.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ يا حقيقة الأحدية المحمدية السارية في المراتب الإلٰهية والكونية والربانية والكنانية ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ الحقيقة الأحدية السارية في الأدوار والأكوار في الأطوار الإلٰهية والكتابية الظاهرة في المرتبة الناسوتية بالصورة النوعية الإنسانية ﴿أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ أي بالأعيان الناسوتية ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ إلى التجلي الذاتي الظاهِر بكلية الصورة النوعية الإنسانية التي هي على الصفة الإلٰهية والصورة الجمعية الكلية الرافعة للكل إلى الأحدية والهوية الغيبية الأولية ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي استهلاكًا كليًّا عن جميع التعينات الإلٰهية والكنانية في قعر بحر اللاهوت والفناء الذاتي ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ [الإسراء: 60] وهي الرؤية المتميزة عن الإخلاص بتلك الرؤية وثمرة هذه الشجرة هي الجهل المركب الذي هو أردأ أمراض النفوس الشقية وعذابها أشد العذاب كما ذكر في سورة الدخان: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدّخان: 43 ـ 49].

تفسير

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ يريد ملائكة سماء الدنيا التي خلق آدم فيها، وقال بعض أهل العلم ملائكة الجنة التي خلق آدم فيها ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أبى يريد أنه من الجن وكان من رأسهم ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: 61] يريد لمن خلقته من طين وإنما خلقتني من نار السموم.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾ إبليس يريد مخاطبة الله تبارك وتعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ يريد فضّلت علي، يريد إنما ينبغي لمن خلق من الطين أن يسجد لمن خلق من النار، لأن النار تأكل الطين وكان أول من قاسَ. قال ابن عباس رضي الله عنه: وكانت الطاعة أولى به وهو أول من قاس برأيه وقال: من قاس الدين برأيه قربه الله من النار مع إبليس وقال إياكم والقياس ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الإسراء: 62] يريد النفخة الثانية لا يبقى فيها إلا الله سبحانه وتعالى فأبى ذلك عليه، وقال في سورة الحجر: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: 37، 38] وهي النفخة الأولى التي إذا نفخت لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل مصطفى إلا مات إلا من استثنى الله به مثل قوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمر: 68] يريد البعث بين النفخة إلى النفخة أربعة سنة ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 62] يريد بالقليل أولياء الله الذين عصمهم الله مثل قوله:

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ حجة في الشرك ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 65] لأوليائه بعضهم عن القبول عن إبليس.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى﴾ يسير ﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ في طلب التجارة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ﴾ بالمؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾ [الإسراء: 66].

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ خوف الغرق ﴿فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ﴾ إلى ﴿مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ من الإلٰه التي تدعون أنها الآلهة ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ من الغرق وأخرجكم ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾ عن الإيمان والتوحيد ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر ﴿كَفُورًا﴾ [الإسراء: 67] لنعم الله جاحدًا يقدر أنه يهلكهم في البر فقط.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾

فقال: ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ يريد حيث أعرضتم حين سلمتم من هول البحر ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ﴾ الأرض يضعكم ويدسكم في ﴿جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ وهو الأرض ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي يرميهم بحجارة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 68] ممانعًا ولا ناصرًا.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ﴾ في البحر ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ ريحًا أشد من الأول يقصف الفلك ويكبرها ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ [الإسراء: 69] بارًّا ولا ناصرًا والمعنى لا تجدوا من تبيع بإنكار ما نزل بكم.

والقادر لذاته والعالم لذاته وامثال ذلك الثالث ما يدل على الذات مع اعتبار يمكن فيه المشاركة لكنه بالاطلاق ينصرف اليه كقولنا والرب والخالق والبارى والرازق والمحيى والمميت الرابع ما يدل على الذات مع اعتبار يمكن فيه المشاركة ولا ينصرف اطلاقه اليه كقولنا والموجود والسميع والبصير والحى والاقسام الثلاثة الاول يقع بها اليمين واما الرابع فلا لانه لاشتراكه لم يكن له حرمة فلم يقع به القسم **قوله** ولا ينعقد لو قال اقسم او احلف حتى يقول بالله لابد من تعيين اليمين بفعل القسم او بحرفه اما ظاهرا او مقدرا فالاول كقوله اقسم او احلف بالله والثانى كقولك والله والثالث كقولك الله بالكسر مع النية **قوله** ولو قال لعمر الله كان يمينا ولا كذا لو قال وحق الله هنا مسئلتان الاولى لو قال لعمر الله كان يمينا لورود القسم بالعمر فى الكتاب قال الله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون ولورود ذلك فى رواية ابن عمير عن الصادق عليه السلام والعمر واحد وهو العمر بالمفتوح اشار الاخف لكثرة دوران الحلف على الستهم ولذلك حذفوا الخبر ان اقسم كما حذف الفعل فى بالله وتالله والمراد بالعمر هنا الدوام والبقاء اى بدوام الله وهو مرفوع بالابتداء الثانية لو قال وحق الله بل ينعقد يمينا ام لا قال الشيخ فى ف لا ينعقد واختاره ابن ادريس والمص ومه لان حقوق الله مفروضة وعباداته لما رواه عبادة بن الصامت قال قلت يا رسول الله ما حق الله على العباد قال صلى الله عليه وسلم ان لا يشركوا به شيئا ويعبدوه ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة فيكون قد حلف بحق لا به وقال فى ط ينعقد لانه فى العرف كذلك ولان حقه صفة عامة فاذا اضيف الى الله تعالى اختص به لان الاضافة تفيد الاختصاص فكانت يمينا كساير صفات ذاته من العزة والقدرة والعظمة والحق ما اختاره مه فى لف وهو انه ان قصد الحالف الحلف بالله كانت يمينا لان الحق يراد به الثابت لانه نقيض الباطل فكانه قد حلف بثبوت الله اى وجوده الذى هو نفس ذاته وان لم يقصد ذلك لم يكن يمينا لما تقدم **قوله** ولا بالحرم الخ قال ابن الجنيد لا باس بالحلف بحقوق عظمها الله تعالى نحو وحق رسول الله وحق القرآن فان اراد بذلك ما يوجب الكفارة بمخالفته فهو باطل لما تقدم وان اراد غير ذلك فالظاهر جوازه لكن على كراهة شديدة **قوله** والاستثناء بالمشية الخ الاستثناء بالمشية هو ان يتبع يمينه بقوله

انشاء

انشاء الله وذلك توقف اليمين عن انعقادها اجماعا لكن اذا اتصل الاستثناء باليمين اتصالا عرفيا كما تقدم فى الاستثناء بالا واخواتها فى الاقرار وهنا فوايد الاولى المشهور اشتراط النطق بالاستثناء فلو نواه ولم ينطق به انعقد قاله الشيخ فى ط وتبعه ابن ادريس لاصالة العقد وعدم تاثير النية وقال الشيخ فى يه يكفى النية اذا احلف سرا وقال العلامه فى لف يكفى النية مطلقا وقواه الشهيد وليس بالبعيد نعم يشترط النية عند التلفظ باليمين الثانية المشهور انه لا فرق بين متعلقات اليمين كلها فى ذلك وقال العلامه ان كان المحلوف عليه مما يعلم مشية الله تعالى اياه كالواجب والندب فلا يدخله الاستثناء وانما يدخل فيما لم يعلم مشية الله تعالى اياه كالمباح الثالثة هل يدخل الاستثناء فى الطلاق والعتق والنذر والاقرار ام لا للشيخ فيه قولان احدهما لا يدخل ويلغوا الاستثناء لاصالة العقد وثانيهما نعم ويبطل ما دخله كاليمين وقال ابن ادريس لا يدخل الا فى اليمين وهو الحق خصوصا فى الاقرار اما مع قصد التبرك فلا كلام فى عدم البطلان **قوله** وفيه رواية بالجواز الى اربعين يوما الخ يريد انه لا يجوز تاخير الاستثناء عن اليمين اختيارا لما تقدم ولما روى انه صلى الله عليه وسلم قال من حلف على شئ وراى غيره خيرا منه فليات الذى هو خير وزاد الجمهور وليكفر عن يمينه فلو جاز تاخير الاستثناء لارشدنا اليه لتنحل اليمين به لان ذلك من النصيحة واما الرواية المشار اليها فرواية ابن بابويه صحيحا عن عبد الله بن ميمون عن الصادق عليه السلام قال للعبد ان يستثنى ما بينه وبين اربعين يوما اذا نسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه ناس من اليهود فسالوه عن اشياء فقال لهم غدا احدثكم ولم يستثن فاحتبس جبرئيل عليه السلام عنه اربعين يوما ثم اتاه وقال ولا تقولن لشئ انى فاعل غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت قال المص انها متروكه وفى يع مهجوره اى انها لم ينقل بمضمونها احد من الفقهاء فى الاسلام مع ضعف طريقها واما العلامه فى لف فقال انها غير متروكه مطلقا بل محموله على اضمار الاستثناء ونسيان التلفظ به لما تقدم من جواز الاستثناء بالنية وح لا وجه للتقييد بالاربعين هل يجوز اكثر من ذلك واقل لكن التخصيص بما حصل للسبب المذكور والنسيان فى الاية الترك المرادف للسهو لعدم جوازه عليه **قوله**

ويصح اليمين من الكافر وفي ف لا يصح الاول قول الشيخ في ط والقاضي والثاني
قوله في ف لان اليمين انما يصح بالله ممن هو عارف به والكافر عارف به
فلا يصح يمينه والحق ما فصله العلامة في لف فان كفره ان كان بجحد الربوبية
او بالتشبيه لغيره فلا ينعقد يمينه لعدم عرفانه به وان كان بجحد نبي او فريضة
معلومة من دينه صحت يمينه وتظهر الفايدة انه مع الانعقاد والحنث يعاقب في
الاخرة ولا يصح تكفيره واما قبل الاسلام فان الاسلام شرط في صحته ولم يحصل و
اما بعده فسقوطه عنه لان الاسلام يجب ما قبله **قوله** ولا ينعقد يمين الولد مع
الوالد الا باذنه ولو بادر كان للوالد حلها في هذه العبارة تسامح فان الحل
انما يكون بعد العقد والمص حكم بانها لا ينعقد فكيف يقول لو بادر كان للوالد حلها
واعلم ان اذن الوالد هل هو شرط في صحة اليمين بمعنى انها بدونه يقع باطلة او شرط
في انعقادها ولزومها بمعنى انها يقع صحيحة لكن لا يلزم مضمونها الا مع اجازة الوالد في
عبارات الفقهاء ما دل على كل من القسمين ووجه الاول قوله صلى الله عليه وسلم
لا يمين لولد مع والده والمراد نفي الصحة لا الماهية والوجود ووجه الثاني عموم
قوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقوله تعالى واحفظوا ايمانكم وغير ذلك
من الروايات وتظهر فايدة الخلاف في المسئلتين الاولى لو حلف الولد ولم
يسبق اذن ثم حصل حنثا بعد فعلى الاول فلا بد من اعادة اليمين ليلزم مقتضاها
لعدم صحة الاولى وعلى الثاني لا حاجة الى الاعادة وصارت لازمة بالاذن اللاحق
الثانية لو حلف الولد ثم مات الوالد ولما يعلم او علم ولم يحصل منه اجازة هل يلزم الولد
متعلقها ام لا على الاول لا وعلى الثاني نعم لان الاذن انما يكون شرطا مع وجود الاب
لا مع عدمه بدليل صحتها ولزومها حين عدمه ابتداء واعلم ان الكلام في يمين الزوجة
والعبد كذلك **قوله** ولا يمين الا مع العلم اما في انشائه في مقابلة الدعوى فلقوله صلى الله
عليه وسلم من حلف فليصدق ولا صدق الا مع علم المطابقة واما المنعقد فلا بد
من العلم بما حلف عليه ليلزم مقتضاه ولو فعله حسب ما حلف **قوله** ولا يجب بالغموس كفارة
لما تقدم بيان ذلك ويريد هنا انه انما لم يلزم الكفارة لعظم الذنب فلا يرتفع بالكفارة
وقوله صلى الله عليه وسلم الايمان ثلثة يمين ليس فيها كفارة ويمين فيها كفارة ويمين

غموس

غموس يعقب النار والتفصيل قاطع للشركة **قوله** وينعقد لو حلف على فعل واجب
او مندوب الخ تحقيق متعلق اليمين انها يقتضي اما ترجيح ما ليس براجح ولا راجح
دينا او دنيا والمنع من النقيض والامتناع عن النقيض فالاول يتناول المباح و
الثاني المندوب والثالث الواجب ويدخل ترك الحرام في الواجب وترك
المكروه في المندوب لان متعلق اليمين اما ان يكون راجحا من نقيضه شرعا
قبل اليمين اولا والثاني في المباح والاول اما ان يكون ذلك الترجيح الحاصل قبل
اليمين مانعا من النقيض اولا فان كان الاول لم يفد اليمين ترجيحه والا
لزم تحصيل الحاصل وكذا لا يقتضي منعه من النقيض والا لزم ايضا تحصيل الحاصل بل
يقتضي الزام المكلف الامتناع عن النقيض والكفارة مع المخالفة وان كان
الثاني اقتضت اليمين المنع من النقيض والامتناع منه **قوله** ولو حلف على
مباح وكان الاولى يشير الى القسم الذي ليس براجح قبل اليمين ولا خرج فانه مع تعلق
اليمين باحد طرفيه اما ان يبقى على طرفه الاباحة اولا فالاول لا كلام في لزوم الحمل
باليمين والثاني اما ان يترجح متعلق اليمين او نقيضه فالاول ايضا لا كلام في
لزوم اليمين والباقي لا يلزم مقتضى اليمين لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف
على شيء فراى غيره خيرا منه فليات الذي هو خير منه **قوله** ولو حلف لزوجته الى قوله
لا يتزوج معه هنا فوايد الاولى تقدم في باب النكاح ان الاصح ان النكاح مندوب اليه
وقد يخرج الى الوجوب عند خوف العنت فعلى هذا يكون اليمين على تركه او ترك
واجب وكلاهما لا يصح اليمين فيه اما على قول من يقول بجواز كون النكاح مباحا غير
مطلقا وقد يصح لتعلق اليمين بتركه ويجي فيه التفصيل المذكور انفا وظهر بما قررناه
ضعف قول الشيخ في ف اذا حلف ان لا يتسرى فمتى يتسرى حنث الثانية لما قررنا من
استحباب النكاح مطلقا نعم متوجه ذلك على قول من يجوز الاباحة الثالثة الزوج
يشمل الدايم والمنقطع حرة كان او امة نعم لا يدخل تحته التحليل اذ الاصح انه ملك
يمين ويدخل على قول المرتضى انه عقد متعة الرابعة اختلفت عبارات الفقهاء
في التسري ما هو فقيل الوطي والتحذير معا انزل اولم ينزل وقيل الوطي حذر
اولم يحذر انزل اولم ينزل وقيل الوطي مع الانزال حذرا اولم يحذر ذكر هذه الاقوال

على صورة الرحمٰن، فعلى هذا المأمورون بالسجود وجميع الملائكة فيكون أفضل من تمام الملائكة ولا يلزم التحكم والترجيح من غير مرجح.

والغرض من السجود الإعلام بالكمال الجمعي والجمع الكمالي الذي هو المقصد الأقصى والمطلب الأعلى من الأدوار والأكوار والتردد في الأطوار ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ في كل الأدوار والأكوار ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ أبى أتى في معرض المعارضة والمعترض المتناقضة بالقوة النظرية والمقدسة القياسية بأن مرتبته أعلى منه، والقياس النظري، والأساس الفكري، هو أن العالي لا يسجد للسافل بل الأمر بالعكس، وما تفطن بأن السافل لكونه أجمع من العالي أرفع منه كما ﴿قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾ [الإسراء: 61] فالمخلوق من النار وإن كان أرفع من المخلوق من الطين من حيث المرتبة إلا أنه أنزل منه من حيث الرتبة والمنزلة، لأنه لكونه على صورة المستخلف خليفته، والشيطان منه جزء كما أشار إليه النبي عليه السلام: «**ما منكم إلا وله قرين من الجن**».

﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ﴾ من حيث المنزلة والرتبة والقرب منك والله وبعظمتك وبحق تبعيدك إياي ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ الذين تمسكوا بالقوة النظرية والفكرة القياسية التي تقيس الغائب على الشاهد وتحكم على الغائب بما هو للشاهد ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: 62] ممن سلك مسلك الملائكة الذي عملوا بالقوة العملية حيث امتثلوا بالقوة العملية وسجدوا لآدم ولم يتصدوا بالمعارضة.

﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا﴾ [الإسراء: 71].

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢﴾

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾ يعني في الدنيا ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: 72] يريد حبط عمله وصار سبيله إلى العذاب وسخط الرحمن.

تفسير

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣﴾

﴿وَإِن كَادُواْ﴾ يا محمد يريد وفد ثقيف ﴿لَيَفۡتِنُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ

﴿إِلَيْكَ لِنَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ [الإسراء: 73] وذلك أن رسول الله ﷺ كان حاضرًا ثقيفًا بعد الفتح وهو إذن في ذِي القعدة نصفًا وعشرين يومًا، ثم انصرف عنهم وقال: نهيت عن قتال ثقيف. وقد كانوا قتَلوا أربعة وعشرين رجلًا قتلوا عبد الله بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن أمية وزاد الركب وهو ابن عمّة النبي ﷺ وأمه عاتكة ابنة عبد المطلب وهو أخو أم سلمة زوجة النبي ﷺ وعبد الله بن عامر بن ربيعة وعبد الله بن الحرث وقيس بن عدي بن عطية وسعيد بن العاص بن أمية. فلما انصرف رسول الله ﷺ أتاه وفد ثقيف بنو عمر بن عبد الليل، وقد كانوا وفدوا إليه من كل بطن رجلًا لشدة شوكتهم وجرأتهم على اللّهِ وكان فيهم عمان بن أبي العاصِ فأتوا إلى النبي فسرّ رسول الله ﷺ بمجيئهم فدعا اللّه لهم بالإسلام فسألوا النبي شططًا ومسائل كثيرة فيها أن يتبعوا بالآت عنه لا لحين لشأوهم ولا يحشروا للقتالِ ويعسروا وأن يحرم واديهم كما حرمت مكة وشجرها وطيرها وعضاها ووحشها فأجازهم رسول الله ﷺ إلى كل ما سألوا إلّا الصلاة والألف فأقبلوا يرددون على رسول الله ﷺ ويقولون: سنة واحدة حتى يعرف العرب فضلنا عليهم. فلما كانت في الثالثة أمسك رسول الله ﷺ الجواب وداخلهم الطّمع فصاح عليهم عمر بن الخطاب: أما ترون رسول الله ﷺ قد أمسك عن جوابكم كراهة لما تخون به فرجعوا وآمنوا فكتب رسول الله ﷺ كتابًا فأنزل اللّهُ:

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤﴾

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 74] يريد حيث سكت عن جوابكم والله أعلم نيته.

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝٧٥﴾

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ يريد عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ورسول الله ﷺ معصوم ولكن هذه مخاطبة لأمتِهِ لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من عصمة الله ولا في أحكامِهِ ولا في شرائعه ولا في سنته ولا في حدوده ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: 75] يريد رجلًا ناصرًا لك غيري.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ وذلك أن قريظة والنضير وبني قينقاع اجتمعوا إلى النبي عليه السلام حيث هاجر فقالوا له: يا أبا القسم إنما بعثونا بالشام وهي بلاد مقدسة وأنت قد عرفت أن مهاجر إبراهيم إليها وبها إسحاق ويعقوب والأسباط وعمران أبا مريم وزكريا وموسى وهارون وعيسى ويحيى وجميع الأنبياء إلا قليلًا فلو إنك خرجت إلى الشام لصناك وآمنا بك واتبعناك فوقع ذلك في قلب النبي ﷺ لما يحب من إسلام الناسِ فرجع رسول اللّهِ من المدينة على مرحلة فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يريد أرض المدينة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 76] يريد يهلكهم اللّه.

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ﴾ يريد هذه سنتي فمن كذّب على الأنبياء أنبيائي ويقول على الباطل ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: 77] ولا لقضائي ولا لموعدي ولا يحول لأوليائي عن رضائي إلى سخطي.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ يريد لزوال الشمس الظهر والعصر ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ يريد المغرب والعشاء يريد غسق الليل ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ﴾ يريد حالة الصبح ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78] يريد كان يشهده ملائكة اللّيل وملائكة النّهارِ وبهذا فإن ذلك كفارة لما صنعت.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ القرآن وتهجد للصلاة يريد فضل به ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ يريد فريضة عليك قال بعض أهل العلم فضله أن ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79] يريد من اللّهِ واجب يريد أعطاك يوم القيامة مقامًا محمودًا يحمدك

فيه الأولون والآخرون شرف على جميع الخلائق تسأل تعطي وتشفع ليس أحد إلا تحت لوائك.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ۝٨٠﴾

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي﴾ يريد مكة بالعز والشرف والقدرة والقوة والسلطان والحجة على جميع من خالفني وأخرجني من مكة إلى المدينة ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ يريد لا إلفًا إلا مؤمنًا أو مختارًا ولا إلفًا كافرًا ولا مشركًا ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ﴾ يريد من عندك ﴿سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: 80] يريد حجة ظاهرةً ينصرني بها على جميع من خالفني.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾

﴿وَقُلْ﴾ يا محمد يريد إذا دخلت مكة فقف على الأصنام التي تعبد من دون اللّهِ وقل ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ يريد كما زهق ألسنتهم من العرض ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ﴾ يريد كلما ورد من الشيطان ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81] يريد خارجًا عن الحق وفعل رسول الله ﷺ حين دخل مكة ذلك فخرت الأصنام كلها وأمر فحرقت.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢﴾

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ خاصةً يريد شفاء من كل داء ورحمة وثوابًا من اللّهِ لا انقطاع ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82] يريد المشركين إلا عناءً في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ۝٨٣﴾

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ﴾ يريد الوليد بن المغيرة وما أعني به ﴿أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ رجع إلى نفسه أهل مكة في أول المستهزئين والمقتسمين وأتباعهم يريد الوليد بن المغيرة ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ [الإسراء: 83] يريد إذا أصابه مرض أو فقر يئس من رحمة اللّهِ.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: 84] يريد ناحيته كما قال في سورة ص: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ يريد من نحوه ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ [ص: 58] يريد أصنافًا ﴿فَرَبُّكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 84] يريد دينًا.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: 85] وهو ملك عظيم الخلق وذلك أن قريشًا اجتمعت وقال بعضهم لبعض ما كان محمد بكذاب ولقد فشا بالصدق والأمانة وهو نبي اسألوه، فإن شئتم أرسلوا منكم جماعة إلى يهود يثرب حتى يسألوه عنه، فخرج منهم طائفة حتى أتوا يهود يثرب وكانوا يومئذٍ مستبشرين بالنبي يكثرون ذكره ويدعون نبوته ويرجون نصره موقنين أنه يهاجر إليهم ويكونون له أنصارًا فسألوه، فقال لهم اليهود: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم عن اثنين وأمسك عن الثالثة فهو نبي، سلوه عن فتية فقدوا، وعن ذي القرنين واسألوه عن الروح. فقدم النفر من قريش إلى مكة ثم اجتمعوا فسألوا النبي فقال لهم رسول الله ﷺ: غدًا أخبركم، ولم يستثن فأبطأ عنه الوحي أربعون يومًا ما أراد الله ثم نزل الوحي عليه بعد أربعين يومًا ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: 23، 24] ففسر لهم عن الفتية الذي فقدوا في سورة الكهف وفسر لهم صفة ذي القرنين وأنتهى عن بيان صفة الروح، وذلك أنه في التوراة قصته ولا تفسيره إلا ما قال في سورة الفجر: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22].

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: 94] عزلًا حفاة عراة بل زعمتم في الدنيا ألن نجعل لكم موعدًا يريد هذا الوعد مثل قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن 9]، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ﴾ يريد خائفين مما فيه ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾ غير هذه ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾ يعني من أعمالنا ﴿وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ يريد من الشركِ والصفة قوله الرجل ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49] مثل قوله سبحانه في سورة هود: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [101] وكما قال في سورة الزخرف: ﴿وَمَا

ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّالِمِينَ﴾ [76]، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: 34] يريد ملائكة السماء الدنيا ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: 34] من الجن يريد من قوم يقال لهم الجن مثل قوله في سورة سبأ: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [سبأ: 158] يريد المعذبون يريد الذين قالوا إن الملائكة بنات الله سبحانه، ففسق عن أمر ربه يريد فقضى ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو كما أخرج أبويكم من الجنة بئس للظالمين بدلًا يريد حيث استبدلوا بالرحمن وبعزته وجبروته ورحمته وعلوه وسلطانه عبادة الشيطان.

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ يريد لم أكن أخلقهم كما خلقت السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم يريد لم أخلقهم كما خلقت إبليس ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: 51] يريد لم يعضدوا لي وليًّا ولم ينصروا لي عبدًا نبيًّا ولم يقوموا لأحد أوليائي بالحق ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ﴾ يريد يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم في الدنيا ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: 52] يريد حجابًا وحاجزًا ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ يريد أيقنوا أنهم واردوها ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: 53] يريد أحاط بهم من كل جانب فلم يقدروا على الهرب ولا الرجوع عنها.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ يريد لقد فسرنا في هذا الكتاب ﴿لِلنَّاسِ﴾ ليس في القرآن غيرها ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ يريد ما ضرب من الأمثال ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: 54] يريد النضر بن الحرث وجادله في القرآن ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ يريد أهل مكة أن يصدقوا ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ يريد النبي ﷺ إنه جاء بالرشاد والبيان من الله سبحانه ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ﴾ يريد الشرك الذين هم عليه ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يريد لكل نبي بعثه الله قبل محمد إذ كذبهم قومهم بعث الله العذاب إلا من استثنى في قوم يونس ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: 55] يريد من قبل المؤمنين لهم مثلًا مثل قتلهم أهل بدر قتلت أهل قريش بعضها بعضًا، قتل المؤمنون الكافرين كما قال في سورة المجادلة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ يريد بعث الناس ويمدح قريشًا ﴿يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ [المجادلة: 22] يريد أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن عامر وهو

ابن الجراح قتله يوم أحد وقتل عمر بن الخطاب خاله والخال أب قتله يوم بدر وهو العاص بن هشام وقتل مصعب بن عمر بن هشام بن عبد الدار أخاه عزير بن عمر يوم ودعا أبو بكر ابنه البراء وهو عبد الرحمن بن أبي بكر ابنه فمنعه رسول الله ﷺ من أن يخرج إليه أو أبنائهم أو أموالهم أو عشيرتهم يريد عليًّا وحمزة وعبيد بن الحرث والطفيل بن الحرث ومسطح قتل عتبة بن ربيعة بن شيبة ثم ذكر اسم الروح فأنزل اللّه سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ يريد من خلق ربي ثم غاب اليهود فقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85] يا معشر اليهود يريد قريظة والنضير وبني قينقاع.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ [الإسراء: 86] يريد ليس حافظ يحفظك سواي.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ﴾ يريد أن رحمتي سبقت لك يا محمد قبل أن أخلقك وبعد ما خلقتك ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 87] يريد عظيمًا حيث جعلتك سيد ولد آدم وختمت بك النبيين وأعطيتك المقام المحمود ولواء الحمد بيدك والنبيون تحت لوائك وجعلت أمتك خير الأمم.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ يريد جميع من خلقته منهم ﴿عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ يريد من خير منه مضى ومما يكون قبل أن يكون ومن خير الجنة والنار وما لا يعلمه غيرك يريد نفسه الواحد القهار ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88] يريد معينًا مثل ما يقارن الشعراء على بيت الشعر ويقرضونه.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٨٩﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: 89] يريد جحودًا.

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠﴾

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ يريد لن نصدّقك يا محمد ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: 90] يريد أنهارًا في جبال مكة وأوديتها.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟﴾ أقول: منصوب بالمقدر أو اذكر ﴿كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ بمن يقتدى ويقدم من نبي وولي وحاكم ربّاني وحكيم إلٰهي وحاكم عالم عاملٍ عادل وأمير عارف فاضلٍ أو عالم معلم بالنسبة إلى المتعلم المقلد قيل بكتاب أعمالهم ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ﴾ كتاب أعماله وصحيفة أفعاله ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ أي من الجهة اليمنى التي هي أقوى الجهات يدل على السعادة وقبول العبادة والطاعة وسهولة القراءة ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الأعيان السعداء والأشخاص الصعداء ﴿يَقْرَءُونَ﴾ ويتلون ﴿كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ أي ينقصون ﴿فَتِيلًا﴾ [الإسراء: 71] أي قدر فتيل من أعمالهم ومقادير أمورهم مجمع الإشارة نظرًا إلى المعنى وإفراد الضمير إلى اللفظ.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الإسراء: 72] يعني من كان في الدنيا أعمى القلب وأعشى العين يكون أعمى في الآخرة فاقد البصر والبصيرة قال النبي ﷺ: «**كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون** ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]» يعني أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، خبيرًا بأحوال ذاته، بصيرًا بتجليات ربّه وبأنوار أسمائه وصفاته، سميعًا بكلماته وكلامه الأولى وخبره الأولي بكلماتٍ تعلقت وتضاعفت تلك الكمالات وتعاطفت تلك الكلمات ثم حول الله تعالى تلك الأرواح والنفوس إلى عالم الملك والشهادة والتدبير للأجسام منقلبة عن ذلك العالم الروحاني وحالاته الأزلية ومطلعة تلك الكلمات القدوسية ومشاهدة للتجليات فاقتضت الحكمة الإلٰهية والمشيئة الذاتية والمحبة الغيبية أن يبعث المنهيات وبه يحث المذكرات فأرسل الله الأنبياء وأنزل الكتب المنشرة والصحف

المبشرة، واقتدى أثرهم الأولياء والحكماء والعلماء، فمن اقتدى بهم وقبل دعوتهم وتنبّه وتذكر عن تلك الحالات وشاهدها ثانيًا في الدنيا وصار شهيدًا لها بصيرًا بها ذا بصرٍ وبصيرة وصاحب شهود وسريرة واستصحبها إلى الآخرة غير زائلة عنه، يصير في الآخرة أيضًا ذا شهود ومشاهدة، وأما من لم يشاهدها في الدنيا إلا إن أمر بها واعتقد بحصولها استعد لأن يشاهدها عند الانتقال إلى دار العقبى، وأما من لم يعلمها من اللّهِ وبما جاؤوا إيمانًا تقليديًّا فهل تحصل تلك الحالات للنفوس والأرواح أم لا وهل يرتفع الجسم الحجب الجسمانية والنقب النفسانية من الأرواحِ والنفوسِ أم لا؟ ذهب إلى واحد منهما طائفة، والحق أن الكمالات الذاتية للنفوس ثابتة فيها لا يزول عنها بالأمور العارضة فإنّ ما بالثبوت لا يزول بما بالفرص.

وأما من لم يؤمن بالله ولم يعلم الصانع والخالق كالكفار والمشركين فالحق أنّ الإيمان الفطري والإسلام الأزلي كافٍ كما أشار إليه الكتاب الكريم والخطاب العميم ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمر: 53] إلا أن هذا إنما يكون بعد النشأة الإلٰهية والشؤونات الكونية والترددات الكثيرة في الدركات البشرية والوقوف والمكث في النار الإلٰهية في الجحيم الروحانية والجهنم النفسانية، وهي نار التحسر وبوار الندامة والتأسف التي توقد على الأفئدة وتودد على الأرواح الغير المؤتية ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهُمَزة: الآيتان 6، 7]، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 72] إشارة إلى هذه الفرقة.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ يعني هو أن يصدوك ويمنعوك ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ كان النبي عليه السلام ليستلم الحجر الأسود فمنعته قريش وقالوا: لا ندعك حتى تلمّ بآلهتنا وتسميها، فحدث نفسه على أن فعل ذلك والله ليعلم إني لها لكارهٌ بعد أن يدعوني أن أستلم الحجر الأسود قيل طلبوا منه أن يمس آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه فأنزل الله ﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا﴾ ويختلف لدينا ﴿غَيْرَهُۥ﴾ قيل نزلت في ثقيف حيث قالوا لا ندخل في أمرك حتى تطيعنا في ثلاث خصالٍ: لا تسجد في الصلاة، ولا تكسر أصنامنا، وأن تمنعنا باللات سنة من غير أن نعبدها. وقال النبي ﷺ: «**لا خير في دينٍ لا ركوع فيه ولا سجود**»، وأما أن

تكسروا أصنامكم بأيديكم فذلك لكم، وأما الطاغية يعني اللات فإني غير ممتعكم بها قالوا: يا رسول اللّهِ إن نجران تسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا قال: خشيت أن تقول العربُ أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك فسكت رسول اللّهِ ﷺ فطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ [الإسراء: 73] أي والوك وصافوك وصافحوك وصاحبوك صديقًا.

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ وأقمناك على الحق بعصمتنا ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ﴾ وتميلُ وتهوى ﴿إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 74] أي قاربتَ أن تفعل مرادهم وأطعت أهواءهم لكن أدركتك عنايتنا وأتتك عصمتنا فمنعك أن تتقرب من الركون إليهم فضلًا عن أن يرتكبوه، وهو صريح في أنه عليه الصلاة والسلام ما همّ بإجابتهم من قوة الدواعي إليها ودليل على إنما هي بتوفيق اللّهِ ومشيئته ومقتضى إرادته.

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ أي ولو دنت بل قويت وما تليت ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ أي عذاب الدنيا والآخرة مضاعفُ قيل الضعف هو من أسماء العذاب قيل المراد بالأول هو عذاب الآخرة وبالثاني عذاب القبر ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: 75] يدفع عنك العذاب في الدارين إشارة إلى أن الأولياء منه حيث أنهم بشر ممكن يستوون لسائر الخلق والأفراد العشرية في جميع الخصائص البشرية واللوازم المعنوية والصورية وإن النبوة والولاية والعلم والحكم والدراية إنما هو من اللّهِ تعالى يخصص بها من يشاء ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: 110]، ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ ليزعجوك ويحركونك بمعاداتهم ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي أرض مكة أو المدينة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ اختلفوا في هذه أهي مكية أم مدنية لما قدم النبي المدينة كره اليهود مقامه في المدينة جدًّا فأتوه وقالوا: يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه الأرض بأرض الأنبياء وإن أرض الشام المقدسة هي معدن النبوة وكان إبراهيم قد هاجر من هذه الأرض إلى تلك الأرض وبأولاده إسحاق ويعقوب فإن كنت نبيًّا فعليك بالشام وذكرت بقية الكلام ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾

قرئ خلفك أي بعدك ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 76].

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ نصب على المصدرية أي ليسُنّ الله ذلك سنة وهي أن تهلك كل أمة أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم، فالسنة لله وإضافتنا إلى الرسول للتعظيم لأنهم أعظم الخلائق وأكرمهم والسنة هي الذات والعادة ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: 77] نقلًا وتبديلًا.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ وغروبها أو زوالها أصل الدلوك هو الميل والشمس إذا زالت وغربت والثاني أولى لأنه جامع لصلاة الظهر والعصر، والآية دالة على مواقيت الصلاة كلها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ يتناولُ المغرب والعشاء ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ هو صلاة الصبح تسمية للشيء باسم السبب لأنها لا يجوز إلا بالقرآن ونصبه بالعطف على الصلاة ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78] يشهده ملائكة المقربين بالليل والنهار فضل صلاة الجماعة على صلاة أحدكم بخمس وعشرين جزءًا ويجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ أي قم بعد نومك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [المُزمّل: 1 - 3] فالتهجد لا يكون إلا بعد النوم على أغلب الأحوال، يقال تهجد فلان إذا قام بعد أن نام، والمراد من الآية قيام في الليل للصلاة، وكانت صلاة التهجد فريضة على النبي وهي من الخصائص التي كانت فريضة على النبي ﷺ ﴿نَافِلَةً﴾ فريضةً زائدةً على الصلاة الخمس خاصةً ﴿لَّكَ﴾ أو فضل لك لاختصاص وجوبه ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ رضي الله به عن العبد والعبد عن الرب ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البَيّنَة: 8] أو مقامًا يحمده القائم فيه ومدحه العالم به والمشهود أنه مقام الشفاعة كما روي أنه عليه الصلاة والسلام هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي.

عن أنس قال النبي عليه السلام: «**يحبسُ المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم عليه السلام ثم نوحًا ثم إبراهيم الخليل ثم موسى ثم عيسى فيكلمهم فيقول: ائتوا محمدًا فإنه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال محمد عليه السلام: ائتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن بي عليه، فإذا رأيته فوقعت ساجدًا فيدعني ما شاء اللّه أن يدعني فيقول الله: أن ارفع رأسك وقل تُسمع واشفع تُشفع وسلْ تُعط، فأرفع**

رأسي فأثني على ربي ثناء وبحمده وعلميته ثم أشفّع، فتجد لي أحدًا فأخرج وأدخلهم»، قال قتادة: وقد سمعته يقول: أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود ثم تلا هذه الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ هذا هو المقام الذي وعده الله نبيكم، الحديث.

فإني في هذه الحالة كنت متمرضًا مشرفًا على المرض وكنت أكتب هذا المقام بالتكلف التام، فألقى الله جلّ وعلا في قلبي الجرأة فسألت رسول الله ﷺ: فكيف المخلدون في النار؟ فقال لي: اشفع لهم أنت قلت مالي حدّ فقال الله تبارك وتعالى: يا حسام الدين علي إشفع فإني أقبل شفاعتك كائنًا ما كان فشفعتُ لهم فقبل اللّهُ مني.

هذا من خصائص خاتم الولاية والمظهر الموعود الذي نحن معه في زمان واحد، وأمرت من اللّهِ أن أتوجه إليه ليلًا ونهارًا لحظةً بعد لحظة ولا تنكروا لو اطلعتم على هذه الحالة وإن المؤمنين يشفع بعضهم لبعض لما قال عليه الصلاة والسلام: «**يقول الله: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضةً من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا فيلقهم في نهرٍ في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة**» الحديث وغير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الباب ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [البَيِّنَة: 8].

مطلب حكاية
حسام الدين وشفاعته لأهل النار المخلّدين

ومن غرائب حكمةِ اللّهِ تبارك وتعالى وعجائب قدرته وكمال عنايته في هذه الليلة التي كنت أكتب هذا المقام قمت وقت التهجد في هذه الليلة فصليت صلاة التهجد، فإذا أردت أن أكتب هذا فإذا رأيت رسولُ اللّهِ ﷺ فأمر آدم الأولياء عليًّا المرتضى كرم الله وجهه قم يا علي وأتيني حُلّةً من حُللِ الجنةِ لأكسِي حُسام الدين علي وأشرفه بها، فجاء علي المرتضى رضي الله عنه بحلة عظيمةٍ ملأت السّماوات والأرض فكسانيها، فلبثتُ فوجدتُ في نفسي شرفًا وعزّةً ومجدًا وبهاءً، ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشرٍ قط، فقال أمير المؤمنين علي:

بخ بخ بخ يا حسام الدين علي، فإنّ الله جلّ وعلا شرفك بشرفٍ ما وجد الأولون ولا سمعه الآخرون، فإذًا خررت ساجدًا للّهِ تبارك وتعالى فقال الله تبارك وتعالى لي: وخاطبني بأن يا حسام الدين علي، سل ما شئت تعط فقلتُ: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، واحشرنا مع المقربين والأبرار، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب، ثم سألت اللّه يا ربّ الأرباب ويا مسبب الأسباب إنك عظمت سلطان رستم خان وأعطيته السلطنة الصورية زدها واحفظها عليه، وقارن بالسلطنة المعنوية وأدمها عليه، فقال الله تبارك وتعالى يا حسام الدين علي أعطيتك ما سألتني وما لم تسألني، ثم بعد هذه الحالة ومشاهدتها شرعت في كتابة حديث الشفاعة ورأيت الحالة التي كتبها قبل هذه الحالة بسنة ووجدتها مصدقة لتلك الحالة ومثبتة لها، شكرت اللّه وحمدت على ما أنعمني، الحمد للّهِ على تكاثر آلائه وتواتر نعمائه.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ وإنفاق مقاربة هذا الدعاء في الكتابة بين الحالتين مخيلة صدقهما، يعني أدخلني المدينة مكان أهل الصدق والإخلاصِ ومظان النظرة والظفر من العوام والخواص، أمنا على رغم أنف المنافقين والكفرة ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾ من المدينة إلى مكة ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: 80] سالمًا آمنًا غانمًا على زعم باقي القريش نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة، قيل بالعكس فيكون المراد بالأول مكة وبالثاني المدينةِ وهذا وفق بسبب الزوال، وأخرجني من الدنيا دار الغرور وأدخلني في الجنة ودار الخلد والسرور وغير ذلك من الأطوار ومناهج الأنوار ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ على أهل مكة وسائر الكفار والمشركين وعلى قسر الأصنام وقسر الأنام في قبول الشرائع والأحكام، النجيب عن المناهي والحرام والتحقق بأركان الإسلام.

إشارة وتأويل

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: 71] يعني بالمرشِد الكامل المكمل والهادي المهدي الفاضل في الظاهِر والباطن في أطوار الملكوت بالإمام البارز من الأنبياء المرسلين والأولياء المرشدين والعلماء والربانيين والملوك والسلاطين العادلين العالمين العاملين لما تقرر منه أنّ النفوس الجزئية في كل دورة مندرجة

تحت نفس كلية وحقيقية أصلية وإن الأشياء كلها مرتبطة بعضها ببعض فإذًا لا بدّ أن يكون بين الطالب والمرشد الغالب مناسبة ذاتية ومقارنة حالية ووصفية ليتمكن الطالب الصادق والراغب المناسب المرفق من المرشد الجامع الغير المرافق، وكم من طالب صادق وصل بالمرشد الكامل المكمل ولم يحصل منه له شيء من الأحوال المعنوية ،ووصل إلى من دونه وإلى من هو أدنى، وحصل له في خدمته وصحبته كثير من الأحوال والإحالات والمعارف والمقامات، وليس الخبر كالمعاينة، وأيًّا ما كان لا بدّ لكل أحد من المسلمين طلب إمام كامل مكمل ومرشد فاضل محصل ليوصله إلى الحق ويرشده طريق الثواب. ومنهج الصدق واجب في الدّينِ ولازم لأهل الطّلب وأصحاب اليقين فإن لم تجده ومات مات كافرًا.

قال النبي ﷺ: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**»، وقال أيضًا: «**من مات ولم يكن في عنقه تبعه إمام مات ميتة جاهلية**». سئل رسول الله ﷺ عن الوسيلة التي في هذه الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: 35] وفي قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الإسراء: 57] الآية قال عليه السلام: هي حب الدين والفقراء والدنو منهم. ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ﴾ [الإسراء: 71] أي كتاب الأفعال والأقوال والأعمال والأحوال وهو مربوب الظل والجلال الضمني المخفي في منسوب النور والجمال، ويسمى بلسان الشرع كرامًا كاتبين.

﴿وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾ أي في النشأة الحسية الشهادية ﴿فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: 72] وإنما خص ضدّ البصر بالذكر هو أنّ ضدّ السمع وهو البكم وضدّ العلم وهو الجهل، وكذا أضداد سائر الصفات كلها حاصلة له، وتخصيص العمى مشعر بأن العلوم الحاصلة من هذه القوى والحواس راجعة إلى العلم الحضوري والإدراك الشهودي الذي يستتبع سائر العلوم والإدراكات العقلية والروحية والنفسية القلبية والبشرية والحسية الحاصلة من المشاعر الظاهرة والباطنة، فإنّ العارف إذا مات بالموت الاختياري وفات عنه الشعور الإرادي وفني في اللّهِ عن جميع ما كان له من القوى والإدراكات وبقي باللّهِ وتحقق

بأسمائه الذاتية أولًا بالحضرة العلمية، ثم بالحسية والقدرية والإرادية والسمعية والبصرية والكلامية إما إفرادًا أو مجموعًا، ووجد في ذاته نفس العلم المتحقق بسائر هذه الصفات متميزًا بعضها عن بعض تميزًا علميًّا.

وكذا لا يظهر التحقق بالصفات والأسماء والذات إلا بالعلم، ولذا صرح المحققون بأن إمام الأئمة وهو العلم لا الحياة إذ الحياة لا تظهر إلا بالعلم، وهي شرط العلم لا السبب، كما أن المزاج شرط ظهور الحياة لا نفس الحياة، وقد ذهب الحكماء قاطبة بأن الأشياء كلها إنما هي صور علمية المجردات عنه فهي العلم بذات الله وكيفية ظهوره. والماهيات هي العلم بالعلم بالذات وإدراك الإدراك بأحواله وكلما تضاعفت الإدراكات والعلوم تضاعفت صور الأشياء وظهرت.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ أي الصلاة الحقيقية وهو التحقق بصلاة جميع الأشياء أي الأعيان الإلٰهية الأحدية، وهي الشؤونات الذاتية والأعيان الجبروتية والواجدية وهي الأعيان الثابتة والحروف العالية والأسماء والحقائق الإلٰهية والعقول المجردة والأكوان الملكوتية وهي الأرواح والأكوان الملكية الشهادية وهي السماوات والعناصر ما يتركب منها والأكوان الجامعة الناسوتية، ولذا انحصرت الصلاة في جمعية دلوك الشمس أي مثل شمس التجلي الذاتي من كبد سماء الذات الأحدية، ومطلق الوجود عند استواء شمس التجلي الذاتي في كبد سماء الأحدية الجمعية والواجدية الذاتية إلى سماء التجلي الأسمائي والأفعالي والآثاري، أي التي هي مواقيت صلاة الظهر الأسماء الذاتية وعصر الأسماء الأفعالية، ومعرب الأسماء الكونية الآثارية وغيباتها، وصلاة صبح الصورة الجمعية الناسوتية التي هي مجمع ملائكة ليل ظلمات الكثرات وملائكته ونهارًا بوحدة الذاتية.

﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ أي ظهور صبح النبوة والولاية وجمعيتهما في المظهر الكامل والمصدر الفاضل والكون العادل في زمانِ خاتم الولاية المطلقة ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ أي قائم الولاية المطلقة في زمان ظهور المظهر الموعود والمصدر المعهود ﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78] في جميع الأدوار والأكوار ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء 79] أي مقام جمعية كاملة

وإحاطة شاملة جامعة لتمام أحكام الأدوار وعموم أعلام الأكوار وهو مقامان: مقام جمعية ختم النبوة الذاتية، ومقام جمعية الولاية المقيدة والمطلقة. والذاتية تقسيمها أتم من الأولى لتأخرها عنك ولا شك المتأخر لاشتمالِهِ على المتقدم أتم منه، وفي الحقيقة إن المتأخر يفضل المتقدم والحقيقة واحدة كما مرت كالإشارة إليه في الحديث: «**خُلقت أنا وعلي كراحة واحدة**» الحديث إلخ. في الشفاعة مترتبة على كمال الجمعية، ولذا أرجع الأنبياء من الشفاعة إلى محمد خاتم الأنبياء المتأخر أعني الكل.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ في مدينة ختم النبوة إلى مكة ختم الولاية ﴿وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: 80] إشارة إلى ما قدمنا من أن الخاتم في المقامين هو الحقيقة المحمدية التي هي في الحقيقة الهيئة العلمية كما أشار إليه في خطبة البيان: «**أنا محمد المصطفى وعلي المرتضى**» كما قال النبي عليه السلام: «**علي مني وأنا منه**». ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: 80] في الختمية الأولى والأخرى في زمان ظهور الخلافة العظمى التي هي نقيض الأولى والأخرى، وههنا إشارة خبرية فعليك باستخراجها.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ أي الكمال الجمعي والجمع الكمالي والصورة النوعية والهيئة الجمعية الإلٰهية التي في الدين المحمدي والإسلام الأحدي ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ أي خفي واستر العرف والشرك والكفر والإيمان التقليدي أو التجلي الذاتي الجامع للتجليات الأسمائية حق إذا ظهر وجاء خفي واختفى سائر التجليات الأسمائية والأفعالية والآثارية ﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ﴾ أي التجلي الأسمائي الإفرادي ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾ خفيًا. نظم:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

روي أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنمًا وفي يده قضبان فجعل ينقضها بذلك القضبان والعود ويقول ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ [الإسراء: 81]، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ [سبأ: 49] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ما هو تقويم لدينهم كالتوحيد والتحميد والتمجيد والتكبير، وما هو دواء وغذاء للنفوس واستصلاح لها، هذا إذا كان من البيان، وأما إذا كان للتبعيض فهو كالفاتحة وبعض الآيات الدالة على الدواء والشفاء منه ﴿وَلَا يَزِيدُ

ﵟٱلظَّٰلِمِينَﵞ لنفسه ولغيره ﵟإِلَّا خَسَارٗاﵞ [الإسراء: 82] بعدًا وبناء المعلوم لمناسبة بينهم وبين القرآن إذ التأثر والتأثير إلا بالمناسبة البينة بإظهار ما كان وما يكون، كائنًا في لونها واستعدادها والمناسبة هي التقدس والطهارة عن الكدورات الطبيعية والظلمات الإمكانية وهيئات الحدود الزمانية والمكانية، فإذا يكتف القرآن بكيفية الألفاظ والكلمات القرآنية بتلك الكدورات، وبكيفيات ازدادت الكدورة وتضاعفت الظلمة، وبين الإنكار وساءت العقيدة ويتبرّأ القرآن من القارئ ويلعنه.

قال النبي عليه السلام: «**رُب تالي للقرآن والقرآن يلعنه**» ﵟوَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِﵞ صحة في الجسم وسعة في الرزق وبسطه في سائر النعم في الظاهِر والباطن ﵟأَعۡرَضَﵞ [الإسراء: 83] عن ذكر اللّهِ وشكر نعمه عن النظر في آياته والتفكر في مبتدعاته ﵟوَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦﵞ أي تباعد بنفسه التي هي بين جنبيه.

قال عليه السلام: «**أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك**» كأنه مستدفق مسد بأمره ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار ونهاية الاستكبار كما هو عادة المنكرين وشيمة المتجبرين ﵟوَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّﵞ من الفقر والمرض والعادة والنهاية وزوال الدولة والأسباب ﵟكَانَﵞ صار لعلة بعده عن الحق ورحمته ﵟيَـُٔوسٗاﵞ [الإسراء: 83] شديد اليأسِ شديد القساوة قوي البأس.

ﵟقُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦﵞ أي كل واحد من المحسن والمطيع والعاصي والمسيء يعمل ويعقل على طريقته وصلته التي خصصها الله تعالى به، وهي ملازم النفس والروح أو النفس والروح المتعلق بالبدن، ويحصل منه مزاج يستتبع الأفعال والأعمال والأحوال والأقوال، إما هداية أو ضلالة وعلمًا وجهالة ﵟفَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗاﵞ [الإسراء: 84] وبمن هو أضلّ وأغوى طريقًا ودليلًا، وهذا التفسير أعم من العادة والدين والطريقة.

ﵟوَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖﵞ وحقيقته التي يحيى بها البدن وينتظم بها أمر تدبير البنية ويتم بها ضبط أحوال أهل المنزل والمدن ﵟقُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّيﵞ [الإسراء: 85] أي من عالم الأمر الذي يأمر اللّهُ تبارك وتعالى بأمرِ كُنْ للتكوين والإبداع والتدوين والاختراع والتمكين، فإن الإنسان من جوهرين عالم الأمر وهو عالم الأرواح والملكوت، وجوهرين من عالم الملكِ وعالم الشهادة يقال له عالم الخلق، وهو

عالم الأجسام الذي هو من مرتجى جنس الدنيا يدرك بالحس الظاهر، والأول من جنس عالم الآخرة التي لا يدرك بهذا البصر بل يدرك بالبصيرة، والقوة العاقلة ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

فالجوهر الأول وهو الروح يحصل ويتكون بأمر كن والثاني بالخلق والإخراج من القوة إلى العقل وهو مصدر الآثار المختلفة ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85] أي شيئًا قليلًا لأن حقائق الأشياء غير متناهية وهي مجهولة لأنها إما بسيطة أو مركبة، أما البسائط فلا تحد ولا ترسم إذ لا جنس لها فلا فصل فلا يعرف ولا يدرك ولا يعرف فتبقى مجهولة.

وأما المركبات وأجناسها وفصولها لم تتبين ولم تتعين فلم يتميز العرض عن الجنس ولا الجنس عن العرض العام وكذا الفصول لم تتميز عن الخاصة ولا الخاصة عن الفصول فبقيت حقائق الأشياء مجهولة، وأما الضروريات فمنها المشاهدات والمحسوسات فإنها يخلق الله تعالى، فإن الناظر عند تغليب الحدقة وكذا المستمع عند الإصغاء يخلق الله عندهما العلم في نفس الرأي والمستمع وكذا الواحد إثبات وغيرها كلها بخلق الله تعالى، وأما عند أهل الحق أصحاب الكشف وأرباب الذوق فلا وجود لغير اللّهِ تعالى ولا علم ولا شهود كما قال النبي عليه السلام: «**أصدق قولٍ ما قاله الشاعر**». نظم:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

بكمالات لا وجود لغير اللّهِ لا علم لهم ولا شهود هذا بالنظر إلى الظاهرِ ولا في الحقيقة إنه كما لا وجود لنا ولا فعل ولا عمل قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96] كذلك لا علم لنا ولا إدراك ولا إحساس كما تقرر عند أهل الحق: أن اللّه تعالى يخلق الإحساس عند استعمالِ الحواس.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ اللام الأولى لتوطئة القسم والثانية لجوابه النائبة مناب جزاء الشرط، يعني والله إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والقلوب والجنان ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 86] لنا ليردّ القرآن الذاهب مرة أخرى إليك كما كان أولًا.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ﴾ وعنايته وإرادة الخير لك فإنها إن تأتيك لعلها قد تسرده من ربك إليك ثابتًا، ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعًا ولكن تركته غير مذهوب به

فيكون امتنانًا في إبقائه وشبيهه بعدالته في تنزيلهِ ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 87] وامتنانًا كبيرًا ابتداء بالتنزيل وانتهاء بالحفظ والسنة والإبقاء والترتيل.

﴿قُل﴾ يا محمد للكفار والمشركين ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ في البلاغة وكمال الفصاحة وحسن النظم وسلسلة الركب والاشتمال على الحديث الحوادث وأخبارها وأحداثها والإظهار عن الحقائق الإلٰهية والكونية وأجزائها، فإن الحوادث الزمانية من الإرث إلى الأبد مذكور في كتاب الله الكريم ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88] معينًا ومغيثًا ونصيرًا.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ﴾ وبينا في هذا القرآن ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ ووجه ومعانٍ أولًا ومثاني يكون بيانًا وامتثالًا وتماثيل وسارحًا ونظيرًا واضحًا من العبر والأحكام الصريحة والأعلام الجريحة ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: 89] جحودًا وإنكارًا بالقرآن.

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ يا محمد ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا﴾ وتخرج لنا ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: 90] عيونًا وأنهارًا، اجتمع أكابر قريش وأعيانهم قريبًا من عشرين نفرًا عند ظهر الكعبة بعد غروب الشمس في أمر محمد فبعثوا إليه وهو قد طمع في إيمانهم لعلّ الله قد ألقى في قلوبهم المثل إلى الإيمان فجاءهم رسول اللّهِ ﷺ فقالوا: إنّا بعثنا إليك ليعد وجهك وإنا واللّهِ لا نعلم رجلًا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك قد سفهت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي أمر فيفتح ألا وقد حييته فيما بيننا وبينك فإن كنت بهم هذا الحديث تطلب مالًا أو شرفًا جعلنا لك من مالنا حظًّا وافرًا وسودناك علينا وإن أردت ملكناك علينا وإن كان هذا الذي بك ربيًا وأمرًا إلٰهيًّا فليأت بشيء من عنده حتى نؤمن بك فقال عليه السلام: «**ما تقولون ما جئتكم بطلب المال ولا الشرف والجاه في المنال لكن الله بعثني إليكم رسولًا وأنزل عليّ كتابًا وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني فهو حظ لكم في الدنيا والآخرة وأن تردوه فعلي أن أصبر لأمر اللّهِ حتى يحكم اللّهُ بيني وبينكم**»، فقالوا: يا محمد فإن كنت صادقًا فسل ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا أرضًا ويفجر لنا منها ينبوعًا.

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١﴾

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ وبستان قد غرس ﴿مِّن نَّخِيلٍ﴾ وأشجار ﴿وَعِنَبٍ﴾ وغيرها ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا﴾ وتجري بها خلالها وسطها ﴿تَفْجِيرًا﴾ [الإسراء: 91] سل تفجير العيون تحت الأشجار.

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢﴾

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾ [الإسراء: 92] في سورة سبإ [9]: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ أو تسقط ﴿عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ قطعًا من السماء ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ﴾ [الإسراء: 92] أي بكتاب يكون من اللّهِ وتجيء ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ معه شاهدين أن اللّه وإنك نبي بعثك ﴿قَبِيلًا﴾ [الإسراء: 92] كفيلًا ومتعهدًا لك بما يقول ويفعل أو جمع القبيلة أي يأتي بأصناف الملائكة قبيلةً قبيلة مقبلين ضامنين لك أو من القبيل أي يأتون عيانًا كما قال وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣﴾

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ مزين أو مبني من ذهب ﴿أَوْ تَرْقَىٰ﴾ وتصعد وترفع ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ وتستعلي إليها معاينةً فتأتي بخبر منها ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ وصعودك إليها وحده ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ ونعاينه وتسمعنا ما فيه لندين بالاتباع لك ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: 93] مأمورًا بتنزيهه وتقديسه.

واعلم أن اليهود قالوا: إن موسى قد فعل وهذا ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البَقَرَة: 55]. وقد سألوا من موسى المن والسلوى والاستسقاء غيرها، وقد أظهر منه بعضًا منها، والحالُ أن موسى أيضًا بشرٌ مثله ومحمد أفضل منه، فكيف وقع منه ولم يقع من محمد؟ قلتُ: هم قد ساء منهما بما ليس في وسعهما وليس ظهور منهما أو كلها منهما من حيث إنهما قرآن بل منه حيث إنهما مظهران

قدرة الله تعالى وإرادته وتجلي تكوينه فهذا الوجه وإن كان كل واحد من أفراد الإنسان يصلح لذلك إلا أن اللّه بمشيئته الذاتية يختص به من يشاء من عباده ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى: 52].

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ [الإسراء: 94] وكفار مكة ﴿أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾ ويصدقوا باللّهِ وبكتابه ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي وقت مجيء القرآن وبيان الهداية ونزول الفرقان بين الضلالة وبين الدراية والجهالة ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾ مشركو قريش وكفار مكة جهلًا منهم وعنادًا ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: 94] فاعِل لمنع أي ما منع الناس إيمانهم وتصديقهم إلا هذا القول زعمًا منهم أن الرسول لا يكون بشرًا بل لا بدّ أن يكون ملائكة.

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد في الرد عليهم ﴿لَوْ كَانَ﴾ على سبيل العرض ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ ساكنين ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ مطمئنين متمكنين فيهما مقيمين متوطنين ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بهدايتهم ودلالتهم ودعوتهم إلى اللّهِ ﴿مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: 95] وليس بشرًا لعدم المناسبة بينه وبينهم إذ لا بدّ أن يكون بين المرسل والمرسل إليهم مناسبة ذاتية وجهة ومدة مصححة لاستفادة ما علمت أن شرط التأثير والتأثر والهداية والاهتداء من التناسب والمناسبة الذاتية وأنت خبير إن لا مناسبة بين الملك والبشر، فإذن رسول البشر لا بدّ أن يكون بشرًا ورسول الملك ملكًا.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الإسراء: 96] يشهده بأني رسول منه إليكم بإظهاره المعجزة على يدي الله لتلجئكم إلى الإيمان، ويكونُ شاهدًا ودليلًا

على صحة دعوتي شاهدًا منصوب إما على الحال من الفاعل أو على التميز ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ سرًّا وعلانية ﴿بَصِيرًا﴾ [الإسراء: 96] ويرى ما في ضمائرهم كما يرى ما في ظواهرهم.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ ويبين طريق الوصول إليه بل توصل إليه وإلى العلم والإيمان والتصديق بالله بما جاء به منه ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ أي الواصل إليه ﴿وَمَن يُضْلِلِ﴾ من دينه وطريقة الموصل ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ منكبًا ويلقى على مناخرهم ووجوههم ﴿عُمْيًا﴾ [الإسراء: 97] لا يرى وجه الله الذي تجلى ويظهر على الخلائق بوجهه الكريم، وهم يعلمون أن اللّه قد تجلى وظهر على الخلائق، وهم ينظرون إلى وجهه العظيم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: 22، 25] ﴿وَبُكْمًا﴾ لا يقدر على التكلم وعلى سوء حاله هذا عذاب شديد فحديث يغلى حدها ويحرق قلبه إحراقًا لا يعلم شدة عذابه وحدة عقابه إلّا اللّه، هذا نار الله الموقدة التي توقد في مجمر فؤاده لا يطلع على سورة تلك الحرقة إلّا الله ﴿وَصُمًّا﴾ كلام الله الذي هو شفاء القلوب المحترقة وداء الفؤاد والكبد المحترقة بنار الحيرة وحرقة الندامة ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ وفيها لهم أنواع العذاب وأصناف العقاب التي مرّ ذكرها ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ وسكنت لهيبها ﴿زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97] ووقودًا لأن تلك الأحوال الواردة آنًا فآنًا على الفؤاد تكون كالوقود الموردة في كور النار وتنور البوار ذلك العذاب الوارد شيئًا فشيئًا آنا فآنًا.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: 98] أي حال كون البعث أو المبعوث خلقًا جديدًا أو خلقًا مجددًا.

﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾

﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ يعني أن الله تعالى كما هو قادر على خلق السماوات والأرض بلا أنموذج ومثال سابق وأصل سابق قادر على خلقهما وبعثهما وبعث ما فيهما بعد إهلاكهما وإهلاك ما فيهما ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ في الهيئة والشكل والصفة والنعت والصورة وسائر التماثيل ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ ومدة لا عبث فيها بأنه يأتهم مثل هذا النوم والسهر والسنة والنوم ومثل هذه الحياة والصور والفوت ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ متبعوه ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: 99] يعني ما منعوا ذلك إلا عنادًا وجحودًا أي مجرد العناد والجحود لذاته مبني على أصل أو شبهة بل عناد مجرد وجلال مبدد وإنكار مهدد.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ ودفائن نعمته ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ﴾ أي لو أنفقوا لافتقروا وفاتوا وعجزوا في المعاش واضطرارًا في انتعاش ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: 100] بخيلًا أليمًا ممسكًا لا يسيل منه شحةً من العرق ولا فتحة من الورق.

إشارة وتأويل

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ﴾ إذا ظهر التجلي الذاتي وأصدر الجذبة الرحمانية زهق الباطل واستهلكت الكثرات وتلاشت الممكنات وتعينت البشرية ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ﴾ والممكن العاطل ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81] في نفسه وذاته.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ﴾ [الإسراء: 82] إن للكلام مع كل اسم من الأسماء الذاتية من العليم والحي والقدير والمريد والسميع والبصير وكذلك مع كل اسم من الأسماء الأفعالية كالخالق والرازق والمحيي والمميت والمصور والمدبر والمكور والمدبر وكذا مع كل اسم من أسماء الآثار،

وكالسماء والأرض، والبحر والبر وغير ذلك نفسية خاصة ومناسبة خاصة بمعنى السر الإلهي والبر الغير المتناهي ويوصل إلى صماخ سمع القلب ثم الإسماع الميسر والفؤاد الذي هو مظنة الشهود ومركب مشاهدة السر المعهود، فحينئذ تتخذ السمع والبصر والمسموع بالمنظور والمبصر، ويصير شفاء للقلوب ودواءً لأمراض الغيوب، وبراءً لتمام الأسقام والنقص والعيوب، ورحمة للمؤمنين، ونعمة لأرباب الريب وأصحاب العلق وأهل الكروب ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الموت بين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82] بعد بعد بعدٍ.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: 84] إشارة إلى أن لكل عين من الأعيان النورية بحسب المراتب والأدوار وتعدد الأطوار والأكوار وجودات متعددة وشهودات متجددة متطابقة ومتماثلة ومتوافقة متشاكلة، أو الأدوار والأكوار وما فيها أظلال وعكوس وأشباه وأمثال وكؤوس كشموس ساطعة.

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ [الإسراء: 95] إلخ، إشارة إلى أطوار ظهورات الأعيان في الأدوار، فإن في الدورة العظمى النورية التي أعيانها صور علمية وحقائق إلهية يكون أعيانها هذه الدورة التي هي مربوب النور والجمال على صفة الملكِ وسيرته ظاهرة صريحة، وأكوان هذه الكورة التي هي غيب الدورة وباطنها هي الأهرمينات تكون خفية ضمنية وهي مربوبات الظلّ والجلال، فيكون الملائكة بالنعوت العقلية ظاهرة صريحة والصفات الروحانية والهيئات النفسانية والأشكال الجسمانية والأظلال الجنسية والأمثال الجنانية صحيفية في الصورة العلمية والصفة العقلية، ولكل دورة ومرتبة نبي ورسول من جنس أعيان فلك الدورة.

ولما كانت الحقيقة المحمدية أول تعين يعين في هذه المرتبة كما أشار إليه بقوله عليه السلام: «**أول ما خلق الله نوري وكنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين**» وهي باطن العلم و«**كنت عبد الله خاتم النبيين وآدم بين الماءِ والطين**»، وهي باطن العلم، والذي اندرج فيه جميع الأسماءِ الذاتية بمعنوياتها ومربوباتها بالصور العلمية أعني الحي والقدير والمريد والسميع والبصير والكلام والإحياء والإرادة، والعقول

والنفوس والأشباح، والمقدورات، والمرادات، والمسموعات، والمبصرات، والحروف والكلمات، وآدم عبارة عن صورة جمعية الذات بالأسماء والصفات، فرسول هذه الدورة وبينها إلى أعيانها وهي على صورة الملائكة إنسان ملكي قد بعثه الله تعالى إليهم بحقيقة الكلام الذي هو آخر الأسماءِ، وقد تفرد في طور الحكمة الإشراقية إن الإنسان هو باب الأبواب، وإن العقول والنفوس الفلكية هي نفوس إنسانية منفتحة، ففي كل مرتبة ودورة وأعيانها للإنسانِ والحقيقة المحمدية صورة مناسبة لتلك الدورة وأعيان تلك المرتبة، فبنيّ كل مرتبة ورسول تلك الدورة لا يكون إنسانًا، ومناسب تلك الدورة ولأعيانها معجزة وخرق عادة كما فصلها ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: 90].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ يا محمد ﴿مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يريد العصا والجراد والقمل والضفادع والدّم والحجر والبحر والطور الذي بينه على بني إسرائيل كأنه ظلة وظنوا أنه واقعٌ بهم فمن ذلك فضلوا على سبق الجبين وهم ينظرون إليه مخافة أن يقع عليهم بينات يريد معرفات ﴿فَسْـَٔلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يريد المؤمنين من قريظة والنضير مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ يريد موسى ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ﴾ وهو الوليد بن المرة بن مصعب العملقي ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: 101] يريد مخلوقًا، وقال بعض أهل العلم بل السحر بعينه.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ وهي بقراءة الرفع والنصب فمن قرأ بالرفع لقد علمت قائمًا أراد موسى نفسه ومن قرأ بالنصب لقد علمت قائمًا أراد فرعون ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يريد هؤلاء التي ذكره اللّهُ يريد جميع ما في التوراة من الأحكام والحلال ﴿بَصَآئِرَ﴾ يريد يدفعها لأهل البصائر والعلماء ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: 102] يريد مغلوبًا مجيبًا.

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾

﴿فَأَرَادَ﴾ يريد فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يريد أراد أن يخرجهم من أرض مصر ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: 103].

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ يريد أرض بيتِ المقدس وما حولها ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يريد القيامة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: 104] يريد من كل موضِع.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ﴾ يريد الحق أنزلناه ما أنزل الله وبالحق نزل يريد من عبدة الحق ليحق به كلماته ويعلو آية دينه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ يريد لأوليائي ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: 105] يريد لأعدائه.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: 106] يريد الناس جميع الخلائق يريد على مكث جنوبك، ويكون من بعدك لأمتك يتقاطعون به ويتراضون ويحلُو حلاله، ويحرموا حرامه، ويتدبروا أمثاله، ويقفوا عند مشابهه، ويؤمنوا بحكمه وينتهوا عن ما نهوا عنه، ويقولون كل من عند ربنا ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: 106] يريد شيئًا بعد شيء يريد نجومًا بعد نجوم مثل قوله في الواقعة: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: 75] يريد نزول القرآن مثل قول جبرائيل عليه السلام: وما نزل إلا بأمر ربك.

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ [الإسراء: 107] يريد قومًا كانوا مع إبراهيم ومن بعده كانوا مع إسماعيل إلى أن

بُعث رسول الله عليه الصلاة والسلام منهم زيد بن عمرو ونُفيل وزيد بن نوفلْ ﴿إِذَا يُتْـلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: 107] يريد يسجدون وجوههم.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ﴾ ويقولون ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ﴾ يريد تعظيمًا لله وتنزيهًا للّهِ وإنه لا إلٰه غيره ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: 108] يريد ما وعده خلقه مثل قوله في النساء.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: 109 ـ 111].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

آياتها 110 مكية	سُورَةُ الكَهْف	ترتيبها 18

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل كهف قلب بني آدم مرتدًّا لأطوار السبعية القلبية وثامنهم كلبهم كلب المولود الجني ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي نجاهم عن شر دقائق النفس الأمارة وهداهم إلى الهادي السري وإلى الولي المرشد الروحي ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي وفقهم بشرف كمال جمعية إرشاد الروح الجامع إياهم، ليتأهلوا للاستصعاد إلى جنة فردوس تجليات حقيقة الذات بالأسماءِ والصفاتِ، في مرايا مظاهِرِ أعيان الكائنات.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني على حقيقة محمد القرآن، وعلى هويته الشخصية[1] الفرقان، ليفرق بين الحق والباطل في الأعيان رتّب استحقاق الحمد على إنزاله تنبيهًا على أنه أعظم نعمائِه وأعم نعمهِ وأتم كرمه وذلك لأنه الذي به يتم كمال العباد والمنادي إلى ما به ينتظم به أمرُ المعاشِ والمعاد في عموم الأراضي والبلاد إلى يوم القيام والتناد ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [الكهف: 1].

﴿قَيِّمًا﴾ [الكهف: 2] فيه تقديم وتأخير أي أنزل الكتاب على محمد قيمًا ولم

(1) هذا مبني على الفرق بين القرآن والفرقان إذ النزول على الحقيقة المعراة غير النزول على الهوية المخصوصة المتخذة بالخواص فالقرآن الذي نزل على حقيقته هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها والفرقان الذي نزل على هوية الشخصية هو العلم التفصيلي الفارق بين الحق والباطل.

يجعله عوجًا وهو ضد قيمًا أي مستقيمًا منتظمًا مستويًا معتدلًا لا إفراط فيه ولا تفريط. والعوج هو اختلاف أحد في اللفظ وتناف في المعنى وانحراف عن الطريق المستقيم وهو في المعنى كالعرج في الأعيان، والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معاني الكتاب، ونفي خروج شيء منه في الحكمة والإصابة يجوز أن يكون قيمًا حالًا من له أو من الكتاب، ولم يجعله جملة حالية لا عطف إذ لو كان للعطف كان المعطوف فاصلًا بين أبعاض المعطوف عليه إذ لو عطف على أنزل فيكون في خبر الصلة فيكون فاصلًا بين الحال وذي الحال ببعض الصلة. فيكون تقديره: ولم يجعل عوجًا لا قيمًا لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر، ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ أي لينذر الذين كفروا عذابًا شديدًا فحذف المفعول الأول واكتفاءً بدلالة القرينة ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: 2] أي صادر من عنده.

مطلب خواص سورة الكهف

قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من فتنة تكون، وإن خرج الدجال في تلك الثمانية عصمه الله من فتنته، ومن قرأ عن مضجعه آخر سورة الكهف قال:** ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: 110] **إلى آخرها كان من مضجعه نورًا تلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلّون حتى يقوم من مضجعه، وإن مضجعه مكة كان له نور تتلألأ إلى حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى ينتهي، ومن حفظ عشر آيات من الكهف عُصِم من فتنة الدجال وجاء يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر**». وحدثهم الأستاذ الأول عن ابن عباس في قوله تبارك وتعالى الحمد لله، يريد المحمود بالذكر وبكل لسان، والمحمود على كل فعال، المعبود في كل مكان، الذي كل يوم هو في شأن ولم يشغله شأن عن شأن.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾

﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾ يريدُ الذي فيه الحلال والحرام والسنن والفرائض والأحكام قوله: ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ يريد على محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [الكهف: 1].

﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾

﴿قَيِّمًا﴾ يريد مستقيمًا مثل قوله في الأنعام: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ يريد دين إبراهيم خير الأديان وأقومها ﴿حَنِيفًا﴾ [161] يريد مسلمًا ومثل قوله في لم يكن: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 5] وذلك أن الحنفية أقوم الأديان وأحبها إلى اللّهِ سبحانه وتعالى وهو دين الختان، كذلك كانت تسميه الروم في ملكها قبل الإسلام ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ يريد لينذره عذابًا شديدًا ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ يريد من عنده ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يريد المصدقين باللّهِ ونبيّه وبكتابه ويبشر ﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يريد الذين يقومون بدينه وفرائضه وحقوقه وأركانه ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: 2] يريد ثوابًا عظيمًا وصوابًا عميمًا وصدقًا.

﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾

﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: 3] يريد مخلدين متملكين ناعمين فيه أبدًا دائمًا.

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: 4] يريد بعذاب اللّهِ ونعمته.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الكهف: 5] مثل قوله في المائدة: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: 73] ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: 5] إلا زورًا وإفكًا.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ يريد يرتجى أن يكون قاتل نفسك حيث ولوا عنك ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6] يريد هذا القرآن أسفًا يريد غيظًا وحزنًا.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾

﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ يريد إنا خلقنا ﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ يريد لبني آدم ويتمتعون وينتفعون عليها زينةً وطيبةً وصينةً به ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: 7] يريد الاختبار والامتحان في خلقه، وهو يختبرهم قبل أن يخلقهم ولكن كل خلقة بما تفهمون وتفرحون.

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: 8] يريد يوم القيامة يريد الأرض التي ليس فيها ماء ولا نبات مثل قوله في السجدة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ [السّجدة: 27] يريد أرضًا باليمن وهو سيل يأتيهم من غير مطر فيزرعون عليه ثلاث مرات في كل سنة وبعضها مرتين.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: 9] يريد تعجبه بخبرهم إنهم فتية حين راهقوا الحلم في أيديهم أسورة من فضة وفي أرجلهم خلاخِل وحدوا وآمنوا به في زمان لا يعرف فيه إلا عبادة الأصنام والطواغيت في مُلك ملِك لا يعرف الله.

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ﴾ أي مال الصعاليك وتوجهوا فلما أحسوا علموا أنه يريد قتلهم فهربوا ﴿إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ وطلبهم وكان الكهف منحرفًا في جبل غير بعيد من المدينة فلمّا علموا موضعهم أمر أن يبني عليهم فَمُ ذلك الكهف وألقى الله عليهم النوم، وكان الذي بنى عليهم فم ذلك الغار مؤمنًا على دينهم فرقم في حجر قصتهم وذكر لقيتهم ومعرفتهم باللّهِ، فسماهم ووصفهم، فجعل ذلك في البناء وهو الرقيم، والكهف هو الغار الواسِع في الجبل، والرقيم اسم الجبل أو الوادي الذي فيه الكهف. وقال بعض العلماء في لوح من رصاصٍ ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ﴾ يريد دعائهم ﴿ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ يريد من عندك رحمة تعيننا بها على جميع خلقك وعن من سِواك حتى لا نخاف أحدًا سِواك ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 10]

يريدوا رشد فِعالنا إلى جميع محبتك.

﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: 2] أقول: في الدنيا بمقدم المظهر الموعودُ وبخروجه عن مقامه الشريف ومنامه اللطيف، وهو دار العدل وما وراء النهر وبما ظهر في زمانه من كمال القسط والعدل بَيِّن، حتى المعادن والنبات والحيوان وإحالة الإنسان وأفراد الناسوت وهم أفضل الأعيان، وظهور الحقائق وحضور سر الألوهية من تمام الأكوان وعموم ذوات الأعيان، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: 42]:

يدم الخ ددج والمجموع 955 وكمال ظهوره إنما هو في 925 إلى إن، وأشار إليه بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيَاء: 105 - 107] إلى ذ ك ر وابتداؤه يوم الخروج وهو 955 وكمال ظهوره ذ ك ر 925 ممتدًا إلى ال ذ ك ر وينتهي إلى 1555 كما يشير إليه الأرض ر ض 1555 أو في الآخرة الفردوس الأعلى وهي الصورة الجمعية العظمى من الذات والأسماء السبعة الذاتية والصفات وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ﴾ أي في الآخرة والجزاء ومحله ﴿أَبَدًا﴾ [الكهف: 3] دائمًا.

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: 4] خصهم بالذكر وكرر الإنذار متعلقًا بهم استعظامًا لكفرهم وإعلامًا بأن أكثر عقوبة المظهر الموعود ونعمته وإنما تكون لهذه الطائفة.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ أي بالولد أو بالاتخاذ أو بالقول المذكور، يعني ليس هذا محكم، والقول مأخوذ عن علم وبرهان ونظر وعرفان بل هو مأخوذ من فرط الجهالة ووفور الغباوة والضلالة ﴿كَبُرَتْ﴾ مقالتهم ﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ صدرت عن محالها صدور الأصوات عن الحيوانات العجم بلا روية وفكر وبغير قصد وذكر ﴿إِن يَقُولُونَ﴾ أي لا يصدر هذا القول عنهم ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: 5] هذا على سبيل التنزل والغرض، وإلا لما كان كلامهم صادرًا عنهم من غير أن يكون معلومًا لهم، ولهذا وصفه بالكذب الّذي هو كلام غير مطابق للواقع أو هو على طريق التشبيه والتمثيل.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتلها ومهلكها ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ رسوم أقدامهم عند الإدبار والإعراض عن قبول الإيمان ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6] إنما الدين والقرآن أي إظهار للحزن والغضب المفرط الذي [هو من] الإعراض عن الإيمان.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ من الحيوانات والنبات والمعادن ﴿زِينَةً لَّهَا﴾ ولأهلها ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ ويختبرهم ويعامل بهم معاملة الاختبار والامتحان ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: 7] من الأفعال التي هي طاعة والامتثال بأوامره والانتهاء عما نهى عنه والاستفال(*) لديها في تعاطيها وأخذها.

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾ أي على الأرض من الزينة ﴿صَعِيدًا﴾ [الكهف: 8] حال كونها أرضًا بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء ومعشبةً وإزالة بهجتها ومحالة نضرتها وإبطال ما كان عليها ثابتًا من الحسن والبهاء والزينة والسناء، كناية عن فناء الدنيا وإفناء ما فيها من الحيوانات والنباتات، والصعيد في الأرض التراب الطيب النقي أو منصوب بجاعل إذا كان بمعنى يصيرون بأنه مفعول ثان له ﴿جُرُزًا﴾ [الكهف: 8] اعوجاجًا مانعًا للزرع الأخضر.

﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: 9] أي هم بعض من آياتنا وهم في أطوارهم وأحوالهم أمر عجيب وشيء غريب، أما أصحاب الكهف فقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: إن أصحاب الكهف كانوا في زمن ملوك الطوائف بين زمان عيسى ومحمد عليهما السلام في بلدة طرسوس، وكان أهلها على دينِ عيسى وكان لهم ملك صالح، فإذا مات اضطربت حال الملك واشتهرت الضلالة وانتهزت كلمة الجهالة، واستولى دقيانوس الجبار، وقد خرج من جانب الفارسِ والشرق ووصل إلى طرسوس، وكان عابدًا لصنم يدعو الخلق إلى عبادة الأصنام والأوثان فدعا أصحاب الكهف إلى دينه ففروا منه.

قال قوم إن ملكًا كان في طرسوس وضع قصرًا عظيمًا من الزجاج ووضع فيه كرسيًّا من الذهب طوله ثمانون ذراعًا، ووضع في جانب منه ثمانون كرسيًّا يجلسون عليها الأمراء العظام، وفي جانب آخر وضع ثمانين كرسيًّا يجلسون

(*) إسْتَفَلَ استفالاً: نزل.

عليها العلماء والقضاة والحكماء، وكان في خدمته خمسون غلامًا من أولاد الأمراء، وفي رأس كل منهم إكليلٌ وكان في خدمته الخاصة ستة من أولاد الملوك صاحبي رأي مؤمنين ذوي تدبير واعتقادٍ صحيح، يعبدون اللّه وقد أخفى كلّ منهم اعتقاده عن الآخر.

فلمّا استوى دقيانوس على هذا الملك جرت سلطنته على هذا الوجه بلا تغيير وتبديل، وكان يخدم كل منهم دقيانوس في يوم كان في القوة الجسمانية وكمال الصحة والسلامة بحيث لم يعرض له مرض أصلًا، وكان أسماء هؤلاء يمليخا كمسلمينا مخلثطيا مرطوفس اساطوفس افطولس، وكان في يومه خدمة يمليخا إذ جاء خبر إلى دقيانوس أنّ ملك التركِ قد خرج متوجهًا إليه، خاف دقيانوس وفزع فزعًا شديدًا حتى سقط تاجه من رأسه، فقالوا: أمر هذا الملك باطلٌ، فلنرجع إلى خدمة ملك لا يخاف ولا يناف ولا يموت ولا يُغلبْ ولا ينهزم ولا يفوت، ففروا من خدمة دقيانوس، وجاءوا إلى راعٍ كان مؤمنًا موحدًا، وأظهروا الحال لديه وكان له كلب فأرادوا أن يدفعوه خوفًا من أن يطلع عليهم فقال الكلب: كما أن لكم إلٰها تطلبونه كذلك إلي الله أطلبه، فخلوا سبيله وآووا إلى الكهف، ينشر لكم من رحمته.

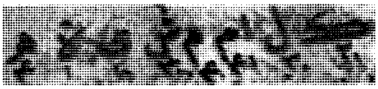
أما الرقيم فهو لوح من رصاصٍ أو حجر كتب فيه وصفهم وحبسهم وقصصهم. قد ورد في الخبر على ما رواه نعمان بن بشر عن النبي ﷺ: أن أصحاب الكهف كانوا ثلاثة نفر قد خرجوا من بيوتهم لطلب الرزق لعيالهم وأهلهم، فأخذهم المطر ففروا في الجبل إلى كهف فيه، فإذا سقط حجر من الجبل وسد باب الكهف بحيث لم يقع من الشمس في غارهم شعاع فتحيروا في أمرهم فقال واحد منهم: هل فعل منكم عملًا صالحًا ابتغاءً لمرضاة اللّهِ لعلنا نتوسل إلى اللّهِ لعله ينجينا من هذا البلاء؟ فذكر أحدهم: إني آجرت يومًا رجلين أحدهما إلى نصف اليوم والآخر إلى تمامه فلما أعطيت أجرهما على السواء قال صاحب اليوم التام: أتعطي هذا ما أعطيتني ولم يعمل إلا النصف اليوم؟ قلتُ: ما نقصت من أجرك شيئًا آنًا أنتزع به فترك أجره عندي وراح وغاب، فإني اشتريت به عجولة وتركتها بين بقراتي فكبرت واستنتجت وتكثرت حتى صارت متعددة وأعدادًا متكثرةً، فإذا جاء صاحب الأجر وطلب مني أجره فأشرت إلى

تلك البقرات فغضب عليّ بأنك تسخر مني وأنا أطلب منك حقي، فقلت له: والله إن تلك البقرات كلها حقك فقصصت له وحكيت به الأمر، فإذا به دعاني وشكرني، فناجيتُ الله بأنك أرحم الراحمين بعبادِك، ارحم فإننا مضطرون، فإذا تحركت الحجرة. وقال الآخر: قد وقعت سنين القحط فإذ جاءتني امرأة حسناء من شدة الجوع ذات عيال وطلبت مني القوت وطمعت فيها وقلت: القوت موقوفة على تسليمك نفسك، فمضت ولم تسلمني ثم عادت ورجعت فقلت لها: ما لك، قلت: فسلمت نفسها فلما أردت أن أتقربها ارتعدت فاضطربت فقلت لها: ما لكِ؟ قالت: اتّقِ اللّه، فتركتها للّهِ وخوفًا منه، وأعطيت لها ابتغاءً لمرضاة اللّهِ، فقلت: يا رب إن كان هذا لمرضاتك فنجنا من هذا البلاء، فتحرك الحجر وأضاءت الشمس الغار والكهف، وقال الثالث: كنت راعيًا للغنم وكان لي أبوان كبيران فكنت آخذهما وأسقيهما من اللبن فشغلني نوم فأتيت باللبن فوجدتهما نائمين فلم أنبههما وترصدت انتباههما حذرًا من ملالتهما، ورضاءً لمرضاة اللّهِ، اللهمّ إن هذا كان لمرضاتك فخلصنا من هذه البلية، فتحرك الحجر فانفتح باب الغار فقالوا: ربنا ومربينا، ففرج الله عنهم فخرجوا.

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ جمع فتى كصبية وصبي أي فتية من أشراف الروم وأعيانهم توجهت إلى الكهف والغار ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ﴾ وإلٰهنا ومربينا ﴿ءَاتِنَا﴾ وأعطنا وهب لنا ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ عندك ﴿رَحْمَةً﴾ رزقًا واسعًا أو من خزائن رحمتك ودفائن مغفرتك ورحمتك أمنًا وأمانًا من الأعداء ومن المكان ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾ وأعد لنا وأعطنا بطريق السهولة ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ الذي هو المفارقة من الأحباء والإخوان والمهاجرة من الأهل والأوطانِ ﴿رَشَدًا﴾ [الكهف: 10] وصلاحًا وسدادًا وفلاحًا.

إشارة وتأويل

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الكهف: 1] أي على الحقيقة المحمدية الذي تعينت في نهاية الدورة النورية الجمالية بصورة الكلام وبفوت أحكام الإسلام والإنزال عن إظهار ما كان كامنًا في خزانة أحديتها الجمعية أو إخراج ما كان كامنًا في استعداده الذاتي الذي اقتضاه التجلي الذاتي وهو الفيض الأقدس في نهاية الدورة الصغرى النورية التي هي أمر الأدوار النورية الجمالية الوجودية

بصورة ما كان أمر الصفات الذاتية وهو الكلام الذي هو صورة الإرادة والمشيئة الذاتية: 

والمشيئة إنما هي الشهود الذاتي الظاهِر في الجبروت بصورة العلم فحيث قال على عبده يكون المراد الدورة الصغرى وإذا على محمد يكون المراد الوسطى وحيث خاطب بقوله: عليك يكون الدورة الكبرى والعظمى. قال محمد الباقر رضي الله عنه: الحمد لله خمس منن منها منة الأمن على النفس، ومنها منة الآلاء على القلب، ومنها منة التوحيد على الفؤاد، ومنها منة المعرفة لله، ومنها منة المحبة على الروح، جعل هؤلاء الخمس خزينةً ثم قال: أنتم خزائني وزينة الأرض فأعطيتهم الخزينة ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: 7] ومن عمّر خزائني عمرته برضواني ومن خرب خزائني فأبعده عن قربي ورضواني ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: 1] أي لا خلل فيه لا من جانب اللفظ الذي هو مقتضى النور والجمال ولا من جانب المعنى الذي هو مقتضى الظل والجلال.

﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ من جهة الجمال والجلال ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ أن من جمعيتهما ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ اللايقة بحضرته الألوهية وهي العبودية الصادرة عن الكمال الجمعي، والجمع الكمالي الذي يظهر في زمانِ ظهور الخلافة العظمى وبروز الإمامة الكبرى في عهد المظهر الموعود والكامل المظهر المعهود في كل زمانٍ ودور وتمام عصر وكور ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ في هذا الزمان والوقت ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: 2] كمالًا تامًّا وكلامًا كاملًا عاملًا ذا إشراقات أنوار شموس العدالة يظهر في زمانه في كل شيءٍ ظاهرًا وباطنًا بارزًا وكامنًا جمادًا كان أو نباتًا حيوانًا أو مولدة ومبعثةً وممتدة ماء وراء النهر، وقد صرح به شيخ المشايخ المحققين محيي الدين بن العربي وشيخ العارفين شيخ سعد الدين الحموي قدس الله سرهما وقد بينت حالهما ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: 9] أصحاب الكهف هم مظاهر الأسماء السبعة الذاتية التي سيجيء أصحاب الرقيم هم مظاهر حقائق الأقنوم الثلاثة التي هي الأب والروح والقدس كما أخذهم النصارى، وهي العلوم الثلاثة القائمة بالمعلول الأول وهي العلم باللّهِ وبنفسه وبما دونه من المعلولات من

الصور العاقبة والنفوس والأفلاك، والكهف هو النشأة العنصرية والجمعية المعنوية والصورة القائمة بالإنسان والناسوت، والمراد بالكهف هي الجمعية العظمى في الجبروت بين الذات والأسماء والصفات الذاتية، فإن أعيان مقتضيات الأسماء المذكورة تأوي إليها بحسب الذات، الأدوار الإلٰهية والكونية الإفرادية والجمعية، فإن لهم في الأدوار المذكورة والأكوار المذبورة بروزات ونشآت وظهورات، أما البروزات والنشآت ففي الأدوار والأكوار والظهورات الجمعية الأصلية الفرعية ففي الإفرادية.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ [الكهف: 11، 12] يريد من يومهم ونومهم ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ يريد الملوك الذين تداولوا المدينة ملكًا بعد ملك والحزبان أيضًا أصحاب الكهف حِزب والملوك حزب ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ [الكهف: 12].

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: 13] يريد خبرهم بالحق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ صدقوا بالبعث والموقف والحسبان والعقاب والأجر والثواب ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13] يقينًا.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ باليقين والصبر والإحساس ﴿إِذْ قَامُواْ﴾ من بعد نومهم ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يريدون واحدًا فردًا لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا ﴿لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾ شريكًا وسيدًا وخالقًا ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: 14] من ضادّ الله فقد أشط وافترى وكذب.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥﴾

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ﴾ جعله معه شريكًا له ﴿لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ﴾ فلا يأتوا على ضالتهم بحجة بينة ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ [الكهف: 15] من أسوأ حالًا ممن كذب على اللّهِ وزعم أن له شريكًا أو صاحبة أو ولدًا.

﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾

﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ يريد أصحاب الكهف حيث اعتزلوا قومهُم ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يريد لم يعتزلوا إلا من تعبد الله أي لم يعبد أصحاب الكهف إلا الله ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ رأسهم يمليخا هذه مقالته ﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ [الكهف: 16] يريد ليسهل عليكم ما خوفكم من الملك وظلمه ويأتيكم الله من اليسر واللطف والرفق.

﴿۞وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾

﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ﴾ يريد تميل عن باب الكهف ذات اليمين يريد بأنهم لا يحرقهم حر الشمس عن أيمانهم ولا يصيبهم الضوء ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ﴾ يريد في فسحة منه، وقال بعضهم في ناحية ﴿مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ﴾ من رحمته وعجائبه ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ﴾ يريد من يرشد الله فهو المرشد ومن يضلل ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [الكهف: 17] يريد من يخذل الله فلن نجد له وليًّا مرشدًا يرشده.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ يا محمد ﴿أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ لئلا يأكل الأرض لحومهم ولا يبليهم ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ بالفناء قال بعض أهل الألباب: فقد كانوا التقوا براعي كان على دينهم فأتبعه بكلبته ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: 18] فزعًا.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ حيث استيقظوا من نومهم ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ قالوا: كم لنا مدد حللنا الكهف ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ وكانوا في ذلك الزمان الذي هربوا فيه من ذلك الملك يأكل الميتة ويعبد غير الله ويضرب الدراهم على صورته أزكى طعامًا أحل الذبائح ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ في سر وكتمان ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 19] لا يخبر بمكانكم أحدًا من المدينة بشيء من أمركم.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ [الكهف: 20] يقتلوكم مثل قوله لإبراهيم: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: 46] ومثل قول موسى: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ يريد أن يقتلوني ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ يردوكم إلى دينهم ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 20] رجعتم إلى دينهم لم تسعدوا لا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ أقول: أنزلنا وعرضنا على آذان بدنهم وجسدهم حجابًا للإنصراف إلينا ونقاب التوجه والانعطاف لدينا لئلا تأتيهم الأصوات ويصرفهم عنا إلى الكثرات حال كونهم ﴿فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: 11] أي ذات عدد.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أي أيقظناهم ورددناهم إلى عالم المحسوسات ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي ليتعلق علمنا تعلقًا حاليًّا مطابقًا لما عندنا حاضرًا واستقبالًا بأنه سيوجد يعني ليظهر لكم ويحصل عندكم تعلق علمنا بأنه ﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ أي إحدى الطائفتين من أصحاب الكهف يعني لما تنبهوا وانتبهوا صاروا فرقتين قالت إحداهما: كم لبثنا؟ قالت الأخرى: لبثنا يومًا أو بعض يوم، قال إحداهما: أصحاب الكهف والأخرى أهل القرية إلى أن خرجوا من بينهم قيل: إحداهما الله والأخرى هم الخلق يريد الملوك الذين تداولوا المدينة ﴿أَحْصَىٰ﴾ أكبر حفظًا لعدد ﴿لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ [الكهف: 12] أو هو الدهر كما ورد في الحديث: «**خلق الله تعالى الدنيا على سبعة آمادٍ**»، الآماد جمع أمد والأمد هو الدهر الطويل لا يحصيه إلا الله. والمراد ههنا الزمان أي أكثر حفظًا لزمان لبثوا فيه ووقت مكثوا أي استفهام أحصى فعل التفضيل خبره والموصول عبارة عن الزمان.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم﴾ قصتهم استئناف ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل والصدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ جمع فتاة كصبية وصبي وهو الشاب استئناف قصتهم وبيان ﴿ءَامَنُواْ﴾ أو صدقوا ﴿بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ﴾ أوعدناهم ﴿هُدًى﴾ [الكهف: 13] رشدًا ورشادًا إلى معرفة الله والعلم به بتوفيق اللّهِ وتثبيته.

﴿وَرَبَطْنَا﴾ وأنزلنا وأفرغنا ما أزعنوا ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ تثبيتًا وصبرًا على قصد ﴿إِذْ قَامُواْ﴾ أي حين قيامهم بين يدي الجبار دقيانوس من غير مبالاة والتفات به وبقهره له وانتقامه وغضبه حين عاقبهم على تركه عبادة الأوثان وفرك سجدة الأصنام بين الأنام وكذا في الخلق من جزاء يوم من الأيام ﴿فَقَالُواْ﴾ إذ قال لهم من ربكم وإلٰهكم وخالقكم ﴿رَبُّنَا﴾ وخالقنا ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وخالقهما وخالقكم ورازقنا ورازقكم ليحيينا ويميتنا وهو أحق بالألوهية والربوبية والعبادة ﴿لَن نَّدْعُوَاْ﴾ ولا نبتغي ولا نطلب ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ من غيره ﴿إِلَٰهًا﴾ وخالقًا وربًّا مصنوعكم ولا مصنوع ربنا وربكم من الملائكة والسماوات والكواكب والعناصِر وغيرها ولو

قلنا غير هذا القول الحق ﴿لَقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: 14] قولًا ذا شطط وهو الإفراط في الظلم والضلالة والكفر والجور والخسارة.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الذين قاموا بين يدي الجبار دقيانوس وعبدة الأصنام ﴿قَوْمُنَا﴾ وأقاربنا وعشائرنا وقبائلنا هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ خبره وهو إخبار بمعنى إنكار ﴿لَّوْلَا﴾ هذا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ أي ببرهان ودليلٍ ظاهرٍ على عبادتهم الأوثانِ بإضمار المضاف، هذا تبكيت وإلزام وتسكيت، إذ إقامة البرهان على عبادة الأوثانِ وعلى إثباتِ أمر هو بين البطلان مستحيل، دليل على بطلان التقليد، وعلى فساد التقييد بأمرٍ لا دليل عليه، وعلى أنه في نفسه باطل لا حاجة إلى دليل ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: 15] بانتساب الشرك والشريك والإشراك.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ يمر يعني استبعدوا الفتية عن قومهم عما يعبدونه من الأوثانِ ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي أنهم لما يعبدون غير اللّهِ ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ جزاء الشرط عامل فيه أي اعتزلوا القوم وما عبدوه وقت قصدهم الإيواء إلى الكهف وقول بعضهم لبعض ممن افترى على اللّهِ كذبًا والحال أن حالهم أنهم لا يعبدون غير اللّهِ ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ ورزقه ويبسطه ويوصله لديكم في الكهف بقوة إيمانكم باللّهِ وفور التوكل عليه ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم﴾ ويسهِّل عليكم من شغلكم وعملكم ﴿مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: 16] بكسر الميم وفتحها ما يرفق ويتبع به هذا ما أن يقول بعضهم لبعض: واثقين بفضلهم ومستحكمين في أمنيتهم ودرجاتهم وكمال توكلهم وصفاتهم، أو بكمال قوة الإيمان باللّهِ وبحكم عقلهم الصريح أدّبكم الإعلام عن اللّهِ أو بقوة الوارد والخطاب منه تعالى، أو بإرشاد رجل كامل وإمداد نبي واصلٍ أو حكيم إلهي عالم عامل، وإما أن يكون حكم بعضهم بالوحي لكونه نبيًّا والباقي أمته.

وهذا كما قال وهب بن أمية: أن أحدًا من حواريِّ عيسى عليه السلام قصد مدينة أصحاب الكهف، وكان على باب المدينة صنم كل من أراد أن يدخل المدينة يسجد لهذا الصنم، فلما جاء هذا الحواري وأراد أن يدخل المدينة كره أن يسجد له، وكان خارجًا وكان خارج المدينة حمام فأجر نفسه لصاحبه، وكان يكتم إيمانه، فاطلع أصحاب الكهف على حاله، فاجتمع عنده فأظهر إسلامه وإيمانه لهم ودعاهم

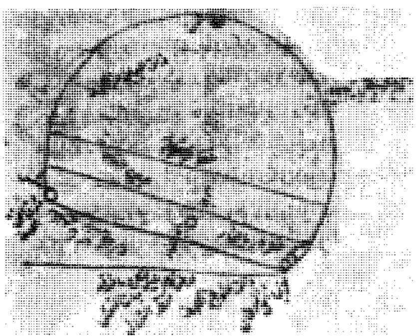
إلى الإيمان بعيسى. وكان لملك المدينة ابن فدخل هذا الحمام بامرأة فإذا قتل ابن الملك مع المرأة فطلب الملك الحمامي وسأل عنه قال: عندي رجل له طور غريب وراء طور الخلق، ويجتمع عنده فتية من المدينة، فأرسل الملك إلى طلبهم، فعثروا به، ففروا منه، وقصدوا الكهف، ووصلوا إلى مزرعتِهِ، فصاحب المزرعة قد عرفهم واطلع على حالهم، وكان كلب له فأتبعهم بكلبه فردوا الكلب، فقال الكلب: لم تردوني فكما أن لكم إلٰهًا تطلبونه أنا كمثلكم طالب له، فلما أخبر الملك عرفوا فرارهم، فخرج بعساكره في طلبهم، فلما وصلوا إلى بابه طرأ عليه الرعب والخوف فرجع وعاد، وكان على باب الكهف عين جارية وشجرة مثمرة، فأمر الملك أن يسد باب الكهف، وكان أصحاب الكهف لما دخلوا الكهف تحدثوا من أحوالهم وقد طرء عليهم الإعياء فأخذهم النوم، وطرأ عليهم النعاس فناموا ما ناموا فنبههم الله عن منامهم، وخرج بعضهم عن الكهف، ولما رأى العين والشجرة تحير وتعجب من هذه الحالة، فدخل عليهم وأخبر عن هذه الحالة، فقالوا: كم لبثتم؟ قال بعضهم: يومًا أو بعض يوم، فقال نبيهم وكبيرهم: لا تختلفوا فإنه لم يختلف أقوام إلا هلكوا.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾ من مشرق أفق الكهفِ وارتفعت شيئًا فشيئًا إلى النهاية ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ صلة تتزاور فخففت بالإدغام وجلبت الهمزة لتعذر الابتداء بالساكن أو بالحذف من الزور وهو الميل عن الصدق والصواب. والخطاب إما للرسول عليه السلام أو بكل أحد يصلح للخطاب ﴿عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ ارتفعت الشمس عن الكهف يعني لا تُسامت رؤوسهم لتضرهم بحرارة إشعاعها وتقبع الشمس عن الكهف جنوبًا ذاتًا عن الشمس عند كون الشمس في البروج الشمالية، سيما في البروج الصيفية في أعظم المدارات اليومية، وهو مدار رأس السرطان وما يقرب منه من آخر الجوزاء، وأولى السرطان ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ وتقطعهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: 17] أي متسع من الكهف وفي وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس، وذلك لأن باب الكهف في مقابلة النعش، وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاتهم رأس السرطان ومغربه، والشمس إذا كانت على مدار رأس السرطان يطلع ما يلقيه مقابلة لجانبه الأيسر، فيقع شعاعها على جنبيها ويحل عقوبته ويعدل هواه ولا تقع عليهم أجسادهم وتبلى أبدانهم وأجسامهم.

هذا خلاصة كلام تفسير القاضي البيضاوي وفيه ما فيه لأن قوله: وباب الكهف في مقابلة بنات النعش كلام مبهم لأن بنات النعش عبارة عن الكواكب السبعة المتفرقة التي تدور حول القطب الشمالي شرقًا وغربًا في خط الاستواء، وفي بعض الآفاق المائلة ليس لها طلوع وغروب بل أبدية الظهور، فلا يعلم أن مقابلته لها هما حال كونها شرقية أو غربيةً أو محاذية للقطب على الدائرة المارة بالأقطاب الأربعة لدى انطباق دائرة نصف النهار عليها وانضمام اثنين عرض الكهف والإقليم الذي هو فيه ولا طول الكهف بلده ولا مقابلةٍ باب الكهف، فإن مدار رأس السرطان يختفي شرقًا وغربًا بحسب عرض البلد وطوله، فإن عرض البلد إذا كان مساويًا بالتمام الميل الكلي وهو شيء. وكانت الشمس على مدار رأس السرطان، ففي ذلك اليوم لا تطلع الشمس في ذلك البلد مقابلة لباب الكهف ولا في ما زاد على هذا العرض في عرض سبعين إلى تسعين، فإن في هذا العرض لا طلوع ولا غروب بل الشمس فيها أبدي الظهور إلى ستة شهور.

وأما ما عدا هذه العروض مما كان عرض البلد أقل منه تمام الميل الكلي فيعرف من هذه الدائرة، وأما ما كان مساويًا للميل الكلي فهو في غاية الحرارة إلا أن الحالة عند طلوع الغروب تكون بالنسبة على غيرهما من باقي اليوم والنهار معتدلة، وكذا إذا كان عرض البلد أقل من الميل الكلي تكون الحرارة أيضًا في الغاية ويكون البلد ذا ظلين شماليًا وجنوبيًا.

واعلم أن طلوع الشمس مقابلة لباب الكهفِ المقابل لبنات النعش إنما يكون إذا طلعت على بعض المدارات الشمالية الغربية بمدار رأس السرطان كمدارات آخر الجوزاء وأول السرطان وكان عرض البلد أقل من تمام الميل الكلي وأكثر من الميل الكلي في الإقليم الرابع أو الثالث والله أعلم.



وأما إذا كانت على غير هذه المدارات اليومية فلا تتصور هذه المقابلة والصورة ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي شأنهم وأبدانهم وركونهم إلى الكهف ووضعوا وضع الشمس واختلافهما بحسب اختلاف عروض البلد وحلوا في المدارات الشمالية إلى مدار رأس السرطان بأن فيها حكم ومصالح وأسرار عويصة وأنوار حريصة ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وأماراته ودلائله وأطوار علاماته على كمال حكمته ووفور قدرته ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ ويرشده بكمال عنايته وبنور هدايته إلى شهود نعمته وردود رحمته وعهود معرفته ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ الذي وجد الرشد والرشاد والفلاح والسداد، أو والمراد بهذا إما الثناء أو المحمدية عليهم وكمال عناية الله بهم والشفقة عليهم، أو التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة، فلا ينتفع بها إلا من وفقه الله للتأمل فيها والتدبر في أسرارها، ولا يمتنع من التأمل فيها إلا من خذله الله وأضلّه بعده من كنف عطفه ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ يذلله ويخذله ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: 17] من يلي أمره ويرشده ويصلحه، ويبين له أسباب فلاحه، ويفتح عليه أبواب هدايته ونجاحه من أنواع الرياضات وأصناف المجاهدات، والمواظبة على أوراد المشاهدات ليوصله إلى شهود أسرار الوجود والاستشراف على الاطلاع على المعارف المعهودة.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ جمع يقظة كإنكار في نكرة لكونهم حاضري القلب حاصري السر والفؤاد والغيب، ولكثرة تقلبهم من جانب إلى جانب ومن جنب إلى جنب ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نيام. نقل أن جبرائيل عليه السلام قال: كان تقلُّبهم كيلا يأكل الأرض جسدهم ولحومهم ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ في رقدتهم ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ قرئ بالياء وفاعله هو الله أو جبرائيل بأمره وتقلبهم على المصدر منصوبًا بالفعل يدل عليه وتحسبهم وترى أي ترى تقلبهم ﴿وَكَلْبُهُم﴾ هو كلب راعٍ وصاحب الزرع اسمه مردايه، فتبعهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال: أنا أحبُّ أحباء اللّهِ فأنتم ناموا وأنا أحرسكم فتبعهم. قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: اسمه ريان. عن ابن عباس: اسمه قطمير، قيل: تثور أو ثور ﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ يديه إلى مرفقيه ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ ببناء الكهف قيل بالباب أو الفينة على سبيل الحكاية عن حال ماضيه لأن اسم الفاعل لا يعمل إلا إذا كان في معنى الحالِ أو الاستقبال وإذا كان بمعنى الماضي ولا يعمل ولذا يكون إضافة حقيقية ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وعثرت ونظرت إليهم

﴿لَوَلَّيْتَ﴾ وهربت وفررت ﴿مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: 18] لما أكسبهم الله من هيبته وعظمته وقهرمانه وجلالته فلا يستطيع أحد أن يدخل عليهم حتى يبلغ الكتاب فيوقظهم الله من رقدتهم، عن ابن عباس قال: غزونا مع معاوية نحو الروم، فمررنا بالكهف فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال ابن عباس: قد منع هؤلاء من هو خير منك فقال: لو اطلعت عليهم لولّيت منهم فرارًا ولملئت إلخ فبعث معاوية لنا فقال: اذهبوا وانظروا فلما دخلوا الكهف بعث عليهم ريحًا فأخرجهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كما أعناهم في الكهف وحفظنا أجسادهم وأجسامهم من التعفُّن والبُلى كذلك ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ من النوم الذي هو أخ الموت ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ تساؤل بعضهم بعضًا واللام لام الإضافة إذ هم لم يبعثوا للسؤال ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ وهو رئيسهم ومقدمهم ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ثم نظروا إلى الشمس وهو مر، فلما نظروا إلى شعورهم وأظفارهم علموا أنهم ناموا أكثر من يوم ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا﴾ أمر من بعث يبعث بعثًا أي أرسلوا ﴿أَحَدَكُم﴾ يمليخا ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ بضرب دقيانوس الجبار ﴿هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ قيل طرسوس ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أي أحلها وأطيبها وأجودها ذبيحة مؤمن لا كافر ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ وليرفق في الطريق أو التخفي في المدينة ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 19] ولا يعلمنّ مكانكم أحدًا. فلما جاء إلى المدينة وجد أهلها كلهم مؤمنين موحدين مسلمين وتعرفونهم من ورقهم دقيانوسية، فإذا فطنوا بتعرف القوم إياهم مالوا إلى الكهف والقوم اتبعوا بهم، فلما دخلوا الكهف والقوم بالباب وقصوا عليهم القصص، دعوا الله مخلصين أن يحجبهم عن أعين الناس، فاحتجبوا عنه فولُّوا أدبارهم وامتلأت قلوبهم رعبًا وخوفًا، فقال أصحاب الكهف ـ أي إلى ما كانوا عليه من الرقود ـ: لا يموتون ولا ينقلون من دار إلى دار، فإذا هم بآيات الله وعجائبها وغرائب آثار كمال قدرته.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا﴾ أي إن يظهروا ويطلعوا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أو يظفروا بكم وضمير إنهم راجع إلى الأهل المقدر في إنها أو ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ ويقتلوكم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 20] أي يدخلوكم في دينهم وتتبعوهم في الإشراك والكفر والضلالة.

إشارة وتأويل

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: 11] إشارةً إلى كمال استئناس الأطوار ووفور أعيان الأدوار وأكوار الأكوار بالوحدة الجمعية والأحدية الجمعية ورجوعهم إلينا آنًا فآنًا لأنها أصلهم ومحتد وجودهم، ومن حيث المفهوم الجزلي والمعلوم الوضعي المطابقي الذي يعتبر العقل باب أحدهما الآخر بحيث يصدق أحدهما الآخر بالمواطأة، فالأول مقتضى المحبة الذاتية وهي باطن العلم المتعلق بالكثرات وظاهره يتعلق بالكثرات، الكونية وصورته العقل الكلي والمعلول الأول، كما أشار إليه بقوله: «**كنتُ كنزًا مخفيًّا فأحببتُ أن أُعرف فخلقت الخلق لأُعرف**» ليعلم ويظهر مرتضى ظاهر علمنا في بداية الدورة العظمى في النشأة العليا لا بطريق الحدوث والكون بل بطريق البروز والكمون على سبيل التبادر، فإن اقتضاء الأسماء الأولية متبادلة ظهورًا وخفاءً إذ في الفرداريّة العلمية يظهر أحكام وتختفي أحكام سائر الأسماء، أعني الحي والقدير والمدبر والسميع والبصير والمتكلم.

وإلى هذا أشار بقوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: 11] وهذا الاختفاء يظهر فما الدورتين أحدهما في الفردانيّة الإفرادية والثانية في الفردانية الجمعية أيُّ الحزبين أعيان الدورة النورية وأكوان الكورة الظلية أو الأعيان والأكوان الإفرادية أو الجمعية أحصى أكثر عددًا وأوقر تعدادًا، ولما لبثوا أمدًا دهرًا طويلًا لا يحصيه إلا الله، فإن للأعيان والأكوان لبثان ومكثان أحدهما في الدورة الإفرادية، والثاني في الجمعية التي هِي كهف التجلي الذاتي الجمعي الذي يظهر تارة في مرتبة اللاهوت، وأخرى في الناسوت بصورة الجمعية الإنسان العارف والكون الجامع الواقف على سبيل التبادل بمحض ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [الأعراف: 101] أي الحقيقة المحمدية السيارة ظاهرًا وباطنًا صورةً ومعنًى في الأدوار والأكوار النورية الظلية الإفرادية والجمعية

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ وقصتهم وخبر حركتهم ودورتهم في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية بالحق والصواب والصدق، بأن أداره وأثاره تارة في الدورة الوجودية وأخرى في الدورة العدمية كما يقتضيه الوجود والإطلاق ويرتضيه الذات والبحت ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ في الأدوار الإفرادية

﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ﴾ في الجمعية ﴿هُدٗى﴾ [الكهف: 13] وتحققًا بالبقاءِ الإلهي والتحقق بالذات بتمام الأسماء والصفاتية الإلٰهية والكونية.

﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [الكهف: 14] أي أفرغنا السكينة والثبات والطمأنينة على اللطيفة القلبية التي توجهت عند استلام دقيانوس النفس الأمارة إلى المبدأ الأعلى والمبدأ الأولى ليتقوى به ويستعلي على دفع دقيانوس الذي هو المولود الجني إلى اللّهِ ﴿إِذۡ قَامُواْ﴾ أي معارضهم بدقيانوس النفس الأمارة ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ومدبر الدورة الجمالية والكورة الظلية الجلالية إشارة إلى كمالِ جمعية الأطوار القلبية وجمعية الكمالات الجمعية الغيبية والغيبية التي عند اجتماع مقتضات الأطوار المذكورة في كهف كمال الجمعية المذكورة ﴿لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾ [الكهف: 14].

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي أعيان الأدوار والأكوار ﴿قَوۡمُنَا﴾ وأجزاء وجودنا وأعضاء مطية شهودنا. لما تحقق من أن كل جمعية كمالية لا تتأتى إلا بالأجزاء والبسائط والأعضاء ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ﴾ غير رب الأرباب ومسبب الأسباب ﴿لَّوۡلَا يَأۡتُونَ﴾ هلاّ أي لا يأتون أبدًا ﴿عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ﴾ أي بجذب إلهي وجرٍّ رباني ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ [الكهف: 15] بأنّ تأثير سلطان قدرة الحق مخصوص بفردانيّة النور والجمال دون الظل والجلال الذي الشيطان مظهره كما قال مجوسي: النفس الأمارة بإلقاء إبليس وهم القدرية بأن مرتضيات الجلال وهي الشرور والمفاسد والمعاصي الصادرة من العصاة لأخذه إياهم النواصي إنما هِي من النفوسِ والشيطان وإبليس، لأن الله تعالى لكونه خيرًا محضًا لا يليق بالشر، وهم لفرط جهلهم لا يتحدثون بأن جعلهم إبليس شريكًا لِلّه في الفعل والخلق أشر وأقبح وأخزى وأفضح من أن يجعل الله فاعلًا للشر.

﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ والحال أنهم ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ الواحد الحق والفاعل والمؤثر والخالق المطلق وقت انصرافهم عن خصوصية فردانيّة النور والجمال والظل والجلال وإذا كان كذلك ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ [الكهف: 16] الجمعي الإجمالي اللاهوتي مادة، وأخرى إلى غار كماله الإحاطي التفصيلي الناسوتي على سبيل التبادلِ برفع القيود والاجتهادِ والجهات ودفع الحدود والقيود من الممكناتِ في العروج والترقي، فيصير وينقلب الناسوت لاهوتًا، وفي النزول

والتدني والتعبُّد بصور الأسماءِ والصفات وبنعوت الآثار والكثرات فيصير وينقلب اللاهوت ناسوتًا فيرفع لواء الألوهية في حرمة الكون الجامع ومرتبة الناسوت الجامع الرافعِ كما ينقلب في بحر الحب وبر المحبة الذاتية العاشق والمحب بنعت المحبوب، وصفة المعشوق والمحبوب، والمعشوق بصفة العاشق ونعت المحب لتساوي نسبة الحب والمحبة إليهما لتساوي مطلق الوجود والذات البحت بالنسبة إلى المراتب كلها. وهكذا تستوي المراتب إلى مطلق الوجود والذات البحت، فإذن لا يتعين حصة من مطلق الوجود والذات البحت بالنعت اللاهوتي والوصف الناسوتي بل يجب أن ينتقل النعت اللاهوتي والناسوتي ويدور في الحصص الوجودية، وهذا الانتقال دفعي آني لقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: 29] وإلا لزم التحكم. وتدريجي دوري يظهر بعد الأدوار والأكوار، وهذا الحكم سار في الأفلاك الكلية مثلًا أن يعطيه الاعتدال الربيعي والخريفي، وهما يعطيان مبنيان في العرش والكرسي، وهما مبدآن للأدوار الفلكية وحركاتها، وهما بحسب النوع إذا كانتا معنيين ثابتين لا ينقلبان إلا أنهما بحسب الشخص يتبدّلان، وكذا جميع النقاط المفروضة بينهما عليهما.

وهذا التبدل والانتقال كلي وجزئي، وأما الكلي فهو في صور البروج ودرجاتها وضيقها والمبادئ الكلية كالميل الكلي وتمامها ونقطتي الانقلابين الصيفي والشتوي. وأما الجزئي فهو الانتقالات المفروضة على الأفلاك كلها ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ الكلية ونعمته الجمعية النورية القريبة الأصلية ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم﴾ الجمعي الظلي النوري والغيبي والحضور المعنوي والصوري ﴿مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: 16] مقامًا يرفق فيه.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾ أي التجلي الذاتي ﴿طَلَعَت﴾ ظهرت ﴿تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ أي عن كهف الكمال الجمعي والأحدي الوصال المعي بمقتضى الأسماء السبعة الذاتية، إلى الأدوار النورية ومقتضياتها الوجود التي هي عين شمس التجلي الذاتي ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ [الكهف: 17] واختفت في مقتضيات الظل والجلال الظاهرة في الملك والشهادة بصور الأجسام.

واعلم أن الكهف الجمعي وجودين وظهورين أحدهما عند غاية النزول والخروج والثاني عند نهاية الترقي، وأحدهما اللّاهوتي والآخر ناسوتي، والأول

آفاقي والثاني نفسي، وكل منهما إما دفعي تدريجي، فالأول يظهر في كل آن ونفس وشأن ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]، والثاني يظهر بعد الأدوار والأكوار في الأحدية واللاهوت بالوحدة الجمعية الإجمالية والتفصيلية وصورتهما ومعناهما واحد، فإذا صعدت إلى أوج أحدية الذاتية صادق كهف الوحدة الجمعية التفصيلية ذات الشمالِ وإذا انهبطت انعكس الأمر. ويسمى الأول الكهف والثاني الرقيم، وأعيان الأولى هم أصحاب الكهف، وأكوار الثانية أصحاب الرقيم هم أصحاب الأقنوم الثلاثة التي هي اعتبار الجمعية الأحدية بثلاثة وجوه:

[**الأول**]: وهي إلى ما فوقها.

والثاني: إلى ما دونه وغيره.

والثالث: إلى النفس كما علمها.

وهو في فجوة منه إشارة إلى تنوع الجمعية وتطور أحدية النوعية.

فإن المفهومات الكلية والمعاني الأصلية جمعية أحدية واحدية نوعية وحدة جنسية تظهر في بداية الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وفي الأطوار السبعة القلبية في كهف جمعيتها ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ ويرشده إلى صدقات الأحدية اللاهوتية والوحدية الذاتية الثابتة، وفي كل المراتب السماوية في كل المطالب رجل المآدب والمناقب ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: 17] كاملًا في الأدوار والأكوار وتمام الأطوار وعموم الأنوار الوجودية، والأسرار العدمية، وشهود التجليات الذاتية والصفاتية والأفعالية والآثارية، والصورة الجمعية، والهيئة الكلية في مظهر الصورة النوعية، وخصائصها من الفناء في الله والبقاء بالله، والمظهرية والكلية وغير ذلك من الحالات والمقامات.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ﴾ أي بعثناهم بعد الفناء في الله بالبقاء بالله ليتنكروا بالسؤال عن الحالات والكمالات الأحدية التي انعكست حالة الفناء من الذات الأحدية إلى حقيقة العارف في الله، والبقاء بالله وهي الأسرار الخفية لا يطلع عليها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ في كهف الفناء في الله ومما انعكست الأسرار الإلهية الأحدية وأنوار مطلق للوجود ﴿قَالُواْ

﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [الكهف: 19] إشارة وتلويح إلى الانبعاث من الحضرة الإلٰهية والانبثاث من المرتبة الأحدية إلى الواحدية ومن الواحدية إلى الملكوت إلى النشأة الناسوتية لتكميل النواقص بالمناسبة المشتركة بين النفس الدقيانوسية وبين الطور القلبي والسري والروحي والخفي والحقي، وهي الورقة واجب إلى شرائط التكميل ووظائف الإرشاد، وبأن حق الإرشاد والتكميل أن يتكلم الطالب بقدر فهمه وإدراكه، وكذلك سائر الخلائق، قال النبي عليه السلام: «**كلّموا الناس بقدر عقولهم**»، وقال أيضًا: «**حدثوا الناس بما يعرفون ولا تحدثوا فيما ينكرون فيكذبون اللّه**». ﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ [الكهف: 19] وعلمًا ومعرفةً وإدراكًا وكلامًا.

﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ﴾ أي أهل المدينة سيما أهل التقليد من العلماء الأمية فإنهم يقترحون قتلكم ﴿أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ﴾ [الكهف: 20] إلى طور التقليد ما يعين أصحاب التحقيق والتوجيه عن الاعتقاد الحق والاعتذار بالصواب والصدق.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ۝٢١﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ يريد وكذلك أظهرنا عليهم ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ يريد البعث والثواب والأجر والعقاب ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ لآتية ﴿لَا رَيۡبَ فِيهَا﴾ يريدن أن القيامة لا شك ولا ريب فيها ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ﴾ [الكهف: 21] وذلك أن الرجل خرج ليشتري طعامًا لما وقف البياع ونظر إلى درهمه، فإذا عليه صورة دقيانوس الملك، فظنوا أنه وجد كنزًا، فأقبلوا عليه حتى ارتفع أمرهم إلى الملك، فقال الملك: من أين أنت؟ قال: من هذه المدينة قال: بها ولدت؟ قال: نعم قال: تعرف منزلك؟ قال: نعم فأرسل معه إلى منزله، فإن كلما يعلمه ويعرفه قد يعبر بها ولا شيئًا مما كان يعرف [فسأله] من كان الملك؟ قال: دقيانوس، وإذا تذكر شيئًا قديمًا فجاء الملك فقال الرجل: إن لي أصحابًا هم أعرف مني بهذا فركب الملك معه، وكان من قصد أن رجلًا كان جد جده يملك

ذلك الكهف له فيه غنم يأوي إليه في اللّيل فشكا ضيق منزله فاشتهى أن يكون لغنمه قال له رجل جار له شيخ كبير: قد حدثني أبي أن جد جدك كان يملك الكهف الذي في الجبل له غنم يأوي إليه بالليل، فلو أنك فتحته، ففتحه فإذا هو موضِع جيد فأقبل بقطع الحجارة التي بنيت على باب الكهف والرقيم فيها. فلما فرغ بعثوا هؤلاء من نومهم ولم يروا ما صنع وقد هرب ذلك الرجل من الفرق. فلما أتى الملك وأصحابه ظهروا عليهم ودخل ذلك الرجل إلى الكهف إلى أصحابه فبينما هم يتكلمون ويخبرون إلى أن ألقي عليهم النوم وظهر الملك على ذلك الكتاب الذي في الحجر أو في اللوح الذي هو من رصاص وعرف وأيقن من لقاء قصصهم في إيمانهم بمحمد ﷺ وعلم أن هذا من الله علّمها إليه ليوقن ويؤمن ويعلم أن لله عاقبة فيها ثواب وعقاب، ثوابًا لمن أطاعه وعقابًا لمن عصاه، وأقبل أهل مملكته ينبئونه وازدادوا يقينًا وإيمانًا ﴿فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا﴾ يريد استرهم من الناسِ ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ يريد المؤمنين الذين لم يشركوا بالله ولا في أمرهم وكانوا غالبين في ذلك ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: 21] فذكر في وقتهم أنه جعل على باب الكهف مسجدًا يصلى فيه.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ﴾ إلخ أنه أخبر الله تعالى عن ما يجري في عدد أصحاب الكهف فجرى ذلك في المدينة خبر وفد نصارى نجران، فجرى ذكر أصحاب الكهف فقالت اليعقوبية منهم كانوا ثلاثة رابعهم ﴿كَلْبُهُمْ﴾ وقالت النسطورية ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ وقال المسلمون ﴿وَيَقُولُونَ﴾ كانوا ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فقال الله تبارك وتعالى: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ من الناسِ قال ابن عباس أنا من ذلك القليل ثم ذكر بأسمائهم فذكر سبعة ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً﴾ أي لا يجادل في أصحاب الكهف إلا مراءً ﴿ظَـٰهِرًا﴾ أي بما أنزل عليك أي أنت في قصتهم بالظاهر الذي أنزل إليك لا يعلمهم إلا قليل ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾ في أصحاب الكهف ﴿مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 22] من أهل الكتاب أحد.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: 23، 24] هذا تأديب من اللّهِ لنبيه وأمره بالاستثناء بمشيئة اللّهِ فيما يعزم ويقول: إذا قلت لشيء إني فاعل ذلك غدًا فقل إن شاء الله ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ الاستثناء بمشيئة اللّهِ تعالى ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 24] ليعطي ربك من الآيات على النبوة ما يكون أقرب من الرشد وأدل منه قصة أصحاب الكهف، ثم فعل الله به ذلك حيث أتاه علم غيوب المرسلين وخبرهم بما أخبرهم عن مدة لبثهم في الكهف بقوله:

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ﴾ منذ دخلوا إلى أنّ بعثهم الله ﴿ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [الكهف: 25].

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ منه يخلف في ذاك ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ علم بما غاب فيهما من العباد ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ فابصره بكل موجود وأسمعه بكل معدوم ومعدود ﴿مَا لَهُم﴾ أي لأهل السماوات والأرض ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ الله ﴿مِن وَلِىٍّ﴾ ولا ناصر ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: 26] فليس لأحدٍ أن يحكم بحكم لم يحكم به عليهم.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ القرآن ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لا مغير للقرآن ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: 27] ملجأ.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ مفسر سورة ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ لا تصرف بصرك عنهم إلى غيرهم ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يريد مجالسة الأشراف وذوي الأنساب وأهل الحسب وأهل الغناء ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: 28] مثل قوله في عبس: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ يريد تصداه أبو جهل يريد عتبة بن ربيعة وأمية بن خلف ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ يريد يقول: لا إلـه إلا الله ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ إلى طاعات الله والإخلاص بحب فيرضى ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ يريد يخشى الله ويتقيه ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس: 5 - 10] يريد تتلهى بها ولا الذين جاؤوا أو هو ابن أم مكتوم الأعمى واسمه عبد الله بن عامر من بني عامري لؤي ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ يا محمد ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ يريد عتبة وأشباهه ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28] يريد أنه أفرط في سبيله وأحب أن يرتفع عند اللّهِ وتعترفوا.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَقُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يريد أنه لا يرتفع عند الله إلا من اتقاه وعمل له بطاعته ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن﴾ على هذا ﴿وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ يريد عذابهم ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ يريد الذي يعرفه العرب مثل السرادق ومثل النسور الذي يأكله والذي يعمل الملوك على أبنيتهم إذا سافروا يجعلونها من وراء الخيام والفساطيط والأخبية والخدم يحيط بكل شيء ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟﴾ بما هم فيه من العذاب يعني يطلبون النجاة والخلاص من العذاب يغاثوا أي يعطوا ﴿بِمَآءٍ﴾ حميم ﴿كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ وهو عكر القطران يريد حين يشربه يسقط لحم وجهه ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29] يريد ما ارتفقوا به.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يريد صهبان بن يسان وأصحابه الذين ذكروا في أول السورة ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: 30] يريد ثوابًا لا يوصف ونعمًا لا توصف ولا تزول.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أقول: كما أعدناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم ويزداد إليهم بعبارتهم فأطلعنا وعثّرناهم على حالهم الغريبة ومآلهم العجيبة ليعلموا أن وعد اللّهِ حق للموعود الذي هو البعث والإفاقة والتنبه عن النوم في الدنيا وعن غفلة يوم الآخرة والعقبى ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ بأن يجمع عظامهم وأجزاءهم البالية وحشرنا كل شيء قبلًا ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ في إمكانها القريب بالعقل فآمن أيامهم وجعلهم كالأموات [وحفظ] أبدانهم عن أكلة الأرض ثلاثمائة سنين وعن البلى والتعفن ثم بعدها أرسل نفوسهم إلى أبدانهم و[من] بعثهم بين الخلق في النشأةِ الأولى قادر على إحياء الأموات وحشرها يوم الدين والجزاء في النشأة الأخرى ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ ظرف لأعثرنا أي أعثرنا وأطلعناهم على حالهم حين يتنازعون ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أمر دينهم كان بعضهم يقول الأرواح مبعوثة فقط بلا بدن وبعضهم يقولون إنهما يبعثان معًا والظاهر أنهم تنازعوا بأنهم ماتوا أو ناموا وبعضهم توقفوا ﴿فَقَالُواْ﴾ القوم ﴿ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ جمع بناء ليسكن فيه الناس وقال آخرون: صومعة يعتكفون فيه الزهاد والصلحاء العباد ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ وبحالهم حالًا وماضيًا ومآلًا ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ من المسلمين ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم﴾ على باب الكهف ﴿مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: 21] يصلى ويعبد فيه.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ هذا كلام النصارى كما علمت ولما يكن كلامهم مستندًا إلى دليل عقلي وسبيل كشفي رماهم الله بقوله رجمًا بالغيب ظنًّا تقليدًا وتخمينًا لا تحقيقًا بالبرهان العقلي والوحي الإلهي والإلهام الرباني والإعلام الصمداني ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: 22] هذا كلام أهل الإسلام في هذا المقام في تحقيق هذا المرام وكلام الكل واقع ومضمونه صادق لأنهم كانوا في أول الأمر ثلاثة ثم لحق بهم اثنان

فصاروا خمسة ثم لحق بهم أيضًا اثنان فصاروا سبعة والكلب قرينٌ في الكل.

ويؤيد هذا الرأي ما روي عن ابن عباس إنه قال: جاء رجلان حَبران من نصارى نجران إلى رسول الله ﷺ اسمهما سيد وعاقب فسألهما عن عدد أصحاب الكهف أجاب سيد بأنهم ثلاثة ورابعهم كلبهم وقال عاقب: كانوا خمسةً وسادسهم كلبهم وسيدًا كان يعقوبيًّا وعاقب نسطوريًّا وقال المسلمون: هم سبعة وثامنهم كلبهم فصدق الله تعالى قول المسلمين وحققه بقوله: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ﴾ [الكهف: 22] من الناس وهو النبي عليه السلام قيل: هم أهل الكتاب.

مطلب أسماء أهل الكهف

وقال ابن عباسٍ: أنا من ذلك القليل ثم ذكر أساميهم وذكر سبعة: مكسلمينا، ويمليخا، مرطوقس، سونس، سارينوس، وديوالس، كبسطليونس، وهو الراعي ما يعلمهم إلا ناسٌ قليلٌ ﴿فَلَا تُمَارِ﴾ أنت يا محمد ولا تجادل وتخاصم ﴿فِيهِمۡ﴾ في شأنِ ﴿إِلَّا مِرَآءٗ﴾ جدالًا ﴿ظَٰهِرٗا﴾ مصدر تمارى ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم﴾ ولا تسأل ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ من الاستحياء وهو الاستخبار أي لا تسأل من أهل الكتاب ﴿أَحَدٗا﴾ [الكهف: 22] أي لا ترجع إلى قولهم بعد أن أخبرناك عنهم بأنهم سبعة وثامنهم كلبهم إذ الثلاثة والأربعة داخلتان فيها دون العكس.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ﴾ يريد أن تفعله ﴿إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ﴾ الشيء ﴿غَدًا﴾ [الكهف: 23] أو منه ما وقع في شأن أصحاب الكهف لإيهامه بالشرك لتضمنه دعوى الفعل والاختيار والإرادة لنفسه ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أي يقارنه بالاستثناء فيكون توحيدًا بعد الشرك والإشراك نحو لا إله إلا الله، هذا النهي للتأديب والإرشاد، فيكون حكمه عامًّا وإن كان مورده وهو النبي خاصًّا، وتأخير الوحي مع المبالغة في طلب المرام من صاحب الكلام في هذا المقام دليل واضِحٌ وسبيل لايح على أنه من الله تعالى وبمشيئته وإرادته، لأنه من تلقاء نفس النبي ﷺ مع أنه كان مولعًا في إيجاب السؤال والجواب، حيث سأل اليهودي النبي عليه السلام عن الروح وعدد أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال: أخبركم غدًا ولم يقل: إن شاء الله، فتأخر الوحي أيامًا فنزلت:

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ﴾ [الكهف: 24] الاستقبال المشتمل على ذكر اللّهِ قد جوز ابن عباس الاستثناء ولو أتى سنةً جوزه الحسن ما دام في المجلس واعتبر

بعضهم قرب الزمان فلا يصح أن يبعد والقرب والبعد أمر نسبي، فإن بعض الزمان مثلًا كزمان النبي عليه السلام بالنسبة إلى زمان آدم وأقرب من زماننا إليه، وأقرب ما يقال: إنه لا يجوز الاستثناء إلا في الكلام المتصل فليعتبر منهما خير الأمور أوسطها ويعني معنى الآية: اذكر ربك إذا غضبت وإذا عصيت، وفي الإنجيل: اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، قيل: هذه الصلاة. قال النبي ﷺ: «**من نسي الصلاة فليصلّها إذا ذكرها**» ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 24] أي أقرب أن يتبنى في الإرشاد والتأديب على طريق تقريبي إليك وتوصيلي بكليتي وتمام أجزاء بنيتي وتمام أعضائي ووفور صفاء بنيتي لديك ويرشدني إلى الاطلاع عليك، فأرشدني ربي إلى ربي عند اتحاد قلبي لسر غيبي، قيل أمر الله أن يذكره إذا نسيه.

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ﴾ سنةً شمسية ﴿وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [الكهف: 25] من السنين القمرية بيان لما أجمله قيل حكاية عن أهل الكتاب فإنهم اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم: ثلاثمائة سنة وقال الآخرون: ثلاثمائة وتسع سنين وكلاهما صادقان كما أشرنا من أن الأولى شمسية والأخرى قمرية، فإن القمرية الشمسية عبارة عن ثلاثمائة وستين وستة وكسر وسنة القمر ثلاثمائة وخمس وخمسون يومًا والكسر أحد عشر يومًا، ففي كل مائة سنة يحصل ثلاث سنين، ففي ثلاثمائة يجتمع تسع سنين. عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة والواقع ثلاثمائة قمرية والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين قد اجتمعت من الكسور الواقعة في كبيسة تسعة.

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ له من السنة الشمسية والقمرية وشهورها وأيامها وساعاتها ودرجاتها ودقائقها وثوانيها وثالثها إلى عاشرها وعشر عشرتها وأقل منها بما لا تعلق به علم إلا علم الله بعلمه الغير المتناهي ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وملكوتهما وباطنهما أعني ما يغيب عن الحس الظاهر والباطن من الملكوتيات كالأرواح والنفوس والجبروتيات والإلهيات أو عن الحس الظاهر كالأرباب الجنسية والنوعية والأشباح والمثل النورية ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: 26] أي ما أبصره وأسمعه أمر من التعجب وإنما ذكر بطبيعة التعجب دلالةً على أن أمره جل وعلا في الإدراك الشهودي والعلم الحضوري خارج عما عليه أبصار الممكنين وأسماعهم إذ لا حاجب لإدراكه ولا قاس ولا راقب لعلمه

وشهوده ومداركه، والضمير عائد إلى اللّهِ فاعله، والباء صلة وصل أبصر به إنه صار ذا بصرٍ وأسمع به أي صار ذا سماع، ثم نقل إلى صيغة الأمر بمعنى الإنشاء هذا عند سيبويه. وأما عند الأخفش فالفاعل ضمير المأمور وهو كل أحد والباء مزيدة إذ كانت الهمزة للتعددية ومصدرية إن كانت للصيرورة ﴿مَا لَهُم﴾ ولأهل السماوات والأرض ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي غير اللّهِ ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ ولا ناصر ولا حافظ لهم في أمورهم ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ﴾ وقضائه وعلمه ﴿أَحَدًا﴾ [الكهف: 26] من آحاد الإنسية والأفراد الجنية والملكية لما على الخطاب وعلى الغيبة ففاعله هو اللّهُ.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ﴾ يا محمد ﴿إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ يعني القرآن اتل أمر إما من التلاوة وهي القراءة أو من التلو وهو المتابعة والمرافقة والتبعية ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ لما في كتابه وأحكامه وخطابه ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: 27] حرزًا وملجأً ومهربًا ومنجاً.

﴿وَٱصْبِرْ﴾ على ﴿نَفْسَكَ﴾ واجعلها ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ أي نهارًا وليلًا بكرةً وأصيلًا نزلت في عتبة بن الحصين للعوارف حين أتى النبي ﷺ قبل إسلامه وعنده جماعة من الفقراء منهم السلمان الفارسي وعليه شملة قد عرف فيها وبيده خوصةٌ فشقّها ثم يمسحها فقال: يا محمد أما يؤذيك هؤلاء ونحن سادات مصر وأشرافها، فإن أسلمنا أسلم الناس كلهم وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فأجبناك معهم حتى نتبعك، واجعل لنا مجلسًا ولهم مجلسًا فأنزل ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ يبتغون وجهه ولقاءه بلا عوض من الدنيا ولا عرض من نعيم الآخرة قال عبادة: نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعة مائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ لا يرجون إلى تجارة وإلى نوع من الزرع والبيع والشري والضرع، يصلون صلاة وينظرون أخرى فلما نزلت قال عليه السلام: «**الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر معهم**».

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ ولا تصير معهما ولا تحرك منهم إلى غيرهم ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وتطلب مجالسة الأشراف والأمجاد والسادات ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ أي جعلنا قلبه غافلًا ﴿عَن ذِكْرِنَا﴾ أعني عيينة أو أمية بن خلف ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في طلب الشهوات وابتغاء اللذات والمشتهيات ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28] فرطًا ضائعًا مثل قوله: ما فرطنا أي ما ضيعنا، أو باطلًا أو مخالفًا للحق أو مجاوزًا للحد، أو عطل إزاءه وبطل أنصاره وأعوانه.

﴿وَقُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ والصواب والصدق والإيمان والإذعان والرفق وحسن التوفيق إنما يثبت ﴿مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ وبيده أزمة التحقيق وأعنة الكرامة والشرف والتوفيق ﴿فَمَن شَآءَ﴾ إيمانه وهدايته ﴿فَلۡيُؤۡمِن﴾ ويهتدي إلى مراده ومقتضى حكمه ومرتضى قضائه أو علمه ﴿وَمَن شَآءَ﴾ كفره وأراد عصيانه ﴿فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ قلبه بزمرة، يجوز أن يعود فاعل شاء إلى الموصوف ويكون المفعول محذوفًا ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي هيأنا للكافرين الذين وضعوا الكفر مقام الإيمان ﴿نَارًا﴾ عظيمًا ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ أي حجبهما قال النبي ﷺ: «**سرادق النار أربعة: جدار كتف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة**».

عن ابن عباس رضي الله عنه: هو حائط من النار قيل: هو عنوة تخرج من النار تحيط بالكفار كالحفرة ودخان ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ﴾ أو ليستعينوا ويطلبوا الغوث والعون والمدد في دفع شدة العطش ورفع كربه ﴿يُغَاثُواْ﴾ ويعطوا الغوث والمدد ﴿بِمَآءٖ﴾ يكون في الظاهر ﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ وهو النحاس المذاب وعكر القطران ودردي الزيت ودرديه ورسوبه قيل: هو القيح والدم والأول هو الأشبه والأنسب والأولى والأقرب فدل عليه ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه: سئل عن المهل فدعا بذهب وفضة وأوقد عليهما النار حتى ذابا ثم قال: هذا أشبه شيء بالمهل ﴿يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾ وينضح الشفاة والقوة والحر فيهما ﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ﴾ النار ﴿مُرۡتَفَقًا﴾ [الكهف: 29] منزلًا أو مجتمعًا أو مجلسًا أو متكأً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ خبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ أولئك، وأنا مع اسمه وخبره جملة معترضة بينهما والخبر محذوف وأولئك بيانُ أي للذين آمنوا إلخ، فأنا مجازيهم أحسن جزاء وعلى هذا يكون (إنا لا نضيع) علة للخبر المحذوف وأما الفاء في الخبر فلتضمنه اسم إن.

إشارة وتأويل

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ [الكهف: 21] إلخ، اعلموا أن الموت قسمان: جزئي وهو النوم لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ [الزُّمَر 42]، قال النبي عليه السلام: «**النوم أخ الموت**» فله حكم الموت في اللوازم واللواحق، وكلي وهو إما اختياري أو اضطراري وأما الأول فهو الموت الأنفسي قال النبي عليه السلام: «**موتوا قبل أن تموتوا**»، أو الثاني هو الآفاقي: إن وعد اللّهِ حق يعني أن الله خلق النوم ليعلم منه حال

الموت ومن الانتباه حال البعث، والدنيا والآخرة ليل ونهار وانتباه ومنازل ومراحل قال علي كرم الله وجهه الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا:

ألا إنما الدنيا كمنزل راكبٍ أناخ عشيًا وهو في الصبح راحِلُ

والعاقل الفطن إذا نظر بعين الاعتبارِ إلى أحواله وتقلب أطواره وتنوع أعماله وتبدل حالات الدنيا لا يرتاب ولا يشكّ ولا يغتاب في تحقق الآخِرة ووقوع الساعة وقيام القيامة إذ يتنازعون أمرهم بينهم، فالمنازعون إما الأطوار السبعة القلبية أو الأعيان الوجودية والأكوان العدمية أو القوة النظرية والعملية، فإن القوة النظرية إذا استعملتها النفس العاملة وجعل الواهمة يريدها إرادة النظرية أن يخالف القلب ويجعل القوة العملية طالبة لنفسها ومطاوعة لأحكامِها خارجة عن إطاعة القلب والقوة العملية إذا استعملها سلطان القلب والروح جعل القوة العملية مطية لمبادئها الحسية ومعانيها النفسية الظاهرة والباطنة، والنظرية بحسب سلطنته وجرد مدركاتها عن ملابستها الحسية ومحابسها النفسية، ويلبسها بلباسِ النسب العقلية والصورة العلمية ثم تجردها عن هذه الصورة في السير إلى اللّهِ ومن اللّهِ، فأفاد منه المرتبة الأحدية والوحدة الذاتية، إذ هذه الصور كلها ظلال متطابقة وفي النقضات متوافقة كاللباس لآحاد الناسِ.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ **الأول**: الروح النباتي، **والثاني**: الحيواني، **والثالث**: الإنساني وبين النفس المتطلعة ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ أي القوة الغضبية أو الشهوية أو المراد النفس الناطقة والملهمة واللوامة، **والرابع**: هو الأمارة أي التي أسلمت ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ﴾ هذه الثلاثة والقوة النظرية والعملية و﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: 22] أي النفس الأمارة التي أطاعت القلب في المطالب العلمية والعملية إشارة إلى أن الكلب النفس الأمارة في الطور القلبي عند استسلامها حظ تام في طلب الحق والرجوع إليه، وكذا في الطور السري والروحي والحقي وغيب ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾ وهي الأطوار السبعة القلبية ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: 22] إشارة إلى أن كل طور من الأطوار إلى مرتبة أخرى وإن كل واحد من أصحاب الكهف في مراتب الأدوات، وإن ارتقى من مرتبة إلى مرتبة أخرى وإن حقيقة كلب النفس والقوة العصبية وإن كانت تتبدل من طور إلى طور آخر إلى أن التعين النفسي وتعين القوة الغضبية لا يرتفع منهما أصلًا، كما أن العارف إذا أفنى نفسه وقوة إدراكه وحسه في ذات اللّهِ لم يرتفع يقينه، فلو كانت في هذه الحالة حاضرًا جماعة

من أهل الشهود والحسي لم يغب عن نظرهم كما روي عن بعض أزواج النبي ﷺ في معراجه، والله ما فقد حبيبه محمد، فالكلب وإن تبدّل بعض أحواله في استصحاب الأصحاب بالعبادة والمعرفة والمشاهدة إلى أن التعين نبع الكلّي لازم لحقيقته في تمام الأطوار ومراتب الأنوار، وارتفاع القوة الغضبية والغضبية والشهودية عن البدن ممتنع، نعم تتبدل صفاتهما وحالاتهما.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ أي اصبر واحبس ما ظن ظان، حسبك الذي هو صفة قدسك ومطية أنسك ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ﴾ الفقراء الذين صبروا على شدائد الفقر والفاقة ﴿يَدْعُونَ﴾ ويطلبون أن يشاهدوا ﴿رَبَّهُم﴾ [الكهف: 28] على ما شاهدوا في الفطرة الأولى في بداية الدورة الصغرى والكبرى أو الوسطى أو الصغرى وعلموا الأنواع إلا بعد التي تنسب إليها الأدوار المذكورة كل إلى ما يناسبه، فإن الدورة العظمى تنسب إلى العلم والتعقل، والكبرى إلى التوهم، والوسطى إلى التخيل، والصغرى إلى الإحساس. فالدورة العظمى النورية تستمد من باطن العلم، والكبرى من باطن الوهم والحق، والوسطى من التخيل، والقدرة والصغرى من الإحساس والإرادة، وأعيان الدورة العظمى النورية من جنس العلم وهو الملائكة والعقول، وأعيان الكبرى من جنس الحياة والوهم، وهم الأرواح والنفوس، وأعيان الوسطى من جنس القدرة والتخيل، وهم الأشباح والمثل النورية، وأعيان الصغرى من جعل الإحساس والإرادة، وهي الأجرام والأجسام والأكوار الظلية، وهي باطن الأدوار منسوبة إلى باطن العلم ونقيضه، ولكل منها أكوان من نقائض العلوم المزبورة والصفات المذكورة.

فالمنسوبة إلى نقيض العلم هي الأهرمان في الكون العظمى إلى نقيض الوهم والحياة وهي الأغوال، وإلى نقيض التخيل والوحدة وهي الشياطين، وإلى نقيض الإحساس والإرادة وهي الجن ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ إلى الأدوار النورية الوجودية الجمالية والأكوار الظلية العدمية الجلالية ومقتضياتهما ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ أي الذات الجامعة للأسماء النورية الجمالية والظلية الجلالية والإفرادية والجمعية ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ الجمالية والجلالية ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وزخرفها على ما يقتضي ظاهِر النور والجمال ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ لدى غلبة حكم ظاهر النور والجمال والعلم منها وفكرنا ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ أي الذي هو معبوده

ومراده ومقصوده كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: 23] في الطور النفسي والدور الحسي، فمن أشرك هواه بالحق في استحقاق أنواع التعبد وهي العبودة والعبودية، أما الأول: فلطلب شهود التجلي ورضاء الحق، والثاني: بطلب الجنة، والثالث: بطلب الخلاص من النار والتجنب للمعبود عن دار البوار. فالأول: في الطور السري، والثاني: في الطور القلبي، والثالث: في الطور النفسي كان حاله شططًا ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28].

تفسير

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ ليس في القرآن ﴿تَحْتِهِمُ﴾ في غير هذه الآية، يريد النار والماء واللبن والخمر والعسل كما ذكر في وصف الجنة ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: 31] يريد بالسندس الديباج والاستبرق والخز والرداء يريد حللًا ليس فيها قميص[1] ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ يريد الأسرة من الذهب مكللة بالدرر واليواقيت عليها الحجارة وهي جمع الأيكة ما بين صنعاء إلى جمع أبلة ما بين عدن إلى الجابية وما ترك من الصفة أعظم ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ يريد طاب لهم المقدم وعظم الثواب ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 31] يريد ما أحسن لمن ارتفق لهم وطاب بقول إذ رفقاءهم النبيون والشهداء والصالحون.

﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾ للمذكورين من الكافر والمؤمن ﴿مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [الكهف: 32]

(1) لأن القميص لباس رقيق يماس البدن ولو كان غليظاً استبرق لتأذى به البدن.

يريد ابن قرطوس ملكًا كان في بني إسرائيل، توفي وترك ابنين أحدهما مليخا كان أخوه قد اتخذ الأخبية والقصور وكالمليخا زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة، وكان إذا عمل أخوه شيئًا من زينة الدنيا أخذ مليخا مثل ذلك فقدمه لآخرته واتخذ له الأخبية والقصور حتى نفذ ماله من الدنيا وما بين يديه فأراد القدوم عليه ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ يريد جميع الفاكهة ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: 32].

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾ يريد ثمارها ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ يريد أينعت ثمارها ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: 33].

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ يريد قراره مليخا وإذا عليه حجاب وإذا هو لا يصلُ إليه فلما أخبر أن أخاه أذن له فدخل عليه ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يريد فقال لأخيه وهو يحاوره يريد وسأله من ماله وفيما أنفقه فقال قدمته بين يدي لأقدم عليه وقد جئتك زائرًا ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: 34] يريد كثرة العبيد وغيرهم فيهم.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ يريد خارجًا من الإيمان إلى الكفر باللّهِ ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ﴾ وتفنى جنتي ﴿هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: 35] يريد إنكارًا أن اللّه تعالى لا يفني الدنيا وما عليها.

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أنكر البعث والثواب والعقاب ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ إذ كان البعث حقًا كما تزعم أنت ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: 36] كما أعطاني هذا في الدنيا سيعطيني في الآخرة أفضل منه لكرامتي عليه.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ﴾ أخـوه وهـو ﴿يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يريد أن آدم خلقه الله من تراب ثم من نطفة ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: 37] يريد غذاك ورباك صغيرًا، وأنعم عليك حتّى صرت رجلًا.

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ يريد لا أقول قولك لكن أقول ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ يريد إلٰهي وخالقي ورازقي ومميتي ومحيي وباعثي ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: 38] من الموجودات.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: 39] يريد أفلا دخلت جنّتك قلت ما شاء الله ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ يريد أن هذا القول هو اليقين والمعرفة ثم رجع إلى نفسه فقال: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: 39].

﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ﴾ والعسى من الله تعالى حتم واجب ﴿أَن يُؤْتِيَنِ﴾ يريد في الدنيا والآخرة ﴿خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ التي في الدنيا ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يريد من السماء حسبانًا وهي الصواعق والأحجار قيل هو مصدر بمعنى الحساب أو المراد به التقدير أو عذاب حساب الأعمالِ السيئة ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: 40] أرضًا لا نبات فيها.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ أي أرض ملساء كالحجر الذي لا يثبت عليها الأقدام أو يصبح ماءها غورًا يريد يفيض ويصير ما يرى ماءها وهو البير الذي في حالها ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ [الكهف: 41] يريد عمرانًا قال: أولئك المؤمنون الموصوفون.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ أقول: إشارة إلى المؤمنين الموصوفين ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا﴾ من الحلية وهي الزينة والزخرف ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ جمع سوار وهو ما يوضع في اليد ﴿مِن ذَهَبٖ﴾ حال أو صفة أساور ﴿وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ﴾ وهو ما رقّ ودقّ من الديباج ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾ وهو ما غلِظ منه معرب (استبرق) قيل هو الديباج المنسوج بالذهب وإنما جمع بين النوعين للدلالة على أن في الجنة ما يشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، وعلى أن الآخرة وزانها وزان الدنيا، بأن أحوال النفوس متفاوتة ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ﴾ جمع أريكة وهي السرير ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾ أي حسن جزاء العمل وهي الجنة ﴿وَحَسُنَتۡ﴾ الأرائك والجنات ﴿مُرۡتَفَقٗا﴾ [الكهف: 31] ومتكأً ومعتمدًا ومجلسًا ومقرًّا ومحفلًا.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ﴾ أي بين المؤمن والكافر ما يعتبر ويستبصر به حال رجلين، نزلت في الأخوينِ من أهل مكة من بني مخزوم، أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وكان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد، قيل كان رجلان شريكين لهما ثمانية آلاف دينار فاشترى أحدهما بحصته أرضًا فقال صاحبه: اللّهم إن فلانًا قد اشترى أرضًا بألف دينار فإني أشتري منك دارًا في الجنة فتصدق بألف دينار ثم تزوج صاحبه امرأةً فأنفق عليها ألف دينار فقال: اللّهمّ إني أخطب إليك من نساءِ الجنة بألف دينار و﴿جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ﴾ بستانين ﴿مِنۡ أَعۡنَٰبٖ﴾ جمع عنب أي الكروم والجملة بيان التمثيل أو صفة رجلين ﴿وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ﴾ وجعلنا النخيل محيطةً بهما فقال: حافته، القوم إذا طافوا وحففتهم أي جعلتهم حافين ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا﴾ وسطهما ﴿زَرۡعٗا﴾ [الكهف: 32] ليكون كل منهما جامعًا لما هو أهم مقصودًا وأتم معدودًا من الأقوات والفواكه متواصلةً المباني متفاصلة الأواني على الشكل الأيمن والنظام الأحسن الأتقن ﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا﴾ ثمرها وإفراد الضمير لإفراد ﴿كِلۡتَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ﴾ ولم ينقص من أكلها ﴿شَيۡـٔٗا﴾ أمرًا حقيرًا وهو معهود في البساتين فإن الثمار في عام ينقصُ وفي عام يزيد ﴿وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا﴾ [الكهف: 33] ليدوم شربهما أي في موضع إربد فإنه هو الأصل في عموم الانتفاع.

﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ لصاحب البستان ﴿ثَمَرٞ﴾ أي نوع من الأموال من ثمر ماله إذ أكثره إذا ضمت الثاء أي الثاء المثلثة وبفتحها جمع ثمرة وهي ما يخرجه الشجر

من المضماءِ ﴿فَقَالَ﴾ صاحب البستان الكافر ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ ويكلمه ويناظره ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ [الكهف: 34] عشيرةً وأبر حشمًا وقبائل وخدمًا أو أهلًا وولدًا وأشياعًا وجندًا وأتباعًا.

﴿وَدَخَلَ﴾ الكافر ﴿جَنَّتَهُۥ﴾ أخذ بيد صاحبه المسلم طائفًا به ومربيًّا له آثارها وساسها ومُفاخِرًا ﴿وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ بكفره وإنكار عز اللّهِ ونصره ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا﴾ [الكهف: 35].

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ أي ما أعلم قيام الساعة ولا ظهور الساعة (القيامة) ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ ورجعت وأعدت إلى مبدئي وربِّي ﴿لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾ [الكهف: 36] مرجعًا ومعادًا وعاقبةً.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ المسلم ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ حال كونه محاورًا به ﴿أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ﴾ وهي أصل ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ ومادة كونك وشهودك في الفطرة الأولى فالأولى هي مادة النوع الشخصي والثاني هي مادة الأشخاص النوعية وبقائها النوعي ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ﴾ وعدلك أي جعل أجزاء النطفة على تناسب طبيعي وتقارب وضعي ثم ركّبها في الرحم ورتبها وخلق المركب وجعله ﴿رَجُلٗا﴾ [الكهف: 37] كاملًا وإنما جعل كفره باللّهِ لأن منشأه هو الشكّ في التراب فإن من قدر أن يبدأ خلقه منه قدر أن يعيده منه.

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ أصله لكنّا بالألف فحذف الألف اكتفاء بحركة ما قبلها وقرئ: (لكن) إنما على الأصل هو ضمير الشأن، وهو بالجملة الواقعة خبرًا له أخبر إياه، والاستدراك: أكفرت؟ قال: أنت كافر باللّهِ لكني أنا مؤمن به وقرأ: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف: 38].

﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ﴾ أي وهلا قلت عند دخولها ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ أي الأمر والشأن ما شاء الله تعالى كان على أن (ما) موصولة أو أي شيء شاء اللّهُ، فهو كائن على أنها شرطية والجواب محذوف إقرار واعتراف بأن ما فيها بمشيئة الله إن شاء الله أبقاها وإن شاء أبادها، قال النبي عليه السلام: يلتقي الخضر وإلياس في كل عام وموسم، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويغترفان من هذه الكلمات: بسم الله الرحمٰن الرحيم ما شاء الله كان، لا يسوق

الخير إلا الله، ما شاء الله كان، لم يصرف السوء إلا الله، ما شاء اللّهُ كان، ما من نعمة بكم فمن الله، ما شاء الله لا حول ولا قوة ولا قدرة لي في حفظ الأشياء المهمة أو في دفع المضارّ المؤلمة إلا باللّهِ.

عن هشام بن عروة عن أبيه: أنه إذا رأى من مالِهِ شيئًا يعجبه أو دخل حائِطًا من حيطانه قال: ما شاء اللّهُ لا حول ولا قوة إلّا بالله ﴿إِن تَـرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ﴾، يحتمل (أن) أن يكون فصلًا وأن يكون تأكيدًا للمفعول الأول ﴿أَقَلَّ﴾ بالنصب مفعول ثان ﴿تَـرَنِ﴾ قرئ بالرفع خبرًا لـ﴿أَنَا۠﴾ والجملة مفعول ثانٍ لترني ﴿إِن تَـرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: 39].

فقال الرجل المؤمن: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ﴾ أرجو وأرتجي ربي ﴿أَن يُؤْتِيَنِ﴾ ويعطيني في الآخرة أو في الدنيا ﴿خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ أشرف وأوفر نفعًا منها ﴿وَيُرْسِلُ﴾ ويسلّط وينزل ﴿عَلَيْهَا﴾ أي على جنتك ﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ جمع حسبانة وهي النار وهي مثل صاعقة ﴿فَتُصْبِحَ﴾ وتصير ﴿صَعِيدًا﴾ أرضًا نقيًّا من العشب والأشجار ﴿زَلَقًا﴾ [الكهف: 40] جردًا ملساء لا تثبت عليها الأقدام ولا تنبت فيها الأقلام.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ [الكهف: 41] غائرًا بعيدًا عن النظر لا تدركها الأنظارُ ولا تتعاطاه الأيدي ولا الأدلاء، و(الغور) مصدر وُضِع موضِع الاسم مثل بروز وعدل ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ [الكهف: 41] أي يقدر لأن تطلب الماء لكمال غوره في الأرض وبعده عن النظر في الطول والعرض ولو طلبه لم يجده فضلًا عن تعاطيه وتناوله.

إشارة وتأويل

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الكهف: 31] إشارة إلى الجنات الآثارية وإلى أصحابها وهم الذين اقتنعوا من التجليات الأربعة الذاتية والصفاتية والأفعالية والآثارية الإفرادية البسيطة، ومن التجليات الصورية الجمعية الظاهرة بصورة الإنسانِ الكاملِ وبصفة العارف الفاضل والتجليات الآثارية المنكشفة بصور الأجسام ودرر الأجرام، وغور الأعلام في الطور السري والدور الفؤادي، وجنة عدن وهي ما فوق سماءِ الشمس لا يدخلها إلا نبي أو صديق أو شهيدٌ أو إمامٌ عادلٌ، أو محكمٌ في نفسه مخير بين الإيمان والكفر فقبل الإيمان على

الكفر، فقتل في سبيل الله الجنة ما به درجة ما درجتين مسيرة خمسمائة عام والفردوس أعلاها درجةً وأوسطها ومنها تتفجر أنهار الجنة الأربعة، وفوق ذلك إشارة إلى الجنة الأفعالية والتجلي التكويني والتحقق بها، والجنة تحت ظلال السّيوف في الجهاد الأكبر، وهو الجهاد مع النفس العاملة والقوة النظرية التي في الحقيقة هي الإبليس.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف: 32] إلى آخره إشارة إلى من استكمل في الأدوار الأصلية والفرعية النورية وكذا في الأكوار الأربعة وإلى من هو دائرٌ فيها غير مستكملة بخصائص مقتضاها، ففي أنه جنة يدخل مِن جنات الأدوار الإفرادية النورية والظلية، فإنه لا يدوم فيها بل يتبدل تلك الجنة إلى غيرها عند تبدل طور السالكِ من مرتبة ودرجةٍ إلى مرتبة ودرجةٍ أعلى منها، وأما إذا انتقل من الدورة الإفرادية والطور الوحداني إلى الدور الجمعي والطور المعي في السير في اللّهِ، والدور مع اللّهِ عند التحقق بالذاتِ لجميع الأسماء والصفات الذاتية. فحيث تبقى في الجنة الجمعية والهيئة الكلية المعية الجامعة تجميع الجنات وتمام التجليات ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: 62، 64]، ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: 31].

وهذه الجمعية مختصة بالحضرة الختمية لا تحصل لغيره من الأنبياءِ إلا بالتبعية والمتابعة المعنوية والمبايعة الذاتية الفطرية، وهي الترجي والتمني لأن يكون من أمته «**لقد تمنى اثنا عشر نبيًّا أن يكون من أمتي ومنهم موسى بن عمران وعيسى ابن مريم**»، ولذا لما طلب موسى شهود التجلّي في بداية الحال بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: 143] فلما رأى فضيلة الأمة الختمية في التوراة واستدعى أن يكون من أمته بأن قال: اللهم اجعلني من أمة محمد. فإذا اختص بما اختص به وهو التجلي الذاتي الجامع المختص باليتيم ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: 34] وهو التجلي، قال النبي عليه السلام: «**إن اللّه تعالى أعطى موسى الكلام وأعطاني التجليات**» فلما تمنى موسى أن يكون من أمة محمد حصل له متابعة معنوية، فاستأهل واستحق لأن

يشاهد التجلي الذاتي المتضمن لتمام التجليات الأسمائية والأفعالية والآثارية والصورية ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [القصص: 30، 31].

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ أي جنة الأدوار الإلٰهية الإفرادية التي تتبدل أحوالها التي هي مقتضاها، فسعى أن يأتيني خيرًا من جنتك، وهو الجنة الجمعية والهيئة الكمالية المعية السرمدية، كلتا الجنتين، وهما جنة العلوم النظرية والعملية، أو جنتا الجمال والوجود والجلال والشهود، أو عين اليقين وحق اليقين، أو الشهود التجلي والتحقق به، أو التجلي الإفرادي والجمعي، أو التجلي الذاتي والاسمي أو الصوري المعنوي.

تفسير

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ يريد بأشجار الثمار والنخل ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ يريد يضرب يده الواحدة على الأخرى ندامةً ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: 42] يريد ليس فيها شجرةٌ ولا نخلة مرتفعة على عروشها أي على سقوفها أي سقطت عروشها على الأرض وبسطت الكروم فوقها فحينئذٍ ﴿وَيَقُولُ﴾ الكافر ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: 42] يريد لم أتخذ معه إلٰهًا ولا ربًّا ولا صاحبةً ولا ولدًا.

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ﴾ يريد فرقة وجماعة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: 43] عما عنه ألبتة والعذاب والنقمة والعقاب، وقال رسول الله ﷺ في أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسدِ، وفي أخيه الأسود بن عبد الأسد العيني ما الذي قطع رجلًا يوم بدرٍ وهو الذي كسر خوص النبي ﷺ قال رسول اللّٰهِ ﷺ: «**الحمد لله الذي جعل من أمتي مثل أخوتي بني إسرائيل مليخا وأخيه**».

﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ يريد في الدنيا ويرغبهم في الآخرة يريد هكذا يصنع الله بأوليائه بحق يريد عملوا للّهِ بما يحب ويرضى و﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: 44] يريد أفضل ثوابًا وأفضل عقابًا وعاقبة وآخر الأمر.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَٱضْرِبْ﴾ [الكهف: 45] وبيّن ﴿لَهُم﴾ يا محمد لقومك ﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ يريد أنزل مطرًا وأعشب عشبًا وأنبت نباتًا وتمرًا ﴿فَأَصْبَحَ﴾ وصار بعد ذلك ﴿هَشِيمًا﴾ مثل القمح إذا حصد هشم ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ﴾ تبدّد تلك الرياح النبات وتفرقه، يريد كذلك منذ خلقها إلى أن أفناها مثل هذا الزرع ومثل هذه الثمار حتى نضجت وطابت، وهذا الزرع حتى حصد ودرس وذري ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: 45] كما قال في سورة يونس: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: 24] إلى آخره.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ﴾ يريد الباقيات هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا اللّهُ والله أكبر ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ يريد أفضل عند ربك ﴿ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46] يريد أفضل أملًا إذا مال مولًا ومقصودًا من المال والبنين.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ في النفخة الأولى ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ لا جبل فيها ولا بناء ولا شجر ولا ماء ولا ثمر ﴿وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 47].

﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ [الكهف: 48] جميعًا مثل ما قال في الصف:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الآية 4] يريد جميعًا ابن ربيعة والوليد بن عتبة وربيعة وجميع أقربائهم من قريش، ومن قبل قريش أيضًا مطعم بن عدي وعبد الواحد بن سعد والعاص بن أمية، قال عمر بن الخطاب: لقد رأيته يوم بدر كالثور يبحث بروثه فصدرت عنه فبرز له علي بن أبي طالب فقتله، يريد لم يبق أحد من قريش ممن آمن إلا وقتل يوم بدر ويوم أُحد قريبًا أو عشيرًا في طلب رضاء اللّه فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ يريد قواهم بنصر منه ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22] وليس في هؤلاء شك حيث جعلهم خيرية وجعل فيهم الفلاح والسعادة ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الأنعام: 48] يريد يبشرون أوليائي وينذرون أعدائي ﴿وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ يريد مستهزئين والمقتسمين وأتباعهم ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ يريد ليبطلوا به الحق الذي جاء به محمد من أحكامي وفرائضي وسنتي ووحدانيتي وربوبيتي وسلطاني وجبروتي وعظمتي ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى﴾ يريد ورسلي ﴿وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ [الكهف: 56] يريد سخرية واستهزاء من عذابي وعقابي.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ﴾ وعظ ﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾ يريد العقاب والعذاب ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ يريد منها. قلت: يهادن كما يهادن الوليد والعاص والأسود بن المطلب والحر بن قيس والأسود بن يغوث ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ يريد ترك ما قدمت يداه ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ يريد مثل الكناية التي فيها الفعل أن يفقهوه يريد أن يفهموا القرآن ويدركوه ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يريد صممًا ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ﴾ وتطلبهم لأن يصلوا ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ يريد الإيمان ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 57] يريد فلن يؤمنوا إذًا أبدًا.

﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لأوليائه وأهل طاعته ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ الواسعة والنعمة البارعة ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟﴾ يريد لو يؤاخذ المشركين بما قدموا ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ كما فعل بالأمم الماضية ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: 58] يريد خلفًا ولا ناصرًا.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ﴾ يريد أهل الشام واليمن ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ يريد لما

أشركوا وكذبوا الأنبياء ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾ وهلاكهم وإهلاكهم ﴿مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: 59] يريد وقتًا مثل قوله في سورة المرسلات: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: 11] أي يوم أجلت.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: 60] يعني يوشع غلامه قال: حدثنا أبو بكر قال: حدثنا بكر بن سهل قال: حدثنا عبد الغني قال: قال كثير بن وهب: كثير من أهل العلم يقولون هو موسى بن مينا نبي كان بعد موسى بن عمران بدهر فقال بعضهم: هو موسى بن عمران وذلك أنه ركب في البحر فأعجبه علمه فقال في نفسه: ما أحد في زمانه أعلم مني فرفع عصفور في منقاره لفظة من البحر فأوحى الله إليه ما علمك عن علم عبد من عبيدي إلا كماء هذا العصفور من البحر بمنقاره فقال: يا رب اجمع بيني وبين هذا العبد العالم وسخّره حتى أعلم منه علمًا، فأوحى إليه: إنك ستفسد ببعض أراذل فمضى هو وغلامه، ومع غلامه خبز وقوت قد أكلوا بعضه، فمضوا على شط البحر، فقال أهل العلم: كانوا يمشون على الماءِ حتى انتهوا إلى نهر توضأ الغلام فأصاب الماء ذلك الحوت الذي كان قد أكل من بعضه فخرج حتى صار إلى الماءِ، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ الموضع ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: 62].

﴿قَالَ﴾ فتاه ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ وكان الخضر عليه السلام، عليها نائم وكان تحتها نهر يقال نهر الحيوان فقال: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ يريد إني أخذتك بقصة الحوت إني توضأت، فأصاب الحوت من وضوئي شيئًا من الماء فخرج حيًّا ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ يريد لك ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: 63].

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ﴾ يريد ارجع إلى منزلي ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ يريد ملتقى البحرين العذب والمالح ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: 60] والحقب الدهر الواحد بضع وثمانون سنةً، والسنة ثلاثمائة وستون، واليوم الواحد ألف سنةٍ.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ أقول: أحاط عذاب اللّهِ بثمرة جنتيه، وذلك أن اللّه تعالى أرسل عليها نارًا في هلكتها وغارت في الأرض الاستعدادية والعرض القابلية ماؤها ﴿فَأَصْبَحَ﴾ وصار صاحبها أو الكافر يباشرها ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ويبدل يديه ظهرًا

وبطنًا، أو يضع إحداهما على الأخرى ويضربها تحسرًا وتلهفًا ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ أي في عمارات الأرض، إذ يقلب الكفين كناية عن إظهار التأسف والتحير والغم والتضجر والتفحم على ما صرف فيها ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي الجنة ساقطة على سقوفها أي سقطت سقوفها على رأسها في عروشها أولًا على الأرض ثم انهبطت جدرانها على جدرانها، وعروشها وعروش الكروم تسقط أولًا على الأرض ثم الكروم والأعناب، وضاعت الأعناب، وبانت الألوان وزالت الأسباب ﴿وَيَقُولُ﴾ الكافر المباهي المتبختر بجنانها ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: 42] ولم أشك في قيامته وظهور الساعة.

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ﴾ في تلك الحالة ﴿فِئَةٌ﴾ رهطٌ وجماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ ويمنعونه من عذاب الله حال كونهم ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ والقادر على ذلك هو الله القاهر وحدهُ ﴿وَمَا كَانَ﴾ ذلك الكافر ﴿مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: 43] في ذلك اليوم وممتنعًا بقوته وحوله عن انتقام اللّهِ وغضبهُ وقهره وسخطه.

﴿هُنَالِكَ﴾ أي في ذلك المقام والموقف في تلك الحالة ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ بكسر الواو وهو السلطان والاستيلاء وبالفتح هو الموالاة والنصرة قيل بالفتح هي الربوبية وبالكسر هي الإمارة تكون تأتيه ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ الثابت له الربوبية والسلطنة وحده لا شريك له تقرير لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه وهو أي الحق ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ أفضل جزاء لأصحاب وأرباب طاعته وهو ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: 44] يعني عاقبة في الدنيا والآخرة، أو خير من طاعة غيره لكونه مقرونًا بالإخلاصِ ودور الاختصاص.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ اذكر وبين لهم ما مثل الحياة الدنيا في نزهتها ونزاهتها ونضارتها وسرعة زوالها هو ﴿كَمَآءٍ﴾ يجوز أن يكون مفعولًا ثانيًا لاضرب إذ جعل بمعنى صيّر ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ جملة فعلية حال ممن لا ينقد وصفته المستقلة ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: 45] أي حصة من الأرض ما من شأنه إذ يصير نباتًا بمخالطة الماءِ والأرض بغيرها من سائر العناصر وهو الهواء والأنهار، وتقدير مقاديرها كمًّا وكيفًا إنما هو بتقدير الله وتدبيره وتصويره ﴿فَأَصْبَحَ﴾ النبات وصار ﴿هَشِيمًا﴾ مهشومًا ومكسورًا تبددت أجزاؤه بحيث لا يكون بعضه مضمومًا ببعض ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ وتبدده وتنشره وتفرزه وتنثره ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من المجردات والماديات من العقول والملائكة العاليات المدبرة

والسماوات والعناصر وما يتركب منها من المعادن والنبات والحيوانات وامتزاج النجوم والكواكب واتصالات بعضها ببعض كليةً وجزئيةً وقراناتها سباعية وسداسية وخماسيةً ورباعية وثلاثية وثنائية في المثلثات النارية والهوائية والمائية والترابية ﴿مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف: 45] قادرًا على إجرائها وأحكامِها وإنفاقها وإنفائها وتركيبها وتفصيلها وترتيبها وتحليها وهو بهذا الوجه أبلغ من القادر لما تقرر من أن زيادة الحرف تدل على زيادة التأثر والتأثير والمعنى.

﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ يتزين بها الإنسان في الدنيا لا بقاء لها ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ أي الصلوات الخمس المقبولة وما يصلح ويليق ويجري لأن يصير مفعوله لدى الحق ويقع في خبر القول. روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وما هي؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا باللّهِ**» ﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ من المال والبنين ﴿ثَوَابٗا﴾ جزاءً ﴿وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف: 46] أي ما يأمله الإنسان ويطلب حصوله في العاقبة بحسن العاقبة والمال وهو سعادة أبدية ودولة سرية باقية أبد الآباد واذكر.

﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ﴾ وتجولها وترددها في جو السماء والأرض، وتذهب أنهار ويجعلها هباءً منبثًّا وهو ماء منبثًّا ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ﴾ ظاهرةً باديةً ما عليها نبات ولا شجر ولا مدر ولا وهاد ولا تلال ولا أغوار، يذرها قاعًا صفصفًا لا يرى فيها عوجًا ولا أمتًا كالأديم الممدود ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ﴾ وجمعناهم جمعًا جميعًا في المحشر العظمى في الموقفين الموقف للحساب والموقف الثاني للجزاء والثواب وشهود نتائج الذهاب والإياب ﴿فَلَمۡ نُغَادِرۡ﴾ ولم نترك ﴿مِنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ [الكهف: 47] بالتعبير الماضي، أما الآية إلى تحققه، أو للدلالة على أن حشرهم قبل النشر، والنشر يتعاينوا أو يشاهدوا ما وعدتهم وعلى هذا يكون الحال بإضمار يقال: غادره وأغدره إذا تركه، ومن الغدر ترك الوفاء بالعهد والغدر، ولما غادره السيل.

﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا﴾ فوجًا فوجًا مشبه، وَمَثَّلَ حال أهل القيامة بحال أهل العسكر والجند المعروضين للسلطان ليتعرف أحوالهم وينتقل لهم ما كان لهم من الأجر والإحسان ثم يقال للكل ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا﴾ أي أتيتم إلينا في النشأة الأخرى عريانًا ﴿كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭ﴾ في النشأة الأولى كما ورد في الخبر ما على أحدٍ منهم من قشرة أي شيء من كسوة، حكمه، ومعناه عام، ومورد خاص بالكفارِ،

روي أنهم يحشرون حفاة وعراة أي من الأموال والأولاد وإدراكات الحواس ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ إما للإضراب إلى قصة ومن حصة إلى حصةٍ أخرى ﴿أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: 48] أو وقتًا ومحلًا لإنجاز الوعدِ والوعيد بالبعث والمحشرِ والنشر لو صدّق أن الجزاء الذي أخبر الأنبياء بوقوعه وأنتم تكذبون به قال النبي ﷺ: «**يحشر الناسِ على ثلاث طرائق: راكبين راهبين واقعين، اثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر معهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**»، وقال أيضًا: «**إنكم تحشرون حفاةً عراةً غرلًا**» ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء 104] إلخ، وأول من يكسىٰ إبراهيم وإذ يأتينا من أصحاب يوجد ذات الشمال فأقول أصحابي فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فيقول لها العبد عيسى الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ إلى قوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 116 - 117]. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول اللّهِ كيف يحشر الناس يوم القيامة؟ قال: «**عراة حفاة**» قلت: «والنساء؟» قال: «**والنساء**». قلت: ألا لا يستحين؟ قال: «**يا عائشة الأمر أشد أن بعضهم يهم إلى بعضٍ**».

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الكهف: 49] صحائف الأعمال الإرادية والأفعال الاختيارية أو مطلقة كما قال الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: 284] وقد عرفت تفسيرها في آخر البقرة أي يوضع في أيدي الناسِ في أيمانهم وشمائلهم أو بين يدي اللّهُ أو في الميزان أو كناية عن الحساب ووضعه ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الذين صدرت منهم الجرائم والمعاصي ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ من الأعمال والأفعال والأقوال والأحوال.

﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ خصّ بعضهم

الصغيرة بالتبسم والكبيرة بالقهقهة أو الصغيرة على اللمم واللمس والقبلة والمساس وكشف اللباس والكبيرة بالزناء ﴿إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ وعدها وكتبها وأثبتها أو حفظها. روي أنه ﷺ قال: «**وإياكم ومحقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن وادٍ فجاء أهلها بعود فطبخوا، وأن محقرات الذنوب الموبقات**» ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ﴾ صالحًا ﴿حَاضِرٗاۗ﴾ مشهودًا مبينًا معدودًا ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: 49] بنقص ثواب ومزيد عقاب ويكتب عليه ما لم يعمله.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾ تكرير الآيات الدالة على أمور مهمة وأحوال مقصودةٍ متممة إشعار بأنها لا بدّ وأن يكون مضمونها نُصْبَ عين كل فرد من أفراد الإنسان، ولما كان إبليس والشيطان يغوي الإنسان ويُلقي في أمنيته وخلاصة نيته، ينبغي أن لا يغفل عنه طرفة عين، وإن الإنسان من النسيان لا بدّ له من تكرار وتأكيد وتذكار، ولما شنع ههنا على المفتخرين بالمال والمباهين بالنسب والأولاد وكثرة العقارِ في البلاد، وذلك إنما يكون بسبب الاغترار والواقع من إبليس والشيطان، وهو أعدى عدوك قال النبي ﷺ: «**أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك**». وهي مقر الشيطان والعداوة بينك وبينه قديمة ولذا سجد الملائكة لآدم كلهم ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ حال بإضمار قد أو استئناف للتعليل كأنه قيل لو لم يتخذ قبل ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ الذي انتفى المناسبة بينه وبين الإنس ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ وخرج عما أمر مِن السجود والفاء للسببية وهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعًا.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ يا بني آدم ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ مع كمال عدلكم ثم معكم ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ [الكهف: 50] قال بعضهم: إن الله تعالى خلق من نار السموم المارج، وخلق من المارج زوجته يقال لهما مارنجان، فوقع بينهما ازدواج يولد الجان والجانة فازدوجا، تولد منهما الجن والشيطان والجان فلبسا من قبل من نار السموم، ثم ظهر منهما إبليس وتزوج بجنّيّة فظهر منهما أبالسة غير متناهية فبعث الله من بينهم

أنبياءً وأنزل عليهم كتبًا وفيها علوم غريبة لا تتناهى وأسرار غيبية لا تعد ولا تحصى سوى معرفة الله الكاملة والتجليات الإلٰهية بأنواعها والتحقق بها باللّٰهِ وبأسمائهِ وصفاته الذاتية وغيرها من الحالات الغريبة والمقامات العجيبة، وهم يتوالدون ويتزوجون كما يتزوج آدم ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ أي إبليس ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ أي ذرية إبليس أولياء وآلهة، وقد عبد الله إبليس في السماوات والأرض سبعمائة ألف سنةً وعلّم الملائكة العلوم التي خصه الله بها، وهم أصناف منهم: لاقيس وولهان: وهما صاحبا الطهارة والصلاة والهفات والمرونة، وأرلينور: وهو صاحب الأسواق يضعونه كل يوم ويزين اللغو والحلف الكاذبة ومدح السلعة، وبتر: وهو صاحب المصايب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب، والأعور: وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجز المكراة[1]. وسطوس: وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناسِ لا يجدون لها أصلًا. وداسم: وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يذكر اسم الله ولم يسلم يضره متابعة ما لم يعرف ويرفع أو يحسن موضعه وإذا أكل ولم يذكر اسم اللّٰهِ أكل معه.

روى أنه ﷺ قال: «**للوضوء شيطانةً يقال لها وسواس الماء**». وروي أن عثمان بن أبي العاص جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسهما عليّ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ذاك شيطان يقال له ختوب فإذا أحسسته فتعوذ باللّٰهِ منه واتفل عن يسارك ثلاثًا**». قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني. وروي أيضًا: أن إبليس يضع عرشه على الماء ثم ينفث من أتاه، فأدناهم وأقربهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيئ أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئًا، قال: فيجيئ واحد منهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: قد نُبِّهَ، ويعظمه ويكرمه، وهمزة ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ للإنكار والتعجب ﴿مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف: 50] من الله وقائمًا مقامه وهو إبليس وذريته.

إشارة وتأويل

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: 42] إشارة إلى

(1) المكراة: اسم مفعول من أكرى يكري إكراءً. وهي المرأة أكرت نفسها وأجرت.

خصوصية أعمال أعيان الأدوار والأكوار الإفرادية أو إلى تطور أحوال أعيان الأطوار، فإن خصوصية الآثار الأعمال وأنوار العلوم وأسرار الأعمال في الأدوار والأطوار لأصحاب القبول والفهوم حسب تقلب اقتضاءات الأدوار وارتضاءات الأكوار الإفرادية، يتغير ويتحول ويتبدل إلى أن يصل ويبلغ إلى الأحدية الجمعية والهيئة الإحاطية الكلية الدورية والكورية، وجمعية جمعية الكل، فإن صواحب الأدوار الإفرادية والأطوار الإفرادية زعموا أن جنة الأعمال وثمارها ونعيمها باقية لا يتطرق عليها تغير وتبدل، ولا يطرأ عليها تقلب وتحول، مع أنها ليست بمقصودة بالذات بل معدات طريق الوصول إليها بحقه الحقيق وهي الجمعية الأحدية والهيئة الإحاطية، الحاصلة في السير في اللّهِ لسالك جمعية الولاية والنبوية في مقام الجمعية الأحدية الوجودية العدمية، الأعيان والأكوان في جمعية الأدوار والأكوار الإفرادية وجمعية الجمعية، وهي قدمناها خمسة جمعية الأدوار الأربعة النورية الإفرادية، وكذا جمعية الأكوار المربعة الظلية الفردانيّة وجمعيتهما طردًا وعكسًا، وجمعيتهما معًا بلا تقدم وتأخر بحيث استوت الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية، وجمعية الجمعية الولاية، ومنطقة جمعية الذاتية والأسماء والصفات الذاتية والأفعالية والآثارية، والصورة الجمعية في أنواع الأدوار والأكوار، وجمعيتهما ثابت وكائن لله تعالى الحق الثابت بكمال الجمعية، المستوي سلطانه واستيلاؤه بالنسبة إلى الجميع، والتفاوت إنما هو في القابلية، كما أن نسبة البحر إلى الأمواج على السوية، وأما عظمها وصغرها إنما هو بحسب حصص أجزاء الماءِ ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ من حيث النور والجمال ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: 44] من حيث الظل والجلال.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ أي حكم خصوصية ظاهر مقتضياتِ الأدوار النورية الإفرادية الجمالية ورسم مرتضيات الأكوار الإفرادية الظلية التي هي في تعرض التبدل والانتقالِ ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ﴾ [الكهف: 45] أي من سماء البحر المحيط الجمعية العظمى الذي كان عليه عرش الرحمٰن فكان عرشه على الماءِ ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أي نبات مقتضيات خصوصية الأرضِ الاستعدادية الذاتية والقابليات الأولية وهي ألف الشؤونات الذاتية على مراتب النزول إلى غايتها وتعينت بصورة مقتضياتها ثم رجع إلى ما كانت عليه ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ أي

صارت تلك الصور فيه وينفصل منها حتى عادت إلى حالة التجرد ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ أي رياح المحبة الذاتية ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وجودي وعدمي إفرادي وجمعي أصلي وفرعي استقلالي وتبعي تدريجي ودفعي ﴿مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: 45] صاحب قدرة تامة وقوة عامة لا يختلف عندها الجزء والكل ولا يجوز ولا يحل ولا الضعيف ولا القوي ويتخلف عن حكمه شيء من الأشياء.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ﴾ أي العلوم والأحكام والرسوم والأحوال والمقامات والأعلام ﴿زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي مقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار الإفرادية ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ أي مقتضيات صادرة الجمعية ومرتضيات الصورة المعية والهيئة الكلية الإلٰهية والكونية ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ هو مقتضى جمعية الأدوار النورية الجمالية ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46] وهو مرتضى لجمعية الأكوار والظلية الجلالية.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ وننقل جبال تعيينات الأعيان الكلية الإفرادية النورية لدى انتقال فرداريّة السلطنة من دورة ومرتبة إلى دورة ومرتبة أخرى ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ﴾ أي مرتضى الظل والجلال والعدم والإظلال ﴿بَارِزَةً﴾ وقد كانت في ضمن الدورة النورية خفية كامنةً أو المراد هي الجمعية النورية والظلية بارزة وظاهرةً ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ [الكهف: 47] وأظهرنا جمعيتها التي كانت لدى انتقال الدورة من الدورة الإفرادية إلى الجمعية التي كانت خفية في الكل والباقي من آيات هذه العشرة يعلم بالغالبية.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الكهف: 50] التي هي أعيان الدورة العظمى النورية الجمالية الوجودية وغلب عليهم حكم إلى البساطة والوحدة الذاتية في المرتبة الواحدة وهي متأخرة عن الكورة الظلية الجلالية العدمية الظاهرة في الأحدية الجمعية التي هي برزخ بين الأحدية والواحدية وذلك لأن لمطلق الوجود والذات البحت والذات الأحدية باعتبار تركب اللفظ من مفهومين وجودي وعدمي، أما العدمي: فهو معنى الإطلاق والبحت والأصح هو نفي القيد والصفة والكثرة. وأما الوجودي: فهو الذات والوجود. ولكل منهما مظهر كلي ومظهر أصلي، أما المظهر العدمي: فهو الجلال والضمور. وأما المظهر الوجودي: فهو الجمال والنور. فمظهر العدم الذي هو باطن الوجود المطلق تناسب الأحدية الذاتية فهو

مرات الأسرار الأحدية والهيئة الغيبية التي كانت هي غيب الأنوار الإلٰهية وباطنها التي هي لا تتعين إلا في ظاهِر المراتب الأربعة والأدوار المربعة فلا بدّ أن تتعين تلك الأسرار في غيب الأدوار وبواطنِ المراتب المذكورة وغيب الأكوار المزبورة ويتفضل بنعوت الذات الأحدية وعنوانات الهوية الغيبية.

فإذن لا بدّ أن يكون لها أربعة أكوار: عظمى وكبرى ووسطى وصغرى فلا بدّ أن يكون في كل كورة أكوان عدمية يكون حكم نعت الأحدية والإطلاق عليهم غالبًا بأكوان الكورة العظمى وهي الأهرمان التي هي باطن الملائكة وعينها وسرها لا يستوي فيها أحكام النعت الأحدية في الكورة العظمى إلا في أكوار إلهية وأدوار غير متناهية فعظمة أعيان أنواع الأهرمان ومدة بقائها وكميات أوقات أعمارهم وكيفيات أطوارهم التي يتعين بالتجلي الذاتي الذي يكون بالعنوان الأحدي، ووجوه الهوية الغيبية لا يعلمها إلا اللّهُ، وهي خارجة عن طور العقل الذي هو من أعيان النور والجمال، بل عن التجلي العلمي، وإدراك هذه المرتبة وأعيانها وشهود أحوال أكوانها لا يغيب العقل وباطن العلم وهو التجلي الذاتي بالعنوان الأحدي والنعت الذاتي، ولا يصل العارف إلى هذا المقام إلا بعد الفناء الأحدي ولا بقاء بالبقاء الذاتي، يتجلى الهوية الغيبي وأكوان الكورة الكبرى وأعيانها هي الأغوال التي غيب الملائكة المدبرة وباطن الأرواحِ والنفوس المدبرة.

ومدة هذه الكورة هي عين الدهرِ وباطنه، وأما أكوان الكورة الوسطى وأعيانها إنما هي الشياطين، والأبالسة إنما هِي باطن الأشباحِ والمثل النورية، ومدة عينها إنما هي باطن العصر، وأكوان الكورة الصغرى وأعيانها التي هي غيب السماوات والأرض إنما هي الجان والجن، واجتماع هذه الأكوان وتصور جمعيتها مظهرٌ كوري ومصدر نوعي ومحضر إنساني وهو آدم ظلي جلالي وتفضيل شهود الأسرار الكوري الأحدي الظاهر لأكوانها وإدراكها والاطلاع على عيوبها لا يكون إلا بالإعلام الإلهي، فإن الله تعالى يبعث في غيب كل مرتبة وكورة من جنس أكوان تلك الكورة وأعيانها رسلًا وأنبياءً، وأنزل عليهم كتبًا وصحفًا أودع فيها أسرارًا غريبة وعلومًا عجيبةً، لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم وهم العارفون بالله الشاهدون لأسرار الغيبة بذات اللّهِ، وتجتمع هذه الأسرار والعلوم في آدم الكور العدمي والجلالي الذي يكون جزءًا من آدم الدور النوري الجمالي،

ويسمى بالمولود الجني كما أشار إليه النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وله قرينٌ من الجن**» قالوا: وإياك يا رسول الله قال: «**وإياي إلا أن اللّه تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير**».

فلما تمت مقتضيات الأكوار الظلية واستكملت مرتضيات الأعيان الجلالية الإفرادية واجتمعت تلك المرتضيات في الكون الجامع الكوري مع كون آخر نوعي أصلي وفرعي إفرادي وجمعي، وظهرت الذات وتعينها بالتجليات الجلالية الظلية العدمية في غيب العلم الشهودي، أراد أن يظهر بالتجليات النورية الجمالية الوجودية بصورة الحياة بعد الظهور بصورة العدم والممات ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2] وكانت في الصورة الأولى الكورية مخفية عن التجليات النورية الجمالية الوجودية وأعيانها «**كنت كنزًا مخفيًّا فأحببتُ أن أعرف فخلقت الخلق لأُعرف**».

ولظهورها بالتجليات النورية الجمالية في المراتب الأربعة أدوار أربعة هي ظاهر الأكوار ووجودها فبأداء كل كورةٍ دورة وبحذاء كل أكوان أعيان يكون ظاهرها ووجودها فيكون بإزاء أكوان الأهرمان فإن الملائكة العالية والعقول المجردة وبإزاء الأغوال الأرواح والنفوس، وبإزاءِ الشياطين والأشباح والعكوس، وبإزاء الجان السماوات، وبإزاء الكون الكورة الجمعي هو الموجود النوعي، وهو المولود الإنسي الجامع للمولود الجني. وإنما سجدت الملائكة لآدم الدورة النورية لأنهما من جنس النور والوجود، وأبى إبليس والجن لأنهما ليسا من جنس النور والجمال والوجود، بل هو من مرتضى الظل والعدم والجلال وهما متضادان من حيث الوصف والصفة والمفهوم والنعت والقرب من حيث الذات قائمان بها، ورب الأدوار الأربعة النورية من الصفات الأولية والأسماء الذاتية هو العلم والصغرى هو الإرادة، وأرباب الأكوار هي بواطن هذه الأسماء وعينها، ورب الصورة الجامعة والهيئة الكلية الإجمالية النوعية الرافعة للكل إلى الذات الأحدية، إنما هي الصورة الجمعية بين الذات والصفات، وهي حقيقة الإنسان، وانتهاء المعارف السائر في الأدوار الوجود وأكوار الشهود، وليتكلم في أطوار مشاهدة واجب الوجودية إلا أن دار في أكوار العدم وأدوار الوجود في الحدوث والعدم، وذلك من خصائص المظهر الموعود والمهدي المعهود، ومدّ

الاستكمال إنما يتم في الأدوار والأدوار الإلٰهية والأكوار الغير المتناهية.

واعلم أن حقيقة الإنسانِ أعني الوجود المطلق والذات تحقق المثبت باليقين الذاتي الأولي ينزل على المراتب ويصل به مرتبة العناصِر الأربعة فباعتبار أن الهيولىٰ مشتركة بين العناصرِ يندرج كل واحد الباقية ويعتبر في النار وينقلها الأربعة الحرارة واليبوسة والبرودة والرطوبة، فمن النار الحارة السمية يتولد نوع من الإنسانِ وهو آدم ويتولد من جنسه الأيسر، زوجته هي ماريجان، ويتولد من الجان والجانة الجن والشياطين ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمٰن: 15] ومن الجن والشياطين أي إبليس، ثم خلق من جمعيتهما الإنسان ونفخ في الكل بعد التسوية من روحه ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٧٣ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [ص: 72 - 74].

﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۝٥١﴾

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أقول: أي ما أشهدت ذات إبليس وذريته ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السبع والكرسي والعرش ولا كيفية خلقها ولا كمية أجزائها ولا ترتيبها كيفية وكمية تركيبها في يوم خلقت السماوات والأرض فيه ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أحضرت لهم خلق ذواتهم يوم خلقتهم فيه وإنما نفى إحضار إبليس وذريته في خلق السماوات وغيرها لئلا يقصدوا به وبذريته وصرح به ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ من الأبالسة والشياطين ﴿عَضُدًا﴾ [الكهف: 51] أعوانًا وأنصارًا وشركاء رد عليهم اتخاذ أوليائهم شركاء من دون اللّهِ في العبادة إذ استحقاق العبادة من توابع الخالقية ولوازم الربوبية والاشتراك فيه يستلزم الإشراك فيها فوضع المظهر موضع المضمر استبعادًا لاعتضادهم وتوبيخًا عليهم ومذمة لهم، وقيل ضمير أنفسهم راجع إلى المشركين يعني ما أشهدتهم خلق تلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم، حتى لو آمن من الناس باللّهِ وبرسوله لتمكنوا منهم، فلا تلتفت يا محمد إلى قولهم طمعًا في نصرهم في الدين وتعقبهم للإسلام وأهل اليقين، ولا يليق لك أن يعتضد بالمضلين لدينك عضدًا جميعًا عاضد من عضدهُ إذا قوّاه.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ الله للكافر وقرأ بالنون للتعظيم ﴿نَادُوا۟﴾ واطلبوا ﴿شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ في الدنيا أنهم شركائي في الألوهية أو شفعاؤكم لينفروكم ويمنعوكم من عذابي، وفي إضافة الشركاء إلى نفسه توبيخ وتهديد، وتسفيههم وتحميقهم وتجهيلهم بأقبح الوجوه صادرة من كل اللسان والقوة ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ ونادوهم للنصرة والإعانة ومنع انتقام اللّهِ إياهم ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ [الكهف: 52] ولم يجيبوا ولم يلتفتوا إليهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ بين الكفار وبين آلهتهم ﴿مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: 52] مهلكًا يشتركون فيه وهو واد في النار أو في جهنم اسم مكان أو مصدر من وبق يوبق وبقًا وموبقًا إذا هلك قيل البين هو الوصول أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكهم يوم القيامة وفي الآخرة وذلك لقوله: (ولقد تقطع بينكم) على قراءة من قرئ بالرفع.

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ﴿ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ داخلوها وواقفون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: 53] أي عن النار مخلفًا ينصرفون إليه وينقطعون لديه.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ وبينا ﴿فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ وبيان على طريق التمثيل والتشبيه ليتذكروا ويتعظوا ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: 54] خصومة في الباطل إذا ضلّ وطبعه لتركبه من أمور متضادة يتداعى كل منها إلى مقتضى شبحها من غير انصراف إلى منهج صواب ومنهج حسنٍ جزاءًا وثوابًا.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾ [الكهف: 55] أي ما منع منه إيمانهم باللّهِ والتصديق

بوحدانيته ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي وقت مجيء الهداية والقرآن أو البيان أو الرسل أو سلام اللّهِ ورحمته ووفور نعمته ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الكهف: 55] في تأويل ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ﴾ المصدر المرفوع فاعل ما منع الناس والأول أيضًا في تأويل مفعول غير صريح أي ما منع الناس عن الإيمان بالله إلا لتنزيل العذاب عليهم مثل عذاب الأمم الخالية وعذاب الطوائف السالفة البالية وهو الجلاء والقتل والأسر الذي قدره الله عليهم وإقبال الشقاوة وإحلال الخسارة والندامة لديهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: 55] عيانًا منه من المقابلة أو فجأةً بضمتين لغة فيه أو جمع قبيل أي أنواع العذاب أيضًا، وقرئ بفتحتين وهو لغة فيه يقال لقيته مقابلة وقبلًا وقُبُلًا حال من الضمير المنصوب.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنة وبنعيمها ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالنار وجحيمها ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة والمشركين ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [الكهف: 56] والقول الفاصل وهو قولهم: بعث الله بشرًا رسولًا ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يس: 15]، ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: 31] وما أشبه ذلك ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ ويعطلوه من الدحض وهو الزلّ والزلل والإزالة، أي ليزيلوا به الدّين الحق والقول الثابت بطريق الحق والصواب والصدق ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى﴾ أي اتخذ الكفار المذكور من آياتي وكتاب فرقاني ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ وما أنذروا وخوفوا به وهو القرآن، والأول لهم أعم، فالتخصيص بعد التعميم لاهتمام النشأة به، والتعظيم دائمًا مقرون بالإنذار، لأن النفوس الخبيثة لا تنزجرُ إلا بالتهديد والتخويف ﴿هُزُوًا﴾ [الكهف: 56] استهزاءً وسخريةً.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ﴾ ووعظ ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: 57] وتولى

عنها وتركها ونبذها ولم يؤمن ولم يصدق فيها ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ وعمل بها من الأفعال الدنية والأعمال الردية ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطيةً وحجبًا وأغشيةً ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أي لئلا يفهموه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلًا وصممًا لئلا يسمعوه ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ﴾ يا محمد وتناديهم ﴿إِلَى الْهُدَىٰ﴾ والدين الحنفي البين ﴿فَلَن يَهْتَدُوا﴾ لن يقبلوا ولن ينالوا دعوتك وهدايتك إذًا أي حالة حلول الثقل ونزول الصمم على القوة السامعة المانع لسماع القول الحق والكلام والصواب والصدق ﴿إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 57] أصلًا أو قطعًا، وإذا جواب وجزاء للرسول عليه الصلاة والسلام على تقدير قوله: «**وما لي لا أدعو إلى الإسلام**». وإذ لم يقبلوهم لأنهم قوم قد علم من حالهم أنهم لا يؤمنون إلا أن اللّه أخبرهم بدعوتهم وتبليغ الأحكام إليهم ليظهر تصميمهم على الكفر.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا (58)﴾

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ﴾ الكثير الغفران ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ أي الموصوف بكمال الرحمة ووفور العاطفة ودرور النعمة ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ بلا مهلة ويعاقبهم في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الآثام والذنوب وإفشاء المعاصي وإنشاء العيوب ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ أي لنزل لهم العذاب وحلّ لديهم قطعًا بلا مهلة وتراخٍ ﴿بَل لَّهُم﴾ أي لحلول عذابهم ونزول عقابهم مما يقتضيه كمال الحكمة البالغة من إمكان، واحتمال أن يكون فيهم من تَقَبَّلَ الإيمان وحسن إسلامهُ كعكرمة بن أبي جهل ﴿مَّوْعِدٌ﴾ أي وقت موعود أو زمان معهود في الدنيا وفي الآخرة ﴿لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: 58] أي غير اللّهِ مخلصًا وملجأً ومحيصًا ومنجأً.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (59)﴾

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ ودمرناهم كقوم نوحٍ وعاد وثمود وآل فرعون ونمرود وأفناهم وأنفيناهم من وجه الأرضِ إذ هم كفروا ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ وأشركوا ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾ بفتح الميم واللام وقرئ بكسر اللام وهو اسم الزمان أي لوقت هلاكهم أو مصدر ميمي أي لهلاكهم أو لإهلاكهم ﴿مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: 59] أي وقتًا

معينًا فعلى الأول مصدر وعلى الثاني اسم الزمان.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ فاعل قال: ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ أي اذكر قول موسى ليوشع بن نون بن أفراهم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام فإنه كان يخدمه ويتبعه وهو ابن أخت موسى عليه السلام ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ لا زلت ولا أزال أسير وأسافر فحذف خبره اعتمادًا على قرين الحال وهي السفر ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ﴾ وأصل ﴿مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: 60] روي أن موسى أقام خطيبًا في بني إسرائيل فسئِل: أيُّ الناس أعلم يا موسى قال: أنا أعلم، فأوحى إليه إنَّ لي عبدًا من عبادنا الصّالحين بمجمع البحرينِ هو أعلم منك فقال موسى: يا رب فكيف لي به علم؟ فقال تبارك وتعالى: يأخذ منك حوتًا فتجعله في مكتلٍ فحيث ما فقدت الحوت أمشي وأتحرك وأسقط في البحر فهو ثمة ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: 61] فلما استيقظ موسى وصاحبه نسيا حوتهما فانطلقا بقية يومهما أو ليلهما حتى إذا كانا من الغد، قيل: البحران هما موسى وخضر فإن موسى بحر النبوة، وخضر بحر الولاية والعلم في الله يجمعهما ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: 60] جمع حقب وهو الدهر قيل ثمانون سنةً أو سبعون، يعني أسير زمانًا طويلًا، والخضر كان في زمانِ أفريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى زمان موسى، قيل: إن موسى سأل ربه: أيُّ عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني وهو في الحقيقة ذكر الله عباده ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152] الآية، فقال: أي عبادك أقضى؟ قال: الذي قضى بالحق ولا يتبع الهوى، فقال: أيُّ عبادك أعلم؟ فقال: الذي يبتغي علم الناسِ إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدل على هدى أو ترده عن رديءٍ، فقال: إن كان في عبادك أعلم مني فادللني عليه، قال: أعلم منك الخضر قال: أين أطلبه؟ قال: على الساحِل عند الصخرةِ فإنه يسكن الجزائر وبقية الحكاية قد تقدمت.

إشارة وتأويل

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: 51] أي ما

أحضرتهم ولا أطلعتهم لأجعلهم شاهدًا أو حاضرًا أعيان الأدوار الإفرادية عند خلق السماوات والأرض في دورة من الأدوار ولا في كورة من الأكوار خلقهما ولا كيفية خلقهما، وأما أعيان الأدوار النورية الجمعية والظلية المعية فإنهم لكونهم مستكملين في الأدوار مستجمعين خصائص الأطوار ونصائص تمام الأنوار الإلٰهية والإسرافات الربوبية متقدمون في الوجودِ على سائر الأعيان الوجودية كالأملاك والعقول والنفوس، والعدمية كالأهرمينات والأغوال والشياطين والأبالسة والأفلاك والعناصِر، وما يتركب منها لكونهم مظاهر الصور الجمعية الإلٰهية والكونية.

قال علي كرم الله وجهه: أنا قائم في ظلمة البحر حيث لا روح يتحرك فلا نفس ينتقل غيري، وهم مع اللّهِ في خلق السماوات والأرض قال النبي ﷺ: «**أول ما خلق الله نوري، وأنا وعلي من نور واحد**». وكذا روي عن بعض العرفاء: «كنت أنا مع اللّهِ في خلق الشمس والقمر وسائر النجوم وسائر الدّرر بل أنا الذي كان يأتيه ولم يكن معه شيء». قال علي كرم الله وجهه: أنا الذي كان ولم يكن هو شيء ولا ذا على ما كان عليه.

قد تقرر في قانون الحكمة الإشراقية إنه قد تبين أن الإنسان هو باب الأبواب فأتى حقيقته من حقيقة كل الأشياء وإن الأفلاك ونفوس تمام الأفلاك هي مستنسخات من نفوسِ بني آدم وهذا الحكم وإن كان شاملًا لجميع الأفراد الإنسانية إلا أن مشيئته الذاتية وإرادته الكلية الأزلية قد خصصت بعض الأعيان من آحاد أفراد حقيقة الإنسانِ بهذا السر العزيز، والسر العزيز ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269] فبقي الإشهاد والإحضار إنما يتعلق بنفي العلم بالعلم لا ينفي مطلق العلم لأنهم يعلمون لكن لا يعلمون أنهم يعلمون، وهذا إنما يتحقق بوجوه ثلاثة **أحدها**: بطريق الأنفس فإنه يرى ويشاهِدُ في نفسه في السير في اللّهِ ومع اللّهِ إن اللّه خلق السماواتِ والأرض وما بينهما وهو بطريقين:

أحدهما: يرى ويشاهِدُ أن اللّه خلق في بداية الأدوار النورية السماوات السبع والكرسي والعرش على هذا النمط المذكور وكذا خلق الأرض على الترتيب المسطور وخلق سماوات الأرض الأربعة النورية وأرضها على عكس

سماوات الأكوار الأربعة وأرضها فإن أرض الأكوار عالية وسمواتها منخفضة وأشجارها منتكسة كما يرى في طرف النهر والحياض والأوان مملوءة ماء والأرض والأشجار مرتفعة والسماء والكواكب هابطة ناكسة.

الثاني: أن يرى في الأنفس نفسه متحقق بالألوهية وبنعت الربوبية وما يلزمهما من شهود الصور العلمية والشؤونات الذاتية ومن الإيجاد والتكوين بأنه خلق في كل دورة سمواتٍ رابضًا يليق بتلك الدورة، وكذا في كل كورة بخلق السماوات والأرض، ويليق ويناسب تلك الكورة، وأما في الآفاق فالعارف يشاهد أن اللّه قد خلق ويخلق ما خلق من السماوات والأرض في الأدوار والأكوار ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: 53 - 54].

الوجه الثالث: على طريقة البروز فإن العارف الذي لا بداية لوجوده ولا نهاية لإدراكه وشهوده بما يبرز ويظهر الحق بخصوصية هويته الشخصية فيكون هو صفاته الإيجادية ونعوته التكوينية، والتحقق أن الصفة من حيث إن الغيرية قد انتفت من غيب الحق، وقد يكون الحق هويته الآنية وآنيته الكونية، فيرى العارف الحق بالحق، ويرى بالحق ويعطي ويظهر بالحق، ويظهر الخلق بالحق، ويوجد الحق ويعدم بالكل، وغير ذلك، الحق كما قال تعالى: «**لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه**» الحديث، هذه هي البرزات الإلهية، وسيجيء بقية الكلام في حكاية الخضر عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ إشارة إلى أن القرآن من حيث اللفظ والمعنى هو الصورة الجمعية والإلهية الكونية محيط بتمامها في الأدوار والأكوار النورية والظلية والوجودية والعدمية الجمالية والجلالية الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية الأصلية والفرعية التدريجية والدفعية، وإنما ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: 54] أي خصومة وحجة وتجلية لتقدمه على الكل وجودًا وشرفًا، ولتضمنه جميع الظهورات والخفيات وبذريعته يتحقق الظهورات والبروزات الغيبية.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ

﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إشارة إلى أن الأدوار ما فيها من الأعيان ما دامت مترددة في الأدوار الإفرادية، لم يهتدوا إلى الإيمان الجمعي والإيقان السمعي والإيقان الدفعي الأصلي والفرعي ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: 55] أي يظهر ما كان في ضمنه من الكورة الظلية العدمية الجلالية على سبيل منع الخلو.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ في الأدوار النورية الجمالية ﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنان النورية الوجودية صريحًا ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ في هذه الأدوار النورية بمرتضياتِ الأكوار الظلية الجلالية من أنواع العذاب ضمنًا وخفيًا ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أعيان الدورة النورية الإفرادية بالكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ في جمعية الأدوار والأكوار فيهما ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ﴾ أي بمقتضى الأعيان النورية الإفرادية وبمرتضى الأكوان الظلية الوحدانية ﴿ٱلْحَقَّ﴾ أي الجمع الكمالي والكمال الجمعي ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي﴾ أي لاقتضاءات الجمعية والارتضاءات المعية والكتاب الجامع الجمالي ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا﴾ [الكهف: 56] بمرتضيات الجلالية الخفية أو باطن الكتاب الجامع.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ وحجابًا نورانيًّا من العلوم والإدراكات والأحوال والمقامات والكشف والكرامات ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ حجابًا ظلمانيًّا جلاليًّا ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ أي المقام الأصلي والجمع الأولي والكمال الجمعي النوري والظلي ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 57] ما داموا وكانوا متعبدين بخصوصية مقتضيات الأدوار والأكوار.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ الآفاقي في الدورة الكبرى أو النفسي في الطور السري ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ أي للصدر الذي هو برزخ وواسطة بين النفس الأمارة وبين موسى الطور السري ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أي بحري البدن والنفس العاملة أو بحري النفس والعقل ومجمعهما هو القلب ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: 60] أي أدور وأسير في الأدوار والأكوار الإفرادية المذكورة إلى أن تصل إلى استعداد الوصول إلى المقام الكلي والمرام الأصلي والفرعي الذي هو مقر الحضرة الخضيرية، فإن صاحب الجمال الجمعي والجمع الكمالي بين الجمال والجلال هو خضر عليه السلام، وصاحب الكمال الجمعي الأصلي والفرعي الإفرادي والجمعي بأن يكون الجمال ملحوظًا أولًا: الجلال، ثانيًا: هو المرتضى.

وأشار إلى هذا بقوله: أنا قائم في ظلمة خضر حيث لا روح يتحرك ولا نفس يتنفس غيري، وهما صاحبا القدرة الذاتية والقوة العامة في البروزات وتكور الظهورات وفي التصور في الكون، فحضرة خضر يكون صفات الجلال عاليًا عليه نفى تصرفه في السر والخفاء عاليًا وإما عالي بالحضرة على المرتضى فلكون النور والجمال وجمعيتهما بالظل والجلال غالبًا، برز وظهر تصرفه في الظاهرِ والعلانية كما قال النبي ﷺ مشيرًا إلى هذا: «**يا علي كنت مع الأنبياء سرًّا وصرت معي جهرًا**»، ولذا قارن وقارب موسى الطور السري بحضرة الخضر لغلبة مقتضى الجلال الذي هو رب القوة النظرية بذريعة معصية الفكر، وبمعونته تعالى مقدمتي الفكر والنظر، ولذا أمر الله تجليهما وطرحهما في وادي مقدس القرب بقوله: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: 12] وصارت الحضرة الختمية صاحب الجمعية الكبرى والهيئة العظمى قرنيًا ومقارنًا بالحضرة العالية العلوية التي هي ختم الخلافة الكبرى لغلبة النور والجمال وكمال جمعيته بالظل والجلال الذي هو رب القوة العملية قال النبي ﷺ: «**من عمِل بما علِم علّمه الله عِلم ما لم يعلم**».

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: 61] قال ابن وهب وكثير من أهل العلم هو موسى بن ميسا نبي كان بعد موسى بن عمران بدهر وقال بعضهم: هو موسى بن عمران فذلك أنه قد ركب في البحر فأعجبه علمه فقال في نفسه: ما أحد من زمانِه أعلم مني فرفع عصفور في منقاره لفظةً من ماء البحر فأوحى الله لموسى: «ما علمك عند علم عبدٍ من عبيدي إلا كماء هذا العصفور الذي أخذ بمنقاره من البحر» فقال موسى: يا رب اجمع بيني وبين هذا العبد العالم وسحره حتى أعلم من علمه فأوحى الله إليه إنك ستلقاه فمضى هو وغلامه ومع غلامه خبز وحوت قد أكلوا بعضه فمضوا على شاطئ البحر وقال بعض أهل العلم كانوا يمشون على الماءِ حتى انتهوا إلى نهر توضأ الغلام فأصاب الماء ذلك الحوت الذي كان معه قد أكلا بعضه فخرج الحوت إلى الماء ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ الوضع نصب ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: 62].

﴿قَالَ﴾ له فتاه ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ وكان الخضر عليه السلام قائمًا عليها وكان تحتها نهر يقال لها نهر الحياة ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ يريد أن يحدثك بقصة الحوت إني توضأت فأصاب الحوت من وضوئي

شيء من الماء فخرج حيًّا ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ يريد لك ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: 63].

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ يريد ملتقى البحرين العذب والمالِح ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: 60] والحقب الدهر الواحدِ بضع وثمانون سنة، والسنة ثلثماية وستون يومًا واليوم الواحد ألف سنة.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ يريد ملتقى العذب والمالِح ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ يريد نسي الفتى أن يذكر قصة الحوت لموسى ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: 61] يريد مسيرًا.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ لصاحبه ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: 62] وذلك أنه لم ينصت حتى جاوزا الموضع الذي يريده فلما أخرج من حد الوضع نصبًا، فدعا بالطعام ليأكل فأخبره بقصة الحوت.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: 63] قال موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف: 64] نريد ونطلب ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: 64] قال والله أعلم: أن الحوت كان في الماء بين يديه يضع يده على الطريق حتى وقف على الصخرة التي عليها الخضر عليه السلام فلما رآه قال: السلام عليك ورحمة اللّهِ قال الخضر: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا موسى ما كان لك في بني إسرائيل تغفل عني.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65] يريد أعطاه علم عامة الغيب فاسأل اللّه أن يجمع بيني وبين عبده ويعلمني بعضًا من علمه أو ترتيبه.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ [الكهف: 66] يريد أتبعك ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: 66] يريد بالسهولة منك لي.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: 67] يريد لن تصبر على صنعي إني علمت غيب علم ربي.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: 68] يريد لم تحط بعلم الغيب ولم تخبر منه شيئًا.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: 69] يريد لا أخالفك في شيء.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى﴾ يريد صحبتني ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ﴾ يريد مما أفعل ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 70] يريد حتى يكون أنا الذي أقره لك لأنه قد غاب علمه عنك.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ أقول أي موسى ويوشع ظرف أضيف إلى مجمع البحرين على الاتساعِ أو بمعنى الوصل أي بلغ هو وصاحبه في طلب خضر عليه وعليهما السلام مجمع البحرين هو ميعاد ملاقاة ﴿نَسِيَا﴾ أي نسي موسى أن يطلبه ويتعرف حاله، ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياة السمك ووقوعها في البحرين وذلك أن موسى مع صاحبه أووا إلى الصخرة بأرض تسمى سيران على ساحل البحر تسمى أيلة وعنده عين يسمى عين الحياة فباتا عندها تلك الليلة وقرب موسى أكلته من العين وفيها الحوت مع خبزه فأصابه من مائها فعاش الحوت فلما نام موسى وقعت السمكة في الماء فجعلت لا يمس صفحها شيء من الماء إلا انغلق الماء وأكل جانبه وصار أثر الحوت في الماء كهيئة السراب في الأرضِ (هذا): إما معجزة موسى حيث عاش المشوي الذي أكل منه البعض أو معجزة خضر أو معجزهما وأيًّا ما كان فهو بقدرة الله تعالى وإرادته وحكمته ومشيئته الذاتية قيل كان يوشع يتوضأ من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش وتحرك ووثب في البحر ﴿حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ﴾ الحوت وسلك ﴿سَبِيلَهُۥ﴾ وطريقه ﴿فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: 61] بارزًا مأخوذ من السراب وهو الظهور ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: 39] الآية، قيل: أمسك الله جرعة الماء على الحوت وصار كالطاق عليه مفعول ثانٍ وفي البحر حال منه أو من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ وانصرفا إلى مجمع البحرين ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا﴾ وأعطنا ﴿غَدَآءَنَا﴾ أي يتغدا به ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: 62] وجوعًا وتعبًا قيل ينصب موسى حتى جاوز الموضع الموعود فلما جاوزه وسار الليلة والغداة إلى الظهر ألقى الله تعالى إليه الجوع والنصب. قيل: لم يعمل موسى في سفرٍ غير هذا ويؤيده التقييد باسم الإشارة.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿قَالَ﴾ له فتاه ﴿أَرَءَيْتَ﴾ يا موسى ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ التي رقد عندها ونام لديها موسى مع فتاه وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ في بيتنا أو نسيت ذكره بما رأيت منه من الأمرِ العجيب والطور الغريب ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: 63] وهو اعتذار من نسيانه ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراده إلى جانب القدس بما عراه وعرض به وطرأ من مشاهدة الآيات الباهرة، وإنما نسبه إلى الشيطان إشارة إلى أن كل ما يشغله من الرب فهو الدنيا والشيطان لقوله عليه السلام: «**كل ما يشغلك عن ربك فهو دنياك**» الحديث والدنيا إنما يكون شيطانًا إذا أشغلك عن ربك ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: 63] أي سبلًا يكون عجبًا أو اتخاذًا أو حال كونه عجبًا، والمفعول الثاني وهو الظرف، أو هو مصدر فعله مضمر أي قال في آخر كلامه أو موسى في جوابه عجبًا من تلك الحال قيل للفعل لو بنى أي اتخذ موسى سبيل الحوتِ في البحر عجبًا فكان للحوت سربًا ولموسى وفتاه عجبًا.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾

و﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمر المذكور للحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ ونطلبه لأنه من إمارات البغية وعلامة المفقود لموسى وفتىً من ألفتية، (ما) موصولة والعديد محذوف وهو مع الصلة خبر ذلك وإذا كان كذلك ﴿فَٱرْتَدَّا﴾ ورجعا رجع القهقرى ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ ورسوم أقدامهما يقصان ويحكيان ﴿قَصَصًا﴾ [الكهف: 64] وحكاية: أتيا الصخرة الموعودة والحجر المعهودة.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾

﴿فَوَجَدَا﴾ أي موسى وفتاه لدى الصخرة ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ ورجلًا من أهل داود في طرفٍ من بلادنا من أهل الله قائمًا يصلي وعليه جبة من صوف اسمه اليسع لاتساع علمه وإدراكه وارتفاع حكمه في السماوات السبع والأرضين السبع مثلها أو يلياس أو إلياس فسلم عليه موسى وفتاه، فأنكر الخضر عليه السلام بأرضه وانصرف فرأى موسى فعرفه، فقال: وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل قال: وما يدريك أني نبي إلى بني إسرائيل؟ قال: أدراني الذي أرشدك إلي وأدراك بي ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ وهي الوحي والنبوة والعلم باللّهِ أو العلم اللدني ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65] مما يختص بنا ولا يعلمه أحدٌ غيرنا إلا بتوفيقنا وتعليمنا وإرشادنا وهو العلم بالغيوب قال موسى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ أي على شرط في موضع الحال من الكاف ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ وعلمًا ومعارفًا وإدراكًا وهو إصابة الخير مفعول تعلمني أو مفعول ﴿عُلِّمْتَ﴾ فالعلم محذوف وكلاهما مفعولان من علم الذي له مفعول واحد، ويجوز أن يكون لأتبعك أو مصدر بإضمار فعله ولا ينافي هذا نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرط أن يكون أعلم أرسل الله فيما بعث من الدين وفروعه لا مطلقًا، بل قد راعى في ذلك غاية التواضع والأدب، فاستحمل نفسه واستأذن أن يكون تابعًا له وسأله من أن يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله لما طلب موسى من الخضر ﴿رُشْدًا﴾ [الكهف: 66] قال الخضر: كفى بالبر علمًا ولبني إسرائيل سلفًا، فأعاد موسى الكلام فقال له الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: 67]، قال له موسى: لِمَ، قال: لأني أعملُ أعمالًا لا تعرفها ولا تصبر عني ما ترى من العجائب حتى تسألني عنه.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ﴾ يا موسى ﴿مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: 67] وشرط العلم العلم اللدني الصبر وصبر النفس على ما هو شاق على نفسه.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: 68] أي كيف تصبر ورائي وأنت نبي وشأن النبي أن يتبع على أن ما أوتي وما يتصدى إليه من أمور ظاهرها مناكر وباطنها لم يحط به خبرُك و﴿خُبْرًا﴾ مصدرًا وتمييز.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ على ما أرى من العجائب ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: 69] فيما أمرتني به ونهيتني عنه.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾

و﴿قَالَ﴾ له الخضر ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى﴾ وصدقت فيما ادعيته ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ﴾ فعلته وأريد أن أفعله ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 70] وأبين لشأنه.

إشارة وتأويل

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: 61] واعلم أن التأويل قسمان: آفاقي وأنفسي، أما الأنفسي فخضر عبارة عن اللطيفة الخفية والطود الخفي، وظلمته وهي ما أظلمه الإمكان الذاتي والنور الأسود المسمى بنور الذات، قال علي كرم الله وجهه: أنا قائم في ظلمة خضر حيث لا روح يتحرك ولا نفس يتنفس غيري. وموسى عبارة عن الطور الروحي والطور السري، كل منهما له اعتبار، ويوشع هو الصدر، وأما التأويل الآفاقي فخضر عبارة عن الصورة الجمعية بين الأكوار والأدوار الجلالية والجمالية الإفرادية والجمعية والحضرة التي هي الصورة الجمعية، الأدوارية والأكوارية الجمالية والجلالية الإفرادية والجمعية الأصلية والنوعية.

وأما موسى فهو صاحب الدورة الوسطى الجمالية التي تكون حكمه فيها أصالة وصريحًا ويوشع تابع له في هذه الدورة وأنت خبير بأن الصورة الجمعية الجلالية الخضروية تكون في الدورة الوسطى ضمنية خفية، فأمر الله موسى الطور الروحي صاحب الدورة الوسطى مع يوشع الصدر التابع للطور السري ومرتبة الفؤاد، أن يطلبا الطور الخفي الخضري والمرتبة الجمعية الخضرية الجلالية

والجمالية، فلما بلغا مجمع بينهما أي البرزخ الجامع والحد الفاصل بين الطور الخفي والسري الروحي، وصاحب الدورة الجمالية المايلة الجامعة للدورة الكبرى والعظمى لتضمنه للدورة الصغرى النورية نسيا حوتهما أي العلم الإلهي والإدراك الفطري الذي يستصحب جميع النفوس الكاملة والناقصة، ويكون ذريعة العلم الأوفى الذي هو تابع للحصة الإلهية المساوية في جميع المدارك الكونية والمسالك الكتابية ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: 61] أي عاد ورجع إلى شبحه الأولى وشبحه الأصلي وهو الوجه الإلهي الذي يحتجب الوجه الكوني.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ أي صاحب الدورة الوسطى النورية وهو الطور السري الموسوي وهو صاحبه وهو يوشع الصدر الذي هو تابع للطور السري الذي هو الفؤاد عن مجمع البحرين، وتعدى الحد الجسماني والسد النفساني، ووصلا إلى ساحل بحر عالم الأمرِ وهو الطور الروحي والطور القلبي والدور الغيبي، وتقوت المناسبة، واستحكمت بين الطور السري والطور الخفي وطور غيب القلوب، فتشعشعت شوارق مشارق شمس المعارف الفطري والفوارق من الوسطى الجمعية على الطور السري من فؤاد موسى الطور السري صاحب الدورة الوسطى، وصدر يوشع عن حوت العلم اللدني الذي كان من الفطرة الأولى والنشأة العليا ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: 62] أي التردد في مسالك الأطوار ومدارك الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: 63] إشارة إلى تكثر النشأة وتكرر الشؤونات اللازمة للنفوس المترددة والعكوس المتبددة والتي لا يبلغ إلى كمالها آلاء، والشيطان هي التقييد بخصوصية مقتضيات الأدوار النورية وارتضاءات الأكوار الظلية.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ [الكهف: 64 - 65] وإنما ذكر موسى باسمه ولم يذكر الخضر باسمه الخاص بديل باسم نكرة مبهم لسرَّين **أحدهما**: أن موسى من الأعيان النورية وحقهما الظهور واليقين، والخضر لما كان من تعينات الظل والخفاء فالحري أن يذكر باسم يكون مناسبًا لمرتضاه.

الثاني: إشارة إلى كمال بشارة وهي أن كل حصة من الحصص الوجودية والنصص الإلهية الشهودية من شأنها أن يبلغ إلى هذا، ولذا أضاف العباد إلى نفسه وأردفها بما يقتضي ذلك الكمال ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً﴾ ونعمة كاملة تامة فاضلة ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ من كمال جمعيتنا وجلال معيتنا وهي الجمعية النورية الوجودية الجلالية ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65] أي علم الأدوار والأكوار والبروزات وأقسامها وإشراقات أنوار الظهورات وتطورات التجليات العلمية والغيبية الشهادية والغيبية حيث ما يقتضيه خصوصيات الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية الأصلية والفرعية ولمن كان أكثر النشآت وأوفر البروزات في الأدوار والأكوار الوجودية والعدمية وجمعيتهما كان حظه من العلوم اللدنية أظهر وأشهر وسهمه منها أنور وأزهر والباقي ظاهِرٌ.

تفسير

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾

﴿فَٱنطَلَقَا﴾ وتمشيا موسى وخضر على ساحل البحر طالبين السفينة فلما وجدها وكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بلا نولٍ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ﴾ فإن الخضر قد قلع لوحًا من ألواحِ السفينة بالقدم فقال له موسى: قوم حملونا بلا نولٍ فأنت عمدت سفينتهم فالخضر إذا ﴿خَرَقَهَا ۖ﴾ بأن قلع لوحًا بحيث دخل الماء في السفينة فعمد موسى تعمده بتعديه فأخذ ثيابًا فدسها في خرق السفينة لئلا يدخل الماء وكان موسى ينكر الظلم فقام موسى إلى الخضر فأخذ بلحيته فـ﴿قَالَ﴾ له ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف: 71] منكرًا عظيمًا والإمرِ في كلام العرب: الداهية، وأصله: كل شيء شديد كثير يقال: أَمِرَ القوم إذا كثر واشتد أمرهم. روي أن خضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء إلا أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشى به الخرق لئلا يدخل الماء السفينة، ولم يمنع دسه الماء منها. وأن الخضر قد أخذ قدحًا من زجاج ورقع به خرق السفينة فمنع من دخول الماء فيها.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾

﴿قَالَ﴾ الخضر ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: 72].

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿قَالَ﴾ موسى في جوابه ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ وروي أن الأولى كانت من موسى نسيانًا والوسطى شرطًا والثالثة عهدًا ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ ولا تغشيني ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: 73] ولا تغشيني يعني من قولي، ثم بعد ذلك فقد صار موسى مغمومًا يقول في نفسه لقد كنت غنيًّا عن اتباع هذا وأنا في بني إسرائيل أقرئهم كتاب الله غدوةً وعشيًّا، فعلم الخضر ما حدّث في نفسه وجاء طيرٌ يرون أنه الخطاف حتى وقع على ساحل البحر فنكت بمنقاره ثم وقع على صدر السفينة ثم صوَّت فقال الخضر: يا موسى أتدري ما يقول هذا الطائر؟ قال موسى: لا. قال يقول: ما علم موسى وعلم الخضر في علم الله تعالى إلا كقدر ما رفعت بمنقاري من ماء البحر في قدر البحر ثم خرجا من السفينة على بحر أيلة.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿فَانطَلَقَا﴾ على ساحل البحر ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا﴾ لقيا ﴿غُلَامًا﴾ [الكهف: 74] كافرًا ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ الخضر بحجر أسود أو ذبحه بالسكين أو قلع رأسه بأصابعه الثلاثة والإبهام والسبابة والوسطى واسمه حسين أو حسور بن كاذري واسم أمه سلوى فلم يصبر موسى حين شاهد المنكر فـ﴿قَالَ﴾ الخضر ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي بغير سبق قتل نفس ليوجب القصاص ﴿لَّقَدْ جِئْتَ﴾ يا خضر حينئذ ﴿شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الكهف: 74] منكرًا أعظم من الأمرِ المذكور لأنه إهلاك نفس محققًا والأمر يوهم بالإهلاك وإن كانوا أكثر من واحدٍ.

﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿قَالَ﴾ خضر ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: 75] قال موسى في مقام الاعتذار أريد نقض العهد مرتين، قيل أن يوشع كان يقول يا موسى اذكر العهد الذي كنت عليه.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿قَالَ﴾ موسى للخضر ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِي﴾ فإنك ﴿قَدْ بَلَغْتَ﴾ وأبلغت وبالغت في العذر والاعتذار ﴿مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: 76] فلو صبرت عند شهود العجائب وتركت السؤال لرأيت أعجب العجائب وشاهدت أغرب الغرائب.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَانطَلَقَا﴾ مرة ثالثة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ أنطاكية أو الأيلة سميت بالأندلس ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ ويسقط فاستعار الإرادة للمشارفة كما استعار لهما الهم والعد ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ وأدامه بعمارته بمثل مسحه بيده فقام ونقضه أولًا ثم أقامه ﴿قَالَ﴾ موسى لخضر ﴿لَوْ شِئْتَ﴾ في إقامة الجدار واستوائهِ قيل وكان طوله مائة ذراع وقد بلغ في الجوع إلى مقام الاضطرار وافتقار المطعم وقد لزمهما الحاجة إلى أخر كسب المرء وهو المسألة فلما أقام الجدار واستكمل به الدار أو المدار لم يتمالك موسى نفسه في ترك السؤال لما رأى من الحرمان ومساسِ الحاجة إلى عطية الرحمة قال: ﴿لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: 77] طلبت على عملك حتى تنتعش به بالاختيارِ ونستدفع به الاضطرار.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾

﴿قَالَ﴾ خضر لموسى بعد نقض العهدِ ثلاث مرات ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى ﴿فِرَاقُ﴾ مقصود معهود وذهني بينهما عند حلول المباعدة ونزول الميقات قد دل عليه قول موسى: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فأشار إليه وجعل مبتدأ وعنه كما نقول لهذا أخوك فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ ويجوز أن يكون إشارة إلى السؤال الثالث أن هذا الاعتراض مثبت الفراق ﴿بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ فأضيف المصدر إلى الظرف كما يصرفه إلى المفعول به ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ وأخبرك ﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 78] قاله الخضر عليه السلام وشرع في التأويل:

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾ وتأويل خرقها وجعلها ذات عيب ﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ كانوا عشرة إخوة خمسة زمن أشلاء وخمسة ﴿يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وجعلها ذات عيب ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ كافر أي أمامهم كقوله ومن ورائهم جهنم قيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: 79] الجملة الحالية من أردت.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ وقرئ: مؤمنان أي على أن كان فيه ضمير شأن ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ يغشيهما ويكلفهما ﴿طُغْيَٰنًا﴾ وظلمًا ﴿وَكُفْرًا﴾ [الكهف: 80] ليعمهما بتفرقه وسوء صنعه بهما ويلحق بهما شرًّا وبلاءً ويقرن بإيمانهما طغيانًا وكفرًا نعتهما فيجمع في بيت واحد مؤمنان وضالّ وكافر ويعذبهما ويضلهما بضلاله فيرتدوا بسببه ويضلا ويكفرا بعد الإيمان. وإنما خشي الخضر من ذلك لأن اللّه تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سرائره وأمره إياه بقتله، ويجوز أن يكون قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾ حكاية لقوله تعالى أعلم بحاله. وقرئ: فخاف ربك يعني كره كراهةً من خاف سوء عاقبة عمله في الأمر فغيره.

إشارة وتأويل

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ إلخ، إرشاد للطالبين وتنبيه وإمداد للراغبين وتأديبًا للصالحين المريدين المرشدين الذين هم وسيلة بينهم وبين اللّهِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: 57]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: 35] وهم ذو الهدى وبيدهم أزمة أولى، قال عليه السلام: «**لولا المربي ما عرفتُ ربي**»، «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية**» بأن حق طالب الحق إنه إذا رأى منكرًا من شيخه في طريقه فليس له الإنكار عليه في بادئ النظر، بل لا بدّ وأن يقبل منه لحسن الظن إلى تبيين حقيقته إما ببرهان كشفي أو دليل وحجة وتعليل وصفي كما تقرر في كتب الفنون

الحكمية بأنه يصدر كل علم بما لا بدّ منه، من المقدمات الغير البينة المبينة في علم آخر أعلم منه فعلى طالب كل علم مدوَّن قبل الشروع فيه لا بدّ أن يقبل تلك المقدمات التي لها ارتباط بذلك العلم ويستعين بها ويستمد في اقتناص مقاصده منها بحسن الظن ويقال لها مصادرات وأصول موضوعات إن بينته بنفسها.

فعلى كل طالب للحق أن لا يرى في طلبه على مطلوب وإن كان ما يعبر به لا يرى إلا من الحق وبالحق، لأن للطالب ما دام في الطريق طالب وإلى نحو المطالب راغبٌ، وعن كل ما ينافيه راهب فهو عليل وداء العليل عليل، فلا اعتداد على رأيه وفكره ولا اعتماد على رؤيته ونظره، فلا بدّ أن يعتمد الكامل المكمل والمرشد الفاضل المعدل، فكل ما يرى من في الطريق ويشاهد من هذا الرفيق الشفيق كفرًا على زعمه أو إيمانًا وطاعة على تعينه وجرمه، لا بدّ وأن يقبل منه بقبول حسنٍ وأن لا يلتفت إن خيرٌ أو شر أو نفع أو ضرّ، لأنه يعتقد أن له حين وفي الواقع هو أضرُّ الأشياء وأشرها، كما سمعت أن موسى عليه الصلاة والسلام عند مشاهدة المكروهات من خضر قد أخذ بلحيته بأن ما فعلته منكر مكروه زعمًا منه أن هذا الأمر خيرٌ لهُ، ولعمري إن كان أضر وأشر في حقه لأنه منِع ما هو أنفع الأشياء وأتمها وهو العلم اللدني ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 216] هذا إرشاد وتربية وتعليم وتأديب وتفهيم اللّهِ لما وراء موسى والخضر عليهما السلام ليعتبر الطالب الراغب وليستبصر الصادق العاشق الواثق في سلوكه ويعتبر ما جرى بينهما ويجعله نصب العين مرقومًا في صحائف خواطره، مرسومًا في صفائح ضمايره، وإشعارًا بأن معيار ظاهر الشريعة وميزان قواعدها مجرد الطريق لا يكفي في الاسترشاد، وفي الترقي عن الحضيض، وفي العروج والاستصعاد، بل لا بدّ معهما من قواعد كشفية وعقائد ومعاقد وحوادث إلهية، وعواطف ربانية، وخوارق سبحانية ودورات عينية وعائدات قلبية، فإن من الخلق بشر أثره إلى الحق ومن حوله وقوته إلى حامة حوله وحومة قدرته وقربته وتوكل عليه ﷺ وسلّم نفسه وفوض أموره كلها لديه كفل الله أمره، ووكله نفسه بنفسه ويرشده إلى وجود كونٍ كامل وإنسانٍ فاضلٍ منشد مكمل عالم عاملٍ بقواعدِ الإرشادِ ومعاقد التكميل، وينطوي على ما أشير إليه حروف الفقر وهو إيفاء كمال الكشف وقاف الحقائق وعرفان أسرار الدقائق وراء تمام الأطوار

على ما تفيضه الأدوار وترتضيه الأكوار، ويكون لهما ما ذكرنا من الأمور المذكورة وشرط الاستكمالِ أن يكون الطالب في يد المرشد كالميت في يد الغسال، فتبصَّر واعتبر وتدبر، وليكن في هذا المقام كافيًا هذا القدر من المرام والكلام.

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾

﴿فَأَرَدْنَآ﴾ يعني قال الخضر: إذا كان كذلك فأردنا يعني مرادنا من قتل الغلام ﴿أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ أي يضع للوالدين مكان الولد المقتول ولدًا أنفع وأرفع وأنجع منه، والإبدال يفارق التبديل بأن التبديل بغير شيء هو حاله وعينه قائم، والإبدال رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه ﴿زَكَوٰةً﴾ صلاحًا وتقوىً أو طهارةً وتقيةً مِن الآثام والذنوب أو أكثر نماءً وأكبر شأنًا ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: 81] عطفًا من الرحمة أو من الرحم والقرابة أي أوفر حظًّا وأكثر وصلة وشفقةً عليهما أو ﴿يُبْدِلَهُمَا﴾ بأن أبدل مكانه جاريةً فيزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبيًّا، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبدلهما الله جاريةً ولدت سبعين نبيًّا فهدي على يديه أمة من الأمم**».

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ واسمهما أصره وصريما ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ مخزون فيه الذهب والفضة أو مال كثير فيها صفيحة علم، أو لوح من الذهب مكتوب بنعت: عجبًا لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجبًا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب، عجبًا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب، عجبًا لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجبًا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئن، ويعتقد إلٰهًا لا إلٰه إلا اللّهُ محمد رسول الله وفي الجانب الآخر مكتوب: لا إلٰه إلا اللّهُ أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر وطوبى لمن خلقته لخير وأجريته على يده، والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ اسمه كاشح إنه من أتقياء زمانه، قيل بينهما وبين حكمة الآيات المصالح السبعة، وإن

اللّه يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعترته وأهل دويرات حوله، فلا يزالون في حفظ ما دام فيهم وآثار سيره، والمراد سيرته وسلوكه ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ﴾ ويفعلا أو يدركا ﴿أَشُدَّهُمَا﴾ وقوتهما وهو سن البلوغ مع الرشد والصلاح، قيل هي ثمانية عشرة سنة والبلوغ إما بالحكم ليس له حد محدود وقد بقي إلى التسع وفي خمسة عشر إلى عشر مساويًا بالسن وهو خمسة عشر سنة في النشأتين على الأغلب قيل هي ثمانية عشر ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ﴾ هذا وهو القتل وخرق السفينة ليس من تلقاء نفسي برأيي وهواي وهويتي واختياري وإرادتي، بل فعلته بأمر الله وخطابه وحكمه وسوابق قضائه وعلمه وإلهامه ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قلته ﴿تَأْوِيلُ﴾ وتوجيه ﴿مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 82] روي أن موسى لما أراد أن يفارقه قال: أوصني، قال له: لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به. اختلف أهل التفسير في أن الخضر حي أم ميت، فذهب قوم إلى أن الخضر وإلياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم، وكان سبب حياته فيما يحكى من أنه شرب من عين الحياة وذلك أن ذا القرنين الأكبر دخل الظلمة طالبًا لعين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب منها، وصلى لله عزّ وجلّ، وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد، وقد وقع في الحديث مضمون ما ذكرنا الآن، فليطلبه من كتبه.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 83] وأحواله وحقيقة أمره فقال بعضهم: كان نبيًّا والآخرون بأنه كان ملكًا صالحًا عادلًا، سئِل علي بن أبي طالب رضي الله عنه أكان نبيًّا أم ملِكًا قال لم يكن نبيًّا ولا ملكًا، ولكن كان عبدًا أحبّ الله وأحبه الله، وناصح لله وناصحه، وإنما سمي بهذا الاسم لأنه بلغ قرني الشمس أي مشرقها ومغربها، أو لأنه دخل النور والظلمة قيل: لأنه كان له ابنان على أنه أمر قومه بتقوى اللّهِ فضربوه على قرنه الأيمن وجنبه الأيمن فمات فبعثه الله وأحياه، ثم أمرهم ثانيًا بتقوى اللّهِ فضربوه على قرنه الأيسر فمات فأحياهُ اللّهُ. قيل: اسمه كان مرزبان بن مرزيد اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح هذا هو الاسكندر.

وأما اسكندر بن سلقوس الذي أخذ الملك من غيره الدار الذي كان في زمانه أفلاطون الذي أدى لرفع تلميذ أرسطو لإسكندر، فهو الإسكندر الكبير الثاني والأصغر، قد بنى في الغرب المدينتين أحدهما في حدود مصر والثاني في الشرق، بنى بلادًا كثيرة منها هرات وسمرقند وغيرهما، وهو ملك الأقاليم السبعة أيضًا، وكان معه خضر خفيًّا يرشده وينصره.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ والتمكن تمهيد الأسباب وتوطين الفؤاد في تدبير الأمور لفتح الأبواب وتسخير الهواء والسحاب حيث قال أمير المؤمنين عليٌّ ابن أبي طالب رضي الله عنه: سخر له السحاب فحمل عليها ومدّ له في الأسباب فبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء. فهذا هو معنى تمكينه في الأرض. قال ابن عباس في تفسيره: يريد من كل علم علمًا، وكان له خليل من الملائكة وقال له: صف لي عبادة الملائكة فوصف له قال: فمنهم ساجد لم يرفع رأسهُ منذ خلقه، ومنهم قائم شاخص يدعو اللّه منذ خلق، لا يعرف من على يمينه ولا يعرف من على شماله، ومنهم راكع لم يرفع رأسه منذ خلق يسبح اللّه ويحمده ويمجده. فقال ذو القرنين: لولا قصر أجلي لعبدت اللّه بهذه العبادة، قال له خليله من الملائكة: إن للّهِ نهرًا يقالُ له نهر الحياة فمن شرب منه لم يمت حتى ينفخ في الصور النفخة الأولى فيموت مع الملائكة، وكان الخضر على مقدمته فأصاب النهر ولم يصب ذو القرنين قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: 84] يريد مكناه على جميع الأرض ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84 - 85] يريد أن يبلغ رضاء الله ويجتهد في طاعته للّهِ وكانت همته أن يبلغ من اللّهِ جميع رضائه وهو رجل من الروم من دار العيص من ولد إسحاق ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84] أقول أي مما يحتاج إليه الخلق من أسباب الدنيا، هو ما يستعين إليهِ الملوك والسلاطين والحكام مما يتوقف عليه فتح المدنِ والقلاع والحصون والثغور والمحاربة والظفر على الأعداء والخصوم والسبب ما يوصل الشيء إلى ما هو بغيته ومطلبه.

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 85] أي ذو القرنين طريقًا ومنزلًا وما يثنى عليه من

القدرة والعلم والقوة وحسن الحكمة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ متعلق باتبع أي استقصى في اتباع الأسباب إلى غاية بل إلى أفق خط الاستواء في ساحل المحيط أو جزر يكون فيها حيث تطلع الشمس من الماء وتغرب فيه ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ بالهمزة وهي الطينة السوداء الطبقة الطينية المسخنة دائمًا نظرًا إلى آفاق ذات عرض فإنها في الفصول المتقاربة فيها الكيفيات بعضها بالنسبة إلى البعض، أو الكيفيات الأربعة وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة في خط الاستواء متكافئة متشابهة، إذ اقتراب الشمس بالنسبة إلى سكانه شمالًا وجنوبًا متعادلةً فيكون له ثمانية فصول ربيعان وصيفان وخريفان وشتاءان، ولذا حكم أبو علي على أنه عدل البقاع فتكون الطبقة الطينية فيه نظرًا إلى الآفاق المائية الشمالية الحارة وحائمة وحمأً أي ذات حماءة وسخونة. سأل معاوية كعب الأحبار: كيف تجد في التوراة أين تغرب الشمس؟ قال: في عين حمأةٍ، أي ماء وطين أسود حار ﴿وَوَجَدَ﴾ اسكندر ﴿عِندَهَا﴾ عند العين ﴿قَوْمًا﴾ [الكهف: 86] وترى أمته ـ قال بعضهم: مدينة لها اثني عشر ألف باب كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما لفظه البحر من الحيوانات وغيرها مما يمكن التغذي به وكانوا كفارًا ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: 93] أي لا يعلمون معنى القول فخيّرهم فخيّره اللّهُ بين أن يعذبهم بالقتل أو السبي وأن تدعوهم إلى الإسلام والإيمان وقبولهم الأحكام الإلٰهية ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ أنت مخير في هذا القوم ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ بالقتل والسبي ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: 86] أي أمرًا حسنًا بإرشادهم إلى الإسلام والإيمان وتعليم أعلام الهدى وتفهيم أحكام الدين والشرائع الأعلى والأدنى عبادةً ومعاملةً ومناكحةً وغيرها.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين دعوتهم وهدايتهم وتعليمهم ونشرها بينهم ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ من هذا القوم على نفسه بالشرك أو على غيره بالإضلال ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ في الدنيا

بالقتل والسبي ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك ﴿يُرَدُّ﴾ بعد الانتقال إلى الآخرة ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾ بالنار فإنّ العذاب لكونه مخلدًا وكون إدراك الآلام مضاعفًا مجددًا أنكروا ﴿نُّكْرًا﴾ [الكهف: 87] أشد من القتل.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ وثبت على الإيمان ﴿وَعَمِلَ﴾ عملًا ﴿صَٰلِحًا﴾ وسلك مسلكًا ناجحًا ﴿فَلَهُۥ﴾ في النشأتين ﴿جَزَآءً﴾ منصوبًا على الحال أو التمييز أو المصدر مرفوعًا منونًا على الابتداء ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مبتدأ وخبره المتقدم عليه أي فله جزاء الفعلة الحسنى وأن يجازى مجازي المثوبة الحسنى التي هي كلمة التوحيد في الشهادة، أو فله الفعلة الحسنى جزاء، أو جزاء الحسنى ثابت له، فإن كان نبيًّا ناداه الله وأوحى إليه وإن كان غيره فبالإلهام والخواطر والإعلام أو بلسان نبي ﴿وَسَنَقُولُ﴾ وسنعيد ﴿لَهُۥ﴾ أي لذي القرنين ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ ما نأمر ﴿يُسْرًا﴾ [الكهف: 88] سهلًا أي لا نأمره بالصعب الشاق بل بالسهل الميسر من الزكاة والخراج وغير ذلك من الأحكام.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 89] أي سلك مسالك وطرقًا ومنازل على ممالك وتسخير.

إشارة وتأويل

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: 81] المراد من الأبوين بالجمال والنور والجلال والضمور أو الفعل والنفس والولد، أما الطور القلبي وتطورًا في دور واحدٍ وأدوار مختلفة، أو النتائج الفكرية والمواليد النظرية والحالات القلبية والمقامات الغيبية، إشارة إلى أن اللّه تعالى لما كان خيرًا بالذات محمودًا وممدوحًا بتمام المحامدِ وبالاستحقاق، وفياضًا ووهابًا على الإطلاق، فكلما يصدر عنه ويظهر منه وتدبيراته دورية وتقديراته كورية فلا بدّ أن يكون اللاحق أتمّ وإن كان أسفل لكونه جامعًا للأدنى والسافل والأعلى من حيث النور والجمال صريحًا والظل والجلال ضمنًا وأقرب رحمًا من حيث الظل والجلال، فكل ثان وثالث ورابع وغير ذلك أجمع من السابق ولذلك صار

المعلول الأخير أشرف وأتم وأكمل مما تقدم عليه من المعلولات في ترتيب الموجودات ونظام الكائنات معدات لا يجتمع مع المطلوب فإن الحري واللائق بحال العارف الطالب لا يلتفت إليها عند شهود المطلوب. فقيل: الولد إشارة إلى هذا المطلوب، فالمشهود مع الله المجتمع معه هو العلة الغريبة التي عبرت عنها بالجارية التي تولدت عنها النتائج اليقينية والوجودات الشرعية الغيبية.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾، ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾ فعبارة عن التعين الجمالي إلى الصريح والجلالي الضمني الجريح والغلامان اليتيمان، فقد كان عن الطور السري الذي هو بداية شهود التجليات والطور القلبي الذي هو غاية العلمية بحصوله والإدراكات الحضورية، فلا بدّ هو الطور الخفي الذي انقطع تصرفه وتدبره لدى الطور القلبي والصدر لدى التوجه إلى الأصلية الجمعية فصارا يتيمين، فالكنز هو الاستعداد الذاتي وفي الكنز فواخر العلوم اللدنية وجواهر العلوم الفطرية، ولام هي النفس المرة الغيبية ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: 82] أي نهاية استكمال الطور السري والقلبي الذين أحدهما مقتضى النور والجمال والآخر مرتضى الظل والجلال، فللطور السري والغيبي باعتبار تعلقهما بالأم النفسي والأب الروحي اسمان الغلام والوالد.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: 83] قد تقرر في طور التغيير إلا ذا القرنين ثالث أعظم وأصغر، والحصر واحد إما بالشخص وهو الفرد الكامل والشخص الواحد الفاضل الدائر في الأدوار والأكوار وتمام أقسامهما، أو بالنوع، وأما الأول: فقد تحقق في قواعد أرباب التنجيم أن المولود إذا اتفق أن يكون طالعه برجًا سعدًا أو كان المستولى عليه الشمس قويًّا بالقوة الذاتية والعرفية برباعية النحوس فيعيش، ولكل مولود غرب عنه الشعاع والعكوس وكانت كوجود صلاحًا تعطى له عطية كبرى، وهي أربعة آلاف سنة، فيعيش ذلك المولود أربعة آلاف سنة فلا بدّ في أن يكون جمال الخضر كذلك هنا في الدورة الصغرى النورية لبستها، وأما في سائر الأدوار والأكوار فكذلك الحكم، إلا أن أيام تلك الأدوار وقد علمت أن يومًا عند ربك كألف سنة أو خمسين ألف سنة أو ثلاث مائة آلاف سنة، أما ألف سنة أو خمسون ألف سنة أو ثبت مائة ألف سنة على ما تقتضيها الأدوار والأكوار وجودية أو عدمية فعلى هذا يمكن أن يكون شخص كامل وفرد فاضل

سائرًا في الأدوار ودائرًا في الأكوار بتمام الأطوار مستكملًا في النفس لتمام الأنوار بحيث لا يبقى له حالة منتظرة بأن يكون طالعه في الدورة العظمى الإلٰهية برجًا من البروج اثنتي عشر أي دورة من الأدوار عشر، وهي الأدوار البسيطة المفردة، وهي ثمانية: أربعة جمالية، وأربعة جلالية، وأربعة مركبة فيهما، وتكون شمس التجلي الذاتي وهي الكمال الجمعي والجمع الكمالي مستولية على طالع يعطى له عطية كبرى وهي الصورة الكلية والهيئة الجمعية الوجودية والعدمية النورية والظلية الجمالية والجلالية والكونية، فيكون هذا الشخص باقيًا أزلًا وأبدًا وسرمدًا الالتقاء الإلهي والدوام السرمدي، لأنه شرب من التجلي الذاتي الجمعي الحياة الجمعية في ظلمة الإمكان، وهي الظلمة المطلقة الجامعة للأرض الاستوائية الوجودية وعرض القابليات العدمية وأنهار الإشارة.

يقول آدم الأولياء علي المرتضى: أنا قائم في ظلمة خضر حيث لا روح تتحرك ولا نفس تتنفس غيري، وذو القرنين المستكمل في الأدوار النورية والأكوار الظلية الإفرادية من غير كمال جمعيتهما، وهي جمعية الدورة المعية الإلٰهية والكونية، فهذا الشخص الكامل والباقي الفاضل يكون واجبًا وممكنًا إلٰهًا وكونًا وعبدًا جمعًا وفردًا، حادثًا وقديمًا، حقيرًا وعظيمًا، واحدًا وكثيرًا، صغيرًا وكبيرًا وكسيرًا جبيرًا، وكبيرًا في كل دورة من الأدوار وظاهرًا بهذه الأطوار، بل في كل زمانٍ وعصرٍ ومكان ووقت وأوان، في أطوار الظهورات وأطوار البروزات، فيكون إلٰهًا ظاهرًا وكونًا باطنًا وبالعكس. وقد يكون جامعًا لهما في آنٍ واحد كما كان أزلًا وأبدًا، وأنا دائمًا بحصص الآفات وقصص الشؤونات، ونصص النسبة والإضافات، وخصوصيات أعيان الثابتات، فيكون تارة لجميع الأسماء والصفاتِ في كون خسيس كالبعوضة والدودة، وكذا في النباتات، وفي المعادن بل، في العنصر وأجزائها، وتارة بالعكس كما أشار إليه صاحب البرزة الكبرى الجمالية في جمعية الجمعية آدم الأولياء، بل آدم الأنبياء والأولياء علي المرتضى رضي الله عنه: «أنا البعوضة التي ضرب الله مثلًا أنا الحجر الذي انفجر اثنتا عشرة عينًا، أنا الذي لم يكن معه شيء والآن على ما عليه كان»[1] وغير ذلك

(1) قال ذلك في مقام الجمع أي من حيث الوراثة المحمدية فالقائل الحقيقي من حيث الباطن هو الحق تعالى.

من الحالات والأحوال والمقامات، والفرق بينهما قد قدمناه وسنشير إليه فيما سيأتي إن شاء الله العزيز.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ﴾ ذو القرنين متعلق ﴿أَتْبَعَ سَبَبًا﴾، ﴿مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ موضع طلوعها وما بين المغرب والمطلع في نصف الدور وهي مائة وثمانون درجة ﴿وَجَدَهَا﴾ أي الشمس ﴿تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾ أي من غير الشمس من الجبال والوهاد والتلال ﴿سِتْرًا﴾ [الكهف: 90] وذلك أنهم كانوا في مكان لا تستقر الشمس عليهم، فإذا زالت عنهم خرجوا على معايشهم وحروثهم، وإذا طلعت الشمس يدخلون الماء، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا وتراعوا كالبهائم، والغرض أن اللّه يخبر عن كمال استيلاء ذي القرنين على الممالك والآفاق والأقاليم حتى جمع المشرق والمغرب طولًا ومن خط الاستواء في العرض إلى أن بلغ إلى مكانٍ يكون بُعْدُهُ على خط الاستواء مساويًا لتمام الميل الكلي وقد سويت، وسكان أطراف العمارات كالمشرق والمغرب السودان على خط الاستواء كالزنج والحبش، والصفائية والأتراك الذين يدخلون في الشتاء في الحمامات بغاية البرودة لكونهم خارجين عن الوسط الذي هو مدار الكمالات النفسية والروحية والعقلية، يكونون منخرطين في مسالكِ الوحوش والبهائم والسباع، والوسط هو وسط الأقاليم المتوسطة كالثانية والثالثة والرابعة والخامسة وبعض السادسة والأقاليم السبعة، وهو الذي تكون الحركة فيه رحوية عند انطباق المعدل على الأفق، ويكون في هذا العرضِ وهو تسعون درجةً يومًا وليلة، نهاره ستة أشهر وليله ستة أشهر، فليس في هذا العرض عمارة ولا وحش ولا حركات ولا نبات فيه، وذو القرنين قد وصل في طرف من هذا العرض ورأى الظلمات ووقف ولم يتجاوز عنه، وأما الخضر فبالقوة الإلٰهية وأمداد الولاية الذاتية قد دخل في هذه الظلمة وشرب من عين الحياة التي تنفجر منها فإذا عاد إلى ذي القرنين وأخبر عن هذه الظلمة وحالاتها وشرب ماء الحياة قال اللهم ارزقنا.

﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي أمر ذي القرنين وشأنه كذلك هي وكما وصيناه من الاستيلاء والاستقلال ظاهِرًا تعظيمًا لأمره وتصديقًا وتكريمًا وتحقيقًا لشأنه ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا﴾ وخاوينا ﴿بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي عند ذي القرنين من الجنود والفضلاء من كل الأصناف والآلات وأسباب تسخير الملكِ وتصغير أعيان كل ديار وأرض، وتكثير شياطين كل إقليم وعرض وغير ذلك من عجائب البلاد وغرائب كل جنس ونوع من أرباب الفلاحِ وأصحاب السداد والصلاحِ وأهل الخصومة والعنادِ ﴿خُبْرًا﴾ [الكهف: 91] أي كثرة خيره ووفور دراية ومعرفة بما ذكرنا، هذا يكون تعظيمًا آخر لذي القرنين من جهة العلم والحكمة وكمال الخبرة بالأشياء وحقائقها وخصائصها ولوازمها، كما كان ما ذكر أولًا تعظيمًا له من حيث السلطة والاستيلاء والشوكة والاستعلاء من حيث الظاهِر، كما كان المذكور من حيث الباطِن قبل كذلك مثل ذلك المسير الذي جعلناه من تسخير الجبال والحصون والأبنية والأكوانِ من كل جنسٍ أو بلغ هنا مطلع الشمس مثل ذلك، كما بلغ مغربها أو يطلع على قومٍ مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم وحكمهم في تعديته لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه لمن آمن منهم.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 92] أي ما يحتاج إليه في الأمور المذكورة المبنية عليه ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ يعني عاد ورجع من جانب مشرق الشمالِ من حدود عرض تسعين.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ وهما جبلان في حدود الإقليم الخامس والسادس قريب من جبل قاف سدّ ذو القرنين ما بينهما من حاجز بين يأجوج ومأجوج ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ من وراء الجبلين ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: 93] أي يفهمون كلام الله ولا يفهم أحد كلامهم إلا بجهد ومشقة من إشارة ورقوم وعبارة، وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق الشمالِ وذلك لفجاجة طباعهم لما فيها من الأخلاط والغليظ الخام فلزمهم البلادة والغباوة فانطفت نار الطبيعة واختفى نور الحكمة والعدالة ولذلك قلّ شعورهم وأغفل إدراكهم وشلّ شعورهم.

﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤﴾

﴿قَالُوٓاْ﴾ أعيان تلك الأرضِ ﴿يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ﴾ هما من ولد يافث، قيل: يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم ﴿مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾ وخراجًا ونتكفل لك مؤنةً ما صرف وخرج من بناء السدِّ علاجًا ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾ [الكهف: 94] حاجزًا حصينًا وحائطًا قويًّا متينًا لئلا يصلون البناء وينقطع سلطتهُم علينا.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥﴾

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ﴾ أي الذي قواني به وأعطانيه ﴿رَبِّي﴾ وخالقي ﴿خَيۡرٞ﴾ من جعلكم ﴿فَأَعِينُونِي﴾ وأمدوني ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي قوة أبدان وقدر أيدي الأعيان لا بقوة مال ومنال ﴿أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾ [الكهف: 95] سدًّا سديدًا وحدًّا شديدًا قال:

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦﴾

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ﴾ وقطع الصلب الشديد من النحاسِ واحدتها زبرة فآتوني بها وبالحطب وما ينتفع به في هذا الأمر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾ أي امتلأ ﴿بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ واستوفى الجبلين فلما فعلوا ما أمره ذو القرنين وتزينوا بين الزبر والفحم والحطب وغير ذلك من المطالِع ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿ٱنفُخُواْۖ﴾ في النار التي ألقيتَ في الكورة التي زينت الأمور المذكورة فيها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ أي صير ذلك الحديد والزبر ﴿نَارٗا﴾ في التأثير والإحراق الحقيقة والماهية والاختلاف ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ﴾ أعطوني الحديد ﴿أُفۡرِغۡ﴾ وأصب ﴿عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ [الكهف: 96] أي نحاسًا مذابًا.

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ أصله استطاعوا أي لا يقدروا اليأجوج والمأجوج أن يشتغلوا السدَّ المذاب المفروغ من النحاسِ والحديد لغاية ارتفاعِه وملاسته لا تثبت فيه الأقدام ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ [الكهف: 97] أي ما اقتدروا على النقب

والانتقاض لصلابته وثخانته.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿هَٰذَا﴾ السدّ ﴿رَحْمَةٌ﴾ ساطعة ونعمة واثقة واسعة ﴿مِّن رَّبِّي﴾ لعباده وأكثر بلاده في ذلك الزمان ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ يوم القيامة أو في حقه خاصةً عند ظهور أمر الحق في زمان خروج الأمر الموعود والكون الكامل المعهود في كل الزمان والمكان المحدود فإن في الصحف الإلٰهية والكتب السماوية كلها قد أخبر الله فيها من شهود خاتم النبوة والولاية لكونها مقصود كل عاقل وغافل ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّاءَ﴾ صيره مدكوكًا مبسوطًا استوى بالأرض فكل ما انبسط بعد ارتفاعٍ فقد اندك دكًّا ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: 98] ثابتًا هذا آخر حكاية ذي القرنين.

﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يأجوج ومأجوج ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي إذا عمدوا إلى نقض السد وثقبه أو يوم القيامة [يموج] ودخل وتخبط في ثقب السد ونقبه واستمروا حتى كادوا يرون شعاع الشمس فتركوه إلى الغد فيعيده الله في الغد كما كان حتى إذا بلغت مدتهم وقربت عدتهم خرجوا على الناس وظهرت القيامة الصغرى وهي قتلهم وموتهم لقوله عليه السلام: «**من مات فقد قامت قيامته**»، فلما قتلوا الناس ولم يبق شروقًا هموا إلى شرذمة فرموا سهامهم إليها فيرجع إليهم بهيئة الدم فيقولون: قهرنا بابًا لأهل الأرض وعلونا أهل السماء فقهرناهم، فبعث الله عليهم النغف دويبة في أقفاءهم تدخل في آذانهم فيموتون ﴿فِي بَعْضٍ﴾ عند فتح السد وعلى الناس فيموجون ويضطربون ويختلطون حيارى في الصحارى، فالضمير يجوز أن يعود إلى يأجوج ومأجوج وإلى الخلق والناس فيأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه والنباتات ويتوجهون إلى خرب البلاد وإهلاك الناسِ والعباد إلا أنهم لم يقدروا أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ بعد هلاكهم ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: 99] يوم القيامة وظهور الحشر والندامة.

روي أن رسول اللّهِ ﷺ ذكر الدجال فخفض فيه ورفع وقال: «**غيرُ الدجال أخوفني عليكم، أن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافئة كأني**

أشبِّهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف. إنه خارج خلَّةً بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالًا، يا عباد الله فاثبتوا».
قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «**أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم**»، قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة؟ قال: «**لا اقدروا له قدره**»، قلنا: يا رسول اللّهِ وما إسراعه في الأرض؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له. فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتُنبتُ. فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذُرًا، وأسبغه ضروعًا، وأمدَّه خواصًا. ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردون عليه قوله. فينصرف عنهم، فيُصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم. ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزكِ، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل.**

ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جَزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيُقبل ويتهلّل وجهه، يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزلُ عند المنارة البيضا شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قَطَرَ، وإذ رفعه تحدَّر منه جُمان كاللؤلؤ، فلا يحلُّ الكافر يجد ريح نفسه إلا مات. ونَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه باب لُدٍّ، فيقتله. ثم يأتي عيسى ابن مريم يؤمّ قومًا قد عصمهم الله منه، فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هو كذلك إذا أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادًا لي، لا يُدان لأحدٍ بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرّة ماء، ويُحْصَرُ نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النَّغف في رقابهم فيصبحون فَرْسَى كموت نفس واحدة. ثم يهبط نبي اللّهِ عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبرٍ إلا ملأه زهْمُهُم ونَتْنُهُم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البُخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله.

ثم يُرسل الله مطرًا لا يترك من بيت مَدرٍ ولا وبر، فيغسلُ الأرض حتى يتركها كالزَّلفة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، ورُدِّي بَرَكَتك. فيومئذ تأكل العِصابة من الرُّمانة، ويستظلُّون بِقِحْفِها، ويبارك في الزبدة واللبن حتى أن اللِّقحة من الإبل

لتكفي أكثرهم وجماعة من الناسِ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبةً فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلمٍ، ويبقى شرار الناسِ يتهارجون فيها تهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة».

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ بعض الناس ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم يظهر فيه القيامة ﴿يَمُوجُ جَمْعًا﴾ ويدخل ﴿فِي بَعْضٍ﴾ كموج الماءِ ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم أو عند خروج يأجوج ومأجوج ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ لأن خروج يأجوج من علامات القيامة ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ وحشرناهم في المحشر الأعظم ﴿جَمْعًا﴾ [الكهف: 99] بحيث لا يغادر منهم أحدًا. قد حكي أن اسكندر قد دخل الظلمة إلا أنه لم يصل إلى عين الحياة فلما رجع توفي بشهرزور وكان عمره نيفًا وثلاثين سنة.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ [الكهف: 100 - 101] أي في ستر حجاب عن شهود آياتي التي هي مشهورة في الآفاق والأنفس والعروض والعرض والبروز والإبراز دال على كمال غضب اللّهِ تعالى وقهره على الكافرين كما أن السلطان إذا غضب على أحد يعرض الأسد عليه ليهلكه ويلتقمه ويلتقطه كما يلتقم الحمام الحب ويلتقطه. قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير يريد: المؤمنون يوم القيامة في ظل عرش الرحمٰن: مثل قوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: 25] يريد المسير في ظل عرش الرحمٰن والمقيل في الجنة وفي غير المؤمنين قد عرض لهم جهنم يلتقطهم كما يلتقط الحب يحتمل أن يكون من باب القلب من مقولة عرضت الناقة على الحوض ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: 101] استماعًا للآيات والقرآن وصرف القرآن الآيات إلى هذا المعنى أنسب بقوله سمعًا أي لا يقدرون على السماعِ والاستماعِ فهم لا يعقلون.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي﴾ إما حال أو صفة عبادي

﴿أَوْلِيَآءَ﴾ وأصدقاء لهم وليس كذلك لأن الذين اعتقدوا أنهم أولياء ليس كذلك لأنهم في الحقيقة أعداء لهم، والمراد بالعباد هم الملائكة أو غيرهم أو الكواكب أو الشياطين أو غيرها إفكًا فيهم، ويحسبهم أن يتخذوا أولياء مرفوع على الابتداء والخبر أو على الفعل والفاعل لأن اسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك: أقائم الزيدان، والمعنى أن ذلك الاتخاذ لا يكفهم ولا ينفعهم عند الله عزّ وجل كما حسبوا أو جواب الاستفهام، أيظن الذين كفروا أنهم يتخذون غير الملائكة والبشر وغيرهما أولياء وإني لا أغضب عليهم ولا أعاقبهم فظنوا أنهم ينفعهم أن يتخذوا من دوني أولياء ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ وهيأنا ﴿جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: 102] وهو ما يقام ويقدم للنزيل والضيف تعليل لجواب الاستفهام المحذوف أي هذا الظن المذكور، أو اتخاذ المذكور غير نافع لهم لأن اعتدنا للكافرين اللذين اتخذوا غيري أولياء أولُ ما قدم عليهم نزلًا هو جهنم فكيف بالوسط والآخر ولا آخر ولا نهاية لعذاب الكافرين.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ﴾ [الكهف: 103 - 104] وضاع ويضل ﴿سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ﴾ أي الكفار ﴿يَحْسَبُونَ﴾ يزعمون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ أي يعملون عملًا حسنًا والمعنى هم أصحاب الصوامع الذين تقلدوا في السلوك والجلوس في الخلواتِ من غير إخلاص وصفاء نية وصفاء طوية واختصاصِ كالعبادة وطاعة لا يقارنها بالإخلاص فهو خير الأشياء وأشرها، وكل خلق وإيثار اعتكافٍ ووحدة مقارنة للإخلاصِ وصفاء طوية وخلوص نية فتح الله بها أبواب الحكمة الإلٰهية إلى القلوب الصافية، وتسري أنوار الحكمة منها إلى الأعضاءِ والجوارحِ.

قال النبي ﷺ: «**من أخلص للّهِ أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**». قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ [الكهف: 104] خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين، وإنه في المعنى جواب الاستفهام ويجوز أن يكون نصبًا على الذم وخبرًا على البدل.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ أي القرآن ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ أي بالبعث الذي به يضل كل عامل جزاء عمله ولقاء المعمول له هو معاينة وجهه الكريم ومشاهدة جماله العظيم وجلاله وكماله العميم وهم المؤمنون الذين أخلصوا أعمالهم من العرض والجزاء والعوض والحذاء بأن شبلوا إليه لشراشرهم وبجمعية سرائرهم، وأما الكفرون ﴿فَحَبِطَتۡ﴾ وبطلت وتلاشت ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي لأعمالهم يوم الدينِ ومقام الجزاء ﴿وَزۡنٗا﴾ أي قدرًا، روي عن النبي ﷺ: «**إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند اللّهِ جناح بعوضة**»، وقال إفرادًا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ وقال أيضًا: «**يأتي أناس يوم القيامة بأعمال هي عندهم في العظم كجبالِ تهامة فإذا وزنوا لم يزن شيئًا**» وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [الكهف: 105].

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ أي حبطت أعمالهم، وتضييعهم الأعمال والأوقات، وصرفهم أعمارهم إلى الضلالة استحقوا بأن يكون جزاؤهم جهنم ﴿بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي﴾ يعني القرآن ﴿وَرُسُلِي﴾ أنبياءُ منهم كتاب وصحف ﴿هُزُوًا﴾ [الكهف: 106] سخريةً واستهزاءً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: 107] كما كانت جهنم نزلًا للكفارِ قال النبي ﷺ: «**إذا سألتم اللّه فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمٰن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»، وقال: «**ليس في الجنة جنة أعلى من جنة الفردوسِ فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر**». قيل: الفردوس على ربوة الجنة وربيعها وأوسطها وأفضلها وأرفعها أو البستان الذي فيه الأعناب أو البستان أو الجنة الملتفة الأشجار قيل: هي أودية تنبتُ ضروبًا من النباتِ ﴿نُزُلًا﴾ منزلًا وما يهيأ ومحضرًا للناسِ عند النزول

قيل: في علم اللّهِ تعالى قبل أن يخلقوا بيد الاختلاق، إنما نشأ منه اختلاق مشاهداتهم العارف باللّهِ الداخلين في الفردوس يشاهدون حسب اختلاف مقاماتهم وتفاوت حالاتهم لصور مختلفة وهيئات متغايرة كاختلاف شهودهم وجه الحق كل منهم بصفة ونعتٍ.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾ ولا يطلبون ﴿عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: 108] نقلًا وتحويلًا أي لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار إلى دارٍ إذا لم يوافقه إلى دار أخرى، أوفق يعني أن أهل الجنة لا ينتقلون منها إلى غيرها لا أنهم يسكنون في موضع واحدٍ وحدة واحدة فإن لهم طرفًا في الجنات في جميع الجهاتِ فجميع الجهات لأهل الجنات جنات، حتى النار والصقر فإن النار له وجهان: نور ونار، فوجه لهم نور لا نار.

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ وحبرًا ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ [الكهف: 109] لكتابتها وتحريرها نزلت حين قالت اليهود: يا محمد تزعم أنت أنا قد أوتينا الحكمة وفي كتابك: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269] ثم تقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]، قيل: لما نزلت ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قالت اليهود: وأوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فأنزل الله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ سمي المداد والحبرُ مدادًا لإمداد، الكاتب أصله من الزيادةِ والمدد الامتداد أو اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما تمد به. ويقال: السماء مداد الأرض يعني لو كتبت كلمات اللّهِ ومعلوماته وحكمته ومراداته وكان البحر مدادًا لها أي جنس البحر ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ وماؤه ولم يبق فيه قطرة ماءٍ ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ أي مثل البحر المذكور وعددًا أو عظمًا ﴿مَدَدًا﴾ [الكهف: 109] غير زيادة وعظمًا إلى سبعة أجزاء ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: 27].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110] أي لا يقصد العابد في عبادته إلا وجه اللّهِ ولقائه ومرضاته ولا يلاحِظُ به غيره ولا يشارك غيره من الموجودات في العبادة وهذا الشرك الخفي الذي قلما تخلص منه إلا من خصَّص الله تعالى بكمال الإخلاص ووفور الخلوصِ في النية وينتمي به الاختصاصِ ويقال له الشرك الأصغر وهو أخفى من دبيب النمل. ورد في الخبر قال النبي ﷺ: «**اتقوا الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء**»، وقال أيضًا: «**من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورٌ من رأسه إلى قدميهِ ومن قرأها كلها كانت له نور مِن الأرض إلى السماءِ ومن قرئ عند مضجعه ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ كان له نور و[كانت] هلالًا**».

إشارة وتأويل

﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: 94] اعلم أن ذا القرنين عبارة عن جمعية قرب الجمال والجلالِ وهو آفاقي والنفسي، أما النفسي فهو جمعية الطور القلبي الذي هو جمع قرب الجمال الروحي والجلال النفسي، أما الآفاقي فهو مظهر كامل ومجمع فاضل يعادل فيه اقتضاء الدورة النورية الصريحة والظلية الضمنية بحيث لا يستولي أحدهما على الآخر ولا يكون أحدهما قاهرًا وغالبًا والآخر مقهورًا مغلوبًا، فيكون مظهر الصورة الجمعية الإلٰهية والكونية، وخليفة بين الحق يحكم بينهم بالعدل والحق، وكذا يأجوج ومأجوج آفاقي وأنفسي، أما اليأجوج فهو خصوصية مقتضى النفس الأمارة التي هي مظهر الجلال، والمأجوج هو مرتضى النفس اللوامة التي هي مرتضى عكوس النور والجمال، أما الآفاقي فهي الأعيان النورية الجمالية الإفرادية واليأجوج هي الأعيان الظلية الجمالية الإفرادية بأن يظهر ويستعلي على ذلك الكونِ في فرداريّة اقتضاء الجمال يأجوج الأعيان النورية ويختفي سلطان الكمال الجمعي، وفي فرداريّة ارتضاء الجلال ليستعلي مأجوج الأعيان الظلية وينبغي برهان الكامل

الجامع بين التجليات الإلٰهية والظهورات الكونية، ويختص إما بملاحظة المجردات أو بخصوصيات الماديات بمقتضى سلطان العدالة ومرتضى برهان جمعية الدلالة، والسدّ هو خصوصية فرداريّة الدورة الجمالية أو الكورة الجلالية وذو القرنين الجمالي والجلالي هو رب الدورة ومدبرة الكورة، فإنه بنى سدّ خصوصية الدورة والكورة على مقتضى استدعاء استعداد الأعيان المنسوبة إلى كمال دورة وكورة، ومربي اليأجوج في الدورة الجمالية هو الجلال الضمني ورب المأجوج هو الكورة الجلالية هو الجمال الضمني الإفرادي.

ففي كل دورة وكورة من الأدوار والأكوار الأربعة: يأجوج ومأجوج وذو القرنين وخضر وإلياس والدجال وعيسى وأيًّا ما كان منهما على زمن هاروت وماروت وهم أصل الترك من أخت النار وتاحت إذا ظهر ضوؤها وشهر شراها وضياؤها ولا يخفى وجه الشبه بينهما وهم على كثرتهم اثنان وعشرون قبيلة وهم وذو القرنين قد بنوا السدّ على أحد وعشرين في الأدوار والأكوار الإفرادية وبقيت قبيلة وهم الترك التي هي جنود الله وعساكره كما قال: «**لا تسبوا الترك فإن الترك عصاي أضرب بهم من عصاني**»، وقال: «**إن التُرك جنود أرسلت إليهم**». وكذا قال: «**لا تسبوا الترك فإن الترك عصائي أضرب به من عصاني**» الحديث القدسي.

وهم الهيئة الجمعية والصور الكلية المعية من الألوهية والكونية والربوبية والعبودية والنورية والظلية فإنها لا تدخل أحكام سلطنة الأرباب المدبرة للأدوار وهم من أولاد آدم وهو شأنهم أن يسعوا إلى خراب العمارات وإفساد الخيرات وإضرار العباد والإصرار في تخريب البلاد في أي زمان أو أي مكان كما أن الدجال الأعور يسعى في إفسادِ العقائد والأعمال والعباداتِ وتشويش الأحوال ومنع الطاعات وفي إضلاله الخلق وإغوائهم في تمام الأوقات وعموم الأزمان والإمكانِ بقدر القابلية والإمكانِ، كما أن المهدي والإمام الصوري والمعنوي وهو قائم بين الخلق من اللّهِ وجانب الحق يرشد الأعيان الجمالية ويهديهم إلى كمال الجمع من الضلالة والفرق لعموم سريان نور الحقيقة المحمدية في عموم الأعيان ونجوم الأكوان في جميع الأزمان وأغلب المواضِع والمكان.

قيل: ثلاثة أصناف منهم أمثال شجر بالشام طوله مائة وعشرون ذراعًا ومنهم طوله وعرضه سواء مائة وعشرون ذراعًا، فهذا الصنف خارجون عن إحاطة السد

والصنف الثالث لهم آذان فرس أحدهما يلتحق بالآخر يأكلون الحيات والعقارب والسباع وكل ذي روح وحياة، فإذا مات أحد منهم أكلوه، مقدموهم بالشام وساقهم بخراسانِ، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: منهم من طوله شبر، ومنهم من طوله في الغاية. قيل: إن آدم قد احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك بهمًا يأجوج ومأجوج فهم يتصلون بنا من جهة الأب لا من جهة الأم.

قال بعضهم: إن ذا القرنين كان رجلًا من الروم فلما بلغ واستكمل في الرجولية واستشعر بالصلاحِ قال الله تعالى: «يا عبدي إني باعثكِ إلى أمم مختلفة ألسنتهم، منهم أمتان بينهما طول الأرض أحدهما في المغرب يقال لها ناسك والأخرى في المشرق يقال لها منسك، وأمتان بينهما الأرض أحدهما: في القطر الأيمن يقال لها هاويل، والأخرى: في القطر الأيسر يقال لها قاويل، وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج. فقال ذو القرنين: يا رب بأي قوة أقاتلهم وأجادلهم وبأي جماعة أقابلهم وأخاصمهم وبأي لسان أنطقهم، قال الله: يا عبدي إني سأُطَوِّلك وأقويك وأبسط لسانك وأشد عضدك وألبسك لباس الهيبة وأضع فيك أساس العظمة وأعينك وأنصرك إعانة عظيمةً وأكرمك إكرامًا عظيمًا فلا يروعك ويخوفك شيء بل الكل يروع ويخاف منك.

فاستولى على الشرق والغرب وما بينهما ووصل الغرب ووجد فيه أقوامًا وعددًا لا يحصيهم إلا اللّه، فقاتلهم بالظلمة والأظلام والظلة ودعاهم إلى اللّهِ وطاعته، فمنهم من آمن باللّهِ وامتثل بأمره ونهيه، ومنهم من صدّه عنه وأعرض. وأدخل عليهم الظلمة بيوتهم وأحرقهم، فبالضرورة قبلوا منه الدعوة وآمنوا باللّهِ وامتثلوا أوامره، فجنَّد من العرب جندًا عظيمًا فأخذ يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى أهاويل فعمل بهم ما عمل بأهل العرب ثم مضى حتى انتهى إلى منسك لدى المشرق فعمل فيه عمل ما سبق، ثم أخذ ناحية الأرض اليسرى، فأتى قاويل فعمل بهم المعاملة السابقة، ثم عمد إلى الأمم التي في وسط الأرضِ فلما وصل إلى مقطع التركِ نحو الشرق قالت له أمة صالحة من الإنس: يا ذا القرنين إن في هاذين الجبلين خلقًا أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش كالسباع، يأكلون الحيات والعقارب وكل ذي روحٍ خلق في الأرض، ويتناسلون كالسباع، لهم

مخاليب كالأظفار في الأصابع وأنياب وأجراس، ولهم هلت وقنزع منه كالذنب في أجسادهم ويبتغون به من البحر والبر، ولكل منهم أذنان عظيمان يفرش بأحدهما ويلتحف بالأخرى، ويتسافدون كتسافد البهائم ويقولون: إنا سنملك الأرض كلها ونفذ فيها. فانطلق ذو القرنين حتى وصل إلى وسطِ بلادهم، إلى ما بين الصدفين، وقهر بعضهم وعفى عن بعض فرجع وبنى السدين والله أعلم بالصواب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 19 سُورَةُ مَرْيَمَ عليها السلام آياتها 98
مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ كرم مريم النفس المطمئنة بنفخ الروح الطور السري العيسوي بشهود التجلي الآثاري ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي حيى الطور القلبي بمنجى المعارف الإلٰهية ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي نادى زكريا الطور السري الروحي ببشارة الكفاية الأبدية والهداية الأولية والعناية الأزلية والحياة السرمدية والصدق والمحبة الذاتية التي يدل على قوله تعالى:

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾

﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: 1] يا حمعسق اغثني قال بعضهم: إنه اسم مركب من أسماء اللّهِ فإن الكاف من اسم الكافي والهاء من الهادي والياء من الحي والعين من العليم، والصاد من الصادقِ، قال النبي ﷺ: «**تعلموا أبجد وتفسيرها وويلٌ لعالِم جهل تفسيرها**»، الألف اللّهِ وآلاء اللهِ والحرف من أسماء الله، والباء بهاء اللّهِ، وأما الجيم فبهجة اللّهِ، وأما الدال فدين اللّهِ وهو الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: 19] وهو مبتدأ.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ﴾ منصوب برحمة أو بذكر ﴿زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: 2] بدل منه أو عطف بيان خبر ذكر أو خبر مبتدأ محذوف أي هذا الذي يتلو عليك ذكر رحمة ربك.

﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣﴾

﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ [مريم: 3] إذ الخفاء والجهر والعيان والسر عند اللّهِ سيّان والإخفاء به أشد إخباتًا وتضرعًا وتواضعًا وأكثر إخلاصًا وأوفر اختصاصًا أو لئلا يدل على طلب الولد ظاهرًا في سن الكبر، أو لأن ضعف الهرم أخفى صوته، أو لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم، واختلف في سنّه قيل هو ستون أو سبعون أو خمس وثلاثون سنةٍ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤﴾

﴿قَالَ﴾ زكريا ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾ [مريم: 4] وضعف وتخصص العظم بالذكر لعظم نفعه ودعامته لبناء البنية ولكونه أساسًا للبدن ولصلابته وفرط متانته، وإذا وهن كان وراءه أوهن وما دونه ألين وطريان الفساد وعليه أبين ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ ابيضّ شعر الرأس شمطًا وشيبًا شبه الشيب في إضاءته وإنارته بشواظ النار وانتشاره وقسوة في الشعر باشتعاله، ثم أخرج مخرج الاستعارة وأسند الاشتعال إلى الرأس الذي هو محل الشيب مبالغة، وجعله مميزًا إشعارًا للمقصود واكتفى باللّام عن الإضافة ولدلالة على أن علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ﴾ إياي إلى الإيمان ﴿رَبِّ شَقِيّٗا﴾ [مريم: 4] خاسرًا ذا شقاوة أو بدعائي إياك ولدًا وارثًا للنبوة ولملك الحكمة يعني كلما دعوتك استجب لي لما وعدتني أو دعوت استجلبكم ومن حق الكريم أن لا يجيب من أطمعه فإجابة الدواعي سنة معهودة وحسنة موعودة لا يعتبر التخلف.

﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥﴾

﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ﴾ يعني بني عمه أو العصبة أو الكلالة أو الورثة فخاف على أمته بأن بدلوا دينه، ويحولوا ويغيروا ملل آبائه ونحل أجداده وأسلافِه ﴿مِن وَرَآءِي﴾ من بعد موتي متعلق بمحذوف أو بمعنى الموالي أي خفتُ فعل الموالي من ورائي أو لخفت ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ غير ولود عقيمًا ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ

وَلِيًّا﴾ [مريم: 5] وابنًا وولدًا ذكرًا فإنّ أمثال هذا لا يرتجى إلا منه كمال فضلك وإحسانِك ووفور لطفك ودرور امتنانك وقوتك وقدرتك.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ النبوة الشريعية والحكمة الإلٰهية وهو ابن إسحاق بن إبراهيم قيل كان يعقوب أخ زكريا أو عمران بن ماثان من نسل سليمان ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: 6] راضيًا مرضيًّا قولًا وفعلًا وحالًا وعملًا.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ بولد يولد ﴿ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ جوابٌ لندائه ووعد لإجابة دعائه ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل يحيى ﴿سَمِيًّا﴾ [مريم: 7] أي مماثلًا في الاسم والأظهر أنه أعجمي وإن عربيًّا فنقولُ فعل كيعيش ويعمر قيل سمي به لأنه حيَّ به رحم أمه.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾

﴿قَالَ﴾ زكريا ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ استبعاد في الغاية ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ جملة حالية بتقدير قد يتبيّنُ الجملة المذكورة المستبعدة وأقيمت مقام التعليل ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: 8] في السن ومضي الزمان عتيًّا نحولًا ووهنًا إلى حالةٍ لا يتصور فيه التولد لابتغاءِ شرطة من الفاعِل والقابل.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾

﴿قَالَ﴾ الله تبارك وتعالى أو الملك المبلغ للبشارة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي الأمر في الظاهر مثل ما قلت إلا أن الشرط في المؤثر التام إنما هو كمال قدرته وعموم قوته وخصوص إرادته ومشيئته، وهما قد حصلا إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون في تكوين آدم وحوا أبعد بكثير من توليد هذا الغلام، ويجوز أن يكون الكاف منصوبةً بقال ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ وأشار به إلى مبهم يفسر ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي

الأمر كما قلت أو كما وعدت إذا كان تعلق إرادتي ومشيئتي مشروطان بالأسباب والوسائط ومنوطًا بالوسائل وترتب العلل والشرائط، وليس كذلك لأني خلقتُ الأشياء في الابتداء والانتهاء صورة، يعني كما في المعلول الأول والآخر لا بشرط شيء، فإن تأثير الفاعِل لا يتوقف إلا على العلم وتعلق الإرادة فمفعول قال الثاني محذوف يفسره قال الثاني بمفعوله ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 9] بل كنت معدومًا صرف وفيه دليلٌ على أن المعدوم ليس بشيء.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ علامةً أعلم بها وقوع ما ليس بشيء ﴿قَالَ﴾ الله تعالى عزّوجلّ ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: 10] مستويًا بلا نقصان وزيادة في الساعات وأجزائها من الآياتِ أو سوى الخلق بأن يكون صحيحًا سليمًا من غير خرس ولا بكم وإنما ذكر الليالي ههنا والأيام في آل عمران للدلالة على أنه استمر المنع من كلام الناسِ ليلًا ونهارًا سرًّا وجهارًا والتجرد للذكر والشكر ثلاثة أيام ولياليهن.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ من المصلى أو الغرفة التي في المصلى على المحراب الذي فيه ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ وأوحى إليهم بقوله ﴿أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 11] طرفي النهار وإنما أضاف إلى النهار الذي هو زمان المعاش وأوان الانتعاش إشعارًا بأن الذي يورث الغفلة والبعد عن اللّهِ هو النهار لا الليل لأن زمان الاستراحة وإزالة الإعياء الحاصل لدى الاكتساب على طريق الإباحةِ وجعلنا اليل لباسًا وجعلنا النهار معاشًا، فإذا وأن تجعل في النهار ما يزيل تلك الغفلة والبعد فيجوز أن يكون أن تسبحوه مفسرة ومصدرية.

إشارة وتأويل

﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: 1] إشارة إلى الأنواع الجمعية وهي خمسة الجمعية

الإفرادية الوجودية النورية والإفرادية الظلية والعدمية وجمعيتهما طردًا وعكسًا، وجمعية جمعيتهما بحيث يتساوى الجمعية الوجودية والعدمية لا أن يكون عنوان الوجود والنور ملحوظًا أولًا، ثم العدم والظل وبالعكس، بل يكونان ملحوظين معًا، وإنما أورده في وسطِ الكتاب إشعارًا بأن كل عين من الأعيان وكل آية من آيات كتاب اللّهِ الأكوان له صلاحية وقابلية، لأن يصل في مقام جمعية الجمعية الكلية، فالكاف يشير إلى جمعية الجمال والوجود، والهاء إلى جمعية الجلال، والياء إلى جمعية جمعيتهما بحيث يكونُ الكمالِ والوجود ملحوظًا أولًا والعين إلى جمعية جمعيتهما بحيث يكون الجمال والجلال متساويين في الملاحظة بأن يكون متساويين في درجة الاعتبار ومرتبة التحقق والاستبعاد، وقد تقدم تفصيل الكلام لهذا المقام في سورة يونس والأعراف.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: 2] أي الجمعية المذكورة وهي ظهور كمال جمعية أحدية الذاتية لربك حقيقة المحمدية، وتتابع الإضافات تدل على تلاحق الجمعية، وفي ذكر عبد مبهمًا، ثم ذكره محدودًا معينًا إيماء إلى ما ذكرنا منها أن كل أحدٍ من الأعيان والأكوان له صلاحية الجمعية الكاملة المزبورة بأن يكون متحققًا ومتعينًا بها.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: 3] إشارة إلى الاستعدادات وطلبها تلك الجمعية بين الجزئيات والكليات، وإلى أن شرط ظهورها هو مطلب القابلية والاستدعاءات في كل مرتبة، والإخفاء في أن ذلك الطلب والاستدعاءات خفي وضمني صريح عيني.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ أي قابلني بحسب اقتضاء فرداريّة الجمال وحده لذلك الجمال الجمعي والجمع الكمالي ضعيف لا يستطيع لقبوله ولا يستتبع لحلوله ﴿بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: 4] بحسب ارتضاء الجلال يعني وكذا ارتضاء فرداريّة الظل والجلال واستعداداتها لا تكفي في ظهور تلك الجمعية بل لا بدّ منه جمعية جمعيتهما على الوجه العام المخصوص.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي﴾ زكريا عبارة عن فرد كامِل من أعيان الدورة الوسطى من الأدوار الجمالية، موالي إشارة إلى الأعيان التي ستظهر بطريق البروز بتعيناتها المخصوصة في الأدوار التي تكون بعد الدورة الوسطى

ومقتضياتها، فإن كل فرد كامل أو ناقصٍ إجمالي وجلالي له نشآت وبروزات وظهورات في كل دورة وكورة من الأدوار النورية الجمالية والظلالية الجلالية بصور مخصوصة ودور منصوصة، وغرس مرصوصة مغايرة لكل واحد منها ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: 5] فكانت قابليتي واستعدادي البعيد واستدعائي الغير الممتد المدبر غير كاملة تامة للكمال الجمعي المذكور فإنها من شأن أعيان آخر الدورة من أدوار الدورة الصغرى، وهي مخصوصة بالنشأة الكاملة والمرتبة الفاضلة، التي تختص من الحضرة الختمية النبوية والولاية المهدية الظاهرة في آخر الدورة النورية الوجودية التي يتساوى فيها اقتضاء الجمال وارتضاء الجلال، ويظهر سلطان العدالة العظمى ويبرز فيها برهان حكم الدلالة الثانية والأولى على الجمعية الكاملة المزبورة والهيئة الكلية المذكورة، وعلى تطور أطوار وتدبر أنوار أدوارها الضمنية، على وجه يكون الصراحة والضمن متعانقين غير متفارقين في زمان ظهور سر حقيقة آدم وهو تسعمائة حيا صاحبها مهدي آخر الزمان ا ا خ ر ز م ا ن والمجموع تسعمائة ٩٠٠ افتتاح فتحة ٩٠٠٣ وأثناؤه ٩٥٣٥ ونهايته ٩٠١١ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ 2011 ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105] ذ كـ ر ا ل ذ ك ر ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: 5].

﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: 6] أن يظهر فيه اقتضاء النور والجمال وارتضاء الظل والجلال على وجه الاستواء، وهو الحضرة الختمية المذكورة التي بها جميع الأعيان الدورة والكورة والظلية والنورية، بالحياة المقامة الكاملة والهداية العامة الشاملة لتمام أنواع الحياة في زمان خاتم النبوة والولاية المطلقة والمقيدة الموعودة، وأوان المظهر للهداية المعهودة، وباقي الكلام في هذا المقام يظهر بأدنى توجه.

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [مريم: 12] على إضمار القول أو وهبنا له يحيى وقلنا له: يا يحيى أي يا يحيى الطور القلبي الجامع للطور السري العيسوي خذ الكتاب الجمعي السري الصدري ﴿بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: 12] بجد واجتهاد ويد القدرة في حفظ

مغانيها وإجراء أحكامِها والعمل بعجايبها باعتدادٍ ووفور اعتماد بتوفيق اللّهِ تعالى وإمداد منه ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12] أي الحكم الصريح والفهم الصحيح في تعقل معانيها وحكم النفس في إجزاء أحكامها أو النبوة الكاملة والحكمة الفاضلة في أوان الصبابة إلى عنفوان الشبابة روي أن الصبيان كانوا يدعونه إلى اللعب كان يقولُ: ما خلقنا للعب إن اللّه ما خلقني لهذا.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾

﴿وَحَنَانًا﴾ ورحمةً وشفقة ورأفةً ﴿مِّن لَّدُنَّآ﴾ عندنا أو عطوفة في قلبه على أبويه وغيره عطف على الحكم ﴿وَزَكَوٰةً﴾ وطهارة من المعاصي والذنوب ولو صغيرةً بقدر الذرة والحبوب وصدقةً تصدقه لله ووهبه لأبويه، أو مكّنه ووفّقه للتصدق على عموم الناسِ وأصل الزكاة هو النماء، فاستعمل للمعاني المذكورة استعارة تخييليةً، وتمثيلًا قد يطلق على الطاعة والإخلاص والعمل الصّالح. وأصل الحنان من حنّ يحنُّ إذا اشتاق وارتاح، ثم استعير في الرأفة والعطف، ومن هذا يطلق على اللّهِ حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 13] ونقيًّا من المخالفة ومتجنّيًا عن المعاصي ومطيعًا لحكم اللّهِ بالأقدام والنواصي، ومن كمال تقواه أنه لم يصدر منه خطيئةً ولا قام بها ولا قصدها.

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي أحسن إحسانًا ولطف تلطفًا بوالديه ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ متكبرًا عاقًّا ﴿عَصِيًّا﴾ [مريم: 14] عاصيًا لأمرهما قيل: الجبار الذي يضرب ويقتل غصوبًا ولا يبال ولا يخاف من الخلق.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ ورحمة وحفظ عصمة من اللّهِ ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ اللّهِ بأن لا يناله الشياطين ولا يمسه كما ورد في الخبر من أنه ما من مولودٍ يولد إلا والشيطان يمسه، ولذا بكى حين تولده وصاح إليه في وقت الموت وحين الفوت ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ [مريم: 15] ويخرج من دار الدنيا إلى دار العقبى فإن الشيطان يقصد إيمان كل من أشرف على الموتِ، أو عذاب القبر، ووحشة سؤال المنكر والنكير، أو ترى في

هذه الحالة قومًا إما من الملائكة أو الشياطين، لم يكن عاينهم وراءه عيانًا في الدنيا ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: 15] من القبر فيرى نفسه في المحشر بصفة وحالةٍ لم ير مثلها، أو من هول القيامة ووحشة يوم الحشر والندامةِ، وما يترتب عليه من أحوال الميزان والحساب وعذاب النيرانِ، فخص يحيى بالسلامة في هذه المواطن دون غيره من الأنبياء، وإن كان كلهم معصومين من الصغائر والكبائر لإجابة دعاء أبيه في حقه حيث قال: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: 6] أي راضيًا مرضيًّا وما أرسلنا من رسولٍ ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ﴾ يا محمد ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي القرآن أحوال مريم ﴿مَرْيَمَ﴾ وحال عصمتها ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾ واعتزلت وتنحّت وانفردت ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾ من قومها، أو أقاربها، البدل من مريم بدل الاشتمالِ إذ الوقت والحين يشتمل على مريم وأحوالِها، ويجوز أن يكون بدل الكل اشتمل، لأن المراد بمريم نعتها، وبانصراف الناس الواقع فيه وهما متحدان، أو ظرف لمضاف مقدر. وقيل: إذن مصدرية فيكون بدل الاشتمالِ أي اذكر مريم انقيادها ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: 16] من بيت المقدس الذي هو مكانها لالتزامها خدمتها، وكان يومًا شتويًّا وقيل: كانت قد طهرت من الحيض فذهبت وانتبذت من دار قامت فيها تغتسل فيها، دار خالتها أم يحيى، وأيامًا كان وقعت شرقيًّا ومن ثم اتخذ النصارى المشرق قبلةً.

﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾

﴿فَٱتَّخَذَتْ﴾ مريم من هذه الحالة ﴿مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ من عند قومها، وحضر بهم سترًا حجابًا، فجردت وانخلعت عن اللباسِ إذ عرض لها جبرائيل في صورة شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: 17] أي الروح الإلهي الذي نفخ في آدم وتمثل بصورة جبرائيل الذي ظهر لها إشعارًا بأنه روح جبرائيل صاحب الوحي وحامله، فتمثل له جبر لدى تجردها مشيرًا إلى أنه إنسان الخلق، وأنه فاضل الخلق، وذلك لتبتهج محبتها وتبتلج رغبتها وتتحرك بشرتها وتميل بكلتيها إليه، إذ الطباع السليمة

مجبولة على حب الجميل وود الجمال، إنّ اللّه جميلٌ يحب الجمال، ويستقر الروح المنفوخ في رحم مريم، ويكون المولود على مثال الروح المتمثل صحيحًا تامًّا، ولهذا وضع الله النكاح بين الناسِ بل بين الحيوانات وشرط فيهِ رضاء الزوجين ورغبتهما، وشرط تعين الروح الإلهي في الخارج إنما هو شيء قابلٌ وأمر حاملٌ، سواء كان إجراء أرضية مسوّاة بيدي وقدرة اللّهِ وإرادته كما كان في آدمي، أو شخصًا ذكرًا كما في حواء، أو أنثى كما في عيسى عليه السلام، أصل الكل هو التراب القابل ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: 59] الآية فالازدواج بالمعهود والامتزاج المتعين المحدود ليس بشرط كلي بل أكثر زمن وأنكر تكوُّن عيسى بهذا الوجه، فإنكار آدم بطريق الأولى، ولا ينكر بكون آدم وحوا إنه هو حامل حقيقة الأدوار وحقيقة أطوار الأكوار وصدق الرتق والفتق والقرابات وخواصها ولوازمها وغرائبها وكثرة عجائبها ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17].

﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾

﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي ذي الرحمة الواسعةِ المستلزمةِ للعصمة الكلية والنعمة الأصلية التي رأسُها رئيسُها ﴿مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 18] عن المعاصي ونقيًّا عن المخالفة لأمر اللّهِ الذي أخذ كل من يدب بالنواصي في المظاهر الجسمية والنواصي، و﴿مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56] يجوز أن يكون من باب إن كنت مؤمنًا فلا تظلمني، أي ينبغي أن يكون إيمانك مانعًا عن الظلم.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾

﴿قَالَ﴾ جبرائيل ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ الذي أسعدت به وتحيرت بسببه ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ وأعطيتك ﴿غُلَٰمًا﴾ ولدًا ذكرًا بإذن ربي وأمره وإرادته وقوته وقدرته، ويجوز أن يكون حكايةً لقوله تعالى ويؤيد قراءته بالياءِ ليهب لكِ ﴿زَكِيًّا﴾ [مريم: 19] طاهرًا عن أدناسِ البشرية لكونه روحًا إلٰهيًّا.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ أي كيف يكون لي ولد والحال ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِى﴾ لم يباشرني ﴿بَشَرٌ﴾ أحد من نوع البشرِ إذ الأكثري لا يكون إلا كذلك ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: 20] فاجرةً زانية، يعني أن الولد إما من النكاحِ أو السفاح، وكلاهما

منتفيان في حقي فعول من البغي قلبت الواو ياءً وأدغمت ثم كسرت الغين للياء ولذا لم يلحقه التاء، أو فعيل بمعنى فاعل ولم يلحقه التاء فإنه للمبالغة أو للنسب كحائض فطالق.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾

﴿قَالَ﴾ جبرائيل ﴿كَذَٰلِكِ﴾ يا مريم أي كما قلت إلا أنه ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ﴾ أي خلقه بلا نكاحٍ ولا سفاحٍ ولا مساسٍ ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ وسهل ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ وعلامة يدل على كمال قوتنا وإرادتنا ووفور قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ﴾ ونعمةً تامةً ﴿وَكَانَ﴾ ذلك أي خلق الكلام المعهود والولد الموعود ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 21] محكومًا ومفعولًا لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه ولا مبدل لسوابق علمه قيل عطف على أهب على طريق الالتفات.

إشارة وتأويل

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12] إشارة إلى البروز الغير التام يا من يحيى بحياته السرمدية ويتقوى بقوته الديمومية والجمعية الذاتية في الأعيان الجمالية والأكوان الجلالية في الأدوار الإفرادية والجمعية والأصلية والفرعية على السبيل التدريجية والدفعية سواء كانت بالاستقلالية والتبعية.

﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي جمعية الجمعية التي أشار إليها صدر السورة في وسط الدورة الوسطى بخصوصية تعين زكريا ويحيى إيماء، فإن سر الحقيقة المحمدية التي هي عين سر الماهية العلوية كما أشار إليه عليه السلام بقوله: «**خلقت أنا وعلي من نور واحدٍ**» يتعين في الأدوار الإفرادية والجمعية والأكوار بتعينات الأنبياء والأولياء والعلماء الربانية والحكماء الإلهية والسلاطين والمعادلة العاملة والأشخاص الكاملة والأعيان الفاضلة: «**يا علي كنت مع الأنبياء سرًّا وصرت معي جهرًا**»(*) ﴿بِقُوَّةٍۖ﴾ أي بإمكان استعدادي «**علي مني وأنا منه**» الحديث، إشارة

(*) أي من حيث أن الحقيقة المحمدية هي باطن حقائق الأنبياء والإمام علي منطوٍ في الحقيقة المحمدية فهو مع الأنبياء بالقوة من هذه الحيثية ومع النبي ﷺ بالفعل من حيث بروزه من الغيب إلى الشهادة.

إلى أن سرّ الجمعية الكاملة دائر في جميع الأدوار والأكوار بتمام الأطوار في أعيان الظلام وأكوان الأنوار بتطورات الأسرار إلا أن كمال ظهوره لا يكون إلا في الدورة الصغرى وآخر المرتبة الأدنى، وهي الدورة الختمية النبوية والولاية المطلقة المهدية، ولذا تمنى عظام الأنبياء أن يكون من أمة الحضرة الختمية كما قال عليه السلام: «**لقد تمنى اثنا عشر نبيًّا أن يكون من أمتي ومنهم موسى بن عمران وعيسى ابن مريم**».

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12] إشارة إلى أن الأحكام الجارية في الأدوار والأكوار إنما تكون أولًا ظاهرة في بداية الأدوار جمالًا ومبدئ الأكوار إجمالًا، ثم تنفصل في باقي الأدوار والأكوار الأصلية والفرعية الإفرادية.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: 13] أي نعمة الجمعية الكاملة ورحمة الهيئة الفاضلة الجمالية من كمال استجماع ذاتي وتمام أسمائي وصفاتي نوري ووجودي وشهودي حضوري ﴿وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ أي جمعية ظلية جلالية ﴿وَكَانَ﴾ في نفسه الجامعة بالقوة الكاملة القابلية الفاضلة ﴿تَقِيًّا﴾ [مريم: 13] عن خصوصيات العبودية الوجودية وهيئات الهويات الشهودية والحدود العدمية المانعة عن الجمعية الواقعة تمام القيود الواقعة في نفوسِ الأعيان الجامعة.

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [مريم: 14] أي مقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار الإفرادية والجمعية والجمالية والجلالية أن يجمع تمام مقتضيات أدوار الجمال عصيا على مرتضيات أكوار الجلال.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ في مقتضيات أدوار الجمال ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ في مرتضيات أكوار العدم والأكوار والجلال الإفرادية ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: 15] في صورة جمعيتهما وهيئة معيتهما.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي الصورة الجمعية الكاملة ﴿مَرْيَمَ﴾ أي القابلة الجامعية والمادة الكلية الرافعة ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أي من اقتضاءات الأدوار الإفرادية ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: 16] أي انقلب من فرداريّة اقتضاءات الأدوار والأكوار الإفرادية إلى فرداريّة الشرقية الجمع الكمالي وبرقية الكمال الجمعي.

﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أي انتقل حكم القابلية فرداريّة الأفراد وإلى

فرداريّة الجمع ومعية الآحاد ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ أي السر الجامع للأسرار الإلٰهية والأطوار الكونية ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ في المرتبة الجامعة والرتبة الأخيرة الرافعة في آخر الدورة الصغرى لها للقابلية التامة الكاملة الحاملة للجمعية الفاصلة والكلية الشاملة لمقتضيات الأدوار والأكوار ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17] مستويًا عند الوجود والعدم والحدوث والقدم والسرور والهم والغمّ والندم والسماع والصمم.

نِكتةً حكميّةً

واعلم أن الفياض المطلق والوهاب الموفق بكمال قدرته ووفور اقتضاء قوته وعموم مشيئته وإرادته لا تتوقف إفاضته ويثبت فضله وإضافته إلى الاستعدادات، ولا إلى المانعات والعادمات الغابرة لذاته، بل ذاته تكفي في كل ما له من الكمالات الذاتية والإضافات الأولية والثانية، والأولية الأسمائية، ولا يتخلف مقتضى ذاته عن ذاته أصلًا، وله في كل مرتبة من مراتب الفيض اقتضاء ذاتي غير متوقف على أمر آخر غير الذات، فكما أن غلبة النعت الفاعلية تكفي في مرتبة التجرد ودرجة البساطة اقتضاء ذاتيًا ولا يحتاج في الإيجاد والإفاضة إلى شيء آخر غير الفاعلية وهي عين القابلة، والنسب الإضافات في هذه المرتبة، ولذا قيل إن كمال فاعلية الفاعل بعينها تمام قابلية القابل، كما في إظهار العقل الكلي والنفس الكلية والجمعية الجسمية والطبيعية الأصلية، كذلك في مرتبة التركيب والكثرة لا يحتاج إلى شيء غير الفاعلية والقابلية كالمعادن والنباتات والحيوانات، فإن في إظهار نوع النبات والحيوان لا يحتاج إلى غير الفاعلية والقابلية من الأزواج سِوى التزويج والامتزاج، كذلك في إظهار نوع البشر واختراعه لا يحتاج إلى شيء آخر غير الفاعلية والقابلية، وكذلك يجوز أن يكون في الأثناء والوسطِ، بل في الآخر أن يقلب النعت الفاعلية على القابلية، ويظهر فرد آدم من أي نوع كان من غير ازدواج إلى فرد آخر من نوعية، كما وقع في آدم بأن كونه بمجرد غلبة القوة الفاعلية والقابلية من غير أب وأم، أو بغلبة القوة القابلية فقط، كما أتقن في عيسى عليه السلام أو بغلبة القوة الفاعلية كما وقع في تولد حوا.

﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ يعني لما اطمأنت ومالت إلى قوله تعالى فدنى منها فنفخ في جيب دِرعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملته، قيل إنّ جبرائيل رفع درعها ونفخ في جيبه فحملت حين لبست ونفخ في كم قميصها أو فيها قيل: نفخ من بعيد فوصل الريح إليها فحملت بعيسى في الحالِ وكانت مدة حملها أو وضعها ساعة واحدة أو سنة أو أشهر أو سبعة أو ثمانية ولا يعيش مولود ولِد في ثمانية، سِوى عيسى، لأن تدبير المولود ينتقل حينئذٍ إلى زحل وهو نحس أكبر لا يقتضي الحياة بل الممات، أو تسعة أشهر وعشر كما حمل سائر المواليد قيل: حمله في ساعة ووضعه في ساعة حتى نالت الشمس من موضعها وهي بنت عشر سنين أو ثلاثة عشر سنة وقد حاضت حيضتين فإذا حملته ﴿فَٱنتَبَذَتْ﴾ واعتزلت ﴿بِهِۦ﴾ أي بعيسى ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم: 22] بعيدًا من أهلِها وراء الجبل أو أقصى الدار.

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿فَأَجَآءَهَا﴾ [مريم: 23] منقول من جاء إلا أن استعمالها قد تغير بعد النقل إلى معنى الإيجاء وهو الإتراك لا يقول: جببت المكان وإجابته زيد كما تقول بلغته وأبلغته ويظهره أتى حيث لم يستعمل إلا في الإعطاءِ ولم يقل أتيت المكان وأتانيه فلانٌ ﴿ٱلْمَخَاضُ﴾ بكسر الميم وفتحها هو وجع الولادة من مخض يمخض مخضًا ومخاضًا إذا تحرك الولد الجنين في البطن للخروج ملتجأةً ومتوجهةً ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ شجرتها اليابسة في الصخر اليبس لها رأس ولا شجرة ولا خضرة ولا ثمرة والوقت شتاء لتستند إليها وإنما ألهمها به وتتمسك بها في وجع الولادة. والتعريف إما للجنس أو للعهد إذ لم يكن غيرها فتكون متعارفة عند الناسِ، وإنما ألهمها اللّهُ بها ليريها من آياتها ما تسكن روعتها وليطعمها من بطنها التي هي خرسية النفساء الموافقة لها وهي أعظم الآيات وأبينها ﴿قَالَتِ﴾ مريم في هذه الحالة ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ استحياء مِن الناسِ ومخافة لرميهم لها ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: 23].

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ جبرائيل وكان يقبل الولد كالقابلة وقيل المنادي هو عيسى ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ أو بأن لا تحزني لفقد الطعام والشراب لأنه قد كان نهرًا يابسًا كشجرة يابسة وقد حاضت حيضتين فإن اللّه تعالى قادر على أن يثمر الشجرة ويورقها ويجري في النهر اليابس ماءً ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: 24] وهو النهر الصغير سئل النبي ﷺ عن السري فقال الجدول قيل هو عيسى وكان الله عبدًا سريًّا أي رفيعًا وقد حاضت حيضتين أو جعله الله تحت أمرك إن أمرته أن يجري جرى وإن أمرته بالإمساك أمسك. قال ابن عباس: ضرب جبرائيل وعيسى برجله الأرض فظهرت عين وانفجرت منها ماء عذب وجرى وسال.

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَهُزِّىٓ﴾ وحركي ﴿إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ اليابسة والباء صلة للتأكيد كما يقال خذ رأسه وبرأسه ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ﴾ جواب الأمر ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: 25] تمييز أو مفعول وهي البراءة شأنها لأنها رميت بالبغي قيل كانت سميت لها اسمه يوسف، فلما ظهر حملها خاف عليها قتل الملك، فهرب بها، فلما كان ينقص الطريق حدثته نفسه بأن يقتلها، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال أنه من روح القدسِ فلا تقتلها فتركها.

﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾

﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ﴾ وطيبي نفسًا ولا تغتمي وارفضي عليكِ، قرأ: قِرّي من القرار، فإن العين إذا رأت ماء تسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره أو من القر، فإن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة، ولذلك قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه. يقال: برد الله عينيه وأسخنها أي قري عينيك بولدك عيسى يقال: أقرّ الله عينك أي صادف فؤادك ما يرضيك فيقر عينك من النظر إلى غيره كما قيل: أقرّ اللّهُ عينيه أي أنامها من قر يقر إذا سكن ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ [مريم: 26] أصله إن الشرطية وما زائدة والنون للتأكيد وكسرت الياء لالتقاءِ الساكنين

وأدغمت النون في ما ﴿مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ أي أن تري آدميًّا يسألك عن ولدك ﴿فَقُولِىٓ﴾ يا مريم في جوابه ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي سكوتًا وصمتًا إذ أصل الصوم الإمساك عن الطعام وفضول الكلام إذ من عادة بني إسرائيل أن يرتاضوا، وصاموا وجاهدوا بترك الكلام مع الخلق، وكذا عن الطعام، فلما جاء الإسلام منع الصمت وصوم الصمت، وإنما اختارت الصمت بمعينين:

أحدهما: أن عيسى يكفيها الكلام مما يبرئ ساحتها.

والثاني: كراهية مجادلة السفهاءِ ومحاورتهم فيه أن السكوت مع السفيه واجبٌ قيل: أمرهما الله أن يقول هذا القدر من الكلام ثم يصمت ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: 26] شخصًا منسوبًا إلى الإنس وكانت تكلم المَلَك دون الإنسِ.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ﴾ أي مستحصنة بعيسى ﴿قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ أي حالة كونها حاملةً لعيسى قيل: احتمل يوسف النجار مريم وانتهى إلى غارٍ ومكث أربعين يومًا حتى طهرت عن النفاس ثم حملهما إلى قومِها، ففي الطريق لتسلية مريم تكلم عيسى وقال: يا أماه البشرى فإني عبد الله ومسيحه، فلما دخلت على أهلها به بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت الصالحين فـ﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مريم: 27] أي أمرًا منكرًا عظيمًا فائقًا في النكرة والتعجب كل أمرٍ فائق في التعجب والعمل فهو فري قال النبي ﷺ في عمر: «**فلم أر عبقريًّا يفري فريةً**» أي يعمل عليه قال: قومها.

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ النبي أخ موسى وكانت من أعقاب من كان معه في طبق الإخوة قيل: كان من نسله وبينهما ألف سنة وقيل: هو رجل صالحٌ عابدٌ في بني إسرائيل ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ فاسقٍ فاجر متجاسر على المعاصي والسيئاتِ ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: 28] زانية مائلة إلى المناهي والذنوب والملاهي والعيوب فأشارت إليه أي إلى عيسى ليتكلم ويكون حجة على عصمتها وبرهانًا قاطعًا على عفتها.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: 29] وليس بمعهود تكلُّم الصبي سيما قرب العهد بالولادة فلا يكون معتمدًا معولًا عليه دليلًا على صدق مطلب ونفي مهرب، كان صلة زائدةً والظرف صلة الموصول صبيًا حال من فاعِله المستكن أو تامة أو دائمة نحو: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 17] أو بمعنى صار.

﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾

﴿قَالَ﴾ عيسى بإنطاق الله وإيجاد الكلام والنطق وهو أول المقامات وبداية المعجزات ومبدأ خرق العادات ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ ومخلوقه ومكونه ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ والإنجيل وأعطانيه إما في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي ﷺ: متى كنتُ نبيًّا؟ قال: «**كنتُ نبيًّا وآدم بين الروح والجسد**» والأكثرون على أنه أوتي الإنجيل وهو صغير، فقيل عن الحسن: إنه قال التوراة وهو في بطن أمه قيل: كان ذلك وهو ابن أربعين يومًا قال مقاتل: بل هو صاحب يوم واحد وإنما أقر بعبوديته وربوبية اللّهِ ردًّا على من قال بالألوهية ومال إلى ربوبيته ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم: 30] مبنيًّا على أسمائه وصفاته وأحكامه وعن توحيده وتنزيهه عن أحكام التشبيه.

﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾

﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا﴾ نفاعًا في الغاية مفيدًا للكل إلى عين النهاية ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ وحيثُ ما قمتُ وبتّ وسكنت سفرًا وحضرًا برًّا وبحرًا واحدًا وكثيرًا ﴿وَأَوْصَـٰنِى﴾ وأمرني ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ وإقامتها وأدائها وأعطي ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ على تقدير المالِ وفرضًا والمراد أتباعه أو باستكثار الخير من أي جنس كان ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: 31] متصف بوصف الحياة.

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَبَرًّۢا﴾ عطف على مباركًا ﴿بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى﴾ أي لم يصيرني ﴿جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: 32] عند اللّهِ من فرط التكبر الذي يقتضيه منصب الحكومة ويرتضيه منقلب

الجاه وأحكام النبوة، ولذا التزم الأنبياء المجاهداتِ الشاقة والرياضات الداقة، قال تبارك وتعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «**رجعنا من جهاد الأصغر إلى الجهادِ الأكبر قيل: وما جهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال: مخالفة النفس**».

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ﴾ من اللّهِ ﴿يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ من أمي ونفخ جبرائيل في كم درع أمي ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ وأخرج من دار الدنيا إلى دار العقبى ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ﴾ من القبور في المحشر العظمى والموقف الكبرى ﴿حَيًّا﴾ [مريم: 33] بالحياة الأخروية المغايرة للحياة الدنيوية كما هو صادق على يحيى والتعريف للعهد الخارجي والأظهر أنه للجنس، وهذا التعريف تعريض باللعنة على متهمي مريم وولده وأعدائهما من اليهود، وذلك لأن التعريف إذا كان للجنس فإذا قال: وجنس السلام علي مختص فقد عرّض بأن ضده عليكم، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: 47] يعني أن العذاب على من أنكر وتولى والمقام مقام المناكرة والمعاندة والتزام المناظرة ذلك المولود الشخص الموعود والمعهود.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والإضافة بيانية ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: 34] الضمير للكلام السابق أو لتمام القصة أو صفة عيسى أو بدله أو خبر ثانٍ أي عيسى كلمة الله وقول الحق وبالنصب على المدحِ أو على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملةِ أن أريد قول الثبات وبالصدق نحو هو عند اللّهِ الحق لا الباطِل وإنما قيل لعيسى: كلمة اللّهِ وقول الحقِ لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها من غير توسط أب فإطلاقه على آدم بطريق الأولى تسميةً للمسبب باسمِ السبب كما سمي الغيث بالسماء.

ويحتمل أن يراد بقول الحق عيسى فيكون الحق اسم الحق جل وعلا وبمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله: ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي في أمر الحق يسكنون أو يتنازعون ويتمارون فقالت اليهود: ساحر وقالت بعض النصارى هو ابن الله وثالث ثلاثة والبعض الآخر هو اللّهُ فأشار إلى نفي الأولِ بقوله:

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥﴾

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ﴾ وإلى نفي الثاني بقوله سبحانه ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: 35] يعني فهو منزه عن الشريك كما هو منزه عن اتخاذ المولود لأن ما سواه لا يوجد إلا بطريق التكوينِ والإيجاد يأمركن وهو ازدواج قلم الإرادة بنون القدرة، قال النبي ﷺ: «**أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون، وهي دواةٌ، ثم قال: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم ختم على فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة**» الحديث فالإيجاد والتكوين إنما هو في الفطرة الأولى في مقام ألست بربكم في موطن الإجمال ولما سواه بعد ذلك هو الإخراج من قوة الإجمال إلى ساحة التفصيل في أدوار النور والجمال وأكوار الظل والجلال وقوله الحق رد على اليهود بأنه ساحرٌ.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٣٦﴾

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾ أي خالق الكل وصانعه ومربيه ومدبره للإبقاءِ واستمرار الوجود، ودليلٌ على نفي وتره وتعليل لما أثبته لنفسه من التوحيد بصدور جملة حالية اسمية دالة على الدوام والثبات على التوحيد والوحدة ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ أي خصوا العبودية به ولا تشاركوا أحدًا له في العبودية هذا التوحيد ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [مريم: 36] يوصل إلى درجات الجنات ويتحصل غاية السعادات ونهاية الفوز في أوج النجاة وذروة سنام الدرجات.

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٣٧﴾

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾ أي بين اليهود والنصارى، أو بين النصارى أنفسهم فإنهم يتفرقون إلى نسطورية ويعقوبية وملكانية، فالأولون قالوا إنه ابن الله، والثاني قالوا: هو الله، والثالث قالوا: هو عبد الله ﴿فَوَيۡلٞ﴾ وعذاب يوم القيامة ثابتٌ ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي اختص هذا العذاب بهم لا يتعدى إلى غيرهم ﴿مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: 37] من إما للتبعيض، ومشهد يوم عظيم هو يوم القيامة، أي العذاب المذكور بعض من عذابه، أو للتبيين والابتداء، مشهد إما

مصدر أو اسم مكانٍ، أي أن من شهدتهم يوم الحساب والجزاء في يوم القيامة أو من مكان الشهود فيه، وهو الموقف أو من وقتِ الشهود أو من شهادة اليوم عليهم مع الملائكة والأنبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الأعمالِ أو من مكان الشهادة، أو وقتها وقيل: هو ما قالوه وشهدوا به.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ تعجيب إلا أن الله تعالى يوصف به، والمراد أسماعهم وأبصارهم، فحديث جدير بأن يتعجب منهم بعد ما كانوا في الدنيا صمًّا وبكمًا ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ أي يوم القيامة الذي سبقوا به إلينا ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ المشركون المتجاوزون عن الحدّ في هذا ﴿ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم: 38] حيث غفلوا الاستماع برأيه وتركوا النظر الصحيح ليأسهم عن الوصول إلى مقام قدسه ووضع المظهر موضع المضمر إشعارًا بأنهم ظلموا أنفسهم وحكموا بأنه لا ظلم، وهو ما أشد من الظلم، لأنه جهل مركب، وهو أردأ أمرٍ من النفوسِ.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ التي هي ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم: 39] والندامة من حيث يحشر الناسُ على إساءتهم وتضييع أعمارهم وصرفهم إياه إلى الباطل، التي تمثلت لهم بأنواعِ العذاب وأصناف العقاب، المحسن على قلة الإحسانِ قال النبي ﷺ: «**ما من أحدٍ يموت إلا ندم**»، قالوا وما ندمه يا رسول الله؟ قال: «**إن كان محسنًا ندم أن لا يكون ازداد وإن كان مسيئًا ندم أن لا يكون نزع**». الحديث ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مريم: 39] من أنواعِ الحسناتِ وأجناسِ السيئات إما إلى الجنة أو إلى النارِ بدل من اليوم أو ظرف للحسرة ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ عن الإسماعِ والإبصار والنظر الصحيح على وجه الاستبصار والجملتان حالان عن ضلال متعلقانِ به أو بأنذر أي أنذر الغافلين ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39] لا مؤمنين فيكون حالًا متضمنة للتعليل.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريم: 40] أي أظهر رجوعها بما فيها إلى تصرفنا فيها تصرف الوارثِ في المورثِ، وفيما فيها من النفوسِ النباتية والمعادن

وأعيان النبات وأنواعِها وسائر أنواعِ الحيوانات، وبالإفناء والإهلاك وإرجاع أحكامِها وأحوالِها إلينا، أي لا يبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم لا ملك ولا فلك وبالإفناء والإهلاكِ، فاستوى في الوارث إرثه وهو خير الوارثين ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: 40] ويردون إلينا جميعًا.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي القرآن ﴿إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ كثير الصدق، كبير الوفق، الكائن عليه بكمال التصديق في وحدانيته لله تعالى وصدق أنبيائه ورسوله وكتبه وصحفه وغير ذلك من غيب اللّهِ وآياته ﴿نَّبِيًّا﴾ [مريم: 41] بأنبيائه عن أحكامه، وأخباره عن أعلام نواميسِ الحقِ أصولًا وفروعًا، وهو التوحيد الذاتي والأفعالِ والشرائع.

إشارة وتأويل

﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ إشارة إلى تغاير الظهور والبروز وإلى تطور البروز.

اعلم أن الظهور هو تجلي أولي من غير أن يكون مسبوقًا بتجلي آخر على صورة إنسان الإنسانِ وهيئة كون من الأكوان، وإن كانت الدورة مشتملة على الصورة الإنسانية كما سيظهر في البروز هو تجلي ثان مسبوق بتجلي أولي معهود، أما الأول فهو لا يكون إلا في بداية الأدوار الإفرادية أو الجمعية الأصلية أو الفرعية، فالدورة العظمى من الأدوار المذكورة، كلما يكون فيها من التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية أو الآثارية فهو ظهورات، والدورة الثانية من الأدوار الباقية، وهي الكبرى والوسطى والصغرى أصلية كانت أو فرعية، إفرادية أو جمعية استقلالية أو تبعية، فكلما يظهر فيها من الأعيان والأكوان من الجواهِر والأعراض من البسائط والمركبات والمجردات والماديات فهي بروزات، أما الظهورات فقسمان: بسائط ومركبات.

أما البسائط فهي: الأفلاك والعقول والأرواح، وأما المركبات فهي الأجسام والأفلاك، بدايتها الأشباح والصور البرزخية والمثل النورية، ونهايتها الإنسان العنصري وكذا البروزات أقسامها أقسام الظهورات لأن الأدوار ومآلها

وما فيها وما يظهر بها من الأفلاكِ وحركاتها والعناصر ما يمتزج منها من مركباتٍ، وما فيها من الأمزجة وما يتبعها من الكمالاتِ النفسانية والحالات الروحانية والهيئات الجسمانية، وغير ذلك من الأحوال والمقامات والعلوم والإدراكات وسائر المقتضياتِ، وكذا نقائص الكل من المرتضيات الظاهرة ضمنًا وخفيًا باطنًا في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية واجبة التكرار كما صرح به صاحب الإشراق حيث قال:

واعلم إن نفوس الكائناتِ أزلًا وأبدًا ثابتةً في البرازخ العلوية واجبة التكرار، ولهذا قيل: أن النفوس الفلكية هي نفوس مستنسخة إنسانية، وذلك لأن أول ما يتجلى ويظهر الوجه الذاتي إجمالًا إن كان في فرداريّة الدورة الوجودية الجمالية مكون بعنوان النور والجمال، وإن كان في فرداريّة الكورة المعية الجلالية يكون بعنوان الظل والجلال، ويسمى الأول تعينًا إجماليًا وتجلّيًا ذاتيًا نوريًا، ووحدة ذاتية، وأحدية جمعية نورية ووجودية إن اعتبر من هيَ هي بلا اعتبار أحكام الكثرة الوجودية الجمالية، ولا لاعتبارها فيه، ويسمى حقيقة محمديةً إذا اعتبر جميع الكثرات الوجودية أولًا وأصالةً، والعدمية ثانيةً وتبعًا فيها، ويسمى بهذا الاعتبار آدم معنويًا جماليًا، هذا إذا كان حكم السلطنة وفردًا زنتها للنور والجمال صريحًا والظل والجلال ضمنًا، وأما إذا كان الحكم والسلطنة للظل والجلال سمي التجلي والتعين تجلّيًا أولًا ذاتيًا ظليًا جلاليًا ووحدةً ذاتية ظلية، وأحدية جمعية جلالية، وحقيقة علوية وماهيةً مرتضية إن اعتبر أحكام الكثرات بالعدمية الظلية أولًا وأصالةً، مناسبةً للأحدية الذاتية في التجلي الذاتي يكون بعنوان ذاتي ووجه أحدي الوجودية ثانيًا وتبعًا، ويسمى بهذا الاعتبار إنسانًا جلاليًا بهذا إذا كان الحكم والسلطنة للجلال صريحًا وللجمال ضمنًا وكلاهما حقيقة واحدة كما أشار إليه وصرح به في مواضع عديدة بقوله: «**أول ما خلق الله نوري وأنا وعلي من واحدٍ**»، قال أيضًا: «**خلقت أنا وعلي من نور واحدٍ**» وغير ذلك.

فإن كان في فرداريّة النور والجمال تقييد تلك الوحدة بالوحدة الجمالية الوجودية والسلطان الحاكم عليها هو الذات بالوجه الجمالي وإن كان في فرداريّة الظل والعدم تقييد بالوحدة الجلالية والعدمية وغير ذلك من الاعتبارات والحالاتِ والمقامات، والسلطان الحاكم عليها هو الذات بالوجه الجلالي وهذه

الوحدة العدمية تسمى بالماهية العلوية كما أشار إليه بقوله: أنا قائم في ظلمة خضر حيث لا روح يتحرك فيها ولا نفس يتنفس غيري، وهي باطن الحقيقة المحمدية إن كان الفرداريّة جماليةً صريحة، وإن كانت جلاليةً صريحة كانت الحقيقة المحمدية باطنة والماهية العلوية صريحة ظاهرةً في الحقيقة هما نور واحد وحقيقة متحدة كما ورد في الحديث.

وإن اعتبرت تلك الوحدة بالوجه المخصوص والنعت والتعين المرصوص يسمى بأسماءٍ مخصوصةٍ كالعلم والعقل والدرة البيضاء والروح الأعظم والروح القدس والعنصر الأعظم وغير ذلك. فعلى هذا يكون البروز بالقسمة الأولية على قسمين كلي وجزئي، أما الكلي فهو أن يبرز الذاتُ بنعت الوحدة الذاتية والجمعية الكلية الجامعة لتمام الأسماءِ والصفاتِ الأولية ومقتضياتِ أدوارِها الفرعية والأصلية، ومرتضياتِ الأكوار الظلية في مرات الحقيقة الإنسانية ومرقاة الوحدة في مرآة الحقيقة الإنسانية الوحدة الذاتية في الأدوار والأكوار الثلاثة الباقية، وهي الكبرى والوسطى والصغرى، أو بالاستقلالِ، وفي غيرها بواسطتها وتبعيتها، وهكذا إلى أن تنتهي فرداريّة حكم كل من هذه الأدوار والأكوار وتقوية القيامة المخصوصة بها، ثم تستؤنف دورة أخرى ويظهر عقول وأفلاك ونفوس وأفلاك، ويتعين بتعينات جسمية وأعيان حسبية من المعادن والنباتِ والحيوانِ والإنسانِ، ويتداول أمر الظهور والبروز، والبروز قد يتداخل بأن يبرز أولًا بصورة كاملة من نبيّ أو وليّ ثم يبرز بغير واسطة يظهر في صورة كاملة أخرى إلى أن يصل إلى كون كاملٍ جامع للكل أدوار وأكوار وأطوار ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 13 - 14] وهذا القسم إنما يكون بصورتين أحدهما إجمالية والأخرى تفصيلية ولكل منهما مراتب أحدهما يكون بالنسبة إلى ما فوقه تفصيلًا وإلى ما تحته إجمالًا وهذا لا يكاد ينحصر أصلًا.

وأما الجزئية فهي على سبيل الكلية أيضًا قسمان إلهية وكونية، أما الإلٰهية فهي التي أخبر عنها بقوله: «**كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وبي ينطق**»، هذا أما حسب العلم والحال والكشف والمقام والظهورات البرزخية التي تكون في إتمام نوع من البروزات، وأما بحسب التعين العيني والتبين الكوني، فهي في الظهور الذي يكون تارة

بالتعين الخاص البشري في الطور العنصري كلهم، ويكون في المظهر النوحي والهودي والخليلي، وأخرى بخصوصية الهوية، قال النبي ﷺ: «**من رآني فقد رأى الحق**» الهودية والتكون الآني الموسوي والعيسوي والمحمدي إلى المظهر المعهود والمهدي، قال النبي ﷺ: «**من رآني فقد رأى الحق**».

وأما الكونية فهو أن يكون العبد فانيًا في نفسه واقفًا له وأحواله وأطواره باقيًا ببقائه الحقِ فيكون الحق ناطقًا بلسان الخلق سامعًا سامعه وهكذا سائر الأعضاء والجوارح كما قال: «سمِع الله لمن حمده»، وكذا الإنسان الكامل فإنه لسان الحق ينطق به الحق الخلق ويسمع به عن الخلق كنبي أو ولي يدعو اللّه لغيره وعلى غيره، قال الله: قد ظهر وبرز في ذلك العبد وفي أفعاله وأعماله وأقواله فإنها في تلك الحالة تؤثر في غيره ممن وصل إليه ذلك القول والفعل أو العمل، وكذا في سائر المؤثرات من العقاقير الجزئية والأدوية المفردة والمركبة وكذا في الأغذية والأهوية والأمكنة وأجزاء الوقت وغير ذلك من المؤثرات الحسية الجزئية كالبعوضة التي ضرب الله لها مثلًا، والحجر الذي يفجر منه اثنتي عشرة عينًا، والحجر الذي تكلم بدر ودر وغير ذلك من الأجسام الجزئية، وهذا يحتمل أن يكون إلٰهية أو كونية كما أشار آدم الأولياء علي رضي الله عنه أن البعوضة التي ضرب الله بها مثلًا وأما الحجر الذي يفجر منه اثني عشر عينًا وغير ذلك.

والفرق بين الظهور والبروز: أن البروز يعلم صاحبه تبرزه فيه به والظهور لا علم فيه وبه سواء كان الحق مرآةً وأجزاءً وأفعالًا للخلق أو كان مرآةً وأسماءً وصفاتًا وأفعالًا وآثارًا للخلق كما عرفت، وأما الكونية فهي أيضًا قسمان كلية وجزئية، أما الكلية فهي أن يبرز الكون الكلي مثل الجزئي في المحل الإلهي في الأدوار أو الأكوار كلها لجميع الأسماءِ والصفات الإلٰهية والأفعال الربانية والآثار الكونية والأطوار الكتابية، كما أشار إليه صاحب البرزة الكلية والجزئية آدم الأتقياء والأولياء علي المرتضى رضي الله عنه: أنا وجه اللّهِ في السماوات والأرض كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88] أو في المحل الكوني كما يظهر في الكون الكامل كما أشار إليه أيضًا بقوله: أنا آدم الأول أنا نوح الأول أنا إبراهيم الخليل حين ألقي في النار، وغير ذلك من ظاهِرِ الأنبياء والأولياء والسلاطين العظامِ. وأما الجزئية فهي أيضًا أقسام منها ما

يكون في الأدوار الكلية والجزئية بمظاهِر جزئية ملكية جوهرية كالملائكة المقربين أو أهرمانية أو غولية أو إبليسية روحية أو فلكية أو كوكبية أو عنصرية أو ما يتركب منها، كانت جوهرية كالمعادن والنباتِ والحيوانات والإنسانية، أو عرضية كالعلم والأفعال المخصوصة كما قال عليه السلام: «**أنا علم صامت ومحمد ناطقٌ، أنا صلاة المؤمنين وزكاتهم وحجهم وجهادهم**» وغير ذلك.

ومنها يكون في دورة جزئية في ساعة جزئية بخصوصية جسم جزئي ظهر منه أثر كلي أو جزئي كالعصاء كما أشار إليه بقوله: أنا عصاء الكليم وبه أخذ به مساحة الخلائق أجمعين، وكذا يبرز بذريعة الإنسان في باقي صور الأجسام الجنسية ولواحقها الحسية كالكميات والكيفيات والنسب والإضافات.

واعلم أن كل ما وقع في القرآنِ من ذكر الأنبياء والأولياء والسلاطين وغيرهم من الأمور العارضة عليهم وتكرارهم إشارة إلى تكثر نشأتهم في الأدوار وتكرير برزاتهم بتقلب الأطوار، وأن أمر الظهور والبروز لا ينتهي، لأن طور الوجود دنياه وآخره دوري ودوره كوري، لامتناع الفيض الإلهي واستحالة انقضاء الاقتضاء الرباني، فالأمر الإلهي لم يزل ولا يزال دائرًا بين الظهور والكمون والبروز، أما الفرق بين البروز والتناسخ فهو أن البروز أعم من وجه، إذ التناسخ يختص بالنفوس المنطبقة الناقصة كما يدل عليه ظاهر الكتاب والسنة، وجعل منهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت، أولئك شرٌّ مكانًا وأضلّ عن السبيل، قال النبي ﷺ: «**يحشر الناس من أحد عشر صنفًا منهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت**». وإن قيل: ما من ملة إلا ولها في التناسخ قدم راسِخ، والبروزات فيختص بالنفوسِ الكاملة والأجسام والجواهِر والأعراض، وإن صاحب البروزات في تمام الأحوال والحالات عالم مما جرى ويجري دون التناسخ.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ إبراهيم ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ التاء من الإضافة ولذا لا يقال يا أبت بفتح التاء لانتفاء المجانسة والدلالة المحذوفة، ويقال: يا أبتا، وإنما يذكر الاستعصام كدورها لذلك ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: 42] فلا يستمع

دعاءك ولا يصغي نداءك ولا يرى حالك، ولا يدرك مالك بمآلك من مالك وحالك ﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ [مريم: 42] في جلب نفع ودفع ضرّ هذا من غاية التواضع ووفور حسن الخلق في رعاية الأدب لدى الترافع مع أبيه حيث لم يصرح بضلالة ولم يفتح في سوء حالته وفرط جهالته، بل طلب العلة الداعية إلى عبادة ما يستقبحه العقل الصريح والفهم الصحيح أوحى الله تعالى إلى إبراهيم: أنت مَنْ أَحْسَنَ اللّهُ خَلْقَكَ فَأَحْسَنَ خُلُقَكَ. وكذا أوحى الله إليه: يا خليل حسن خلقك ولو مع الكفار تدخلُ مداخل الأبرارِ، لأن كلمتي حسبت لمن حسن خلقه أظلّه في عرشي وأن أسقيه من حظيرة قدسي.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الإلهي والإدراك الكوني ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 43] ومن حسن أدبه ما سُمّي أباه جاهلًا ولم ينسب الجهل إليه بل جعله نفسه كرفيق عطوف شفيق في الطريق عالم بإرادته مدرك بعلاماتِه، ثم ينبئه عمّا كان عليه من الضلالة وتمكن وأسفر دونه ولديه من الجلالة.

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ ولا تقلده ولا تقيد به ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: 44] فاسقًا خارجًا عن طاعته فالحري بالعاقل أن لا يقتدي به ولا يركن إليه في أمرٍ من الأمور وصلًا بين العصيانِ عن الرحيم والرحمن، ومن البين أن المطيع للعاصي عاصٍ وكل عاصٍ، كافِرٌ بنعم اللّهِ ومنحه، وكل عاص حقيق بأن تستر منه النعم والآلاء ويرد عليه انتقامه ويتضاعف غناؤه وبلاؤه.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بسبب العصيان والعكوف على الكفر والطغيان ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم: 45] قرينًا في السعير والنار، وإرشاد الداعين إلى اللّهِ الساعين في هداية الخلق بالله بأن يسلك مسلك دعوة الخلق في قوله: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والمواعظ الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن،

ثم يعرض عن موالاته، ويسعى في الاقتداء بمقالاته والاقتضاء بحالاته، استحق بأشد عذاب اللّهِ وأحد عقابه.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾

﴿قَالَ﴾ آزر أبو إبراهيم ﴿أَرَاغِبٌ﴾ ومانع ﴿أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي﴾ وعبادته ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ وتمنع عن سب آلهتنا ومنع عبادتها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ ولأرمينّك بلساني وأشتمك، ومنه الرجم الرمي باللعن، ولأقتلنك من رجم الزاني، أو لأطردنك وأرمينك بالحجارة، وأصل الرجم بالحجارة ﴿وَٱهْجُرْنِي﴾ وأبعدني ﴿مَلِيًّا﴾ [مريم: 46] زمانًا طويلًا من الملاءة وهي الزمان، ومنها الملوان وهما الليل والنهار. وقال قائلٌ: استعطاف لطفه بحسن إرشاده بالفظاظة، وإنما قدم الخبر المقارن بالهمزة على المبتدأ إشعارًا بالأمر العجيب والشيء الغريب، واهجرني عطف على مقدر احذرني تهديد وتقريع.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾

﴿قَالَ﴾ إبراهيم رعاية لحسن الأدب ومقابلته السيئة بالحسنة وتهديده وتخويفه باستسلامه بقوله ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ أي سلامي عليك بأن لا يصيبك من مكروه بأن لم يأمر بقتاله ومحاربته أو سلام عليكم سلام هجران ومفارقة وتوديع أو سلام بر ولطف، وهو جواب الحليم للسفيه، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا باستغفاره له بقوله ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ رجاءً من اللّهِ أن يوفقك للتوبة قبل الحوبة، وللإيمان بعد كمال الخسران وظهور الطغيانِ، أو الاستغفار للظالمين وعموم الكفار واستدعاء التوفيق لما يوجب معرفته، وقد مضى الكلام في هذا المرام في سورة مريم: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: 47] بارًّا لطيفًا أو عالمًا يستجيب لي إذا دعوته، ويجوز أن يكون الاستغفار على مقتضى القضية العقلية قبل ورود السمع، وأن يكون بالوعد والموعدة كما قال: وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو اللّهِ تبرأ منه الآية.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ وأبعد منكم ﴿وَمَا تَدْعُونَ﴾ أي ما تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: 48] من الأوثان والأصنام المنحوتة بالمهاجرة والمفارقة بديني وملّتي ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ وأعبده وحده لا شريك له ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: 48] خائنًا خاسِئًا وفي عسى المتضمن لحسن الرجاء الدال على قرب المرجو تواضع مع اللّهِ غاية التواضع.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ﴾ واستبعد من أبيه ومواليه ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بالهجرة إلى الشام وأرض القدس ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ يعني لما هجر عن دياره وترك الكفار الفسقة ابتغاء لمرضاة الله عوضه الله أولادًا مؤمنين، ولما قصد الشام والأرض المقدس وهب له إسحاق ثم ولد له من يعقوب، وإفرادهما بالذكر إشعار بأنهما شجرتا أثمار الأنبياء، أو لأنه أراد أن يذكر إسماعيل بفضله على الانفراد، ولذا أفردوه بالذكر ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا﴾ مما ولد منهما أو منهم ﴿نَبِيًّا﴾ [مريم: 49].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ الامتنانية ونعمتنا الإحسانية النبوة والحكومة والحكمة والأموال والأولاد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: 50] بالمدح والثناء يفتخرون به ويتباهون به ويثبتون عليهم استجابةً لدعوته حيث قال واجعل لي لِسان صدق في الآخرين وهو الثناء والمدح الأبين وعبر باللسان عما يوجد به ويظهر منه كما عبر باليد عما يطلق بها وهو العطية والمواهب ولسان كل قوم نعتهم وإضافته إلى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثبتون عليهم وإن محامدهم لا يختفى على تباعد الأعصارِ على عموم الأبصار وتحول الدول وتبدل النحل كرّ الأدوار ومرّ الأكوار.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥١﴾

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا﴾ بالكسر أي أخلص العبادة عن الرياء والشرك الخفي والجلي أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله وبالفتح أي الذي أخلصه الله تعالى ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: 51] والرسول إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق بالكتاب، والنبي أعم إشعارًا بأن من بعده من الأنبياء التابعين لدينه والأولياء الشارعين البارعين عن يساره ويمينه رسول، ويمين النبي أكثر عددًا وأكبر مددًا ومدًّا.

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ۝٥٢﴾

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ جبل بين مصر ومدين اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودِي يا موسى إني أنا الله رب العالمين ﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ من ناحية اليمنى وهي التي تلي يمين موسى أو من جانبه الميمون من اليمن والإقبال والشرف وحسن الحالِ بأن تمثل له الكلام من تلك الجهة ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ﴾ إلينا وشرفناه بنا لمناجاتنا ﴿نَجِيّٗا﴾ [مريم: 52] مناجيًا حال من أحد الضميرين أو مرتفعًا من النجود هو الارتفاع لا خير في كثير من نجواهم لما روي أنه رفع فوق السماوات حتى سمِع صرير القلم أو نديمًا وجلبًا أو مقربًا ومستمعًا لكلامي.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ۝٥٣﴾

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ﴾ أي من أجل رحمتنا أو بعض رحمتنا لما ورد في الخبر أن للّهِ تعالى مائة رحمة واحدٌ بين الخلق وتسعة وتسعون بقيت لنفسه الحديث ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا﴾ [مريم: 53] حيث دعاه موسى بقوله واجعل لي وزيرًا من أهلي هارون، فأجاب الله دعوته، ولذلك سماه هبةً عطف بيان، نبيًّا حال منه.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥٤﴾

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ﴾ بن إبراهيم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ لم يَعِد شيئًا لأحد إلا وقد وفى به. قال مقاتل: وعد رجلًا أن يقيم مقامه حتى يرجع إليه فأقام إسماعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد إلى أن رجع الرجل بعد ثلاثة أيام ﴿وَكَانَ رَسُولٗا﴾ أرسله الله إلى جرهم ﴿نَّبِيّٗا﴾ [مريم: 54] مخبرًا عن الله وذاته وأسمائه وصفاته، دل

على أن الرسول لا يلزمه أن يكون معه كتابٌ وشريعة، فإنّ أولاد إبراهيم كانوا على شريعة أبيهم، ومن هذا تبين أن الرسول والنبي مترادفانِ ومن صدق وعده أنه قد وعد صاحبًا له أن ينتظره في مكانٍ فانتظره سنة، وأيضًا أنه وعد الصبر على الذبح فوفى به حيث قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا﴾ [الكهف: 69].

﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ﴾ قومه ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ بدأ بأهله في الأمر بالصباح بالعبادة البدنية والطاعة النفسانية ليتقرب بخالقِهِ وهو الأهم أو بالعبادة المالية التي هي وسيلة التقرب وذريعة حفظ الأموال والأنفس ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: 103] الآية قيل: الأهل الأمة فإن الأنبياء آباء الأمم يتساوى نسبة الكل إليهم ونسبتهم إليهم، ولذا أسقط الإرث منهم حيث قال عليه السلام: نحن معاشر الأنبياء لا نرث ولا نورث ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيًّا﴾ [مريم: 55] لاستقامة أحواله وإقامته ما أمره الله وأراد به على وجه رضي الله عنه في أفعاله وأقواله وأعماله.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ﴾ [مريم: 56] هو سبط شيث وجد نوح، واسمه أخنوخ مشتق من درس وهو أول من خط بالقلم وخاط الثياب ولبس المخيط ورتب أسبابه وركب أدواته وكان من قبله الجلود واتخذ السلاح وقاتل الكفار، وأول من نظر في علم الحساب وخواصِ الأعداد من الجمع والآحاد وخصائصِ النسب بين الأنداد والأضداد وعلم حركات الكواكب السيارة وحظوظها في البروج ونسبة بعضها إلى بعض واتصال كل واحدٍ إلى الآخر ثنائيًّا وثلاثيًّا أو رباعيًّا أو خماسيًّا وقرانًا ومقابلةً أو تثليثًا أو تسديدًا أو تربيعًا أو غير ذلك من الحالات الجارية بينها.

حكي أنه قد تجرد عن تعلق البدن وتدبيره واتصل إلى عالم الربوبية واتصل روحانيته إلى روحانية زحل وقود في تدويره وتحرك في دورة تامة وثلاثون سنةٍ واطلع على كمية حركتها وكيفيتها، وكذا على حركاتِ سائر الكواكب السيارة وضبطها كمًّا وكيفًا وبساطةً وتركيبًا وسرعةً وبطئًا ووقوفًا ورجعةً وبدنه تلقا مطرًا

وحائلًا حركةً وشعورًا إلى ثلاثين سنةً، وقد أمر أن يذهبن كل سنة مرتين أو أكثر بالدهن الكبير الذي صنعه لئلا يتعفن ويفسد. ثم بعد ذلك بعثه الله عزّ وجل وتكلف وتعلق إلى بدنه فأخبر عن حركاتِ الكواكب وحالاتها ولم يتعرض بحركات ما عدا الكواكب السبعة السيارة من الثابتات ولذا حكم بأنها ثابتة غير متحركة، وعلم علم التنجيم والحساب، وكل ما يتوقف عليه ضبط حركات الكواكب من علم الهندسة والمعايير والمغاوير والمساحة، وكذا نظر إلى علم التأليف والنسب الموسيقارية، ثم أرسله الله تعالى وجعله نبيًّا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 56] وأنزل عليه ثلاثين صحيفة.

﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾

﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57] لدى عروجه بروحِه إلى عالِم الربوبية أو جسده إن قلنا بالتجسد والتمثل، إذ الجسم الكثيف لعدم المناسبة بينها وبين الأجسام اللطيفة لا يتقرب إليها لتكد الهمم، إلا أن يقال أن أبدان الأنبياء لكونها مخلوقة من طين الجنة كما قال النبي ﷺ: «**إنّ الله تعالى خلق الأنبياء من طين الجنة وسائر الناسِ من طين الدنيا**»، وكذا الآباء كلها الأرض. كما ورد في الحديث يتكون مضاهيةً للأرض للبدن المثالي فلا بُورح في نفوذهم في السماءِ أي السماء السابعة كما قدمنا الإشارة إليه، أو السادسة كما روي عن ابن عباس، أو الرابعة كما رواه أنس قيل: الجنة فلا شيء أعلى من الجنة. أنشد النابغة الجعدي أمام رسول الله ﷺ الشعر فقال نظم:

بلغنا السماء مجدُنا وسناؤنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال له رسول الله ﷺ: إلى أين يا أبا ليلى؟ قال له: إلى الجنة، روي عن النبي ﷺ أنه رأى إدريس ليلة المعراج في السماء الرابعة وكان سبب رفع إدريس على ما قاله كعب وغيره أنه سئل ذات يوم في حاجة فأصابه وصبح الشمس وضوءها وحرها فقال: يا رب أنا مشيت يومًا فكيف يحملها خمسمائة في يوم اللهم خفف عنه من حرها وثقلها، فلما أصبح الملَك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف، فقال: ما الذي قضيت فيه؟ قال: إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها أو ثقلها فأحببته، فقال: يا رب اجعل بيني وبين خلفةً فأذن له حتى أتى إدريس وكان

يسأله إدريس فقال له: إني أخبِرتُ أنك أكرم الملائكة، وأمتهم عند ملك الموت فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي فأزداد شكرًا وعبادةً، فقال الملك: لا يؤخر اللّه نفسًا إذا جاء أجلها وأنا مكلّمه. فرفعه إلى السماءِ ووضعه عند مطلِع الشمس فثَمّ ملك الموتِ فقال: لا لحاجة لي إليك: صديق لي من بني آدم يشفع بي إليك لتؤخر أجله قال: ليس ذلك لي ولكن إن أحببت أعلمته أجله، فتقدم في نفسه فقال: نعم، فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتني في إنسانٍ ما أراه يموت هو أبدًا، قال: وكيف لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمسِ؟ قال: فإني آتيتك وتركته هناك، قال: فانطلق قال: فلا أراك تجده إلا وقد مات، فواللّهِ ما بقي من أجلِ إدريس شيء، فرجع الملك فوجده ميتًا. واختلفوا في أنه حيٌّ في السماءِ أم ميتُ؟ فقال قوم: هو ميت وقال قوم: هو حي وهو صحيح، وقالوا: أربعة من الأنبياء أحياء اثنان في الأرض الخضر وإلياس واثنان في السماءِ إدريس وعيسى.

قال وهب: كان يرفع إدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع جميع أهل الأرضِ في زمانه، فأذن ملك الموت وأتاه في صورة بني آدم وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت الإفطار دعاه إلى طعامِه فأبى أن يأكل معهُ ففعل ثلاث ليالٍ فأنكره إدريس فقال له: الليلة الثالثة إني أريد أن أعلم من أنت؟ قال: أنا ملك الموت استأذنتُ ربي أن أصبحك قال: فلي إليك حاجة قال: ما هي؟ قال: تقبض روحي فأوحى الله إليهِ أن يقبض روحه فقبض روحه وردها إليه بعد ساعةٍ قال له ملك الموت: ماذا في سؤالكِ قبض الروح؟ قال: لأذوق كرب الموت وغمته فأكون أشد استعدادًا له ثم قال إدريس: إن لي إليك حاجة أخرى قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماءِ لأنظر إليها وإلى الجنةِ والنار، فأذن الله تعالى له في رفعه فلما قرب من النار قال: لي حاجة قال: وما تريد؟ قال: تسألُ مالكًا حتى يفتح لي أبوابها فأردها، فكما أريتني قرب النار قال لي حاجة فأرني الجنة، فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتح أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها فبعث الله تعالى ملكًا حكمًا بينهما فقال الملك: ما لك لا تخرج؟ فقال: إن الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته. وقال: وإن منكم إلا واردها وقد وردتها، وقال: وما هم منها بمخرجين فلست أخرج. فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت: بإذني دخل الجنة

وبأمري يخرج، فيبقى هناك، فذلك قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (58)﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المذكورون في السورة من لدن زكريا إلى إدريس ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ للبيان أو التبعيض كمن الثانية من ذرية آدم وإدريس ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ لقربه منه بدل بإعادة الجار ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أي من ذرية من حملنا خصوصًا إبراهيم فإنه من ذرية من حمل مع نوحٍ لأنه ولد سامٍ بن نوح ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إسماعيل ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وهو يعقوب وكذا موسى وهارون وزكريا ويحيى من ذرية إسرائيل يعقوب وكذا عيسى لأن مريم من ذريته ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ يحتمل العطف على من الأولى والثانية أن جعلت (الذين) خبرًا لـ(أولئك) ﴿وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ واصطفينا للنبوة والكرامة والحكمة والحكومةِ ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58].

اللهمّ اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك، وأعوذ بك أن أكون من المتكبرين عن أمرك، خبر لـ(أولئك)، إن جعلت الموصول صفته، واستئناف إن جعلته خبره، لبيان خشيتهم من الله وإخباتهم وتضرعهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس ورفعة الحسب في وقاية وظائف الأدب، ومن اللّهِ زلفى وتمام القرب، بكيًّا جمع باكٍ كالسجود جمع ساجدٍ، والقعود جمع قاعدٍ، عن رسول الله ﷺ: «**اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا**»، وأيضًا قال عليه السلام لصالح: «**يا صالحُ هذا القرآن فأين البكاء**»، وأيضًا: «**إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإذا لم تبك عين أحدكم فليبكِ قلبه**»، وأيضًا: «**إن القرآن أنزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوه**».
وقالوا: أندعو في سجدة التلاوةِ بما لا يليق بآياتها؟ قال: «**اقرئ آية تنزيل السجدة ثم قل: اللّهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك**» فإن قرأ هذه الآية قال: اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتِك، أخبر الله تعالى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا إذا سمعوا آيات اللّهِ سجدوا وبكوا.

﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي بعد الأنبياء المذكورين (خلف) وهم قوم سوء بالسكونِ وبالفتح ﴿خَلَفٌ﴾ صدق يقال ولد خلف أي صالح رشيد فالح وعقب خلفٌ بالسكون إذا كان صالحًا ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وتركوها وأفسدوها وأخروها وأخرجوها عن وقتها وجمع الظهر مع العصرِ والمغربِ مع العشاء أو جمعوا الكل في وقت ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ أي أن تكتبوا المعاصي وقيدهم الشيطان بالنواصي ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59] أي نهرًا في جهنم بعيد قعره، خبيث طعمه قيل: هو وادٍ في جهنم وإن أودية جهنم لتستقاد من حرِّها أعدت للزاني المصِرُّ عليه والشارب الخمر المدمن عليها ولآكل الرباء الذي لا يبرح عنه ولأهل العقوق ولشاهد الزور قيل: هو واد في جهنم يسيل قيحًا ودمًا أو هو وادٍ في جهنم بعدها قعرًا وأشدها حراقةً بئر يسمى النهيم كلما خَبَت نار جهنم فتح الله تعالى تلك البئر فتسعر بها جهنم كقوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97].

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ من الكفر والظلم أو عنِ الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ بالله وبرسله وكتبه وبما جاؤوا بهم ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي مقرونًا بالإخلاصِ وصفاء طوية وخلوص ابتغاء ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 60] ولا ينقصون من أعمالِهم وأجود أفعالِهم، ويجوز أن ينتصب على المصدرية أي ليصادق شيئًا وفيه تنبيههم على أن كفرهم السابق لا يضر ولا ينقص أمورهم، أو التائبين من الذنب كمن لا ذنب له.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [مريم: 61] بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها اشتمال الكل على الأجزاء أو منصوب على المدحِ قُرِئ بالرفعِ على أنه خبرٌ مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف خبره، وهو وعدها، وعدن معرفة علم لمعنى العدن،

وهو الإقامة، فجرى مجرى العدن لذلك أو علم الأرض، الجنة لكونها مكان إقامة ولولا ذلك لما شاع الإبدال، لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة ولما صاغ لا وصفها بالتي ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بالغيب، الجنة المذكورة وهيئاتها ﴿عِبَادَهُۥ﴾ المخلصين ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال كونه متلبسين بالخفاء والغيب، أو حال كونهم غائبين أو هم غائبون، أو حال كونهم متلبسين بالإيمانِ بالغيب أي بالقلب ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: 61] أي أن اللّه كان وعده للمؤمنين أي الجنة والمثوبة مفعولًا لا محال منجزًا.

إشارة وتأويل

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 42] إشارة إلى خصائص مقتضيات الأدوار النورية الإفرادية وإلى نصائص مرتضياتِ الأكوار الظلية والبسيطة، إلى نصائص الأطوار الصورة الجمعية الإفرادية وجمعية الجمعية أو إلى جمعية الأطوار القلبية والروحية والنفسية، فإن لكل منها سمعًا وبصرًا وفكرًا ونظرًا، فيصير القلب وسمعه وهي جمعية طور بصر النفسِ والروح والعقل ما يدرك بصرُ الطور الروحي والنفسي فؤادي، أو مع أمرٍ آخر غيرهما، وهو الطور الجمعي والجمع الكمالي الذي يدرك بصر الطور الروحي والنفسي، ولا يسمعهما البعيد من خصوصية، وفرديتهما لا تتعلق إلا بأمرٍ مخصوصٍ، بخلاف سمع القلب وبصره فإنهما متعلقانِ بما يتعلقانِ فردًا وجمعًا وبغيرهما، أو تلك الجمعية، ولذا صار بيت الحق كما قال النبي ﷺ حكايةً عن الله تعالى: «**لا يسعني أرضي ولا سمائي - أي الروح - ولكن يسعني قلب عبدي المؤمِنُ**». فأب الطور الروح، والعقل ما دام تقلد ويتقيد بخصوصية الطور المخصوص به لا يغنى ولا يفيد عنِ الكمالِ الجمعي والجمعي الكمالي شيئًا بل شرط إدراك هذا الكمال هو التجرد عن خصوصية القيود الإفرادية والتفرد عن جهات الحدود والانفرادية، وكذا أمّ النفس فإن إدراكها تختص بأمور مخصوصةٍ حسية، وكذا إدراك أب الروح والعقلِ فإنه يتعلق بأمور عقلية، وأما إدراك ولد القلب فيعمها.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾ وإطلاق يحرق صور المقصود ويخرق سور الحدود ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي الاسمِ الجامِع لأطوار النور والظِلّ والضمور ﴿فَتَكُونَ

﴿لِلشَّيۡطَٰنِ﴾ أي الاسم الخاص الداعي إلى القيود والرسم الساعي إلى التقلد بمقتضى الحدود ﴿وَلِيّٗا﴾ [مريم: 45] قرينًا.

﴿قَالَ﴾ آزر العقل الرسمي والنقل الوهمي ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ﴾ وصادف ﴿عَنۡ ءَالِهَتِي﴾ ومقصودي وهو الأمس المقيد والسر المقلّدُ ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ﴾ الطور الجمعي والدور المعي ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾ [مريم: 46] إلى أن يحصل فينا استعداد الإطلاق واستدعاءٍ يجمع بالفراق والطلاق بالطلاق.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم: 47] إشارة إلى أن لكل أحد من الآحادِ مقتضيات الأدوار وفرد من أفراد مرتضياتٍ الأكوار استعداد حصول الكمال الجمعي واستدعاء الوصول إلى الكمال الجمعي المعي وإن نفاد الآحادِ من الصورة الجمعية في الحقيقة وهو طلب القرار ورغب إلى التمكن والوقار بالوصف الجمعي والكمال المعي لأن شرط القرار الجمعي والوقار المعي هو النفاد الطبيعي لتتحقق المعية وتظهر الجمعية، إذ الجمعية وجود تحقق التفرقة دون الحقيقة والشفقة والبر من جانب الحق.

﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من أحكام الأدوار وأعيان الأكوار في الأحوال الإفرادية ﴿وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾ [مريم: 48] إشارة إلى تكرر اقتضاء الجمعية في الفرداريّة الإفرادية النورية والظلية في النشآت المتداولة في الدورات المصورة والأكوار المنعطفة.

﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ﴾ إشارة إلى تنوع مظاهر الجمعية المتتابعة حسب اقتضائه تطور جمعية الأكوار والأدوار على طريق الظهورات والبروزات ﴿وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ [مريم: 49] تصريح إلى ما أشرنا إليه إجمالًا وهو أن كلًا من الأعيان والأكوان له صلاحية الجمعية الكبرى وهي النبوة.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا﴾ وكمال جمعيتنا ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم: 50] أي الأحكام العادلة بالقضايا الصادقة المطابقة لما سبق من الأطوار المتقدمة في الأدوار والأكوار الفرعية عليًّا مستعليًا أو مشتهرًا فيه.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي الدورة الجمعية الأصلية ﴿مُوسَىٰٓۚ﴾ صاحب فرداريّة

تلك الدورة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ تقيًّا صالحًا من القيودات الحادثة في الأدوار الإفرادية والأطوار المفردة ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ على مقتضى علية الأحكام وجمعية أطوار النور والجمال صريحًا ﴿نَّبِيًّا﴾ [مريم: 51] على مرتضى جمعية النور والجمال والظلية والجلال على وجه يتساوى حكمها صريحًا فيكونان ظاهرين صريحًا ومتقابلين جريحًا أحدهما الآخر، إلا أنه إن كان حكم فرداريّة النور والوجود صريحًا يكونُ صاحبه غالبًا أصبح مصاحبه خفيًّا غائبًا، وإن كان الأمر بالعكس انعكس الحكم.

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ أي أغلبنا وقفينا موسى الطور الجمال على فرعون الطور الجلال مؤيدًا من جانب الطور الجمعي القلبي ومددًا للتأييد الغيبي ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ﴾ إلى حضرة جمعيتنا ذاتًا واجبًا وصفاتًا وأفعالًا وآثارًا وأولًا وآخرًا وباطنًا وظاهرًا ﴿نَجِيًّا﴾ [مريم: 52] كليمًا بحضرتنا ومناجيًا ومناديًا إلى جمعية أنيتنا.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ [مريم: 53] الذي هو المولود الملكي، وفرعون المولود الجني، تتوالد ويولدان معه من بطن جمعية الأحدية أم الأحدية الجمعية الجمالية والجلالية بالنعت المعية، وصفة اقتران الأصلية بالفرعية، واختزال الاستقلالية بالتبعية نبيًّا: حال كونه متصفًا بالوصف الجمعي والنعت المعي، لما تقدم من أن كل مولود له توأمانِ ملكي وجني، فالمولود الكامل والكون الأزلي العابد المعهود الفاضل هو الذي تطابقت هذه المواليد، كما أشار إليه عليه السلام: «**قد أسلم جني بيدي لا يأمرني إلا بالخير**».

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ الجامع الكامل جميع الخطاب في كل باب في الدورة العظمى التي رسمها أي الحقيقة المحمدية التي هي سلطان ملك فرداريّة فردية النور والجمال وسارية في حصص جميع أعيان الأدوار وأكوان الأكوار وعموم الإفرادية الأنوار وتمام الأطوار وكل الآثار والأطوار والأحوال من الإقبال والإدبار في جهة اليمين واليسار والإقبال والإدبار ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾ [مريم: 54] الذي هو في الحقيقة حصة من حصص نسب الحقيقة المحمدية، ونصة من نصص الإضافات الذاتية، فإن لها في الظهورات أطوارًا وفي البروزات أدوارًا وأنوارًا وأسرارًا تارة بنعت الأبوة وصفة البنوة، وأخرى بوصف البنوة وعطف الأخوة

وغير ذلك من الهيئات الإمكانية والحوادث الزمانية والحوادث المكانية، فإن أعيان الظهورات وأكوان البروزات في الحقيقة من حِصص تفاصيل صور نسبها الأولية وإضافتها الذاتية التي هي الأعيان الثابتة والحقائق الإلٰهية والماهيات الكونية ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: 54] في كل دورة بإيرادها بتمام لوازمِها وعموم لواحِقها وخصائصها من غير أن يشذ منها شيء من اللوازم النوعية والخواص الجنسية والصنيعة بل الشخصية إذ الأدوار وما فيها من الأعيان وما لها من الأفلاك وحركاتها وما يلزمها من الاتصالات الكلية والجزئية الكوكبية وما يتبعها من الحوادثِ اليومية وما يلحقها من الحوادث الصناعية والمصانِع الصناعية وغير ذلك متطابقة وفي الأحوال متوافقة.

وكان في الأدوار السالفة والأكوار الخالفة الإفرادية رسولًا مبلغًا للأحكام الماضية في الدورة العظمى إلى الأعيان الكائنة في الدورة الآتية الكبرى والوسطى والصغرى، الأصلية أو الفرعية الإفرادية أو الجمعية الاستقلالية أو التبعية بالنبوة العرضية على وجه بلغها إلى تلك الأعيان في الدورة العظمى بالنبوة الذاتية نبيًّا مخبرًا عَمّا جرى في تلك الدورات كلها إجمالًا أو تفصيلًا إفرادًا أو جمعًا شرفًا أو تفضيلًا، وكان يأمر أهلهُ أي أعيان دورته وأكوان كورته صريحًا وضمنًا ظاهرًا وباطنًا صورةً ومعنىً بالصلاة على ما يقتضي حكم الرسالة والنبوة العرضية الخاصة الجامعة لخصائصِ النبوة الذاتية والولاية المطلقة التي اقتضت العبادة التامة الكاملة المنطوية على عبادة جميع أعيان الأدوار وطاعة أكوان الأكوار كلها صريحًا وضمنًا، وهي التي يوصل العبد إلى الحضرة الجمعية والجمعية الأحدية وجمعية الأحدية الجمعية ظاهرًا وباطنًا، والزكاة على ما تقتضيه النبوة العرضية التشريعية فقط، وهي التي يكمل ويفصل العبد في الظاهِر حسب ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: 55] ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى صريحًا وضمنًا جمالًا وجلالًا.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ الأول ما جرى في الدورة الأولى من حكاية ﴿إِدْرِيسَ﴾ [مريم: 56] النفس المطمئنة إنه كان في تلك الدورة في الإخبار عما جرى وحكي فيها وحكم لديها على أعيان كل الأدوار وعموم الأكوار إجمالًا وبالإمكان تعظيمًا لحكمه تعالى وإجلالًا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ في تلك الدورة رفيعة المرتبة ومنيعة المنزلة ﴿صِدِّيقًا﴾ [مريم: 56] كثير الصدقِ جدًّا أو قوي الصدق، لأن الدورة كلما

كان قربها إلى الوحدة الذاتية والمحبة الكلية التي هي مبدأ إيجاد الكائناتِ وإبداع المكونات أوفر كان حكم العشق والمحبة الإلٰهية أكثر، وحكم العقل أقل وأندر، فيكون الصدق والعدل والحق أتم وأقوى وأكثر والكذب أضعف وأقل، بل الكذب في هذه المرتبة والدورة معدوم، لأنه من أعمالِ العقل الذي وجوده بعد حكمه بالصدق عند دلالة اللفظ مطابقة عليه. ففي هذه الدورة الغالب على أعيانها هو الصدق والوفاء وعدم الكذب والخلف بعده الدورة من مرتبة المحبة الذاتية والحقيقة المحبة ضعف حكم سلطان المحبة والعشق وقوي وكثر حكم العقل وظهر إلى أن يظهر حكم المحبة أيضًا في مرتبة الناسوت التي قابلت الدورة وانعكست كلما كان فيها من الأعيان وأحوالها والأكوان وما لها من الكمال فيها، فربما يكون فرد كامل وشخص فاضِلٌ من أعيان هذه المرتبة على وجه استغرقه حكم سلطان المحبة والعشق والمودة بحيث لم يبق للفعل أصلًا بل انقلب العقل محبة والروح عشقًا ومودة، انقلاب الحديد الملقى في النار وتحقق بخصائصها ولوازمها إحراقًا وحارًّا، إذ لكل دورة من الأدوار الأربعة النورية والظلية شأنًا واقتضاءً، فاقتضاء الدورة العظمى النورية وشأنها هو إخفاء العقل والنفس والبدن وإشهاد حكم الحب وإلقاء المحب في غياهب الحب، ولا يظهر للعقل والنفس في هذه المرتبة والدورة تأثر وحكم، وهو احتمال الخبر الصدق والكذب مع أن أصل الخبر هو الصدق.

وهذا الاحتمال إنما يستثنى من العقل الوهمي المتشبث بأذيال النفس والوهم، فإذا انقلبت نوبة الفرداريّة من الدورة العظمى والدورة الكبرى ظهر حكم العقل الصريح وهو الإدراكات المتعة الصادقة المحضة والاحتقار من الصحيحة المطابقة المصرفة من غير شائبة الكذب والمخالفة، وإذا انقرضت هذه الفرداريّة انقلب إلى النفس وظهرت أحكامها واشتهرت مقتضياتها وأعلامها وبهرت الشهوة وتشبث العقل في إثبات مقاصد الأعيان. وهذه الدورة ـ أعني الدورة الوسطى بأذيال النفس وقوتها الباطنة، وهي بالحس المشترك والخيال والقوة الواهمة والمتخيلة والحافظة، وإذا انتهت هذه الفرداريّة انتقلت الصغرى فحينئذ من يظهر الجسم، وصدرت الطبيعة وغلب الكذب على الصدق، والجهل على العلم والحذق.

وإنما قدم عيسى وزكريا ويحيى وأخّر إدريس إشعارًا بأن طور الوجود كوري وسيره دوري يصير الأول آخرًا والظاهر باطنًا والباطن ظاهرًا، قال النبي ﷺ: «**نحن المفرّدون والسابقون**».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [مريم: 58] إلى آخر الآية، وإنما أبهم ثم عين أعلامًا كل عين من الأعيان وكور من الأكوار من صلاحية لأن ينعم عليه كل إنعام النبوة كامنة أو ولاية حكمه أو ولايته علمًا ومعرفة ودراية، وإن مقتضياتِ الأدوار والأكوار متبدلة ومتبادلة ومنتقلة ومتقابلة أي الكل في الكل في الإقدام وكمال الرتبة والأعلام متساوية.

﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ۝٦٢﴾

﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾ أي لا يصدر في الجنة من أهلها كلام لغو وباطل وفحش وفضول على ظل ومهمل واليمين الكاذبة ﴿إِلَّا سَلَٰمٗاۖ﴾ استثناء منقطع، بل ويسمعون أي فيها سلامًا وقولًا وكلامًا صادقًا مستتبعًا للشعارات، وهو اسم جامِع الخير متضمن للسلامة حال السكون والسير في المشي بالخطوات والطير لأنها دار سلامة ومدار السعادة، وهو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم، أو تسليم اللّهِ عليهم عند رفع الحجاب عن أبصارهم وأسماعهم ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: 62] قال أهل التفسير في الجنة ليل يعرف به البكرة والعشي بل أوفى نورًا أبدًا، ولكنهم يؤتونهم بأرزاقهم على مقدار طرفي الليلِ والنهار أو هم يعرفون النهار وبرفع الحجب، ووقت الليل بإرخاء الحجب، والمعنى من رفاهية العيش وسعة الرزق، فعلى هذا لا يلزم من انتفاء الليل والنهار المعروف انتفاء مطلق النهار والليل، إذ لا يلزم من انتفاء الخاصِّ انتفاء العامِّ. ولما كانت الدنيا مغايرةً للآخرة وضعًا وحقيقةً لا بدّ وأن يكون نهارُ الآخرة مغايرًا لنهار الدنيا وكذا لليله.

﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ۝٦٣﴾

﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ﴾ التي مرّ ذكرها هي ﴿ٱلَّتِي نُورِثُ﴾ ونعطيها أو نتحصلها ﴿مِنۡ عِبَادِنَا﴾ المخلصين وأوليائنا المتخصصين بمزيد العناية ومرآة الكفاية ﴿مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: 63] خالصًا نقيًا من شوائب الرعونة والرياء وكواعب الكدورة والظلم

والجفاء، والإيراث استعارة عن الإبقاء يعني تبقى عليهم الجنة كما تبقى على الوارثِ الميراثِ ومال المورث، فإنّ الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت أعمالهم وبقيت ثمراتهما وهي الجنة، فإذ أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى، قيل: ورث عباده المؤمنين المساكين التي كانت لأهل النارِ وعلى تقدير إيمانهم من كان نقيًّا عما لا يرضى به الله.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ أي لا ينزل ولا يرسل إليك يا محمد ﴿إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ﴾ [مريم: 64] وإذنه نزلت حين قال لجبرائيل: ما يمنعك أن تظهر لنا إذا أردنا، قال في الجواب: ما ينزل، قيل: احتبس جبرائيل عن النبي ﷺ حين سأل محمدًا قومهُ عن أصحاب الكهفِ وذي القرنين وعن الروحِ فقال: أخبركم غدًا ولم يقل إن شاء الله تعالى ثم نزل بعد أيام قيل: خمسة عشر يومًا أو أربعين يومًا، وقال جبرائيل إني أشوق إليك يا محمد ولكني عبدٌ مأمورٌ إن بعثت نزلت وإذا احتُبستُ احتَبست، فأنزلتْ. ونزول: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: 1، 3]، ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ أي علم ما بين أيدينا من الآخرة من الثواب والحساب والميزانِ والعقاب وغير ذلك من البعث والنشور ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من الدنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ من أحوال القبر إلى قيام القيامة وظهور الساعة أما بين التعجبين وهو أربعين سنةً وغير ذلك من المحتملات من أمور الدنيا وأحوال القيامة وما بينهما ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: 64] تاركًا من غير اختيار.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ وحرارة الصبر على مشقتها ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: 65] مماثِلًا للّهِ ومشاركًا لهُ في اسمِ الألوهية ووسم الربوبية.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ ما للتوكيد ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: 66] أي حقًّا وصدقًا إنا نستخرج من في القبور أحياءً حين ما قد تمكن فيها الموت بعد زوالِ الحياة عنها، والاستفهام للإنكار والاستبعاد، واستهزاءً واستخفافًا وتهكمًا، وتقدم الظرف، وإيلاء حرف الإنكار إشعارًا بالحياة وما بعد الممات. و(حيًّا) منصوب بفعلٍ ولي عليه لام التأكيد إذ ما بعد اللّامِ لا يعمل فيما قبلها، وهي ههنا مخلصةٌ للتأكيد مجردة من معنى الحالِ كما خلصت الهمزة في يا الله للتعويض ولذا ساغ اقترانها بحرفِ الاستقبال.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ عطف على يقول توسط الهمزة بينه وبين العاطف مع الأصلِ أن يقدم للدلالةِ على أنّ المنكر بالذاتِ هو المعطوف وأن المعطوف عليه إنما نشأ منه فإنه لو تذكر منه وتأمل حق التأمل لارتدع من الإنكار ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل البعث والحال إنه ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 67] أي ثابتًا متقررًا في الكونِ لا عدمًا صرفًا ونفيًا محضًا بأن لا يكون لهُ ثبوتٌ أصلًا لا علمًا ولا عينًا فإنه بهذا المعنى هو الممتنع الوجود لا يقبل الوجود والكون والثبوت أصلًا لا في العلم ولا في العين، بل المراد من بدو الخطرة كان عاديًا هو عن الشيئية والوجود العيني، فإيجاده وتكوينه وتقريره في العين والخارج في النشأة الأولى أشد وأضعف من البعث والإحياء لخلق في تلك النشأة عن مادة الوجود وأسبابه وشرائطه بخلاف البعثِ، فإن يناديه وهي الجواهرُ الفردة المخصوصة والأجزاء الغير المنقسمة المرسومة مع إضافة معينة ونسبة مبينة خصها الله تعالى في الفطرة الأولى بهذه الإضافة المخصوصة بينهم، فإن الله قد تعين لأعيان الكائناتِ وأكوان الوجودات في حضرة علمه ومرتبة قضائه وحكمه بأجزاء معينة وبجواهرِ فردة مبينة إضافة خاصةٍ ونسبة خاصة ناصة بينها، وهذه الأجزاء مع الإضافتين المذكورتين باقية أبد الآباد.

فأجزاء كل جسمٍ وبدن يتداعون ويطلبون بعضهم بعضًا، وإن كان بعضهم في الشرق والبعض الآخر في الغرب، فإذا أمر الله إياها بالاجتماع يسارعون إليه

طبعًا وطوعًا، بل سريان فساد وهلاك عليها، فلهذه الأجزاء وجودات آحاد ما في مرتبة الأسماء والصفاتِ الذاتية، والثانية في مرتبة الأسماء الربوبية، والثالثة في مرتبة البرزخ، وهذه المرتبة هي أرض محشر الخلق بعد خراب عالم الصورة الكثيفة التي هي الدنيا فيها، والرابعة في عالم الملك المسمى الصورة العلمية الإلٰهية والأعيان الثابتة والماهيات الكونية.

وفي الثانية يسمى الأرواحِ، وفي الثالثة بالأشباحِ، وفي الرابعة يسمى ذلك المجموع البدن والبنية البدنية والجسم كما سمى في المرتبة الثالثة الجسد. فعند انتفاء الإضافة المذكورة والنسبة المزبورة بين تلك الأجزاء والأبدان في المرتبة الرابعة التي هي الدنيا لا يلزم انتفاؤها بين تلك الأجزاء في سائر المراتب وكان الله تعالى قادرًا على أن يخلق تلك الأجزاء ويوقع الإضافة المخصوصة والنسبة المرصوصة منها في المراتب الأربعة المزبورة وأعطى لجمعية تلك الأجزاء صورة نوعية وسنية معينة تابعة لتلك الجمعية في جميع هذه المراتب، كذلك قادر على أن يزيل الهيئة المخصوصة من أعيان المرتبة الرابعة المسماة بالدنيا وإبقاء سائر الصورة في المراتب، وأن تنتقل سلطنة عالم الحس من الحس إلى سلطان النفس ويأمر الأجزاء الباقية على التشبيه لأن يجمع ثانيًا في عالم البرزخ الذي كانت تلك الأجزاء باقية فيه.

قيل: الاجتماع الدنياوي الرابع ويعده أيضًا، ويقيض الهيئات المخصوصة المتعينة في الدنيا على هذا الاجتماع الثاني، فلا تغاير بين هذه الصورة المعادة ثانيًا وبين تلك الصورة الدنياوية التي أعدت هي على مثلها، فهي عينها من وجه وغيرها من وجه، فمن قال إنه عينه فقد قال إن المعدوم بعينه معاد وهو محقق بهذا الوجه، ومن قال هو غيره فقد أحال إعادة المعدوم بعينه، وأنت خبيرٌ بأن إعادة الصورة بعد إزالتها من مادة تلك الأجزاء إليها، أهون وأدنى وأسهل من إيجاده هذه الأجزاء، وإجراء النسبة والإضافة بينها في هذه المراتب، بعضها أسهل من بعضها إلى ما استند إلى الذاتِ من حيث إنها ذات تكون نسبتها إلى تمام المراتب إلى ما فيها من الأعيان والأعراض، ومقولاتها التسع وإلى الجواهِر النورية والقواهر العاتية والنفوس العالية على السواءِ من غير أن يكون لبعضها خصوصية وترجيح ومزية، فلا بدّ أن يكون بل في هذه المرتبة إجماليًّا وهو إبداعيًّا صنعت من الإيجادِ

التفصيلي يقتضيه عن بعض وقتيًا في سائر المراتب على التدريج تفصيلًا، فالأول: إنما يكون من امتداد النفس الرحماني ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: 3] الآية إلخ، فلا يتصور إلا بعقولِ العلم ونسبة القدرة. والثاني: بتخصيص الإرادة نسبة بعضها إلى بعضٍ في تمام الأحوال وبعض الأحوال في كل الأوقات أو بعضها الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ولا مرية أن كمال القدرة وشمول العلم والحكمةِ على تقدير جعل مادة الموجودات الجواهر الفردة التي هي وحدات صور النسب الذاتية والإضافات الأولية العلمية أتم وأشمل من أن يجعل مادة الأجسام الهيولي والصورة مخصصة ومحصصة للأجسام، والسكوت عن مادة سائر الموجودات الغيبي والعيني إلخ.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾

﴿فَوَرَبِّكَ﴾ إقسام باسمه مضافًا إلى نبيه تحقيقًا للأمر المعهود وتشويقًا في إثبات الموعود وتفخيمًا لشأنِ رسوله في إجراء السرعة المرصودة ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ في المحشر العظيم والفردية الكبرى ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ عطف أو مفعول معه لما روي أن الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغروهم كل مع شيطانه في سلسلة. هذا وإن كان بهم ساغ نسبته إلى الجنس بأسره فإنهم إذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعًا معهم، هذا ما في تفسير القاضي وهو خلاصتها في الكشاف، فإن قلت هذا إذا حشر جميع الناسِ حشرًا واحدًا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطينِ كما حشروا مع الكفرة، فإن قلت بلا عزل السعداء عن الأشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاءِ، قلت لم يفرق بينهم وبينهم في الحشرِ، وأُحضروا حيث يخافوا حول جهنم، وردوا معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم منها وخلّصهم، وازدادوا لذلك غبطةً إلى غبطةٍ وسرورًا إلى سرور، ويشمتوا بأعداء اللّهِ وأعدائهم وازدادوا مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولئك وشماتتهم بهم.

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: 68] ويشرفهم عليهم ليرى السعداء ما نجاهم منه فيزدادوا ما يزدادوا سرورًا وغبطةً جثيًا على ركبتهم لما يلزمهم من هول المطلع، أو لأنه من توابع التوافق للحسنات قبل التواصل إلى الثواب

والعقاب، وأهل الموقف جاثون بقوله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: 28] على الميعادِ في مواقف التواقف، وإن كان المراد بالإنسانِ الكفرة، فلعلهم يساقون جناة من الموقف إلى شاطئ جهنم، إشعارًا بما يمكن فيهم واستقر من الهيئاتِ الكثيفة والملكات المظلمة الغليظة المسقطة عن درجة الاستواءِ والاستقامة فاقتضت فيهم الجاثية والسقوط على الركبة التي هي مركز ثقل سيره التي هي نقطة مدار البدن وسقط ثقلها وأنت خبير بأن الإنسان عالم، وإن لكل إنسانٍ كان شيطانًا وتخصص الشيطان بالكفرة فرية بلا مرية الذاتِ شيطان البعض، قد أسلم بيدهم ووافقهم في كيفية الحشر.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ﴾ لنخرجنّ ﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ وفرقة وطائفة وأمةٍ ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ أكثر وأولى وأكبر ﴿عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: 69] عفوًا ومغفرةً أو جزاءً أو جرمًا يعني أنهم يقدمون في إدخال النار، وهو أكثر جرمًا وأكثر كفرًا وظلمًا، وفي بعض الآثار: يحشرون حول جهنم مسلسلين مغلولين فالأكفر والأكفر والأعصى فالأعصى إذ ما مسلم إلا ويطريه كغرمًا في وقت ما وما أرسلناك من رسولٍ ولا نبي إلا تمنى الشيطان في أمنيته يدل عليه قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: 71]. وأيّهم مبني على الضم لكنه أعرب حملًا على كل وبعض للزوم الإضافة منصوب المحل بنزعن، أو مرفوع بمعنى الذي، أو الاستفهام مبتدأ وخبره أشد، أي لينزعن من كل شيعة الذين يقال عنهم أنهم أشد على الرحمٰن وأعصى وأغنى. والياء للبيان لا للصلة أو يتعلقان بأفعل أي أيهم أشد على الرحمٰن صليًا.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ [مريم: 70] أحق بالدخول في النار من صلى يصلي صليًّا إذا دخل النار لقوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾ [المسد: 3] الآية.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 71] أي ما منكم من

أحدٍ إلا وهو يرد في النار يفيد الاستغراق والعموم ولو في وقتٍ ما عن ابن عباس وأكثر المفسرين: الورود والدخول أي يدخلها البارّ والفاجر والمؤمن والكافر، ثم ينجي الله الذين اتقوا فيخرجهم منها. والدليل ما روى ابن عباس فسئل عنه فقال: هو الدخول، فقال نافع: ليس الورود الدخول، فتلا ابن عباس: أنكم وما تعبدون من دون اللّهِ حصب جهنم أنتم لها واردون، ثم قال: يا رافع: أما واللّهِ أنا وأنت سنردها وأنا أرجو أن يخرجني الله وما ترى الله يخرجك عنها لتكذيبك وعدم اعتقادك به وأوّل بعضهم الورود بمعنى الحضور والرؤية لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ [القصص: 23] أراد الحضور قيل الآية في الكفار، والأصح هو الأول، وعليه أهل السنة والجماعة، نقلنا عن معالم التنزيل اعتقادًا لما قدمناه ويؤيّده:

﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢﴾

﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ إلى الشرك والظلم ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ [مريم: 72] والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه ويوم كنتُ أكتب هذا المقام كنت متأملًا في الآية وإن منكم إلا ويردها ناجيًا إلى اللّهِ يا رب كيف معنى الآية. أما ما قاله الأولون أو الآخرون قال تبارك وتعالى: ما قاله الأولون لأن ورود الأنبياء والأولياء والمؤمنين الصّالحين ليس ورود العذاب بل لتخفيف شدة صورتها ولخفة عذابها، كما ورد في الخبر جزمًا يا مؤمن لا تطفئ ناري بنورك، ولتتشرف النار بقدومهم ويتذوقون حالة النارِ ليتحققوا بعين اليقين وحق اليقين، كما قيل وليس الخبر كالمعاينة، ويترحمون على أهلِ النار ولعلّ الله يرحمهم ويغفر لهم بسبب ترحمهم وببركة قدومهم لأنه ما من أحدٍ من أفراد الإنسانِ وفرد من آحاد بني آدم إلا وفطرتهم الإسلام والاستسلام لربهم ولا يعيش أبدًا إلا والإسلام الفطري يقذف في قلبه وإن كان مملوءًا بالكفر في وقت من الأوقات نوره وبميله إلى اللّهِ لأن ما بالذات لا يزول بالعرض ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [العنكبوت: 61].

وفي الحديث: «**تقول النار للمؤمن جُز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي**»، وإليه الإشارة بقوله: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: 53].

مبحث: عذاب النار يكون عذبًا على أهل النار

روي عن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من قال: لا إلٰه إلا الله وفي قلبه وزنُ حبة شعير من خير، ويخرج من النار من قال لا إلٰه إلا الله وفي قلبه وزن حبة ذرة من خير**». وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: «**أن رجلًا في النار ينادي ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله عزّوجل لجبرائيل: اذهب فأتيني بعبدي هذا قال: ذهب جبرائيل فوجد أهل النارِ يبكون فيرجع فأخبر ربه قال: اذهب فإنه في موضع كذا وكذا قال فجاء به وقال: يا عبدي كيف وجدت مكانك قال: يا رب شر مكان وشرّ مقيل قال: ردّوا عبدي إلي. قال: كنت أرجو أن يعيدني إليها إذا أخرجني منها. قال الله لملائكته: دعوا عبدي**» الحديث، هذا لكون العذاب في حقهم عذبًا وعذوبةً لا نقمًا وعقوبةً بل بردًا وسلامًا، وترى ذلك المقام أحسن المقام مكانًا وأسلم مقامًا لتعودهم به، فيكون ملائمًا لهم لا منافرًا لا يكون إدراكه عذابًا مؤلمًا بل عذابًا وعذوبةً وملائِمًا.

سئل رسول الله ﷺ: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**أتمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا: يا رسول اللّهِ لا قال: فإنكم ترونه كذلك يحشر الناسُ يوم القيامة فيقولُ من كان يعبد الشمس فليتبعها**»، فمنهم مَن يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم اللّهُ فيقول: أنا ربكم فيقولوا: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكونُ أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذٍ اللهم سلِّم، سلِّم وفي النار كلاليب مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمهما إلا الله يخطف الناس بأعمالهم، فمنهم منه يوبق بكلمة ومنهم من خردلٍ، ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النارِ أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجوهم ويعرفونهم بآثار السجود فحرم الله على النار أن يأكل أثر السجودِ فيخرجون من النار فكل ابن آدم يأكله النار إلا أثر السجود فيخرجون من النارِ قد امتحنوا أفيضت عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العبادِ ويبقى بين الجنة والنار وآخر أهل النار دخولًا في الجنة، فأقبل بوجهه قِبل النار فيقول: يا رب

اصرف وجهي عن النار قد أنتنني ريحها وأحرقني ركاؤها، فيقول: هل عسيتُ أن أفعل ذلك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك فيعطي الله ما شاء من عهدٍ وميثاق، فينصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به الجنة سكت ما شاء ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله تبارك وتعالى: أليس أعطيتُ العهود والميثاق أن لا تسألني غير الذي كنت سألت؟ فيقول: رب لا أكون أشقى خلقك إلى آخره عن أبي هريرة يأتيهم في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه.

قال رسول الله ﷺ: «**يعذب أناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حممًا ثم تدركهم الرحمة قال: فيخرجون فيصرخون على أبواب الجنة قال: فرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت العفاء في حمالة السيل يدخلون الجنة. وقال أيضًا عليه السلام: إني لأعرف آخر أهل النارِ خروجًا من النار رجل منها يخرج زحفًا، فيقال له: انطلق فادخل الجنة قال: فيدخل الجنة فيجد الناس فيأخذوا المنازل، فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم فيقال تمنّ فيتمنى فيقال له: اذكر الذي تمنيتهُ وعشرة أضعاف الدنيا فيقول: أتسخر مني وأنت الملك؟ قال: ولقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه وقال أيضًا: إني لأرجو أن يدخل النار أحد شهد بدرًا وبحديثه قالت حفصة: قلت يا رسول الله أليس قال الله تعالى:** ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ . . .﴾ [مريم: 71] **إلخ، قال: أفلم يقل:** ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: 72]».

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ مرتلات الألفاظِ مبينات المعاني أو محكمات ومتشابهات يتبعها البيان بالمحكمات وتبيين الرسول قولًا وفعلًا أو واضحات إعجازًا التي عجز المعارضون عن تحدّدها حال مؤكدة نحو: وهو الحق مصدقًا، لأن آيات الله لا تكون إلا بينات واضحات وحججًا ساطعة سانحةً ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [مريم: 73] أي سابقون المؤمنين بذلك وتوجهوا لهم فإنهم يفرحون أي لأجلهم أو معهم ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ أي المؤمنين والكافرين خير منزلًا

ومسكنًا ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: 73] وموضعًا ومجلسًا ومجمعًا من النداءِ والمنادى لما سمعوا الآيات الواضحاتِ وعجزوا عن معارضتها والدخول عليها أخذوا من الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستبدال بزيادة حظهم على فضلهم وحسن حالهم عند اللّهِ واقتصاد نظرهم وانحصار همتهم وبصرهم على الحال وعلمهم بظاهرٍ من الدنيا فرد عليهم ذلك أيضًا مع التهديد بعضًا لقوله:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ كم خبرية للتنكير مفعول لأهلكنا ومن قرن بيان له أي أهلكنا ودمرنا أهل كل عصر وسكان كل قرن ودهرٍ والحال ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾ متاعًا وأموالًا أو لباسًا وأثاثًا ومتاعًا أو متاع البيت ﴿وَرِءْيًا﴾ [مريم: 74] إما من النظر والرؤية والمنظر أو من الرأي الذي هو عند العطش قرئ ريًا من الريّ والجمع فإنه محاسِنُ مجموعة ثم بينا أن تمنعهم بها استدراجًا ومكرًا وليس بإكرام وكما منعم وإنعام.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ وظلمة الكفر وغياهب الظلم وكمال الجهالة ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ﴾ [مريم: 75] ويدعه في طغيانه ويمهله في الكفر وغلو كفرانه، مدًّا طول العمر وامتداد زمانِه، وإنما أورده على لفظ الأمر إيذانًا بأن إمهالهُ مما ينبغي أن تفصيله استدراج، ويمرر قطع المقادير لأنه مما يجب أن يعقل ولا يمهل ويتمثل به ويهمل، وإنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين أو لم يعمركم ما يتذكر فيه من تذكرٍ هو دعاء بأن يمهله الله وينفس في مدة حيوية، وفي هذه الآية وجهان أحدهما أن تكون متعلقة بالآية التي هي رابعُها، والإتيان اعتراض بينهما أي قالوا أي الفريقين خير مقامًا وأحسن ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟﴾ أو شاهدوا وعاينوا ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ أي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه إلى أن يشاهدوا الموعود رأي العين حتى غاية للمدِّ ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ [مريم: 75] في الدنيا وهو الأسر والقتل بغلبة المسلمين عليهم وإظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ ويوم القيامة وما ينالهم من الخزي

والهلاك وشدة النكال وحدة التمريق والفكاك ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند المعاينة من الفريقين أن الأمر عكس ما قدروه وأنهم ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: 75] وأعوانًا وأنصارًا وأنهم لا خير لهم مقامًا ولا أحسنُ نديًّا بخلاف المؤمنين في الأمور المذكورة والمثاني أن يتصل بما يليها أي الذين في الضلالة ممدود لهُم ضلالتهم مدًّا مديدًا والخذلان والشقاوة وكمال الخسرانِ الضيق ومشدود بهم عهدًا بعيدًا يعلم الله بهم بأن الألطاف لا تنفعهم وليسوا من أهلنا، وأن خذلانهم أبدي وخسرانهم سرمدي.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ إيمانًا ويقينًا كاملًا وإيقانًا فاضلًا في الإسلام عطف على الجملةِ الشرطية المحكية بعد القولِ يعني أن قصور حظ المؤمنين من حطام الدنيا ونعيمها ليس لنقصه وانتقاصِه بل لحكمة بالغةٍ وفائدة كلية، وهي أن يعوضها الله تعالى بالسعادة الأبدية والكرامة السرمدية الأخروية، أو على تقدير مقابل يعني من كان في الضلالة ونعيم الدنيا على مقتضى الجهالة ويزيد الله في ضلالته وتوفير نعمته استدراجًا ومكرًا، ويزيد الله الذين اهتدوا هدىً ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ التي بقيت ثمراتها وتمت بركاتها أبد الآباد وامتداد الآناء وهي إما الأعمال الصالحة والأذكار والتسبيحات بأخواتها وهي: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، والصلاة المكتوبة والإدراكات التي يبنى عليها صحة الكل ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ أي أعمال الآخرة كلها أكثر الخيرات وأوفر السعادات والمبرات ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: 76] مرجعًا وعاقبةً أو منفعة اسم مكان من الرد، وأفعل ههنا إما لمجرد الزيادة أو على طريقة الصيف أحرّ من الشتاء أي أشد وأبلغ في حره منه في برده.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: 77] أي أخبرت حال من كفر بآياتنا وجحد بنياتنا، ولما كانت مشاهدة الأشياءِ ومعاينتها أقوى

طرق العِلم بها وبإحاطتها وبصحة الخير والإخبار عنها استعملت الرؤية بمعنى الإخبار والفاء لإفادة التعقيب، أي أخبرني أيضًا بقضية هذا الإخبار للكافر عقيب حديث أولئك الفرقة المتقدمة نزلت في عاصٍ بن وائل حيث عمل بحساب له فاجتمع له عليه فأتاه متقاضيًا عليه، فقال العاص له: لا أعطيتك شيئًا حتى تكفر بمحمد فقال: أما والله لا أكفر بمحمد لا حيًّا حتى يموت ثم يبعث فقال له: وإني لميت ثم مبعوث ثم قال: فإنه سيكون لي مال وولد فأقضيتك ﴿وَقَالَ﴾ الكافر عاص بن وائل ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: 77] عند البعث.

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾

فحينئذٍ ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ واطلع وارتقى إلى أعلاه وهو اللوح المحفوظ، وعلم علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى أن يؤتي في الآخرة مالًا وولدًا، (اطلع) فعل ماضي للاستفهام أسقطت منه أي يحصل أمران، الأول: الاطلاع على الغيب، الثاني: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: 78] أي اتخاذ العهدِ عن الرحمٰن من عالم الغيب بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم بها إلا بأحد هذين الطريقين قيل: العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فإن وعد الله بالثواب عليهما كان العهد عليه.

﴿كَلَّاۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾

﴿كَلَّاۚ﴾ ردع وتنبيه على الخطإ فيما تصوره لنفسه ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ سين التسويف لما ورد أن بدخوله قوله كتب من غير تأخير فما معنى التسويف؟ ففيه وجهان:

أحدهما: سيظهر له بعلمه أنا كتبنا له قوله على طريقة قوله: إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة، أي سبق وعلم بالانتساب أني لست بابن لئيمة.

والثاني: أن المتوعد يقول للجاني: سوف أنتقم منك يعني أن لا تخلى بالانتصار والانتقام، وإن تطاول به الزمان والأشباح فجرَّدها هنا بمعنى الوعيد ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي نطول من العذاب ما يستأهله يعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار أو نزيد له من العذاب ويضاف لهُ بكفره وافترائه ولذلك أكده بالمد ﴿مَدًّا﴾ [مريم: 79] على فرط غضبه عليه.

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَنَرِثُهُۥ﴾ ونتملكه ﴿مَا يَقُولُ﴾ ما عنده مِن المالِ والولد، أو نروي عنه ما زعم أن يناله في الآخرة ويعطيه ما يستحق، أي مسمى بالقول وهو المال والولد، يقول الرجل أنا أملك كذا فيقول أنت ولي فوق ما يقول، ويحتمل أنه فقد يتمنى ويجمع أن يؤتيه الله في الدنيا مالًا وولدًا وبلغت له شعبيته أن تأتي على ذلك في قولك لأوتين لأنه جواب قسم مضت يوم يتألّى على الله بكذبه فيقول الله هب أنا أعطيناك ما اشتهاه وإما نرثه منه في العاقبة ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: 80] غدًا يوم القيامة لا يصحبه مال ولا ولد أو رافضًا لهذا فهو متعركًا عنه غير قابل له.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: 81] أي ليتعرفونهم حيث يكونوا لهم وصلةً إلى الله وذريعةً ووسيلةً لديه شفعاء عنده.

﴿كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾

﴿كَلَّاۚ﴾ ردع وإنكار ومتاع ليقررهم بها ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ [مريم: 82] أي يجحدون الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتموا بالله والله أنتم كاذبون قال الله: إذا رأى الذين كفروا وأشركوا شركاءهم فقالوا: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: 86]. فالضمير للآلهة أو للمشركين أي ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا قد عبدوها ثم لم تكن أمنيتهم إلّا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وحينئذٍ يكونون يؤيد الأول إذا فسر الضد بعبد العزى ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: 82] ذلًّا أو بضدهم على معنى أن يكون معونة في عذابهم بأن توقد نيرانهم، والضد هو العون يقالُ: مَن أضدادكم أي أعوانكم، وكان العون يسمى ضدًّا لأنه يضاد عدوك وينافيه بإعانته لك عليه أو جعل الواو للكفرة الذين يكونون كافرين بهم بعد أن كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي هو مضادتهم فإنهم بذلك كالشيء الواحد نظيره هم ندٌّ على من سواهم لاتفاق كلهم وأنهم كشيء واحدٍ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بسلطانهم عليهم أو قيضنا لهم قرناء ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: 83] الأزّ والاستفزاز والهمز أصوات ومعناها التهيج والاهتزاز والنهيز وشدّة الحركة والازعاج أي تعزيهم وتقويهم على المعاصي وتهيجهم عليها ولها فالوسواس والتسويلات أي خلينا بينهم وبينها ولم يمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرًا. والمراد تعجيب رسول الله بعد الآيات التي ذكر فيها القيامة والمردة من الكفرة وأقاويلهم ومعاندهم للرسول الجملة حالية للمفعول.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ لهلاكهم وانهماكهم حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم، وتطهر الأرض من فسادهم، ويظهر فيها صلاح، ويحصل لديها من خلوها منهم فلاح ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ الليالي والأيام والشهور والأعوام والأنفاسِ التي يتنفس بها في الدنيا أي الأصل الذي أجل لعذابهم وكينونة عقابهم ﴿عَدًّا﴾ [مريم: 84].

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: 85] جماعات جمع وفدٍ كصحب وصاحب وركب وراكب اذكر يا محمد اليوم الذي يجمع فيه من اتقى في الدنيا بطاعته ونقاوته من الطغيانِ إلى رضاء الرحمنِ وحبيبه.

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين سوق البهائم والسباع ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: 86] مشاتًا وقيل عطاشًا قد تقطعت أعناقهم وأحشاؤهم من العطش، والوفد جماعة يردون الماء ولا يرد ويجد أحدٌ الماء إلّا بعد العطش المفرط.

﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي العباد المدلولُ عليهم بذكر القسمين وهو الناصب لليوم المتقدم ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: 87] أي من استعد واستأهل

أن يشفع للعصاة بشرط الإيمانِ الكامل والعمل الصالِح الفاضل بكمال الإخلاصِ على ما وعد الله وعهده في العهدِ الأول والآخر من أخذ من الله إذنًا فيها لقوله: و﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [طه: 109]، من قولهم: عهدت الأمر إلى فلانٍ بكذا إذا آمن به ومحله الرفع على البدل من الضمير الذي في يملكون أو النصب على تقدير مضاف أي شفاعة من اتخذ أو على سبيل الاستئناف. قيل: الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعةِ فيهم إلا من اتخذ عند الرحمٰن عهدًا يستعد به أن يشفع له بالإسلام، اتخاذ العهدِ هو الاستظهار بالإيمانِ والعمل.

مطلب: عهد نامه

روي أنّ النبي ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: أيعجب أن يتخذ أحدكم كل صباحٍ ومساءٍ عقدًا فيه عهدًا قالوا: كيف وكيف ذلك؟ قال: يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهدُ إليك بأني أشهد أن لا إلٰه إلا الله أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدًا عبدك ورسولك أن لا تكلني إلى نفسي تقربني من الشرِّ وتباعدني عن الخير وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعلْ لي عهدًا توفيته يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، وإذا وقع ذلك طبع عليه ووضع تحت العرشِ (قددًا) كان يوم القيامة نادى منادٍ أين الذين لهم عند الرحمٰن عهدًا فيدخلون الجنة.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مريم: 88] وكذا الضمير يحتمل الوجهين لأن هذا لما كان مفعولًا ما بين الناس جاز أن يكافيهم وهم اليهود والنصارى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 30] الآية ومن زعم أن الملائكة بنات الله.

﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾

﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ﴾ يا هؤلاء المغترين ﴿شَيْـًٔا إِدًّا﴾ [مريم: 89] منكرًا عظيمًا والإد أعظم الدواهي.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠﴾

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ وتقرب ﴿يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾ أي من جعلهم الرحمة ولذا غيره من اللّهِ وقهرا منه ويتشقق من الفطور وهو الانشقاق ﴿وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ﴾ وينفتق ﴿وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ﴾ ويسقط ﴿هَدًّا﴾ [مريم: 90] أو سقوطًا وينكسر كسره مرة بعد أخرى.

﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١﴾

﴿أَن دَعَوۡاْ﴾ من أن جعلوا ﴿لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ وأثبتوا ﴿وَلَدٗا﴾ [مريم: 91] فيه ثلاثة أوجه: الجر على أن بدل من ضمير منه والنصب علة لتكادوا أو لهدًى على حذف اللام واقعتان الفعل وإجزائه وإليه والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي الموجب لذلك (أن دعوا) وفاعل من دعى بمعنى سمّى، المتعدي إلى المفعولين أو بمعنى النسب الذي ادعى إلى فلانٍ وانتسب إليه.

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢﴾

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: 92] ولا يليق به اتخاذ الولد لاستحالته وترتيب الحكم الصفة الرحمانية إشعارًا بأن كل ما عداها إنما يقتضي منه ولا يشارك فيه أحد فإنه مبدأ النعم ومولاها أصولها وفروعها فكيف يتصوروا اتخاذ الولد له.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وما بينهما من الملائكة والنجوم والكواكب والعناصر والمعادن والنباتات والحيوانات والثقلين والشياطين وغيرها إن آمن أمكن ﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: 93] مملوكًا له تأوى إليه بالعبادة والانقياد وإضافة (آتي الرحمٰن) إضافة اسم الفاعل إلى المفعول وفاعله مضمر.

﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤﴾

﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ﴾ وحصرهم وأحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حرزه وعلمه وقضائه وحكمه وقدرته وإرادته ومشيئته ولو ذرّة ﴿وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾ [مريم: 94] أي أشخاصهم وأعمالهم وأفعالهم الإرادية والحركات الاختيارية والأقوال وباطن

الأحوال وغير ذلك فإن كل شيء عنده بمقدار.

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: 95] منفردًا واحدًا وفوجًا فوجًا وفردًا وزوجًا فلا يجانسه واحدُ وشيء من ذلك ليتخذ ولدًا ولا بغيًا أو أحدًا ليشرك به.

مطلب: المحبة والبغض

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ﴾ ويجذب ﴿لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96] محبةً ومودةً وفي قلوبهم مودة من غير تعرض منه لاستهانها قال عليه السلام: إذا أحب الله عبدًا يقول لجبرائيل: أحببت فلانًا فأحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادي في أهلِ السماء أن اللّه قد أحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض العبد قال في مطلب المحبة والبغض مثل ذلك.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ﴾ وسهلنا في القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ يا محمد وأجراه على لسانك ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وتبشر به المؤمنين ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ﴾ وتخوف وتشي به ﴿قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: 97] اشتدادًا في الخصومة جمع الألد وهو الخصومة بالباطِل لفرط لجاجهم ووفور حجاجهم بالباطل.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا﴾ [مريم: 98] صوتًا فإن الركز هو الصوت الخفي، ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأصل، وركاز المال وهو المال المدفون.

قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق يحيى ومريم وعيسى وسائر الأنبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله ولمْ يدع الله**».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 20	سُورَةُ طه	آياتها 135 مكية

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل طه أعني آدم حوا مقدم الكائنات ط ح ز ر و ه د ح ب ا ل آدم وحوا ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي نزل العرفان تذكرة للأعيان الإنسان وبنصرة لخواصِ الأكوان ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي المعد لقبول كمال العرفانِ وشهود لصورة ميزان المحبة وسورة نور وبما ينزلان من أسماءِ الحروف وقيل: معناه يا رجل أو هو اسم من أسماءِ الله تعالى وبمعنى يا إنسان أو طيب الأرض بقدميك يريد في التهجد الذي بالغ فيه قسم الله بطوله وهدايته أو بمعنى يا طاهر ويا هادي قيل: لما اجتهد النبي في العبادة حين نزول الوحي في مكة أنزل الله هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه.

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: 1 - 2] قيل: لما رأى المشركون اجتهاده في العبادةِ حتى كان يزاوج بين قدميه لطول قيامه وكان يصلي الليل كله قال الكفار ما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا شقائك وأصل الشقاوة العناء وكان يقوم في الصلاةِ على رجليه.

﴿إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾

﴿إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ [طه: 3] استثناء منقطع ولا يجوز أن يكون بدلًا من محلّ لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولًا له لـ(أنزلنا) فإن الشيء الواحد لا

يعلل بعلتين مستقلتين قيل: هو مصدر في موقع الحالِ من الكاف أو القران أو مفعول على أن (لتشقى) متعلق بمحذوف وهو صفة القرآنِ أي ما أنزلنا عليك القرآن لتعب لتبليغه لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة بها يتأثر بالأنوار ولمن علم الله منه أن يخشى بالتخويف منه فإن المنتفع به إنما يخشى منه.

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾

﴿تَنزِيلًا﴾ نصب بإضمار فعله أو على المدح أو البدل من تذكرةً إن جعله حالًا وإن جعل مفعولًا له لفظًا أو معنى فلا استحالة، تعليل الشيء بنفسه وبنوعِه ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه: 4] مع ما بعده إلى قوله له الأسماء الحسنى، تفخيم لشأن المنزَّلِ وتعرض لتعظيم المنزِّل بذكر أفعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند الفعلِ فيه خلق الأرض والسماوات التي هي أصول العالم صفة لقوله تنزيلًا وتقديم الأرض لقربها إلى مبادئ الإحساسات وأظهر عندهما من السماوات أو لكونها مقدمة في الخلقة عند الميلين، المُعلى هو جمع العلي تأنيث الأعلى، ثم أشار إلى وجه إحداث الكئنات وتدمير أمرِها بأن قصد إلى العرش أولًا فأجرى بينهما وفيهما وعليهما وأنزل أولًا من العرش أسباب الحوادث على ترتيب القضية حكمته البالغة والمشيئة الأزلية أولًا إلى السماوات والأرض الكوكبية، ورتب مساحتها ودبر مبادئ الهواء ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: 5] الآية فقال:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5] تدبيره واستعلى علمه بتقديره وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم.

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: 6] أي التراب الذي هو ما تحت سبع الأرضين تفصيل لما أجمل للدلالة على كمال قدرته وعموم حكومته ومشيئته وإرادته ولما كانت القدرة لعمومها تابعةً للإرادة بتخصيصها في وقتٍ دون وقتٍ ومخلوق دون مخلوق وحال دون حال وهي لا تنفك عن العلم الذي صورتها العلم القول ونعت للإرادة ولذا عقب ذلك بإحاطة العلم والقولُ

وتجليات الأمور وخفيها وخفياتها وسرها وعلانيتها سواء.

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ أو تخفي به ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ يحيط به لأنه ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: 7] من كل شيء أي أن تجهر بذكر الله ودعائه أو تخفي وتستر فإنه عالمٌ من غير احتياج إلى جهرك وإعلامك.

واعلم أن ما تقرر عند الأنبياء أو الأولياء والربانيين على ما دل عليه الكشف الصحيح والعقل الصريح والكتب السماوية والصحف الإلٰهية أول ما خلق الله تعالى هو جوهر عظيم، لا يعلم عظمته وقوته وحقيقته وماهيته وهويته إلا اللّهُ، وفيه مادة كل شيء وأصلها وهيولاه، وتمام القوى الفاعلية والقابلية، فربما يعبر عنه بالأرض والسماءِ وإليه الإشارة بقوله: «**لا يسعني أرضي ولا سمائي**» وقوله: ممن خلق الأرض والسماوات العلى، وذلك إذا لوحِظ فيه لقوة القابلية وهي الماء والأرض كما ورد في الأحاديث والنورية: إن أول ما خلق الله جوهر فنظر إليه بالهيبة فذاب، فهاج فصعد منه بخار فخلق منه السماوات، وحصل منه له زبد فخلق الله منه الأرض، وإذ لوحِظ فيه أثرُ القوة الفاعلية كما قال عليه السلام: «**أول ما خلق الله العلم، أول ما خلق الله العقل**» وغير ذلك، وإليه الإشارة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: 7].

وإن المراد بالقولِ واقترانه بالجهر هو الذكر وفيه تنبيه على أن الشرع هو الذكر والقول والدعاء، كما أشار بقوله عليه السلام: «**الشريعة أقوالي**» والجهر فيهما ليس إلا الأعلام، والأعلام لتصوير النفس بالذكر لديها، ورسوخه فيها، ومنعها أن يظهر منه على صفحات الأعضاءِ والجوارح، لئلا يؤدي إلى الشرك الخفي ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110]، ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 205] بأنه المستجمع بصفات الألوهية، المسرع بنعوت ربوبية وجبروت أحديته.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: 8] تأنيث الأحسن، وهي

أسماء الذات وفضل أسماء الذاتِ على سائر الأسماءِ في الحسن لدلالتها على معاني هي أشرف المعاني وأفضلها وأحسنها.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [طه: 9] ففي تمهيد النبوةﷺ قصة موسى عليه السلام في تألم إحياء أحكام النبوة وتبليغ أحكام الرسالة والصبر على مقاساتِ الشدايد، فإن هذه السور من أوائل ما دلّ على رفعة منازله وشرافة رتبته في ثبات مراده فيهِ.

﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾

﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ ظرف للحديث وهل بمعنى قد، إن موسى لما استأذن شيعته في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته فأذن له فخرج بأهله وماله الذي أخذه من شعيب وكانت أيام الشتاء، وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وأمراء الشام في سقمهما، لا تدري ليلًا يصنع أم نهارًا فسار بالبرية غير عارف بطرقها فاتجه السير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق فقدح زندة فلم يوره وقيل: إن موسى كان رجلًا غيورًا فكان يصحب الرفقة بالليل تفارقهم بالنهار لئلا يرى امرأته فأخطأ مرةً الطريق في ليلة مظلمة شائبة فجعل يقدح الزندَ فلا يرى منه نارًا فأبصر نارًا من بعيدٍ عن يسارِ الطريق من جانب الطور ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ وأقيموا مكانكم ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾ وأبصرت ﴿نَارًا﴾ إبصار الأشهبة لإيقان من إبصار وما يؤنس ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ أو لشعلة فيها وقيل جمرة ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: 10] أي رجلًا هاديًا دالًّا وناديًا على الطريق إليها قيل: هي النار في رأس العود أو فتيلةً أو غيرها.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١﴾

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ وجاء النار وحضر عندها وجد نارًا بيضاء تنفذ في شجرة خضراء ﴿نُودِىَ﴾ وأتاه النداء من الشجرة أو من شاطئ الوادي ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [طه: 11].

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ قيل: لما نودي قال موسى: من المتكلم؟ قال: إني أنا الله فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال: أنا عرفت أنه كلام اللّهِ فإني أسمعه من جميع الجهات وجميع الأعضاء، هذا دليل على أن مثل هذا الكلام ليس من شأن كلام المخلوق، وأن هذا النوع من الكلام ليس كلامًا جسمانيًّا، بل كلامًا روحانيًّا يتلقى من ربه تلقيًا روحانيًّا عقليًّا، ثم خلق الله تعالى هذا الكلام في حسّه المشترك وانتقل منه إلى الخيال وثبت فيه وأدركته القوة العاقلة فأمرته في ذاته القوة العاقلة ﴿فَٱخۡلَعۡ﴾ واطرح وادفع ﴿نَعۡلَيۡكَ﴾ من قدميك إذ الحفاة تواضعٌ وأدب والتواضعُ والأدب قسمانِ روحاني وجسماني، أما الجسماني فإن نعليه كانتا من جلد حمار غير مدبوغ. وأما الروحاني فقسمان:

أحدهما: نفي محبة ما سوى الله عزّ وجل عن خفق قلبه في جلوة غيبه من المال والجاهِ والمثال والرياسةِ والحكمة والحكومة وغير ذلك.

والثاني: الصور العلمية المكتسبة والإدراكات الفطرية الحاصلة بخطوات الفكر والنظر من الحدود والرسوم والأقيسة، التي هي القوة النظيرة كانتقال الخفاف ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ﴾ تعليل للأمرِ باحترام الموضع الذي شرفه الله تعالى وفضله على سائر المواضع لتقدسه في نفسه عن ظلمات الفسق والظلم والخبث والخبائث ﴿ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه: 12] وهو اسم الوادي فيكون عطف بيان.

وذهب أهل التفسير إلى أن هذه النار ليس من نارِ الدنيا بل هي نور بيضاء تتقد أو أنه نور الرب الظاهِر لموسى بصورة النار التي قد اشتد احتياج موسى عليه السلام إليها في تلك الليلة فتجلى نور الرب لموسى بصورة النار ومشاهدة لهبة النار كما شاهد النبي ﷺ التجلي الإلهي بصورة شاب أمرد قطط وإبراهيم بصورة الشمس والقمر وباقي الكواكب قال بعضهم: هي النار بعينها وهي أحد حجب الله تعالى كما قال النبي ﷺ: «**حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»، اقتص أن موسى أخذ شيئًا من الحشيش اليابس وقصد الشجرة وكان كل ما دنا منه نأت وبعدت منه النار، وإذا نأى موسى إليها دنت وقرنت فوقف متحيرًا، وسمِع تسبيح الملائكة، وألقت إليه السكينة، فنودي

موسى أنا هو ربك فقال موسى: يا رب إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟ فقال عزّوجل: أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك من نفسك، فعلم إن ذلك لا ينبغي إلا لله عزّوجل فأيقن به.

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ واصطفيتك للنبوة ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: 13] أي للذي يوحى وبالغي إليك الـ(ما) محتمل التعلق بكل من الفعلين.

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ إما خبر محذوفٍ فيكون بيانًا وتفسيرًا لما يوحى أو بدل لما يوحى، حال على أنه مقصور على تقدير التوحيد الذي هو منتهى العلم، والأمر بالعبادة التي هي كمال العلم وخلاصة العمل ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: 14] خصصها بالذكر وأفردها بالأمر، العلة التي أناط بها قيامها وأماط منها في أداتها، وهي كونها أفضل بعبادةِ وإكمال الطاعات لاشتمالِها على عباداتِ جميع الأجزاء وطاعات الجوارح والأعضاء التي هي مظاهر وتماثيل لتمام أعيان العالم العلوي والسفلي، وهي عبادة قديمة من لدن آدم إلى عهد خاتم، يتضمن ذكره لسانًا ويدًا ورجلًا وروحًا وعقلًا وغير ذلك، وجدي، وقيل: لذكري لأنه لكل منها ذكر لائق مناسب له لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بذكره بلسان الأنبياء وبلسانك خاصة، وقيل: الأوقات ذكرى، وهي مواقيت الصلاة والذكر، صلاتي لما روي أنه عليه السلام قال: «**من نام عن صلاته أو نسيها فليقضها إذا ذكرها إن الله تعالى يقول: أقم الصلاة لذكري**».

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ والقيامة دانية ألبتة ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أريد إخفاء وقتها هو أقرب إلى أن أخفيها، فلا يقولُ آتية ولو في الإخبار بإثباتِها مِن اللطف وقطع الأعذار لما أخبرت به أو أكاد أظهرها من إخفائِها إذا سلب خفاؤه ويؤيده القراءة بالفتح من أخفاه إذا أظهره ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: 15] متعلق بآتية أو بأخفيها على المعنى الأخير.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ الصلاة أو الساعة وعن تصديقهما ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ نهي الكافر أن يصد موسى عنها والمراد نهيه أن يصد عنها كقوله: لا رأيتك هاهنا بينها على أن فطرته السليمة لو جلبت بخيالها لاختارها ولم يعرض عنها، وإنه ينبغي أن يكون راسخًا في دينه، فإن صدّ الكافِر إنما يكون بسبب ضعفه فيه ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [طه: 16] ميل نفسه ونيل وهمه وحسه إلى اللذات المحسوسة والعادات المحوجة المخصوصة، فقصر نظره عن غيرها ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ وتسقط وتهلك بالانضداد بضده.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ استفهام يتضمن استئناسًا لما يراه فيها من العجائب على أنه في مقام لا بدّ من حضور القلب وإزالة الغفلة عن سر الغيب ﴿بِيَمِينِكَ﴾ حال من معنى الإشارة وقيل: صلة تلك ﴿يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 17] تكريره لزيادة الاستئناس والتنبيه والحكمة في هذا السؤال، والحال أنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماءِ، وتعليم العباد بأن كل واحد منهم وإن كان أعلم الناسِ في زمانه فالحري به أن لا يستنكف عن السؤال فإنه نصف العلم، قال عليه السلام: «**السؤال نصف العلم**» ومن استعارّ منه واستنكف عنه كان أجهل الناسِ وأغفلهم.

﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾

﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟﴾ أو أعتمد وأتكل ﴿عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا﴾ وأسقط باستعانتها الأوراق على الأشجار ﴿عَلَىٰ﴾ رؤوس ﴿غَنَمِى﴾ من هش يهش إذا انكسر وأسقط لهشاشته ونفسيته ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: 18] وحاجات أخرى في الأولى والأخرى من كونها آلات لمحاربة العدو ودفع الذئب وسائر السباع عن المواشي والاستضاء بها في ظلمة الليالي وإذا اشتهى ثمرةً وكزها فتعصب وتورقت وتثمرت وإذا أراد الاستسقاء من البئرِ دلاها فطالت على طول البير وصارت شعبتاها به كالدلو واستسقى بها غير ذلك من المقاصد الدينية

والمراصدِ الأخروية في إثبات المطالب الإلٰهية والمناقب النبوية لأنها آيات باهرة وعلامات ظاهرة قد بعثها الله أولًا إلى آدم مع اللوح والتابوت التي فيها أخبار الحوادث سيما أخبار الأنبياء خصوصًا أخبار نبينا ﷺ بأصحابه الراشدين وخلفائه الهادين المهتدين الراصدين فأورثها الله تعالى من آدم إلى أنبيائه من أعيان أنبيائه واحدًا بعد واحدٍ إلى أن وصل إلى إبراهيم الخليل ومنه إلى ابنه إسماعيل ومنه إلى ابنه قيدار ومنه إلى عمه إسحاق إلى أن ينتهي إلى شعيب.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

ثم انتقل من شعيب إلى موسى عليه السلام ولها خصائص جليلة وخواص جميلة ولم يحط بها إلا الله ومنها أنه ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طٰه: 19] عند التحدي والمعارضة.

﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طٰه: 20] إذا للمفاجأة مبتدأ وما بعدها خبرها وإيثارها إشعارٌ بأن انتقالها من الجمادية إلى الهيئة الحيوانية والصفة الثباتية دفعة واحدة إنما هي من قدرة الله وكمال قوته ووفور ربوبيته.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾

﴿قَالَ خُذْهَا﴾ بيمينك لشرفها وكونها أقوى من اليسرى غالبًا كما يشعر به السؤال ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ من كونها ثعبانًا فإنه لما رآها حيةً تسعى وتتحرك في السكك والمرعى وتبتلع الحجر وما يدور في المرعى وينبت في الجرعى من الحيوان والشجر خاف وهاب وهرب واقترب منها لأنها لا تضرك إذ نحن ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طٰه: 21] ونردها إلى صورتها الأدنى والأولى.

إشارة وتأويل

﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [1 - 3] إشارة إلى القوة الفاعلية التي هي آدم وإلى القابلية التي هي خواصه هو آدم لانطوائه على أمر وهو الأدوار والأكوار التي هي ثمانية وهي جامعة لتمام الخيرات وعموم المبرات لأنها جزء أول المكعب ولذا صارت أبواب الجنة التي هي أصل كل

خيرات وحسنات ثمانية وعلى ٧ وهي محل الأسماءِ الإلٰهية التي تجري بها الأنوار الربوبية وسرى منها الأسرار الإلٰهية إلى أعيان الأدوار وأكوان الأكوار وعلى 4 وهي عدد كامل تساوي كسورها الأصل لاحتوائه على النصف 3 هي وعلى الثلث 2 وعلى السدس 1 وهي المراتب الكلية وعلى 5 وهو أصل العوالم الكلية الإلٰهية والكونية.

أقول وروح القدسِ ينفث في نفسي: أن وجود الحق من عدد خمس وهو مما يليه إشارة العوالم الخمس والمراتب الست ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحَديد 3]، 5 وعلى 4 وهو عبارة عن إمكان العالم ومادة أولًا وبني آدم وغيره من المواليد الثلاثة، وهي تنطوي على كمال مرتبتها وهي العشرة، تلك عشرة كان 4 3 3 1 فأتممناها بعشر فتم ميقات ربّه أربعين ليلةً 40 على وهي الوحدات العشرية وعلى 3 وهي الأقنوم، والثلاثة التي هي أول ما يعتبر في كل موجود وكوني بل إلهي، فإن كل كون إنما يتحقق بهذا التثليث، وهو النسب الثلاثة أي الكون والمكوِّن والمكوَّن، وعلى 3 وهي أصل الكثرات ومبدؤها بالياء ظهر الوجود وبالنقطة تميز العابد من المعبود والمجموع هو آدم 45، وأما الهاء وهي كالطاء في الاشتمالِ على ما هو أعيان الأدوار وأجزائها ومراتبها، فهي حاوية على 4 أي المادة القابلة، وعلى 133 والمجموع وهوح و11481 يعني يا حقيقة المحمدية السارية في الأدوار النورية، والأكوار الظلية، الحاكمة على الأعيان الوجودية صريحًا، وعلى الأكوان العدمية ضمنًا، الظاهرة في أراضي القابليات والباهرة في مواد الاستعدادات في المراتب الكلية والجزئية بالصور الملكية والعقول المجردة، وهي المرتبة الفاعلية والنفوس العاملة والأفلاك العالية والسالفة والجواهِر العنصرية ظهورًا وبروزًا جزئيًّا وكليًّا وهِي مرتبة القابلية إما بالتعين الكامل، أو غير الكامِل صريحًا أو ضمنًا.

﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وما أبرزنا في أرض قابليتك وعرض استعداد أبنيتك ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: 2] وتسلك مسلك المبتدئين ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: 3] إلا دار في الأدوار ورأى ما جرى في الأطوار بصور الإظلالِ والأنوار فإنما يدور في ممالك الأكوار ومدارك الأطوار الأنوار وأنوار الأسرار ليتذكر ويشاهدَ به في الأدوار صريحًا، وفي الأكوار شهودًا ثابتًا مطابقًا لما تقدم، أدوارًا وأكوارًا من

حيث النوع لا من حيث الشخص الخاص والتعين بعينه، فإنه من حيث الشخص أتم وأكمل فلا يعاد بعينه في الدورة الثالثة الثانية والثالثة وغير ذلك إذ التأني أتم من المقدم والمقدم أعم من المتأخر الأكرم الأتم.

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه: 4] أي الدورة الصغرى والوسطى التي هي أسفل من الدورة الكبرى والعظمى، والمراد من الأرض هي الأدوار الفرعية ومن السماوات الأدوار الأصلية بقرينة العلى والمراد من الأول الأدوار الظلية العدمية ومن الثانية الأدوار النورية الوجودية الإفرادية.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5] إشارة إلى الأدوار الجمعية أو المراد من الأرض هي الأدوار الجمعية ومن السماوات الأدوار الإفرادية ومن الثالث وهو جمعية الجمعية وذكر ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ إشارة إلى مقتضاه عام يشمل الوجود والعدم والنور والظلم والإفراد والجمع والأصالة والفرع والاستقلال والبيع ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: 1 - 2] إلى قوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: 3]. والعرش هي الطور الجمعية والهيئة الكلية والجمعية الإحاطية وإلى أن المراد من الخلق هو الإظهار بعد الإخفاء والإشهاد بعد الاستعارة والاختفاء.

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: 6] وإنما قدم الأرض على السماوات أولًا في بيان الخلقة وتكوينها وأخر ثانيًا في بيان الأحكام إشعارًا بأنّ اقتضاءات القوة الفاعلية والقابلية في الأدوار والأكوار الأربعة الوجودية الجمالية العدمية الجلالية متعاكسة وارتضاؤه بهما متبادلة متناكسةً فإنها في بداية الدورة العظمى الجلالية الدائمة التجلي الذاتي لذا يقبل الأشياء أولًا الذوات والقابليات الذاتية متقدمة، وفي الجمالية وفي بداية الدورة الأسمائية الجمالية التي تعيد الوجود والتعين بالتجلي الأسمائي متأخرة وبالعكس.

فإنّ الصورة الفاعلية قد تلتبس بالصورة القابلية وتتأخر، والقابلية المتأخرة تتلبس بالصورة الفاعلية وتتقدم، وهذا يتناول الأعيان والأكوان ظهورًا وبطونًا صورة ومعنى، ويصير الأسماء أرضًا والملك ملكًا والفلك أرضًا والملك جنًّا والجن ملكًا والنبوة ولاية والولاية نبوةً والدنيا آخرةً والآخرة بناءً والجمال جلالًا

والجلال جمالًا، وعلى هذا القياس حسب انتقال الأدوار والأكوار وبالعكس هذا تفصيل لما أجمل، فإنّ الأرض في الدورة الظلية إشارة الدورة الأصلية، والسماوات إلى الدورة الفرعية، وما بينهما إلى الأدوار المتحللة بين الأصلية والفرعية ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ عبارة عن الأدوار الفرعية المندرجة تحت الدورة الصغرى الجمالية والجلالية الصريحة.

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: 7] إشارة إلى مراتب الدلالات المختلفة وضوحًا وخفاءً كما ورد في الخبر في وصف الملائكة المقربين، فإنّ لجبرائيل وجوهًا غير متناهية، وفي كل وجه فوه، وفي كل فوه ألسنة، ولكل لسان لغاتٌ، ولكل لغة دلالات غير متناهية مختلفة وضوحًا وخفاء، وقد ورد في الخبر: **أن الله تعالى خلق الجنة وخلق لها سبعين ألف رأس وفي كل رأس سبعين ألف وجه وفي كل وجه سبعين ألف فم وفي كلِّ فم سبعين ألف لسان ولكل لسان لغة لا تشبه الأخرى تسبح الله تعالى بعدد أوراق الأشجار وغير ذلك.**

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ﴾ في الأدوار الإلٰهية الجلالية والجمالية والأكوار الكونية الجمالية والجلالية ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: 8] أي الدلالات على الذات وهي معدن الحسن والجمال ومنبع الصفاء والسناء والكمال في كل الأدوار وتمام الأكوار.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [طه: 9] أي ظهر لك وبرز بك تعين خصوصية موسى في الدورة المخصوص بها التي هي إنَّ حقائق الأنبياء وأصل حقائق جميع الأشياء سارية، بحكم ترتيبه حين انتقالِه من النشأة الشعبية الروحية الجمالية إلى النشأة الفرعونية النفسانية الجلالية، فإن للحقيقة المحمدية في المراتب الوجودية والمسالب العدمية بخصوصية تعينات نقاط وجودات الأنبياء في اقتضاءات الأدوار وارتضاءات الأكوار ظهورات خاصة وبروزات ناصة، استكمالًا بحصص النسب الإلٰهية ونصوص الإضافات الأولية في المراتب المعنوية والصورة البرزخية والحسية العنصرية.

﴿إِذْ رَءَا﴾ في النشأة الجامعة بين المرتبة الكورية الروحية والفرعية من البدنية الجسدية ﴿نَارًا﴾ أي نور التجلي الذاتي الّذي أحرق لباس خصوصية الطور النفسي الذي سرد لك النور ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ أي لسائر الأطوار القلبية التي

هي الطور القلبي السري، امكثوا أي استعدوا لشهود نور التجلي المذكور ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ أي شاهدت وأحسست وعاينت وأمسستُ نار المحبة نار التجلي وشهوده ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾ أي أدلكم على شهوده في مرايا الأفعال البدنية والأفعال النفسانية ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ [طه: 10] أي أوصلكم إلى شهود ذلك النور على ما هو عليه.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ أي كشف الحجب النفسانية ﴿نُودِيَ﴾ [طه: 11] من جانب الوادي التجلي الإلهي ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: 11 - 12] أي ظهر التجلي الكلامي السمعي الذي هو أدنى تجليات الأسماءِ والصفات الإلٰهية الذاتية، وأما التجلي البصري والشهود النظري فمخصوص بمحمدﷺ وأتباعه قال عليه السلام: «**أعطى الله موسى الكلام وأعطاني التجلي**» أي الشهودي ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ أي نعلي القوة النظرية والعملية، أو نعلي القوتي الواهمة والمتخيلة اللتين تشبث الفعل في اكتساب مطالبه بأذيالهما، أو نعلي الدورة الجمالية والكورة الجلالية، أو نعلي العلوم والإدراكات والأحوال والمقامات والكشف والكرامات ومشاهدة الحالات وشهود التجليات الإلهي التي تظهر في تلك الأدوار والأكوار، أو نعلي الظهور والبطون أو نعلي البروز والكمون ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه: 12] فإنك في مراد قدس المحبة الذاتية في نهاية الطور الخفي واقتضاء الدور الحقي الذي لا يسع فيه الطور العقلي ولا ما يقتضيه من العلوم والإدراكات النظرية والمعارف الكسبية الفكرية إذ العلوم والمعارف في هذه المرتبة والمقام حضورية شهودية لا حصولية انتقالية حضورية، أو المراد من الواد المقدس الكمالي والنعت المعي الذي لا يسعه الإفرادي والأدوار الفردية والأكوار الوحدانية.

﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: 13] من المعارف الفطرية والزوارق الربوبية والأسرار الألوهية بفيضه الأقدس.

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ أي لا موجد ولا مفيض ولا فياض ولا مؤثر ولا متأثر إلا أنا في تمام الأدوار وعموم الأكوار الإفرادية والجمعية ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ في كل الأحوال وتمام الأطوار ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [طه: 14] أي أدم إقامة العبادةِ الجامعة والطاعة الكاملة الشاملة لجميع العبادات الملكية والفلكية والعنصرية والجمادية والنباتية والحيوانية والجنية والإنسية الشيطانية والرحمانية فإن كل ما يصدر من

أعيان الأدوار وأكوان الأكوار من الموجوداتِ والمعدومات من الطاعات والمعاصي والسيئاتِ والكفر والإيمان والخيرات كلها عبادات وطاعات لله تعالى إذ المؤثر في الكل هو الله تعالى، وكذا المؤثر والقابل إذ القبول والتأثر وجودي لا بدّ منه قابل وجودي فالمؤمن والكافر والعاصي والمطيع كلهم في كل ما يصدر منهم من المذكورات لها عابدون للّه ومطيعون ومميلون لما قدر الله ربهم وأتمهم هي الصلاة، ولكل موجود في الخارج ومعدوم من الأملاك والعقول والنفوس والأفلاك والعناصِر والعنصريات من أعيان أدوار الجمالِ، وكذا كل معدوم ثابت في فرداريّة أكوار الجلال من الأهرمينات والأغوال والشياطين والأبالسة والجان عبادات أو طاعات وصلوات خاصة أتم وأكمل وأهم من سائر العبادات ﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: 14] يتضمن ذكر الله والرجوع إليه والعود لديه بوجه خاصٍّ وهو أفضل وجوه ذكر الله ولذلك خص الذكر بالصلاة وأضافه إلى نفسه، والانتهاء عن الفحشاء والمنكر وسائر المعاصي ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: 45]. قال عليه السلام: «**المصلي يناجي ربه الصلاة معراج المؤمن**».

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ [طه: 15] أي الانتقال من فرداريّة اسم من أسماء الأربعة الذاتية إلى اسم آخر واختفاء مقتضيات اسم إلى مرتضيات اسم آخر، أكاد أخفيها عن أعيان الأدوار وأكوان الأكوار بقصر أعمارهم وقصور أعمالهم وإدراكاتهم وأحوالهم عن إحاطة تلك الأدوار والأكوار، وما تلك بيمينك يا موسى أي في نشآت دوراتك من مقتضيات الأدوار النورية الوجودية الصريحة والمرتضيات الأكوار الظلية العدمية ضمنًا من الوحي والإدراكات الوجودية والأحوال والمقامات الشهودية الصريحة الضمنية، قال هي عصاي أي مقتضيات فرداريّة دورتي المخصوصة بي من المعارف الفطرية، أهش بها على غنمي أي غنمي القوة النفسانية والروحانية ليصِل كل منها إلى إفراد الصلاة بالساعة، وتعليل إقامتها بقيام القيامةِ إشعار بأنها أنجح الطاعاتِ وأفلح العبادات في الآخرة كما كانت أنجحها في الدنيا وأنفعها فيها، ولذا صار كفارة ترك الصلاة القتل كما قال عليه السلام: «**من ترك صلاة عمدًا متعمدًا فقد كفر لتضمنها حياة الروح والقلب فتركها هو تركها**».

﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ إبطك وجنبيك تحت العضد فإن عضدي الإنسانِ جناحاه استعار من جناحي الطائر لكل ما في جنبيك جناحان كجناحي العسكر، وإنما سماها جناحين لأنجحتهما عند الطيران ﴿تَخۡرُجۡ﴾ اليد لدى إخراجها عن الإبط ﴿بَيۡضَآءَ﴾ مشرقة نيرة مشعة ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ [طه: 22] ومكروه ومنكر وشين وقبيح السوء، وههنا وهو القبح والعيب والرداءة كناية عن البرصِ كما يكون السّوء عبارة عن العورة يعافه وينفر عنه لأنه أبغض شيء إلى العرب، وكنوا عنه بالأبرص ولهم عنه نفرةٌ عظيمة، وأسماعهم مهمة ومحاجةً، ويروى أنه كان آدم اللون فأخرج يده بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾ [طه: 22] معجزة ثانية وهي حال من ضمير يخرج كبيضاء أو ضميرها أو مفعول بإضمار خذ أو دونك وما أشبه ذلك.

﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾﴾

﴿لِنُرِيَكَ﴾ متعلق بالعامِل المحذوف أي خذ هذه الآية أيضًا بعد قلب العصاء حيةً لنريك بهاتين الآيتين ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾ [طه: 23] أي بعض آياتنا الكبرى إما صفة آياتنا، أو مفعول ثالث لنريك، أو ثان من آياتنا حال من الكبرى عن ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته.

﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ بهاتين الآيتين ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: 24] جاوز الحدّ في العصيان والتمرد والتكبر وبالغ في البغي والطغيانِ.

﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾﴾ [طه: 25، 26] لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي عرف أنه كلف بأمر خطير عظيم وخطب كبير جسيم، احتاج إلى احتمال ما يحتمله إلا جأش رابط وصدر فسيح ضابط، فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه ليعرف قدره ويجعله حليمًا حولًا يستغل ما يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصّابر لجميل الصبر وحسُنِ الثبات، وأن يسهل ما تلقى ما تنزل عليه ويتيسر الأمر لديه بإحداث الأسباب ورفع الموانِع وفتح الأبواب،

بأن هيّأنا له أمر الخلافة في أرضه وما يستصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الفنونِ، قد أفهم الكلام أولًا فقال: ﴿ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ أي يسِّر لي، فعلم أنّ ثمة مشروحًا وميسرًا، ثم بين ورفع الإبهام بذكرهما، فكان أوكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره من أن يقول اشرح صدري على الإيضاح والساذج لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل.

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧﴾

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ﴾ لثغة ولكنة لما روي من حديث الجمرة، وذلك أن موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمةً واحدةً وأخذ بلحيته، فقال فرعون لآسية امرأته: إنّ هذا عدوي فأراد أن يقتله فقالت آسية: إنه صبي لا يعقل ولا يميز إن شئت جربه، فأمر بطشتين في أحدهما جمرة وفي الآخر الجوهر، فأراد موسى أن يأخذ الجوهر فأخذ جبرائيل عليه السلام يد موسى فوضعها على النار فأخذ جمرة فأخذها في فيه فاحترق لسانه وصارت عليه عقدة، فسأل الله أن يزيلها ويحللها ﴿مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: 27].

﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨﴾

﴿يَفۡقَهُواْ﴾ أو يدركوا قولي ﴿قَوۡلِي﴾ [طه: 28] كلامي في أيادي النظر من غير ترجمةٍ.

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩﴾

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا﴾ معينًا وظهيرًا ﴿مِّنۡ أَهۡلِي﴾ [طه: 29].

﴿هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠﴾

﴿هَٰرُونَ أَخِي﴾ [طه: 30] وهو أكبر سنًّا من موسى بأربع سنين وأفصح منه لسانًا وأجمل وأبيض، وموسى آدم يعني جعدًا من الوزر وهو الثقل، أي يحمل الثقل من أميره، ومن الوزر وهو الملجأ، إذا الأمير برأيه يعتصم ويلجأ به ونوال إليهِ في أموره، ومنه الوازرة أو من الأزر بمعنى القوة يقال: آزره أي قواه منصوب باجعل قدم ثانيهما على أولهما عناية بأمر الوزارة، هارون عطف للوزير، وأخي بدل من هارون، وإن جعل عطف بيان آخر جاز وحسن.

﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١﴾

﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾ [طه: 31] أي اجعله شريكي في الرسالةِ.

﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣﴾

﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ أي في تبليغ أحكام النبوة وليس أعلام النواميس الإلٰهية ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا﴾ [طه: 32، 33].

﴿وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤﴾

﴿وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: 34] حتى نتعاون على عبادتك وذكرك، لأن التعاوُن يهيج الرغباتِ وتتزايد به الخيراتِ وتتكاثر به المبرات، ومن هذا جعل الجمع والجماعة شرطًا لبعض العباداتِ كصلاة الجمعة والحج واستحبّ في أكثرها، وقال النبي ﷺ: «**الجماعة رحمةٌ**».

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥﴾

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ [طه: 35] عليمًا خبيرًا بأحوال الناسِ وبأمور النواميس والرسالة وبأنّ هارون نعم العون فيما أمرتني به.

﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾

﴿قَالَ﴾ الله في جواب موسى وندائه وإجابة مسألته ودعائه ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ﴾ [طه: 36] أعطيت سؤلك وأشفقت به ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 36].

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧﴾

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا﴾ وأنعمنا ﴿عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ﴾ [طه: 37] في وقت آخر وزمان آخر.

﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨﴾

﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ [طه: 38] في وقت ولادتك وأمر فرعون بقتل المواليد إما على لسانِ نبي في وقته، أو بالإلهامِ أو ملك على وجه النبوة كما أوحي إلى مريم، أو بطريق آخر كما مر في قولك إذ أوحى ﴿رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ [النحل: 68] ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: 38] لذا أجمل في ما.

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ وضعيه وألقيه ﴿فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ على تقدير بأن اقذفيه، أو (أن) مفسرة إذ الوحي ههنا بمعنى القولِ في التابوت، أي صندوق جعل له ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ وشاطئه وحرفه وطرفه، أي يلقى التابوت في البحرِ، كان إلقاء البحر إياه إلى الساحِل أمرًا كأنه فعل اختياري إرادي واجب الحصول لتعلق الإرادة، كجعل البحر كأنه ذو علم وتمييز، وصاحب طاعة وانقياد، فأمره بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر، والأول أن يجعل الضمائر كلها لموسى مراعاته للتعظيم، والمقذوف في البحر والملقى إلى الساحِل، وإن كان للتابوت بالذات ولموسى بالعرضِ ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ جواب فليلقه المقدر وجزمه وتكرير عدو للمبالغة هو فاعل فأخذه، ثم قيرت بقيرٍ وزفتٍ، ولأنّ الأول باعتبار الواقعِ والثاني باعتبار المتوقع، قال بعضهم: جعل في التابوت قطر يعني بلغ في العداوة إلى حدٍّ قد صار عدوًّا لنفسه لعداوة النفس لنفسها، ثم وضِع فيه موسى وألقي في اليم، وكان قد شرع إلى بستان فرعون نهر فدفعه الماء وكان في البستان بركة يجري الماء إليها منه، قد جلس على رأسِها فرعون مع امرأته آسية، فأمر فرعون بفتحه فإذا فيه صبي صبيح الوجه مليح الوضع صحيح المنظر ثاقب الرأي والفكر والمنظر، فأحبه فرعونُ حبًّا شديدًا.

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ أي كائنة مِني قدر رغب حب حبة في أرض قلب فرعون، وطرحه فيهِ بل في أكثر القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنه من غاب من حضرته، ويجوز أن يتعلق مني بألقيته فيكون المعنى على أنني أحببتك، ومن أحبه الله أحبته القلوب كلها. وبمحذوف يكون صفة لمحبة، أي محبة حاصلة أو واقعة مني قد ركزتها إياه في القلوب وأوزعتها فيها وزرعتها وحرثتها، ولذا أحبه فرعون ومن رآه، روي إنه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيهِ ملاحةً لا يكاد يصبر عنه من رآه ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: 39] أي لقرتي، أي أنت بمرآتي ومنظر مني، وفي مرتبة ومنزلة عندي، وحالة في شمول محبتي بك في كل الأوقات، بحيث يكون نصب عيني لا يغيب عن نظري وإدراكي وتنظري، وإن كلما تفعله أنت

فكأنما تصنعه على نظري وتفعله وتمنعه عليّ وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه، وإذا اعتنى به كما يقال للصانع اصنع هذا على عيني انظر إليك لئلا يخالف به عن مرادي وبغيتي، إشارة إلى كمال محبته وشمول عنايته ووفور عطفٍ على علّةٍ مضمرة نحو ليتعطف عليك وترأم وترحم لذلك، وحذف معلّله، أي ولتصنع فعلت ذلك قرئ بكسر اللّام وسكونها وبجزم على أنه أمر وبفتح التاءِ والنصب أي ليكون عملك ونصرتك على عين مني أن تمشي أختك.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ اسمها مريم خطاب باسم موسى وذلك لأنه لمّا خرج موسى في التابوتِ من بركة كانت في بستان فرعون جالسًا هو مع امرأته على رأسها فأقبلا إليه وقبلاه وقبّلاه، فطلبا له مرضعةً كان لا يقبلُ ثدي أحدٍ من نساء البلد، فأدلت أخت أم موسى التي كانت في تلك الحالة حاضرةً عندها ﴿فَتَقُولُ﴾ على سبيل الحكاية أخت أمه ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ وأعرف عندكم ولكم ﴿عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ أي امرأة تتعهد موسى وتقبل كلفته ﴿فَرَجَعْنَٰكَ﴾ بعد دلالة أخت موسى إلى تكفلك وتعهدك، والعامل في ﴿إِذْ تَمْشِيٓ﴾ تأقيت أو تصنيع بوجوهه ويجوز أن يكون بدلًا من (إذ أوحينا)، لا يقال لا يصح البدل والوقتان مختلفانِ متباعدان لأن الوقت واحدٌ وأطرافه متباعدة ﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك فأراد بها بالتقائك ﴿وَلَا﴾ بفراقك وافتراقها عنك ﴿وَقَتَلْتَ﴾ أنت يا موسى ﴿نَفْسًا﴾ من القبط حيث استغاث السبطي في مقابلة القبطي هذا من أخرى ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ أي غم ذلك المقتول القبطي خوفًا من القصاص والعقاب من جانب فرعون أو جانب الحق إذا القتل في غير الحق مذموم في كل الأديان ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: 40] أي ابتليناك ابتلاءً وأنواعًا من الابتلاء، على أن جمع فتن أفتنة على ترك الاعتداد بالتاء، وكجحود في حجرة ودرور في درة، فخلصناك مرةً بعد أخرى ومن ورطة وهو إجمال لما ناله في صغره وحضره، والفتنة هي كل ما يشق على الإنسان وكل ما ابتلى الله به الإنسان، فهو فتنة لأنه محبة والمحبة فتنة.

﴿فَلَبِثْتَ﴾ وتمكثت ومكثت عشر سنين ﴿سِنِينَ﴾ أو ثماني عشر أو ثماني وعشرين ﴿فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ وهو بلدة شعيب بعد مصر ثماني مراحل حيث فررت من بطش فرعون عند قتلك تلك النفس ودعيت في هذه المدة مراعية مشروطًا بتزويج بنته له ﴿ثُمَّ جِئْتَ﴾ بعد مضيها ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ تامٍّ وقدرة وتمكن مقامٍ وهو الموعد الذي جرى في علم الله وموطن قضائه وحكمه أو القدر الذي قدره الله فيه الوحي وهو أربعون سنة ﴿يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 40].

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾ واصطفيتك واخترتك وآثرتك ﴿لِنَفْسِى﴾ [طه: 41] لمحبتي وسماعِ كلامي أو لرسالاتي وتبليغ أحكامي، تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم والتعظيم مثل حالة بحال من يراه بعض الملوك بجوارح خصال وخصائص حسنٍ، فقال: فيه أهلًا له لئلا يكون أقرب منزلة منه إليه ولا الظن محلًا فتصطفيه بالكرامةِ والأثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع إلا بعينه دونه، ولا يأتمن على مكنون سره إلا سواه.

﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾﴾

﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى﴾ ووضوح معجزاتي ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [طه: 42] وهو التقصير والإهمال والفتور لا تنافي ولا أزل منكما قيل في تبليغ أحكامي ودعوة الحق إليّ.

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: 43] أفرد أولًا موسى وحده للأمر بدعوة الخلق وفرعون، وقد يشترك ههنا به أخاه إشعارًا بمزيد أن الاعتناء لشأنه وتنبيهًا على أن موسى هو الأصل وأمر النبوةِ والرسالة، وإذا خصص التمثيل به دون أحد.

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: 44] وهو قوله فقل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى، فإنه دعوة في صورة عرض حال ومشورة والمستشار مؤتمن حذرًا

أن يحمله على الحماقة على ترك الاستعلاء والاستيلاء فتأخذه الأنفة والعار. قيل: القول اللّين هو هذا عداه شبابًا لا يهزم بعده وملكًا لما ينتزع منه بالموت كما هو شأن الدنيا فإنه بالٍ فان ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ بما جرى بينه وبين الله في معابد العهود الأزلية ﴿أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: 44] من الله وشدّة بطشه ويعتبر من حال السلف ويتأمل فيها ليتعظ بما جرى عليهم من الغرق والإهلاك بالوعد والصّاعقة والبرق وغير ذلك، متعلق باذهبا أو قولا أي أذهب إليه على رجائِكما وطمعكما منه، وجاء المربوب من الرب، والولد من الأم والأب، لأن منزلتهما منزلة الأب عند الولد، والرب فحقه عليهما أن يقول إلٰه مجرد النفع والنصح والموعظة، طامعين منه أن يثمر عمله وسعيه في حقهما وهو مجتهد بطرقه ويحتشد وليشقى بأقصى سعيه وجدوى إرسالهما إليه، وفائدة البعث لديه إلزام الحجة وقطع المعذرة ومراعاته الحق للتربية وكمال الشفقة عليهما.

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥﴾

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ﴾ أن يعجل علينا بالعقوبة ويبالغ فيها ويفرط ولا يصبر على تمام الدعوة وإظهار المعجزة من فرط يفرطُ إذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط السبق الخيل وتقدمه في الورود ﴿أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ [طه: 45] ويزداد طغيانًا في ترك الأدب في عبادته مع الرب.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾

﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ بالحفظ والنصرة ﴿أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46] ما يجري بينكما وبينه من قول وفعلٍ فأحدث في كل حالٍ ما يصرف شرّه عنكما ويوجب نصرتي لكما.

﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧﴾

﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ وأطلعهم وأرسلهم ﴿وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ﴾ [طه: 47] بالتكاليف الشاقة والأفاعيل الثقيلة الداقة، أو قيل: الولدانِ في عام دون عام، وتعقيب الإتيان بذلك دليل على أن تخليص المؤمن من الكافر

والكفر أهم من دعوتهم إلى الإيمانِ، ويجوز في أن يكون للتدريج في الدعوة ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة، وإنما وحد الآية وكان معه اثنان لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها فكأن قال: قد جئناك بمعجزةٍ وبرهانٍ وحجة على ما ادعيناه من الرسالة، وكذلك قوله: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 105]، نأت له إن كنت من الصّادقين أي لو جئتك بشيء مبين ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: 47] أي سلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة أو الله على المهتدين أو السلامة من النقائص في الدارينِ.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ﴾ هذا من كلام موسى وجمعيته وإما لأن أقلّ الجمع هو التثنية وللتعظيم لاقترانهما بالسلام الكامل والمنة المتاحة الفاضلة أو باعتبار الإتباع على طريقه ﴿أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: 48] يعني حلول الوحي علينا قد كان سببًا لنزول العذاب عليهم لتكذيبهم به وتغيير النظم والتصريح بالوعيد وتوكيد التخويف بالتهديد في أولِ الأمرِ أهم وأنجع وأنجح وأنفع.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قَالَ﴾ فرعون لدى الإقدام على القيام في معرضِ المعارضة ومورد المناقضة ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 49] وخالقكما ومدبركما.

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ﴾ أولًا وابتداءً ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ من الجواهِر المجردة المركبة والمفردة بل الأعراض المتجددة ﴿خَلْقَهُۥ﴾ ثبوته وتكوينهُ ووجوده بحسب المراتب ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: 50] إلى معرفة سعادته الدينية والدنياوية وأشباههما وشرائطهما وطرق اكتسابهما وكيفية فتح أبوابها من الأفولِ والأعمال والأحوال التي تأدّت إلى مبدأيه وإدراك مبدعه وخالقه بشارة إلى مراتب العقل وهي الهيولانية والملكة والعقل المستفاد.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: 51] وحال الأول الخالية وبطريق أبواب

الأمم السالفة والعاليةِ في الدورة ما لأعطى.

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عِلْمُهَا﴾ غيبٌ لا يتحقق إلا ﴿عِندَ رَبِّي﴾ ولا يعلم أحد سواه وإنما أنا مثلكم لا أعلم شيئًا إلا بإخبارِه وإعلامِهِ وإظهاره، وعلم أحوال المتمكنين في القرون السابقة والمستخلفين بالسنون اللاحقة ﴿فِي كِتَٰبٖ﴾ مكتوب في اللوح المحفوظ لا يعطى لأحد إلا بما شاءه ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: 52] ولا يغيب ولا يعزب عنه قيل عجز موسى عنه لأن نزول التوراة التي فيها علم كل شيء إنما كان بعد هلاك فرعون.

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا﴾ صفة لجاء وخبر محذوف أو منصوب بأغنى ﴿وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا﴾ وجعل لكم فيها طرقًا لمتعلق فيها أمور المعاشرة ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ ومن السحاب مطرًا ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ﴾ والالتفات دال على كمال القدرةِ وجمال الحكمة ﴿أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾ [طه: 53] وإفراد النبات لا ينافي الإزدواج في سائر الكائنات بل في كل الكائناتِ لقوله تعالى: وخلقنا أزواجًا ويشعر أنّ الزوجية فيها ليستلزم زوجتيه غيرها من سائر المركبات لاعتبارها فيها.

إشارة وتأويل

﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾ وإشارة إلى تجريد يد القوة الغافلة وتفريد القصة العاملة عن التصرفات الحسية والتكلفاتِ النفسية وإلى صرفهما من حدود الكثرات الكونية وقيود الأحكام الإمكانية إلى غيب جناح جزء الأفضل الإلهي وهو الروح الإلهي الموسوي ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ نقية من عيب من برص التقليد وريب مرض جذام التقييد، وتوحيد اليد إشعار بأن مالهما وهو التجرد والانسلاخ والتفرد ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾ [طه: 22] إشارة إلى بطونِ التجرد وتنوع الانسلاخ والتفرد جمالًا وجلالًا.

أفرد ﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾ [طه: 23] الجامعةِ وراياتنا الرافعة الكبرى أي

الآية الكبرى وهِي الجمعية العظمى النورية الجمالية.

﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ أي مقتضى الدورية الإفرادية نورية كانت أو ظلية وجودية أو عدمية ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: 24] ويمكن صرفها إلى المقتضياتِ الإفرادية.

﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ [طه: 25] أي اصرف وجه قلبي الظاهِر المتعلق إلى إدراك الصور الظلية والفرد النفسية بعنوان الإفراد والبساطة.

﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه: 26] في التحقيق بصفة الصورة الجمعية والهيئة المعية بين الأصلية والفرعية الاستقلالية والتبعية.

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: 27] ولكنه عن آلةٍ نطفة في طور قالبي ونفسي وسري وروحي وخفي في أدوار أطواري وأكوار أسراري.

﴿يَفۡقَهُواْ﴾ ويتذكر ﴿قَوۡلِي﴾ [طه: 28] الحسي نطقي النفسي ومقالات الغيبي القدسي فإن طبقة الطبقة الإنسانية والحقيقة المحمدية والصورة الجمعية الربانية السارية في المراتب الوجودية والمسالب العدمية الظاهرة بخصوصية الأدوار ونصوصية الأدوار وأسرار الأكوار في كل مرتبة ومقتضى كل دورة وكورة علومًا وإدراكات وأقوال وكلمات ولسانًا ونطقًا، دلالات قولية وفعلية نظرية وعملية، وفي كل مرتبة لكل إنسانٍ عقدة وموانع قاسرة استدعت بخصوصية تلك الجمعية المذكورة وزوال تلك العقدة وفصال تلك اللكنة.

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه: 29 - 32] إلى قوله: ﴿بَصِيرٗا﴾ [طه: 35] إشارة إلى ما تقرر فيما مضى من أن كل عين مشتملة على أمرين تولدا معًا من مقتضى النور والوجود ومرتضى الظل والعدم الممدود وربما يتساوى حكمها ويظهر حكم أحدهما أصالة وبتبعية الآخر صريحًا كما هو في هذا المقام، ولذا عبر في قوله: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا﴾ [طه: 33] وإلى قوله ﴿بَصِيرٗا﴾ إشارة إلى أن الصورة كثيرة ونذكرك بلفظ الجمع فالأول تساوى من مقتضى النور أصالة صريحًا والظل بتبعية صريحًا أيضًا، والثاني بالعكس، قوله: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ [طه: 35] نسبتهما إليه جل وعلا.

﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 36] إيماء إلى انتقالِ فرداريّة الحكم من دورة أخرى أصلية أو فرعية عند ظهور استدعاء القابلية والاستدعاء الكامنة في كل دورة ومرتبة ظهور ما قدر في الأدوار من الكمالات الذاتية والأسمائية

والحالات الغيبية والمقامات الغيبية والعلوم والإدراكات الجمعية والأدبية. ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ [طه: 37] لدى الانتقال من فرداريّة دورية إفرادية إلى فرداريّة أو إلى جمعية إفرادية أو جمعية جمعية.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ ومادة وجودك وقابلية شهودك يظهر كمال كرمك رجوع ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: 38] من مقتضى الوجود والعدم أو من مرتضى جمعيتهما للتحقق بكمال المعاينة والشهودات، رفعه فيه عند غلبة سلطنته سلطانِ فرعونُ الجلال في التابوت إشارة إلى تنوع أطوار مقتضيات الأدوار ومرتضياتِ الأكوار ظهورًا وبروزًا وسرورًا إشارة ورموزًا، فإن البرزات الكمل أطوارًا ولأطوارها أدوارًا وفي أدوارها أنوارًا، فالتابوت إشارة إلى الطور الذي يظهر في مراتب النبات والجلال قال آدم الأولياء علي المرتضى عليه السلام: أنا المنقلب في الصور أنا نوع من فرع زيتون وقنديل من قنادِل النبوة، وغير ذلك.

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ أي يم الوجود المطلق ونجي الظهور الملحق والبروز المحقق، إشارة إلى أن البروز في الطور النباتي والجمادي وغير ذلك من الجواهِر والأعراض لا ينافي شهود اتصاله بذلك اليم والبحر الأتم الأعظم إلا أن هذا إنما هو في حق من تحقق بطور طور مطلق الوجود والموجود المطلق لا المقيد الملحق ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ [طه: 39] إشارة إلى أن طور البروز ودور الظهور كوري لما تقرر من أن السر الإلهي دائر في الأدوار سائر في الأكوار، كما أن ظاهِر الوجود الذي في الحقيقة ذلك السر اختفى في الظاهِر ويبرز في الباطِن جمالًا وجلالًا والملائكة والجان وتارة تنعكس مرة أخرى إذ الصور والمعاني ظاهر الوجود الذي في الحقيقة ذلك السر اللذانِ هما في الحقيقة أمر واحد يتبادلانِ في الظهور والخفاءِ من مقتضى النور إهماله صريحًا والظل تبعيةً صريحًا أيضًا والثاني بالعكس قوله: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: 35] إشارة إلى الصورة الجمعية واستواء حكمها يتماثلان في السرِّ والجلاءِ فربما يلقي بحر الوجود ذلك السر في الساحل ظاهر الوجود ويخالفه الاقتضاء حتى كأنه خالف جنسه وباين حسّهُ فيقع بينهما عداوة ظاهرة ومنحا باهرة. وسمي أحدهما بموسى والآخر بفرعون في دورة من الأدوار النوعية الفرعية كانت أو أصليةً إفرادية في دورة أخرى من الأدوار الظلية تنعكس الأمر

ويتعاكس السر والبر ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً﴾ يا موسى الطور السري الفؤادي الذي هو منطقة التجلي الآثاري على صورة العناصِر كما وقع لموسى بصورة النار محبة ﴿مِّنِّي﴾ أي ناشئة من كمال جمعيتي وظلال كلية هويتي ومثال معيتي أنيتي بأنانيتي ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: 39] أي لتعمل ما شئت حال كونك على عيني أي كون عينك وبصرك منطبقة على عيني وبصري وقلبك على قلبي يعني تكون أنت ظاهرًا عينًا وعطفًا بي وأنا بك فتكون إلٰهًا عبدًا وعبدًا إلهًا.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ أي وقت ظهور كمال قبول قابلية فرداريّة الظل والجلال فيقول حال ظهور جمعية السر الدائر وبروز معية الدر الخفي السائر الذي أخفى نور جمال الكمال الجمعي الموسوي في تابوت مرتبة خفاء حكم فرداريّة سلطان النور والجمال ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ أي قابلية القابلية الجمالية التي هي مع الاستعدادِ العدمي الظلي قد تولد من أم الظلمة المطلقة وعماء غيب مطلق الهوية معًا ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ لدى انتقال فرداريّة حكم التربية والتدبير من سر الجامعية الفرعونية إلى بروز سرِّ المعية الموسوية فنرضعك لبان ألبان عرفانِ ظاهر النبوة الأسمائية والتشريعية ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ وبصيرتها وقوة سريرتها بانتفاء إلقاء تمام ظهور كمال جمعيتك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ مما فات في مداركِ الأكوار ومسالكِ الأطوار ﴿وَقَتَلْتَ﴾ عند سرك في ممالك فرداريّة الأكوار ﴿نَفْسًا﴾ بإخفاء حكم الظل ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ أي الاغتمام والاختفاء والاكتمام عند فرداريّة حكم الظل والجلال وفتناك فتونًا ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ في السير في ميراث الأكوار ﴿فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ من مدن الأدوار الإفرادية ﴿ثُمَّ جِئْتَ﴾ [طه: 40] من المدن التي كانت في مسالك الأدوار وممالك الأكوار الإفرادية والبسيطة إلى مدائن الكمال الجمعي والسميط ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ وكمال اقتدار وقوة استبصار ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 40].

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: 41] وشهود كمال تجلياتي ومشاهدة تمام ظهوراتي وبروزاتي في مجال أعيان أدواري ومعالي أكوان أكواري في مكامن مكوناتي وأسرار شؤوناتي، ولا ينافي ذكري ومعاينة كمال جمعيتي وتفاصيل خصوصيات بروزي بإجراء خصوصيات أعضاءِ أناسي الأسمائية.

﴿ٱذْهَبَآ﴾ بعد انتقال السير من الأدوار إلى الأكوار ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: 43] وتقيد بخصوصية مقتضى فرداريّة حكم دورة معية نورية كانت أو

ظلية إذ الفرعونية هي التقييد والخصوصية والتقلد الذي يصرف وجه القلب تلقاء مدين هو كمال الجمعي ومعدن الجمع الكمالي الجمالي والجلالي.

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ وهيأه بكمال التواقيع وتمام الإخبات من خصوصية مقتضى الدور النوري متحافيًا عن نصوصية مرتضى خاص الطور الذي هو العناء ووفور الفساد والجور إلى ذكر الله وكمال شكره ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: 44] إشارة إلى التفرقة بين الظهور والبروز وإلى التميز ما بين يلتزمهما من الإشارات والرموز إذ البروز هو العلم بتقدم الظهور، وهو الإيماء الخفي الذي يستقدم الإيماء الآخر، والإشارة هو الامتداد الآخذ بين المشير والمشار إليه من عين سبق إيماء وتلويح آخر والعرض من الأنات وتتالي العلامات وأقوال الأمارات في الدورة اللاحقة هي أن ينتقل منها إلى ما في الدورة الأولى ليجتمع عنده العلماء فهي من وجه متحدان ومن وجه متغايران قيل: فهما علم ثالث أتم منهما ومترتب عليهما وهو القدير وقس على هذا ما بقي من وظيفة التأويل إلى آخر هذه العشرة.

﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾

﴿كُلُوا۟﴾ أو تنالوا ما رزقكم الله من الطيبات ورعوا وارتووا ﴿وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ حال من ضمير فأخرجنا على إرادة القول أي أخرجنا أصناف النبات قائمين كلوا وارتعوا آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن يأكلوا بعضها وتلقوا بعضها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الأمر المذكور لآيات ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ وعلامات دالة على كمالِ قدرة الله ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: 54] جمع نهية أي العقول سمى به لأنه ينهى صاحبه عن القبائح وتعاطيها وعن الأباطيل واتباعها.

﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

﴿مِنْهَا﴾ من الأرض المذكورة استلزامًا ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي أبدانكم وأصنام أجسادكم إذ هي أصل خلق آبائكم وأغلب أجزاء أبدانكم وأولها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بالموت وتفكيك الأجزاء لدى نهيك الأعضاء ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ في المحشر العظمى وعرضة المنتشر الأولى ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: 55] بجميع أجزائها الأصلية التي كانت باقية بعد خراب البدنِ وتفريق أجزاء أعضائه على الصورة السابقة لا إنها هي عينها كما تقدم في كهيعص تفاصيله بتحقيقه.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ٥٦﴾

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾ وأبصرنا موسى وعرفناه ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ المشار إليها وهي التسعة المذكورة المختصة وهي العصا واليد والفلق للبحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل ﴿فَكَذَّبَ﴾ موسى على بناءِ المفعول أو كذب فرعون موسى ﴿وَأَبَىٰ﴾ [طه: 56] الإيمان به وبما جاء معه من الآيات المذكورة لفرط اجتهاده وعقوه بكمال فساده وإفساده.

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ٥٧﴾

﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى بيان لما تقدم ﴿أَجِئْتَنَا﴾ ودخلت علينا ﴿لِتُخْرِجَنَا﴾ وتبعدنا ﴿مِّنْ أَرْضِنَآ﴾ أرض مصر ﴿بِسِحْرِكَ﴾ بسبب سحرك أو باستصحابك ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 57].

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ٥٨﴾

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾ ونتقدمها إليك ونقدم عندك ﴿بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ مثل سحرك ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ ووعدًا واسم مكان ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ لا نترك ذلك الوعد والأجل والميقات أو مكان الوعد ولا نتجاوزه ﴿نَحْنُ وَلَآ﴾ عطف بيان الضمير المشترك في لا تخلف لتأكيده بنحن ﴿أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: 58] سُوى سِوى بضم السين وكسرها هما نعتانِ مثل عُدى وعِدى وطُوى وطِوى أي عدلًا وخفاءً موعدًا مصدرًا أولى.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ٥٩﴾

﴿قَالَ﴾ الإخلاف لا يلائم الزمان والمكان مكانًا منصوب بمصدر أو بفعل دل عليه المصدر أو بأنه بدل منه وعدًا على تقدير مكان أو زمان مضاف إليه، فعلى هذا يكون أطباق الجواب في قوله ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ من حيث المعنى فإن يوم الزينة يدل على مكانٍ مشتهر باجتماعِ الناسِ فيه في ذلك اليوم إذ السؤال عن المكان لا عن الزمان أو بإضمار مثل مكان موعدكم نادى يوم الزينة كما هو على الأول أو وعدكم وعد يوم الزينة ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: 59] عطف على اليوم أو الزينة

وقرئ بالرفع بأنه مبتدأ أو ضحى خبر على نية التعريف لأنه ضحى ذلك اليوم بعتقه وهو يوم عاشوراء أو يوم عيد لهم أو يوم نيروز أو يوم يبرهون فيه.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ [طه: 60] بالموعد.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ أي للسحرةِ في أمر موسى سرًّا وكانوا اثنين وسبعين ساحرًا مع كل منهم حبل وعصى ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي تدعوا آياته ومعجزاته وما يدل على كمالِ قدرته ووفى حكمته وحقيقة كلمته ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ ويهلككم ويستأصلكم ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ وخسر وكان ﴿مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: 61] يعني فرعون فإنه احتال وسعى في إبقاء ملكه فلم ينفعه.

﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾

﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي اختلفوا السحرة في أمر موسى سمعوا كلامهُ قال بعضهم: ليس هذا من كلامِ السحرةِ وبعضهم ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ [طه: 62] بأن موسى إن غلبنا اتبعناه إذ كان له أمر من السماءِ، قيل: الضمير لفرعون وقومه وقوله:

﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾

﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾ [طه: 63] وكانت نجواهم في تلفيق الكلام وتزويره حق فأمنه غليتهما وتثبيطًا واسعًا للناس عن اتباعِهما قرأ أبو عمرو (إنّ هذينِ لساحِران) على الجهة الظاهِرة المسبوقة، وحفص وابن كثير: (إن هذان) على قولك إن أريد المطلق واللام هي الفارقة بين أن النافية والمخففة من الثقيلةِ، وقرأ (إن ذان لساحرانِ) بالفتح بغير اللام قيل: في القراءة المشهورة (إن هذان لساحران) هِي لغة حرث بن كعب حيث جعلوا الاسم المثنى نحو الأسماء التي آخرها ألفٌ كعصا وسعدى فلم يغلبوها ما في الجر والنصب، قال بعضهم: إن معنى نِعم وساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على الجملة

تقديره لهما ساحران ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ [طه: 63] أي مذهبكم الذي هو أفضل المذاهب، وإنما سموا طريقتهم ومذهبهم المثلى والسنة الفضلى إذ كل حزب بما لديهم فرحون، قيل: أراد أهل طريقتهم وهم بنو إسرائيل لقوله موسى أرسل معنا بني إسرائيل، أو هي اسم لوجوه الناسِ وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم، ويقال للواحدِ أيضًا هو طريقة قومه.

﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾

﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ وأذمعوه واجعلوه مجمعًا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ﴾ مجموعًا ومعًا لأنه آهبُ بصدور الناس، وهم كانوا اثنين وسبعين مع كل واحدٍ منهم حبل وعصى وقد أقبلوا إقبالًا واحدًا ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ [طه: 64] اعتراض أي وقد فاز من غلب.

﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾

﴿قَالُوا۟﴾ عند الحضور والاجتماع ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ [طه: 65] إما بما بعده منصوب بفعل مضمر أو مرفوع خبره محذوف أي اختر أحد الأمرين أو إلقاءك أو إلقاءنا وهذا لتخيير منهم رعاية أدب وغاية تواضعٍ وخفض جناحٍ.

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾

﴿قَالَ﴾ موسى للسحرة ﴿بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ التي حملوها معهم للمعارضة للمفاجأة مبتدأ خبره ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ﴾ أي أوقع في متخيلهم فيه إضمار، أي فألقوا فإذا حبالهم يخيل إليهم، والتحقيق أنها ظرفية تستدعي متعلقًا ينصبها أي ألقوا فتفاجؤوا ووقف تخييلهم ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: 66] حبالهم وعصيهم ومتحركانِ حركة نقلية، وذلك بأنهم يطبخوها بالزئبق فلما وقعت عليهما الشمس اضطربت يخيل له إنها تتحرك.

﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾

﴿فَأَوْجَسَ﴾ موسى ﴿فِى نَفْسِهِۦ﴾ أحسن في صدره وقلبه أو أضمر في نفسه ﴿خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه: 67] وخوفًا على ما هو مقتضى الحيلة الإنسانية وحصول صفة البشرية لموسى.

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾ مما في خيالك من عصيِّهم وحبالهم لكونه في نفسه باطلًا لا حقيقة له ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: 68] فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيده تعليل النهي.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ أي ما في يدك اليمنى من عصاك ﴿تَلْقَفْ﴾ وتقلع بقدرة الله وآتيناه ﴿مَا صَنَعُوٓاْ﴾ أي كل شيء صنعوا السحرة من الحبال والعصي قيل: كان خوفه من أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: 68] فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيده بكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو، وهو الغلبة الظاهِرة وبالتفضيل ويأمر أن ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ [طه: 69] وهو أن يلقي أو إيراد الإبهام في الموضعين يجوز أن يكون لتحضير العصا أي الإتيان بكثرة حبالهم وعصيهم وبتوفر حبالهم، وألق ما في يدك من العويد الفرد الصغير الجسم الحقير الحجم فإنه بقدرة الله وكمال قهرمانه وغلبته، فتلقفها على حديه مع كثرتها، ويجوز أن يكون تعظيمًا لها أي لا يحيق بهذه الأجرام الكبيرة في أن ما في يمينك شيء أعظم منها كلها، وهذه على كثرتها أصغر كل شيء وأنزره عندها، وألقه تلقفها بإذن الله ويمحقها من تلقفه بالرفع على الاستئناف، أو على الحال أي ألقفها ملتفقة ما صنعوا أي الذي زردوه وافتعلوه.

﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ بالرفع والنصب ومن رفع على أن (ما) موصولة اسم إنَّ، وكَيْدُ خبره، ومن نصب فعلى أنها كأن، قرئ كيد ذي سحر، أو ذوي سحراء، وهم سحر لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر، وإنما وحد ساحر بعينه وبذاته أو بيّن الكيد لأنه يكونُ سحر أو غير سحر كما بين المائة يذرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو وإنما وحد ساحر قصد المعنى الجنسية فلو جمع لخيّل أن المقصد هو العدد بقرينة ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي هنا الجنس وإنما نكر أولًا وعرف ثانيًا أما الأول فلأجل تنكير المضاف إليه لا لأجل تنكيره في نفسه كما ورد في حديث عمر رضي الله عنه لا في أمر الدنيا ولا في أمر الآخرة، فالمراد تنكير الأمر كأنه قيل: إن ما صنعوا كيد ساحرٍ سحري، وفي سعي دنيوي وأمر ديني وأخروي ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: 69] من

الأرض نحو قولهم حيث ساروا وأين سلك وأين ما كان.

فسبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقاءين روي أنهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار، ورأوا ثواب أهلِها عن عكرمةِ لما خرّوا سجّدًا أراهم الله في سجودهم منازلهم الذين يصيرون إليها في الجنة كما ورد في الحديث: «**ما منكم من أحدٍ إلا وله مكان في الجنة والنار**».

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ حيث شاهدوا منازلهم في الجنة والنار وورثوا ثواب أهلِها، وحققوا أنه ليس بسحر وإنما هو أمر إلهي وشأن رباني وحال سماوي، لأن يصدر من البشر بل هداية عن آياته العظمى، قد ألجأتهم إلى الأعيان وبما جاء من حيث ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: 70] قدم هارون لكبر سنه ولأن موسى كان قرينة فرعون في صغره، أو لأنه كان أفصح وسنه كان أوقع في النفوس وأرفع إليه الناس والرؤوس.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾

﴿قَالَ﴾ فرعون للسحرة لدى إيمانهم بموسى ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ أعبقهم به وأقررتم له ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [طه: 71] إما في الإيمان به وتصديقه والإقرار له ومتابعة أمره مضارع نفس المتكلم منصوب بأن منه الإذن وهو الأمر والإجازة ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي موسى ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾ وربيبكم وعظيمكم ومعلمكم وأستاذكم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ وأنتم ترافعتم وتآخيتم وتطابقتم على ما فعلتم ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ [طه: 71] أي اليد اليسرى والرجل اليمنى وبالعكس، ومن لابتداء الغاية، لأن القطع مبتدأ، وما سنّ من مخالفة العضو العضو لأنه وفاقِه إياه في محل النصب حال، أي لأقطعها مختلفات لأنهما إذا خالف بعضها بعضًا فقد اتصف الجميع بالاختلاف، وشبه تمكن المصلوب في الجذع في دعائه فلذلك قال ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى

﴿جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ﴾ مفعول فرعون يريد نفسه وموسى عليه السلام ﴿عَذَابًا﴾ على ترك الإيمان ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: 71] وأدوم في الأرض عتابًا.

﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ﴾ السحرة لفرعون ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ ونختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا﴾ موسى به، ويجوز أن يكون الضمير فيه لما ﴿مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ البين والمعجزات والآيات الواضحاتِ من اليد البيضاء والعصا وغير ذلك، والبراهين والدلائل حيث استدلوا أو قالوا لو كان هذا سحرًا فأين حبالنا وعصينا أو الذي عاينوه حيث سجدوا من منازلهم في الجنة والنار ودرجاتهم وثوابهم ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ﴾ نفس المتكلم مجزوم لوقوعه بعد الوفاء الواقعة في جواب القسم ﴿مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ أي اجذم شيئًا أو الذي أنت صانع له ويحتمل أن يكون أمرًا أي نحو ألفاظ الصانع، إما اقض أنت يا فرعون ما أنت قاضٍ، أو اقض واحكم أنت بقاضٍ وأنت قاضٍ، أو اقض قسم أي اصنع شيئًا أو الذي أنت صانع له، أو عطف على ما جاءنا ﴿إِنَّمَا تَقْضِى﴾ وتصنع هذه السلطة الدنياوية والحكومة الدينية التي دل عن قرب نهي كالتعليل لهما قبلة والتهديد والتهويل والتغويل لما بعده قرئ تقضي ﴿هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه: 72] بإجراء الظرف مجرى المفعول به الواقع موقع الفاعل كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة على الاتساعِ.

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ أي كفرنا ومعصيتنا وذنوبنا ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ على تعلم السحر كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعين من بني إسرائيل قد أكرههم فرعونُ على تعلم السحر قالت السحرة لفرعون أرنا موسى إذا نام فأراهم موسى نائمًا فعصاه تحرسه حية تسعى فقالوا لفرعون إن هذا ليس بسحر إذ الساحر إذا نام بطل سحره ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: 73] أي خير منك وأبهى ثوابًا وأبقى عقابًا جواب لقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا﴾ [طه: 71].

إشارة وتأويل

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ عبارة عن النفوس الثلاثة النباتية والبهيمية والإنسانية، والأمارة واللوامة والملهمة، أو الكناية الراجعة إلى العقول وهي الهيولانية والتعويل لملكةِ العقل بالفعِل، أو المستفاد، والكيد هو ما يختص كل منها به من الأفعال والأعمال والحركات والعلوم والإدراكات أو المراد هي الأطوار السنية القلبية، والكيد هو الأحوال والمقامات أو الأنوار والتجليات الآثارية والأفعالية التي هي مقدرتها، ويحتجب لها عن الكمال الجمعي والجمع الكمالي الذي هو نهاية الأبدان وغاية طور السلاسل ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه: 64] واستصعد إلى أوج الكمال الجمعي المذكور، ودورة سنام الجمع الكمالِ المزبورة.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ [طه: 65] إشارة إلى تبادل أحوال أطوار أعيان النور والجمال وأكوان الظل والجلال حسب غلبة اقتضاء فرداريّة تدبير النور والجمال المطلق والجلال الضمني لا الصريح.

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ أي القوة الوهمية والخيالية أو القوة النظرية والفعلية ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه: 66] إشارة إلى الغلط لعارض على العقل والنفس الناطقة والقوة العقلية إنما هو بواسطة الوهم والخيال.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طه: 67] تفريع على ما تقرر من أن الحسّ البصري لما شاهد الأشكال الحسية وأدرك القوة الوهمية، ومنها المعاني المندرجة تحتها واديها إلى العقل حكم العقل الجزئي المشبث بأذيال الوهم بأن تلك الآثار والأفاعيل وغير ذلك مستندة إلى الأعيان وغفل عن حكم الصريح بأن الجمال لكونه في ذاته عاريةً عن الوجود لا بدّ وأن يكون عاريًا عن توابعه وهي الأفاعيل والتأثيرات والأحكام اللاحقة والأباطيل في أن لا فاعل ولا مؤثر إلا الله فينبغي أن لا يخاف ولا يرجح إلا منه.

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾ من تلك الأمور الموهومة المخيلة التي لا حقيقة لها أصلًا ﴿إِنَّكَ﴾ يا موسى ﴿أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: 68] في هذه الحالة لأن من التجأ أي انتهى الكل إليه وأناب إلى من رجع الجزء والكل والجزئي والكلي لديه فهو مستعلٍ في

نفسه ويكونُ أعلى في جميع الكائنات الممكنة وأرفع من تمام الموجودات ذات المكونة.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ من الجزء الأفضل وهو اللطيفة الإلٰهية والقوى الربانية أي اطرح ما يلزم العقل والروح والنفس الناطقة وهو عصاه الأدلة الفعلية والبراهين النظرية اليقينية والحجج النقلية والأحوال والمشاورات والتجليات الآثارية والأفعالية التي تقيدت بها النفوس الناطقة والقوة الفعلية العاقلة ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ۖ﴾ والقوة الواهمية والخيالية والقوى النظرية المتشبثة بأذيال الوهم والخيال من الأحكام الأينية وثبوت الأحوال النفسية والإدراكات الحسية من الحالات القلبية والمكاشفات الغيبية ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟﴾ وأظهروا من الإدراكات والعلوم والأحوال والمقامات ﴿كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: 69] بالمعلومات الوهية والإدراكات الرسمية والحالات الغيبية الاحتجاجية من الكمال الجمعي والجمع الكمالي الذي هو منتهى كل غالب ومقطع إشارات كل ما يرد دائر وخاصة وغائب.

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ أي القوى المدركة والمبادئ العقلية والنفسية عند ظهور التجلي الذاتي، وبروز السر الإلهي الدائر في كل أرض والبر العابر ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: 70] أي وجهنا إلى الكمال الجمعي النور الجمالي الإجمالي الهاروني، والجمع الكمالي التفصيلي الموسوي هو مجمع الأدوار النورية الأصلية والجمالية الفرعية.

﴿قَالَ﴾ المولود الجلالي الظلي الفرعوني الذي تولد مع المولود الجمالي النوري الموسوي في الأدوية الجمعية ومرتبة الوحدة الذاتية الفاصلة بين الأحدية والواحدية للمولود النوري الجمالي ﴿ءَامَنتُمْ﴾ [طه: 71] بالكمال الجمعي والجمع الكمالي وبالعكس إلا أن تدبير المدبر الظل الجلالي الفرعوني وقد يتقدم على التدبير النوري الجمالي إلى أن يتم تدبير الجسم الظلي، فإذا هو سينتقل الحكم إلى المدبر الجمالي الموسوي فيدعو المدعو الفرعوني إلى الكمالي الجمعي الموسوي عند غلبة حكم مقتضى فرداريّة النور والجمال الإفرادي. وأما مقتضى حكم جمعيتهما ينتفع فلا تقدم ولا تأخر كالعدل الحقيقي الذي تعانق فيه الأطراف وتسابق إليه الأعراف، وكالعارف والجامع الذي استوى عنده الكل والجزء والكلي والجزئي والكلي، وهو صاحب التجلي الذاتي المتضمن للتجليات الأسمائية

والصفاتية والأفعالية والآثارية والصورية ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ أقول: اجتمع همزتان تقلبت الثانية ألفًا من الإذن الهمزة الأولى همزة المتكلم إشارة إلى أن موسى الروح قد جذبه الله تعالى من قواه العاقلة والعاملة النفسانية أي توجههم إلى الساحات وجذبتهم لديه، تجمعكم القوى، وتهاكم الأدنى والأعلى ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [طه: 71] إلخ وهو ظاهرًا لا يحتاج إلى شرحٍ وبيان وتأويل دليل وبرهان.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ﴾ يعتبر أي الأمر وإنسان أمه ﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ﴾ حال كونه ﴿مُجْرِمًا﴾ كافرًا أو ميتًا على كفره وإشراكه وعصيانه وجرمه وإجرامه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ أي لا يستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: 74] حياة منتهيًا ينفع بها أي يظهر لهم فيها حال لا يكونُ حياتًا ولا مماتًا كقوله تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: 11 ـ 13] إلا به، وهي أشد عذابًا وأمر وأدهى عقابًا، إشارة إلى أن جهنم غيره، يدل عليه ما روى سعيد الجزري: خطب الناس فأتى علي رضي الله عنه فقال: إن رسول الله ﷺ خطب الناس فأتى على هذه الآية: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: 74]، فقال عليه السلام: أما أهلها الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، وأما الذين ليسوا بأهلها فإنّ النار تمسّهم إماتة ثم يقوم الشفعاء فيشفعون لهم فيُشفعون، فيؤتى بهم نهر يقال له نهر الحياة فينبتون كما ينبت القثاء في حميل السيل. وفي رواية: أما ناس يريد الله بهم الرحمة. وفي رواية: ولكن أناس تصيبهم النار بذنوبهم صبائر فينبتوا على أنهارِ الجنة فيقال لأهل الجنة أفيضوا عليهم قال ينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، فإن قيل: كيف الجمع من هذا الحديث وبين قوله عزوجل: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: 56]، فيقال: ذلك في أهل الجنة من لم يمسّه النار إلا تحلة القسم لا من يمسّه بعض عذابها أقول هذا وباللّهِ التوفيق. قال النبي ﷺ: «**موتوا قبل أن تموتوا**»، فمن مات بالإرادة فقد دخل الجنة فإذا عرض عليه الموت الطبيعي يعرض عليه وهو في الجنة فلا تذوق في الجنة إلا الموتة الأولى، وسيأتي في حم الدخانِ.

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ثابتًا على الإيمان وكمال التعيين والإيقان في الدنيا وصفاء العقيدة ووفور الإذعان لذريعة العقبى إلى حدّ ينجر إلى المشاهدة والعيان كما سبق في إيمان السحرة وأحوالهم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه: 75] جمع العليا وهي تأنيث أعلى وقال أيضًا عليه السلام: ليس بين القوم وبين أن ينظروا المنازل الأرفع الأعلى.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بدل من الدرجات وهي في السماءِ العليا لا يدخلها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عادل أو محكم في نفسه مخير بين الشركِ والإيمان مختار الإيمان على الشرك فيقبل، الحديث، وقال عليه السلام: ليس ما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رأوا الكبرياء على وجهه في جنة عدنٍ الحديث ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ أي تحت أشجار ثابت فيها ثابتة إلى أراضيها ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الأربعة: العسل واللبن والخمر والماء الصافي كما سنذكر في سورة محمد ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لديها دائمين غير خارجين عنها حال والعامل فيها معنى الإشارة أو الاستقرار ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الفوز بالجنات والخلق فيها ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: 76] ويظهر من أدناس الذنوب وأوجاس الأعمال العيوب قبل هذه الآيات الثلاثة حكاية قولهم وقيل: خير من اللّهِ لا على وجه الحكاية.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ واذهب بهم من مصر إلى أرض المقدس بالليل ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ﴾ بالعصا واجعل وعين لهم طريقًا وسبيلًا موصلًا إليه من غير أن يكون فيه وحل وطين وماء من قولهم ضرب له في ماله سهمًا وضرب اللين عمله في البحر ﴿يَبَسًا﴾ يابسًا مصدر وصف المؤنث والذكر يقال شاتًا يبس وناقة يبس إذا جف لبنهما وجمع يابس كصحب وصاحب وصف به الواحد مبالغة نحو من جياعًا لفرط جوعه كما يقال جماعة جياع ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ من فرعون وإنه من ورائك ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: 77] من القدام غرقًا.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾

﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ فرعون وأردفهم بلا مهل ﴿فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ وذلك أن موسى خرج بهم أول الليل فأخبر فرعون ذلك الليل فاستتبع أثره بألف ألف وخمس ألف ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾ فأغرقهم ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: 78] من بعض ماء البحر لا كله أي غشاهم الله وغطاهم على وجه لا يعلمه إلا الله.

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ ومن تبعه في الدخول في اليم وأهلكهم بالغرق ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: 79] وما أرشدهم بكذب فرعون حيث قال: وما هداكم إلا سبيل الرشاد.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾﴾

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم﴾ خاطبهم الله بعد الإنجاءِ من البحر وإهلاكِ فرعون قيل: الخطاب للذين كانوا منهم في عهد رسول الله ﷺ منَّ الله عليهم بما فعل بآبائهم من النجاة عن بأس فرعون وإنجاءهم من الغرق والوجه الأول وجه على تقدير القول قلنا يا بني إسرائيل حذف اعتمادًا على القرآن قرئ أنجيتكم ﴿مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ﴾ الإيصال والحلول والاتصال ﴿جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ ونزول التوراة وإنزال الشريعة لدى المناجاة بموسى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [طه: 80] وقد مر تفسيرهما في سورة البقرة عند النزول في التنبيه في طريق التوجه إلى الطور وأرض بيت المقدس.

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من المن والسلوى وغيرهما ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ فيما رزقناكم بكفرانه وإنكار درور نعمته ووفور إحسانه ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ﴾ بكفران نعم الأرزاق وتفويت شكره لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي شديد ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى﴾ قهري وسخطي ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: 81] وتردى وغوى وهلك أصله

أن يسقط من جبل مقام رفيع فيهلك يقال هوت إذا سقطت سقوطًا لا نهوض ولا يرتفع بعده.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ من الشرك والمعاصي والافتراء والإفك ﴿وَءَامَنَ﴾ بوحدانيته وصدق رسوله وتمام كتبه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وأوتي الفرائض من الصلوات المكتوبة والزكوات المحسوبة وغير ذلك ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: 82] واستقام ويثبت على الهدي المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: 13] وكلمة التراخي تدل على تباين المنزلين دلالتها على تباين الوقتين وعلم أن ذلك بتوفيق الله ومشيئته.

﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾ أي ما أحملك على العجلة على استصحاب بعض ﴿عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 83] حيث اخترت منهم سبعين رجلًا لتذهبوا به إلى الطور ليأخذوا العبودية فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقًا إلى ربه وخلف سبعين وأمرهم أن يتبعوا إلى الجبل قيل له: هذا وهو على الطور في الكرة الثانية حتى أحظى التوراة منها ليلة النار، وقد مضت قصتها لما قرب بطور تعجل، ووقف الرجال ههنا فمخاطب الله موسى ثم استفهم وأخبرهم فقال موسى: لأجل سماعِ خطابك والشوق إليه قيل: أمر الله أن يعين الميقات لوقت معين فخلفه موسى.

﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾

﴿قَالَ﴾ موسى في جوابه ﴿هُمْ أُو۟لَآءِ﴾ الذي كانوا أقرب مني فيأتون من بعدي ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ ويقتفوا على رسوم قدمي ورقوم رسمي وهم النقباء التسعون الذين اختاروا موسى لميقاته ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: 84] ليزداد رضاك عني فإن المسارعة إلى امتثالِ أمرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتِك وتقضي إلى مزيد رضائك.

إشارة وتأويل

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ﴾ [طه: 74] أي الصورة الجمعية الكمالية والحقيقة الكلية

الإلٰهية والكونية على ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3] في كل الأدوار وعموم الأكوار الإفرادية والجمعية الإفرادية وجمعية الجمعية عند الموت الاختياري أو الطبيعي الاضطراري ﴿مُجْرِمًا﴾ مقيدًا بالقيودات الجزئية والحدودات النفسانية في الأطوار الغالبية والنفسية والهيئات المعنوية والصفات الملكية الفاضلة، أو الودية الدينية في الطور القلبي، أو الصوري التجليات الآثارية في الطور السري أو باللطائف الروحانية وصور العلوم الطبيعية والدرايات الحكمية الرياضية والتجليات الأفعالية في الطور الروحي، أو قصور العلوم الحقيقية والنسب القبلية والمعارف الفطرية والتجليات الأسمائية والصفاتية في الطور الخفي والفناء عن الكلي في طور غيب الغيوب لدى الانتقال من الأدوار النورية أو الظلية الإفرادية إلى فرداريّة الدورة الجمعية ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ ونار التحسر والقطيعة عن شهود الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: 74] بأن يفوت ويزول الإدراك بفقدان ذلك الكمال المذكور الذي هو حياة الكل ويحيى به جميع الوجودات من الجن والكل، والشعورية أصل تمام العقوبات ومادة كل الآلام والدركات، ولا يحيى بأن لا يحصل الاستصعاد بأوج سعادة ذلك الكمالِ الجمعي الذي هو منبع الحياة الحقيقية ومرتع أصحاب السعادةِ السرمدية التي استكملوا في مدارك مقتضياتِ الأدوار واستحصلوا مدركات ممالك مرتضياتِ الأكوار.

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ﴾ أي يصل إلى تلك الحقيقة الجمعية الإلٰهية والكونية الجمعية معه لجميع مقتضيات الأدوار وتمام مرتضيات الأكوار الإفرادية الجمعية وجمعية الجمع ﴿مُؤْمِنًا﴾ ومتحقق مقتضيات الذات بتمام الأسماءِ والصفاتِ في جميع الدورات وعموم الكورات ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في الأدوار والأكوار المذكورة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه: 75] أي الجهات ودرجات التجليات الجمعية في الأدوار الأصلية والفرعية الاستقلالية والجمعية التدريجية والرفيعة.

مطلب الأنهار الأربعة

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ وهي جنات جمعية الجمعية يدخلونها ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي أنهار المعارف الإلٰهية وأنهار من لبن العلوم الشرعية وأنهار خمور المحبة الذاتية

وأنهار عسل الحكمة الإلٰهية، وهذه الأنهار مظاهر آثار أنوار الأطوار الجارية في الأطوار والأكوار المربعة الأصلية والفرعية الإفرادية والجمعية ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: 76] ويظهر عنه القيود الإفرادية والحدود الكونية الصارفة عن مشاهدة التجليات الإلٰهية الكلية وعن معاينة برّ المبرزات الإلٰهية والكون الكلية والجزئية الحقيقة بها.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ الكمال الجمعي الإفرادي ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ أعيان أدوار أسمائي ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ﴾ الجمعي واليم الكلي المعي ﴿يَبَسًا﴾ خاليًا عن الظنية الطبيعية ومياه الشهوات البهيمية والملكات الكاملة الملكية والهيئات الفاضلة الروحانية والتقيد والتقلد ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ من فرعون طغيان شهوات الافتخار واليقين والإشهار ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: 77] من عليه الأحكام الإمكانية وقيود الأعلام الملكانية.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: 78 - 79] إشارة إلى شريط الإرشاد وأسباب التكميل، فإنّ من لم يستكمل في مرتضيات الأدوار ولم يتم في مقتضيات الأكوار لم يتحقق بالتجليات المناسبة لكل دورة المتقاربة في أنه كورة ولم يتميز عنده أنوار الأدوار وأطوار الأكوار الإفرادية والجمعية حرم عليه القيام على الإرشاد والإقدام على التكميل بالتفريد والإفراد، فيكون هذا الشخص في نفسه فرعونًا ضالًّا ومضلًّا لا كاملًا ومكملًا فحينئذٍ يهلك بالجرأة والجسارة على الخوض في بحر الإرشادِ ويم التكميل مستصحبًا بالفساد والإفساد، راكبًا مطية الجهل بالمكابرةِ والعنادِ، فهلك هذا الفرعون ومن تبعه أعيانِ الطلاب الذين كانوا في وادي الطلب كالذباب وأشباه الكلاب، وقس باقي هذه العشرة على ما قلنا فليحتم على هذا القدر.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾

﴿قَالَ﴾ الله تعالى لموسى بعد اختيارهم ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا﴾ وابتلينا ﴿قَوْمَكَ﴾ يا موسى وهم الذين خلّفت لهارون وكانوا أصحابه الأول اثني عشر ألفًا ﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾ أي من بعد إخلافك إلى الجبل ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ [طه: 85] بدعوته وصرفه إياهم إلى عبادة العجل، وإضافة الإضلال إلى السامري مجاز، وذلك إن

موسى عليه السلام وعدهم أربعين ليلة فلما مضت عشرون ليلة حسبوا النهار معها فأخذوها أربعين، فاستعجلوا استعجالًا طبيعيًا فقال لهم إن نبيكم متعنا بكم قد هلك فاصنع الآن أمرًا تبين به الحق فأمر بجميع ما استعاروا من الحلل من بني إسرائيل، فصنع لهم منها عجلًا وجعل في العجل ووضع ما أخذ من أثر فرس جبرائيل فتعجل فقال السامري هذا إلهكم وإله موسى فكفروا به إلا قليل.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾ عند تمام الموعِدِ وهو أربعون ليلةً ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ مما سمِع من قومِهِ من عبادة العجل على قومِه ﴿أَسِفًاۚ﴾ حزينًا نادمًا على ما فعلوا به، وأصل الأسف شدة الغضب من قوله عليه السلام في موت الفجاءة وجه رحمة للمؤمنين أخذة أسف الكافرين ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾ بأن ينزل لكم بعد الأربعين كتابًا فيه هدىً ونور ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ والزمان خلاف الموعود ومغايرًا للأمر المعهود ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لمخالفتكم بما وعده أي وجب حلول الغضب من ربكم بسبب مخالفتكم موعدهُ ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [طه: 86] أو هو الإيمان بصدق ما وعد الله بكم بنزول الكتاب وبيان الشرائع ووضع الأحكام وبيانها والبت عليه.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾﴾

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ بالحركات الثلاث أي ما اختلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا يعني لو ملكنا أمرنا وغلبنا ورأينا كما اختلفناه ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ﴾ وغلبنا من جهة السامري وتسويله إلينا وكيده ومكره بنا ﴿أَوْزَارًا﴾ أي حملناه أحمالًا وتحميلًا ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ [طه: 87] أي حلي القبط التي استعرناها منهم ليلة العرس أو أرادوا بالأوزار أنها آثام وتبعات لأنهم كانوا معهم في حكم المستهينين، وإنما سماها أوزارًا لأنهم أخذوها على وجه الإعارة ولم يردوها لما أغرقه فرعون وقومه

وكانت أموالهم في يدهم غنيمة ولم تكن الغنيمة حلالًا لهم في ذلك الزمان وفي تلك الأديان ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ وطرحنا في نار السامري التي أوقدها في الحفرة بأمرِهِ ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه: 87] ما كان معه منها فألقى التربة التي أخذها من موضع حيزوم فرس جبرائيل أوحى إليه الشيطان إنها إذا خالطت مواتًا صار حيوانًا.

﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿فَأَخۡرَجَ﴾ السامري لهم من تلك الحفرة ﴿لَهُمۡ﴾ أي للقوم ذلك ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا﴾ وأخذ ﴿لَّهُۥ خُوَارٞ﴾ أو صوت من كان معي ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ السامري ومن كان معه ومراقبين به والتابعين له ﴿هَٰذَآ﴾ العجل الصنوع الخائر ﴿إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: 88] موسى أن يطلبه ههنا وذهب بطلبه عند الطور أو نسي السامري أي ترك ما كان عليه من الإيمانِ الظاهِرِ قبل إخطاء موسى الطريق.

﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾﴾

﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا﴾ أو لا يرجع العجل عليهم جوابًا وسؤال من رفعه فعلى هذا أن المخففة من الثقيلة ومن نصبه فعلى أنها الناصبة للأفعالِ وهو ضعيف لأن أن الناصبة لا يقع بعدها أفعال اليقين أي لا يرون أن العجل لا يتكلم ولا يجيبهم إذا دعوه ﴿وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ [طه: 89] ولا يقدر على إنفاعهم وإضرارهم.

﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾﴾

﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ﴾ أي قبل أن يقول لهم السامري ما قال أو قبل رجوع موسى إلى هارون قوم هارون على السامري وهو مشغول بضرع العجل، فقال له: اصنع ما لا ينفع ولا يضر فادع فقال هارون: اللهم اعط ما سألك على ما في نفسه فألقى وقال التراب في فم العجل فقال: كن عجلًا يخور فكان كذلك. وبالجملة ابتلى الله تعالى بني إسرائيل بها لحكم ومصالح ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم﴾ ابتليتم ﴿بِهِۦ﴾ [طه: 90] بالعجل ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ ذو رحمة واسعة ونعمة شائعة لم يرد

العبادة إلا للخير ولم يعهد إليكم الغير ولا الضر ولا الضير ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ من الأمور الدينية والأحوال الأخروية ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾ [طه: 90] فيما هو خير لكم آجلًا وعاجلًا.

﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ٩١﴾

﴿قَالُواْ﴾ بنو إسرائيل في جواب دعوة موسى ونهيه إياهم عما لا يرضى به اللّهِ ونهاهم عنهم ﴿لَن نَّبۡرَحَ﴾ ولا نزال ﴿عَلَيۡهِ﴾ على العجل وعبادته ﴿عَٰكِفِينَ﴾ مقيمين خبر لن نبرح ﴿حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا﴾ من الطور ﴿مُوسَىٰ﴾ [طه: 91] وسمع خوار العجل وإدراك أمواله.

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣﴾

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢﴾ [طه: 92] وهلكوا بعبادة العجل وترك آيات الله والإيقان بها ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ﴾ ألا صلة، والمعنى ما منعك أي يا هارون أن تتبعني أي من منع أتباعك وموافقتك لي في الحب للّهِ والبغض وفي شدة الزجر على الكفر والمعاصي وهلا قابلت من كفر بمن آمن وما لك لم تباشِر الأمر كما كنت أباشره أنا، وكان موسى رجلًا حديدًا باخشًا أي مجبولًا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب للّهِ ولدينه فلم يتمالك نفسه حين رأى قومه يعبدون عجلًا من دونِ اللّهِ بعد مشاهدتهم بآيات اللّهِ العظام نفسها ﴿أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾ [طه: 93] ووصيتي وخالفت وعدي ونقضت عهدي وجوزت المداهبة في الدين.

﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥﴾

﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ﴾ بشدة الغضب والامتناع عن المهرب ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ يعني لو أنكرت عليهم لصاروا حزبين وتفرقوا بفرقتين ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ فتقاتلوا فهاجت العين بينهم ﴿وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [طه: 94] ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح وافرق بهم ولا تغلظ عليهم فعدل عن مؤاخذة هارون إلى السّامري حيث ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ [طه: 95] وما شأنك في إحداث هذا الأمر وأي شيء حملك على ما صنعت.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا﴾ ورأيتُ وشاهدت بما لم تشاهدوا ﴿بِهِۦ﴾ قوم بني إسرائيل قرئ على الخطاب أي علمت وشاهدت وفطنت أمرًا من أمر الرسول أي خزنته من تربة لم يعلموا ولم يفطنوا أو شاهدوا أنتم وهذا الذي إذا مسّ شيئًا أحياه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي حزمة من تربة وصل إليها حافرة فرس جبرائيل ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ وألقيتها في الحلي المصبوغ المصنوع المصبوغ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كسدت التربة المقبوضة في جوف الحلي وفم العجل ﴿سَوَّلَتْ﴾ وزينت ﴿لِى نَفْسِى﴾ [طه: 96] وإنما رأى السامري الرسول دون غيره لأن أمه لما ولدته في السنة التي قتلت فيه النبيون وضعته في كهف جدرًا عليه فبعث الله جبرائيل وبهذه المناسبة رآه وعرفه.

﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾

﴿قَالَ﴾ موسى للسامري اذهب إذا صنعت ذلك ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ أي ما دمت حيًّا ﴿أَن تَقُولَ﴾ يا سامرى لكل من يراك ولأي أحد يلقاك ﴿لَا مِسَاسَ﴾ ولا مخاطبة بيني وبينكم فإن الله تعالى عاقبهم عقوبة بدنية ما عاقب أحدًا من الناسِ مثله بأن أمر موسى بني إسرائيل أن لا يخالطوه أصلًا ولا هو يماس ولا يخالِطُ أحدًا قط وكان إذا لقي أحدًا يقول لا مساس أي لا تقربيني ولا أقربك ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ في الآخرة ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ ولا تغييب عنه ولا مذهب عنه فيعذبنك الله فيه من غير تخلف بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فأنت خاسِرٌ في الدنيا والآخرة ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ﴾ أي صرت على عبادته ﴿عَاكِفًا﴾ مقيمًا ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ﴾ ثم لنذرنه وننشرنه في البحر ﴿نَسْفًا﴾ [طه: 97] ذرًا كاملًا ونشرًا تامًّا شاملًا.

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ﴾ المستحق للعبادة ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ لا أحدًا يماثله أو بذاته في كمال العلم والدرة، الرحمٰن رب العرش الذي ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 98] أي وسع كل شيء علمه وجودي أو عدمي علوي أو سفلي بسيط أو مركب منشر أو مرتب إذ التميز في المعنى قد يكون فاعلًا وكذا فعل المتعدي ينقل إلى المتعدي إلى المفعولين كما نقول في خاف زيد عمروًا خفت زيدًا عمروًا فرد بالنقل إلى مفعولين ما كان مفعولًا.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الاقتصاص الموسوي في كل دورة من الأدوار وكورة من الأكوار قد سبقت في الدورة المتقدمة إشارة إلى أن كل دورة منافرة جامعة لمقتضيات الدورة السابقة الإفرادية وأن الأدوار والأكوار مترتبة وأن فيها من الأعيان متناسقة منتظمة مرتبطة بعضها ببعض ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: 99] إنا أعطينا وأنزلنا من عندنا ذكرًا مذكورًا وكتابًا مسطورًا وخطابًا مشكورًا جامعًا وحملًا كليًّا جائعًا محيطًا على تمامِ مقتضياتِ الأدوار والأكوار.

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ أي عن الدين مقتضيًا نحوًا في كل دورة ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾ [طه: 100] إثمًا وكفرًا وحملًا.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ﴾ إلى استيفاءِ مقتضيات دورة يقوم هذه القيامة فيها ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ [طه: 101] وتكرار القيامة إشارة إلى تكثرها وتنوعها وتعدد تطورها إجمالًا وجلالًا فروعًا وأصلًا وتبعًا واستقلالًا وأنواعِها ينحصر إلى ستة عشر وأفرادِها ترتقي إلى ثمانيةِ وأربعين كما علمت في صدر الكتاب.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ﴾ في ذلك اليوم لون أعينهم ﴿زُرْقًا﴾ [طه: 102].

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي يقع التجافي بينهم في ذلك اليوم ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ أي تمكنتم في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ [طه: 103] يستقصرون مدة لبثهم فيها لسرعة زوالها واستطالة مدة الآخرة ليأسهم عليها لما عاينوا وعلموا أنهم استخفوها على إضاعتها في قضاء الأوطار واتباع الشهوات وفي الفرائض لقوله تعالى ويوم تقوم الساعة إلى آخر الآيات.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ وهو مدة لبثهم ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي أعدلهم طريقة ذاتًا وعملًا ومنزلةً ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه: 104].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ عن حال أمرها وقد سأل عنه من يقذف في الدورة الجمالية والجلالية الأصلية والفرعية الإفرادية والجمعية الاستقلالية والتبعية التدريجية أو الدفعية وأنواع الصور والنفخ فيها كأنواع القيامة وأفرادها ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: 105].

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي يدع تعار الجبل وحيزها ومكانها ومركزها أو الأرض التي من ذكرها التزامًا نحو ما ترك على ظهورها من دابةٍ قاعًا خاليًا ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: 106] ملساء مستوية لا نبات فيها ولا ذوات أي الحياة والقاع ما انبسط من الأرض.

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: 107] انخفاضًا وارتفاعًا أي مستوية

الأجزاء في الأوضاع بأن لا يكون فيها اختلاقات بالسر والخفض بحيث لو انضبت سطارة عليها سيما من تمام أجزائها جميعًا فالأولان باعتبار الإحساس والثالث مترتب عليهما أساس القياس كما تقرر في الهندسة بقانون أصل القياس ولذا ذكر العوج بالكسر وهو يخص المعاني وبالفتح في الأعيان والصور والمباني والمقادير والمثاني ويجوز أن يكون تبيانًا لهما.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم إذا نسفت على إضافة اليوم إلى وقت ويجوز أن يكون بدلًا بعد بدلٍ من يوم القيامة ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ [طه: 108] أي داعي الله إلى المحشر أو المراد إسرافيل يدعو الناس قائمًا على صخرة بيت المقدس فينسلون من كل أوب وطرف وصوب إلى صوته من غير انصراف وعدول منه ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي لا يعوج لا ينعطف يدعو بل يستون إليه من غير انحراف وعدول وانصراف أنت بل سامعين لصوته ومطاوعين لدعوته ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾ وانخفضت من شدة الفزع، وأخبتت ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ وأمره ﴿فَلَا تَسْمَعُ﴾ يا إنسان صوتًا في ذلك اليوم ﴿إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108] أي صوتًا خفيًّا ومنه الحروف المهموسة أو من يهمس الإبل وهو صوت إخفاقها إذا مشت ولا يسمع إلا خفوق الأقدام وصوت وقعها.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ ولا يفيد الشفاعة ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ وأراد أن يسمع نبيًّا أو صديقًا أو شهيدًا أو مؤمنًا وتقيًّا ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ ولا يفيد الشفاعة ﴿وَرَضِىَ﴾ الرحمٰن ﴿لَهُۥ﴾ أي لأجل المشفوع له أو أذن للشافع ورضي له أن يقبل شفاعته في حق من أراد له شفاعة ﴿قَوْلًا﴾ [طه: 109] أي قول الشافع في شأنه والموصوف أما مرفوع بأنه بدل من الشفاعة بإضمار الشفاعة أو منصوب على المفعولية وهذه اللّام مثل اللام في قوله وقال كفروا للذين آمنوا قال النبي ﷺ: «**إن الرجل ليشفع للفئام من الناسِ فيدخلون الجنة بشفاعته، وإن الرجل ليشفع للعصبة، وإن الرجل يشفع لثلاثة نفرٍ وللرجل**». وروي أن من هذه الأمة لمن يشفع يوم

القيامة لأكثر من ربيعة ومضر يشفع كل رجل على قدر عمله قال: «**إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من الأحوال الآجلة والعاجلة والعاملة أو الماضية أو الخالية والآتية أو الدين أو الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: 110] يعلم ما بِغَدِهم وما يستقبلونه، أو لا يحيط علمهم بمعلوماته الغير المتناهية، أو بذاته، أو الضمير لأحد الموصلين أو لهما فإنهم ليعلموا جميع ذلك.

﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ وخضعت وتذللت، صارت وُجوههم عائنة، وذليلة خاشعة، أو سجدت على الجبهة ﴿لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ والمراد بالوجوه العصاة فإنهم إذا عاينوا يوم القيامة الحياة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانيةً وذليلة خاشعةً ضارعةً كوجوه العناة وهم الأسارى والظاهِر إنها عامة، فعلى الأول يكون اللام بدل الإضافة ويؤيده ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: 111] إذ كل من خاب وخسِر فهو ظالم يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لأجله عنت وجوههم.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: 112] الظلم هو أن يأخذ من صاحبه فوق حقه والهضم أن يكسر من حق أخيه شيئًا فلا يوفيه كصفة المطَّففين الذين على الناسِ يستوفون ويسترجحون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ عطف على كذلك أي مثل ذلك الإنزال وكما أنزلنا عليك تلك الآيات المتضمنة للوعدِ أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيهِ آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد ترك المعاصي أو فعل الخير والطاعة

﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ﴾ أي بيتنا في القرآنِ ﴿مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ من الوعد إذ ذكر الشيء لا ينافي في ما عداه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ المآثم والمعاصِي فيكونُ التقوى ملكه لهم ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: 113] قصة واعتبارًا فينظرهم عينها ولهذه النكتة أسندوا التقوى إليهم والأحداثِ إلى القرآنِ.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ في ذاته وتعاظم في صفاته ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ النافذ أمره ونهيه وحكمه على ما أراد وعلى أي وجه شاء عن مماثلة المخلوقين فلذا لا يماثِل ولا يشبه كلامه كلامهُم كما لا يماثل ذاته ذاتهم ولا أسمائه وصفاته أسمائهم وصفاتهم ولا أفعاله أفعالهم ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في ملكوته يستحقه لذاته وصفاته أو الثابت في ذاته وصفاته الذاتية والأفعالية ﴿وَلَا تَعْجَلْ﴾ فالتلقي ﴿بِٱلْقُرْءَانِ﴾ وقبوله واستماعِه ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ نهى عن الاستعجال في ذلك الوحي من جبرائيل ومراقبته في القرآن حتى يتم وحيه بعد ذكر الإنزالِ على سبيل الاستطراد، قيل نهى عن تبليغ ما كان مجملًا قبل أن يأتي بيانهُ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: 114] أي سل الله تعالى علمًا بدل الاستعجال، فأولى ما يوحى إليك بتناوله لا محالة، إشارة إلى أن كل فردٍ من الإنسانِ ملتئم من جوهرينِ رحماني وشيطانيّ ولكل منهما لمة واقتضاء، فلمة الرحماني هي التأني والوقار، ولمة الشيطاني هي الاستعجال والاضطراب.

قال النبي ﷺ: «**التأني من الرحمٰن والعجلة من الشيطانِ**». وقال أيضًا: «**ما من أحد إلا وله قرين من الشيطان قالوا وإياكم يا رسول اللّهِ؟ قال: وإياي إلا أنّ الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير**» الحديث. وفي الكشاف يتضمن للتواضِع للّه والشكر لهُ عندما عُلِم من ترتيب التعلم أي علمني يا رب لطيفةً في باب التعلم وأدبًا جهلًا ما كان عندي، فزدني علمًا إلى عِلْم فإن لك في كل شيء علمًا وحكمًا، قيل: ما أمر اللّهُ رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العِلمِ وذلك سرفه وعموم كنفه في عطفه ولطفه.

قال النبي ﷺ: «**لا ينتفع عالم من علم حتى يكون منتهاه الجنة**». وقال

أيضًا: «**إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمها إلا الله والعلماء باللّهِ فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل العزة باللّهِ**».

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ في مقام ألست بربكم خالقكم ومربيكم ومدبركم كان هذا العهدُ ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل زمان هذا أي ولقد عهدنا وأمرنا آدم قبل زمانه الجنة ومرتبة النفيسة بما يذكره مما كلمناه به بأنواعِ الطاعاتِ وأصناف العباداتِ فقيل بقوله قالوا: بلى ﴿فَنَسِىَ﴾ آدم هذا العهد نسيًا منسيًا ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: 115] وحكمًا جزمًا يقال في أوامِر الملوك ووصاياهم بقدم الملك إلى فلان وأوعز إليه وعزم عليه وعهِد لديه والمراد بالنسيان هو بفيض الذكر وإنه لمن يعزني بالوصية العناية الصادقة ولم يستوف عنها بعقد القلب عليها وضبط النفس لديها حتى يولد من ذلك النسيان ويجوز أن يراد بالنسيان الترك، فإنه إذا ترك ما وصى به من الاحتراس والاحتراز عن الشجرة وأكل ثمرتها والعزم هو التصميم والمضي على ترك الأكل وأن يتصلب في ذلك تصلبًا يوئس الشيطان ويجعله آيسًا من التسويل له والإغواء، ويجوز أن يراد بالوجود العلم ومعقولًا له غرمًا، وأن يكون نقيض العدم كأنه قال وعد مناله غرمًا إذ منصوب بمضمر، أي اذكر وقت ما جرى عليه من معاداة إبليس ووسوسته إليه الأكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة الصريحة والموعظة البليغة الصحيحة، والتحذير من كيده حتى يتبين لك إن لم يكن من أولي العزم والثبات وذوي الجرم والنبات.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ مقدر باذكر أي اذكر حاله في هذا الوقت ليتبين لك أنه شيء ولم يكن من أولي العزيمة والثبات ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ سجدة كرامة وتواضعٍ ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ [طه: 116] إلى السجود له وامتنع منه.

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا﴾ [طه: 117] الشخص الجني المخالف والمباين حقيقته

لحقيقتك ﴿عَدُوٌّ لَّكَ﴾ بقصدك خلاءً وملاءً ﴿وَلِزَوْجِكَ﴾ حواء ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: 117] والفاء في الموضعين للسببية والمراد نهيكما عن قبول إغوائه لكونه سببًا لهُ، أفرده بإسناده الشقاء إليه بعد اشتراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه من حيث إنها قيم عليها ومحافظة على الفواصل، والمراد بالشقاء هو التعب والعناء في أمر المعاش الذي هو من وظائف الزوج والرجاء ويؤيده قوله:

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه: 118] أي لا يظهر لك في الجنة جوع ولا عراء ولا عريان.

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: 119] ولا يطرأ لك عطش ولا ضحو لطرب سمعه بأسامي أصناف القسوة التي جدده منها حتى يتجافى السبب الموقع فيها كراهة لها.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ كَوَلْوَلَةِ الثكلى ووعوعة الذئب والكلاب العكلى ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ﴾ واجعل لك دليلًا وبرهانًا ﴿عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ فلو أكلت من ثمرها صرت مخلدًا ودمت فيها مؤبدًا ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: 120] ولا يهتد ولا يبيد ولا يفنى.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾

﴿فَأَكَلَا﴾ أي آدم وحوا ﴿مِنْهَا﴾ من الشجرةِ وثمرتها ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا﴾ وظهرت لديهما ﴿سَوْءَٰتُهُمَا﴾ عوراتهما قبلًا ودبرًا ﴿وَطَفِقَا﴾ قربًا ﴿يَخْصِفَانِ﴾ ويسيران ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ وهو ورق التين قيل: كان لباسُهما الظفر فلما أصابا الخطية نزع وتركت، في أطراف الأصابع ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121]

وحيث لم يقل وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات، فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة منيعة، كأنه قيل لهم: انظروا واعتبروا من النبي المعصوم حبيب اللّهِ الذي لا يجوز الاقتراف الصغير من غير المنفرة زلته بهذه المغلظة، ولهذا اللفظ يستتبع فلأنها أنواعًا يفرط منكم السباب الصغار فضلًا عن أن يحترزوا عن التفريط في الكبائر وعن بعضهم إنما قال عصى ولم يقل عاصٍ لكونه دالًّا على ثبات المعصية ودوامها، ثم اجتباه ربه بعد الرد وظهور عناية اللّهِ ووفور هدايته وأثره بعد العبادة على اقتراف الذنب ورد الرب.

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: 122] فرجع وأناب إليه طالبًا للعفوِ أو وفقه للتوبة وثبته وحفظ على الندامة.

﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ﴾ وهذه الجملة حالية مبنية لأحوال أولاده كما ظهر لهابيل وقابيل وقتل قابيل هابيل ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ أي فاعل الفعل وهو الكتاب والشريعة ليتبين طريق الصلاح والفساد ويرغبكم على الخير والصلاحِ، ويجنبكم عن الفساد والجراح، وإنما كذلك فمن تبع هداي وعلم ما كان فيه من الأحكام والحلال والحرام وعمِل به ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: 123] آجِلًا وعاجلًا حالًا ومآلًا.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ أي عن الكتابِ وعما يتضمنه من الشريعة ولم يعلمه وما عمل به ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً﴾ في الدنيا ﴿ضَنكًا﴾ ضيقًا وحالة مظلمًا كما قال بعض المتصوفة ولا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه، هذا ما في الكشافِ ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: 124].

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ﴾ في الدنيا أو في مقام ألستُ بربكم ﴿بَصِيرًا﴾ [طه: 125] شاهدًا لوجه الله سميعًا لخطابه وآيات كتابه، وهذا العذاب أشد من عذاب النار وأحدّ من حرقه دار البوار، لما تقرر أن العذاب الروحاني أشد وأحد من العذاب الجسماني سبعين درجة.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿قَالَ﴾ قال الله تبارك وتعالى في جواب العرض ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل إعراضك عن آياتنا والعمل بالأحكام خط كتابنا ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾ الواضحة ودلالاتنا الساطعة بكمال قدرتنا وعموم حكمتنا ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ لم ترفع الرأس إليها ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ﴾ هذا أعني يوم القيامة ويوم الجزاء والدين ﴿تُنسَىٰ﴾ [طه: 126] وتعامل معاملة الناسي صار سببًا لأن يحشر أعمى كما تدين تدانُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل جزائك ﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ وأفرط في الكفر وأشرك في وحدانيته وأحدية ذاته وبوحدته وصفاته ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ مما يعذب في الدنيا بأنواع العذاب ومما يعذب في القبر ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: 127] أدوم.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ فاعل لم يهدِ أي ما هدى بهم كثير أهلكنا من أهل القرى الماضية كانوا ﴿يَمْشُونَ﴾ ويسلكون ﴿فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ ومسالكهم وديارهم ومنازلهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الإهلاك والاستخلاف والتمليك والإملاك ﴿لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى﴾ كافة ﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: 128] وذوي العقل.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ [طه: 129] والكلمة السابقة هي العدة

والوعد بتأخير جزائهم إلى الآخرة، يعني لعل هذه العدة مثل إهلاكنا عادًا وثمودًا لازمًا لهؤلاء الكفرة وهو لنا مصدر لازم وصف به، وأما فعال بمعنى مفعل أي ملزم كأنه آية اللزوم كما قالوا للنار جهنم ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: 129] إما عطف على كلمة أو على مضمر في كان لربك الأخذ العاجل، وأجل مسمى لازمين كما كان لازمين لعاد وثمود، ولم ينفرد الأصل المسمى دون الأخذ العاجل.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ بحمد ربك حال أي والحال أنت حامد على أن وفقك للتسبيح وأعانك على التقديس والتنزيه، وهو إما الصلاة على المجاز المرسل أو على ظاهره، وفي تقديم الفعل على الأوقات أولًا، وتقديم الأوقات على العقل ثانيًا، إشارة بأن حق المسبِّح الحامد أن لا يجري عليه وقت ولا زمان ولا ليس لديه عصر ولا آن إلا ولا بدّ وأن يشغله الحمد والتسبيح ولا يصدر منه فعل، وأن لا بدّ أن يكون محفوفين بحمدين وتسبيحين ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾ وساعاته جمع واحدة آن ﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ يعني صلاة الظهر، وإنما سمي به لأن وقته عند زوالِ الشمس وهو طرف التضمين بداية ونهاية إشارة إلى الأوقات الخمس ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: 130] نفسك وتسرّ قلبك وتبرُّ غيبك في أداءِ الوظائف ووضاء الرواتب، وماثل بها من التسبيحات والتحميدات، قرئ على بناء المجهول ترضيك نفسك بالشفاعةِ كما قال ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضحى: 5] بشهود لقاء الله.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه: 131] هذا النظر انبساط نور البصر محيطًا بالأشكالِ والألوان وسطوح الأجسامِ، ولا يستطيع أن يرده إحسان الطور إليه وإعجابًا به متمنيًا أن يكون له فعلٌ نظارَ قارون وشاهدوا غرائب تجملاته وعجائب تحملاته قالوا يا ليت أن يكون لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم إلى أن واجههم، أو

العلم والإيمان قائلين لهم ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [القصص: 80] ولما كان النظر الممتد إلى خارق والبصر العود إلى شهود المصارف كالركاز الطبيعية والغراز الرضيعية، حتى أن من أبصر بها شيئًا أحب أن يمتد إليه نظره ويملأ من عطائه وبصره نهى الله الامتداد ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾ أي أعطيناك بسبب امتداد ذلك النظر أصنافًا من الحلل والزينة ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي أصنافًا من الكفرة، قال إلى الذي متعنا به وأعطيناه، وهو أصناف بعضهم وناسًا منهم ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ نصيبه على أربعة أوجهٍ على الضمن وعلى تضمين متعنا معنى أعطينا وحولنا، وعلى أنه مفعول ثانٍ له، وعلى إبداله منه تخلل الجار والمجرور وعلى إبداله منه أزواجًا على تقدير ذوي زهرة وهي الزينة والبهجة، ويجوز أن يكون جمع زاهرٍ وصفًا لهم بأنهم زاهِر هذه الدنيا لصفاء ألوانهم مما يلهون ويلعبون ويتبعون، ويهلل وجوههم بها إلى ربهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصالحون من شحوب الألوانِ والتقشف في الثياب ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ ونبلوهم ﴿فِيهِ﴾ أي في حصول زهرة الدنيا وزينتها يعني يجعل ذلك فتنةً لهم حتى تستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو ليعذبهم في الآخرة بسببه ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ هو ما ذخر له من ثواب الآخرة الذي هو ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: 131] وأدوم، وما رزقه من نعمة الإسلام وأحكام النبوة، أو لأن أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه، والحلال خير وأبقى لأن الله تعالى لا ينسب إلى نفسه إلا ما حلّ وطاب دون ما حرم وخبث، والحرام رزق عندنا خلافًا للمعتزلة بعث رسول الله ﷺ وقال له: يقول رسول الله ﷺ: أقرضتني إلى رجب؟ فقال: والله لا أقرضه إلا برهان فقال عليه السلام: إني أمين في السماءِ والأرض احمل له درعي الحديد، فنزلت ولا تمدنّ عينيك.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ قومك ومن كان على دينك وأهل بيته أو التابعين من أمته ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ وداوم واثبت إليها ولازم لديها ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ فإن رزقك يكفي من عندنا و﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: 132] رازقك ولا تسأل أن ترزق نفسك ولا أهلك، ففرع مالك قول النبي ﷺ لأمر الآخرة وفي معناه قول الناسِ من كان في

عمل اللّهِ كان اللّه في عملهِ، وعليهِ قول النبي ﷺ من كان للّهِ كان الله لهُ ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ المحمود ﴿لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: 132] لذوي التقوى.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣﴾

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا﴾ أي هلا يأتينا الحق ﴿بِـَٔايَةٖ﴾ دالّة على صدقه في ادّعاءِ النبوّة أو بآية مقترحة إنكارًا لما جاء به من الآيات للتعنت والمكابرة والمعاندة ﴿مِّن رَّبِّهِۦٓۚ﴾ فألزمهم بإتيانه بالعنوان الذي هو أم المعجزات وأصل مقام خرق العادات، ولا شكّ أن العلم أصل العمل وأعلى منه قدرًا وأبقى منه أثرًا، وكان ما كان من أصلِ القبيل ونهيهم على وجه أبين من وجوه الإعجاز المختصة بهذا الباب ﴿أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [طه: 133] من التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية، فإن اشتمالها على زبدة ما فيها من العقائد الدينية والأحكام الكلية مع الآتي بها والمبعوث بآياتها أي لم يقرأ ولم يتعلم من علمها ودرسها.

﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ١٣٤﴾

﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ أي قبل محمد وقبل نزول القرآنِ برهانًا وحجة أو قبل التثنية، وتذكير الضمير باعتبار كونها بمعنى البرهانِ ﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا﴾ يدعونا إليك وقبولِ أحكامك وشرائع كتابك ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ﴾ بالقتل والسبي في الدنيا ﴿وَنَخۡزَىٰ﴾ [طه: 134] ونهون وهو في الأصل الافتضاح وبلوغ إلى المعايب والنقائص في غاية الاتضاحِ.

﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ١٣٥﴾

﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿كُلّٞ﴾ منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٞ﴾ ومنتظر ومترصد دائر الزمانِ وظهور سرائر أفراد الإنسان في طرق من الزمان والدهر والمكانِ ﴿فَتَرَبَّصُواْۖ﴾ أو ترصدوا ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ﴾ [طه: 135] أنتم إذا جاء أمر اللّهِ وقامت القيامة وظهرت

الساعة ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ المستقيم في العقائد الدينية والقواعد الدنياوية والأعمال البدنية والأفعال النفسانية ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: 135] إلى العلم باللّهِ وإدراك الحق والعقائد الإلٰهية والمعارف الغير المتناهية ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز أن تكون الثانية موصولةً بخلاف الأولى فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلّق عنها الفعل على أن يكون العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب أو على الصراطِ.

مطلب خواص سورة طه

قال النبي ﷺ: «**من قرأ طه أعطى له يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار**».

إشارة وتأويل

تأويل الآيات المتقدمة والكلمات الماضية ظاهرة بالقياس إلى ما ذكرنا في صدر السورة ووسطها.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 21 — سُورَةُ الأَنبيَاءِ — آياتها 112 مكية

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي أقرب للناس حسابهُم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي أعطى يوم القيامة بأيديهم كتابهم ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي أجزى كل الإنسان بثوابهم وعقابِهِم.

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ [الأنبياء: 1] بالإضافة إلى ما مضى وإلى ما عند اللّهِ كقوله: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾ [المعارج: الآيتان 6، 7] أو لأنّ كل ما هو آتٍ فهو قريبٌ واللام صلة لاقترب، أو تأكيد الإضافة وأصله اقترب للناس الحساب ثم ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ وخصّ الناس بالكفار لتقييدهم لقوله ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1].

قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: حان لك أن تحاسب بعد مضي أكثر عمرك وطرًا من الغفلة فقد نوديت ودعيت إلى الأنبياء ونداء لم يبق لأحد من عذر وهو قوله اقترب للناسِ حسابهم فرحم الله عبدًا يحاسب نفسه قبل أن يوزن وأنهى ما عليه قبل أن ينتبه أولئك هم الأبرار.

عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: «**حاسبوا [أنفسكم] قبل أن تحاسبوا**». وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله: ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ وفي الكشاف هذه اللام لا تخلو أن تكون صلة اقترب أو تأكيد لإضافة الحساب إليهم كقولك إذن للحي وحيلهم ونحو ما أورده سيبويه في باب تنزيه المستقر توكيدًا

عليك زيد حريص عليك وفيك راغب، ومنه قولهم: لا أبًا لأن اللام مؤكدة معنى للإضافة وهذا الوجه أغرب من الأول.

والمراد: إذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب ونحو ذلك، واقترب الوعد الحق في منكري البعث ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ من الحساب وما يلزمه من التشديدات والأهوال والتدقيقات والمنافسات فيه ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ ينصرفون عن التفكر والتدبر فيه وهما خبران للضمير ويجوز أن الظرف حال من المستكن في ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1] وتوصيفه بالاقتراب بناءً على أنه أمر محقق لا ارتياب في وقوعه أو لأنه آت وكل آت قريب وإن طالت أوقات استقباله، وأما البعيد فهو الذي وجدوا بفرضٍ ولو بحرًا ولذا قيل ما بقي من الدنيا إلا قليل أقل وأقصر مما سلف منها بدليل انبعاث النبي الموعود ومبعثه في آخر الزمانِ. قال النبي ﷺ: «**بعثت في دنو زمان الساعة**»، وفي خطبة بعض المتقدمين: ولّت الدنيا جدًّا ولم يبق للصيابة كصيابة الآباء، وإذا كان بعثه الشيء وإن كثرت، وإن في وكثرت في نفسها قليلة بالإضافة إلى معظمه كانت حلقة بأن يوصف بالعلة وقصر الدرع.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: هم المشركون من باب إطلاق اسم الجنس على بعضه لوصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى أنهم غافلون عن حسابهم ساهون عما يترتب عليه من عذابهم وسوء حالهم وسيء عقابهم لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما يرجع إليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بدّ من جزاء المحسن والمسيء.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ وكتاب، تنبيههم عن سنة الغفلة والجهلة كائنًا ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾ ما به صفة ذكر أو صلة لتأتيهم ﴿مُّحْدَثٍ﴾ بأن يحدد الذكر وقتًا بعد وقت وينزل عليهم آية بعد آية وسورة بعد سورة لتكرر على أسماعهم التنبيه ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: 2] والموعظة لعلهم يتعظون ولا يزيدهم استماعِ الآتي إلا مستنطق بها وتمام ما فيها من فنون المواعظة وصنوف النصائح والبصائر التي هي أحق الحق وجد الجد لا لعبًا ولهوًا واستسحارًا أو نعتًا.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ وساهية أفئدتهم وعيونهم، جامعين أصناف الاستهزاء والذهول وأنواع التلهي والعلول حال من فاعل استمعوه ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ في إخفاء الأسرار التي تدور بينهم وهي اسم من التناجي وهو السر الخفي يعني أنهم سارعوا في اختفائهم، وشاعوا في اختنانها بحيث لا يفطن أحد بقبائحهم ولا يعلم أنهم مناجون ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدل من واو أسروا أو مبتدأ والجملة المتقدمة خبره أي هؤلاء أسروا النجوى ووضع الموصول موضعه تسجيلًا على فعلهم بأنه ظلم في الغاية أو منصوب على الضم ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي ليس محمد إلا بشرًا مثلكم ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: 3] هذا الكلام كله بدل من نجوى أي أسروا أو أخفوا، هذا ويجوز أن يتعلق بقالوا المضمر أي وأسروا النجوى قائلين هل هذا إلا بشر إلخ إذ أعتقدوا أن رسول الله ﷺ لا يكونُ إلا ملكًا لا بشرًا أو لا سبيل للبشر أن يكون في اللّهِ ليكون رسولًا منه وإن كلًّا ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزات فهو ساحر ومعجزة سحر، وأنتم [تعرفون] السحر وتزاولوه وتشاهدون إياه.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ يا محمد جهرًا كان أو خفيًّا، سرًّا أو علانية ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء: 4] أي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماءِ هذا تأكيد ومبالغة في بيان الاطلاع على نجواهم كما أن قوله تعالى السر آكد من أن نقول: يعلم سرهم ثم يبين ذلك وأكده وهو السميع العليم بذاته التي هي عين العلم والسماع فكيف يختفي عليه خافية.

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: 5] أضربوا وعدلوا وأعرضوا عن قولهم هو ساحر وكلامه سحر إلى أنه مخاليط أحلام وانضمام ما

صورته المتخيلة في المنام والغيبة إلى الحس المشترك فشاهدته فأخبرته، ثم إلى أنه كلام مفترى من هذه، ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا ينظر ويتصرف ويعدل وينحرف من باطل إلى باطلٍ، كما هو من شيم البطالين وعادة العطالين، كما قيل الباطل لجلج والمبطل متجبر رجّاع غير تائب على قول واحدٍ، ويجوز أن يكون تنزيلًا من الله قولهم في درج الفسادِ وأن قولهم الثاني أفسد من الأول والثالث من الثاني ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ﴾ ظاهرة يشاهدها كل أحدٍ ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: 5] بها اليد البيضاء وإحياء الموتى وغير ذلك.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي أهل قرية هم مشركو مكة وغيرهم إلا ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ اقتراح الآيات وطلبها فلما جاءتهم أنكروها فحق عليهم كلمة العذاب ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 6] عند مشاهدات الآيات لا بل إذا جاءتهم الآيات أنكروها فاستحقوها الهلاك، والاستهلاك نفقة على أن عدم الإتيان بالمقترح لابقاء عليهم إذ لو أتى لم يؤمنوا واستوجبوا واستحقوا عذاب الاستبصار كمن قبلهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ وأصحاب الكتاب من كيفية حالهم وأبنية مقالهم، ولمية ما لهم جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم، أي اسألوا أهل الكتاب من أحوال الأنبياء المتقدمة وكثرة السلوك أفهم لهم لتزول عنكم الشبهة ويحصل لكم في حق محمد الطمأنينة واليقين الكاملِ والسكينة، فإنما أحال إلى أهل الكتاب لكونهم مرجع المشركين في أمر الرسول وينفعون بقولهم في، لأن اختيار الجم الغفير والكم الكبير يوجب العلم الضروري إذا كانوا كافرين ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: 7] حقيقة ما ذكر.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨﴾

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: 8] صفة جسد، أي وما

جعلنا الأنبياء قبله أي قبل محمد ذوي جسد غير طاعمين، وإنما وحد وفرد لإرادته الجنس، أي ذوي الأسباب، ذوي ضرب من الأجسادِ، ولقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴿وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ [الأنبياء: 8] في دار الدنيا وغار الأدنى تأكيد وتقرير لما سبق يعني أن الأنبياء يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ويموتون كما تموتون أنتم ولا تخلدون كأمثالنا.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ بإهلاك الأعداء وإعلاء كلمه الله ويسر معاملتها ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ﴾ في الدنيا والنشأة الأولى في أيدي الكفار ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ من المؤمنين من الأنصار والمهاجرين ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء: 9] المشركين الكاذبين المكذبين الظالمين على أنفسهم.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يا معشر القريش ﴿كِتَٰبًا﴾ وقرآنًا وفرقانًا ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ وسر علم وبيان أحكام لمآبكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 10].

إشارة وتأويل

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ يعني اقتربت الأعيان الجمالية النورية بعد انقراضِ فرداريّة الجلال والمدى الفياض ومقتضيات دورتها ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ في مدة اقتضاء فرداريّة كل من الجمال والجلالِ ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1] عن الكمال الجمعي والجمعِ الكمالي.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: 2] إشارة إلى كل دورة وكل كورة من الأكوار وإنزال كتاب وإرسالِ رُسُلٍ ودينًا وشريعة وآخرة.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ﴾ المتعين في النشأة الحسية والصورة النوعية الإنسية ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: 3] إشارة إلى أن كل دورة وكورة اشتمالًا على أمور خفيةٍ ضمنية إما جلالية إن كانت الفرداريّة وحكم التدبير للحالِ صريحًا أو بالعكس وإلى أن لكل عينٍ من الأعيان الجمالية والجلالية

صلاحية النبوة وقابلية كمال الألوهية، لا يظهر إلا عند تناسب الأوضاع المتناسبة وحصول الشرائط وحلول الروابط ونزول المبادئ المتقاربة والوسائط المتشاربة قال: ربّي يعلم القول المتعلق بإيجاد كل عين من الأعيان الوجودية النورية، وكل كون من الأكوان العدمية الظلية في السماءِ أي الدورة العظمى الإلٰهية والدورة الكبرى الربانية النورية الجمالية في فرداريّة سلطنة العلم والحياة في التجلي الأسمائي في الدورة العظمى النورية بعنوان العلم، وفي الكبرى بصفة الحياة، وفي الوسطى بصفة القدرة، وفي الصغرى بصفة الإرادة.

﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ [الأنبياء: 5] إشارة إلى مقتضيات الأدوار الثلاثة الباقية المركبة من الأولية البسيطة المذكورة أعني السمع والبصر والكلام على طريقة اللف والنشر الغير المرتب وإلى الحركات، الأدوار الأصلية والفرعية دورية ومرتضياتها كورية متطابقة ومنسقة ومنتظمة متوافقة لا يفوت من الأعيان شيء، ولا يموت من الأكوانِ أمر بل أعيان الجمال وما يتبعها من الكمالاتِ الأولية والثانية والحالات الصورية والمعنوية، والحوارات الغيبية والمقامات القلبية والعلوم والإدراكات المتضاعفة، والمقامات البرزخية الإنسانية، ومقولاتِ الأعراض الحسية التي قد كثرت في غيب خزائنه، واختزنت في جيب دفائنه، وهو لوح محفوظ، أعني وكذا أكوان الجلالِ إذا كانت صريحة تكون مختزنةً في غيب كنزه وجيب حرزه، وهو لوح محفوظ الجمال، وكل ما أظهر وصدر ونزر من المبدأ الأعلى والنشأة العليا من الجواهِر الفاخرة والفواخر الظاهِرة والمعاني الغيبية، والمثاني الصورية والمعنوية في الدورة النورية والكورة الظلية ليستبطن شيئًا فشيئًا في غيب اللوح المحفوظ النوري، بل الجمالي والظلي الجلالي، إلى أن يتم مقتضى الدورة والكورة، وتنتقل توبة التربية من نور الجمالِ إلى غيب الظل والجلال، فخرج ما كان كامنًا في مخزن ملك الدورة من القوة والإمكان على صفائح الأزمنة والمكانِ، فتعين من أعين تلك الدورة طائفة بعد طائفة وفرقة بعد فرقة، إلى أن استكملت تلك الأعيان بأحوالها وأفعالها وأعمالِها الطبيعية البرزخية والكمالاتِ النفسانية والجمالات الروحية الإلٰهية الكتابية والربانية في برزخ الملكوت والجبروت إلى أن تمت الأدوار الجزئية والكلية والأكوان الظلية والجمالية.

﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 6] إشارة إلى أن أطوار الروحية ما آمنت وأذعنت الأطوار القابلية والنفسية والقلبية والسرية والروحية والخفية، وعنت الغيوب في ترتيب المخارج وتطريب المعارج على عكس تركيب المخارج بالصورة الجمعية الكمالية التي هي عبارة عن الإحاطة الكلية والهيئة الإحاطية بجميع الأطوار في جميع الأدوار النورية الأصلية والفرعية الإفرادية والجمعية التدريجية والدفعية التي هي في كل آتٍ، فإن أهلكناها عن خصوصية مقتضاها بظهور آيات الأنوار الكمالية والجمعي الكمالي، وكورت الأطوار الروحية والخفية، وعنت الغيوب والطور الخفي تلك الآيات الجمعية والاقتضاءات الكلية، لا استهلكت وانسلخت إياها عن خصوصيات مقتضاها، فانتفت عن كل منها وعن جميعها.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ﴾ يا الحقيقة المحمدية الجامعة لتمام مرتضيات الأطوار القلبية ومقتضيات الأدوار النورية الصريحة السارية متظاهرًا في الأدوار النورية الصريحة وفي الأكوار الظلية الضمنية الإفرادية والجمعية الأصلية والفرعية وجمعية الجمعية قبلك من الأعيان النورية الصريحة الإفرادية وجمعيتها ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ أي أعيان فاضلة بلغت إلى حدّ جمعية الجمعية ﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ من الأنوار الجمعية الإفرادية والأسرار الكلية ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ يا أعيان الأدوار النازلة أهل الذكر والكتاب الجمعي النازلة في الدورة العالية كالدورة الكبرى والدورة العظمى ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنبياء: 7] ذلك الكمال الجمعي ووصيته الإحاطية إشارة إلى مقدم الكمال الجمعي في هاتين الدورتين وما فيهما من الأعيان النورية الجمالية والأكوان الوجودية وما يستتبعها من الحالات الشهودية.

﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدًا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: 8] أي إنّا جعلنا كمال جامعية الأنبياء ومنه يجددهم في الكمال الجمعي المخفي في الدورة الصغرى التي تفيد الصورة الكثيفة الجسمية بل كون تطور الوجود دوريًّا وسره كوريًّا تتبدل وتنتقل أعيان كل مرتبة وأكوان أية دورة من مرتبة إلى مرتبة أخرى، فينتقل الكمال الجمعي من مرتبة الناسوت إلى مرتبة اللاهوت، الأحدية الذاتية النورية والجمعية العظمى الذاتية، فيبرز ما كان كامنًا ومكونًا في مرتبة الناسوت وأعيانها فتصير أعيان الدورة العظمى في المرتبة الواحدية في غاية العظمة بحيث لا يعلمون إلا الله، ثم يندرج

في الصغرى بحسب اقتضاء الأدوار الأخرى في مراتب الأدنى والمدارج السفلى، أي إن كانوا في غاية الصغر كما تندرج الملائكة من الصغر إلى أن يصيروا مثل الذباب كما ورد في الحديث من أن الملائكة كالنمل والذباب.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ قطعنا وفتنا ﴿مِن﴾ أهل ﴿قَرْيَةٍ﴾ قصمًا واقعًا عن غضب شديد وبارعًا عن سخط مديد، والقصم هو القطع الذي يبين الأجزاء ويفرقها بخلاف القِصَم فإنه كسر وقطع من غير تفريق ﴿كَانَتْ﴾ أعيانها وسكانها ﴿ظَالِمَةً﴾ متجاوزة عن الحدّ بالنسبة إلى أنفسهم وغيرهم ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنبياء: 11] أصلح منهم وأفلح منهم لتظهر فائدة الإهلاك والقِصَم والإنشاء وإبداء الوسم.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ وأدركوا شدة عذابنا وحدة غضبنا وعقابنا ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [الأنبياء: 12] أي من ديارهم يرهبون ويفرون ويهربون راكبين دوابهم مسرعين عليها منصرفين عنها إلى غيرها إلى ما أترفتم فقلنا لهم نبيهم أو يزورهم بواسطة الملائكة.

﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ أو لا تقربوا من ديارهم ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ﴾ أي إلى ما كنتم متنعمين ﴿فِيهِ﴾ فريهين عنده ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ وأماكنكم لسكونكم وتمكنكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: 13] غدًا يعني يوم القيامة عما صدر منكم وظهر عنكم وجرى بينكم وطرى عليكم، ونزل بأموالكم وأنفسكم من الحوادث والنوائب والأمراض، بأن السؤال من مقدمات أو يقصدون للسؤال، فإن الإنذار والتخويف بالأمر أشد من أن يقع فيه.

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ﴾ حين يرون العذاب ونزول العقابِ ولم يروا تجاه النجاة ولنا خاطبوا الويْل كأنه حاضر مشهود وظاهر لديهم ومتعدد ومحدود عليهم، ولذلك لم ينفعهم الجزع والفزع والاعتراف على أنفسهم ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 14]

قال ابن عباس المراد من القرية المذكورة هي الحصور وسحول قريتانِ باليمن ينسب إليها الثياب كما ورد كفن رسول الله ﷺ في ثوبين سحولين، وروي حصورين بعث إليهم بني قصاوة مسلط عليهم بحيث يضر من مع السيف فيهم، فنادى منادٍ من السماء بالسادات الأنبياء ندموا واعترفوا بالخطإ والذنوب حين لم ينفعهم الندم والاعتراف.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَـٰهُمْ حَصِيدًا خَـٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾ المقالة فهي يا ويلنا كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ [الأنبياء: 15] والدعوى بمعنى الدعوة كقوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [يُونس 10] وإنما سماه دعوىً لأن المولولين كانوا يدعون الويل فيقول اللّه تبارك وتعالى: يا ويل فهذا وقتك وأوان ظهور سلطانك وتلك يحتمل الرفع والنصب اسمًا وخبرًا وكذلك دعواهم ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَـٰهُمْ حَصِيدًا خَـٰمِدِينَ﴾ [الأنبياء: 15] أي مثل الزرع المحصود شبههم بين في الاستئصال والاصطلام كما يقول: جعلناهم ردمًا أي مثل الرماد، والضمير المنصوب وهو الذي كان مبتدأً والمنصوبانِ الأخيرانِ في حكم مفعول واحد نحو جعلته حلوًا حامضًا أي جامعًا للطعمين وجعلهم جامعين لجودهم الحصيد.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من العناصِر الباقية والمواليد الثلاثة وكائنات الجو وثواني النجوم وما سكن فيهما من الجانِ والشياطين وغيرهما ﴿لَـٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: 16] أي ما جعلنا هذه الأجسام والأجرام ذات لهو ولعب عبث مما لا طائل تحته بل مما لا تحصى بدائعه ولا تعد ولا تحصى ولا تنحصر عجائبه، ولا تنتهي حكمته ومنافعه وغرائبه، ولذا مطارح افتكار الأولياء ومسارح اعتبار العقلاء ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عِمرَان: 190 ـ 191].

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ [الأنبياء: 17] من جهة قدر ما بحيث

لا يصل إليه علمكم وتعقلكم وإدراككم أو بما من عندنا مما يليق لحضرتنا بالمجردات وأوائل الموجودات وبسائط المركبات التي هي من المحكمات التي لا تقبل التميز والفساد ولا يليق بها ما يليق بالمركبات من تغيير الحصادِ ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 17] لو أردنا أن يتخذها ويفعل بها لهوًا ولعبًا لاتخذناه لأني قادر على كل أمرٍ ممكن إلا أنه لكونه مخالفًا للحكم ما فعلته ما صدر عنا فالحكمة صارفة عن الاشتغال.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾ ونغلب ونحكم ﴿بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ تقديس وتنزيه له عن الاتحاد اللهو واللعب والسهو واستبعاد عما لا يليق بكمال حكمته وشمول قدرته وتقديس حضرته كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب وما لا فائدة في وجوده بل من مرتضى مشيئتنا ومقتضى حكمتنا وكمال استفتاءنا عن الفسح واللعب واللغو والعبث الصريح واللهو أن يغلب اللعب بالحد ويدحض الباطل بالحق واستعار كذلك التغليب القذف ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ ويلجئه وجعل حق الكلام كأنه جرم صلب وجسم غلب كالصخرة مثلًا قذف به وضرب على جرم رخو ضعيف قد تميز وتجه أي فيضرب رأسه وشجه وكسره وقطع لحمه حتى بلغ إلى الحجاب الرقيق الذي قد حلل الدماغ وأحاط به، ويسمى بأم الدماغ هذا تصوير لإبطاله وإرهاقه وإهداره وإمحاقِهِ ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ﴾ هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره ترشيح المجاز ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 18] به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال و(ما) مصدرية أو موصولة.

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الأنبياء: 19] خلقًا وملكًا وكوكبًا وبروجًا ودرجًا ومروجًا قال النبي ﷺ: «**على عرش الخليل جل جلاله ثلاثمائة وستون بُرجانًا قوية حمراء وزمردًا خضراء أو ياقوته بيضاء كل برج أوسع من الدنيا**

بسبعين ألف مرةً» ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي الملائكة المقربون لا يعرضون ولا يتخلفون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ ولا يتعظون منها ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: 19].

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي لا يتباعدون عن العبادةِ ويسبحون أي في جميع أجزائهما وساعاتهما ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: 20] ولا يتركون لحظة وساعة بيان ودليل وحجة وبرهان على ما تقدم.

إشارة وتأويل

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ [الأنبياء: 11] إشارة إلى أحوال الأدوار الأربعة التي هي من فروع الدورة الصغرى لما تحقق من أن كل دورة من الأدوار الأربعة النورية الأصلية أدوار أربعة أخرى، وإن كل دورة من الأدوار الأربعة الفرعية مجبولة على ذوات جزئية كثيرة ونشأة وشؤونات جزئية كما نشاهد في زماننا هذا وأن في كل دورة فرعية وأصلية تنتقل الفرداريّة من دورة إلى دورة أخرى فيظهر في كل انتقالٍ ساعة وتقوم قيامة بأن يتبدل طور الدنيا إلى طور الآخرة وطور الآخرة إلى طور الدنيا بأن يستبطن صورة الدنيا وتظهر صورة الآخرة، وتتعين أحوالها وتتبين أطوارها، القيامة نوعان كلية وجزئية، أما الكلية فهي أن يفتري يوم القيامة والاختفاء والاستهلاك والانتفاء في جميع أجزاء الدنيا أعني السماوات ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم 48]، ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: 1، 2] الآيات وغير ذلك من الآيات الدالة على فناءِ الدنيا وما فيها من السماوات والنجوم، وألقيا حروفًا يتركب منها وأما الجزئية كإهلاك قوم وإنشاء آخرين ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنبياء: 11].

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ﴾ [الأنبياء: 12] وأدركوا اشتراط الساعات النفسية والآفاقية، وأما النفسية وكذا الآفاقية فقدمنا في سورة النحل في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [33] إلى آخرها، بأن طلوع الشمس من المغرب ما في النفسية، فإن شمس الروح النفس الناطقة تتوجه وتطلع من مغارب الأجسام إلى مشارق عالَم الأرواح والعقول ومطالعِ عالم الواحدية لدى قيام القيامة

النفسية وأما الآفاقية فلأن المعنى بالانتقال هو التقلب والتبدل والانعكاس والتحول بأن يصير الظاهر باطنًا والباطن ظاهرًا فلا محالة يصير الشرق غربًا والغرب شرقًا والقيامة توضع وأيضًا إن مقتضى الدورة النورية الجمالية يخالف مرتضى الدورة الكورية الظلية الجلالية، فكما أن مقتضى الدورة النورية بأن يكون المغارب والمشارق وما بعد ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48] وهي القيامة النورية الجمالية التي كانت في ضمنها حقيقة فعند انتقال فرداريّة الدورة ونوبة التدابير في كورةٍ انعكس الحكم في جميع الأحوال وتمام الأعمالِ وفي القيامة بوضع الميزان والصراطِ، ويظهر منها ديوان الحسابِ وتعرض الخلائق على الجنة والنار إذا هم منها يركضون لا ينسلون من أطوار الدنيا إلى أكوار الآخرة.

﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ أي لا تركبوا مطايا ما بدا لكم من الدورة المنتقلة منها بل انتقلوا منها ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ﴾ إلى مطايا أبدان الدورة المنتقلة منها، بل انتقلوا وارجعوا ﴿إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ أي في هذه الدورة الطور المنتقل إليه في ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ التي كنتم فيها أي في الأدوار السابقة ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: 13] ونظهر فيكم أي في نشآت هذه الدورة ما ظهر لكم في تلك الدورة بأطوار أخر وأحوال أخرى وأبهر لما تقدم من الأطوارية الوجودية وأحوالِها كورية متعاكسة أخرى ومتناكسة كرة أخرى إلا أنها لما كانت في الأدوار النورية الجمالية الأصلية والفرعية الإفرادية والجمعية ينكرون الأعيان بعينها بأطوار مختلفة في أنوار منقطعة متغايرة وتطابقت من حيث الغيبية لا الحالية والوصفية، وإلا لكان الدور والكور عبثًا، وأما انتقلت الدورة من النور إلى الظل، ومن الوجود إلى العدم، ومن الحدوث إلى القدم فتصير الأعوان منتكسة بأن يرى السماوات سافلة والأرض منعكسة عاليةً مرتفعة ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48] وينعكس النور ظلمة والظل نورًا والوجود عدمًا والعدم وجودًا، وتتعين الآخرة وتظهر وتبطئ الدنيا وأجزائها، ويصير الملك أمرًا ما أو الشياطين أملاكًا والعناصِر أفلاكًا والأفلاك أملاكًا والجن إنسًا والبر بحرًا والبحر برًّا أو غير ذلك من الأعيان النورية الجمالية إلخ يصير أكوارًا وجلالنا ملكنا وعلى هذا سائر المتقيدات والبشائر ظاهر.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١﴾

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً﴾ بل اتخذوا الهمزة قد أذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعد، والمنكر هو اتخاذ الآلهة المتعددة ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ صفة آلهة أو متعلقة بالفعل على معنى الابتداء إشعار بأن أول ما اتخذوا آلهةً هو مما نشأ من الأرض كالأصنام المأخوذة من الجمادات أو لا من الخشب والحجارة وغيرهما ثم من غيرهما كالحيوانات والكواكب والملائكة، فالإنكار يعم الكل ﴿هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ [الأنبياء: 21] الموتى لما من خصائص آلهة ولوازمها هو البعث والإنشاء لاقتدارهم على جميع الممكنات وهو تهكم بهم وتجهيلهم وتقبيح حالهم والإشعار بسوء حالهم وقبح أعمالهم لأن من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى والموات وأن يبعثهم وضمير الفصل يعني الاختصاص بالفصلِ هذا من لوازم ادعائهم، وإن لم يعرجوا به إذ شاء أن الاقتدار على كل الممكناتِ.

﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾

﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي آلهة متعددة وأرباب متبددة إلا الله غير الله، وصف بإلّا بمعنى غير ليتعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها، لكون هذا الاستثناء منقطعًا ودلالته على ملازمته الفساد لكون الآلهة فيهما دونه، والمراد ملازمته لكونه مطلقًا أو معه حملًا لها على غير كما يستثنى بغير حملًا عليها، ولا يجوز الرفع على البدل لأنه متفرع على الاستثناء ومشروط بأن يكون كلامٍ غير موجب ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: 22] لبطلتا وعدمنا لما بينهما من التمانع وإمكان التخالف والتدافع فإنها إن توافقت الآلهة في المراد تطاولت عليه القدرة، وإن ما تخالفت فيه تعاقب الفساد وإن كان يتولاهما، وتدبرا بأمرهما آلهة شتى عن الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا.

وفيه دلالة على أمرين:

أحدهما: وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحدًا.

والثاني: أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده لا شريك له، وذلك من البين أن الرغبة ومساكنهم بغير تدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتذاكر والاختلاف عادة.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ الكريم المحيط بالأجرام الدائمة والأجسام الغالبة البسيطة والمركبة وهو محل التدبير ومحل التقدير ومحل المقادير في عالم الملكِ والشهادة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 22] من الشريك واتخاذ الصاحبة والولد وغيره من الصديق والشريك.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ من التدبيرات الروحانية والتقديرات الجسمانية والاستحالة إحاطة القوة البشرية بها لأنها غير متناهية، وقوة البشرية متناهية أو لكون بعض مقدوراته بل كلها في غاية وفي نهاية اللطافة والرقة أو لكمال عظمةِ سلطانه وحقيقته وإتقانه ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: 23] لكونهم مأمورين أو مملوكين، هذا إذا كان الضمير عائد إلى الآلهة وأما إذا أعيد المسئولين عنهم فهو هذا.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ تكراره لاستعظام إشراكهم والاستسلام بقبح حالهم وشامة معادهم ومآلهم ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على ما ادعيتم من تعدد الآلهة واستحقاقهم للمعبودية ﴿هَٰذَا﴾ القرآن والكلام الفارق والفرقان ﴿ذِكْرُ مَن﴾ يكون ﴿مَّعِىَ﴾ من المهاجرين والأنصار ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ من كان من الأنبياء النازلة عليهم الكتب التي فيها الشرائع والأحكام وخواص الأشياء والحروف والأسماء ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ من الأمم السالفة والأمم الخالية كانوا ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ ولا يتميزون بينه وبين الباطِل وذلك لسوء فهمهم وبؤس قهرهم وفتور أفكارهم وقصور أنظارهم ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 24] من الحق ويظهرون من الأديانِ الحقة والطريقة الشاقة والأحكام الدائمة والعلوم الحقيقية والمعارف الحقة والدرايات المنفية والإدراكات المغنية.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25] بيان لما يوحي إليه وهو التوحيد وما يترتب عليه وهو الأمر بالعبادة

ونون وقاية مكسورة دالة على ياء المتكلم المحذوف.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ نزلت في حذاقة حيث قالوا الملائكة بنات الله لعلهم أرادوا لها أن الذات الواجبة كما في فاعلِهِ بذاته كذلك يدل منه فاعله لا أثر ولا تأثير إلا منه ولا مؤثر إلا هو ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيه لنفسه بنفسه ﴿بَلْ﴾ هم أي الملائكة ﴿عِبَادٌ﴾ مخلوقون ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26] ومكرمون.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ﴾ ولا يتقدمونه ﴿بِٱلْقَوْلِ﴾ والأمر بالعبادة أو التكوين أو التخليق أو الإبداع والإنشاء والاختراع بل يتقدم على المخلوقات ذاتًا واسمًا وفعلًا وأمرًا وقولًا ﴿وَهُم﴾ أي الملائكة ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ وحكمه وقضائه ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: 27] والجملة حالية خالية تقرير أمر الألوهية وتقدمه الذاتية والوصفية والفعلية.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿يَعْلَمُ﴾ الله الحق بعلمه الذي هو في الحقيقة عين ذاته لأن غيره عدم ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من الدنيا والآخرة وأحوالها الثابتة والمتغيرة ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾ أي الملائكة ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ الله وأهل للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ﴿وَهُم﴾ أي ثم أنهم مع هذا كله ﴿مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾ ووفور مخافتهم ﴿مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 28] متعبدون ويواظبون على عبادته وطاعته ولا يؤمنون من مكر الله. عن رسول الله ﷺ أنه «**وافى جبرائيل عليه السلام ليلة المعراج ساقطًا فجلس من خشية اللّهِ**».

﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ﴾ أي الذي قال هذا القول ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ إشارة إلى كمالِ استغناء الله ووفور عظمته بأن الملائكة مع الله تعالى مع أنه أكرم منزلهم ولا فرق بينهم وبين سائر العباد في استحقاق العذاب ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 29] الواضعين العبادة والطاعة في غير موضعها.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ شيئًا واحدًا قد أحاط بها صورة واحدة وهيئة متحدة من غير أن التميز في الوجود والتعين أحدهما عن الآخرِ ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ وفصلناهما وفرقناهما عن الآخر متميزًا ومتعينًا بأن جعلناهما موجودين بوجودين مختلفين، الأول: طبقات محيطة أحدهما على الأخرى إلى التسعة، وكذا الثانية سبعة طبقات في كل طبقة مخلوقات كثيرة ولا يعلمهن إلا الله، قيل كانت السماوات لم يمطرن والأرضين لم ينبتن ففتقنا السماوات بالمطرِ والأرض بالإنبات، الرتق في الأصل هو الجمع والإجمال صالح لأن يقع موقع مرتوقات بمعناه أنهما كانتا شيئًا واحدًا ارتقاء جميعًا جعلناهما أشياءً كثيرةً وصورًا كبيرةً ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [الأنبياء: 30] الذي خلقه الله أولًا ثم نظر إليه نظرة هيبة فتزبد وترسب، فمن زبده خلق الله السماوات، ومن رسوبه خلق السماوات والأرض، كذا في التوراة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هُود 7] الآية، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ ومن السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما وهي إشارة إلى أن كل الأشياء العالية والسافلة البسيطة والمركبة حيّ بالحياة الإلٰهية ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30] بأن كل شيء حي بنوع من الماءِ، أما الذي له حياة حسية فهي كالإنسانِ والحيوان والنبات، فإن آثار أنوار الحياة فيها ظاهرة، وأما المعادن فالحياة فيها قد ظهرت بالصورة النوعية التي هي أول ما ظهر من عالم الحياة في المركبات الأول، حفظت هذه الصورة النوعية بسائط تلك المركباتِ عن الانفكاك وعن الافتراق والانفراق، وكذا الحفظ لبسائط سائر المركباتِ عن التفارق، وكذا ميز صاحبها عن غيرها، وأما الحياة النفسية كهيئات الأفلاك والنجوم التي ظهرت، التي حركها الله ودبر بها أمور السفليات والعلويات من البسائط والمركبات، وأما الحياة العقلية كحياة العقول والأملاك الموكلة لتدبير الأفلاك والأملاك السماوية، ففي كل مرتبة من مراتب الإمكان للحياة، والماء الذي هو أصلها وقوتها ارتضاء تناسب اقتضاء الحياة.

إشارة وتأويل

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ [الأنبياء: 21] تلويح وإشارة إلى تفاوت درجات السائرين إلى اللهِ على مقتصر الأدوار ومرتضى الأطوار فمنهم من اقتنع في الطور القالبي بالصفات النازلة من التجلي الآثاري الحاصل من العبادات البدنية والطاعات الجسدية كالصلاة والصوم والحج والجهاد والزكاة، ومنهم من اقتنع بتزكية النفس وتحسين الأعمالِ وتزيين الأفعالِ، كالفقه وما يتفرع عليها والشجاعة وما يترتب لديها والحكم وما يتولد منها، والعدالة وما يتبعها فكثير من الزهادِ والعباد قد يفيدوا بدرجة تحسين الأعمالِ وتبديل الأخلاق واقتفوا بالصفاء الحاصل من هذه الأفعالِ والأخلاق وتبدل الأوصاف المنعكس والتجلي الأفعالي.

وأما الذين اتقوا بالطور القلبي وبتصفية القوة النظرية والعملية فيفرحوا بالإدراكات العقلية والدرايات الفعلية هي انعكاسات التجلي العلمي، وهذه الفرق ليس لهم حظ من شهود نفس التجلي، أما صاحب سائر الأطوار التي يظهر لهم التجلي الذاتي والأسمائي والأقوالي والأفكاري فمنهم من يعتكف على شهود التجليات الآثارية وأنواعِها وأطوارها وهي شهود ظهور الكمال ونور الجلال بصور الكواكب كما شاهد الخليل بصورة العناصر، وكما شاهد موسى بصورة النار والمركبات، وكما شاهد الحبيب بصورة الإنسان وغير ذلك. ومنهم من يتصور على شهود التجلي بصورة الأفعال وبالتكوين وتصور الأرواح، ومنهم من يشاهد ويصور الأسماء وبظاهرِ الصفات الذاتية، ومن يتصاعد إلى أوج التجلي الذاتي وشاهد الذات الأحدية بالوجوه الذاتية والنعوت الأحدية، ومنهم من يجامع الكلي ويشاهد الذات بتمام الأسماءِ والصفات والأفعالِ والآثارِ وعموم الآثار في مرتبة الناسوت في الصور الكامنةِ الكاملة الإنسانية والهيئة الجمعية بحيث الإلٰهية والكونية، وتكوين التفصيل عين الإجمال والكثرة غير الوحدة بعد الشرك ووصولها إلى غايتها، أو في مرتبة الأحدية الجمعية بعد الترقي وتجريدها عن الصور التفصيلية بحيث يكون الإجمال عين التفصيل في الطور السري الفؤادي، والطور الروحي والخفي وغيب الغيوب والجمعي، كما أشار إليه قوله عليه الصلاة والسلام: «**لي مع الله**

وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل».

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ﴾ أي في أسماءِ أدوار النورية الجمالية الوجودية وفي الأرض الأكوار الظلية الجلالية العدمية المتعددة وذوات مدبرة ربوبية الأشياء عن الذات الأخيرة المستجمعة لتمام الأسماء والصفات الذاتية والأفعالية والآثارية والصورة الجمعية ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أي لبقيتا على العدمية لأن تعدد الذوات على هذه الصفة والهيئة الجمعية ممتنع فضلًا عن أن يقال يجوز أن ينفقوا على النظام الموجود بثبت العرش ثم الفرش، هذا من أظهر الضرورات لدى أرباب الألباب الصريحة والأذواق الصحيحة، مجردة عن القيود الوهمية والحدودِ الخيالية، فإن العقل كما تثبت بدليل الوهم راحمة وناقشةً في مدركاته وصرفه عن مسالك الصواب إلى مدارك العقابِ، إشارة إلى أن العلم بالوحدة والتوحيد والبرهان عليه قبول فطري ضروري لا نظري إلى أن يحتاج بالنظر إلى بعض الإذعان إلى تنبيه ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ عما يدركه العقل ويطمع على كنه ذاتِه وحقائق أسمائِه وصفاته بالعقل والتقديسِ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 22] بعقولهم.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ عن كيفية فعله وكمية حكمته لأنه خارج عن حسن الأدب ولأن العقل يتلاشى إذا يتوجه إلى سرادقات غرته وسبحاتِ أنوار غيب هويته وإشراقات شعاشع شموس أسمائه وصفاته، ولأنه يتصرف في ملكه كيف يشاء، فليس لأحدٍ أن يقول لا عقلًا ولا شرعًا ولا عرفًا ولا عادةً لم فعلت فكيف فعلت وأين فعلت ومتى فعلت وكيف عملت وهو حكم حاكم مطلقًا، فعال لما يريد، ما شاء كان وما لم يشأ ويفعل ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: 23] لأنهم مملوكون محكومون مكلفون.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ إشارة إلى تعدد موطن التدبير الإلهي ومعطن التقدير الرباني وهو النور والجمال والظل والجلال والوجود والعدم والحدود والقدم وصور جمعيتهما وهيئة معيتهما ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [الأنبياء: 24] الفطري وتبيانكم الأولي إشارة إلى ما ذكرنا منه التوحيد، وبرهان فطري علمه الله تعالى في الفطرة الأولى كل أحد بل كل ذرة من ذراري وجود الرحمٰن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ أي هذا التجلي العلمي والإدراك الحكمي الذي هو حالي وحالتي الآن في هذه الدورة والنشأة الحالية الجمعية.

﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ في الدورة المتقدمة من الأدوار النورية الإفرادية، أو المراد معي هو المولود إن من كان في الدورة النورية الجمالية، ومنه من قبل ومنه معي هو المولود الجني الضمني كان في كورة الظلية الجلالية الإفرادية أو المراد من الأول هو من كان في الدورة والكورة الإفرادية ومن معي هو الدورة الجمعية ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ من أعيان الأدوار وأكوان الإفرادية ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ الذات المستجمعة لجميع الأسماءِ والصفاتِ إشارة إلى أن أعيان الأدوار وأكوان الأكوار دورية متطابقة وكورية متوافقة ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 24] عن وحدة الكمال الجمعي وأحدية الجمع الكمالي إلى التشبه الإمكاني.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ﴾ في تمام الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية ﴿إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25] وحدي في تمام الأدوار وعموم الأكوار بكل الأطوار.

﴿وَقَالُوا۟﴾ المترددون في الأدوار ونشأتها لعدم اطلاعهم في فرداريّة قوية حكمها على مقتضيات الأطوار ومرتضيات خصائص أدوار الربوبية ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [الأنبياء: 26] أي ظهر منه أولًا الجواهر الملكية في فرداريّة النور والجمال والسرائر الغيبية في فرداريّة حكم الظل والجلالِ، ولذا لم يتحايل الأوائل من اطلاق الولد والتوالد على الله تعالى إلا أنه لما شاع استعماله في المركبات منع اطلاقه على الله تعالى لإبدائه بالتركيب الملتزم والاحتياج والإمكان الخاص.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء: 30] أي كانت مقتضيات سماء النور والجمال ومرتضياتِ أرض الظل والجلال في أحدية الجمعية الكبرى وهي الإحاطة الذاتية والهيئة الكلية الحاوية على أدوار الوجود والأكوار العدمية وعلى ما ترتضيه الأدوار وتقتضيه الأكوار من الأكوار والأعيان، وما تبين في الوقت المطلق في جمعية الجمعية وأنواعِها مجملة مجتمعة موجودة بوجود واحدٍ إجمالي أحدي ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ وفصلنا كلًّا منهما بإخراج ما كان مختبئًا فيهما من الأعيان بأجناسها وأعيانها وأصنافها وأشخاصها وبخصائصها ولوازمها الذاتية والوجودية وعوارضها الشخصية من الكمالات الجوهرية والعرضية من الكمية والكيفية والحالات السببية والإضافية وغير ذلك من الشخصيات والمعينات من القوة والإمكانِ إلى الفعل في الزمانِ والخير

والكمالِ ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ أي خلقنا أولًا من الحياة الإلٰهية التي هي مادة الأرواح وسؤالًا للجواهر الروحية التي كالأبدان للأعيان النورية الوجودية والأكوار الظلية العدمية، ثم من الماءِ العلمي الذي كالروح لتلك الأبدان، فظاهِر الأعيانِ وباطنها هي الحياة ولذا وصِف ﴿كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30] بخلقنا هذا.

﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ أي جبالات شامخات وأجسامًا مرتفعاتٍ ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أي كراهة أن تميد الأرض، واضطربت وتشوشت أمور معاش سكانها وأحوالهم لعدم تمكنهم من العبادة يشعر بأن جرم الناسِ من كرى متساوية النبت بالأفلاك والمركز وكل ما وقع على وجه الأرضِ ويبسطها من الأجسام وإن كانت الأبدان، يرد ذلك الجزء على غيره فيتحرك الأرض لما تحقق من أن نسبة أجزائها إلى الخارج والداخل والمركز على السواءِ، فكلما وقع عليها يخرجها عن تساوي النسبة، فلا بدّ أن تتحرك الأرض شمالًا وجنوبًا شرقًا وغربًا، فحكمة الله تبارك وتعالى اقتضت أن يقع على أطرافِ الأرضِ أجسام جِسام وأجرام عظام على وجه يمكِّن الأرض ويزول عنهما ذلك الاضطراب، وصارت وقارًا وسكونًا وقرارًا ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ طرق أسهل وإشعار أي قدم الفجاج مع أنه وصفه ليصير منها مما لا يقرر حالها وشعر بأنه ثابت له غير زائل عنه ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: 31] ويصلون إلى كمال حكمته ووفور قدرته وقوته إشارة إلى تكوّن المعادن بأنواعِها المختلفة وأجناسها المتغايرة.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾ وأجرامًا مرتفعة عالية ﴿مَّحْفُوظًا﴾ عن طرق الفساد وتفرق الأجزاء بالإبداء ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ الدالة على كمال قدرته ووفور حكمته وقوته وعلى وحدانيته وضنية فرداريّة ﴿مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 32] منصرفون أو محفوظًا عن استراق السمع بالشهب.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ بواسطة الشمسِ كما ذهب إليه الحكماء أو بلا واسطة بل خلقهما قبل الشمس والقمر والكواكب الحسية والسماوات جمعًا، ويجوز أن يكون خلق السماء مقدمًا على الليل والنهار فإن في الآخرة والجنة والنار لا شمس ولا قمر كما ورد في الحديثِ النبوي والقدسي كل واحدٍ من الكواكب الثابتة والسيارة وإفرادهما بالذكر للشهرة والتعظيم، أو إشارة إلى ما ذهب إليه طائفة من القدماء على أن الله خلق الشمس والقمر ثم خلق البروج عينها، ثم خلق سائر الكواكب لباسهما تبين متلاصقين وهما السرطان والأسد ثم عين من حيز بيت الشمسِ وهو الأسد بيتًا لعطارد وهو السنبلة ومنه حيز بيت القمر بيتًا آخر لعطارد وهو الجوزاء وهكذا غيره، والزهرتين وهما الثور والميزان وهكذا عين المريخ من حين تبين وللمشتري يتبين وللزحل تبين مثلا صفتين وهما الجدي والدلو، فالأول يقابل بيت القمر والسرطانِ والثاني مقابل بيت الشمس وهو الأسد، وسيجيء بقية من الكلام في التأويل في هذا المقام.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ ثم بعد خلقهما خلق الشمس والقمر كما يدل ظاهر سوق الكلام، ونظهر إذا الليل النهار معين، فالزحل في الفلك السابع والمشتري في السادس، والمريخ في الخامس ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ الشمس في الرابع، والزهرة في الثالث، وعطارد في الثاني، والقمر في الأول، وأما الكواكب الثابتة ففي الفلك الثامِن، هذا هو المشهور ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33] بتسبيحات متغايرة، فإن لكل واحدٍ من الكواكب السيارة أو الثابتة بل لكل جزء من أجزاء الفلك والأرضين وما بينهما تسبيح يغاير تسبيح الآخر ﴿وَإِن مِّن شَىۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ﴾ [الإسراء 44]. قال النبي ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون وأسمعُ ما لا تسمعون، أن السماء أطّت وحُقّ لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا فيه ملك واضع جبهته ساجد لله عز وجل، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولجرحتم إلى الصورات تجأرون إلى الله تعالى**».

وفي هذا التعميم إشارة أيضًا إلى ما ذهب إليه بعض من المتأخرين من أن

لكل كوكب من الكواكب الثابتة فلكًا مستقلًّا يكون مركزًا لكل مراكز العالم وأقطاب الجميع متساوية ومناطقه متطابقة وجهات حركاتها متحدة ومقدارها متساوية وهكذا مجاورها متطابقة، فحيث يرى من مجموع الحركاتِ حركة واحدة وقد صدق هذا الرأي بطليموس وقال إلا أن هذا الأمر فاضل لا حاجة لنا إليه إذ ضبط هذه الحركات الغير المتناهية يحصل لنا بفلك واحد وهو الفلك الثامن ولا يلتفت إلى ما ليس في مطالبنا إليه احتياج، وهذه الجملة حال من الشمسِ والقمر وما يعطف عليهما، أو من النيّرين وجمع ضمير العقلاء يشير إلى أن الكل ذو عقل وتميز خفي كما تقدمت الإشارة بل العبارة إلى هذا.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: 34] نزلت حين قال الكفار للمسلمين بأن محمدًا سيموت فتشمتون أنتم بموته فنفى الله عليهم الشماتة بأن الله تعالى قضى في سابق علمه وسابق قضائه وحكمه بأن لا يخلد في الدنيا بشرًا لا أنت يا محمد ولا غيرك لا قبلك ولا بعدك، يعني لا أنك تموت والكفار خالدون لا بل الكل فانٍ ولا يبقى إلا الله.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ وذات ملكًا كان أو ملِكًا أو غيرهما من العنصر يأت ﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ والاستهلاك والفناء والفوت فالإدراك بطريان الموت وحين بان الفوت على كل نفس برهان على الحكم السابق ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ أي بالنقم وطريان أنواع البلاء وجريان أصنام الآلاء والنعم ﴿فِتْنَةً﴾ وابتلاءً واختبارًا مفعول مطلق من غير لفظه ليتميز الموافق عن المتذلل المرافق ويبرز المحب الصادق من المحب الغير واثق ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35] فيجاز حكم على المسايرة على المحن والشدائد والفتن والصدائد تقرير لما سبق.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَإِذَا رَءَاكَ﴾ [الأنبياء: 36] الكافرون الجاحدون لرسالتك ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾

بالله ونبوتك وبما جئت به ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ وسخريًا واستخفافًا حيث قالوا ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى﴾ بعث الله رسولًا ﴿يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ بالاستخفاف والاستحقار والاستعجاب ظنًّا منهم أن النبي والرسول لا يكون إلا ملكًا كريمًا ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بالفردارِيّة ونعت الوحدانية ﴿هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [الأنبياء: 36] والجملة الحالية تقرر كفرهم بذكر الرحمٰن أي هم على حال هي أصل الهزؤ والسخرية وهي الكفر لعناده.

﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ۝٣٧﴾

﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ﴾ أي من الصور المتضادة الداعية كل منها إلى الانفكاكِ ليرجع إلى النتيجة الطبيعية ووجهه الوضعي بلا إمهالٍ ومهلة وإهمالٍ، فيحصل في طبيعته وحقيقته الجمعية نعت وصفة وهي العجلة يستصحبها الشيطان لقولهﷺ: «**العجلة من الشيطان والتأني من الرحمٰن**» ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ [الأنبياء: 37] بآياتي وعذابي في الدنيا كواقعة البدر، وفي الآخرة وهي الخزي العظيم، نزلت في نضر بن الحارث وأضرابه حيث سمِع العذاب فاستعجلوا به.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ أي الذي وعدتنا به ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنبياء: 38] في هذا الوعد، فعلى مقتضى كمال رأفته وعموم عاطفته إنه نهاهم عن الاستعجال في زخرهم وقدمهم، أو لآدم الإنسان على الاستعجال الطبيعي، وقد ظهر عن ابن عباس رضي الله عنه إذا بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه أراد أن يقوم.

وروي أنه لما دخل الروح في عينيه قبل أن يدخل في بطنِه نظر إلى ثمار الجنة ولا دخل جوفه، ونزل بطنه اشتهى الطعام واستدعى طرفه قبل العجل للطين، وليس هذا النهي من تكليف ما لا يطاق يدخل، ولأن الكف عن الاستعجال إنما يكون بقدرة الله الكاملة التي استطاع بقدرة الله وتوفيقه وتمكينه إياه عنه كما ركب الشهوة فيه ورتبها وأرغبه إليها إرغابًا ملجأ وأمره أن يغلب عليها بالقدرة الكاملة التي استطاع لها على قمع الشهوة ورفع الشبهةِ.

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لو هنا للتمني أي ليت يعلمون الوقت يستعملون عنه، قولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد يحيط به فيه النار وراءً وقدامًا ويمينًا ويسارًا فلا يقدرون على دفعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرًا ينصرونه، ويجوز أن يكون للشرطية وجوابه أي لو يعلمون هذا الوقت الموصوف بهذا الوصف لما كانوا بتلك الصفاتِ من الكفر والاستهزاء والاستعجال، ولكن جهلهم هو الذي هونه عندهم، ويجوز أن تعلم متروكًا بلا تعدية أو لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الأنبياء: 39] أي دفع عذاب النار، حين منصوب بمضمر أي يعلمون أنهم كانوا على الباطلِ ولا ينتفي عنهم هذا الجهل العظيم أي لا يمنعونها ولا يقدرون على كفها ودفعها.

﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ النار والساعة والحين أو الموعدة أو البعثة نفخهم ﴿بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تغلبهم يقال للمغلوب في الحاجة متهوب، ومن بهتِ الذي كفر أي غلب إبراهيم الكافِر ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء: 40] أي لا يملكون دفعها وإزالتها ولا هم يمهلون ورأيت كون في الدنيا ولا في الآخرة.

إشارة وتأويل

﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي خلقنا في الأرضِ ﴿رَوَاسِيَ﴾ أي أرض القابليات في فرداريّة النور والجمال وجبال الظل والجلال، أو جبال أعيان مقتضى أرض أدوار النور وتلال أعيان أنواع أكوان الظلال وشوامخ أطوار مرتضياتِ الظل والجلال في فرداريّة طرحةِ اقتضاء النور والجمالِ مخافة ﴿أَن تَمِيدَ﴾ الأرض عن مخافة قابليات الظل، ويميل ﴿بِهِمْ﴾ أي يظهره من مرتضيات كورة الجلالِ ويغلب على مقتضيات دورة النور والجمالِ، فيخفي أعيانها في غياهب دياجير ظلمة أرضِ مقتضياتِ الظلالِ ويبقى على خفاء عدميتها إشارة إلى أن لكل دورة من الأدوار، ولكل كورة

من الأكوار الإفرادية والجمعية الأصلية والفرعية صريحًا وارتضاءً ضمنًا جريحًا.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ إشارة إلى أن الأكوار الكامنة في أرض القابليات الكائنة في غيب الجلالِ وهو الجمال، وإلى أعيان النور والوجود والجمال الكائنة في أراضي القابليات الكامنة في غيب الجلال وهو الجمال، أو إلى أعيان النور والوجود والجمالِ والظل والجلال كامن في أرض الآخر كمون الليل في النهار وكمون النهارِ في الليل، والآخرة في الدنيا، والدنيا في الآخرة، ويكون الروح في الجسدِ والجسد في الروحِ إلا أن مقتضى أحدهما إذا كان صريحًا وظاهرًا فصيحًا لا بدّ أن يكون مرتضى الآخر ضمنًا خفيًّا وباطنًا حفيًّا، ولذا عن الصراحة بالراسياتِ ومن الضمير بالسيل الملتصقة بالأرض، وتوصيفه بالفجاج إشعار بسبعة مقتضى الأكوار ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: 31] بشهود نور الوجهِ وظهور الجمالِ في أدوار الوجوهِ ومقتضياتِ أطوار الكشف والشهود الإفرادية الصريحة ومرتضياتِ الظل والأكوار الضمنية.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ أي سماء اقتضاء الأدوار النورية الصريحة ﴿سَقْفًا﴾ ظاهرًا وصنعًا باهرًا وعن كدورات الاختفاءِ بريًا وظاهِرًا ﴿مَّحْفُوظًا﴾ عنِ تطرف الاختلال والفترة والإضلال ﴿وَهُمْ﴾ [الأنبياء: 32] أي أعيان الأدوار النورية وأكوان الأكوار الظلية الإفرادية ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ وإمارات دورة إماراتنا العظمى الجمعية وكميات كورة الكبرى الظلية الضمنية الخفية ﴿مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 32].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ﴾ أي الأكوار الظلية الضمنية والأكوار الجنسية العدمية ﴿وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ﴾ أي الأدوار النورية الجمالية الوجودية والشمس أعيان ادعاء النورية ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ أي أكوان الأكوار الظلية ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33] عيّن الله تعالى لكل عين من الأعيانِ النورية الجمالية، ولكل كون من الأكوان الظلية الجلالية ولكل كوكبٍ من الكواكب السيارة والثابتة في كل فلك من الأفلاكِ الجسمية والروحية والنفسية والعقلية التسبيحات خاصة وتقديسات خاصة كلية كما في الدورة الأصلية من الأدوار الأربعة النورية، أعني العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، الإفرادية والجمعية والجزئية كما في كل يوم من الأيام بل في كل ساعةٍ بل كل آنٍ من الآيات الزمانية، بل لكل شيء من الأشياءِ الوجودية والعدمية تقديس وتسبيح ذاتًا وأسماءً وصفةً.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ﴾ غيرك يكونُ في دورة متقدمة على دورتك في تلك الأدوار المذكورة والأكوار المزبورة ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ أي يكون في دورة قبل دورتك حقيقته المحمدية ﴿ٱلْخُلْدَ﴾ الدوام الغير المنقطع فإنه محال لتناهي الأدوار وانقراض مقتضياتها، وليست دورةً قبل دورتك كما قال: «**لولاك لما خلقت الأفلاك**» ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ﴾ يا صاحب الدورة العظمى النورية ﴿فَهُمُ﴾ أي الأعيان في الأدوار النورية التي هي أقل مدة ﴿ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: 34] الناهون الدائمون أبدًا بلا انقطاع، وهو محال ظاهِر.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ عند انقضاءِ دورة تقتضي ظهورها ووجودها وبقاؤها ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ بمقتضى الجمالِ والجلالِ وتناقض الاقتضاء كرهًا، ومخالفة ارتضائهما، وانقراضِ اقتضائهما ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35] عند استكمالِ اقتضائهما وانقطاعِه.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ﴾ وشاهدك عند التنزل من الأحدية الجمعية والجمعية الأحدية التي هي بداية كل دورة وفاتحة آية كل كورة النهاية ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [الأنبياء: 36] أي لا ينظرون إلا إلى ظاهرك المحسوس، والمحجوب عن سر حقيقة باطنِك ولذا أحضره ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي أرباب الأدوار الإفرادية المخصوصة المندرجة تحت سلطان كمالِ جمعية حقيقتكم السارية في تمام أعيان أنواعِ الأدوار النورية المنسوبة إليه ﴿وَهُم﴾ أي الأعيان الإفرادية ﴿بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي الذات الجامعة لتمام اقتضاء الأدوار والأكوار الإلٰهية والكونية ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [الأنبياء: 36] سائرون خصوصية تعيناتهم الحزينة ومانعون ذكر الرحمٰن لانتفاع استجماعِ شرائط ذكره عنهم وهي الجامعية الكاملة.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ﴾ أو من عملِ عجل شهوة النفس اللوامة والأمارة التي هي صورة جمعية الطبيعية والبدن مع القوة الجوانية التي يلزمها المسارعة إلى تعاطي المرغوبات ويتماطى إلى در المألوفات ليتدارك من البنية من غير اقترانٍ كمال القصد ووفور النعمة ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ المخاطب هو الأطوار السبعة القلبية والآيات هي الحالات والكشف والمقامات والإرهاصات وإظهار المعجزات والكرامات ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: 37] دركها لنوقفها على الأمور التي يحصل بالتدريج ويتفصل في مدارك الاستخراج والتخريج في الأدوار والأكوار للصعيد والتصريح.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ بسبب لرسول الله ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ﴾ أي أحاط بالقوم الذي سخروا واستهزأوا ﴿مِنْهُم﴾ من أعيان الفرس أو من عموم الكفار ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنبياء: 41] الموصول فاعل حاق أي أحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزؤون به محمدًا فيكون ذلك الشيء سببًا لهلاكهم هذا وعيد لهم ووعيدهم لأن نكال ما قالوا ووبال ما فعلوا لحاق بهم كما حاق بالمستهزئين من الأنبياء ما فعلوا جزاء لهم.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد للمستهزئين ﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ ويحفظكم ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وشدة سخطه وقهرمانه، أي من يحفظكم ويمنع منكم عذاب الرحمٰن وشدة بطشه وحدة بأسه وعطشه ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 42] منصرفون وعن التوجه إليه متعظون ومنقرضون لا يخطرون ببالهم ولا يتوجهون إليه، لا بوهمهم وخيالهم، فضلًا أن يخافوا بأسه وعذابه، وإن تعارفوا نقمته وعذابه حتى إذا رزقوا الكلأ منه عرفوا أنه من الكالي وصلحوا عنه للسؤال والمراد أنه أمر رسول الله ﷺ أن يسألهم عن الحافظ والكالي، ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك السؤال لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بما في (أم).

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿أَمْ﴾ من معنى بل ﴿لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم﴾ من عذاب يتجاوز منعنا وحفظنا ﴿مِّن دُونِنَا ۚ﴾ لا يستطيعون نصر أنفسهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: 43] استأنف يبين أن ما ليسوا فيما بقادر على تصريفه وتأييدها ولا بمصحوب من الله النصر والتأييد كيف يمنع غيره وينتصره قال:

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ القوم ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ الأقدمون ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ إضراب عما هو بنيان ما هو الداعي إلى حفظهم وهو الاستدراج والتمتع بما قدر من الأعمالِ وعن الدلالة على بطلان أوهمهم ذلك وهو أنه تعالى متعهم الحياة الدنيا وأمهلهم حتى طالت أعمارهم فحسبوا أنه لا يزال ذلك، وإنه بسبب ما هم عليه ولذلك بما يدل على أنه أمل كاذب قال صاحب الكشاف ثم قال بل هم فيه الحفظ والكلأ إنما هو منا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا، وما كلأ نساءهم ولا آباءهم ولا عقبه الماضين إلا تمتعنا لهم بالحياة الدنيا وأمهلناهم كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم حتى يأتي الأرض طال عليهم الأمد، وامتدت أيام الروحِ والطمأنينة فحسبوا أن لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب أمنهم ولباس استمتاعهم وذلك طمع فارغ وأمل كاذب شائع ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا﴾ أي ننقص أرض الكفر ودار الحرب ويحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردها دار الإسلام الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين، وأن عساكرهم وسراياهم كانوا يغترون أرض ديار المشركين ﴿مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء: 44] رسول الله ﷺ والمسلمين.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد للكفار ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾ أي بما يوحى إلي ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ على خطاب النبي ﷺ أو على كون الصم فاعل لا يسمع ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [الأنبياء: 45] منصوب بتسمع لام الصم للعهدِ أشار إلى هؤلاء المنذرين لا للجنس والأصل ولا يسمعون وقت الإنذار فوضع الظاهِر موضع المظهر للدلالة على تضامنهم وسدّهم أسماعهم حين الإنذار أي كونهم على هذه الصفة من الخبرة والجسارة على التصام والصمم من آيات الإنذار.

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ﴾ وأصابهم ﴿نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 46] أي لأقروا واعترفوا بأنهم كانوا ظالمين على أنفسهم وغير ناجين تصاموا وأعرضوا أو في المس والنفخة ثلاث مبالغات القلة والمبررة وبناء المرة.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ جمع ميزان وهو ما يوزن به الشيء ﴿ٱلْقِسْطَ﴾ العدل يوزن به الأعمال وصحائفها وهو مصدر وصف به الواحد والجمع يقال ميزان قسط أو ذو قسط وموازين قسط للمبالغة رجل عدل ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لجزاء أهل يوم القيامة أو لأجل يوم وفيه مثل: يوم جئتَ لخمس خلون من الشهر ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ قليلًا أي لا ينقص من ثواب حسناتها ولا يزاد على عقاب سيئاتها ﴿وَإِن كَانَ﴾ ذلك الشيء أو العمل أو الظلم في القلة والحقارة ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ أي مقدار ثقل حبة ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ أي أحضرنا أو جازينا بها من الإتيان بمعنى المجازات والمكافآت وهو قريب من الإعطاء فإنهم أتوهم بالأعمالِ وأتاهم منه الثواب والجزاء ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47] الضمير للمثقال وتأنيثه للإضافة.

وفي وضع الميزان والوزن أقوال أشهرها: هو إرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمالِ بالعدل والنصفة من أن يظلم عباده فمثل ذلك يوضع الموازين ليوزن بها الموزونات والثاني هو أن يوضع الموازين حقيقة ويوزن بها صحائف الأعمالِ، عن الحسنِ رضي الله عنه هو ميزان له كفتان ولسان.

روي أن داوود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان، فلما رآه غشي عليه ثم أفاق فقال: يا رب من الذي يقدر على أن يقدر كفيه حسنات؟ فقال: يا داوود إني إذا رضيت من عبدي ملأتها بثمرة، لا يقال كيف توزن الأعراض لأنا نقول الموزونات صحائف الأعمالِ ويوضع في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة، وفي كفة السيئات

جواهر سود مظلمة، وبهذا الوجه لا يندفع الإشكال إذ كيف تقدر الأعراض بالجواهر لتوضع مكانها في الكفة، والعجب أن أهل الظاهِر يقيسون أعمالهم الحسنة على الأفعال الخفيفة التي لا يطلع على أقلها الظاهِر وهو الأفعال الإرادية والأعمال الاختيارية أعقل العقلاء وهم الأنبياء المرسلون والحكماء الإلهيون ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾ [الشورى: 52] فكيف بالأسرار الخفية، والحقائق الإلٰهية التي لا يدركها إلا الله والراسخون في العلم، فإنه يعلمهم الله وإعلامه بهداية يطلعون على ما وفقهم الله لها.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ينصب الميزان فيكون العمود منه كما بين المشرق والمغرب وكفته بطباق الدنيا في طولِها وفي عرضها الواحد من كفتيه النور، وهي الكفة التي يوزنها الحسنات وموضعها عن يمين العرش، وفي الكفة الأخرى من الظلمة يوزن بها السيئات وموضعها عن يسار العرش.

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47] وهي مرادي ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 79] أي حسيبًا في أعمالكم إن خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فشرًّا، فلا مزيد على علمنا وقضائنا وحكمنا قال النبي ﷺ: «**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة وهو عند الله من أهلِ النار، وأن الرجل ليعمل عمل أهل النار وهو عِند الله من أهل الجنة**».

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ أي الفارق بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ العاطل ﴿وَضِيَآءً﴾ ليستضاء في ظلمة الحيرة التي كانوا عليها في زمن الفطرة قبل نزول التوراة حيث طلبوا من موسى كتابًا فيه نور وهدًى ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: 48] أي موعظة وهدًى ونصيحة وهداية لأمر الميعادِ ولأمر المعاش ولمصالحِ دينهم ومدارك إيمانهم وازدياد تعيينهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ علة لاختصاصِ المتقين بما ذكر ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 49] أي من كمال عظمتها ووفور هولها وهيبتها خائفون ومن شدائد واقعِها عايفون.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾

﴿وَهَٰذَا﴾ الكتاب الفارق الجامِع ﴿ذِكْرٌ﴾ ذكر وموعظة ﴿مُّبَارَكٌ﴾ كثير المنافع كبير المجامِع المنزلِ على محمد أو على موسى بقرينة ذكر ﴿أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 50] أي اختص إنكاركم به ولم يعدّ إلى غيره استفهام فيه توبيخ واستعلام تقبيح.

إشارة وتأويل

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: 10] إشارة إلى أن بر النبوة كسب الولاية دائرة كاملة وهي سائرة لا عاطلة وإن مقتضيات أطوارها غير متغيرة ولا منقطعة، فإن كانت من مرتضيات الأدوار النورية الوجودية الصريحة، واستعملت أعيانها في نشأة أطوارها تقابلت كلما وصلت إليها من أحكام نبوة استكبار وإن كانت لا من مرتضيات الأدوار الوجودية، بل من مستودعات الأكوار العدمية سواء كانت ضمنية مندمجة كما عرفت من أن كل مولودٍ من أدوار الوجود يولد معه مولود ضمني جني أو صريحة مفارقة داخلة تحت حكم فرداريّة العدم والظل والجلال وتكورة مخالفًا لأعيان الأدوار النورية الوجودية خارجًا عن حكم فرداريّة النور والجلال، ولا تقبل أحكام نبوته ما دام يكون مخالفًا لمقتضى الدورة النورية، وأما إذا ارتفع حكم المخالفة وتبدل الشقاق بالوفاق فثلث الأعيان التي كانت مخالفة بالموافقة الحادثة الجاذبة لأحكام النبوة النورية، وانتقلت من الشيطانية إلى الرحمانية كما مرّ في الحديث من أن: «**ما منكم إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله قال: وإياي إلا أن اللّه أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بخير**».

﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: 10] عاجلًا أو آجلًا نورًا وجمالًا ظلًّا وجلالًا، إذ كل شيء ظهر في الكونِ والوجود واختفى عن النظر والبصر وإدراكِ الشهود حسًّا وعقلًا ونفسًا من الأفعال والأعمال والأقوالِ والأحوال في نشأة الأطوار فهو لا ينعدم ولا ينتفي بل ينتقل منه دور إلى دور ومن طور إلى طور، ويختفي نظرًا إلى بعض المراتب ويبقى في صحائف الأعمال في خزائن غيب الكونِ ودفائن جيب الغيب والعين، ملازمًا في صرف فاعله وقائله

دائرًا معه إلى أن انتهت مدة ارتضاء اختفائه، أي انتقلت فردانيته إلى فرداريّة حكم مقتضى ظهور ملك الخفيات وبروز تلك المخفيات، واختفاء ما كان ظاهرًا من أحوال الدنيا، ويقال لهذه الحالة القيامة، وللظاهِر الآخرة ولتجافي الدنيا باعتبار ما كان ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 13 - 14] الآية.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ على مقتضى الدورة الجمالية ومرتضى الكورة الجلالية ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 42] أي عن الصورة الجمعية الجامعةِ الأدوار المذكورة ومرتضى الأكوار المزبورة.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ من أرباب الأدوار والأكوار ﴿تَمْنَعُهُم﴾ [الأنبياء: 43] أي تمنع تلك الأدوار والأعيان المنسوبة إلى الأدوار المزبورة لهم حال كونهم ﴿مِّن دُونِنَا ۚ﴾ أي غير كمالِ جمعيتنا ولم يبلغ إلى تمام كليتنا وهم في هذه الحالة ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ بأن يبلغوا أنفسهم إلى الكمالِ الجمعي التعين غيرهم من الأعيان ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: 43] إن أرباب الأدوار لا يصحبون بنا يعني تلك الأرباب لا يستطيعون نصر أنفسهم لا بالاستقلال ولا بمصاحبتنا وبمعونتنا، إشارة إلى أن الرب الخالق والمدبر في كل دورة هو ذات المتصف بالصفة المناسبة لتلك الدورة، وأن الصفة هي عين الموصوف، فالمدبر في الدورة العظمى النورية هو الذات المتصف بالعلم المناسب في الكبرى هو الذات بالقوة وفي الوسطى هو القدرة وفي الصغرى بالإرادة ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأعيان وجعلناهم ممتنين في الأدوار الفرعية متعينين بالتعينات المخصوصة ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ في الأدوار الأصلية المراد بالأولِ هو أعيان الأدوار والأكوار الإفرادية وبالثاني هو جمعية كل من الأدوار والأكوار ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ﴾ على مقتضى جمعية الجمعية فإن فيهما يستوي نسبة جميع الأعيان إلى الكل فيكون حكمهم حكم الكل ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ﴾ إشارة إلى قرب الانتقال من الأكوار إلى الأدوار أو بالعكس بأن يقع الاستيلاء على أطراف أرض القابليات وعرض أكتاف الاستعدادات إلى شأنها أن يستكمل بتمام مرتضيات أنواع الأكوار بجميع الأطوار وإبراز غياهب الأسرار عن ينبوع تفجرت عن حجر المكرم الذي هو الإمكان الاستعدادي القريب من الفعل ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء: 44] أي الأكوان الذين

في فرداريّة الظل والجلال كانوا غالبين على أعيان الأدوار النورية وبالعكس لدى انتقالِ النورية والفرداريّة من الكور إلى الدور.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ امتداده إلى وجوه الصلاح فإن آنستم منهم رشدًا فادفعوا إليهم أموالهم ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل موسى وعيسى ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 51] أي بإبراهيم أو برشده متعلق بعالمين قدم عليه للاختصاص علمنا أنه مستحق لما قدمناه وإنه جامِع لمحاسن الأوصاف ومكارم الأخلاق أن تحقق بمعالم حقائق أسماء الخلائق وفيه إشارة إلى أنه عالم فالكليات والجزئياتِ فاعل الإرادة والاختيار في المكوناتِ.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: 52] ثابتون على عبادةٍ لها، التماثيل جمع تمثالٍ وهو المثال والمشابه أي لازمون وملازمون لعبادةِ الأصنامِ التي صورها مثل صور الأجسامِ التي لا روح فيها ولا فتوح للعاكفين عليها واللام للاختصار لا للبعدية، قوله إذ ظرف إما متعلق بآياتنا أو برشده، أي بمحذوف، أي اذكر أوقات رشده في هذه الحالة والوقت.

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

فهم ﴿قَالُوٓا۟﴾ وقت عجزهم عن الجواب في معرض المعارضة لنا ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا﴾ أي لتلك الصور ﴿عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: 53] فتقلدنا بهم واقتفينا أثرهم.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

﴿قَالَ﴾ إبراهيم في الجواب ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾ في هذه العكوف ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء: 54] مبين بالاقتدار، الجهال متعين ولا يخفى على ذوي مسكة أن التقليد والتقلد والاقتداء بلا دليل وبرهان عقلي وتبيان عقلي، أي يصح إذا كان المقلد على حق صريح وطريق واضح صحيح كالأنبياء والحكماء والإلهي والأولياء المحققين، فلما امتنعوا عن الجواب وعن كلام الحق والصواب امتنعوا عن تدارك العجز العام وعن مسالك الخرس وأشباههم في الجملة وعن نوم الغفلة.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥﴾

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ عن الحق لإظهار الحق ﴿أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: 55] في الظاهِر اللاهين المعرضين عن مناهج حسن الاعتقادية ومناهج وفور الاعتداد بالعزم التام والاعتداد في مقام الاجتهادِ.

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦﴾

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ليس الأمر على ما أنتم عليه عاكفون ﴿بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ أضرب عن المقدر والدال عليه سوق الكلام وسيق إلى المرام، وتقرير للدليل على وحدانيته وكمال ربوبيته وعموم حوله وهجوم قوته، أو عن اللاعبين الأول أليق، وبطرد المقام أوفق، وبالتحقيق أحق، الضمير المؤنث السماوات والأرضين أو للتماثيل ردًّا عليهم وإلزامًا وإقحامًا لهم ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ الذي أقول عليكم وأتلو لديكم من كمال التوحيد وتمام الربوبية وعموم القدرة والإرادة ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: 56] الآمنين المتحققين بكمال اليقين بالبرهانِ القاطِع والدليل الواضح الساطع والحجة البالغة والتنبيه السائغ، ولست مثلكم تقلدنا بالأقاويل الباطلة وتقيدنا بالأفاعيل الفاضلة غير قادر على احتجاج ما.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧﴾

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ﴾ [الأنبياء: 57] واجهدت في كسرها ولفظ الكيد مشعر بالتعجب لصعوبة الأمر وتوقفه على نوعٍ من الحيل، لأنه كان أمرًا منقطعًا منه لصعوبته وتعذره لغلو نمرود في الشرك والإشراك وتعنته واستنكاره وتحيره واستكثاره وعلو شأنه في التسلط هلاك على نصرة دينه وتكالبه على عدم إجراء أحكام عقيدته وتعنته الباطِل. وروي أنه خرج به يوم عيد لهم فدخلوا بين الأصنام واتخذوا إلهًا وضعوا له طعامًا فخرجوا وبقي إبراهيم فنظر إلى الأصنام وكانت سبعين صنمًا منبسطة، وبينهم صنم عظيم مستقبل الباب كان من ذهب وفي عنقه جوهرتان تضاءان بالليل، فكسرها كلها بفأسٍ حتى لم يبق إلا الصنم الكبير علق الفاس في عنقه بعد أن تولوا الأصنام مدبرين وخرجوا من بينها مدبرين من

الأصنام وبيتها إلى عبدتهم، قال بعضهم: سرًّا من قومه وسمعه رجل واحد.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ قطاعًا بمعنى مقطوعة كالحطام ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ الأصنام فجعل الفاس في عنقه وجره وألقاه على وجهه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ إلى كبيرهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 58] كما يرجع في حل المشكلات إلى العالم، وفي الوقائع والمهمات إلى الكبير، أو ظن أنهم لا يرجعون إلا إليه لتفرده واشتهاره بعداوته آلهتهم، فقالوا: ما لهؤلاء مكسورة وهالكة يريد والفاس على عنقه، هذا بناء على ما ظنه إبراهيم بهم لما جربهم من مكابرتهم بعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم بها، أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون إليه واستهزاء بهم واستخفافًا لهم واستجهالًا بهم.

﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝٥٩﴾

﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 59] مع صلة مبتدأ أو إنه مع اسمه وخبره، وإنما قالوا هذا ظنًّا منهم بآلهتهم.

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۝٦٠﴾

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: 60] والجملة الأولى ماضية فتى أو مفعول ثاني يسمع ليصححه لأن يتعلق به السمع، والثانية أما خبر مبتدأ محذوفًا ومنادى فاعل يقال إذا المراد الاسم لا تسمى.

إشارة وتأويل

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 51] أي إبراهيم الدورة الصغرى النورية الفرعية الصريحة إذ لكل من الدورة الصغيرة الأصيلة والفرعية إبراهيم كما كان في بداية كل دورة من الأدوار الأربعة الأصلية والفرعية آدم ونوح، كما أشار إليه آدم الأولياء علي المرتضى: «أنا آدم الأول، أنا نوح الأول، أنا إبراهيم الخليل حتى ألقى في النار». ﴿رُشْدَهُ﴾ أي الكمالات الأربعة المناسبة لتلك الدورة، فإن في كل دور من الأدوار نوع هداية ونبوة وطور معرفة وولاية، وكذا سائر الحالات وباقي الأحوال والمقامات، قال النبي ﷺ: «**اطلبوا الدهر خيركم كله**

وتعرضوا لنفحات رحمة الله فإن له نفحات يصيب من يشاء من عباده». أو المراد بإبراهيم الطور الخفي الذي يلي الطور الروحي، وبالرشد هو التحلي بالأماني أو الوصف الجلي وخصوصية نعت الخلة ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل هذا الطور الخفي هو الطور الموسوي الروحي والطور العيسوي السري والطور القلبي المحمدي ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 51] أي علمنا بطور أحواله وبنوع أطواره في جميع أدواره الأصلية الفرعية الإفرادية والجمعية صريحًا وضمنًا صدرًا ومعنى ظاهرًا وباطنًا.

﴿إِذْ قَالَ﴾ الطور الخفي ﴿لِأَبِيهِ﴾ [الأنبياء: 52] العقل المتشبث بأذيال الوهم والخيال في الأدوار الإفرادية الوجودية الذي يقيد بتماثيل اقتضاء الدورة الوجودية الإفرادية الوجودية النورية الإفرادية الصريحة وارتضاء هيئات الأفاعيل الكورية الضمنية التي يدعى إبراهيم الطور الجمعي الخفي إلى شبحه الأولي وهما الإدراكات المفردة والدرايات البسيطة المجردة والمقامات والحالات الغطيطة المجردة قالوا إن العقول الجزئية الدائرة في الأدوار والأكوار النورية والظلية الإفرادية إشارة إلى تطابق اقتضاءات الأدوار والأكوار النورية الظلية.

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: 56] يعني أن الذي ادعيت ليس أمرًا ظنيًّا جزافًا بل هو أمر محقق لأن الإلٰه المستحق للعبودية بجميع الوجوه هو ربكم ورب السماوات والأرض الذي فطرهن أو الإلٰه الذي اتخذتم، ألا فإنه مخلوق وأنا على ذلك شاهد متحقق بكمال الشهود، وحق المشاهدة ووظيفة الشهادة، وهي العلم الحضوري والإدراك الشهودي، وما شهدنا بما علمنا وما كنا للغيب والغائب بحافظين، أي وما كنا نقول رجمًا بالغيب، متثبت على التخمين والجزاف، بل على المعاينة وعين المشاهدة.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: 57] هذه الأصنام التي هي هواكم النفسانية وآرائكم الإنسانية من العلوم والإدراكات والأحوال والمقامات التي اعتقدتم أنها من مقترحات نفوسكم ومصطلحات عكوس شموسكم، وحسبتم أنكم على شيء من عكوس شموس عقولكم ونفوسكم، فلما انكشف الغطاء البشري وأبصرت الغشاء العنصري عن نصاين فؤادكم، ظهر

الحال على ما هو الأمر عليه، وخرج بالأمر كله لديه بينه بدأ وإليه يعود، كنت دهرًا قبل أن يكشف الغطاء أخا لك أني ذاكر لك شاكرٌ فلما أضاء الليل أصبحت شاهدًا بأنك ذاكر وبأنك ذكر ومذكور.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ منكسرًا غير ملتفت إليها لعلهم مترجيًا أن متعبدي هذه الأصنام ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 58] في الفطرة الأولى وفطرة الإسلام «كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه»، وهم الذين يشاهدون الله في ضمن الشهود الذاتي، وهذه الحالة الأبدية التي كانت على طبق الحالة الأولى الأزلية إنما هي من نتائج النوافل، كما أن العبد مرآةٌ للّهِ بأن يشاهد ذاته لجميع أسمائه وصفاته في مرآته إنما هو من خصائص الفرائض «**لا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه فبي يسمع وبي يبصر وبي يمشي وبي يبطش وبي ينطق**»، هذا هو الذي تخلل الحق في جزاء العبد مرآةً للحق في شهود ذاته بتمام أسمائه وصفاته، باقيًا ببقائه، متحققًا بذاته وبأسمائه وصفاته، فيكون متصرفًا في الكون متحققًا في الخلوة بالنصر والعون بالعسر واليسر والهون. هذا أيضًا من نتائج الفرائض وثمراتها في الوقت بلا تأخير وتهاونٍ، هذا لا يكونُ إلا بعد التحقق بالكلية والجمعية الإلٰهية والكونية بخلاف الأول.

﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 59] المتجاوزين عن الحدود البشرية والإلهية إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي.

﴿قَالُوا﴾ أي القوى النفسانية والروحانية ﴿سَمِعْنَا﴾ في مدائن الأطوار القلبية وممالك الأدوار الإلٰهية والأكوار الكونية ﴿فَتًى﴾ [الأنبياء: 60] دائرًا في أطوار الدوار والأهوار والأكوار يقال له إبراهيم ويحتمل أن يكون البابان كلاهما في السير من اللّهِ وإلى اللّهِ، وأما جمعيتهما فمن خصائص السير في اللّهِ.

﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿قَالُوا﴾ أي نمرود وأتباعه ﴿فَأْتُوا بِهِ﴾ أي إبراهيم ﴿عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي على رؤوس الملأ عيانًا ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء: 61] بشهادة الخلق ويغالبونه.

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ﴾ [الأنبياء: 62 - 63] إبراهيم في جوابهم ما فعلت هذا ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: 63] تعجيز لهم وتنيرهم وتوبيخ لهم، وإنما علق الفعل المطلق إشعارًا بأن النطق أخبر ما يظهر في الشخص، ويدل على أن الفعل إنما يتكامل بالنطق والكلام، ولذا خلق الله المكوناتِ بكلمة كن، وإنما تكلم إبراهيم خلافًا في نفس الأمر في ثلاث مواضع أحدهما: هذا كما قال النبي ﷺ: «**لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذباتٍ في ذات الله، قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم، وقوله: سارة هذه أختي**»، وإنما جاز هذا تصور لإصلاح الخلق وإقامة الحجة على المشركين كما قال يوسف عليه السلام: إنكم لسارقون لأخوته ولم يكونوا سرقوا.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي فتفكروا في قلوبهم ورجعوا إلى عقولهم ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ ما نراه إلا كما قال ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنبياء: 64] بعبادتكم من لا يتكلم ولا ينطق لكمال نقصهم وقيل: أنتم الظالمون يا إبراهيم في سؤالكم إيّاه على سبيل التحكم.

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي خروا على وجوههم وعلى أنوفهم وفوههم قال أهل التفسير: أجرى الحق على لسانهم القول الأول ثم أدركتهم الشقاوة فردتهم إلى كفرهم فهو معنى قوله: ثم نكسوا على رؤوسهم، أي ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم يقال نكس المريض إذا رجع إلى حالته الأولى ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يعني فقالوا ﴿مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: 65] أي ليس من شأنهم النطق ثم لأنهم جماد فلما ألزمهم أفحمهم إبراهيم شرع في الحجةِ عليهم وتفسيحًا لحالهم وتفضيحًا لشأنهم. فقوله:

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: 66 - 67] أحجار لا صنع لها ولا نطق ولا بيان ولا عقل ولا قوة ولا لسان ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 67] ولا تستحيون مِن عبادة مَن كان بهذه الصفة فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب.

مطلب دعاء إبراهيم (عليه السلام)

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ﴾ بالنار ليتخلصوا عن بأسه وشره ﴿وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ﴾ بالخلاص عن تغييبه وإهلاكه وكسره وتخريبه ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 68] أمرًا في إهلاكه، روي أن رجلًا من العرب أرشدهم في إهلاك إبراهيم عليه السلام فأمرهم أن يجمعوا حطبًا فيهم كما أخبر الله في كتابه: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الصَّافات: الآيتان 97، 98] الآية إلخ. روي أن نمرود جمع الحطب كان شهرًا مثل سنة وكان يعتقدون أن هذا الأمر عبادة عظيمة فشدوا أيدي إبراهيم ورجليه ووضعوه في المنجنيق ورموه في النار الموقدة، روي أن الملائكة السماوية رفعوا الأصوات إلى الله ربنا ليس في أرضك أحد يعبدك غير إبراهيم المحرقة فأذن لنا يا رب العالمين في نصرته فقال الله تعالى: إنه خليل ليس لي خليل غيره وأنا إلٰهه وليس له إلٰه غيري، فإن استغاث بكم فأغيثوه وإن استنصركم فانصروه، وإن لم يدع غيري ولم يستنصر سوائي ولم يستغث إلا بي فخلوا بيني وبينه.

روي أن خازن الماءِ جاء إلى إبراهيم فقال: يا إبراهيم إذا أردت أخمد النار فإنّ خزائن المياه والأمطارِ بيدي، وأتاه خازن الهواء والرياح فقال إن شئت طيرت النار في الهواءِ فإن خزائن الرياح بيدي، فقال إبراهيم: لا حاجة إليكما ثم رفع رأسه إلى السماءِ فقال: إلٰهي أنت الواحد في السماءِ وأنت الواحد في الأرض ليس في الأرض يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل يا أحد يا صمد،

بك أستغيث وبك أستعين، وعليك توكلت لا إلٰه إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد ولك الملك ولا شريك لك، فإذا ألقي في النار جاء جبرائيلُ قال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا قال جبرائيل: سل ربك قال: حسبي من يتولى علمه بحالي فقال الله تبارك وتعالى:

﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا﴾ أي كوني ذات بردٍ وسلام ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69] فإذن لا يكون فيها برد ولا مطر ولا حر مؤذٍ قال ابن عباس رضي الله عنه: لو لم يقل وسلامًا لمات إبراهيم من بردها، ومن المعروف في الآثار أنه لم يبق يومئذ نارًا في الأرض إلا طفئت، فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم، فطفت أنها بنفخ، ولو لم يقل على إبراهيم لبقيت النار ذات برد أبدًا قال الحسن: قوله: سلام هو التسليم من الله عزّ وجلّ على إبراهيم كقوله تعالى: سلام أي سلموا سلامًا ومثله في المعنى في سورة الصافات [109]: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

قال كعب الأحبار: جعل كل شيء تطفي النار إلا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار، ولهذا أمر النبي ﷺ بقتل الوزغ قال: كان ينفخ على إبراهيم قال السدي: لما ألقي إبراهيم في النار أمر الله الملائكة أن خذوا عبدي إبراهيم ووضعوه بالتأني والمودة فتفجرت فيها عين نابعة، وانفتحت فيها الورد الأحمر والنرجس، وبعث إليه ملك وتمثل بصورة إبراهيم، واستأنس وجاء جبرائيل بطبق من الجنة وكلمه وقال: إن ربّك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبائي، قال إبراهيم: ما رأيت مكانًا وموضعًا ألّذ عندي من النار. ذهب أكثر المفسرين إلى أنه مكث فيه سبعة أيام.

قال المفسرون: صعد نمرود إلى قصره ثم نظر إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النار التي ألقي فيها فرأى أنه في روضة حواليه روح وريحان وورود وحوالي الروضة نار موقدة تتلهب، فنادى يا إبراهيم إن إلٰهك الله إلٰه أكبر بلغت بقدرته الكاملة إلى هذا الشرف، هل تقدر أن تخرج من مكانك كي تكلم ربّك وهل تخاف من هذه النار؟ قال: قال نمرود كيف حال إبراهيم؟ قالوا: كيف يكون حال من أدخل في هذه النار التي لو دخل فيها جبل لاحترقت وصارت رمادًا قال نمرود: رأيت عجبًا أظن أنه ما احترق وأن حيطان البناء التي بيننا

سقطت فخرج إبراهيم فقال نمرود لإبراهيم: من الرجل الذي معك على صورتك؟ قال إبراهيم: هو ملك موكل على الظل أن الله تعالى بعثه إليَّ لأستأنس به قال نمرود: إن ربك كريم رحيم رؤوف أريد أن أذبح أربعة آلاف بقرة في سبيله قربانًا وتقربًا إليه، قال إبراهيم: لا يقبل الله منك ما كنت في دينك قال نمرود: لا أستطيع ترك ملكي، هذا هو معنى قوله:

﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: 70] أي خسروا السعي والتيه ولم يحصل لهم مرادهم، قيل معناه أن الله أرسل على نمرود وقومه البعوض وأكلت لحومهم وشربت دمائهم ودخلت واحدة في دماغه فأهلكته.

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا﴾ لما أهلك الله عدو خليله وكرمه فآمن به جماعة فمنهم لوط ابن هاران بن تاداخ، وهاران هو عم إبراهيم، ومن النساء آمنت به سارة بنت هاران فزوجها إبراهيم، وقال بعضهم: هي بنت ملك عمران لما هاجر إبراهيم من العراق إلى أرض الشام ومعه لوط ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 71].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي ولد الولد وكلًّا من إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: 72] أنبياء أمرناهم بالصلاح فحصلوا وصاروا ذات صلاح.

﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ يعني آياتنا فيهتدى بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ ويهتدى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء: 73] أي أوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات قيل: خلافة رضاء الله فإنه من الخيرات، ولا يعلم رضاء الله إلا برسله وأجنادهم

عنه ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ أي أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة حذفت الفاء من الإقامة لدلالة الإضافة عليها ﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: 73] خائفين متذللين.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ قصة نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ وفقهًا في الدين ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ أي أهلها اللوطيين ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء: 74].

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ أي النجاة والخلاص من سوء قومه ﴿إِنَّهُۥ﴾ كان ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: 75] المطيعين لأمر الله والمطاوعين لحكم الله.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي نجينا نوحًا من قبل إبراهيم ولوط ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: 76] وأجبنا له دعاءه في حق قومه وحيث دعا عليهم: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: 26]، ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ أي أهل نبيه ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: 76] من الطوفان وشدائده ونكباته وعوائده الكرب في الأصل هو الغم الشديد وهو السديد من تكذيب قومه.

﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أي جعلناه منتصرًا ومنصورًا ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ ذات شر وبؤس وضر ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء: 77] أهلكناهم بالطوفان فنوا كلهم كبيرهم وصغيرهم، وإنما استحقوا ذلك لاجتماع الأمرين فيهم: تكذيب الحق والانهماك فيه، ولم يجتمعوا في يوم إلا وأهلكهم.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ أي نجينا داوود وسليمان واذكرهما ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ﴾ والزرع ﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾ نشرت ﴿فِيهِ﴾ في الحرث ﴿غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ والنفش هو الإفشاء والتفرق في الليل ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ أي لحكمهما، وإنما جمع الضمير أرادهما المتحاكمين إليها جميعًا ﴿شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: 78] حاضرين لدى الحكم إذ الأول ظرف ينتصب بما عمل في داوود وهو اذكر أي اذكر داوود وسليمان وقت حكمهما والعامل في إذ الثانية يحكمان.

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ أي أعلمناه الحكومة والفتوى وعلمناها ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: 79] وهو ابن أحد عشر سنة فقال: أرى أن يدفع الغنم وأهل الحرث لينتفعوا بألبانها وأوبارها وأصوافها وأولادها، والحرث إلى أرباب الغنم ليقومون عليه حتى يعود يوم أفسد ثم يترادّان، فقال داوود لسليمان: وأقضاها قصدت وأمضى به الحكم مستند بالوحي لا بالاجتهاد ففسخ حكم داوود بحكم ابنه لأنه حكم بأن الغنم لصاحب الحرث وقال سليمان غير هذا، وهو وفّق وحكم بدفع الغنم إلى أهل الحرث لابتياع بالألبان وغيره لا للتمليك كما حكم داوود، أما وجه حكومة داوود أن الضرر وقع بالغنم فلا بد أن يسلم بجنايتها إلى الحق عليه كما حكم أبو حنيفة في العبد إذا حكم على النفس يدفعه المولى بذلك وتعدّيه، أو عند الشافعي يتبعه في ذلك ويفديه، ولعل قيمة الغنم كانت على قدر البيضان في الحرب، ووجه حكومة سليمان أنه جعل الانتفاع بالغنم بارًّا ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول بذلك المالك عن الغنم، فأوجب الشافعي فيمن غصب عبدًا فأبق من يده أنه يضمن القيمة، فينتفع المغصوب منه بإباقة ما فوته الغاصب من منافع العبد، فإذا ظهر يرادّ فلو وقعت هذه الصورة في شريعتنا فعند أبي حنيفة رحمه الله أو لا ضمان لا في الليل ولا في النهار إلا أن يكون مع التهمة سابقًا فائدة، وعند الشافعي يوجب

الضمان بالليل وفي قوله ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾ دليل على صواب رأيهما إلا أنهما حكما بالوحي ولكل منها وجه وجيه، وإن كان بالاجتهاد فباعتبار أن كلًا منهما تقيد حقيقة رأيه وحكمه ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ أي حال أي مسبحات أو استئناف كأن قائلًا قال كيف سخر فقال يسبحن بلسان الحال ﴿وَٱلطَّيْرَۚ﴾ [الأنبياء: 79] عطف على الجبال ومفعول معه، وإنما قدم الجبال لأن تسخيرها وتسبيحها أعجبُ وأدل وأغرب وأدخل في الإعجاز، ولأنها كما روي: أنه كانت تمر بالجبال مسبحات وهي مجاوبة قيل: كان يسير معه حيث سار وكيف دار بأن خلق الله فيها الحركة والنطق والتسبيح كما كان يخلق الكلام في الشجر لموسى، وإن كل من رآه يسير فذلك بتسيير الله إياها، فلما حملت على التسبيح وصف به من قبيل المجاز المرسل ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 79] قادرين على أن يفعل هذا وكان عجبًا عندكم أي وكما يفعل مثل ذلك الأنبياء أو فاعلين لأمثاله وليس بمبدع وبديع عندنا وإن كان بديعًا عندكم.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ أي عمل الدرع وهو في الأصل الإلباس قال أليس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفائح، فأول من صنعها وعملها داوود، فجمعت لكم وجعلها لباسًا ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ تعصمكم ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ﴾ قرئ بالنون والياء وتخفيف الصاد وتشديدها، فالنون لله والباء للصنعة والياء لداوود واللبوس على ما قيل الدرع كان [درع] داوود أزرق كما أشار إليه النبي ﷺ: «**كل أزرق شقي إلا داوود وعلي**»، فآتاه الله الملك والنبوة والحكمة والكتاب المسمى بالزبور وكان مشتملًا على مائة وخمسين سورة بالعبرانية وما كان في ذلك الكتاب أحكام الحلالِ والحرام بل كان موعظة ونصيحةً، وبيان الوقائع والحوادث، وكان لداوود صوت حسن فإذا قرئ الزبور بالصوت خرج في الصحراء العلماء وغيرهم صفًا صفًا ووراءهم الجن وبعدهم الشياطين، ثم الوحوش ثم الطيور، فإذا قرئ حصل لهم الوجد والسماع، وركن الماء وسكن الريح ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 80] أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أي سخرنا له قرئ الرياح بالرفع للابتداءِ والنصب بالعطف على الطير ﴿عَاصِفَةً﴾ شديدة الهبوب على حيث ما يريد ويحكم إنه آية متضمنة إلى آية ومعجزة إلى معجزة وفي وقت آخر ريحه طيبة هنية كالنسيم فإذا مرت بكرسيه في مدة ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ﴾ يسيرة على ما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر حالة ثانية، أو بدل من الأول أو حال منه ضميرها تجري بأمره ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ﴾ أي كثّرنا وعظمنا منافعها ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 81] فتجري الأشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمنا.

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ له في بحار فيستخرجون الجواهر النفيسة والفواخر الشريفة، ويتجاوزون ذلك الغوص إلى الأعمال والمهن والخدمة والمدائن العظيمة والقصور الرفيعة واختراع الصنائع العجيبة ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ [الأنبياء: 82] أي غير الغوص والاستخراج وكما قال الله تعالى: تعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدورات ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء: 82] في أعمالهم وصنائعهم بأن يزيفوا عن أمره أو يبدلوا أو يغيروا أي يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه.

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: 83] وقرئ بالكسر على إضمار القول أو لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر وفي كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مضر أو هزال، وأيوب كان روميًا من ولد إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وقد استغشاه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله، وكان له سبعة بنين وسبع بنات، وخمسمائة فدان، دالة النور للحرب يتبعها خمسمائة عبد، ولكل عبد

امرأة وولد وجيل، فابتلاه الله بذهاب ولده بأن انهدم عليهم البيت فهلكوا، وبذهاب ماله، وبالمرض في بدنه ثماني عشر سنة، قالت له امرأته يومًا: ادع الله تعالى فقال لها: كم كانت مدة الرضا؟ قالت: ثمانين فقال: أنا أستحيي من الله أن ادعو الله وما بلغت من بلائي مدة رضائي، فلما كشف الله عنه أحيا ولده، ورزقهم مثلهم ونوافل منهم بأن ولدت امرأته بعد ستة وعشرين ابنًا ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83] وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بنهاية المهابة في معرض كمال المضرة وغاية المشقة بما يوجب الرحمة ويوهب النعمة ظاهرًا وباطنًا واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لفظًا في السؤال.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ وقبلنا دعاءه واستمعنا مسألته وأسمعنا نداءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ ورفعنا عنه ما تلين من بلاءٍ وشدة عناءٍ من مرض ووفور حدة وغرض ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم﴾ بأن ولد له ضعف ما ولد أولًا ﴿مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: 84] أي رحمة لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين أو لرحمتنا العابدين بذكرهم بالإحسانِ وكمال الإيمانِ ووفور الإيقان وظهور الاتقانِ.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ أي إلياس قيل: هو يوشع أو زكريا لأنه كان ذا حظ من الله والمحدود على الحقيقة أن كان له ضُعف عمل الأنبياء في زمانه وضعف ثوابهم، أو خمسة من الأنبياء ذا اسمين إسرائيل ويعقوب، وإلياس وذو الكفل، عيسى والمسيح، يونس وذو النون، محمد وأحمد ﴿كُلٌّ﴾ من الأنبياء ﴿مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: 85] على مشاق التكليف بشدائد النوائب ودقة التعاريف.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ أي النبوة والحكمة أو نعيم الآخرة ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: 86] الكاملين في الصلاحِ في طريق النجاةِ وسبيل النجاحِ.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ﴾ وصاحب الحوت وهو يونس عطف على الضمير المنصوب ويجوز أن ينصب بالضمير أي اذكر حال كونه ﴿مُغَٰضِبًا﴾ على قومه لإصرارهم على الكفر والظلم، أو مهاجرًا عنهم، قيل أن يأمر وظن أنه سائغ حيث لم يفعله إلا غضبًا لله وأنفة لدينه ونقضا للكفر وأهله، وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من اللّهِ في المهاجرة، فإذا [به] ببطن الحوت معنى مغاضبة لقومه أن أبغضهم بمفارقته للموت والبلاء وحلول العذاب والعناء ونزول الطاعون والوباء ﴿فَظَنَّ﴾ واعتقد يونس اعتقادًا راجحًا ﴿أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء: 87] أي بعدم قدرتنا على دفع ذلك البلاء وبانتفاء حلمنا وقضائنا على ابتلائه وعقابه أو على تمثيل بأن كانت حاله متمثلة بحال من ظن أن لن نقدر نحن عليه من همته ومهاجرته قومه من غير انتظار إذن الله وأمره، ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه لوسوسة الشيطان، ثم بردعه وبرده، وبمنعه بالبرهانِ كما يفعل المؤمن من المحيق بترهات الشيطان في كل وقت ويظنون بالله الظنونا ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الحج: 52 - 53] الآية ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الشديدة في الليل الديجور والغياهيب الظلماء أو ظلمات بطن الحوت أو البحر ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ أي بأنه لا إله ولا معبود بالحق إلا أنت ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ أي أنزهك عن العجز وعن الشريك وما يليق بشأنك العظيم المقدس في القدس الإلهية إجراء ما أردت ومضاء ما شئت ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87] لنفسي حيث خرجت من بين القوم من غير أن يأذن الله لي، قال النبي ﷺ: «**ما من مكروب يدعو الله بهذا الدعاء إلا استجيب له**».

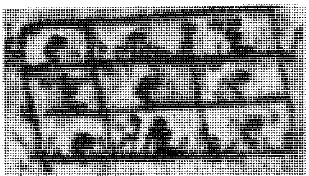
﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ وأجبنا دعاءه ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ [الأنبياء: 88] الانتقام والخطيئة بأن قذف الحوت ولفظه إلى الساحلِ بعد أربع ساعات أو ثلاث أيام، قيل التقمه حوت أكبر من حوته، فحصل في ظلمة بطني الحوت قيل: أوحى الله

تعالى إلى يونس أن ادع قومك من الباطلِ إلى الحق فلما دعاهم فأقبلوا وتمردوا فأوحى الله تعالى: يا يونس أريد أهلك وقومك، وعلامة الإهلاك وجوه القوم قد تتغير، فإذا رأيت ذلك فاعلم أني أهلكهم بعد ثلاثة أيام فإذا رأى أنهم قد هلكوا فأخبر ذلك لقومه وخرج من بينهم من غير أن يأمره الله وكان ينتظر هلاك قومه، فلما مضى أيام الهلاك وهم قد تابوا ورجعوا إلى الله واستغفروا اللّهِ فغفر لهم ونجاهم من الغم ووصل خبر النجاة إلى يونس فتوجه إلى قوم وجاء إلى ساحل البحر، وطلب القول من الملاح، فأذن أن يدخل الفلك، فلما دخل قال لكل عبد خائف سيده، وخرج من بين قومه وأعرض عنهم من غير أن يأمره سيده، فما جزاؤه من يغفل ذلك قال جزاؤه أن يبقى في البحر أو يلتقمه الحوت وهو مليم، فالتقمه الحوت، ثم جاء حوت أكبر فالتقمهما ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 88] من عموم دعوى لله فيها بالإخلاص.

مطلب طلسم الإخفاء

ومن أراد الاختفاء على أعين الناس فعليه تكبير حروف هكذا في ساعة كوكب تحت الأرض والقمر تحت الشعاع.



﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ لدى سؤاله الولد ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى﴾ أي لا تدعني ﴿فَرْدًا﴾ واحدًا وشخصًا فريدًا بلا وارث يرث الملك والنبوة بعدي ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: 89].

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: 90] وهيأها

للولادة، أو تحسين خلقها إذا كانت في سني الخلق ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ﴾ ويبادرون ﴿فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ ضمير للأنبياء المذكورين ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ ذوي رغب وخوف أو رغب ﴿وَرَهَبًا﴾ أي راجين برحمتنا راجين إلى وفور نعمتنا ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90] مخبتين ضارعين ولكمال عظمتنا حاصيين.

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ وصانت قُبُلَها من الحرام والحلال وهي بنت عمران كانت منقطعة إلى خدمة بيت المقدس ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي في جوفها ورحمها، وهي مادة وجود عيسى وعطية روحه الذي هو من روحنا بل هو روحنا، فيكون من للتبيين قيل فنفخنا الروح في عيسى في جوف مريم، وبطنه وأحييناه أو فعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبرائيل، لأنه نفخ في بيت رحمها، فوصل النفخ إلى جوفها ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً﴾ دالة وعلامة حالة على كمال قدرتنا وعموم حكمتنا ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 91] وجعلناهما معًا آية لا واحد منهما، فإن ولادتها بلا ازدواج، فحل أمر غريب وفعل عجيب، وأغرب منها خلقة آدم بلا أب وأم ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران 59].

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ الجماعة المذكورة ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي فرقة واحدة بالاجتماع لإحاطتها على هيئة واحدة وجمعية متحدة وصورة وحدانية ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ﴾ وخالقكم ومجيبكم ومربيكم ورادعكم ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92] بكسر النونِ وحذف ياء المتكلم.

﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ التفات منه الخطاب إلى الغيبة، أي صاروا قطعًا وفرقًا مختلفة في أمر الدين وشأن عيسى، وقال بعضهم هو إله، وبعضهم هو ابنه، والآخر هو مخلوق وعبد من عباد اللهِ الكرام، ثم يوعدهم بأن هؤلاء الفرقة المختلفة ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 93] فيجازيهم فتقديم المعمول على العامل يفيد الاختصاص.

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤﴾

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي الأعمال الأليفة لحضرته المقبولة والأفعال الحسنة المبرورة ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ بالله وبوحدانيته وبكمال قدرته وفردانيَّته ﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾ ولا مضيع لعمله المقبول، وإنما استعير الكفران لمنع الثواب كما أستعير الشكر لإعطائه ونفي الجنس للمبالغة ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء: 94] أي للسعي، مثبتون في صحائف أعماله الحسنة ولا يفوت من علمنا وحكمتنا وإرادتنا.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥﴾

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ﴾ أي تمنع غير متصور ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ أي ما ثبت في مشيئتنا أو علمنا أن أهل القرية التي أهلكناهم ﴿أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 95] إلينا بل يثبت في سابق قضائنا أنهم يرجعون إلينا فأذن لا عين زائد كما قال بعضهم، أو عدم رجوعهم إلينا للجزاء على أنه مبتدأ وحرام خبره مقدم، أو فاعل للحرام سادّ مسدّ خبره، أو دليل عليه حرمت لو هو أصل القرية وامتنعت التي أهلكنا لأنهم اعتقدوا أنهم لا يرجعون إلينا. قرئ: حرم بالكسر والفتح والضم وبالتضعيف. ومعنى أهلكنا: عزمنا على الإهلاك أو قدرنا إهلاكها، والرجوع هو الرجوع من الكفر إلى الإسلام والتوبة والإنابة لأنه إن قومًا عزم على إهلاكهم غير متصور أن يرجعوا وينيبوا إلى أن تقوم القيامة فحيث يرجعون ويقولون: يا ويلتنا قد كنا في غفلة عن هذا بل كنا ظالمين، يعني أنهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب الأليم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ متعلق بحرام أو بمحذوف ودلّ الكلام أي فلا يرجعون، والإهلاك إلى أن تقوم الساعة، وأما رأيها وفتح مدائن يأجوج ومأجوج وسدهم وخروجهم ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: 96] أي

الناس اليأجوج والمأجوج من كل الأرض مرتفع ومستوٍ ينسلون يسرعون ينتشرون يقال الناس عشرة تسعين منها يأجوج ومأجوج وقرئ: جدثٍ أي قبر.

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٍ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ أي القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ﴾ أي ضمير القصة أو مُبهم يوضحه ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جزاء الشرط والفاء لوصل الجزاء بالشرط فيتأكد، والكلام في يأجوج ومأجوج قد تقدم في سورة الكهف ﴿يَٰوَيۡلَنَآ﴾ في غفلة مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول ﴿قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٍ مِّنۡ هَٰذَا﴾ الأمر الواقع فجاءهم والقيامة لم تعلم أنه حق لكمال غفلتنا ﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 97] لأنفسنا بالإخلال بالنظر في الاستدلال والتفكر في العاقبة والمآل.

﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ التفات آخر يدل على قبح حالهم وسوء مآلهم يحتمل الأوثان وإبليس وأعوانه، لا يهم طاعتهم لها واتباعهم خطواتهم في حكم عبادتهم، وقصدوا ما روي أن رسول الله ﷺ دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا فجلس إليهم يعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله ﷺ فحمد ثم تلا هذه الآية عليهم: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ من حصبته يحصبه إذا رماه بالحصبا ﴿أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: 98] استئناف أو بدل من حصب واللام فيها بمعنى على الاختصاص ولدلالته على أن ورودهم فيها لأصلها.

﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً﴾ مستحقين للعبودية، فكان الحري بحالهم وشأنهم أنهم ﴿مَّا وَرَدُوهَاۖ﴾ أي ما دخلوا فيها لكونه منافيًا الألوهية والحال أنهم ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: 99] دائمون ثابتون فيها لا محيص لهم عنها فتقيد هذا المأول، أقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم صافون وقال: فيمَ خوفكم فأخبره وليد بن

مغيرة ما قال النبي ﷺ وتلى عليهم في حق آلهتهم فقال: أما والله لو وجدته لخصمته فدعوه، فقال ابن الزبعرى: أأنت قلت ذلك قال: نعم قال: قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرًا والنصارى المسيح ابن مريم، وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال ﷺ: «**بل هم عبدوا الشياطين التي أمرهم بذلك**»، فأنزل الله:

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: 100 - 101] أي الخصلة الحسنى وهي القيامة الأولية التي اقتضتها الكناية هنا الأبدية أو التوفيق لدوام الإلٰهية والسعادة السرمدية، أو عزير والمسيح والملائكة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 101] وإلى أعلى عليين يرفعون. روي أن عليًّا رضي الله عنه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال: أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان والزبير وسعد وعبد الله بن عوف وابن الجراح.

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ﴾ بدل من مبعدون أو حال من ضميره وسيق للمبالغة في إبعادهم عنها والحسيس هو الصوت المعنى الضعيف يحس ﴿وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ﴾ وطلبت وانتفعت ﴿أَنفُسُهُمْ﴾ باللذة والالتذاذ بالشهوات ﴿خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: 102] غير منفكين.

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ وهو النفخة الأخيرة أو الأولى بنفخ أو الانصراف إلى النار أو الوقت الذي يطبق على النار وحين يذبح الموت على وصورة كبش أملح ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وتستقبلهم لابثين على أبواب الجنة ويقولون ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ﴾ أي وقت ثوابكم ووقت جزائكم ﴿ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 103].

﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾

﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ منصوب بإضمار اذكر مضاف إلى نطوي أو يتلقى وحال من فاعل توعدون الطي اللف كطي السجل ﴿لِلۡكُتُبِۚ﴾ قيل السجل لك يطوي كتب الأعمال إذا رفعت إليه ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ﴾ أي ما خلقناه مبتدأ أول خلق مفعول يقيده الذي نعيده، والكاف مكفوفة بما أو يعيدوا أول مخلوق كما بدأناه، تشبيه الإعادة بالإبدالِ في تناول القدرة لها على السواء.

فإن قلت: وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه؟ قلت: أول إيجاد من العدم وكما أوجده وعنه عدم اللاحقِ يعيده، وتنكيره كتنكير رجل في قولك: رجل جاءني، يريد أنه أول الرجال ولكنك وحدته وتكونه، إرادة تفصيله رجلًا، رجلًا فكذلك معنى أول الخلائق، لأن الخلق مصدر لا يجمع لاحتمال القليل والكثير، وجه آخر هو ينصب الكاف بفعل مضمر بغيره، و(ما) موصولة أي يعيد مثل الذي بدأنا نعيده، وأول ما خلق ظرف لبدأناه أي بأول خلق، أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى ﴿وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ﴾ مصدر مؤكد لأن قوله نعيده عدة لأعاد ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104] قادرين على أن نفعل.

﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾

﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾ هو كتاب داوود عليه السلام قيل: إنه من جنس ما أنزل على الأنبياء من الكتب، والذكر أم الكتاب واللوح المحفوظ ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾ المعمورة والأرض المزبورة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105] فيه رمز وإشارة إلى ظهور المظهر الموعود واستيلاء أهل الصلاحِ في الآفاق المعمورة والأقاليم المعمولة، وإلى زمانه وإلى مدة بقاء دولته، يعني أنه إذا بلغ الزمان على ذ ك ر ظهر وخرج صاحب الزمان وملك لك الآخر، فتأمل ليتضح لك بداية ومدة زمان الدولة، وبدايتها ونهايتها وعدة مكثها.

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ١٠٦﴾

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: 106] يعبدون في ابتداء ظهوره وخروجه يوم الخروج ي و م ا ل خ ر و ج 892 إشارة إلى حساب صاحب الزمان وخصائصهم وأشرف خواصهم.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] أولًا وآخرًا باطنًا وظاهرًا إشارة إلى إحياء الإسلام الشريعة ثابتًا كما إحياء أولاء.

﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾

﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾ [الأنبياء: 108] ثابتون على كمال الإسلام.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ وأعرضوا عن التوحيد والاقتداء بالشريعة ﴿فَقُلۡ﴾ يا محمد قولًا ثابتًا ﴿ءَاذَنتُكُمۡ﴾ وأعلمتكم بلسان ولد من أولادي اسمه اسمي وكنيته كنيتي يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كاملًا [بعد أن مُلئت] جورًا وظلمًا على سواء أي أعلمكم إعلامًا ثابتًا يكون مساويًا للزمان الأول ﴿عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ﴾ أي ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 109] مَن عليه مِن إحكام العدل والقسط وارتفاعِ الجور والعدوان والطغيان في العالم وجميع الآفاق بين إمكانيات حتى الجمادِ والنباتات والحيوان وعموم أعيان الإنسان بل بين المجردات والماديات البسيطة والمركباتِ لأن خليفة من في الأرض يتصرف في الكونِ، وربنا الرحمٰن كثير الرحمة عزيز النعمة على خلقه المستعان المتبقي من المعونة والعون في المقاصد الدنية والمعاقد الدنياوية على ما تصفون وصفًا ويبتغون المطالب والمآرب والمقاصد الجليلة من النعم والحياة والحكومة والإسلام وأحكامه قد

تفوق وتارة قد يحوف وإن العاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وإنما الأعمال بالخواتيم عن النبي ﷺ: «**من قرئ (اقترب حسابه) حاسبه الله حسابًا يسيرًا**».

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَـٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 22	سُورَةُ الحَجِّ	آياتها 78 مدنية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل أمارة القيامة زلزلة الساعة ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي خمر طينة آدم أربعين صباحًا ثم جعل مادة وجوداتها مبينة لطفه في قرارٍ مكين مخلقة وغير مخلقة إلى وقت مبين ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي جعل الحج الأكبر وهو الجمعية العظمى المقصد الأقصى للطالبين والعارفين الراغبين والزاهدين الراجين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾ في كل الأحوال في عموم الأعمالِ وتمام الأفعال في الخلاء والملاء والسراء والضراء في البحر والصحراء، فمن شأنهم أن يكونوا حاضِرين القلب، صافي الغيب والجيب طافي الشك والريب عما أخبرنا الله تعالى به في الشهادة والغيب ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجّ: 1] علة للإرتقاء، فمن كان شاهد الغيب جاهد النفس وجاحد الشك والريب المؤمن به من القيامة وظهور الساعة ومن اللهِ ورسوله صاحب الشفاعة، فيكون في هذه الحالةِ مؤمنًا بالحقِ، وفي الكشافِ عن الثوري أنه من زعم أنه مؤمن باللّهِ حقًّا على ما هو في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: 4] ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية زلزلة الساعة تحريكها للأشياء أو تحريك الأشياء فيها. فأضيف التحريك إلى الأشياء إضافة معنوية بتقدير في إضافة المصدر بمعنى في جاريًا مجرى إضافته إلى المفعول به تحويل مكر الليل والنهار، قيل هذه الزلزلة يكون

قبل طلوع الشمس من المغرب، وإنما أضافها إلى الساعة لأنها من أشراطها.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ يصير كمال حولها وشدة خوفها ودهشتها وطولها ووفور غزلها وقوة حولها ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ إما الإنسان خاصة أو أعم منه كفرس وحمار وجمل ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ﴾ [الحجّ: 2] في ذلك اليوم من غاية طولها ونهاية صولها وكثرة هولها وقوة عدل قولها ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: 2] في الظاهر ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ في التحقيق لأنه ما زال تميزهم وعقلهم، أو ما هم بسكارى من الخمر وغيرها من المسكرات، فإن من جازوا من كمال الاضطراب في الاغتراب وسار بين كمال الحيرة ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحجّ: 2] آجلًا وعاجلًا.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ نزلت في نضر بن الحرث حيث قال مجادلًا لا معللًا ولا مستدلًا بأن الملائكة بنات اللهِ، والقرآن أساطير الأولين ولا بعث بعد الموتِ ولا حِساب ولا عقاب ولا سؤال في القبر ولا حشر ولا ثواب ولا جنة ولا سعير ولا عذاب ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في المجادلة وتقرير الدعوى بالمكابرة ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحجّ: 3] عات خابط مخبط خبط عشواء وقال: ما هو بقول وافتراء وكلام الحقِ منه بريء.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ أي على الشيطان في اللوح المحفوظ والكتاب المبين ﴿أَنَّهُۥ﴾ أي الشيطان أو الشأن ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾ واتبعه واقتدى به فهو هالك ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ بالكبير والقبيح فمن قبح الأول جعل فاعل كتب وعطف الثاني عليه عطف المفرد على المفرد، ومن كسر في الموضعين فعلى حكاية المكتوب كما هو أو على تقدير القولِ ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحجّ: 4] فبئس المصير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ وشك وإظهار إنكار ونقص وعيب ﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ والحشر والنشر في يوم القيامة وإمكان حشر الأجساد أو الروح أو الأجساد المثالية والأشباح ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ وطينه، خلقتُ آدمَ بيدَيَّ أربعين صباحًا ﴿ثُمَّ﴾ ثانيًا ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ جعلت من الأبوين ممتزجين كاملين في الرحم إلى أربعين يومًا في مقتضى دورة دخل ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ قطعة الدم المتعلق واستحالت ثانية في أربعين يومًا في تدبير المشتري ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ قطعة اللحم التي دبرها الله بواسطة المريخ والشمس أربعين يومًا وحملها أربعة أشهر وعشرًا ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ سواء ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ إن اللّه بكل حكمته ووفور قدرته جعل المضغة متفاوتة بعضها كامل الخلقة، ألمس وأصفى من الدورة والسوق والاعوجاج وبعضها غير ذلك، فمن الأول خلق الله مادة الخلق الكامل والخلق الفاضل، والثانية إما بسقطه ولا تصل إلى هذا الولد والجنين ويتولد ناقص الخلقة والخلق أو في أحدهما وهذه الاستحالات والتغير والانتقالات من حال إلى حال أي مدة أربعة أشهر وعشر ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أي لأجل تبليغكم وإظهار الحكم أي الفاعل المختار كما يعرض على خلقكم من نطفة منظورة بأطوار مختلفة في دورات متخالفة وهي أن يحصل ويتكون إنسان كامل وشخص فاضل كذلك يقدر على أن يبعث بعد الموت بأن يجمع أجزاءكم الأصلية التي هي باقية في عالم البرزخ الذي هو كالرحم للأعيان المعادة وكما أن مادة وجود الأشخاص في الدنيا إنما يتكامل في الرحم كما قال ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحجّ: 5] أي مدة معينة وعدة مبنية إلى أن تتم هذه التدبيرات وتنتظم تلك الحالات وهي

تسعة أشهر وعشرة أيام على الأكثر أو على الأقل إلى ستة أشهر كما أشار إليه بقوله: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَٰلُهُ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15] وذلك لأن مدة الرضاع حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة فيبقى ستة أشهر للحمل وأكثره أربع سنين وإن كان أقل كما أشار إليه الشافعي: أنه قد تولّد في أربع سنين.

﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحجّ: 5] وكذلك في الآخرة أطوار أدنى إنما يتكامل في رحم عالم البرزخ إلى أن تتم مدة الحشر، يجمع الله تعالى في الأجزاء الأصلية التي هي ثابتة في عالم البرزخ ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100] فلمادة وجودات الأعيان الكونية تغيرات وتطورات وتبدلات في أرحام المراتب دنيا وآخرة في نشآت الأدوار وشؤونات الأكوار، كما أن الله تعالى قادر على أن تدبر تلك المادة في رحم الأم الدنيا ويظهر أعيانًا وأشخاصًا منها في طور الدنيا، كذلك قادر على أن يدبرها في رحم عالم البرزخ ويخرج منها أعيانًا وأشخاصًا في ساحة طور الآخرة، ليتساوى نسبته إلى جميع المراتب وما فيها من الأعيان والأشخاص والأكوان وهو ظاهِرٌ ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ صغيرًا رضيعًا إلى حولين ثم يخوض إلى الصبابة إلى سبعة سنين، ثم الترعرع إلى البلوغ والوهان، ثم النشآت إلى ثمانية وعشرين أو اثنين والثلاثين، ثم الوقوف إلى أربعين أو خمس وأربعين وهو مرتبة آدم ا د م لا على وبنيان آدم آحاد وعشرات بلوغ إلى السير د م م ي م فالأول سير في الأول والثاني بالثاني.

وأشار إلى هذه المرتبة بقوله: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ [الحجّ: 5] أي كمال قوتكم ووفور قدرتكم عقلًا وعملًا وفعلًا وقولًا، وهو من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد ومفرد كالأسد فكأنها شدة في غير شيء واحد، فثبت لذلك الجمع قال بعضهم: إنه جمع شدة كالأنعم جمع نعمة، والشدة بالفتح واحد لا شدة، وكأنها أشد في الأمور وقوة في الأحوال والأعمال في الغيب والحضور، وهي عبارة عن وقت وحالة يستكمل فيها تمام أحوال الشخص وأعماله وإدراكاته ومعارفه وعلومه وعلو حالاته في النبوة والولاية، ثم بعد ذلك كهولة إلى الستين، ومنه إلى آخر العمر شيخوخة ونهاية العمر والطبيعي ماية وعشرون على الأكثر ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ أي يتوفاه الله بعد هذه الشدة كما وقع في الحديث: «**أكثر أعمار أمتي بين أربعين إلى ستين**».

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ وهي الخرافة والهرم حتى يعود كهيئته الأولى في أوان طفوليته ضعيف البنية نحيف البدن والهيئة خفيف العقل لطيف العمل والعقل، وهو من جملة ما يدل عليه كمال قدرته وعموم حكمته وشمول إرادته ومشيئته من أنه جل وعلا كما هو قادر على تدبير نطقه الأعيان الكونية في رحم الدنيا، كذلك قادر على تدبير أجزائه الأصلية، وهي الجواهر الفردية البرزخية التي لا تقبل الانقسام أصلًا، لأن الانقسام والتجزُّؤ من خصائص أعيان الشهادة والملكوت، وهي الأجسام والمقادير لا الغيب والملك وهي الأرواح والملكوت والمثل النورية والأشباح وترتيبها وتأليفها وتركيبها في طور رحم الآخرة في عالم البرزخ الذي هو موطن أحكام النبوة وأحوال الولاية واجتهاد حشرها ونشرها وإحيائها تارة أخرى.

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ﴾ بالأعمال والأفعال والأحوال والأقوال ﴿شَيْـًٔا﴾ [الحج: 5] بيان جانب النقصان عند العود إلى طرف النقل وكانت النقصان أي بلغ في مرتبة الخرافة إلى حد لا يعلم شيئًا وقد كان قبل ذلك عالمًا به أي يصير نشأ ذهالًا نسيًا منسيًا وهولًا إنسيًا بحيث إذا كتب علمًا في شيء وبشيء لم ينشب أن ينشأ ويزال علمه عنه ويزول فهمه وحكمه حتى لو سئل عنه من ساعته في شيء علمه في تلك الساعة قال أي شيء كان ومن كان، وذلك لاستيلاء الرطوبة الغربية على القوة العاقلة والحافظة والقوة المتخيلة فلا يقدر على حفظ ما ورد عليها وهي على الحركة نحو إدراك شيء ليلتها فيكون كالراقم على الماءِ الحاكِم على الهواءِ ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ أي ميتة يابسة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ من الماء والعيون والبحار ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ وتحركت ونازت بإنشاء النباتات وإنمائها ﴿وَرَبَتْ﴾ وأسبحت قرئت: رابت أي ارتفعت ﴿وَأَنۢبَتَتْ﴾ وأخرجت ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ واجتماع وفوج ﴿بَهِيجٍ﴾ [الحجّ: 5] حسن يسر الناظر إليه، هذا دليل على البعث.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الذي خلقنا من خلق آدم وإحياء الأرض مبتدأ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ خبره ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ مرة أخرى ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحجّ: 6] منه إحياء الموتى.

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ﴾ ويعيد ﴿مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: 7] إن الله تعالى قد وعد الساعة والبعث وإحياء الموتى وحشر الأجساد وغيرها ولا بدّ وأن يفي بما وعد فيقضي وعده الذي لا يقبل الخلف.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾ ويكابر ويعاند ﴿فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وهو أبو جهل بن هشام قيل: كرَّر للتأكيد بوفور عنادهم وكرور فسادهم وإفسادهم والأول من المقلدين وهذا في المقلدين. والمراد بالعلم هو النظري لا الضروري ليتضح ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحجّ: 8] عليه ويحتمل أن يكون المراد بالعلم هو العلم النظري وبالهدى الاستدلال والفكر وبالكتاب الوحي أي يجادل ويظن وتخمين لا بأحد هذه الثلاثة.

﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩﴾

﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ عبارة عن الخيلاء والكبراء أو كناية عن الإعراض عن الذكر ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ علة للجدل ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ كما وقع في البدل وإصابة ما أصابه ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحجّ: 9] المحرق وهو نار الجحيم.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠﴾

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ على الالتفات أو أراده أن يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والتعذيب بسبب اقترفوه من المعاصي والكفر ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحجّ: 10] إنما هو بتجاوزهم على أعمالهم وأفعالهم.

إشارة وتأويل

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟﴾ [الحجّ: 1] الآية، اعلم أن القيامة والساعة فتنة شديدة وحالة عظيمة تغاير الحالات السابقة أو اللاحقة الوجودية إن كانت في الدورة الوجودية الجمالية والظلية المقيدة الجلالية، فإن في ثناء الأدوار والأكوار تغيرات

كثيرة وتبدلات وحالات غفيرة من السلاسل الجزئية والطور، فإن الكلية والجزئية والطواعين العامة والخاصة وغير ذلك وكذا في آخر الأدوار والأكوار لدى انتقال فردارية من دورة إلى دورة، ومن كورة إلى كورة، فعند انتقال نوبة الزينة من دورة إلى دورة تتزلزل أرض تلك الدورة ويخرج من ما كان كامنًا فيها من الأعيان والأشخاص ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: 1 - 2] فالزلزلة قيامة تظهر في آخر الدورة النورية وتغير بالساعة، والتي تظهر وتقوم في آخر الكورة هي القيامة العظمى إن كانت في الكورة العظمى، والقيامة الكبرى إن كانت في الكورة الكبرى، والوسطى إن كانت في الكورة الوسطى، القيامة الصغرى أي كان في الكورة الصغرى، وكذا الحال في الزلزلة العظمى والصغرى والكبرى والوسطى والصغرى الغيبية إلى الأدوار الأربعة العظمى والكبرى والوسطى والصغرى.

واعلم أن في كل دورة وكورة السماوات السبع العقلية والروحية والنفسية والجسمية ولكل واحدة منها فلك مدرك وفلك بروج، ففي آخر الدورة والكورة ينطبق منطقة البروج على منطقة العدل، وعناصر تلك الدورة وتلك الكورة ترجع إلى مواضعها الطبيعية، والجلب المركبات في كل دورة وكورة واجتمعت الأجزاء الأصل الأولية في عالم البرزخ، كل دورة وكورة، فإن انتقلت الفردارية من دورة إلى دورة ومن كورة إلى كورة فتقوم القيامة وتظهر الساعة فيجمع الله تعالى تلك الأجزاء أو ترتيبها وتأليفها ثانيًا، فيحشر تلك الأعيان ويحبسهم ويرفع الميزان ويرفع الصراط ويجمع الكتاب ويسرع الحساب.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحجّ: 2] أي يومًا من الأيام الإلٰهية من السنين السرمدية والأعوام الديمومية، فمن لا يعلمها إلا الله هو الذي يظهر فيه قيامات الأدوار، وتزلزلت الأرض الإلٰهية قيل: أشار إليها بقوله: «**لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكنه يسعني قلب عبدي المؤمن**».

وهذه الزلزلة في أشراط الساعة وشرائط قيام القيامة ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾ أي يحصل دهشة وحالة تزيل التميز والعقل ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي النفس اللوامة والميزان ﴿حَمْلَهَا﴾ [الحجّ: 2] أولاد المعاني الحسية والمباني النفسية، حملها متوجهين إلى ديوان سلطان القلب ليجعلها وتركبها

وتألفها وتركيبها ويجعلها منطقة للصورة اللطيفة الغيبية واللطائف الشريفة الأدبية، ثم تجردها عن هذه الصورة وبينها المعاني الروحية ويكسبها الصور العقلية، ثم بالصور العلمية ثم الحقائق الإلٰهية بالوحدة الذاتية الذات الأحدية، ففي كل طور من الأطوار السبعة القلبية في الأدوار النورية الوجودية الجمالية تقوم قيامة، وفي غيب هذه الأطوار على مرتضى الظل والهلال والعدم تظهر ساعة ببعث الأكوان بهيئات العدم والإظلال كما كان، وبعث في القيامة النورية الجمالية الأعيان ببعث الوجود، ففي كل دور وكور نفس كل طور وغيبة ذات حمل، وهي مقتضاها لتقع عند زلزلة الأرض الاستعدادية. قيل: ظهور يقدمه، والساعة يبرز حملها ويظهر ما فيها.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ من أعيان أطوار الإفرادية وأكوان غيوب الأكوار الفرداريّة ﴿مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ مدبر الأدوار ومدبر الليل والنهار ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ أحوال الأدوار أي الأكوار صور جمعيتها ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ [الحجّ: 3] مقتضى كل أعيان الأدوار بالنظر إلى الأكوان والأكوار بالنسبة إلى أعيان الأدوار أي شيطان ما لم يبلغ إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي. فإذا انتهت الفرداريّة من الأفراد إلى الجمع ارتفعت المخالفة وانتفت المقابلة وظهرت العدالة الجمعية ويرجع الكل وتدل جميع السبل إليه واتحد الجزء والكل به.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أعيان الأطوار الغيبية والأنوار القلبية ﴿إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم﴾ أي إن كنتم في شكّ من البعث في كل دورة وكورة إفرادية وجمعية فتدبروا في كيفية خلقكم وكمية أجزاء هوية بينكم ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم﴾ في كل دورة على ما تقتضيه فرداريّة القوة والجمال والظل والجلال ﴿مِّن تُرَابٖ﴾ [الحجّ: 5] أي تراب القابلية الأولية وأرض الاستعدادات الذاتية ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ أي نطفة الماهية البسيطة المستقرة في رحم مرتبة عالم الجبروت والدورة العظمى النورية ﴿ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ﴾ في المرتبة الروحية الكبرى الخفية ﴿ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ أي أرحام مرتبة البرزخ في الفرداريّة القديرية، فإن الأرض القابلية التي قد احتوت على الصور الكونية إن خرج منها في هذه المرتبة ما قدر أنه لمولود ولكون معهودٍ كاملًا وللأطوار الفاضلة شاملًا يكون خليفة كاملة في الدورة الأخيرة قيامة في النشأة المتأخرة ولا تكون ناقصة غير مخلقة ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾

ما جرى في الأدوار المذكورة من مخزونات الأرض القابلية في الأدوار الإلٰهية وما يجري في الأدوار الكونية ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ أي أرحام المراتب الربوبية والمربوبية ﴿مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ من الأدوار والأكوار.

﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ في المرتبة الشهادية والتشبيهات الملكية في الدورات الفلكية الحسية ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ في مراتب العناصر البسيطة والمركبة، ثم لتبلغوا شؤوننا في مرتبة الناسوت ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ﴾ ويموت بالموت الإرادي ويفوت بالفوت الاختياري ثم في القيامة النفسية والحياة الطيبة الإلٰهية السرمدية ﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ في مدركات عالم الطبيعة ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحجّ: 5] في علم النشأة الناسوتية المتضمنة لتمام النشأة وما يلزمها من العلوم والإدراكات، ثم رجع القهقرى إلى مراتب الحيوانات والنباتات والجمادات قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام: 38 - 39] إلى آخرها.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ أي حد وطرف من الدين وتعرفه الاعتقاد واليقين ولا ثبات له في أمور الدين ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ وثبت عليه وتقرر ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ وشدة وضياء ومشقة ومحنة ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ ترك ما كان عليه من أمر ورجع من الغزوة اذ كان غاديًا إلى المدينة كعبد الله بن سلول حين رجع في غزوة أحد مع جماعةٍ من المنافقين وكانت جماعة من المؤمنين إذا صح بدنهم وفرح قرنهم وولدت امرأتهم غلامًا وكبر مالهم وكثر مثالهم وطابت حالهم وصابت كلماتهم وقيلهم وقالهم وغير ذلك من المبرات في الدنيا والآخرة ومن خالفهم ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةَ ذَٰلِكَ﴾ ذلك الخلاف والارتداد ﴿هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحجّ: 11] لتضمنه خسران الدارين نقصان النشأتين قرئ (خاسر الدنيا والآخرة).

﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُـرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ۝١٢﴾

﴿يَدْعُواْ﴾ ذلك الخاسر ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُـرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ﴾ في الدارين ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدعاء والطلب ﴿هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [الحج: 12] لتضمنه شقاوة الدنيا وخسارة الآخرة.

﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ۝١٣﴾

﴿يَدْعُواْ﴾ ويزعم ويقول في الدنيا ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ﴾ الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها إلى الله وليدعو لمجيئه بمعنى تزعم، والزعم قول مع اعتقادٍ قد دخلت على الجملة الاسمية، وإنما كرر يدعو في اللفظ دون المعنى إذ الثاني بمعنى يدعم ويقول كما علمته بالاعتقاد لمن ضره لكونه مبتدأ أقرب من نفعه بكونه شنيعًا فأجري مجرى فيقول الكافر ذلك بدعاءٍ وصراخ حين يرى استقراره بالأصنام وعقوبته بالأوثان بدخوله في النارِ بعبادتها ولا أثر لشفاعتها في ذلك اليوم الذي أعدها له فقال: لمن ضره أقرب من نفعه فلا تناقض و﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ والناصر ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ [الحجّ: 13] والصاحب في العشرة والمعاشرة هي الصاحبة، وإنما سمي العشير عشيرًا استصحابه الأجساد قال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝١٤﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله ورسوله محمدًا وبما جاء به ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ أي ما يصلح لحضرة ربوبيته ويليق بشأن غيب هويته من الصلاة والحج والزكاة والصوم والجهادِ والإحسانِ مع الخلق ﴿جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُۚ﴾ أي من تحت ما فيها من القصور والأشجار والبنيان ما فيها من الغلمان والحور والأنهار الأربعة المذكورة في سورة محمدﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحجّ: 14] لمن يريد من إدخالهم في الجنة وتمتعهم بالنعيم وإبعادهم عن دركات الجحيم فيه إشعار بأن الأفعال الصالحة والأعمال المرضية الفالحة المرد المالحة ونقائضها ليست بسبب الدخول فيهما بل السبب هو الإرادة الأزلية والمشيئة الإلٰهية والعناية

الأزلية التي يقتضي الكفاية الأبدية من كان يظن من حاسديه ومخالفيه وجملة أعاديه الذين يتمنون زوال نعمة أعاديه.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ والحال أن وعده وعد الحق أن ينصر رسوله ويؤيده تأييدًا مؤيدًا من يهوى معه من صاحبه ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ وحبل غير منقطع وليجعل ذلك الحبل وسيلةَ الوصول والصعود إلى الموصول ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أو ليستفرغ مجهوده وليصرف وسعه في إزالة ما يقنطه من النصر والظفر بالبعث ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ﴾ وليقر في نفسه إن فعل ذلك ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحجّ: 15] ويزيلن كيده وحيلته ومكره أي غيظه أو الذي يغيظه من النصر قيل نزلت في قوم وجماعة من المسلمين استنبطوا نصر الله لاستعجالهم الطبيعي وشدة اهتمامهم بالغلبة على المشركين الرضيعي.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي مثل ذلك لا تزال المذكور في الأوائل أنزلنا القرآن ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ وعلامات واضحاتٍ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي﴾ أي لأن الله يوصل ﴿مَن يُرِيدُ﴾ [الحج: 16] إلى الهدى أي الذين يعملون أنهم يؤمنون بالله حقًّا ويثبتهم على الإيمان ويردهم على كمال الاتقانِ في الإيقانِ ويريد منهم تمام العرفان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من المسلمين ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أو ركنوا أو بادوا إلى موسى ودينه ويقول أحكام كتابه بالوصول إلى أعلام خطابه ووفور تغيبه ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ ممن اتبع نوحًا وشريعته أو ممن عبدوا الملائكة، قيل هم بين ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ﴾ [الحجّ: 17] والنصارى هم أمة عيسى والمجوس هم عبدة الشمس ﴿وَٱلَّذِينَ

﴿أَشْرَكُوٓا۟﴾ أي لم يتقلدوا الشريعة والدين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ ويقضي عليهم ويحكم بينهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وهو مطلق يحتمل الفصل بينهم في الأحوالِ والأماكن والأعمالِ فلا يجازيهم جزاءً واحدًا بلا تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحدٍ ذهب بعضهم إلى أن الأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن، وإنما أدخلت أن الدالة على الثبوتِ في كل واحد من الجملة لمزيد التأكيد وكمال اهتمام بكل منها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحجّ: 17] عالم به علمًا حضوريًا وإدراكًا شهوديًا مراتب الأحوال ولا يؤوده حفظه طرفة عين.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: 18] من الملائكة والجن والإنس والشياطين وغير ذلك سجود عبادة وتعظيم كل بما يليق بحاله ويتميز بكمال قدرته، ومن قال بالتغليب فقد غفل عن مضمون قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: 93] الآية، ويؤيده تفصيل فاذكر بعده ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ﴾ السيارة والثابتة المرصودة وغير المرصودة والمرتبة أو غير المرتبة ﴿وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ﴾ وما ينبت منه الأرض ويرتفع ﴿وَٱلدَّوَآبُّ﴾ من جنس الحيوان ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ المؤمنين من لدن آدم إلى الخاتم ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ فمن يسجد له على سبيل الرسم والعادة لا الطاعة والعبادة والإطاعة إذ المخلصون المحققون المتخصصون بكمال التعيين قليل جدًّا فسقط ما قيل أن من [في] السماوات والأرض يعم جميع الإنس والجن فالحكم على كثير العذاب يناقض ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ ويجوز ويجزيه من الإهانة وهو الإذلال ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ ومعظم وموقر من الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحجّ: 18] والعبادة من التعظيم والتحقير والإهانة وما يشاء من ذلك إلا ما تقتضيه عناية الأزلية والمشيئة وجعل العمل دالًّا عليه على الأكثر.

﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ فوجان أو فريقانِ وهما المؤمنون والكافرون ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾ أو افترقوا واختلفوا ﴿فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحجّ: 19] أي دينه وطريقه وشريعته أو في ذاته وصفاته والجمع باعتبار المعنى والخصماء إما المؤمنون واليهود أو النصارى أو هما، فإن المؤمنين قالوا: إن اللّه هو الذات الجامعة للأسماءِ والصفاتِ منزه عن خصائص الممكنات، وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، والمسيح هو الله ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: 116] الآية، ثم قال لليهود: أنا أحق منكم بالله وأقدم إنا آمنا بمحمد وبنبيكم وبجميع الأنبياء والكتب المنزلة، وأنتم تعرفون حقيقة محمد ﷺ وكتابنا وتنكرون عنادًا وحسدًا فنزلت ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بمحمد وبما جاء به من الأحكام والتوحيد وحقيقة الكتب والأنبياء ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ بأن الله قطع وقدر لهم نيرانًا على مقادير جسمهم يشتمل عليهم كما قطع الثياب الملبوسة بقدر جثة الإنس وجسمه، وهذا أفضل الخصومة إن الله يفصل بينهم يوم القيامة وذلك العذاب وشدة تأثرهم وكثرة ملابستهم بالنار ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحجّ: 19] وهو الماء الحارّ ليصل تأثره في الباطن بالسراية كما تأثر في الظاهِر فيذيب أمعاءهم أو يصب بالحرق والتقطع ويحرق أمعاءهم كما يذهب جلودهم وهو أبلغ من قولهم وسقوا ماءً حميمًا فقطع أمعاءهم، هذا في مقام وحال وذا في مقام وحال أخرى.

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحجّ: 20] أي تأثر لفرط إحاطة حرارته فيها في الباطِن ولو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابها والصهر هو الإذابة.

﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحجّ: 21] أي للملائكة الموكلة على السياط وفي الحديث لو وضعت بقمعة منها على الأرضِ فاجتمع عليها الثقلان ما أنقلوها.

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ﴾ أي أرادوا الخروج منها أي من تلك الناسِ ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ وردّوا إليها من غم فخرجوا هذا عذاب آخر لأنه أشد تأثيرًا وأحدّ إحراقًا وبكسر إذا الشرطية أو وقف أرادوا التأثير والتأثر المخالفة والعادة يخالفه ويصدّه وقيل لهم في هذه الحالة ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ﴾ الأليم أو الحميم ﴿ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج: 22] ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء: 56]، وأكثر بهذا النوع من العذاب إنما يختص بالشياطين والجان لفرط خروجهم عن حد الاعتدال، وإن عذاب الإنس إنما هو يضلّهم ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [ص: 82 - 83].

إشارة وتأويل

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ الآية إشارة إلى أن العبادة التامة الكاملة والطاعة العامة الفاضلة التي يقع في حيز القبول ويوصل العبد إلى مقام الوصول هي التي نشأت من مرتبة الكمال الجمعي النوري والجمالي ومن رتبة الكمال الظلي الجلالي، فمن عبد الله على حرفٍ من الكونِ شهود الجمال وعلى حرف من الظل والضمور والجلال ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ﴾ وافر من جيش النور والجمال ويثبت ويمكن لديه كمال المناسبة ﴿وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ﴾ وأمر من جنس الظل والظلمة والجلال ومشاهدة الجلالِ ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ إلى الكمال الجمعي النوري والجمالي الوجودي الذي هو الدنيا وقد انعدمت في حقه والجمع الكمالي الظلي الجلالي العدمي الأخروي ما حصل ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحجّ: 11].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحجّ: 14] في الدورة العظمى النورية بأن يشاهدوا ذلك الجمال نعت العلم الحضوري والإدراك الشهودي وأعيان هذه الدورة إنما هي الملائكة وأعمالهم إنما هي الإيمان بالشهودي والعلم الحضوري وثمرة توبة فرداريّة هذه الأعيان إنما هي الأدوار الإلٰهية مدة فرداريّة الدورة الكبرى إنما هي الأدوار الربوبية ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ﴾ [الحجّ: 14] في الدورة

الكبرى الحبيبة والمولود الجني في فرداريّة سلطان الجني والوصف العظمى والنعت النبوي الإبداعي وأعيان هذه الدورة أي الشياطين قد عملوا صالحًا أدوارًا ودهورًا وأعصارًا، وقد استهزؤوا، ورد في الحديث: «**إن الشيطان قد عمل في السماوات والأرضين بسبعمائة آلاف سنة فما بقي في السماوات ولا في سبع أرضين مقدار شبرٍ إلا وقد سجد فيه الشيطان**».

خبأت في الدورة الوسطى وهي نخبة الأفعال والآثار أو جنة التجليات الأربعة الذاتية والصفاتية والافعالية والآثارية الإفرادية، التي تسير إليها الأنهار الأربعة ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [محمد: 15] له أن يفعل ما يريد ربه الأفعال الكاملة والحكمة البالغة الشاملة ما يريد أن يصورها الصور الطبيعية والروحية والتماثيل البرزخية والمثل النورية والهيئات الظلية الضمورية الشخصية والهيئات المستحبة من كان يظن من الأعيان الإفرادية النورية والأكوان الظلية الضمورية، أو القوى المختلفة الجسمية والمبادئ النفسانية والمباني الروحانية من الحواس الظاهرة والباطنة والقوى الطبيعية من العادية والقاصية والمولدة والعاقلة من القوة النظرية كسرعة الحدس وصفاء الدين وسهولة التعلم وحسن التعقل والتخيل والتصرف والحفظة والتذكر والتعقل الهيولاني، والعقل بالملكة، والعقل المستفاد، والعقل بالفعل، أن لن ينصره أي صاحب الصورة الجمعية الكاملة والإحاطة الكلية الفاضلة، وإن كلًّا من الأعيان المذكورة والأكوان المزبورة والقوى المسطورة لهم اقتضاء خاص وارتضاء ناص يغاير الاقتضاء الآخر ويباين الارتضاء الأول والآخر ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 84 - 85]، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون: 1 - 4] إلخ، فإنك خبير بأن مقتضى الأعيان النورية والإفرادية يخالف بعضهم بعضًا وكذا يغاير الجمعية بعضهم بعضًا.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ﴾ أي مثل سار الكمال الجمعي والحكم المعي وأنزلنا لبيانه ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات بين الكمال الإفرادي والحكم الافتراقية ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي﴾ ويجعل ذريعة للوصول ﴿مَن يُرِيدُ﴾ [الحج: 16] وسيلةً للحصول لديه

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: 57] الآية، من يريد من الأعيان النورية الوجودية الجمالية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الدورة العظمى النورية من فرداريّة السلطان الخفي بعد استبقاء سلطان العلم من التجليات الآحادية والمعارف الوضعية إلى الدورة الكبرى النورية متلبسين بالتعينات النورية الروحية والأعيان النفسانية ليشاهدوا الوجه الإلهي بالتجليات الأفعالية والظهورات التكوينية ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ المتعرفين إلى الدورة الوسطى لاستبقاء مقتضى اسم القدير من التجليات الآثارية في المدينة المثالية بعبور الوسائط العلوية والأجرام السماوية والكواكب السيارة الثابتة ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ الذي يبغي الدورة الصغرى النورية على مرتضى اسم المريد شاهدين ذلك الجمال بصور العناصر وما يتركب منها، المتعامين من تلك المشاهدات دون الإدراكات بطريق النظر والفكر والاستدلالات ﴿وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ﴾ [الحجّ: 17] إشارة إلى الأكوان التي كانوا في ضمن تلك الأعيان والأدوار النورية الأولية في المراتب الكلية المذكورة، وهم المولودات الجنية التي هي من مربوبات الظل، والجلال الذي هو باطن النور والجمال، قال النبي ﷺ: «**ما منكم إلا وله مولود جني قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير**». كما كانت الولاية خفية في ضمن النبوة قال النبي ﷺ: «**يا علي كنت مع الأنبياء سرًّا وصرت معي جهرًا بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا**» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ بأن يجمع كلًّا مع ما كان ملازمًا له في النشأة الأولى ويحشره ويجازي كلًّا بعمله، إما الجنة وإما النار.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ﴾ سجدة عبادة وطاعة ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي في الدورة النورية الجمالية ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحجّ: 18] في الكورة الظلية والجلالية ﴿وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ تفصيل لما أجمل، فالشمس إشارة إلى الأعيان العقلية الروحية والقمر أي الطور السري القلبي الذي يقبل نور الجمال من شمس الروح والعقل والنجوم القوى الجسمانية والنفسانية والقوى الحيوانية المتحركة المحركة.

﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ أي القوى الجلالية الظلية الثابتة للمولود الإنسي الداخلة تحت حكمه ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾ الفردي من القوى النفسانية الغير

الداخلة تحت حكم سلطان القلب والروح ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ في الأعيان والأكوان المترددة في النشآت الخبيثة والشؤونات المتفرقة وحذف المفعول الراجع إلى الموصول يدل على عموم حكمه على المذكورين وغيرها يدل عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحجّ: 18] ويحكم على من يريد من الثواب والعذاب.

﴿هَٰذَانِ﴾ أي الأعيان والأكوان والمولود الإنسي والجني في الأدوار الإفرادية ﴿خَصْمَانِ﴾ متقابلان في الاقتضاء ﴿ٱخْتَصَمُواْ﴾ تناظروا ﴿فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحجّ: 19] وتعارضوا إلى المحشر العظيم عند مرتبتهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الحجّ: 23] وإنما غير أسلوب الكلام في بيان مستحبات وأسند الإدخال إلى الله تعظيمًا بشأن المؤمنين وتكريمًا لاتقانِ إيقانِ الموقنين وترغيبًا لغيرهم لأن ينخرطوا في سلكهم وينضبطوا في مسلكهم ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: 31] متعلق يتحلون فيها ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ عطف على ذهب أو صفة أساور ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحجّ: 23] مبتدأ وخبر.

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج: 24] المحمود في نفسه أو عافيته وهي بجنته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ﴾ ويمنعون ويطردون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهو الصراط المستقيم والإسلام ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الحج: 25] صدًّا أبدًا ويمنعون منعًا سرمديًا بلا انقطاع أزمان الحال من الاستقبال لقولهم إلى المسجد، فلا يحسن إلى

الفقراء، والمراد منه دوام الإحسانِ واستمراره ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ [الحجّ: 25] الضمير عائد إلى سبيل الله وإلى المسجد والناسِ يقع عليه المفرد والجمع ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ أي إلى الحاضر والغائب والآفاقي والمكي، وقد استشهد به أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه بأن المراد بالمسجد الحرام هو مكة على امتناع بيع مكة وإجارتها وعند الشافعي لا يقع لأن عمر رضي الله عنه اشترى دارًا للحسن من مالكيه وغير مالكيه سواء بالنص لكونه متعلقًا بآياتنا أي جعلناه مستويًا العاكف فيه والبادِ، وبالرفع لجعل الجملة مفعولًا ثانيًا ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جواب لمن عن الحسن ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾ أراد فيه فأضافه على الاتساع في الظرف كمد الليل والنهار ومزيد وأن يلحد فيه ظالمًا، وخبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ محذوف لدلالة جواب الشرط عليه أي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحجّ: 25] أي كل من ارتكب فيه ذنبًا فهو كذلك.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾ أي اذكر حين جعلناه ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي معناه ومرجعه يرجع إليه للعبادة والعمارة والبيت المعمور قد رفع إلى السماء وقت الطوفان وكان البيت من ياقوتة سرًّا فأعلم إبراهيم مكانه بريح أرسلها يقال لها المخدج كنسبة ما حوله على سد القديم ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ أن مفسرة من حيث إن يتضمن معنى يفيد لأن النبوة من أجل العبادة، أو مصدرية موصولة بالنهي أي فعلنا ذلك كي لا يشرك في عبادتي ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ من الأوزار والأقذار لمن يطوف به ويصلي. وإنما عبر عن الصلاة بباركنا هنا للدلالة على أن كلَّ حدٍّ منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحجّ: 26].

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الحجّ: 27] أي أمر من تأذن في الناس يقول يا أيها الناس حجوا بيت ربكم. وعن الحسن: خطاب لرسولِ الله ﷺ أن يفعل ذلك في حجة

الوداع ﴿بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ ماشين جمع رِجْل كقائم ورام ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ﴾ قيام حال معطوفة على حال كأنه قيل: رجالًا وركبانًا ﴿ضَامِرٍ يَأْتِينَ﴾ صفة لكل ضامرٍ لكونه بمعنى الجمع ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾ طريق ﴿عَمِيقٍ﴾ [الحجّ: 27] بعيد.

﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحجّ: 28] نكرّها لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة لا يوجد في غيرها من العبادات. عن أبي حنيفة رحمه الله يفاضل بين عبادات قبل أن يحج فلا حج. فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد فيه من تلك الخصائص كمنى عن النحر والذبح لأن يذكر الله، لأن أهل الإسلام لا ينفكون عند ذكر الله إذا نحروا وذبحوا فيه، على أن الغرض الأصلي فيما يقرب إلى الذكر ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ وقد حسن الكلام نسبيًّا بينا أن الجمع بين قوله تعالى: ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فلو قال نحروا ﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ ترشيحًا من ذلك الحسن وروحه وهي أيام العشر عند أبي حنيفة وعند صاحبه أيام النحر فكلوا منها من لحوم البهيمة وهي منهمكة في اللذات الأربع في البر والبحر فتنبت للأنعام وهي الإبل والبقر والغنم والضأن، وأمر الأكل أمر إباحة واستحباب لأن أهل الجاهلية لا يأكلون من نسائكم، ويجوز أن يكون ندبًا لما فيهِ من مواساة الفقراء ومواساتهم من التواضع وهو مقدار الثلث عن ابن مسعود قال: كُلْ وتصدق وابعث منه إلى عينه يعني ابنه ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ وانحروا ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحجّ: 28] أي الذي أصابه بؤس وشدة الفقير المحتاج الذي ضعفه الإعسار الأمر للوجوب.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾ يزيلوا أوساخهم، والمراد قضاء إزالة التفث وقص الشارب والأظفار ونتف الإبط للاستحداد ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ موجب حجهم أو ما عسى ليذرونه من أعمال البر في حجهم ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟﴾ [الحجّ: 29] طواف

الإفاضة وهو طواف الزيادة الذي هو منه أركان الحج ويقع به تمام التحلل. قيل: طواف الصدر هو طواف الوداع ﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحجّ: 29] القديم لأنه أول بيت وضع للناسِ أو أعتق من الجبابرة لم يبق منه ديار كالبيع وأصحاب الفيل وغيرها سار إليه ليهدمه فمنعه الله أو أعتق من الغرق، أو بيت كريم من قولهم: عناق الخيل والطير، فإن قيل قد توسط الحجاج عليه ولم يمنع منه مانع.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمر والشأن الرفيع هذا أو الأمر والشأن ذلك، هذا كما تقدم الكاتب حمله من كتابه في بعض أنه علم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال: هذا وقد كان كذا ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحجّ: 30] والحرمة لما يحيل هتكه، وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسِك الحج وغيرها، ويحتمل أن يكون عامًا في الجميع تكاليف، ويحتمل أن يكون خاصًا فيما يتعلق هو بالحج. قيل: الحرمات خمس: الكعبة الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والشهر المحرم ﴿فَهُوَ﴾ أي تعظيم حرمات الله ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ آجلًا وعاجلًا وثوابًا وفائدة والتعظيم هو العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بحقوقها وبمراعاتها ﴿عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحجّ: 30] دخول الغرور والنهي أو السرور من ممتزجات بالوجود والعدم ومرتضيات الحدوث والقدم.

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ لدى اختفاء ارتضاه الله ومرتضاه وإخفائه من ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ أي قصدوا بهذه الأعمال وبالاجتناب عن المنهيات وشهادة الزور يقصد الإخلاص فإن الرياء هو الشرك الخفي ولهذا أكد بقوله: ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [الحجّ: 31] ويلاحظ غيره في أعماله ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾

وسقط في الأرض ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ في الجو السماء وكرة الهواء في أثناء السقوط ويلتقمه ويبتلعه ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ ويسقط ويلتقطه ويهبطه ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحجّ: 31] إشارة إلى أن الأعمال الصالحة لله تعالى والأفعال المفلحة الفالحة، وكذا الإيمان والإيقان والعلم نتائج وخصائص وثمرات ومعارج فإن ثمرة الإيمانِ ونتائجه العروج إلى السماوات الجسمانية إن كان في درجة العِلم اليقين، أو إلى السماوات الروحية إن بلغ إلى درجة عين اليقين، أو إلى السماوات السرمدية الواحدية والجبروتية إلى أن بلغ إلى حد الشهود وسر حق اليقين وبينهما درجات كثيرة ومراتب غفيرة مختلفة بالقوة والضعف ونتائج الأذكار والإنكار وحسن الأنظار هي الأنهار الصافية والبحور الطافية من الماء والألبان والخمور والعسل والأنوار وثمرات الصلاة من الفرس والمركوب والرياض المشجرة والكروم والعنب المقتضية والمجمرة وخواص الأحكام الشرعية وأحكامها هي العمارات والأبنية الرفيعة وغير ذلك فتأتي في ثمرات سائر العبادات وباقي الطاعات.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا﴾ [الحج: 32 ـ 33] أي في الأنعام المذكورة والبهائم المزبورة ﴿مَنَٰفِعُ﴾ أي ما ينتفع منها من الألبان والوبر والصوف والسمن واللحوم وغير ذلك ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي مدة معلومة ونزهة مرسومة ودورة موسومة ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ﴾ إلى أعظم محل هذه المنافع أو أن حلالها ينتهي إلى ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحجّ: 33] والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لأن الحرم هو حريم البيت أو وجوب نحرِها أو وقت ركوبها أو محل وجوبها النحر ومكانه نحر إلى البيت وينتهي إليه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ رسل أو دين ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحجّ: 34] وشعائر أي وجعل الله

لكل طائفة وأشرع لهم مناسك مصدر ميمي بمعنى النسك ﴿لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ﴾ لا اسم غيره، ويشعر بأن الاسم غير المسمى الغرض الكلي والمقصود الأصلي من القربان والنحر هو التقرب وذكر اسمه ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾ الله أوجب على مرزوقاتهم ﴿مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ ذكر اسمه عند الذبح ونحره ﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ﴾ أي واجعلوه سالما في الغرض النفساني وخالصًا من الرياء والإلقاء الشيطاني ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ [الحج: 34] المتواضعين القانتين.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ من لمحات الضياء هيبة وسريان شعشعة أنوار جلالته ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ﴾ من المصائب وعموم البلاء والنوائب ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ والمواظبين عليها بمجامع القوى ووفور التوجه إلى المولى ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾ من النعم الظاهرة والباطنة ﴿يُنفِقُونَ﴾ [الحج: 35] على المستحقين.

﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٣٦﴾

﴿وَٱلۡبُدۡنَ﴾ جمع بدنة كخشب وخشبة وهي الإبل، وإنما سمي بها لعظم بدنها ولأن النبي ﷺ ألحق النصرة بالإبل حيث قال: «**البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة**»، فجعل البقرة في حكم الإبل ومن رفعها جعلها مبتدأ وخبره الفعل المفرد المذكور ونصبه بفعل يفسره ﴿جَعَلۡنَٰهَا﴾ قصات البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند أبي حنيفة وأصحابه ﴿لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ ومن أعلام وأحكام شريعته ﴿لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞ﴾ ومنافع ومن شأن الحاج أن يحرص على شيء فيه خير ومنافع، ولذلك قد رسخ الحرص والطمع وطول الأمل على أكثر الحاج ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّ﴾ قائمات قد صفقن بأيديهن وأرجلهن، أي قولوا عند النحر الله أكبر الله أكبر الله أكبر اللهم منك وإليك ﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ﴾ منعطف ﴿جُنُوبُهَا﴾ على الأرض، واتصلت أضلاعها بها، واعترى عليها الموت ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ [الحج: 36] أي

حلال لكم أكل لحومها ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ﴾ الراضي بما عنده وبما يعطى من غير السؤال، من قنعت قنعًا وقناعة إذا رضي بما حضر عنده من غير أن ينكل ويبالغ في طلب المقصود وخلف الأمر المقصود ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ والمعترض للسؤال ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: 36] أي البدن مع عظمها وقوتها أي سخر لكم البدن لتركبوها وتحملوا عليها الأثقال وكثير من الحيوانات الصغيرة الضعيفة وأنتم عاجزون عن إمساكهم وأكلهم وامتلاكهم.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾ أي لن يصل أصحاب اللحوم بالله ولن يقع التصدق في حيز القبول ﴿وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ المهر أي بأنهم يريدون بالإخلاص وصفاء النية وضياء الطوية، فلا يوجب التقرب إلى الله، قيل أهل الجاهلية إذا نحروا البدن وضعوا الماء حول البيت ولطخوه بالدم، فلما جاء الإسلام وعمل المسلمون مثل ذلك نزلت ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحجّ: 37] في أفعالهم وأعمالهم المتواضعين في طاعاتهم المتحابين في عبادتهم.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ غائلة المشركين وكيد الكافرين وخيانة الخائنين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحجّ: 38] يخونون الله ورسوله ويخونون عن أماناتهم فهم يكفرون نعم الله وينكرونها فإنهم يتقربون إلى الأصنام ويخون لديها.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ أي رخص وجوز للذين يقاتلون على بناء الفاعل ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ [الحجّ: 39] أي بأنهم ظلموا المؤذون للقتال هم أصحاب النبي ﷺ حيث كان المشركون يؤذونهم ويظلمونهم فأتوا إلى النبي ﷺ وشكوا

عنهم فقال لهم: اصبروا فإني لم أؤمر بالقتالِ حتى [نجاهد] هذه أول آية نزلت للجهاد مع المشركين ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ [الحجّ: 39] عدة لهم ووعدهم بالنصر والظفر والتأييد، كما وعد لهم النجاة عن أذى المشركين.

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ بغير مكة ﴿بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ وسبب ظاهرٍ استحقوا للخروج بيان للرد، وإذا قيل الهجرة وترك الوطن أي ليس لإخراجهم سبب ظاهِر موجب شاهر ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾ في الخلوة ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ إما مرفوعان على الابتداء والمجرور أن يدلان عنه بغير حق قيل استثناء منقطع أي بغير موجب الاعتراف بالتوحيد والإقرار بكمال التفريد ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم﴾ بعض الكفار والمشركين ﴿بِبَعۡضٖ﴾ يعني بتسليط المؤمنين الموحدين على الكفار المشركين ﴿لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ﴾ للنصارى علمًا وهم الذين يدرسون فيها وهي البيع ويرتاضون فيها رهبانهم ويعبدون الله ليلًا ونهارًا مخلصين متضرعين خائفين بأس اللهِ وشدة بطشه ﴿وَصَلَوَٰتٞ﴾ مواضع الصلوات لليهود ﴿وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ﴾ [الحجّ: 40] مساجد وحدودها كالجوانب والخلوات التي يأوي إليها المجاهدون في سبيلِ الله جهادًا كبيرًا أو من الموحدين الذين ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: 191]، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: 16] فيها من العلوم العقلية والرسوم الفعلية، هذا لأهل الإسلام وأصحاب التوحيد ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحجّ: 40] من المؤمنين والكافرين يفعل الله ما يشاء أو يحكم ما يريد.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ﴾ وآتيناهم وقربناهم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبة

وغيرها ﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحجّ: 41] حسن خاتمتها وخيرها منها.

إشارة وتأويل

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ أيها الأعيان النورية الجمالية الوجودية أو الأمور السبعة القلبية في مقتضيات الأدوار الوجودية النورية الجمالية الصريحة ومرتضيات الأكوار الظلية العدمية الجلالية الضمنية ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى القصد اقتضاء فرداريّة الأدوار والأكوار الإفرادية وكذا في الأدوار والأكوار النورية والظلية الجمعية ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ أي محل تصرفها أو وقت النصر فيها محل ووقت ينتهي ويتصل ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ﴾ إلى بيت القلب الكامل الذي يتبع الذات القديم «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن» ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحجّ: 33] الثابت الحقيق في كل دورة وكورة عظمى وكبرى ووسطى وصغرى وهو الصورة النوعية والهيئة الجمعية الإلٰهية والكونية التي لا يفنى ولا يزول أصلًا.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم الإلٰهية والكتابية في الأدوار والأكوار الإفرادية الجمعية ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحجّ: 34] ومشعرًا ومعبدًا يعبد فيه ويذبح النفس العاملة المتصرفة وتصرف عن مقتضياتها إلى بيت الطور القلبي والدور الغيبي والجمعي ﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ الجامع الحاكم على مقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِۗ﴾ أي النفس البقرة اللوامة والبدنة الملهمة والطاعة المطمئنة، إشارة إلى انقياد النفس ودخولها في حكم سلطان القلب الجامع الحاكم في بدرة البدن على تمام أعيان القوى البدنية والمبادىء النفسانية والمبادىء الروحانية بأن خص كلًا بنوع من العبادة والذكر والطاعة المعبدة وبالتوحيد ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ في تمام الأدوار وعموم الأطوار في جميع الأكوار ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْۗ﴾ في هذه الأدوار في تمام الأطوار وإن كانت مقتضياتها مختلفة ومرتضياتها متغايرة ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحجّ: 34] المتواضعين المخلصين لسلطان القلب المطيعين لأمره وحكمه وهو يتضمن أن يطيعوا جميع الأشياء.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وخافت وخضعت في تمام عيونهم وتعدى

وترى أي وجهتهم وخوفهم في النفس في تمام الأحوال فحد يؤثر بعمل يصل بها ويتصل إليها من الأغذية والأهوية والأدوية وأحكام الإحساسات وأعلام الإدراكات الواصلة من الحواس إليها بالإصلاح والفلاح والإفلاح فيتحرى ويليق أن يصل إلى القلب ويستصحب به عند التقلب إلى الرب ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ﴾ في أثناء السير والسلوك إما إلى الدرك الأسفل أو إلى المعلول ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الحقيقية عند الوصول إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي لا الكمالي والتكميلي ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الحجّ: 35] في مقام الإرشاد والتكميل.

﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم﴾ إشارة إلى مقام الإرشاد والتكميل الذي يحصل بعد العود من الكمال الجمعي اللاهوتي إلى الجمع الكمالي الناسوتي ويخصص بها ﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ التي يحصل الشعور والإشعار الرباني في طور الإرشاد ﴿لَكُمۡ﴾ أيها الكاملون بالأطوار السبعة القلبية ﴿فِيهَا خَيۡرٌ﴾ [الحجّ: 36] من الإدراكات المخزونة في المعارف المكتوبة في خزائن الأطوار السبعة المذكورة كمية منها سفلية وهي القابلية والنفسية والقلبية وأربعة منها علوية وهي الأطوار السرية والروحية والخفية والحقية وهي مطايا شهود التجليات الأربعة الإفرادية الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية، وأما الصورية الجمعية فهي التي تتراءى بصورة الإنسان الكامل ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ أي على التجليات المذكورة وهي مجالي العوالم الخمس أربعة منها إفرادية وهي اللاهوت والواحدية والجبروت ومرتبة الأرواح وملكوت الملك والشهادة إلى الناسوت، وأما الناسوت فهي الصورة النوعية والهيئة الجمعية الإنسانية.

أقول وروح القدس تنفث من نفسي — أن وجود الحق من عدد خمس

﴿صَوَآفَّ﴾ أي ليكافأ أرصاف ويتبعا في الصفاف والأطراف ﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾ أي إذا حصلت الطمأنينة والوقار والتمكن، وظهرت في الجوارح السكينة والاستكانة ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ وكيفوا من إخفاء طاعاتها وعبادتها ومن ثمرات علومها وإدراكاتها من نتائج تقويتها الفاضلة وهي العفة والشجاعة والحكمة والعدالة ولكل من هذه الأصول الأربعة نتائج وفروع كما فصلت وبينت في علم الأخلاق ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ﴾ من النفس اللوامة ﴿وَٱلۡمُعۡتَرَّ﴾ الملهمة ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾ أي سخرنا من بين النفسين كما سخرنا النفس الأمارة وأدخلناها تحت حكمهم

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحجّ: 36] أي أعاملكم معاملة المنعم بالمتنعم الشاكر بالمتنعم الصابر.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحجّ: 37] أي لن يقبل إلى مقام المشاهدة بكمال الرياضة ولا بوفور شدائد المجاهدة إلا بكمال وفور خصائص الاختصاص بالنعم بتقوى القلوب عن سوى الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحجّ: 38] أي يدفع الترددات وعوائد التفرقات في كثرة النشأة بفرق الشؤونات في أطوار الغيب عن المتحققين بالكمال الجمعي والوجود المعي لتحققهم بالذات بتمام الأسماء والصفاتِ، والباقي إلى آخر العشر ظاهر لا يحتاج إلى التأويل.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد فيما بلغتهم وأرسلته إليهم ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ﴾ وكذا كذبت قوم نبيّهم وهود وكذا كذب ﴿وَثَمُودُ﴾ [الحج: 42] نبيّهم أعني صالحًا.

﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ [الحجّ: 43] قد كذبوا قومه حين دعاهم من العمل الأشنع وهو اللواطة.

﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾ فقد كذبوا شعيبًا ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ أي قوم القبط وهم قوم فرعون، وكذا كذب قومه وهم السبط، يعني أن شأن الأنبياء ولوازمهم أن يكذبوا سواء كان المكذبون قومهم أو غيرهم هذا مزيد السكينة لنبينا ﷺ ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ وأمهلتهم وتركتهم وكفرهم ﴿ثُمَّ﴾ بعد انهماكهم في كفرهم وتماديهم في تكذيبهم الحق ورسله ﴿أَخَذْتُهُمْ﴾ وعاقبتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحجّ: 44] ووقع عذاب ونقمة وعذاب.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ وأهلها بتسليط الجيوش عليهم ﴿وَهِيَ﴾ أي أهل قرية وجماعة سكانها ﴿ظَالِمَةٌ﴾ كافرة، أو الأماكن والمواضع والمساكن مختلفة الأحوال، فمنهم مؤمن ومنهم كافر ومنهم عاصٍ، فمن كان مادة بدنه وأصل بنيته عن الأرض المؤمنة فهو مؤمن، ومن كان غير ذلك فهو كافر وعاصٍ وفاسقٍ ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة من خوى النجم أو أسقط أو خالية من خوى المنزل إذا خلا من السكان وخوى بطن الحامل ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ إما متعلقة بخاوية بمعنى إنها خربت دورها فخرت وسقطت فوق السقوط والعروش والجملتان الاسميتان أولها منصوبة على الحالية، وثانيهما لا محل لها من الإعراب لأنها معطوفة على أهلكنا لا محل له من الإعراب ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ خالية عن الشبح لاستهلاك من ينتفع بها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحجّ: 45] خليناها عن السكان معطوفان على قرية، أي كم من قرية أهلكناها وبئر وقصر عطلناهما أو تركناهما بلا استئناس وانتفاعٍ قيل: هي بئر ورد صالح مع طائفة، فجمع قومه وهم أربع آلاف من المؤمنين أنجاهم الله من العذاب وحين حضرها صالح بات فيها، وثم بلدة عند البئر أسماها حاصورا بناها قوم صالح وأمر عليهم حليس بن حلاس إذ أقاموا فيها زمانًا طويلًا وكفروا وعبدوا أصنامًا فأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان نبيًّا فقتلوه وأهلكهم الله به فعطل بئرهم وخرب قصورهم.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ حيث لهم أن يسافروا سفر المعتبرين الذين نظروا في آثار الهالكين ومصارع المستهلكين واعتبروا اعتبار المستبصرين ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ فيستبصروا استبصار العقلاء الكاملين ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج: 46] ما يجب استماعه من الوحي فيه التوحيد والنصح والموعظة الحسنة والمنزهات والتنبهات الموقظة فيتأملون في الصنائع البديعة والبدائع الرفيعة

فأخذهم الله إلى التوحيد الذاتي والصفاتي والأفعالي والآثاري والصوري، فلا يرى ولا يشاهد في الوجود والكون بعين القلب الذات بجميع الأسماءِ والصفات والأسماء والأفعال والآثار، وبالصور النوعية والهيئة الجمعية الإنسانية ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ التي خلقها الله تعالى لإدراك الأشكال والألوان وإحساس صور الأكوان ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحجّ: 46] يعني ليس العمى إلا عمى القلب لعموم ضرره دنيا وآخرة صورة ومعنى ظاهرًا وباطنًا، ويدوم ضرره أبد الآباد.

واعلم أن للقلب وجهين: وجه إلى النفس والبدن وله عين إلى المحسوسات يشاهد المعاني الحسية بذريعة الوهم ووجه إلى الروح وعالم القدس له عينان يشاهدها بأحدهما المعاني القدسية والحقائق الإلٰهية، وهي البصيرة وبالثاني يعاين الوجه الإلهي ويشهد التجلي الرباني ويسمى بالسر والفؤاد ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: 11] أي والقلب في نعته حقيقة برزخية بين النفس والروح وإنما جعل الصدور طرف القلب إشعارًا بأن عمى القلب أي هو بالوجه الذي يقابل النفس وهو الصدور وإنما نفى العمى عن البصر وأسند إلى القلب إشعارًا بأنه للقلب حقيقة وللبصر مجاز فليتحقق هذا الأمر زاد الله فيه اليقين وكاد فيه التبين.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ أي يطلبون منك الاستعجال ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ كما هو شأن حقيقة الإنسانِ فإنه مخلوق على الاستعجال الطبيعي، خلق الإنسان عجولًا ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ في إعطاء الثواب وإجراء العذاب وإنما ترك العذاب إيماء إلى أن الله غفور، وإن رحمته قد سبقت غضبه، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ من الأيام الربوبية التي بعدت العذاب فيها الإلٰهية التي هي مواقِع الرحمة والمغفرة والعروج إلى حضرته، فإن يومًا منها خمسين ألف سنة يعرج الملائكة والروح إليه ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحجّ: 47]، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعَارج: الآيتان 4، 5].

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الحجّ: 48] أي وكم من أهل قرية أهلكناها وإنما عطفت الأولى بالفاءِ وهذه بالواو وكلاهما بمعنى واحدٍ وهو النكير لأن الأولى بدل من قوله: فكيف كان نكير، وأما هذه حكمها حكم ما تقدم من الجملتين المعطوفتين بالواو منهما ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الرُّوم: 6]، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ [الحجّ: 47]، ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ وتركتها وأمهلتهم ولم أستعجل عذابهم والحال ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ على نفوسهم وعلى غيرهم فاستحق أهلها أن يعاقبوا بالهلاك ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ والعقاب بالإهلاك ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحجّ: 48] أي يصير ويرجع الكل إلى حكمي إما بالعذاب وإما بالثواب وحسن المآب.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ ومخوف ﴿مُّبِينٌ﴾ [الحجّ: 49] ظاهرًا.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحجّ: 50] ورحمة واسعة.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ وجدّوا واجتهدوا ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ معاني أجزاء كتابنا بالطعن فيها وإنكار معجزاتها، يقال سعى فلان في أمر فلانٍ إذا أصلحه وأفسده بسعيه ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ سابقين ومتسابقين لقبول المدعى ولحقيقة من قولهم عاجزه وأعجزه وعجزه إذا سابقه، إذ كل من المتسابقين طالب لإعجاز الآخر عن اللحاق به ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحج: 51] النار الموقدة أو الدرك المخصوص المعهود به.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ في الزمانِ السابق ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ في الوقت

دليل على تغايرها سئل النبي ﷺ عن الأنبياء قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا وعن الرسل قال: ثلثمائة وثلاثة عشر جمًّا غفيرًا فالرسول من جمع الكتاب إلى المعجزة والنبي من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أمر أن يدعو الخلق إلى الحقِّ فالنبي أعم من الرسول. نزلت حين أعرض قوم الرسول ﷺ عند نزول آياتٍ قد خالفت غرضهم لفرط عجزه من إعراض قومه عنه ووفور حرصه وتهالكه على إسلامهم أن لا يزول عليه ما ينفرهم لعله يتخد ذلك طريقًا إلى اشتمالهم واستنزالهم عن غيّهم وعنادهم، فاستمر به وتمناه حتى نزلت سورة النجم، وهو نادى قومه، وذلك التمني في نفسه، فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ﴾ [النجم: 20] ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ ووسوس إليه بما شيعها فسبق لسانه على سبيل السهوِ والغلط فقال: «تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى» ولم يفطن له حتى إذا أدركته العصمة فنبه عليه أو نبهه جبرائيل وتكلم بذلك الشيطان فأسمعه الناس، فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من كان في الناس، فطابت نفوسهم واستدامت مجالستهم وجلوسهم، فطمعوا في مشايعة النبي برأيهم، فكان تمكين الشيطان من ذلك محبة من الله وابتلاء، وزاد المنافقون به شكًّا وظلمةً، والمؤمنون يقينًا وهدايةً وإيمانًا وإيقانًا في العقيدة واليقين، يعني أن الرسل والأنبياء من قبلك كانت هجراهم وعادتهم ودأبهم إذا تمنت مثل ما هو تمنيت، مكّن الله الشيطان لتلقي في أمانيهم مثل ما ألقيت في أمنيتك إرادة امتحان من حولهم، والله سبحانه وتعالى له أن يمتحن عباده بما يشاء من صنوف المحن وأصناف الفتن لتميز الثابتين عن المنافقين المترددين، وهم المنسلكون التائبون المنهيون عن المعاصي، والمتناسين الغافلين، فيزيد في ثواب التائبين القانتين ويضاعف في عقاب المذنبين. قيل: تلك الغرانيق حتى الملائكة الذين هم شفعاء ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي يذهبه ويمحوه ويبطله ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال المؤمنين الثابتين التائبين وأحوال القانتين المترددين ﴿حَكِيمٌ﴾ [الحج: 52] على الفريقين أو يحكم على أحوالهم.

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الحج: 53] آياته في قلوب المنافقين من الشك عليه

ليمكن الشيطان وبثباته منه، وذلك على أن الملقي أمر ظاهر عرفه المحق المحقق والمعطل المفرق ﴿فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وشك ونفاق وإفك وشقاق ﴿وَالْقَاسِيَةِ﴾ المظلمة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بالشكّ والنفاق ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ من هؤلاء المنافقين الغير الموافقين ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: 53] أي غاية الخلاف ونهايته ابتغاؤهم التلاق في زمان بعيد ووقت مديد وضع المظهر موضع المضمر قضاء عليهم بالظلم والشقاوة وكمال النفاق ووفور الشقاق.

تأويل إشارة

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ [الحج: 42] إلى آخره، إيماء إلى الأدوار الأربعة النورية الديمومية الوجودية الجمالية الأصلية والفرعية الإفرادية والجمعية وإلى أصحابها حقائق مبانيها، وإلى أن ما فيها من الأعيان والأكوان وأحوالها من الإيمان والكفر والطغيان والظلم والفسق والعصيان متطابقة والظلال متوافقة.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الحج: 45] في الأدوار الأصلية والدورة العظمى والكبرى والوسطى والصغرى والفرعية ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الحج: 45] وانقرضت وأفنيت أهلها. والمراد بالقرية الأطوار السبعة القلبية ومقتضياته، فإن الله قد أمهل السالك العارف وأطواره في الاستكمال فإذا جاءهم الآية، أي الجذبة الإلهية والجلبة الذاتية فأحبهم وجمرة من جمرات المحبة الهوية الغيبية جعلتها قاعًا صفصافًا، وبدلتها وجعلت عاليها سافلها، وجعلت بئر القوة العملية وقصر القوة النظرية معطلًا خاليًا عن تصرف القوى البدنية والمبادي النفسانية والمنادى الروحانية.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ حيث عين السير الحكمية من الله وفي الله في الأدوار والأكوار الكونية الأصلية والفرعية الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية فإن شاهدوا أنوار الجمال وأسرار الجلال وأطوار الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ أي حدّ العقول متجاوزين من النظر والعمل إلى شرف الوصول أو التعشق، يعقلون ويشاهدون أنوار الجمال وأسرار الجلال وأطوار الكمال الجمعي والجمع الكمالي على طريقة الكشف الصحيح وطور العقل الصريح ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الكلام الإلهي في مقام يتحد السمع بالبصر فيكون

السماع عين الشهود والرؤية وذكر عين ذكر البصر، ولذا صرح بذكره بقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ولا ينفي خصوصية الإدراك البصري في هذا المقام لتحققه في الإدراكِ السمعي والشهود الأدنى لاتحاد السمع والبصر وطعنًا ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46] ولأنه يستلزم عمى البصر والسمع إشارة بأن شعور المشاعر الظاهرة والباطنة وإدراكها ومشاعر شعورها ومظاهِر استدراكها وظهورها فتكون المشاعِر من جملة ظل القلب ووسائل إدراكاتها، فصلاحهما لا يستلزم صلاحها وفسادها. قال النبي ﷺ: «**إن في جسد [ابن] آدم مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب**».

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج: 47] وذلك لأن الأعيان والأكوان من حيث إنها حصص الوجود المطلق وحصص الذات البحت الحق يطلعونه ويبادرون إليه يسارعون بالجمع لديه ففي طبيعة كل منها إلى أن يتوجه إلى صلة الحقيقي وشبحه الذاتي ولهم في هذا المطلب عوائق وموانع لا ترتفع إلا بالعذاب بالنار التي من شأنها جمع المماثلات وتفريق المتخالفات ولذا استعجلوه، وإن الله تعالى قد قضى في سابق علمه وسابق حكمه وارتفاعِ الموانع ووعد بإرجاع الكلي إلى أصله الأولي وشبحه الأزلي وقد تحقق أن الله لا يخلف الميعاد ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج: 47] بأن يدخل الكل في الجنة ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]، لو علم الكافر ما عند الله لما قنط من رحمته يومًا ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: 47] إشعار وبينة إلى أن أيام الآخرة غير أيام الدنيا لما تحقق من أن موطن الآخرةِ ومعطن أحوالها وأحكامها إنما هو عالم البرزخ وعالم الملكوتِ ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100] وإنّ الدنيا هي عالم الملك والأجسام وهو أقرب إلى المركز. وقد تقرر في الحكمة الرياضية أن الدوائر القريبة إلى المركز أصغر من التي هي أبعد فلا بد أن تكون أجزاؤها أصغر من أجزاء الدويرة البعيدة ودوائر عالم الآخر على تقادير درجاتها بعضها أبعد من البعض وأجزاؤها أعظم، فيوم عالم البرزخ المعادي بألف سنة والمبدئي، وهي الربوبية ألف سنة ويوم عالم الملكوت والأرواح خمسون ألف سنة ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4]، ويوم عالم الجبروت ثلاثمائة وستون ألف

دورة من الأدوار الربوبية وأيامه الأيام الإلٰهية، ومقدار اليوم الإلهي ثلاثمائة وستون يومًا من الأيام الربوبية.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ والأولى إشارة إلى الجذبة النورية الجمالية الوجودية، والثانية إلى الجلبة الظلية الجلالية العدمية، فإن العدم في اللّهِ في الطور التجلي الظلي الجلالي العدمي ﴿وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحج: 48] من اللّهِ وإلى الله المصير إشارة إلى الكمال الجمعي الإفرادي النوري الجمالي في السير في اللّهِ.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الحج: 49] إشارة إلى الجمع الكمالي والكمالي الجمعي بطريق جمع الجمع سائر إلى الله الجامع للنور الجمالي والوجود والظل والجلال والعدم والكمال المشاهدة والشهود.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ في الدور الجمالي والطور الجلالي ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: 52] لما علمت أن كل عين من الأعيان الجمالية وأي كون من الأكوان الجلالية طاوي على المولود الجني، والمعهود الشيطاني يزاحم المولود الأصلي في مقتضيات الأولي والمولود الجني الذي هو الثاني للأديان النورية الجمالية وهو من جنس الظل والجلال، والمولود الأصلي النوري في الأولي الصريح إنما هو من مقتضى النور والجمال والمولود الجني الضمني للأكوان الجلالية إنما هو من جنس النور والجمال والموجود الأصلي الأولي إنما هو من مقتضى الظل والجلال، فحق المولود الجني الشيطاني إنما يكون خفيًّا ضمنًا تابعًا للمولود الأصلي الأولي بصريح الحديث كما أشار النبي ﷺ: «**ما منكم إلا وله قرين جني، قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: وإياي إلا أن اللّه تبارك وتعالى أعانني عليه فأسلم بيدي ولا يأمرني إلا بالخير**».

والمولود الأصلي إذ أراد وتمنى أمرًا من الأمور وإلى فعل من الأفعال العبادية أو العرفية أو إلى علم من العلوم الدينية أو الرسمية أو الحقيقية صريحًا أو قضى أمرًا من الأمور ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ الضمني والمولود الجني خلاف ما أرادوا وقصد وعمل ونازع في أجره إلى مراده ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي يوعظه الحق الحاكم على المولودين كما ويذلله المولود الأصلي الصرخ إلى الحق ويذلل الشيطان والمولود الجني الضمني ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج: 52]

بتعاقب كلياته وتوارد جذباته ومواعظه، قال النبي ﷺ: «**من كانت له نفس واعظة كان له من الله حافظ**» والباقي ظاهر.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ واللام لتوطئة القسم والله إن لأعيان الذين أعطو لهم العلم النافع ﴿أَنَّهُ﴾ أي القرآن النازل على النبي ﷺ أو تمكين الشيطان من الإلقاء هو ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ الصادر الظاهر من الله سبحانه لأنه مما جرت به عادته من لدن آدم إلى الخاتم ﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ أمر من الله للمؤمنين أن يؤمنوا به أي باللّهِ أو بالقرآن أو بالإلقاء المذكور ﴿فَتُخْبِتَ﴾ وتنقاد وتتضرع ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ بكمال الحسنة ووفور التضرع بالإرادة والمشيئة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بالله ورسوله ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: 54] وطريق قويم في تأويل متشابهات الكتاب وتنزيل متوردات الخطاب ويطلب المجمل الذي يقتضيه الأصول المحكمة ويرتضيه الفصول وتفصيل القوانين المجتهدة المقومة حتى لا يظهر بهم حيرة ولا يعتريهم شبهة بلا خبرة فلا تزل أقدامهم ولا تبل أعداء الأباطيل أقلامهم ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7].

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ باللّهِ وبما جاء من عنده ﴿فِى مِرْيَةٍ﴾ وشك وفرية وإفك ﴿مِّنْهُ﴾ أي من القرآن أو الرسول أو بالإلقاء للمفعول ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ ودفعة واحدة فجأة المراد يوم القيامة أو الموت الذي هو القيامة «**من مات فقد قامت قيامته**»، أو شرطه ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: 55] أي يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر قتل فيه أبو جهل وأحزابه من صناديد قريش، سمي به لأنهم أولاد نساء يقتلون فيه ولأنه لما قتل انقطع نسله وكان عقيمًا، أو لأنهم لا خير لهم فيه. ومنه الريح العقيم لما فيها لم تنشئ مطرًا ولم تلج بحرًا، أو لأنه مثل له لقتال الملائكة فيه والمراد يوم القيامة إذ الساعة غيره أو هي من طلائعه أو ذلك من مقدماته التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها العديد.

﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦﴾

﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ أي يوم يؤمنون أو يوم نزوله فيه مرتبتهم ﴿يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ بالمحازاة مؤمنًا كان أو كافرًا بدليل ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الحجّ: 56].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الواضحة في البينات الساطعة الفائحة في الآفاق والأنفس ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [الحجّ: 57] عظيم أليم مخزي مذلل من الإهانة، وفي إدخال الفاء في الخبر الثاني الدالة على الجزء دون الأول تنبيه وإشعار بأن جزاء المؤمنين الحسنات إنما هو فضل وعناية من الله، وجزاء الكفار بالعذاب إنما هو بسبب أعمالهم السيئة ولذا قال: لهم عذاب دون عذاب، كما قال في حقهم: في جنات.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٥٨﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وترك الأوامر المألوفة والمساكن المعروفة ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾ في الجهاد ولمحبة اللّه ﴿أَوۡ مَاتُواْ﴾ في الغربة بعد الهجرة ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ﴾ وأعطاهم اللّه ﴿رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ الجنة ونعيمها، وإنما سوى عليهما لاستوائهما في القصد وأصل العمل روي أن الصحابة قالوا: يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا؟ فنزلت ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الحجّ: 58] وإنه يرزق من يشاء في الدنيا والآخرة بغير حساب.

﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ٥٩﴾

﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ﴾ في الجنة فيها ما يحبون ويرضون به ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بأحوالهم وأحوال أحفادهم ومراتب استحقاقهم ودرجات العالمين مقامات العارفين العاملين ﴿حَلِيمٞ﴾ [الحج: 59] لا يغافل عن تفريطه المفرط منهم تفضيله وكرمه.

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمر بالعقاب ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ ومن عاقب شخصًا إلا بعد أن يكون ذلك العقاب بمثل ما عوقب به، أي نسابًا لما عوقب به من غير زيادة في الاقتصاص وإنما من سمي الابتداء بالجزاء لملابسته من حيث إنه سبب وذلك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ بالمعاندة والصلف والمعادات ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ ألبتة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحجّ: 60] يعني بعض عن عواقب بالإخلال عن العقاب والعفو على الحال عن طريق التنزيه لا التحريم ومندوب إليه ومستوجب عند الله مدح يعني لا يلومه على ترك ما يبعثه عليه هو ضامن لينصره في كونه الثانية من إخلاله بالعفو وانتقامه عن الباغي عليه ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك مما كان أولى به من العفو ويلوح به كذكر هاتين الصفتين، يذكره بالمغفرة على أنه قادر على العقوبة به لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على هذا النصر.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي بسبب أنه قادر على النصرِ وغيره ومن آيات قدرته ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحجّ: 61] أي منصرف قادر على إيلاج أجزاء الليل في أجزاء النهار كما هو غرك انتقال النير الأعظم إلى نقطة الاعتدال الربيعي وهو الحمل، ففي عرض السبعين يطلع الشمس ويدور فوق الأفق ستة أشهر وهو نهاية هذا العرض وذلك لأن معدل النهار في هذا العرض ينطبق على الأفق وتكون حركته ورخوته ونصف منطقة البروج من الحمل إلى الميزان شمالنا فوق الأرض، والشمس ما دامت في هذا النصف أبدية الظهور فتكون نهارًا، فالليل في هذه المدة أولجه في النهار مندمجة وإذ تحول النير الأعظم إلى نقطة الاعتدال الخريفي، أعني الميزان يقع تحت الأرض ويظهر الليل ويختفي النهار ويندمج ويلج فيه وابتداء إيلاج النهار في سائر العروض إنما

يكون من نقطة الصيفي وانتهائه إلى نقطة الانقلاب الشتوي.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج: 61] إشارة إلى قدرته ووفور حكمته بأنه قد أدرج الأشياء المتقابلة المتضادة بعضها في بعض كما أولج الآخرة في الدنيا، والجنة في النار، والنار في الجنة، كما أشار إليه النبي ﷺ في جواب هرقل عظيم الروم حيث كتب إليه ودعاه إلى الإسلام ووعده الجنة وكتب: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]، فسأل وقال: أين النار؟ فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله فإن جاء النهار فأين الليل**»، يعني ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ وبالعكس، لا يقال: النهار والليل يدوران على دوران لأنا نقول: إن دوار الشمس علامة الإيلاج وأمارة الاندماج فيكون بينهما دوران، فتأمل وتدبر ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحجّ: 61] يسمع طلبك الأشياء الكمالي اللائق بكل منها ويبصر استعداد كل شيء منها ويرى مقداره فيعطي كلًّا منها ما يليق بحاله.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الوصف التكويني والخلق الوصفي ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ الثابت الوجوب الذاتي في نفسه والفناء الذاتي في ذاته ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ والممتنع العاطل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ من أن يكون له شريك في الذاتِ الإلٰهية ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج: 62] من أن له نظير في الأسماءِ والصفات المعبودية.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ٦٣﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ استفهام تقرير وتحقيق فلذلك دفِع ﴿فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ﴾ ولم ينصب ليقع جوابًا للاستفهام إذ لو نصب لا يقلب إلا بقي الاخضرار مثاله إذا قلت لصاحبك: ألم تر أني أنعمت عليك فاشكر فإن تصيبه فأنت ناف لشكره فإن رفعته فأنت مثبت للشكر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ موصل علمه وفضله ونعمه إلى كل شيء ﴿خَبِيرٞ﴾ [الحج: 63] أحاطت خبرته وعلمه

وحكمته الأشياء ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى له.

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ خلقًا وملكًا من الجواهر والأعراض من الأجزاء والبسائط والأعيان والملكية والملكوتية والعقول والنفوس والأجسام الشهادية الملكية ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ الذات المستجمعة لجميع الأسماء والصفات ﴿لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ [الحج: 64] بالذات غير محتاج إلى شيء أصلًا لما في الذات ولا في السماء والصفات ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحج: 64] يعني المستحق بالذات جميع المحامد وتمام الكمالات من أهل الأرض وأعيان السماوات.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم﴾ أي لأجلكم ﴿مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من المعادن وأنواع الأماكن والمساكن وما على الأرض من النباتات والحيوانات النافعة ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ والسفن، وهي من جملة المنجزات قرئ بالرفع على أنه مبتدأ وخبره ﴿تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ بإذنه وحكمه وإرادته ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ من جميع الجهات ﴿أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ﴾ ويسقط عليها وذلك أن السماء مرفوعة عليها عمد وأطناب ووتدٍ من غير أن يحيط بالأرضِ وجميع الجهات على ما ذهب إليه المليون من أن السماء كخيمة موضوعة على الأرض وأزيالها مرسلة على جبل القاف.

وأما ما ذهب إليه أرباب التنجيم من أنها كرية محيطة على الأرض من جميع الجهات وهي في وسطها لنسبتها إليها من جميع الجهات على السواء بحيث ينطبق مركز حجمها على مركز العالم وهو مركز السماوات والأفلاكِ الكلية الموافقة للمركز وإن كانت مراكز حواملها والخارج والمراكز خارجة عنه لحكم ونكتة قد ذكرت في مواضعها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾ [الحج: 65] الساكن على الأرض وهو وإن كان في الظاهِر مخالفًا لما ذهب إليه المليون لأهل الإسلام أرباب البصر والجماعة

وليس لهذا الخلاف ثمرة مقيدة بها ولا فائدة يعتد عليها إذ كون السماء مستديرة وكرات حقيقية لا يخالف القاعدة الإسلامية وهي الخرق والالتئام والحشر والنشور والساعة ويوم القيامة، بل القاعدة الحكمية سيما الحكمة الطبيعية وهي أن الخرق والالتئام لا يحصل إلا بالحركة المستقيمة وهي تلتزم الخط المستقيم الذي بدأ في الاستدارة الحقيقية ﴿لَرَءُوفٌ﴾ بعباده حيث سخر الأفلاك وما فيها وهيأها لهم بمنافعها ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الحج: 65] بأن يرفع عمادها ويحفظ السماء من أن تسقط على الأرض فيهلكهم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ مرة في الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ فيها ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في الآخرة مرة ثانية وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة والحال ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ المخلوق من أمرين متباينين وجوهرين متغايرين وهو الروح الإلهي النوراني والبدن الكوني الظلماني ﴿لَكَفُورٌ﴾ [الحج: 66] جحود في النعمة الظاهرة والباطنة المخالف لاقتضاء أحدهما الأخرى.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ متعبدًا وشريعة ومعبدًا أو متعبدًا وقد يعتدوا بها وقيدوا لها غيرهم، أو عبادًا يترتبون فيه ويتيقنون لديه ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ فيمسكون به ويشرعون فيه ﴿فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ﴾ نهى رسول الله ﷺ بالمنازعة في الدين فإنهم جهلاء ولا علم لهم ولا دراية عندهم وهم كفار وسراق فإنهم كانوا ينازعون المسلمين في الذبح بأنهم يأكلون ما يقتلون ولا يأكلون ما قتلهم الله أي البيئة ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ في بأحكام من النسائك ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وتوحيده وامتثال أعلام دينه وأحكام كتابه ومستودعات خطابه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحجّ: 67] وصراط قويم وهو الإسلام.

﴿وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَإِن جَـٰدَلُوكَ﴾ في أمر الدين وأحكامه وشرائطه ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحجّ: 68] من المجادلة والمكابرة والمعاندة في أمر الدين ومناسِكِه وهو وعيد من اللّهِ.

﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ﴾ يا أرباب الكفر والظلم والنفاق وبين للمؤمنين بعمل الحق بالثواب والعقاب يوم الفصل والقيامة كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات وإظهار المعجزات وأنواع الكرامات ﴿فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [الحج: 69] محامل ينهوا الدنيا.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾﴾

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ وما فيهما من اللطائف الروحانية والملكوت العالية والمدبرة والأفلاك المدبرة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور المختص بالسموات أو المشركين من العلويات والسفليات ﴿فِي كِتَٰبٍۚ﴾ مبين وهو اللوح المحفوظ والعقل الكل والحضرة العلية ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الأملاك من أحوال السماوات والأرضين وأشباهها ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحجّ: 70] وسهل قليل لإحاطة الجميع بالأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية، وجمعية الجمعية في الإلٰهية والكونية، والمذكور في جنب ما لم يذكر كأن لم يكن.

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: 71] أي غير الذات الواجبة الكاملة في ذاتها وصفاتها وأفعالها وآثارها وهي الأجرام السماوية والأجرام العنصرية وما يتركب منها، وما يحدث من الحركات الفلكية والأوضاع الكلية والجزئية، وما يصدر بواسطتها من الحوادث الزمانية والحوادث المكانية إلى غير ذلك ﴿مَا لَمۡ

﴿يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي وجهة نبوية من الوحي والوارد والإلهام والخطاب والهاتف، وغير ذلك مما يتمسك به في صحة العبادات وقبول الطاعاتِ من جهة البرهانِ النظري والبنيان الفكري طريق الاستدلال، وضابطة الحدس والانتقال ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بطريق آخر إن أمكن ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ المتجاوزين عن الحدِّ العقلي والسد الشرعي والسد الوصفي العرفي ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ [الحجّ: 71] لأنه الإنس والجن ولا من الملك وذلك لإجرائهم الأمور على النهج العقلي إذ طريق العقل في الكل واحد.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ وأجزاء كتابنا حال كونها ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ وأمورًا واضحات الدلالات على التعايد الحقة القواعد الدقة أعناق الجبابرة الجهال عن الفقه ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وعضون جباههم الأمر ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**» الحديث ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ أي يذهبون وينظرون ويتحركون دفعة واحدة لكمال غيظهم ﴿بِٱلَّذِينَ﴾ أي الأشخاص المؤمنين الذين ﴿يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ﴾ ويقرؤون عليهم ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ ليبطشوا التالين القرآن عليهم أشد بطش ليهلكهم ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ وأشد ضررًا وأكثر شررًا من الذين أنكروه هو ﴿ٱلنَّارُ﴾ المحرقة المفرقة التي ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحجَ: 72].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ عليكم لتيقن حقيقة الحال ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [الحجَ: 73] لتنتفعوا به في طريق الحق، وإنما سميت القصة الظنية الرابعة الملقاة بالاستحسان والاستغراب مثلًا متشابهًا ببعض الأمثال الكثيرة الشهرة

ولكونها مستحسنة مستقرة عندهم وهو هذا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ ويعبدون ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأوثانِ المقترحة والأقسام المصنوعة ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ ولا أحقر منه ولا أفقر منه ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ أي لخلق الذباب يعني ولو اجتمع الأصنام والأوثان واجتمع الكفار والمشركون مع الأصنام والأوثانِ وأنفقوا بها في خلق الذباب، لا يتأتى من اجتماعهم خلق جن وضعيف من هذا المخلوق الحقير فضلًا عن اتحاد كله منصوب على الحالية، يعني يستحيل خلق الذباب مشروطًا عليهم الاجتماع والمعاونة على خلقه وقد عجز الكل عن خلق جزء منه فما ظنك بالكل ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ﴾ ويأكل منهم ﴿شَيْـًٔا﴾ من مأكولاتهم ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ﴾ ولا يقدرون على ذلك ﴿مِنْهُ﴾ ولا على منعه من كل ذلك ولا على طرده فإن طرِد من جانب يجيئ من جانب ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحجّ: 73] أي عابد الأصنام ومعبوده الصنم والصنم والذباب وإنما سرى بين الصنم والذباب ولو أمعنت النظر لوجدت الصنم الطالب والعابد الطالب أضعف ثم ضعفه لأنه حيوان متحرك سالب، والصنم جماد لا يقدر على شيء من ذلك وإن العابد يجتهد في حفظ الصنم المطلوب لما قدر على منعه الذباب على من سلبه.

﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾

﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي ما عرفوا اللّه حق معرفته حيث أشركوا به شيئًا هو أضعف من أضعف الأشياء وعبدوه وسموه باسم الإلٰه الذي هو أقدر الموجوداتِ ما أنزل الله على بشر من ذلك الكتاب، والحال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلق السماوات والأرض وما فيها ﴿عَزِيزٌ﴾ [الحج: 74] لا نظير له في شيء من صفاتِ الألوهية ونعوت الربوبية.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ يتوسطون بينه وبين الأشياء ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ أي وكذا يصطفي ويختار رسلًا من نوع الإنسان وينزل عليهم بوسيلة رسل الملائكة كتبًا فيها من كل شيء من الشعارات الدينية والدنياوية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحجّ: 75].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الدنيا وأحوالِها ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من الآخرة ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الحج: 76] الدنياوية والأخروية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ وإنما ذكرهما من أركانِ الصلاة لأنهما أتم تواضعًا وأتم خشوعًا وتضرعًا وأحب الهيئات إلى اللّهِ ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ في الخلاء والملاء في السراء والضراء، وإنما عطف العبودية عليهما تنبيهًا على أنهما أصل تمام العبادات كلها ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحجّ: 77] أي افعلوا هذه الأعمال كلها راجين للفلاحِ وناجين بكمال النجاة ووفور النجاحِ، ولا تبطلوا أعمالكم وخيراتكم بل توكلوا على اللّهِ في جميع الأحوال وتمام الأطوار، واعتصموا بحبل الله وحسن توفيقه، قال الشافعي رضي الله عنه: السجود ههنا سجود التواضع لا العبادة، ولذا صرح بأن سورة الحج قد فضلت على سائر السور بالسجدتين، وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه أو هذه السجدة هي سجدة الصلاة بدليل اقترانها بالركوع.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ﴾ [الحجّ: 78] أي أمر بالغزوة والقتال مع الكفار الآفاقي، وهو الجهاد الأصغر، والمراد بالجهادِ وهو مقاتلة الكفارِ مع الكفار النفسانية، وهم النفس الأمارة اللوامة، والتقوى النفسانية وهي المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة والمحركة، والمبادئ الطبيعية أعني القادرية والنامية والمولدة والماسكة والجاذبة والهاضمة والدافعة وغير ذلك وهو الجهاد

الأكبر، حقه أن يكون مغازيًا بكمال الإخلاص ووفور الاختصاص باللّهِ لا يشاركه فيه غيره ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحجّ: 78] إشارة إلى أن الجهاد الأصغر فرض وواجب على الكفاية لما فيه من الحرج والمشقة، وأما الجهاد الأكبر فعام بالنسبة إلى كل نفس، فإن تكميل كل شخص نفسه واجب عليه واجب عين لديه، إذ صلاح كل شيء وإصلاحه واجب على كل نفس، لأن أصل فطرة كل نفس هو الإسلام والسلامة من دنس النفس وظلمة الحس ومشقة الحبس، وأيضًا لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه إذ الرخصة في إعفاء بعضٍ أمرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام: «**إذا أمرتكم بشيء فأتوا به ما استطعتم**»، هذا فتح لباب التوبة وفسح بأنواع الرخص وبالكفاراتِ والديات والأروش ونحوه لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185] ولقوله عليه السلام: «**الدين يسر لعن الله من جعله عسرًا**».

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ نصب على المصدرية بفعل يدل عليه ما قبلها بحذف المضافِ أي وسع عليكم الوسعة ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ وفسحه بحيله أو على الإغراء على اختصاصِ وإنما جعله أباهم لأنه برسول اللّه ﷺ فيكون وهو كالأب لأمته إشعار بأن النسب قسمانِ حسبي ونسبي، والحسبي أقوى وأتم لتضمنه السعادة السرمدية والسيادة الأبدية، فالنبي أب لأمته فإسعاده وشفاقته عليهم كإسعاد الأب وشفقته على ابنه، وقد كان أكثر العرب من أولاده سيما إسماعيل، وهذا النسب لم يعذلهم ولم يعد إليهم سعادة لا دينًا ولا دنيا فهو تغليب ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ﴾ أي أنه سمى أمة محمد باسم ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ في الكتب السماوية النازلة على الأنبياء صلوات اللّهِ أجمعين ﴿مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ الكتاب النازل على محمد وفي هذا الكتاب بالقرآنِ ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ بأن قد بلغ إليكم وإلى الكتاب لديكم.

﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحجّ: 78] بأن اللّه قد أرسل إليهم رسلًا وختم النبوة بمحمد ﷺ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143] وإذ قد خصكم الله بهذه الكرامةِ التامة والقيامةِ العامةِ والوسيلة الصابرة فاعبدوه وأخلصوا في عبادته واختصوا بشرف الزينة وتقواه واعتمدوا عليه ولا تطلبوا النصرة والظفر والولاية إلا منه ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وتقربوا لله بهما وبغيرها ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ في مجامع الأمور

ومطامع طلوع نجوم السعادة في الأعصار والدهور والأدوار والأعوام والشهور ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ وناصر ومعين ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحجّ: 78] بل لا مولى ولا ناصر ولا موجود ومظهر ولا ظاهر في الحقيقة ولا في المجاز ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

إشارة وتأويل

وليكن ما ذكرته في هذه السورة من التأويلات كافيًا لباقي الآيات.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحجّ: 61] إشارة إلى أن نهار دورة النور والجمال، والليل دورة الظل والجلال متدامجة ومتبادلة ومتبالجة، يعني أن دورة أعيان الأدوار النورية الجمالية إذا كانت صريحة واقتضاؤها ظاهرة واضحة كانت كورة أكوان الظل والجلال خفية وارتضاؤها ضمنيًّا المولود الجني من المولود الإنسي مضمرًا مشيرًا إلى إضمار الأهرمينات واستتارها في الملأ الأعلى والملائكة العليا، وإذ انتهت دورة النور والجمال وتعرضت لاقتضاء فرداريّة دوراته الأربع الصريحة انتقلت الفرداريّة والسلطنة الدورية النورية النهارية الجمالية الوجودية إلى الفرداريّة الليلية الظلية والحكومة الجلالية العدمية، وتبدلت أطوار الدنيا إلى أطوار الآخرة، وانكشف غطاء الآخرة وضحكت أحكام الآخرة عروجًا وولوجًا، وولج نهار النبوة في ليلة الولاية، وكلاهما في الكمال الجمعي الإلهي والكوني والجمع الكمالي الكوني الإلهي فتدبر وتفكر.

﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ ولما أشار إلى السير لله ومن الله يشير إلى السير في الله ودين الله الذي هو الإسلام الحقيقي إن الدين عند اللّهِ الإسلام ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحجّ: 78] أي دين الحق الذي قد ارتفع الاختلاف فيه وهو الدين الجمعي إذ الاختلاف إنما يكون في الأدوار والأكوار الإفرادية لا الجمعية ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: 13] إشارة إلى أن هذا الدين يختص بمن استكمل في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية والجمعية الجمعية في أطوار الحالات وأسرار المقامات بأنواع التجليات الذاتية والأسمائية

والأفعالية والآثارية والصورة الجمعية الظاهرة بالصورة النوعية الإنسانية التي إليها النقطة التي تحت الباء كما أشار إليه آدم الأولياء علي المرتضى رضي الله عنه وكرم وجهه: «أنا النقطة التي تحت الباء»، والمتحقق بهذه الحالةِ الجمعية الكمالية والكمالية الجمعية لا يكون في الأكوار والأدوار والفرد الكامل والحكيم الفاضل في الظاهر والباطِن هو مسبب الأسباب وهو من خصائص السير في الله والسير منه وإلى الله لما في كل منهما من حرج(*).

(*) يعني يكون وارثاً محمديًا متحققاً بمقام المصطفى ﷺ ووارثاً له بمقتضى قوله ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 23 | سُورَةُ المُؤْمِنُونَ | آياتها 118 مكية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي قد أفلح المؤمنون بنصره ينصر من يشاء وهو القوي العزيز ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي بيّن طريق الهداية لأرباب الولاية وأصحاب الدراية.

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1] الذين فازوا بأماناتهم وأشرف مقاصِد الدين وكرامة معتقد أهل اليقين ولا شكّ أن المؤمنين كانوا متيقنين لمثل هذه البشارة. وهذا الإخبار لثباتِ الفلاحِ لهم فخرجوا بما دل على ثباتِ وخاروا ما توقعوه وهو الفلاح أي الظفر بالمراد والبقاءِ بالخير وأفلح فدخل في الفلاح كأي شيء دخل في البشارةِ يقال أفلحه اختاره إلى الفلاحِ قرين أفلح على طريقة «أكلوني البراغيث». وعلى الإبهام والتفسير المؤمن هو المصدق.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 2] خائفون من الله متذللون له الخشوع في الصلاة خشية القلب وإسداء البصر وإلزامها موضع السجود. وروي أنه عليه السلام كان يصلّي رافعًا بصره إلى السماء، فلمّا نزلت هذه الآية رمى بصره نحو مسجده، وكان الرجل من العلماءِ إذا قام إلى الصلاة هاب الرحمٰن أن يسند بصره

إلى شيء أو يحدث نفسه بشأنٍ مِن شأن الدنيا. قيل: هو جمع الهزل والإعراض عما سواها ومن الخشوع أن تتأدب جوارحه، فرفض العبث والالتفات إلى غيرها فيتوجه بمجامِع جوارحه وأعضائه من جوانبه ومسامعهِ إلى المقصود بالحقِّ والمعبود المحقق. روي أن النبي ﷺ أبصر رجلًا يعبث بلحيته في الصلاة فقال: «**لو خشع قلبه إلى الله لخشعت جوارحه**». ونظر الحسن إلى رجل يعبث بالحصا وهو يقول: اللّهم زوجني الحور العين: بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 3] عن ما لا يعنيهم من قول أو فعل كاللعب والهزل يعني أن لهم من الحد ما يشغلهم من الحد والمدِّ. لما وصفهم بالخشوع أتبعه الوصف بالإعراضِ عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على النفوسِ الذين هما قاعدٌ بأنباءِ التكليف.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: 4] وهم اسم مشتركٌ بين عين ومعنى والعين والقدر الذي يخرجه المزكي من النصاب إلى الفقير وإلى من في معناه من الأضعاف الثمانية والفعل هو فعل المزكى الذي هو التزكية وهو الذي أراد أن يجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيهِ لأنه من تصدى ألا يعتريه عن معناه بالفعل ويقال لفاعله ومحدثه أنه فعله يقال للضارب أنه فاعل الضرب وللقاتل أنه فاعل القتل وللمزكي أنه فاعل التزكية وعلى هذا القياسِ الكلام كله. والتحقيق فيه إنك تقول في جميع الحوادثِ: مَنْ فاعل هذا؟ يقال لك فاعله الله، أو بعض الخلق ولم يمنع الزكاة الدلالة على العين أن يطلق بها فاعلون لخروجه من صحة أن يتناولها الفاعلون لأن الخلق ليس بفاعلها ويجوز أن يراد بالزكاة العين أي المزكاة، فاعلون ويقدر مضاف بمحذوف وهو الأداء.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ [المؤمنون: 5] عن الوطء والجماعِ وسائر الاستمتاع.

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ يعني لفروجهم حافظون في كافة الأحوالِ إلا على من تزوجهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أو سرياتهم وعلى صلة الحافظين منه قولك: احفظ على عيال فرسي، أو حال أي في حال تزوجهم، أو تسرِّيهم أو تعلق بمحذوف يدل عليه ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: 6] على ذلك أي يلامون على كل مباشرٍ إلا على أزواجهم أو تسريهم.

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي دل طلب غير المستثنى ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: 7] الكاملون في العداوةِ والعدوان والابتداع والطغيانِ المتناهون فيهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ وودائعهم ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ ومواثيقهم يتعاهدون عليه من جهةِ الحقِ والخلقِ ﴿رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: 8] قائمون لازمون بحفظها وإصلاحها كراعي الغنم ورعاية الرعية يقال راع هذا الشيء أي مقولية وصاحبه ويحتمل العموم والخصوص كما تقدم والحسن من أمانات الناسِ وعهودِهم.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: 9] يواظبون على أدائِها في أوقاتها بأركانها وشروطِها، انتقالها وأدائها.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الجامعون لتلك النعوتِ والصفات ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون: 10].

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ وهو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر، وفي الشرع هي بناها الله لبنة من ذهب ولبنةٍ من فضةٍ جعل حلالها المسك الأذفر وفي رواية: لبنة من مسكٍ وزعفرانٍ فيها من جيدِ الفاكهة وجيد الريحانِ ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: 11] دائمون فيها لازمون لذتها أبدًا.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾ وخلاصةِ طينته ومختارة وخيارةٍ ﴿مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12] من الأولى للابتداء والثانية ثم جعلنا نطفة أي بعد تكوين جوهر الإنسان وبدنة وحرمة الشهادة أي الحسي، إذ الإنسان خلقه الله من طين جسمي ونفسي إلهي، فإذا سويته فنفخت فيهِ من روحي.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك ﴿جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾ أي جعلنا له نطفة وخلقنا فيه نطفة ومادةً لا بُدّ أن أولاده وأجساد ذرياته وأحفاده ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: 13] أي رحم فهي مكان قرار نطفته أو رحم ذي قرار مكين ومكنة.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ بعد أربعة أشهرٍ وعشرة أيام وهي أربع أربعيناتٍ في كل أربعين يومًا يدبر كوكب من الكواكب السبعة السيارة النطفة المذكورة على وجه مخصوص وطريق منصوصٍ فرحل بين النطفة، ويستحيلها من حالة إلى حالة ثلاثين يومًا بالاستقلالِ، وفي العشر الأخير باشتراك المشتري يدبر النطفة المستحالة يجعلها علقة أربعين يومًا، ثلاثين بالاستقلالِ وعشرة باشتراك المريخ ثم يدبر المريخ المضغة أربعين يومًا ثلاثين بالاستقلال وتصور المضغة بصور الأجزاء والأعضاء بعضها مستديرة وبعضها مضغة وبعضها مكعبة وبعضها أسطوانة وبعضها مربعة وبعضها مثلثة وغير ذلك، وعشرة أيام باشتراك الشمس، فإذا أتم هذا التدبير نفخ اللّهِ تعالى فيهِ من روحه، فعبر الله عن هذا التدبير بقوله ثم أنشأناه خلقًا أي فنفخنا فيها من روحي الروح الحيواني فيتحرك الجنين في بطن أمه ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي تعاظم وتكبر وتكثرت خيراته وبركاته ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14] خلقًا وتقديرًا وإنما ترك المميز لدلالة الخالقين عليه روي عن عمر رضي الله عنه أن

رسول الله ﷺ لما بلغ قوله خلقًا آخر قال: «**فتبارك أحسن الخالقين**». روي أن عبد الله ابن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله ﷺ فنطق بهذا القول قبل إملائه، فقال رسول الله ﷺ: «**اكتب هكذا نزلت**» فقال عبد اللّهِ: إن كان محمد حقًّا نبيًّا فإني يوحى إلي كما يوحى إلى محمد ﷺ، فلحق مكة كافرًا ثم أسلم يوم الفتح.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾

واعلم أن الوحي نوعان: صوري ومعنوي، أما الصوري فهو أن يشاهد الملك صاحب الوحي كما كان النبي يشاهد جبرائيل، ومعنوي وهو أن يلقي الملك بوحي ويشاهد الشخص الملك ولا يسمع الوحي ظاهرًا كلما سمِع قلبه ورفع عينه إلى عالم القدير، شائعًا للنبي وتابعًا له، فقابل قلبه الوحي، وألقاه إلى لسانه فنطق به وتكلّم كما حال عبد الله إشارة إلى أن كل أحدٍ من أفراد الإنسان من حيث جزئه الأفضل هو روح الحق، فيه قابلية للنبوة إلا أن الله يخصص من يشاء من عبادِه بالوحي يفعل الله بمن يشاء من عباده بقدرته ويحكم ما يريد بعزته.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الخلق والتدبيرات ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: 15] في الدنيا، وقرئ: (لميتون) والفرق أن الميت كالحي بأنَّ المائت دال على الحدوث ويقال زيد ميت الآن ومائت غدًا كقولك زيد يموت ونحوهما ضيق وضائق، وجعل الإماتة لأثر هو إعدام الحياة وإخفائها.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 16] والبعث هو الذي هو إعادة بعينه ويخصه دليلين أيضًا على اقتدار عظيم بعد الإنشاءِ والاختراع وفي الكشاف: فإذًا لا حياة إلا حياة الإنشاء وحياة البعث قلت: ليس في ذكر الجنانين في الثالثة وهي حياة القبر، وأيضًا الغرض ذكر للأجناس الثلاثة الإنشاء والإماتة والبعث والإعادة والمطوي ذكرها من جنس الإعادة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون: 17] أي سبع سماوات لأنه طوارق بعضها فوق بعض كطارقة الفعل، وكل شيء فوقه مثله فهو طريقه، أو

لأنها طريق الملائكة ومتعلقاتهم لأنها طريق الكواكب فيها مسيرها ومغيرها ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ﴾ أي عن خلق السماوات والأرض أو عن خلق الجميع ﴿غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: 17] فنحفظها ونمسكها لئلا يقع فوقكم ونحفظها فوقكم ونمسكها ليفتح عليكم أبواب الأرزاق ونرتب لكم أسبابها وننزل عليكم بركاتها وننفعكم بأنواع منافعها فنحفظها.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ بتقدير يكثر نفعه ودره ويقل شره وضره، أو بمقدار ما علمنا وقضينا في علمنا من حاجاتهم ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ﴾ وقررناه الماء النازل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وجعلنا ينابيع فيها وقيل أنه أنهارٍ والإسكان من السكنى لا من السكون، وهي سيحونُ نهر الهند، وجيحون نهر بلخ، ودجلة والفرات نهر العراق للعرب، والنيل من مصر، أنزلها الله تعالى من عين من عيون الجنة، فاستودعها في الجبال وإجرائها في الأرض وإحيائها الأرض والنبات والحيوان، وجعلنا من الماءِ كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: 18] أي على دفعه ومنعه ورفعه، يعني أن اللّه عزّوجلّ كما هو قادر على إنزاله وإجرائه على الأرضِ قادر على رفعه من الأرض ومنعه من الإنزال والإجراء.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم﴾ وأظهرنا وأخرجنا لأجلكم ﴿بِهِۦ﴾ أي بالماءِ. ولسببه وواسطته ﴿جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ خصّها بالذكرِ لشرفها وعموم نفعها ولدلالة وحب الزكاة فيهما ﴿لَّكُمْ فِيهَا﴾ أي في الجنة بما فيها من الأكل والمشارب ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: 19] يتفكهون بها ويحصلون منها معايشكم وأرزاقكم.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ [المؤمنون: 20] جبل بين مصر وبين فلسطين وسيناء اسم بقعة ينسب إليه الطور أو المجموع اسم للجبل يتركب منها، فمن

كسر سيناء فقد منع الصرف للتعريف والحجة أو التأنيث باعتبار البقعة ومن فتحها فجعل الألف للتأنيث كصحراء بالدهن حال عن شجرة ﴿تُنۢبِتُ﴾ أي تنبت متلبسة ﴿بِٱلدُّهۡنِ﴾ أو فيها الدهن ﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾ [المؤمنون: 20] أي وصيغ به الخبر ويغمس فيه للإدام.

وتأويل وإشارة

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ أي المجاهدون في سبيل الله الدائرون في الأدوار النورية الجمالية الوجودية صريحًا أولًا في الدورة العظمى بالتبعية الملكية والصفة العلمية والهيئة الملكية في عالم الجبروت والمرتبة الواحدية في الدورة الإلٰهية التي تصعد إليها الأعمال الصالحة متخلفة عن الهيئة العملية متلبسة بالصور العلمية كما كانت في الدورة العظمى كذلك ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فَاطِر: 10] الآية، سيما الصلاة التي هي عبادة جامعة وكذا الحج فإن مواطنهما الأصلية هي الحضرة الإلٰهية والأحدية الجمعية، ولذا قدمتها في الذكر.

وذكر الخشوع تنبيه على أن تمام الصفاتِ النفسانية والنعوت الروحانية والهيئات الجسمانية كلها ثابتة في هذه المرتبة بصورة العلم وإشارة إلى أن الأعمال أعيان الدورة العظمى سيما الأعيان النورية الجمالية نافع بتمام أحوالها وأعمالها وأطوارها ثابتة في هذه الحضرة بالصورة العلمية وتختفي هذه الأعيان بتمام ما لها من الأحوال والأعمال والأفعال والأقوال بالتعيناتِ العلمية والنعوت الجبروتية، وأضيفت بالصفة الإلٰهية ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ﴾ [البقرة: 138].

فإذا نزلت هذه الأعيان بما لها إلى المرتبة الملكوتية في الدورة الكبرى النورية وتعينت بالنعوت الربوبية وبصفة الحياة والهيئة الروحية وهكذا تنزل إلى عالم الناسوتِ، وأخفت حقيقة العقل والعلم والنفسِ والروح بالتعين الجسمي، وظهرت بهيئاتِ الأفعال والأعمال والأقوال والأحوال، وبنعوت الأطوار وبصور العبادات البدنية والنفسانية والروحانية كلها، فإذا انتهت الأعيان في شؤوناتها تعود وترجع إلى ما كانت عليه، ويخلع كلًّا من خصوصيات هذه التعينات شيئًا بعد سيره وأمرًا بعد أمرٍ إلى أن ينتهي إلى الهيئة الجمعية من الذات والصفاتِ الهيئة الذاتية التي صورتها ط التي هي آدم المعنوي ا ب ح د ه و ر ح ط المجموع

هو ل 4 وهي آدم ل 4 المعنوي «خلق الله آدم على صورته» وهي صورة الصلاة ص ل ا ة 817 وهي الذات مع الصفات والصور الجمعية ط السبعة 871 والصور الجمعية هي آدم ط.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ أي من عبادة أعيان الرتبة المتقدمة والدورة السالفة فإنها قد حصلت في تلك الدورة والانتقال بها والحصر عليها تحصيل الحاصِل وهو اللغو والدورة الأخيرة لا بدّ أن تشتمل عليها وعلى عبادة غيرها كمًّا وكيفًا، الاشتغال بتحصيل الحاصِل ليستلزم تضنيع الوقت وقوف ما يعنيه قال عليه الصلاة السلام: «**من اشتغل في ما لا يعنيه فاته ما يعنيه**».

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ إشارة إلى شرط الإرشاد ومقامه، وإلى أن الفقر والاحتياج إنما يستعمل في المرتبة الجسمانية والرتبة النفسانية، وإن الإرشاد والتكميل إنما يتأتى ويتحقق إذا بلغ الاستكمال في النهاية في الدورة الصغرى والوسطى التي صار يستكمل الجسم والنفس في المرتبة الشهادية والبرزخية، فمن لم يستكمل فيهما لم يخسر له تكميل الغير وإرشاده، ومن لم يصل إلى المرتبة الجسمانية من الأعيان النورية لم يحل له الزكاة لقربه إلى الفناءِ الذاتي كالجواهِر الفعلية والنفوس القابلة الكاسبة.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ إشارة إلى القابلية وشرط قبول الاستكمالِ يعني أن حق القابلين وشرط المستكملين أن لا يعتمد على كل مرشد ومدعي للتكميل والإرشاد ولا يسلم نفسه إلى كل مدعي الإرشاد، إذ المدعي قد يكون كاذبًا نعم قد يكون الكامل المكمل مأمورًا من جانب شيخه ومرشده، وكذا من جانب شيخ آخر قد أثبته جماعة من الكاملين المكملين مأمورًا لأن يقبل دعوة الطالبين الصّادقين في الطلب.

والمرشد صنفان: صنف قد استكمل في الظاهِر والباطن في الأحوال والمقامات في الأدوار النورية والأكوار الظلية الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية الإلٰهية والكونية العظمى والكبرى والوسطى والصغرى في العلوم الحقيقية والإدراكات الحقة الذوقية.

والصنف الثاني هو من اقتنع على نوع من الأحوالِ والمقاماتِ على صنفٍ

من التجليات الإلٰهية إما آثارية وأفعالية أو أسمائية وصفاتية أو ذاتية أو صورية وهي التي تكون بالصورة النوعية والهيئة الجمعية البشرية، وهذا النوع من التجليات أفضل أنواع التجليات شوهِد بالهيئةِ النوعية والهيئة الجمعية اللاهوتية والذات والجبروت والصفات والملكوت والأفعال والملك والآثار والناسوت، وهو الصورة النوعية والهيئة الجمعية كما أشار إليه صاحب التجلي الجمعي، يقول عليه السلام: «**رأيت ربي في أحسن صورة فوضع يده بين كتفي فوجدت برده بين ثديي فنظرت في ملكوت السماوات**».

والتجلي يفنى ويبقى وسائر التجليات لا تفنى، وإن أفنت فالمعنى هو الذات فعلامتها التجلي شيئان الغناء والعلم بالتجلي ومنهم من قنع على الظاهِرِ بالبيران والطيران فوق العرش وتحت العرش في الأفلاكِ بالسنين الإلٰهية والأدوار الغير المتناهية، ومنهم من قنع على شرب شراب الظهور بالعوالم والنجوز فإن شاهد في كل الشرب الفناء والبقاء المتعاقب فهو التجلي الذاتي أو الفناء والبقاء من اللوازم المختصة بالتجلي الذاتي ومنهم من نوع التجلي الأفعالي السكوني سيما الاختراعي وهو خلق الأجسامِ العنصرية وما يتركب منها والأجرام الفلكية وما فيها من الكواكب والأملاكِ، ومنهم من لم يقنع بشيء من هذه المذكورات ولم يقتنع بالألوهية والربوبية ولا بالعبودية كما اقتنع الحلاج وبعض العباد بل طلب الجامعية بالكل، وصاحب هذه الجمعية إن ادعى وقال: إني أكبر من بي سنين وهما كمال الفقر والاحتياج، والثاني هو الجمعية بين الألوهية والعبودية قال الله تبارك وتعالى في إرشادِ العبد: «**يا عبدي أجعلك مثلي وليس مثلي**». وليس للطالب أن يسلم نفسه إلى كل أحدٍ من المشايخ حتى يتبين عنده أن أحد من هذين الصنفين فعبر عن أحدهما بالروحِ وعن الثاني بملك اليمين ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الصنفين ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ المتجاوزون عن حدّ إلا عند الذي هو مظنة الكمال.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ إشارة إلى الصورية الجمعية النورية الإفرادية وعهدهم الذي بين أعيان دورة جمعية الجمعية النورية والظلية.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾ إشارة إلى أن لكل دورة نورية الجمعية، وكذا كل كورة الظلية الجمعية صلاة، ولجمعية الجمعية أيضًا صلاة جامعة جارية على

جميع الصلواتِ، وصاحب هذه الصلاة إنما هو الصنف الثاني الكامل الكل الطاوي على تمام الأصنام كما أنّ متلوته طاوية على جميع الصلوات، وإذا جمع الصلواتِ وتكرار الصلاة إشارة إلى أن لكل دورة صلاة وفي أركانِ الصلاة إيماء إلى أن صلاة كل دورة من جنس أركان الصلاة الجامعة فتكثر الأجرام، إشارة إلى أن صلاة الأعيان الدورة العظمى النورية، وهي الملأ الأعلى والملائكة المقربون إنما هي التكبير الله أكبر، وصلاة الدورة الكبرى وهم المهيمون إنما هي القيام، وهم الذين قاموا في عبادتهِ وهاموا في طالعة جمالِه الحق مذ خلقهم ولم يكلفوا بسجود آدم لغيبتهم عما سوى الله وولههم في نور وجهه وهم الكروبيون، وصلاة أعيان الدورة الوسطى وهم الملائكة القائمون بتدبير السماوات هما الركوع والسجود هي صلاة الأعيان الدورة الصغرى والجلوس للتشهد هو صلاة الكون الجمع اللاهوت والناسوت، فأركان الصلاة الطويلة غالبًا هِي كالصلاة المكتوبة خمسة وهي وجود الحق كما أشارإليه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]. أقول:

روح القدس ينفث في نفسي إن وجود الحق من عدد خمسٍ

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ وإنما كرر خلقة الإنسان إشعار فإن نشأته مكثرة وشؤوناته متكررة جمالًا وجلالًا أصالة وفرعًا واستقلالًا أفرادًا وجمعًا تدريجيًّا ودفعًا ولقد قلنا: قدمنا كيفية الخلقة وكمية مدة خلقه أجزائها في سورة الحج، وأنت خبير بأن تفصيل بيان خلقه أجزائها أتم ههنا مما تقدم في سورة الحج، وإن كان ذلك أعم من هذا إشعارًا بأنّ الحقيقة الإنسانية تتكامل دورًا بعد دورٍ حدد كورًا بعد كور ونشأة بعد نشأة لما ينتهي إلى حده يتوقف إذ الكمالات الإلٰهية والحالات والمقامات الإنسانية غير متناهية، منها إلى كل حصة من الطبيعة الإنسانية وحصةٍ من الحقيقة النفسانية من حيث إنّها مرتبة من اللطيفة الإلٰهية والكثيفة الكونية، ومركبة من إلهية الجمعية والصورة الكلية النوعية التي هي عكس الصورة الجمعية الإلٰهية «خلق الله آدم على صورته» فتمام الكمالاتِ الكلامية والحالات والمقامات الحكمية وغير ذلك من الأحوال والأعمال والأفعال مكتوبة فيها، مكنونة لديها، وأن ظهوراتها مشروطة بأمور، منها الأصحاب البدية والمجاهدات النفسانية، ومنها خدمة النفس الكاملة، فإذا

حصلت الرياضة على الوجه الأتم والجذبة على الطريقة الأعم وحب الكمالات الكامنة والحالات المكانية في النفس، فلما سمعت كيفية خلقة الإحسان وكمية ترتيب مادتها التي فيها كانت بالقوة والإمكان، خرجت بقية آية خلق الإنسان بقرآن على نشأته ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ إلى تعين من غير أن يسمعها من رسول اللّهِﷺ فأمره ﷺ بقوله: «**اكتبها فإنها كلام الله**»، وبقية الآية فقال الكاتب: هذه الكلمات كلامي وقولي ما سمعتها من أحد، فكرر الأمر بأن يكتبها فارتد ورجع إلى مكة، فإذا فتحت مكة عاد إلى الإسلام فأسلم.

هذا إشارة إلى أن النفوس كلها قابلة للتنبيه والولاية، لما تقرر في الحكمة الإلٰهية أن الطبيعة النوعية والحقيقة الكلية إذا اقتضت أمرًا كليًّا نوعيًّا لا بدّ أن يكون عامًّا ثابتًا في جميع الأفراد، فلا بدّ أن تكون النبوة الذاتية والولاية الأحدية التي هي من خصائصها الحقيقية المحمدية السارية في جميع الأعيان السابقة والأكوان الظلية الكتابية ثابتة في كل عين من الأعيانِ الكونية بالقوة وبالإمكان الذاتية، ظهورها فيها مشروط بالثبتة الذاتية مربوط بالإرادة الإلٰهية ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52] الآية، ولقد خلقنا فوقكم على حقيقة ماهياتكم وأنية هوياتكم بسبع شرائط أي سماء الأسماء السبعة الذاتية.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ﴾ أي الحياة الحقيقية والتجليات الأسمائية على استعداداتكم الذاتية والقابليات الأزلية ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ﴾ وأثبتناه ﴿فِي ٱلْأَرْضِۖ﴾ الاستعدادية وعرض القابليات الأولية النورية والأطوار أي على سير الماء المذكور وتنزيله في أعيان الأدوار النورية والأطوار الوجودية.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم﴾ وأظهرنا لأجلكم جنات أي صورة جمعية كمال الولاية وجمال النبوة في كل دورة من الأدوار الوجودية ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ أي أظهرنا وأنشأنا لكم نشأةً جامعةً ونشوء رافعة نشآت ﴿نَّخِيلٍ﴾ كمال القوة الفطرية التي ثمراتها هي ثمر القياسات النظرية وتمامية القوة النقلية التي هي محصولاتها وهي أعقاب الأعمال الصالحة سيما الصلوات الخمس الجمعية التي تؤدى في الأدوار الأربعة النورية الوجودية والخامسة جمعيتها.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ من جبل طور القلب الجامع لخصائص الأطوار

السافلة أي الغالبية والنفسية والصورية وهو الطور السري والفؤاد الذي هو مطية شهود التجليات والعالية وهي الطور الروحي والخفي والحقي التي هي مجال التجليات الأفعالية والأسمائية والذاتية التي تترتب عليها شجرة العلوم الجمعية والمعارف الإلهية التي ﴿تَنۢبُتُ﴾ في أرض السر وعرض الفؤاد أصلًا ثابتًا من أرض الطور الصدر والقلب ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٌ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: 24] أي يعرج ويصدر ويترقى ويترفع إلى السماءِ الأطوار العالية والأسرار ﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ﴾ [إبراهيم: 25] تنبت من أرض القلب والصدر مستصحبًا ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ أي دهن الاستعداد الذاتي ورتب القابلية ﴿وَصِبۡغٖ﴾ إلهي ولون صمدي قدرة الله ﴿لِّلۡأٓكِلِينَ﴾ أي الأشخاص الكاملين بطريق النظر والفكر ودقيق العمل في الأدوار النورية كلها.

﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ التي سخرها لكم وتتنعمون بها وتنتفعون بها من أطوارها وأحوالها ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ من الأرزاق المعنوية والصورية تتمتعون ظاهرًا وباطنًا صورةً ومعنوية.

﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ﴾ أي اعتبارًا يعتبرون بها وينتفعون من اختلاف أطوارهم وبطون أحوالهم إلى كمال قدرة عموم حكمته وهجوم نعمته لديكم ﴿نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ من الألبانِ ومما يتحصل فيها من الكلأِ والعشب والماءِ تفصيلًا لما أجمل وتحصيلًا لما أهمل، فمن إما للتبعيض أو للابتداء والشروع في السنن فيها ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا﴾ أي في الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم، وما في حكمه من الفرس والحمير والبغل منافع من الركوب والحمل وغير ذلك مما يتعلق بذواتها بأكل لحومها والتعدي بها والاقتيات منها وقد يقصد بها الأكل لمجامع ﴿مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ [المؤمنون: 21] إشعار بالعموم إذا قصِد منه التبعيض.

﴿وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَعَلَيۡهَا﴾ إشعارنا بالخصوص ﴿وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾ [المؤمنون: 22] إيماء إلى أن الأنعام في البر كالفلك في البحر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ ليدعوهم إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام والأوثانِ ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى فالمستحق للعبودية هو الله وحده فإذًا ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: 23] أو استئناف ولتعليل الأمرِ بالعبادة هو الله وحده بالإخلاصِ والإبقاء عن المعاصي وعن الطاعة والعبادة يكون على طريقة الرسمِ والعادة (غيره) إما مرفوع بالخبرية للمبتدأ المحذوف والجملة الأصلية أو مجرور عطف على لفظ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: 23] ولا تخافون أن يزيدكم ربكم نعمًا، الظاهرة والباطنة، ويعذبكم برفض عبادته إلى عبادة عشرة وبكفرانكم نعمه التي لا تحصوها.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟﴾ والأشراف والأعيان ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ﴾ إشارة إلى نوح ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ في الإنسان ولوازمه وخصائصه فليس له عليكم مرية ولا رجحان ليكون نبيًا داعيًا إلى إله غير إلٰهكم ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ ويعد نفسه فاضلًا وأفضل منكم ليسود عليكم بل يحسد عليكم على حالكم والحسود لا يسود ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّاسَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ أي الآلهة الحجر وقولهم ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: 24] في الأزمان السالفة ما سمعنا بهذا الأمر العجيب والشأن الغريب، يدل على أنهم وآبائهم كانوا على فترة متطاولة في النبوة وأحكامِها، أو كذبوا الأنبياء ولم يقيدوا بهم ولم يكتفوا بدعوتهم لانهماكهم في الغي واغتروا [بأمر] لا يوافق الحق بما أمكنهم وكانوا كالبهائم بأن لا يتميز بين الحق والباطلِ وبين الحكم الصائب والعاطل ألا نراهم كيف خيبوهم بقولهم إن هو إلا رجل به جنة وجنون أو به جن وغول يخيلوا به.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: 25] أي احتملوه واصبروا عليه إلى زمان حتى يتجلى أمره، فإن أفاق عن جنونه فخلوا عنه سبيله وإلا اقتلوه.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قَالَ﴾ نوح في دفعهم ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون: 26] أي أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي وانصرني في بدل تكذيبهم.

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ أي إلى نوح ﴿أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ وحفظنا، وكَلْؤنَا ما كان عن الله حفاظًا يكلؤ به بعيونهم كيلا يتعرض له ولا يقتدر عليه فساد عمله. ومنهم قولهم: عليه من الله كالئه ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ أي بعلمنا وأمرنا كيف يصنع أوحى الله تعالى أن اصنعها على مثال مؤخر الطائر وصدره ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بركوب الفرقة أو نزول العذاب ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [المؤمنون: 27] أي رأيت الماء يفور ويغلي من التنور ما يوقد فيه النار ليطبخ فيه الخبز، وأغلبه على شكل الأسطوانة المستديرة. روي أنه قيل لنوح عليه السلام: إذا رأيت الماء تفور من التنور فاركبوا أنت ومن معك في السفينة، فلما بلغ الماء من التنور أخبر امرأته فركب. قيل: كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار إلى نوح قيل كان في مسجد كافة وكان يعمل السفينة في وسطه، وقيل كان بالشام موضع يقال له وردة أو بالهند.

قال علي عليه السلام: «فار التنور» أي طلع الفجر، وليس تابعه الجمع بما ذكر ﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ أي نوع من الطيور والبهائم والسباع والأنعام من ذكر أو أنثى ﴿وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ﴾ من الله بملائكة أي جيء بعلي مع سبق الضياء كما جيء باللام مع سبق النافع كقوله: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى، ولقد سبقت لهم منها الحسنى قيل إنه لم يحمل إلا ما يولد

ويبيض ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي﴾ بالدعاءِ والإنجاح والإفلاحِ ﴿فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: 27] لما نهى الخطاب استشرف المخاطب بأنّ الكلام الآتي إنما هو مِن جنس العذاب فأورده مؤكدًا أي ثبت في علمنا وقضائِنا أنهم يدركهم الغرق بالإشراك وتكذيب النبي فإنّ تكذيبه في الحقيقة هو تكذيبي.

﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ﴾ يا نوح من أهل بيتك والأزواج من كل نوعٍ ﴿عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: 28] الضالين المضلّين والمكذبين.

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى﴾ وقت الاستواء على الفلك ﴿مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ كثيرًا بالخير والإصلاحِ وكبير المنافع ووفور الفلاح والنجاحِ والإنجاحِ ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: 29] وكانوا يأكلون السمك في ذلك المنزل.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ [المؤمنون: 30] الخلاصِ والإغراق والنجاة والإغراق ﴿لَـَٔايَـٰتٍ﴾ واضحاتٍ وأماراتٍ لائحات ودلالاتٍ سانحاتٍ على كمال قدرته ووفور حكمته وعموم رحمته ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: 30] في الإغراق من الإسلام وهو امتحان ليتميز الصابر الساكن عن الهلوع الماكن والخلوع المنكر الناكِر.

إشارة وتأويل

نوح عبارة عن النفس المطمئنة وقومه هم النفس الأمارة واللوامة والمحبة والقوى الشهوانية والعصبية والحواس الظاهرة والباطنة سيما الواهمة والمتخيلة.

والطوفان أربعة أنواع: نارية وهي ابتلاؤنا، والقوة الغضبية والشيطنة الجنية، وهوائية وهي استيلاء النفس الأمارة والآراء وفساد الأنظار وسوء الأفكار من الملهمةِ، ومائية وهي استيلاء ماء الشهوة والتلادة، وأرضية وهي استيلاء الكثافة

والثقل والسكون والخمودة والظلمة والكدورة، وكل منهما ناقص وتام والناقص عام في أكثر الأوقات وعموم الأحوال وأكثر الحالات في أكثر الأعيان إلا ماء الله، والتنور وهو القوة العملية، والخيار هو القوة النظرية، وفوران التنور عبارة عن استيلاء أعمال القوى المذكورة، والزوجان هما المقدمة الصغرى والكبرى، والفلك هو القوة القدسية المنورة بنور اللهِ أو بجذبة الإلهية والجلبة، الربانية جذبة من جذبات الرحمٰن توازي عمل الثقلين والباقي ظاهِرٌ.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي بعد قوم نوح ﴿قَرْنًا﴾ زمانًا طويلًا ﴿ءَاخَرِينَ﴾ [المؤمنون: 31] أي بدأ فيه قومًا يكون آخرُهم وهم عادٌ وثمود.

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا﴾ هودًا أو صالحًا آمرين ﴿مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الذي خلقكم وغيركم من السماوات والأرض وما فيهما وما عليهما ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: 32] ولا تخافون ولا تجترون من عقابه وحده وعذابه وانتقامه.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ الذين كفروا ﴿مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي قوم الرسول الذي بعث وذلك القران بين عاد وثمود ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ والرسول إلى ما فيها من الثواب وأنواع النقم والعقاب وسوء الجحيم ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ وأنعمنا عليهم وكثرنا نعيمهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ فكثرت أموالهم وأولادهم ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ وبلادهم ﴿مَا هَٰذَآ﴾ الرسول المبعوث ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ في الصفات والأحوال والأعمال وكثرة الأولاد والأموال ﴿يَأْكُلُ﴾ ذلك الرسول ﴿مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: 33] تقرير للمماثلة وتحرير للمناسبة وإنما حذف العائد المنصوب كي

لا ينحصر من دون شيء.

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ في الأحوال والصفاتِ فيما يأمركم من الأوامِر وينهاكم من الأمور ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [المؤمنون: 34] فيما أذلكم وجعلكم أسيرًا تفعلون له ما يريد ليلًا ونهارًا، وإذا وقع جزاء وجوابًا يعني إذا أطعتم فجزاؤكم وما يليق لكم هو الخسارة.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ﴾ وصرتم وأصبحتم ﴿تُرَابًا﴾ ثباتًا ﴿وَعِظَامًا﴾ فواتًا ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: 35] يوم القيامة من العدم إلى الوجودِ من الأجداثِ إلى حد الشهودِ وتكرير التأكيد لما في هذا المقام كثرة الجحود والإنكار وإظهار المبالغةِ والإصرار.

﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بالحركات الثلث منونًا وغير منون وبالسكون للوقف بمعنى البعد في الزمانِ ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: 36] مبتدأ وخبر أي البعد البعيد والبعد المديد ثابت، أو بعد في الغاية لمواعيدهم واللام لبيان المستبعد كما جاءت في هيت لك لبيان المهيت.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِنْ هِيَ﴾ منهم يقين بما يتلوه من بيان استفهامِ أي المستبعد أي متى هو أي ليس الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ ثم وضع الحياة أي ليست الحياة سوى التي نحن بها حتى في الدنيا ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي يموت بعضنا ويولد بعضنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: 37] مخرجين من الأجداثِ بعد الموتِ ويحيي بعده مرة أخرى.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿إِنْ هُوَ﴾ ما هو ﴿إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فيما يدعيه من الرسالةِ والبعث ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [المؤمنون: 38] ومصدقين.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩﴾

﴿قَالَ﴾ الرسول من الرسالة الذي كذبوه ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي﴾ وأعنِّي عليهم وسلطني لديهم وانتقم لي منهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون: 39] أي بسبب تكذيبهم إياي.

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ۝٤٠﴾

﴿قَالَ﴾ الله تسلية لرسوله ﴿عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: 40] عند مؤاتية العذاب ومشاهدةِ العقابِ أي لا تحزن عما يعلموا فإنهم ليصبحن ويصرن نادمين عما فعلوه في زمانٍ قليلٍ فإن أيام الدنيا في جنب الآخرة قليل جدًّا كما اشتهر أن أيام الدنيا سبعة كما وقع في الحديث.

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤١﴾

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ صيحة جبرائيل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم وتفرعت بها عيونهم فماتوا واستدلوا به على أن المنتقم منهم هم قوم صالِح ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ بالعدل والصدق لأنهم استوجبوا بسبب قرع الناقة والهلاك يقضي بالحق وبالعدل ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ﴾ يحتمل الإخبار والدعاءِ أي صيرناهم كالغبارِ والرفاتِ متفرقاتٍ متبددة وأشبههم في ديارهم كغثاء السيل وهو جعله كقول العرب سال به الوادي إن هلك ﴿فَبُعۡدٗا﴾ مصدر بَعُدَ إذا هلك وهو من المصادر التي تنصبه بأفعال لا يستعمل ظهارها واللام لبيان من دعا عليه البعد من باب ذكر الملزوم وإرادة اللازم أو بالعكس وضِع المضمر موضع المظهر إشعار بأن العذاب كالإهلاك قد حق عليهم من أن يجاوز عنهم أي جعلتهم الصبيحة أسود يابسًا كالفحم وذلك لكمال ظلمهم ﴿لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: 41].

﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ۝٤٢﴾

﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا﴾ وأحدثنا ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي بعد هلاكهم ﴿قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ [المؤمنون: 42] وهم قوم إبراهيم وقوم لوط وشعيب وهم إسرائيل.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّـةٍ أَجَلَهَا﴾ أي الوقت الذي قد حق وثبت فيه إهلاكهم من أمة فاعل لسبق ومنه صلة تأكيد النفي أي ما يسبق أحد من هذه الأمةِ أصلًا على الوقت الذي قد قرر فيها هلاكهم ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ [المؤمنون: 43] من ذلك الوقتِ إذا جاء لا يستأخِرون ولا يستقدِمون.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ متواترين متتابعين ﴿كُلَّ﴾ واحدًا بعد واحد من غير انقطاعٍ وفترة أصله وترى وهو الفرد من الوتر ألفه للتأنيث ولذا وضعت لها الرسل بمعنًى الجماعة ﴿مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا﴾ ونبيها بالكتاب وفيه بيان وهدى ﴿كَذَّبُوهُ﴾ وجحدوا ولم يقبلوا دعوتنا إلى الله ولا شريعة ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أي جعلنا القرون الأمم متتابعين بعضهم بعضًا وأرسلنا إليهم الأنبياء وأنزلنا عليهم الكتاب بواسطتهم وبينا الأحكام لهم ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي جعلنا لهم الأخبار والقِصص والحكاية يعتبروا بها ويتعجبوا بأحوالهم وهي اسم جمع الحديث ومنه أحاديث رسول الله ﷺ وقد يجيء جمعًا للأحدوثة التي هي كالأضحوكة والأعجوبة وهي ما تحدث به الناس تلاهيًا وتعجبًا وهو المراد ﴿فَبُعْدًا﴾ عطف على أحاديث ﴿لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 44] أنبياء زمانهم بل كذبوهم وكان ذلك سببًا لبعدهم وهلاكهم.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التسع التي ذكرناها في الأعراف ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [المؤمنون: 45] يجوز أن يراد بها اليد البيضاء وانقضاؤهما معًا لأنهما كانتا أفضل آياتِ موسى وسائر معجزاته لانطوائها على خرق العاداتِ وإظهار المعجزات كتقليب العصا حية وبلعها وابتلاعِها ما أفكته الشجرة وألقته في معرض المعارضة المهرة وانفلاق البحر وإغلاق أبواب السحر وتفجير العيون وتسخيرِ الأبصار والعيون وكونها حارسة وحافظة وسمعه وشجرة خضر مثمرة ودلو ورشاء فيكون من مقولة ملائكته ورسله جبرائيل وميكائيل.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ واستنكروا عن قبولها والحال أنهم ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: 46] متكبرين في الأرضِ متحيرين بالطول والسُّمك والعرض إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها مشيعًا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم وغير ذلك أو متطاولين على الناس بالبأس والإفشاء بين الخلق قاهرين عليهم بالظلم وشدة البأس.

﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿فَقَالُوٓاْ﴾ قوم فرعون ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ﴾ موسى وأخاه هارون ﴿مِثْلِنَا﴾ وهو ومثله عشر وشبه يوصف بهما الفرد والجمع والتثنية المذكر والمؤنث والجمع ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: 47].

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ أي لما كان كذلك كذبوهما ﴿فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون: 48].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون: 49] أي السبط بل القبط يتحققون به بالهداية إلى النجاة الأبدية والسعادة السرمدية بالعمل بما فيه من الأحكام الشرعية والمواعظ الحسنة.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ﴾ أي عيسى ﴿ءَايَةً﴾ أي كل واحد منهما آيةً منهما أو لأنهما يحتمل التنبيه أو الأولى محذوفةً لدلالة الثانية عليها فلأن لكل واحدٍ منهما آية باهرة ومعجزة ظاهرة كما ذكر في كهيعص وآل عمران ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾ وأرجعهما وأعادهما ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ بالحركات الثلاث في الراءِ هي الأرض المرتفعة أو هي إيليا أرض بيت المقدس فإنها كبد الأرضِ وأقرب الأرض إلى السماءِ ثمانية عشر ميل أي أرض دمشق، أو فلسطين والرملة، عن أبي هريرة رضي الله عنه ألزموا هذه الرملة التي ذكرها الله تعالى ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ وهو المستقر من أرض مستوية منبسطة أو ذات ماءٍ ﴿وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: 50] هو الماء الطاهِر الجاري على وجه

الأرض، فهو إما منقول له أي مدرك بالعين لظهوره لعيانه إذا أدركه بعينه نحو ركبه إذا ضربه بركبتيه أو هو فعيل يعني أنه نفاع كثير النفع لظهوره وجزء من الماعون وهو النفعة وموضع النفع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ نداء وخطاب الرسل لكونهم مجتمعين في زمانٍ واحدٍ بل في أزمنة متتابعة متواترة متعاقبة ولكونهم حاضرين في موطن ألست بربكم أو في علمه ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي ما طاب وحل أو هي حلاله وصاف ذوات قوام بالحلال ما لا يعطي الله فيه، والصافي الذي لا يُنسى الله فيه، والقوام ما يمسك النفس، والحفيظة العقل، أو المراد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والمشارب والفواكه والأشربة الباقية، ويجوز أن ليضع هذا الإعلام عند إيواء عيسى ومريم وإرجاعهما إلى الربوة فذلك على سبيل الحكاية، أي آويناهما وقلنا لها هذا بأن الرسل كلهم خوطبوا بهذا أن هذه أمتكم ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: 51].

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢﴾

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾ مرفوعة خبر إن ﴿أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [المؤمنون: 52] منه بالنصب على الحالية واحدة إما على طريقة قوله كان الناس أمة واحدة أو على طريقة قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ﴾ [الشورى: 13] في الدين أي النبوة التعريفية وولاية التوحيد ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ﴾ بيان وهذه الآية ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52] ولا تخالفوا أمري ولا تختلفوا في ديني.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣﴾

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم﴾ أمر دينهم في النبوة التشريعية ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ واختلفوا بحسب اختلاف مقتضى الزمانِ ومصالِح الوقت فتفرقوا أو تحزبوا أمرهم منصوب بنزع الخافض أو التمييز ﴿زُبُرٗاۖ﴾ جمع زبور وهو التفرقة منصوب إما على الحالية من أمرهم ومنه الواو، أو على أنه مفعول ثانٍ لتقطعوا إذ جعل متضمنًا بمعنى جعل ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ﴾ من التخريب ﴿بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: 53] من الذين فرحوا متعجبون مفتخرون بحقيقته وبطلان غيره.

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

﴿فَذَرْهُمْ﴾ اتركهم ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ وجهالتهم تشبيهًا بالماء بالاستيلاء والغلبة والجريان ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: 54] أي أجل مؤقت أو إلى أن تقتلوا أو تموتوا.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ ويظنون ﴿أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ أي ما يعطيهم إياهم ويجعلهم مددًا لهم ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون: 55] بيان لما وهو خير له وهو مناب عليه وإنما المناب عليه اعتقادهم أن ذلك خير لهم.

﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ والفاعل هو الله والراجح محذوف ويعني أيحسبون أن الذي نمدهم به نسارع به لهم في الخيراتِ والحسنات والمبرات ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: 56] استدراك لقوله: تحسبون، يعني بل هم كالبهائم لا دراية فيهم ولا فطنة ولا روية لهم ليتأملوا فيه فيعلموا أن ذلك الإمداد النصرة والإعداد وتواتر النعماءِ والازدياد استدراج ومكر بهم لا مسارعة في الخيرات لعدم استئهالهم له.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ ومن خوف عذابهم وإيراد عقابهم ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: 57] خائفون ويحذرون ويتخوفون ويحترزون.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 58] بتصديق مدلولها وتحقيق فحاويها ومضمونها والعلم بها والعمل بمقتضاه.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: 59] وصف الله تعالى المؤمنين بأوصافِ ثلاثة:

الأول: بكمال الحسنة التي تدل على كمال العقل ووفور العلم وقوة الدراية وهي أصل جميع السرمدية والدولة الأبدية إنما يخشى الله من عباده العلماء.

والثاني: الإيمان وكمال الإيقان ووفور الاتقانِ الذي يوجب الامتثال بالأرضِ والانتهاء عن المناهي.

والثالث: هو الإعراض عن الكفر والشرك الخفي وهو الرياء والطغيانِ عن الارتكاب بالمعاصي والعصيانِ، فمن كان يريد لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ﴾ يعطون ﴿مَآ ءَاتَواْ﴾ واعطوا منه الصدقاتِ قرئ (يأتون ما أوتوا) أي يفعلون ما فعلوا من الطاعات ﴿وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ خائفة حال من الفاعل المعطي، خوفوا أن لا يقع ذلك في حيز القبول أو عن المنقول لأخذ خوفوا منه أن يستحق له وأن يقع زائدًا على قدر الحاجة فاضلًا في وقت الاحتياج ﴿أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: 60] فيجزي المعطي ويجازي الآخذ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ ويبادرون في الحسابِ والميراث ويرغبون في الطاعاتِ وخلوصِ الثباتِ لما فيها من تضاعف المجازات وتعاطف ثواب الطاعات وجزاء الخيرات ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: 160] والله يضاعف لمن يشاء ﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: 61] المعدون والمتهيؤون أي لأجلها فاعلون السبق أو سابقون الناس إلى الخيراتِ وأنواع الطاعات وأصناف الحسناتِ وإلى الوصول بدرجاتِ الخيراتِ أو سابقوا بها أي العاهدون والحسناتِ ويشاهدونها أو يدخلون فيها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ [الدخان: 56] لأنهم ماتوا بالإرادة والاختيار قبل أن تموتوا بالاضطرار ويحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا لقوله عليه السلام: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا**».

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٢﴾

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ﴾ [المؤمنون: 62] أي لا نحمل على النفس من التكاليف الشرعية إلا بقدر طاقتِها وبمقدار قوتها يحمل عليها طاعتها ﴿وَلَدَيۡنَا

كِتَٰبٌ﴾ من اللوح المحفوظ أو صحيفة الأعمالِ وصبيحة الأفعالِ ﴿يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل والقِسط والصدق لا يوجد فيه خلاف الواقِع قطعًا ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: 62] بزيادة عقابٍ ونقصانِ ثواب، فإن النفس كما لا يصل إليها في الدنيا إلا ما رزقه الله وقدره في سابق علمه وشاهق قضائه وحكمه كذلك أحوال الآخرة والأعمال التي قد عملها فإنّ كل عملٍ وفعلٍ لها نوع من الثواب والأجر والعقاب وطور من العذاب قد قدره الله تعالى للعامل ووفره للفاعل لا يزيد على ذلك ولا ينقص منه ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحِجر: 21] وكما أن مقدار الأرزاق وأحوال الأعمالِ مقدر في الكتاب المبين واللوح المحفوظ وخزائن قدرته، كذلك الأعمال والأفعال والأحوال والأقوال مخزونة في خزنة الأعمالِ ومكنونة عند الحفظة للأفعالِ إلى أن بلغ إلى الوقت المعلوم آجلًا وعاجلًا فحينئذٍ يجزي الله العامل والفاعل بعدد الأعمالِ والأفعال من كثرة الثواب وقلته وكذلك بشدة العذاب وحدة العقاب وضعفه.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: 63] أي لأجل أن هذه الأعمال قد ثبت أولًا في خزنته ثم ينزل في هذا العالم المعلوم فتكون الأعيان بها عاملين فيحفظها الحفظة ويكتبوها في الصحائف الأعمالية.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ﴾ بالقتل في الدنيا كما وقع في يوم بدرٍ والجوع كما دعى رسول الله ﷺ: «**اللهم اشدد واجعل وطأتك على مصرٍ واجعلها عليهم سنين كسني يوسف**»، فقحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف الميتة والعظام المحرقة والأولاد ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ [المؤمنون: 64] يصرخون باستعانته.

﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ أي اليوم الذي وجبت فيه عليكم هذه الثلاثة ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ [المؤمنون: 65] عليه النهي أي لا يجأرون ولا تجأروا بالدعاءِ برفع الصوت في دفع هذه البلية لأنكم في هذا اليوم لا تنصرون ولا تمنعون من هذه البلية.

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى﴾ وكتابي أي القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ وتقرأ كل يوم لديكم فاستكبرتم لديه واستكبرتم عليه هذا علة للعلة ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ وأدباركم ﴿تَنكِصُونَ﴾ [المؤمنون: 66] يذرون ويرجعون ويدبرون إدبار من رجع القهقرى.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ أي بالقرآنِ قالوا إنّ الضمير راجع إلى البيت العتيق أو إلى الحرم لأنهم كانوا يقولون لما يظهر علينا أحد من الأعداءِ إلا بأهل البيت وصاحب الحرم، فصار هذا العزم ووفارة هذا الزعم سبب استكبارهم وعلة لاستنكارهم ﴿سَٰمِرًا﴾ أي متحدثين بالليل، كانوا مجتمعين حول البيتِ بالليل ويسمرون ويتكلمون وكانت عامةَ حديثهم ذكر القرآن وتسميته سحرًا وكذبًا ومفترًى وشعرًا، وسبّ رسول الله ﷺ وشتمه ﴿تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: 67] ويتفحشون من الهجر من منطقة نطقه إذا أفحش، الهجر بضم الهاء الفحش والسب والشتم، وبالفتح الهذيان والوقاحة، والسامر نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع والفرد.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ ولم يتفكروا في القرآن ليعلموا أن القرآن هو الحق المبين، يصدقوا به وبمن جاء به، هذا الاستفهام للإنكارِ، أي لِمَا لَمْ يدبروا ولم يتفكروا في القرآن، وليعلموا إنه هو الحق الواجب للاتباع ﴿أَمْ﴾ اعلموا أنه ﴿جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ﴾ أي ليعلموا أنه جاء محمد بالحق بقرآنٍ وكتابٍ لهم لم يأتِ ﴿ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: 68].

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ أي جاء لهم برسول إلا أنهم لم يعرفوا رسولهم ولم يلتفتوا بأحكام كان به من الكتاب، أي ليكون أمرهم دائرًا بين العلم بأن جاء آباءهم الأولين رسول به كتاب، ولم يعرفوا الرسول وكتابه، أو الإنكار به وبمن جاء ﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون: 69] أي والحال أن القوم ينكرون الرسول بما جاء به من الكتابِ أو آباءهم الأولون، وهم إسماعيل وأعقابه من عدنان وقحطان.

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ أي بمحمد، وليس كذلك ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي بالكتاب الحق الثابت مضمونه أو متلبسًا بالعدل والصدق ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ لكونهم معرضين عن الحق وهم ﴿لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون: 70] أي تنحصر كراهتهم على الحق.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ الفاسدة وآراءهم الكاسدة وتتصور في الكون على مقتضى آرائهم ومرتضى أهوائهم لا يقلب الحق باطلًا فلا يبقى له قوام وقيوم كما ورد في الخبر: وبالعدل قامت السماوات والأرض وحينئذٍ ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ من الملائكة والجانِ والشيطانِ والإنس والمكورات ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي بالكتاب الذي هو ذكرهم ووصفهم وحقهم، أو الذكر الذي يتمتعون بقوله: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾ [الصافات: 168] ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 71] لا يلتفتون لله وقد تملوه.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾ وهو خراج الخرج إلى الإمامِ عن عشر الأرضِ وزكاة الأموال وإلى كل عاملٍ من أجره وجعله.

وقيل: الخرج ما يترغب به مثل زكاة الأرض، والخراج ما ألزمك أداؤه.

والحاصل أن الخراج أعم كقولك: خراج القرية ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ الكثرة والتزكي كورة ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ لسعيه ودوائه والخرج بإزاء الدخل ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المؤمنون: 72] تقرير لخبر: نخبر به خراجه وعموم إحسانه ودوام إكرامِه وخلود إنعامِه.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: 73] وطريق وهو الإسلام.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ المذكور الذي هو الإسلام ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ [المؤمنون: 74] عادلون ومنصرفون عنه لأنه سبيل الوصولِ إلى السعادة الدائمة ونعيمِها السرمدية وأن خوف الآخرةِ ورجاء نعيمها أقوى البواعث على طلب الحقِّ وسلوك طريقه وهم عنه برأيهم العليل وفكرهم ونظرهم الكليل معرضون.

﴿۞وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ﴾ يعني من القحط ﴿لَّلَجُّواْ﴾ أن بالغوا وتثبتوا أو استداموا ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ وانغماسهم في الكفر والاستكبار عن الحق وفي عداوة الرسولِ والمؤمنين ﴿يَعۡمَهُونَ﴾ [المؤمنون: 75] ويقمعون عن الهدى والعمة في البصيرة كالعمى في البصر.

﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ﴾ والقتل في البدء ﴿فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: 76] الاستكانة هي الثبات في التضرع أو هي الخشوع والتضرع في القلب كما هو في الأعضاء هي مصدر باب الاشتغال من الكون أصله استكوان حذفت الواو على غير القياس وعوض بالياء أي الانتقال من كون إلى كون كما قيل استحال إذ انتقل من حال إلى حال، ويجوز أن يكون مصدر باب افتعل من السكون، قد وجدت منهم عقيب المحنة استكانه يحتمل الأمرين وما من إعادة هؤلاء أن يستنكفوا ويتضرعوا يختص بالأول.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾ يفتح عليهم باب العذاب إلى أشد الشدائد ﴿إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ [المؤمنون: 77] متحيرون.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾ [المؤمنون: 78] جمع فؤاد وهو

السر الذي هو وجه القلب الذي يلي الروح وهو مظنة التجلي الإلٰهي وشهود ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النّجم: 11]، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: 78] وإنما ذكرها دون غيرها من الأعضاءِ والجوارح إشعار بأن الشكر ومعظم أحكام الشريعة والأعلام الطريقية في بادي الأمر الأجزاء، أما اليد فهي في حكم الفؤاد أي تشكرون شكرًا قليلًا.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ وخلقكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المؤمنون: 79] وتجمعون يوم القيامة بعد تشتتكم وتفرقكم في الأجداث والقبور.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بواسطة طلوع الشمس وغروبها واختفائها تحت الأرض ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: 80] ولا تتفكرون في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، وفي خلقكم وإنشاء أجزائكم وجوارحكم وأعضائكم واختلاف أحوالكم بالموتِ والحياةِ والإحياء والإماتة أي انتفى تعلقكم وتفكركم لانتفاء مبدئه وهو العقل والقوة المدركة لأن صدق القضية السالبة إنما يكون بانتفاء موضوعها، فمن كان له عقل مريح وفكر صحيح يحكم بأن من كان قادرًا على خلق الدواب والأرض والإحياء والإماتة في الدنيا [قادرٌ] على إعادة الرفع في البدنِ وحشر الأجساد.

﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [المؤمنون: 81] يعني تركوا التعقل والتنكر فيما ذكر بل قالوا وحكموا مما ذكر مثل ما قال الأقوام الأولون.

﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ وصرنا ﴿وَعِظَٰمًا﴾ وأجزاء صغارًا ورفاتًا ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: 82] ويحشرون وإنما فصل بعدما أجمل وبيّن ما أبهم تقبيحًا لحالهم وتفضيحًا لسوء حالهم وتصريحًا برداءة تدبرهم ودناءة تفكرهم بأن خلقهم

وإحياءهم في الآخرة وبعثهم وحشرهم أهون من الخلق والإحياء في الدنيا كما علم وسيعلم.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا﴾ وخوفنا ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾ أي قبل زمان هذا النبي الذي قال المواعيد وقد تخلقت وما تخلفت وما وقعت ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ الوعد والوعيد والتخويف والتنديد ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: 83] أي ليس ما قال هذا الرجل إلا أكاذيب كتبوها لا حقيقة لها أصلًا ولا أصل لها قطعًا، جمع أسطورة وهي ما يستعمل فيما يتلى به ويلعب ويستهان بذكره كأعاجيب وأضاحيك قيل جمع أسطارٍ وهو جمع سطرٍ، والجواب عما قالوا وآباؤهم إنكم مثل آبائكم قد تركتم قاعدة التخلي الصريح وفائدة النظر الصحيح والتدبر وتعطيلها أو بأنهم لم يتأملوا في أن من هو قادر على خلق جسمٍ من لا شيءٍ قادر على جمع أجزاء البدنِ وإعادة الروح فيه، فالحري بالعاقل الكامل والعامل أن يعبده ولا يشرك به شيئًا واحدًا من مخلوقاته.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ وعليها خلقًا ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: 84] أي إن كان لكم علم وإدراك وعقل تقبيحٍ لسوء حالهم وتفريط لفرطِ جهالتهم ووفور عنادهم ومكابرتهم ومعاندتهم.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: 85 - 87] بحكم صراحة العقلِ والإدراك النظري فإن من له أدنى تمييز وفطنة يحكم بحقيقة هذه المقدمة، لأن الكل مولود هذه الفطرة «**كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه**»، ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: 87] ويخافون عقابه ويحترزون من عذابه حيث ضيعتم أوقات النظر الصحيح واستعمال العقل الصريح بمعرفة الصانع.

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المؤمنون: 88] وروحه وملكه الذي يدبر أمره باطنًا في الخزانة ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: 21]، ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ يجيب ويعين من يشاء ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: 88] ولا يعان عليه كما أنه يعين من يريد من عباده ولا يعان ولا يمنع ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: 103]، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: 88] الحق والممكن والخلق وما لها من الخصائص الوجودية والفرار من الذاتية الشهودية من الإمكان والاحتياج والافتقار إلى الزمانِ والمكانِ والوجوب الذاتي والفقر الذاتي والغنى الذاتي اللذين هما يختصانِ بالذاتِ الواجب ولا يشاركه أحد فيهما.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: 89] فأين يخدعون فيصرفون عن الرشدِ مع ظهور الأمر بظاهِر الأدلة.

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿بَلْ﴾ يا محمد ﴿أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل والتوحيد والإعادة والمواعيدِ ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المؤمنون: 90] كل الإنكارات والدعاوى البينات.

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ أي ليس يجزي له أن يتخذ ما يتخذ الممكن من الولد المشروط بالإزواج من بين نوعه لتقدسه عن الجنس والنوع الذي هو من خصائص الإمكان الخاصِ ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ يشابهه بالألوهية ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: 91] أي لو كان فيهما آلهة ولكل منهما مخلوق لذهب كل إلٰه بما خلق أي انفرد كل واحدٍ من الأربعة بما خلقه وأوجده وبالتصرف في ملكه ومأموره

ومخلوقه على نهج إرادته ومقتضى مشيئته من غير أن ينازعه ويخاصمه أحد منهم ثبت عجزه إذ شأن أرباب القدرة الكاملة والقوة الشاملة أن يخالفه البعض الآخر ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ كما يشاهد ومن حال ملوكِ الدنيا وسلاطينها، وأما الاتفاق على المراد والطباق والوفاقِ على الصلاحِ والفسادِ فمن خصائص العاجز والضعيف من العباد ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 91] بالتولد والتوالد والشرك والإشراك.

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿عَالِمِ﴾ وعالم ﴿الْغَيْبِ﴾ الذي غاب عن المشاعر الخمسة الظاهرة ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ الداخلة تحت حكمها فالآخرة من عالم الغيب الدنيا وهو عالم الشهادة والملك يجوز فيه الإعراب الثلاث ﴿فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: 92] وتأخذون أنتم شريكًا له.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: 93] أو لما كان الوعيد حقًّا وأنت تريني إياه وتشاركني لهم في المشاهدة والرؤية.

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: 94] قريبًا لهم وقرينًا لهم لئلا يشاركهم في العذاب إذ شامة الظلم وخاصة الغيبة والجهالة تسري وتعم كما قال: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: 25].

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب والفتنة والإهلاك وقد تقدم على عامله ﴿لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: 95] لكنا نؤخره على امتحانه أن بعض أعقابهم يتألون ويصلون شرف الإسلام وسعادة الإيمان.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: 96] من الحسناتِ والخيراتِ وشرف

الطاعات وكرامات الثباتِ ﴿ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ والخطيئة قال النبي ﷺ: «**أتبع السيئة الحسنة تمحها**» الحديث: «**إن الحسنات يذهبن السيئات**» من الصفح عنها والإحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد إلى وهن لأصحاب الصدق وأرباب اليقين قيل الحسنة هي كلمة التوحيد والسيئة على الشرك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي أبلغ مِنْ ادفع الحسنة بالسيئة لما فيه من التنصيص على التعطيل، فيحتمل أن يحمل على هذا وغيره ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 96] إياك يا محمد وينسبون إليك أوصافك وأحوالك على خلاف ما أنت عليه واللّهُ أعلم بذلك منك وأقدر إلى جزائهم.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: 97] جمع همزة وهم النخس والوخز أي من حث الشياطين للناس على المعاصي والشرور بينهم على الشراوة والغرور كما يهمز الواطئة الدواب حثًّا لها على المسير، ونحو الهمز هو كما تؤزهم أزًّا أمر بالتعوذ من نجاستهم بلفظ المبتهل بالالتجاء إلى ربك مكررًا النداء.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾ [المؤمنون: 98] أي أن يحضروني الشياطين والنون نون الوقاية أي يحومون حولي.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [المؤمنون: 99] حتى يتعلق به يصفون أي لا ينالهم على ضوء الذكر إلى هذا الوقت وهذه الجملة اعتراضية ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ [المؤمنون: 99] الخطاب باللّهِ بلفظ الجمع للتعظيم من الشيطانِ لأنه قد خالف الله في مقتضيات ذاته بتمام أسمائه وصفاته.

﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ في الدنيا عند المخالفة بحكم اللّهِ تعالى وأوامره ونواهيه أي لعلي إفادتي بما تركت فيهِ من الإيمانِ والعمل الصالح عن النبي ﷺ إذا

عاين المؤمن الملائكة قالوا له: أنرجعك إلى الدنيا، فيقول: إلى دار الهموم والأحزان! بل قدومًا إلى اللّهِ، وأما الكافر فيقول: ارجعوني ﴿كَلَّآ﴾ إنها كلمة ردع ونفي ومنع من طلب الرجعةِ وإنكار واستبعاد منها ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ [المؤمنون: 100] يعني ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: 99، 100]، ﴿هُوَ﴾ إنكار فيه ﴿قَآئِلُهَا﴾ أي تلك الكلمة لتسلط الحيرة عليه ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أمام الجماعة ﴿بَرْزَخٌ﴾ حائل بينهم وبين الرجعة وعالم المنال ومرتبة الخيال التي هي موطن تحقق أحوال الآخرةِ والأحوال الدينية ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100] يوم القيامةِ أكثر أحكام الآخرة وعذاب القبر وسؤال المنكر والنكير، وأكثر معجزات الأنبياء وكراماتِ الأولياءِ وخرق العاداتِ، وأكثر الحالات والمقامات والسحر والشعوذة والعلوم الغريبة إنما تتحقق في هذِهِ المرتبة، هذه إقناط كلي وإيناس قطعي عن المراجعة والإرجاعِ إلى الدنيا للعلم ما لا يرجعه إلى الدنيا يوم البعث، وإنما الرجوع فيه إلى حياة تكون في الآخرةِ.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ لقيام الساعةِ قرئ بفتح الواو وبكسر الصاد ويؤيد أن الصُّوْر أيضًا جمع الصُّوَر ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في ذلك اليوم فلا اعتبار لأحد في ذكرِ نسبهِ التشفع بهِ ﴿يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101] أي لا يسأل بعضهم بعضًا لاشتغاله بنفسِه واستيلاء الدهشةِ والحيرة على النفوسِ بحيث لا يبقى لها شعور بأحوالها فضلًا عن أحوال الغير لا يتناقض قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: 27]، لأنه عند النفخ وهذا بعد المحاسبةِ لدخول الجنة والنارِ وبالنسبة إلى من هم يعذبون في الجحيم أو مقول أنّ هذه القيامة مديدة وأيامها طويلة شديدة معاناتها، يومًا من أيامِها مقداره خمسين ألف سنةٍ فمقدار أزمنة وساعات متنكرة وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون والتي لا سؤال فيها هي النفخة الثانية التي تعاد فيها الأرواح إلى الأجساد أو في النفخة الأولى التي تهلك من كان في الأرض والسماءِ.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ يعني بعد نفخ الصور وجبير النفوس بالإيجاد في أزمنة متطاولةٍ يعرض أعمالهم عليهم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: 102].

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [المؤمنون: 103] وموزوناتهم عن الأعمال الصالحة دون الطالِح إشعار بأن المؤمن ما لم ينزل عن كرة النار الطبيعية ومقتضاها وهو السلطنة والإهلاك والإحراق ومن كرة الهواء النفسانية ومقتضاها وهو العبودية والإقرار ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: 23] الآية إلخ، إلى كرة الماء ومقتضاه والعدل والأرض وما تقتضيه وهي السفل والخنوع والإطاعة والقبول وكمال الجامعية لا يحصل له وقار وتمكن واطمئنان وقرار وطمأنينة لا يقبل الإيمان والعمل الصالِح ومن خفت موازينه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ فحينئذٍ يرد إلى مقتضى النارِ ومرتضى الهواء وعدم الاطمئنانِ والوقارِ ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: 103].

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: 104] اللفح واللقح واحد إلا أن اللفح بالفاء أشد تأثيرًا وهو الإحراق، والكلوح هو أن تتقلص الشفتان وتسمر الأسنان كما يرى في الرؤوس المستوية.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي تقدير القولِ ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: 105] أي علة هذا العذاب سببه التكذيب.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ هذا النداء بعد الدخولِ في النارِ أي الشقوة التي قدرتها لنا في سابق قضائك وسابق مقتضى مشيئتك ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ [المؤمنون: 106] في تقدير عملكِ وتحرز حلمك.

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ من نار عظمتك وبوادر قهرك ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى التكذيب ومخالفة أمرك ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: 107] على أنفسنا.

﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿قَالَ﴾ اللّه في جوابهم أو الملك الموكل على العذاب ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ اسكنوا سكونًا يقتضي لبلائه أو انزجروا في العذاب كما ينزجر الكلاب في سير العقاب يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه قيل هذا كلام يتكلمون به ثم لا يتكلموا بعد ذلك إلا الشهيق والزفير بدليل قوله ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: 108] بعد ذلك لرفع العذاب. عن ابن عباسٍ: إن لهم ست دعوات إذا دخلوا ﴿جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السَّجدَة: 13] وينادون: اللهمّ أمتنا اثنتين، فيجابون: ذلكم بأنه إذا دعي الله، فينادون ألفًا يا مالك ليقض علينا ربك، فيجابون: إنكم ناكثون، فينادون: يا ربنا أخّرنا، فيجابون: أو لم تكونوا أقسمتم ما لكم من الله من واقٍ، فينادون ألفًا: ربنا أخرجنا نعمل، فيجابون: أو لم يعمركم، فينادون ألفًا: ربنا أرجعون، فيجابون: اخسؤوا فيها، فلا يكون في هذه الحالة إلا زفير وشهيق وغول.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ أي الشأن وإن كان ﴿فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ المؤمنين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 109].

﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ أي محمّد وأصحابه ﴿سِخْرِيًّا﴾ بالضم والكسر مصدر سخر إلا بالنسبة يقتدر زيادة قوة في الفعل كما في قولك: الخصوصية بالخصوص فبالكسر الهزؤ وبالضم هي السخر والعبودية أي يسخرونهم ويستعبدوهم أي اتخذوهم يا محمد وأصحابه ويجوز أن يكون الخطاب بالمسلمين وضميرهم للكفارِ أي اتخذتموه أيها المسلمون الكفار هزوًا ساعيهم بهم ساخرين ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ أي الاشتغال بالهزء والسخرية وإبقائكم غافلين عن ذكر اللّهِ فلم يخافوا من فوت ذكر اللّهِ وشأن أوليائه مميزه الاشتغال بالاستهزاء والسخرية ولو كانوا يذكرون الله فخافوا وقالوا كيف يستعمل بالسخرية والاستهزاءِ بأولياء الله تعالى وهو يفوت ذكر الله وذكر أوليائه بالتبعية ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: 110] وتلعبون

وتسخرون إياهم فغاب عنكم ذكر الله وأوليائه.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ الموعود والموطن المعهود ﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ أو يحملوا على عهدتهم التي قصدوها بالاشتغال بالهزء والسخرية ﴿أَنَّهُمْ﴾ المشتغلين عن الهزء والسخرية بذكر الله وبشرف صحبة أولياء الله ﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: 111] بفلاح النشأتين وصلاح الدارين.

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿قَٰلَ﴾ الله عزّ وجل أو المَلَك المأمور ونسبوا لهم أو بعض رؤوسائهم أهل النار للأعيان الحاضرين من البشر ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ والدنيا منهم في الزمان الذي هو ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون: 112] من سني الدنيا.

﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿قَالُواْ لَبِثْنَا﴾ في الدنيا ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ من الدنيا فاسأل ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون: 113] الذين يكتبون عدد أيامها إن أردت بحقيقتها وإنا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن عرضها وأحوالها والملائكة الذين يعدّون أعمار النار ويحصون أعمالهم، أي يحصوا مدة لبثهم في الدنيا الأولى، والإضافة إلى جلودهم ولما هم فيها من عذابهما لأن الممتحن ما يمتحن أيام المحنة وأعوام القصة والشدة ويستحقروا ما مر عليه من أيام الدنيا والرجعة بالنسبة إليها لأن أيام السرور والبهجة تتراءى أي فصار لاشتغال النفس باللذات الطبيعية واشتغالها بنار البهجة بإجراء الشهوة الطبيعية ملتفتًا إليه.

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿قَٰلَ﴾ العادّون ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ أي ما لبثتم في الدنيا وما كنتم بها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وأيامًا قصيرًا بالنسبة إلى أيامِنا فإن يومًا من أيامها كخمسون ألف سنة ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: 114] حقيقة أيام الدنيا وأيام الآخرة وذلك لأن سعة دائرة دورة الدنيا أضيق من دائرة دورة الآخرة فاعتبر الدائرة المرسومة حول مركز العالم فإن كل ما قرب إلى المركز فهي أصغر من التي هي أعظم، وأنت خبير بأن

عالم الأجسام بالنسبة إلى عالم الأرواح أقرب إلينا وهو الدنيا من عالم المثال وعالم الملكوت والجبروت واللاهوت والذات ولا نسبة بين عالم الأجسام وعالم الأرواحِ لأن عالم الأجسام إلى عالم الأرواح كالنقطة بالنسبة إلى الفلك وكذا بالنسبة إلى عالم الأجسامِ بعضها إلى بعضٍ كما تقرر أن نسبة كرة الأرض إلى محدب تلك الشمس كنسبة النقطة إليه فتأمل.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ في الدنيا أي حال كونكم عابثين ولاهين ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115].

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون: 116 - 117] ولا حجة ولا دليلًا لما عليه عقليًا ولا نقليًا لا عرفيًا ولا وحي ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ يظهر عليكم يوم الحساب بأنواع العذاب وأصناف العقاب ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: 117] في ذلك اليوم.

﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 118] أي افتتح السورة بالإفلاح المخصوص بالمؤمنين واختتم فيه عن الكافرين وأردف الدعاء والمغفرة والرحمة إشعارًا بأصناف العبادِ بأن منها من هم المؤمنون وهم الفائزون لكمال الصلاحِ الحائزون لأنواع الفلاحِ منهم الكافرون المبعدون من جنس الصلاحِ وتنبيهًا على أن المؤمنين المذكورين من حقهم أن لا يعتمدوا على صلاحِهم ولا يعتدوا بكمال فلاحهم، بل لا بدّ لهم أن ينخرطوا بنفوسهم في مسالكِ العاصين فإن درجاتِ المؤمنين كمراتب الإيمانِ إجمالًا وتفصيلًا لا يكاد ينحصر فلو اقتنع بدرجة من الدرجاتِ وبمرتبة من مراتب الإيمان علمًا وعملًا وشهودًا أو بيانًا

وحقًّا ويقينًا ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: 99] أي حق اليقين وهو الذي يخسر خسرانًا مبينًا وضلّ ضلالًا متينًا فعليه أن يطلب المغفرة ويتجزىٰ ويبغي الرحمة آنًا فآنًا لأن رحمته غير متناهية إلى أن يصير في نفسه متحققًا بالذاتِ الغير المتناهية ولم تسعه الرحمة يا موسى ما الجأت الفقراء إلى الأغنياء إن خزائني ضاقت عليهم وإن رحمتي لم تسعهم ولكن فرضت للفقراء في أموال الأغنياء ما يسعهم أردت أن أبلو الأغنياء كيف مسارعتهم فيما فرضت للفقراء في أموالهم يا موسى إن فعلوا ذلك أتممت عليهم نعمتي، الحديث القدسي.

قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة المؤمنين بَشَّرَه الملائكة بالروح والريحانِ وبما يقر به عينه عند نزول ملك الموتِ**». ويروى أيضًا: أن أول سورة (قد أفلح) وآخرها من كنوز العرش، من عمل ثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح. عن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يُسمع له دوي كدوي النحل، فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يده وقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضَ عنا وأرضِنا. ثم قال: «**قد نزلت علي آياتٍ من أقامها دخل الجنة**»، ثم قرأ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ من ختم العشر.

إشارة وتأويل

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ إلى آخر السورة، من تأمل في هذه السورة يطلع على تأويلات ما كان فيها من الآيات والكلمات مما تقدم من تأويلات فلا حاجة إلى ذكر تأويلٍ آخر في هذه السورة فلا نتعرض له [لعدم] وقوع الحاجة بتوضيح الحالات والمقامات والتأويلاتِ وتصريح الإشارات وتفتيح الإصلاحات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 24 — سُورَةُ النُّور — آياتها 64 مدنية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي صير سورة النور صورة حسنة وسورة أهل الحضور ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي نور فؤاد العارفين بضياء توحيد الذاتِ وثناء تفريد الأسماء والصفاتِ، كما أشار إليه قوله تعالى نور السماوات والأرض وما فيهما من البسائط والمركباتِ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي دوّر أفلاك أرواح المحققين في الأدوار الإلٰهية والأكوار الغير المتناهية إلى أن انتهت إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي أفرادًا وجمعًا.

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾

﴿سُورَةٌ﴾ أي هذه سورة من الآيات وجملة الكلمات التي ﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾ نجومًا وخصوصًا وعمومًا أو مبتدأ موصوف والخبر ههنا محذوف أنزلناها إنما هي فيما يتلى، وأوحينا إليك قرئ بالنصب على ضرب زائدًا ضربته فحينئذٍ [يكون] من الإعراب لأنها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه أو على نحو ضربته فحينئذٍ لا محل لأنزلنا من الإعراب لأنها للمفرد [وبك]، أو اقرأ سورة أو اتل سورة فإذًا يكون صفة ﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾ قدّرنا أحكامها التي فيها أو جعلناها واجبة مقطوعةً بها عطف على (أنزلنا) ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحاتِ الدلالات على الأحكام المنطوية هي عليها ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النُّور: 1] وتذكرون ما قبلتم في الفطرة الأولى في الموطن (ألست) بني عليها ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وتدركون ما قبلتم في الفطرة

الأولى (بربكم) فتتقون المحارم والسيئات بالتذكرة بها وإدراكها.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ رفعهما على الابتداءِ وخبرهما ﴿فَٱجْلِدُواْ﴾ وإنما أدخلت الفاءِ في الخبر لتضمن المبتدأ بمعنى الشرط وهو الموصول أي والمرأة التي زنت والمرء الذي زنى نقول في حقهما واجلدوا واضربوا ﴿كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا﴾ فالتذكير للتغليب وبتقدير ﴿مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ﴾ [النُّور: 2] وقرئ بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهِر هذا الحكم إنما هو في غير المحصن كما سيجيء. وإنما قدم حكم الزنا على سائر الأحكام لزيادة الاهتمامِ في شأنِ العصمةِ التي تتضمن سعادة النشأتين ودولة الدارين، وإنّ الزنا من خواصه الطاعون والوباء التي هي أعظم البليات، كما أن خاصة منع الزكاة عدم الأمطار أو القحط، ووجه النصب أحسن من الرفع للأمر الذي هو الإنسانِ لا لخبر إلا بالتأويل، وقدم الزانية إذ الباعث فيهنّ إلى الزنا هو نقصان العقل الغارق بين الحق والباطِل المبعد عنه الشهوات الباطلةِ والمشتهيات العاطلة، فهن أكثر وأقوى وأوفر وأكبر من جهة مقتضياتها أوفر والزاجر فيهن أقل وأندر ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ﴾ استعطاف ورحمة وشفقة في دينِ الله يمنع الإقدام على إجراء الحدِّ كما أجرى في حق ابنه على وجه بات وإجراء أحكامه فتسامحوه أو تعطلوه قال عليه السلام: «**لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها**».

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ﴾ فإن كمال الإيمان لا يقتضي بما اجترأ الحد بل يعجله لئلا يقضي في التعطيل الإهمالِ والتجحيف والتبطيل ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ وإجراء الحد عليهما ﴿طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النُّور: 2] ليرده في التعليل، فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب. والطائفة فرقة تمكن أن يكون طاف حول الشيء في الطوافِ، وأقلها ثلاثة قيل واحد واثنانِ، والمراد جمع التشهيد، ولقد دفع عذاب الحدِّ منهما في الظاهِر حتى لو ادّعى أحد على إقرارهم ولم يكن لهما شاهدانِ يجري الحد عليهما، وفي الحديث يؤتي بوال ينقص من الحد

سوطًا فيقول رحمة لعبادك فيقال له: أنت أرحم بهم مني، فيأخذوه إلى النارِ ويؤتى بمن زاد سوطًا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به إلى النار.

عن أبي هريرة رضي اللّهُ عنه: إقامة حدٍّ بأرض خير بأهلِها من مطر أربعين ليلةً، وعلى الإمام أن ينصب للحدود رجلًا عالمًا بصيرًا يعقل كيف يضرب، والرجل يجلد قائمًا على مجرده ليس عليه الإزارة، ضربًا وسطًا لا مبرحًا ولا هشًّا، مفرقًا على الأعضاء كلها يستثنى منها ثلاثة: الوجه والرأس والفرج وفي لفظ: الجلد تلويح وإشارة إلى أنه ينبغي أن لا يتجاوز الألم إلى اللحم والعصب والعظم، والمرأة يجلدها قاعدة ولا ينتزع من ثيابها إلا الحشو والفرو.

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ إذ الغالب أن المائل إلى الزنى لا يرغب في النكاحِ الصالح، والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء لأن المشاكلة علة الألفة والتضاد والمخالفة سبب للنفرة والافتراق، وكان حق المقابلة أن يقال الزانية لا تنكح إلا من زانٍ أو مشرك، المراد بيان أحوال الرجال والرغبة، فهو لأن الآية نزلت في صفة المهاجرين لما هموا أن يزوجوا شابًّا لما ينقص من نسائهن على عادة الجاهلية، وكذلك قدم الزاني ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح الزانية ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النُّور: 3] لأنه يشبه الفسق والفجور، وتناسب التهمة وتقليل الغيرة التي من الإيمان قال النبي ﷺ: «**الغيرة من الرجال من الإيمان ومن النساء شؤم**» أيضًا توجب الطعن في النسب وغير ذلك من المفاسدِ سيما الدياثة التي لا يدخل صاحبها الجنة، وعبر عن التنزيه بالتحريم للمبالغة.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ المتزوجات ويقذفونهن بأن قال: يا زانية أو زنيتِ ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النُّور: 4] ولا يشترط اجتماعِ الشهود

عند الأداءِ ولا تعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافًا لأبي حنيفة رضي الله عنه وليكن ضربه أخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده.

اعلم أن القذف إن كان في غير المحصَن يكفيه شاهدان، وصيغة القذف في المحصَن أن يقول البالغ العاقِل للمحصنةِ: يا زانية، أو المحصَن: يا زاني يا ابن الزاني أو يا ابن الزانية أو ولد الزنا.

والقذف بغير الزنا أن يقول: يا آكل الربا يا شارب الخمرِ يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث يا ناض بظهر أمه، فعليه التعزير والكلام المشاع في هذا المقامِ في كتب الفقه.

ويجلد القاذف كما يجلد الزاني إلا أنه لا ينزع عنه من ثيابه إلا ما ينزع عن المرأة، ومنه الحشو والبلوغ والفضل والإسلام والفقه والعزر، وأشد الضرب ضرب التعزير، ثم ضرب الزنى، ثم ضرب شرب الخمر، ثم ضرب القاذف. وإنما اعتبروا شرطًا في الزنا أربعة شهود وفي القتل [لا]، وهو أشد من الزنا، وهو ما سأل زيد بن زين العابدين عمه أبا جعفر رضي الله عنهم عند أبي حنيفة رضي الله عنه وهو قد عجز عن الجواب فالتمس الجواب عند زيد بن زين العابدين فقال: إن الزنا هو شرك بين اثنين الزاني والمزني. وكذا سأل عند أبي حنيفة: المني أنجس أم البول والروث؟ فقال: البول والروث فقال: بغسل العضوين المعهودين تحصل الطهارة، وفي خروج المني لا تحصل الطهارة إلا بغسل جميع العضوين. فعجز أيضًا عن الجواب فقال أبو حنيفة: يا إمام المسلمين لا أدري، فقال في الجواب: لأن المني يأتي من جميع الأعضاءِ فلا بدّ أن يغتسل جميع الأعضاءِ فقبل يده ورجله وأثاب به وباع معه وأفتى به، فسمع جعفر ووافق وهو من أوائل خلفاء بني عباس وكلفه وأمره ليفتي بحقبة خلافته، فقال له: أنت ظالم والظالم لا يليق بالإمامةِ كما قال تبارك وتعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: 124] وأفتى بإمامة زيد بن علي، وحقيقة إمامته وقد يقلده بمذهبه وحكى صاحب الكشاف في سورة البقرة في تفسير هذه الآية حكاها هنا فارجع إليهما ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ﴾ أي سقطت شهادتهم ولا يقبل شهادة منها أصلًا ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [النُّور: 4] وفي ذلك ردت شهادتهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ القذف والرمي ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ في الأعمالِ والأفعال والأقوال والأحوال في مدة يغلب على أكثر الناسِ صدقهم في تلك المدة وهِي سنة كاملة، كما روي عن عمر رضي الله عنه في تزكية شهود أعاملت به بهذه الدراهم والدنانير؟ هل سافرت معه؟ وهل تاجرت معه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ للتائبين بالسر على ما فعلوا من السيئات والمعاصي ﴿رَّحِيمٞ﴾ [النُّور: 5] للمصلحين نفوسهم بالعمل الصالح.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ﴾ على الزنا نزلت في هلال بن أمية حين رأى رجلًا على فراشه، وأنفسهم بدل من شهداءِ على أن لا يستعين غيره أي غير أنفسهم ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ﴾ مبتدأ محذوف خبره على وجه منه. قرئ أربع منصوبًا (شهادة) هي مصدر عمل فيه أي بشهادة أحدهم واجبة يكون شهادة ﴿أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النُّور: 6] فيما رماها من الزنا على أنه لمن الصادقين فحذف على وكثير أنّه والشهادة.

﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٧﴾

﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [النُّور: 7] في الرمي وادعاء الزنا.

﴿وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٨﴾

﴿وَيَدۡرَؤُاْ﴾ ويرفع ﴿عَنۡهَا﴾ أي عن امرأته المقذوفة ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾ أي هذا الرجم ﴿أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [النُّور: 8] كما كان قول الزوج وشهادته أربع شهادات فيما رمى زوجته بالزنا والشهادة.

﴿وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾

﴿وَٱلۡخَٰمِسَةَ﴾ من جانب الزوجة في درئ العذاب عنها ﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ﴾ وقهره وسخطه عليها أي يكون واقعًا آجلًا وعاجلًا ﴿إِن كَانَ﴾ [النُّور: 9] أي الزوج

فيما رماها ﴿مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [النُّور: 9] فإذا تمت شهادتها رفع عنها العذاب وارتدّ الحد عنها أعني الرجم.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ وعنايته ورأفته وعاطفته ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ولا في الدنيا والآخرة ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ في بيان الحدود ورفعها عنكم وقبول التوبة منكم لفضحكم وعاجلكم عقوبة لكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ﴾ يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴿حَكِيمٌ﴾ [النُّور: 10] أي يعلم الأشياء على ما هي عليه ويفعل لهم ما هو أصلح لهم وأفلح في حالهم وحكم مآلهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ الكذب والافتراء على عائشة زوج النبي ﷺ كان يستصحبها في بعض الغزوات وكان يقود هودجها رجل فأذن في ليلةٍ أصابتها حاجة فخرجت عن مسكنها إلى قضاء الحاجة فبعد زمان ظن القائد إنها قد عادت ورجعت إلى مسكنهما فقاد الهودج وأخذ في السير فبعد قضاء الحاجة إذ قد جاءت إلى مكانها المعهود ولم تجده ولا هودجها ولا قاعدتها فقعدت هناك فجاء أحد قد رآها فقال: من أنت؟ فقالت: أنا زوج رسول الله ﷺ فأركبها فجاء بها واتهمت به ﴿عُصْبَةٌ﴾ جماعة العشر إلى آخر خبر إنّ ﴿مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أي لا تظن أن ذلك الإفك ﴿شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وتلك العصبة يزيد بن عبد الله بن أبي زيد بن رفاعة وحسام بن ثابت ومسطح بن أثاثة وجمعة بن جحشة ومن ساعدهم والمراد بالخير هو اكتساب الثواب العظيم فإنه كان بلاءً عظيمًا نزلت فيه ثمانية عشر آياتٍ كل منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله ﷺ وتسلية له وتنزيه لأمير المؤمنين وتطهير لأهل بيت رسول الله ﷺ عن التكلم بذلك أو سمع به فلم يمح أذناه ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ [النُّور: 11] واختص به ذلك الإثم من حيث الاكتساب من طريق خاص والجزاء به أي نصيب في كل خائض في حديث الإفك من تلك العصابة نصيبه من الإثم على مقدار خوضِه والعذاب

العظيم لعبد اللّهِ بن أبي رأس المنافقين لكونه بادي الشر ونادي الفتن وتحريك الضرر ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ وتعظيمه ﴿مِنْهُمْ لَهُۥ﴾ أي من الخائضين في الإفك أي الذي حمله على هذا الإفك وإبدائه وإحداثه وانتسابه وهو عبد الله، هذا له ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: 11] أي إنتشاء الإفك منه والابتداء عنه.

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أي الإفك (لولا) أي هذا وقت استماع الإفك ليس من شأنِ المؤمنين والمؤمنات أن يظنن ويعتقدن ويظهر منهم هذا النوع من الاعتقادِ والظن بل حق المؤمنِ ووظيفته أن لا يحمل هذا الإفك إلا على الخير والصلاحِ وإن الذين يستمعون القول يتبعون أحسنه كما قيل في تفسير هذه الآية لو كان يقول بأية احتمال ووجوه، فالحري بالعاقل الناقد البصير أن لا يحمل القول أي على الوجه الأحسنِ والمحتمل الأبد إذ المعنى الحقيقي المطابقي من كل قول وكل نول هو الواحد والباقية احتمالات عقلية يعتبر في الوقت لأن الثاني وإليه الإشارة ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ ووجهًا حسنًا لا قبيحًا وشرًّا ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذَآ﴾ المفتري المرجوح القليل والفاسد العليل ﴿إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النُّور: 12] عظيم والعدول من الخطاب إلى الغيبة للمبالغة في الزجر والمنع إيماءً وتلويحًا إلى أن أمثال هذه الصور المفتريات لا يحضر في القلب السليم ولا يخطر في القلب المستقيم، فإن كمال الإيمان يقتضي تارة لا يظن في حق المؤمنين والمؤمناتِ إلا ما يريد لنفسه فإن المؤمنين والمؤمناتِ كنفس واحدة قال النبي ﷺ: «**ترى المؤمنين في توادهم وتلاطفهم وتراحمهم، كمثل جسد إذا اشتكى عضو منه تداعى إليه سائر الجسد بالسهر والحمى**»، فلا بدّ وأن يحدث في نفسه بنفسه لهم جزاءً.

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ﴾ أي على قولهم وإفكهم وافترائهم ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ أو كما هو في دينِ الحقِّ بطريق الصدق ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟﴾ [النُّور: 13] على ما افتروا به وأفكوا إفكًا

مبينًا وأحدثوا شكًّا متينًا ﴿بِٱلشُّهَدَآءِ﴾ الأربعة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الأفاكون والفرق الظانون الشاكون ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ وحكم دينه وطريقته وقاعدته وشريعته ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النُّور: 13] من جملة المقول تقريرًا بكونه كذبًا فإن الحجة عليه فكذب عند الله وفي حكمه ولذا رتب عليه الشاكون عند اللّهِ وحكم دينه وطريقته وقاعدة شريعته.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ وخفتم وتزعمتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: 14] وعقاب عقيم لأجل هذا، الإفك الأولى للتحضيض والتحثيث والتنصيص والثاني لاتساع وجود الشيء وثبوته لوجود غيره كما قال عمر: «لولا علي لهلك عمر» فلولا أني قضيت أن أتفضل عليكم بتأخير العذاب وتنكير الانتقام والعقابِ عنكم في الدنيا وإن أسبغت عليكم نعمتي ظاهرة وباطنة من جملتها الإهمالِ والإمهالِ للتوبة في الدنيا وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من الإفك والافتراء.

مطلب: افتراء أكبر من القذف والزّنا

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ ظرف (لمسكم) أو لـ (أفضتم) أي يأخذه بعضكم من بعض إذ الأفواه والألسنة ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ توبيخ وزجر وتعريض بأنكم كالبهائم ما تلفظتم وما علمتم بما تقولون وتفعلون ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ سهلًا كما استصغرتم الصغائر بالكبائر وما التفتم إلى كبائر تبعها الاستغفار عن الكبائر فصارت الصغائر بالإصرار بها كبائر والكبائر بالمواظبة عليها واستحلالها كفر كما اشتهر أنه لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفارِ ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: 15] لما علمت أن الإفك والافتراء والبهتان شيء عظيم كما ورد في الخبر البهتان العظيم، وأيضًا أن الإفك غيبة والغيبة أشد من الزنا بل القتل لأن الزاني والقاتل إذا عفى عنه أو غفر برئ من الإثم بخلاف

الغيبة، فإنّ صاحبها ما لم يعف عنها لم يبرأ وإن تاب سبعين مرة أو أزيد.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [النُّور: 16] القول المخصوصِ وإنما فصل بين (لولا) وبين ما (قلتم) بالظرف إذ ههنا للظرف شأن وهو أن ينزل الظروف من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وإنما لا ينفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فإذا كان الواجب عليهم أن ينقادوا أو يتحاموا أول ما سمعوا عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم وإنما أورد الربط وهو يكون أو المراد بدونِ الكلام مناسب ومستقيم إلا أن نفي الصحة والجري لمكان أبلغ في أداءِ المقصود أي ما يصح لنا كون التكلم والتلفظ بهذا اللفظ والكلام فضلًا عن أن يتوجه نحوه ويتعمد إفشاءه وإظهاره وإنشاءه ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: 16] تعجب واستبعاد ممن يقول ويصدر عنه هذا الكلام.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ كراهة ﴿أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النُّور: 17] بالله وبرسوله وبما جاء به فيه تهييج لهم بالإيقاظِ وقبول النصحِ والموعظة.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالآيات المجملة والمفصلة الواضحة ﴿حَكِيمٌ﴾ [النُّور: 18] وحاكم بين العبادِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾ ويريدون ويقصدون ﴿أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ وتنتشر الفاحشة والأمور المستقبحة والأشياء المعيبة في القوم ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أو صدقوا بالله بما جاء من الله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ جمع ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۚ﴾ بحيث لا يخلص لهم منه أصلًا والإخلاص له أبدًا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ [النُّور: 19] ما في الظاهِر والباطن مما في

الصدور والضمائر من الخفايا والأسرار والسرائر في المخفيات والحجب والستائر ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: 19] شيئًا من الأشياءِ إلا بمشيئته وتعليمه وإرادته وتقديره.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النُّور: 20] لعباده لا يريد منهم إلا الأمر الخير والنافع لهم في نفس الأمر، رحيم على حصول فضله وإحسانِه.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ الشرعية والوقائع والفضائح العرفية ﴿وَٱلْمُنكَرِۚ﴾ نقلًا وعقلًا بيان لعلّة النهي وسبب الاتساع والانصراف عن الاشتغال والمباشرة ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بتعريف الأحكام المنهية وتوصيف الأعلام المأمورة ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ المنبئة عليها السعادة السرمدية والدولة الأبدية المنبئة لديها ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ ونسى إثم الإفك ورجس الظن وسوء الشك ﴿أَبَدًا﴾ أبد الدهر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى﴾ ويطهر ﴿مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النُّور: 21] ما تكلمت نفسكم وتقلبكم ويخفي بأعينكم ويتحدث سركم وفؤادكم بملكوت روحكم وجبروت عقلكم ولاهوت ذاتكم أحدية عقب هويتكم، عليم بما جرى على الأعيان النورية الجمالية والأكوان الظلية الجلالية في الأدوار الإلٰهية والأكوار الغير المتناهية.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ [النُّور: 22] أي لا يحلف إذ آلى يألي إذا حلف أو من قولهم ما

آل جهدًا إذا لم يؤخر منه شيئًا، والألو قرأ الحسن: ولا تألُ، والمعنى لا يحلفوا أو لا يقسموا على أن لا يحسن والألو إلى المستحقين أو لا ينصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كان بينهم شحناء لحماقة اقترفوها فليعودوها بالعفو والصفح وليفعلوا من مثل ما يرجون أن يفعل لهم مع كثرة خطاياهم ووفور ذنوبهم. نزلت في شأن مسطح وكان ابن خالةِ أبي بكر الصديق رضي الله عنه قد كان فقيرًا من فقراءِ المهاجرين وكان أبو بكر ينفق عليه وكفى به داعيًا إلى الجهاد وترك الاشتغال بالمكافآت. روي أن رسول الله ﷺ قرأها على أبي بكر رضي الله عنه قال: بل أحبّ أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح بنفقته وقال: والله لا أنزعُها أبدًا، أي أن يحلف أبو بكر ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ من المال والتردد ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ﴾ ويعطوا ﴿أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أعني مسطح ﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ لأنه كان من الفقراء ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يتعلق بأن يعطوا ﴿وَلْيَعْفُواْ﴾ ما فرط منهم واعتمدوا ذلك ﴿وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ إما بإغفال وإغماضِ العين عنهم ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ على عفوكم وصفحكم وإعطائكم في مقابلةِ ما أساء إليكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لحلفكم على أن لا تتصدقوا على الفقراء ﴿رَّحِيمٌ﴾ [النُّور: 22] ما عمدتم قطع صلة الرحم مع كمال قدرته فيحلفوا بإخلافه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الصالحات العفيفات ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ فيما رموا بهن وقد يوهن ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ المصدقات باللّهِ وبرسوله وبما جاء به السليمات الصدور الممتنعات القلوب اللواتي ليس فيهنّ دهاء ولا حيلة ولا مكرًا ﴿لُعِنُواْ﴾ وبُعِدُوا ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ عن سعادة الدارين وخير النشأتين ﴿وَلَهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: 23] وعقاب عميم لعظم ذنوبهم ومكر عيوبهم، حكم هذا عام وإن كان مورده خاصًا.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النُّور: 24] بهذه الأعضاء والقوى والأجزاء والجوارح من الإفك والافتراءِ والبهتان.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة والجزاء ﴿يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ أي جزاءهم الثابت عند الحقِ بالعدل والقسط ويعملون في ذلك اليوم أي حتى يعلموا ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النُور: 25] يوم منصوب بمعنى الثبوت والاستقرار لا بالعذاب إذ هو موصوف والمصدر الموصول لا يعمل فيما قبله.

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ إذ علة الازدواج والاتصال هي المناسبة والجنسية ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي أهل بيت رسول الله ﷺ وعائشة وصفوان ﴿مُبَرَّءُونَ﴾ مبعدون ﴿مِمَّا يَقُولُونَ ۖ﴾ المنافقون والمنافقات في حق الرسول وأهل بيته ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ عند الإفك بأن بشرهم مما قالوا وحفظهم بفضله وكمال رأفته أن الدنيا أجر وثواب عظيم ودرجات رفيعة عند صبرهم على ما قالوا في الآخرة ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النُور: 26] ونعيم عميم مما كرم الله تعالى وخصص الشهداء به حيث قال: يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضلهِ الآية إلخ. أو الجنة بنعيمها إشعارٌ بأن الصبر على البهتان وغصص الإفك والافتراء وملقيات العيان وهو أعظم الطاعات وأكثر العبادات لا يبتلى بها إلا المخلصون لله والمتخصصون بكمال عناية اللّهِ لأنه شطر الإيمان لأنه عبارة عن جزءآن، الأول للصبر والثاني للشكر، قال النبي ﷺ: «**الإيمان نصفان نصف للصبر ونصف في الشكر**».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ التي تسكنون فيها أو تأوون إليها لا تتمكنون دونها أو يكون فيها أمتعتهم وحوائجهم ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾ [النُور: 27] من الاستئناس وهو الإعلام من أنس بالشيء إذا حضره ظاهرًا مكشوفًا أي حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل مراد لكم وحوائجكم أم لا، ومنه

استأنس ولم ير أحدًا أي يعرف ويستعمل ويجوز أن يكون من الأنس وهو أن يتعرف هل ثمَّ إنسان وهو يقابل الاستئناس. روي عن النبي ﷺ عند السؤال عن معنى الاستئناس فقال: «**الاستئناس هو أن يتكلم الرجل بالتسبيح والتكبير والتحميد وتسبيح يوديه أهل البيت**»، ﴿وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ يعني بأن نقول: السلام عليكم، فيقول صاحب البيت: أُدخل ثلاث، أو له أن يقول له: أُدخل أو ارجع، لما ورد في الحديثِ: «**إنّ أمر السلام هو أن يقول: السلام عليك أأدخل، ثلاث مرات قال له: أدخل أو اِرجع**».

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الاستئذان والتسليم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أن يدخلوا بغتة للاستعلام إذ ربما يودي ذلك إلى الوحشة والفساد والفتنة وكم من أبواب الدينِ هو عند الناسِ كالشريعةِ المنسوخة قد تركوا العمل به والاستئذان من ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النُّور: 27] متعلق بمحذوف أي أنزل عليكم أو قيل لكم هذا إرادة أن تتذكروا أو تتعظوا وتعلموا أنما أمرتم به في الاستئذانِ.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا﴾ من الإذنين ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ أي في تلك البيوت ﴿حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ أي حتى يأتي من يأذن لكم وإن كان لكم فيها حاجة فلا يجوز الدخول إلا أن يؤذن لكم قبل الدخولِ أو بعد الدخولِ ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟﴾ وارتجعوا ولا تلحوا ولا تبالغوا في إطلاق ولا تلجوا في تسهيل الحجاب، فتوقفوا على الباب منتظرين بتكرير الجواب للمبالغة في الجواب، لأن هذا مما يجلب الكراهية ويقدح في قلوب الناسِ خصوصًا إذا كانوا أصحاب مروءة ومرتاضون بالآداب الحسنة والآداب المستحسنة ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أي الرجوع أطهر وأكثر تطهيرًا بما يوجب الكراهة والوحشة والعداوة العامة كما تقرر في علم الأخلاق الأكثر المودة أي يظهر من أصل الصداقة الذين استوشحوا وظهرت بينهم الوحشة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النُّور: 28] من الإذن الحاصلِ

بالوحشة أو الضبط في النفس والتكليف في المبادئ.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ والأسباب كالرباط والحوانيت والبناء المسيل فيها ﴿فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ﴾ استمتاعكم واستنفاعكم منها كالاستكانة من الحر والبرد ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النُّور: 29] من الكراهة والرضاءِ والتطوع في الإذن والكره.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ حتى تحفظوا ما نهى الله عن مشاهدته ورؤيته عن إحساس أبصارهم وإدراكهم، نفا عنها من المحرمات والغض في الأصل هو السقط والمنع، والمقصود ههنا هو الحفظ وسعها ﴿وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ﴾ من الإحساس والرؤية والإبصار ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ﴾ أي ذلك الحفظ أنفع لهم إذا طرأ لما فيه من البعد في الرؤية.

عن ابن مفيد: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا، فإنه أراد الاستثناء ثم أخبر بأنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النُّور: 30] من الأعمال الاختيارية والأفعال الإرادية والأحوال الاضطرارية الصادرة بلا عمل ولا رؤية وقصدٍ من الحركات الطبيعية والحالات النفسانية والمقامات الروحانية «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر ببال بشر**» الحديث.

﴿بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ أي من أن يدخل بإرداة الله بسبب صدكم وضعفكم بأن الله قادر على غرائز الأفراد الإنسانية ما عجز عن إدراكه جميع العقلاء وتنبهت في الحديث عليه وأكثر المعجزاتِ وأكبر الكرامات وخرق العادات من هذه المقولة.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ العفيفات المحصنات وغيرها لا ينظرن إلى ما لا يحل لهن بالنظر من الرجال من حيلة أي لا يقعن ولا يستعجلن عيونهن إلى غير المَحْرَم من الرجال ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ على غير المحرم من الإناث ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النُّور: 31] أي لا يظهرن ما يتجلى ويتزين من الثياب والأصباغ فضلًا عن مواضِعها على حذف المضاف أي مواقع الزينة أي ما يعم المحاسن الخُلُقِيّة والزينة، والمعني هو الوجه والكفان لأنهما ليستا بعورة، ويظهر هذا إنما هو في الصلاة لا في النظر فإن كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منهما إلا نظر المعالج، فإن معالجته في بعض المواضع والأجزاء لا يمكن بدون النظر فيها والرؤية إليها وكشفها، والتحمل والشهادة في الخطبة وغير ذلك من الضروريات التي لا تعقل ولا تتأتى إلا بالنظريات. وإنما أفرد من الإدراكات الحسية والمدركات النفسية الإبصار لأنها تزيد الزنى والفسق والفجور والبلوى أشد لا يكاد أن يقتدر على الاحتراس منه وأن يتحصن بالتبعض والاحتراس، فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا من النظر على تقوى وحذر في كل حركةٍ وسكون وسفرٍ وحضرٍ.

والمراد بالزينة ما تزينت به المرأة من حلي وكحل وخضاب فما كان ظاهرًا منها كالخاتم والخضاب والكحل والفتحة فلا بأس بإبدائه وما خفي منها كالسوارة والخلخال والديباج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط فلا زينة إلا

لهؤلاء المذكورين. قد عرفت أن هذه المذكورات لا يتأتى النظر إليها بدون أمكنتها وهي الذراع والساق والعضد والعنق والصدر والرأس والأذن فلا يمكن النظر إليها بدون النظر إلى مواقِعها ولذا ترك ذكرها.

وإنما سومح في الزينة الظاهرة ثم إلى غيرها فيه جرح، وأن المرأة لا تجد بدًّا من مزاولة الأشياء بيدها ومن الحاجة إلى كشفها وحقها خصوصًا في الشهادة وتجميلها والمحاكمة والنكاح ويضطر إلى كشف فرجها بالأوقات يقدمها في النظر منهن، هذا بمعنى قوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني إلا ما جرت العادة والحيلة على ظهوره وإظهاره وإنما سومح في الزينة الخفية أولئك المذكورون لاختصاصهم بالحاجة المضطرة إلى مداخلهم فخالطهم في أنفسهم ونقله الفقه من جهتهم، ولما في الطباع من النفرة ومن مماسة الغرائب، ولكثرة احتياجهن إلى صحبتهم في الحضور والأسفار للنزول والركوب وغير ذلك هذا خلاصة ما في الكشاف وفيه ما فيه، فتأمل وتدبر فيما خصصنا الحكم بالصلاة.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾ أعناقهن ﴿بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أي لا بد يسترن ستر ما بخمورهن جمع خمار وهو ما يستر به العنق والترقوة وبالفارسية مقنعة، والجيوب عبارة عن العنق والترقوة وما يتصل بهما من الصدر لسعة جيوبهن أي مكشوفة أي لا بد أن يرسل خمارهن على جيوبهن وصدورهن وما حولها من الأجزاء لتستر الخمار الأعضاء المذكورة والأجزاء المزبورة لئلا يبدو وينكشف عند المواجهة بالأجنبي، فأمرن أن يسدلنها من قدامهن حتى يغطيها أو يجوز أن يراد بها الجيوب والصدور بما يليها ويلابسها، ومنه ما صح الجيب قولك بخمارها على جميعها كقولك: خمرت بيدي على الحائطِ أي إذا وضعتها عليها.

عن عائشة رضي الله عنها: ما رأيت نساءً خيرًا من نساءِ الأنصار لما نزلت هذه الآية قلعت وقصدت كل واحدة منهن إلى مرطها ضربته بمرجل فصدعت صدعة فأختمت على رؤوسهن العريان ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ ظاهرة أو خفية في الصلاة أو غيرها ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ [النُّور: 31] فإنهم محارم سببي أو سببي وإنما سوى محوًا لكثرة مداخلتهم واحتياجهن إلى مداخلتهم وندرة يوقع الغيبة من قبلهم لما مر من النفرة على الطباع السليمة من النظر إليهن بالشهوة ولذا

منع تزويج الأقارب لقلة اعتبارهنّ وندورة الحالات بهن فتكون محقرة في نظرهم فلا يظهر آيات التناسل فيسري ذلك إلى النتائج فيكون طبيعته ناقصة كما ورد في الحديث من إنها تقتضي أن تكون سليمةً من العيب والودودة عنه، وإنما لم يذكر أعمامهم والأخوال وانقطاعِ المحرمية عليهما فيكون أولادهما كأولاد غيرهما. حكي أن مأمون قال لعلي بن موسى الرضا رضي الله عنه نحن وأنتم في درجة واحدةٍ بالنسبة إلى النبي ﷺ قال علي: لا فإنّ بناتي حرام على النبي وبناتك لا فأفحم مأمون وسكت وأما بنات الأخ والأخت حرام على الأب أبدًا.

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ فإنها محارم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ من صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والإماء والنساء كلهن سواء في حل النظر بعضهم إلى بعض قيل ما ملكت أيمانهن هم الذكور والإناث جميعًا والأصح المراد هي الإماء لأن عند المرأة كالأجنبي منها ما خصت كان أولًا. روي أنّ معاوية قد دخل على عائشة زوجة النبي ﷺ ومعه خَصِيّ فتقنعت منه عائشة فقال معاوية: هو خصيّ، قالت: يا معاوية أترى أن المقلة به تحلل ما حرم الله!، هذا مذهب الشافعي رضي الله عنه وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يحل إمساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل من السلف إمساكهم روي أن النبي ﷺ قد قَبِل الخَصِي قال: صح فلعله قد قبِله للإعتاق ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ﴾ أي الحاجة ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ إلى النساء قيل هم الذين يتبعونكم يصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة به إلى النساء بما أنهم لا يعرفون شيئًا أو شيوخ ضعفاء صلحاء.

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾ وفي المجنون خلاف أو الطفل ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ ولم يطلعوا على شيء من أحوالهن يقال من ظهر على فلان أي اطلع عليه ووقف على حاله ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ ملامسة الخلخال ﴿لِيُعْلَمَ﴾ بإعلامهن وإفشائهن بالضرب ليتصوب الخلخال ويطلع عليه كل من سمع صوته ﴿مَا يُخْفِينَ﴾ من أعين الناس ﴿مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ مما ظهر منكم مما نهاكم عنه من المذكورات ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُور: 31] بالتوبة في الحقيقة عن ما صدر عنه من المنهيات وترك المأمورات فقد برأ منه كالذي فعل المنهيات لقوله عليه السلام: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**» من حقوق اللّهِ أما أن حقوق الناسِ فلا تسقط بالتوبة فلا بدّ أن يردّ حقوقهم.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ أصله أيايم مثل كسالى، أصله بقائم فقلبت أيم قليبًا والأيم للرجل والمرأة ويقال: قد أيم وأيمت وتأيما إذا لم يتزوجا ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ لما نهى عن السفاهة المنحلة بالمقتضى الأفقه وحسن الترتيب والرأفة ومزية الشفقة المؤدية إلى بقاء النوع، أمرنا بالنكاح لنحافظ على النوع على الوجه الأحسن والطريق الأسلم من الخطاب للأولياء وفيه دليل على تزويج المماليك والمملوكة عند الطلب ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ﴾ غير قادرين على إنفاق النفقة ﴿يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وعموم عنايته ووفور كرمه وتعميمه ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النُّور: 32] أي واسع الرحمة والمغفرة وأنكحوا من تأيم منكم من الأحرار والحرائر ومن فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم إلا أنه إنما يكون واجبًا في حق الأولياء عند الطلب وعند أصحاب الظواهر بناء بظاهر الأمر بقوله عليه السلام: «**نسبتي وهي النكاح**».

وعنه عليه السلام: «**من كان له أن يتزوجُ ولم يتزوج فليس منا، إذا تزوج أحدكم شيطانه**»، تأويله عصم ابن آدم ثلثي دينه. وعنه أيضًا عليه السلام: «**يا عياض لا تتزوجن عجوزًا ولا عقورًا فإني مكاثر...**» والأحاديث في هذا الباب كثير.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي استطاعة تزوج ويجوز أن يكون المراد به ما ينكح به من المال ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ما يتزوج به ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ متعلق يستعفف أي غاية الاستعفاف الغنا ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [النُّور: 33] ويطلبون منكم المكاتبة والكتاب وهما كالقول وهما كالعتاب والمعاتبة وهو أن يقول لمملوكه:

كاتبتك على ألف درهم فإذا عتق معناه كتبت وفرضت على نفسي أن أعتق نفسك إن آذيت هذا القدر من الدراهم ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي قبول هذا الأمر منهم خير من أن لا يقبلوا لهم هذا الأمر ﴿وَءَاتُوهُم﴾ وأعطوهم الأمر للموالي ﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ وهو الصدقة والزكاة وهذا المال يحل للمولى إذا كان غنيًّا من زكاة ماله لأنه لم يأخذه بسبب الصدقة من الفقير لقوله عليه السلام: «**هو لكم صدقة ولنا هدية**»، وعند الشافعي هذا إيجاب على التوالي بحظوظهم من الكتابة وإن لم يقولوا الخير. قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: يحط له الرفع. وعند أبو حنيفة رضي الله عنه: على وجه الندب. نزلت حين سأله حويطب بن عبد العزّى، قال: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ﴾ بمعنى جواريكم ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ يكرهن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكت منهن إلى رسول الله ﷺ، والبغاء مصدر إن أردن تحصنًا تعففًا شرط الإكراه فإنه لا يوجب دونه، فإن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصين فإن الطبيعة المواثبة للبغاء ولا يسمى مكرهًا من عدم التحصين جواز الإكراه وبجواز أن يكون ارتفاع النهي إرادة التحصين من الإماءِ كالشاذ والنادر ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾ على البغاء الزنى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ ستار عليهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [النُّور: 33] فإنْ قلت: لا حاجة إلى تعليق المغفرة بهنّ إذ المغفرة بهن لا تتعلق بالإكراه، قلت: لعل الإكراه غير ما اعتبرته الشريعة.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات يعني الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت فيها الأحكام والحدود ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي مثلًا غريبًا وقصة عجيبة، مثل قصة عائشة فإنّها كقصة يوسف ومريم وعيسى ﴿**وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [النُّور: 34] يعني ما يوعظ به من القولِ والفِعل أو الحصص بالتعيين إشعار بأنّ الاتعاظ وقبول النصح لا يتحقق بدون التقوى، وهو اتقاء النفس وصيانتها عن المخالفاتِ الإلٰهية ومواظبتها على المراداتِ السبحانية والملاطفاتِ الربانية، ويحصل في النفسِ المناسبة المعنوية بينها وبين الحق فيقبل كلما يجيء من الأحكام الإلٰهية والأعلام النبوية بخلاف النفس العاصية التي تحيد عن الله

وحصلت بينها وبين الشيطانِ والأبالسةِ مجانسة فحينئذٍ إذ تميل إلى الشيطان وتستبعد عن الرحمٰن فلا تقبل ما جاء من الرحمن.

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [النُّور: 35] أي وجود السماوات والأرض وظهورهما، فإن النور والوجود والظهور ألفاظ مترادفة ومفهومها المطابقي الحقيقي ولازمها الذاتي وهو الظاهِر بذاته والمظهر لغيره واحد، ويطابق هذه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البَقَرَة: 115] أي ذاته ووجوده وكذا قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحَديد: 3] هذا حكم صريح وإدراك وعلم صحيح، فإن لله تعالى وجود السماوات والأرض وما فيهما من الموجودات والكائناتِ فليست الأشياء غير وجود رسول الله وإنّ الله تعالى قيوم على الأشياء الظاهِرة والباطِنة وله الأولية والأخروية ووجودها إجمالًا وتفصيلًا، فإطلاق كلام الله تعالى على المعنى المجازي ووجود كل شيء من المجرداتِ الإلٰهية والكونية العقلية والنفسية والجسمية والجوهرية والعرضية البسيطة والمركبة لأن الاسم الذي تفرد بمفهومهِ وتحقق بفحواه أعني ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾ [الحَديد: 3] يصدق على مفهوم وشيء فتدبر بتصرف إطلاق كلام الله على المجازي الغير الظاهِر المطابقي وعلى غير مراده خارج عن حسّ الأدب والإنصافِ.

نعم إن هذا النوع من الأسرار الإلٰهية والأطوار الغيبية الغير المتناهية طورًا وراء طور العقلِ المنتسب بأذيال الوهم والخيالِ، ولا يدركه العقل بالاستقلال من غير العون الإلٰهي والتوفيق الرباني والجهاد الصمداني والرياض السبحاني، بل المؤثر في طور التحقيق ظاهِرًا وباطنًا صورة ومعنى إنما هو الحق الواجب بذاته المؤثر في الممكناتِ بذاته وأسمائه وصفاتِه، والممكن بالذات بالمعنى الأخص ليس له من ذاته لا ذات ولا أثر ولا صفات ولا وجود ولا عدم ولا حدود ولا قدم

ولا يد ولا رجل ولا قدم ولا عمل ولا علم بل كلّه من الله، هذا هو ما ذهب إليه المحققون من الأنبياء والأولياء والحكماء، فمن أراد أن يكشف هذا الغريب والطور العجيب وتعريفه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العَنكبوت: 69] الآية، وليس كل من جاهد في الله يكشف عنه السرّ، بل هذا هو بذاته التجليات الذاتية وغاية التحقق بالكلية والمظهرية ومشاهدات كمالات الصورة الجمعية.

فأطوار الشهودات في هذا المقام وإن كادت لا تنحصر إلا أنه حسب ما أشهد أنه انكشف لي على ستة أوجه:

أحدها: أن الله تعالى لما أخرج السالك العارف من قعر بحر الفناء إلى ساحل البقاء بالله وتجلى عليه بالتجلي الآني فالشاهد حينئذ يشاهد بالذاتِ بأطوار ووجوه خمسة أو ستة: إما بالاستقلال أو في ضمن التجلي الذاتي وشهود ذاته بذاته أولها: أن يشاهد الذات البحت بعين الذات النباتي، [والثاني]: أن يشاهد الذات بعنوان الذاتِ وبعينه الذاتي، ووصف الاطلاق، الثالث: يشاهد الذات بعنوان المطلق، الرابع: يشاهد الذات بعنوان المقيد، الخامس: يشاهد الذات بعنوان جمعية الإطلاق والقيد، السادس: جمعية الكل، وكل من هذه الوجوه مبدأ الحكيم ومنشأ مرتبة من المراتب الست، فشهود الذاتِ هو مبدأ عالم اللاهوتِ والمرتبة الأحدية، فأعيان هذه المرتبة والعالم هي الشؤونات الذاتية التي هي عين الذات الأحدية، وهي الوجوه الذاتية وعنوانات الهوية الغيبية التي اختلفت فيها الوجوه والأسماء والأعيان الثابتة والصور العلمية.

لا يقال: إن الأحدية هي التي سقطت عنها جميع النسب والإضافاتِ والأسماء والصفات لأن نقول هو كذلك إلا أن المراد هي الأمور التي هي عين الذاتِ لا الشؤونات الذاتية التي هي ذوات الأعيان الكتابية ووجوه إحديهما هي عين الذات لا غيرها وأن الأحدية لجميع المراتب بما فيها والعوالم بما لديها من الأعيان النورية الوجودية والظلية العدمية بما لها من الأحوال والأطوار وقد اتصفت في هذه المرتبة تضييع الذاتِ وتحققت بالتجلي الذاتي.

فالعارف في التجلي الذاتي في الأطوار المذكورة له ثلاث شهودات:

أحدها: التوحيد الذاتي.

الثاني: بالوجوه الأحدية والعناوين الذاتية بأن تكون الذات عين الوجوه

والوجوه عين الذات وعين كل واحد منهما.

الثالث: هي الجمعية تثبت الوجوه الموحدة والكثرة الذاتية بأن تكون الوحدة الذاتية الأحدية عين الذات والذات عين الوحدة، وأعيان التجلي الذاتي على الشؤونات الذاتية التي هي ذوات الأعيان الممكنة ووجوه إحديهما التي اختفت في الوجه الأحدي والعنوان الذاتي.

واعلم أن ظهور الذاتية بما فيها وأخسها من الوجوه الأحدية والشؤونات الذاتية ونعوت غير الهوية والماهيات البسيطة والأعيان الثانية والصورة العلمية والعقول المجردة والنفوس المدبرة والأرواح القدسية والأشباح الإنسية والحقائق النوعية الجسمية واللواحق الشخصية في المرتبة الأخيرة في مظهر جامع، وكذا غير المراتب بما فيها من الأعيان كما تتوقف الأدوار وتكور الأكوار وتعين على حصص الأطوار كذلك، وتحققها في المرتبة الأحدية، وتميز الذوات تشبهًا عن بعض توقف على ذوات الأدوار وحقائق الأطوار، وأن كل دورة وطورة ومرتبة تكون مدتها أطول ومقادير أعيانها أعظم وتقوتها أجل وأكرم، دورة التجلي الذاتي وفورية فرداريّة سلطنتها ثلثمائة آلاف وستون مائة ألف دورة من الأدوار الإلٰهية وكل دورة منها من الأدوار الربوبية، وكل دورة مزهرة الدورة عبارة عن ثلاثمائة آلاف وستون مائة ألف سنة، وكل سنة ثلاثمائة وستون يومًا، وكل يوم عبارة عن ثلاثمائة وستون ألف سنة من سني الأدوار الربوبية التي تعد كل يوم من أيامها خمسون ألف سنةٍ كما أشارت إليها.

وإن استوفى سلطان التجلي الذاتي أحكام سلطنة في هذه المدة على الشؤونات الذاتية التي تضمنت تمام الأعيان الإلٰهية والكتابية والكونية نزل العارف من المرتبة الذاتية والمرتبة الأحدية واللاهوتية إلى المرتبة الواحدية وعالم الجبروت، وتجلى عليه الذات الإلٰهية إلى المرتبة العامودية عالم الجبروت تجلى عليه التجلي الأسمائي والصفات الإلهي والذاتي وهي سبعة فرادى ومثنى ومثلّثًا ومربعًا إلى مسبعًا بالاستقلال والاشتراك فيحصل التجلي العلمي من العالم المطلق للعارف سبعة أطوار الشاهدة أهل الله بالعنوان العلمي أحدها بالاشتراك والسنة وباشتراك الثاني ومن الحياة ستة أحدها: بالاستقلال والخمسة بالاشتراك من القدرة خمسة واحدة بالأصالة والاستقلال وأربعة بالاشتراك والتبعية ومن

الإرادة أربعة، ومن السمع ثلاثة، ومن البصر ثمان، ومن الكلام واحد بالمجموع 76 ل محرم 2183، وهذه الصورة أصل مادة الأسماء الإلٰهية والحروف الكونية، وقد ويشاهد العارف في كل اسم من هذه الأسماء سبعة صور أحدها بالأصالة والاستقلال والستة بالاشتراك والتبعية، ولا يلزم التكرار فيحصل الغرابات الواقعة في المثلثات الأربعة 48، ومن الكواكب الأسماء السبعة الذاتية الواقعة في بروج اثني عشر من الأسماءِ الأربعة في الأكوار المربعة الظلية والأكوار الأربعة النورية الإفرادية والأربعة الجمعية 12.

ولما استوفى سلطان التجلي الأسمائي أحكام سلطنته في المدة المذكورة بالصورة العلمية في نشأة العارف، وعالم الأحدية ومرتبة الجبروت على الحقائق الإلٰهية والأعيان الثابتة والماهيات الكونية، وأهبط الفارق الباقي ببقاء الحق الذي يشاهد الذات بنور الذاتِ في التجلي الذاتي بالعنوانات الذاتية أولًا في المرتبة العلمية الإلٰهية النورية من الواحدية إلى الجبروت إلى المرتبة الربوبية والملكوت ويشاهد بنعت الحياة وأجرى الأحكام الذاتية والأحوال والأطوار الأسمائية الجارية في الأعيان الثابتة والشؤونات النورية الذاتية في الأدوار المذكورة والأكوار المزبورة إلى أن يستوفي تلك الأحكام والأطوار فتهبط تلك النشوءات الذاتية والأعيان النورية من عرض الجبروت ويختفي في أعيان الملكوت والأرواح القدسية والأشباح الإنسية في الدورة العظمى النورية والكبرى الوجودية والوسطى الشهودية لوجه الحياة.

ثم يتنزل من الملكوت والبرزخ إلى الدورة الصغرى النورية إلى المرتبة الشهادية عالم الملك في السماوات التسع التي هي صورة آدم (ط ح ر د ه ى ح ب) المجموع آدم 45 ثم يتزين بها إلى الصورة النوعية والهيئة الجمعية الناسوتية وتطابق الله النور:

ا ل ل هـ ن و ر 131389ط

98 13 13

فالأنظار الثلاثة التي ذكرنا في التجلي الذاتي وهي شهود الذات بعين الذات، وشهود الذات بجميع الأسماء والصفاتِ، وشهود الذات بعين الأسماءِ

والصفات إجمالًا وتفصيلًا إفرادًا وجمعًا، فقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنظر إلى الوجه الأول، وقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 115]، قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] بالنظر إلى الوجه الأول والثاني والثالث، فمن لم يكشف معنى هذه الأنظار الثلاثة، ولم يحصل له كشف أو شهود أو ذوق، ولم يبادله هذه المشاهدة والشهود لم يفهم معنى الآية: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: 17].

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي ابن كعب مثل نور اللّهِ في قلب المؤمن وهو النور الذي ابتدأ به كما قال عزّ وجل فهو على نور من ربّه، وكان ابن مسعود يقرأ: مثل نوره في قلب المؤمن. وعن ابن مسعود: مثل نوره الذي أعطى المؤمن. قال محمد بن إبراهيم اليوسجي: من قال إن النور الذي في قلب المؤمن هو مخلوق فهو جهنمي. وقال الحسن البصري: هو نور القرآن مثل نوره ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ وهي الكوة الغير النافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سراج نجم ثاقب أو المشكاة منتقل في وسط القنديل والمصباح وهي الفتيلة المستعملة ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ أي في قنديل من الزجاجة وتكثيره للتعميم والتعظيم ﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ أي هذه الزجاجة ذكرها نكرة وإعادتها معرفة لمزيد التعظيم ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ مضيء منسوب إلى الدرّ أو فعيل من الدرّ فإنه يرفع الظلام بكمال ضوئه ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ عظيم القدر عميم النفع والدرّ أي بارك فيها ستون نبيًّا منهم إبراهيم ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ منتهاها الشام وأجود الزيتون الشام. قيل: لا في نضجه ولا في مغناه ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لها، قال رسول الله ﷺ: «**لا خير في شجرة في معناه ولا نبات في سناه ولا خير فيهما في مضحى إذ ليست مما يطلع عليه الشمس في وقت شروقِها وغروبِها فقط بل يصيبها بالغداة والعشي جميعًا فهي شرقية وغربية**»، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ وليس كسائر الزيت فإنه يضيء بنفسه من غير إشراق نار من خارج أو نور يكون في داخل الزجاج ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النُور: 35] أي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناص فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويؤيده بإضاءة البقية وذلك إن كان في مكانٍ متضايق كالمشكاة مكان أغواله وجمع النور بخلاف المكانِ الواسِع فإن الضوء يثبت فيه وينتشر، والقنديل أهون شيء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت وصفاؤه فيتضاعف النور.

وقد ذكر في هذا الشمس وجوه منها: الهدى الذي دلت عليه الآيات المبينات في جلاء مدلولها وظهورها لمن الهدى بالمشكاة المعنوية من حيث إنها محفوفة بظلمات الأوهام والحجاب والخيالاتِ أو بالمصباح والثاني أوفق، والثاني تمثيل لما نَوَّرَ الله به قلب المؤمن العارف بالمعارف والعلوم الروازق بنور المشكاة المثبت فيها، نور المصباح الثالث أنه تمثيل ما منح الله به عباده من القوى الخمسة الدرّاكة المباركة التي تنتظم فيها أمور عالم المحسوس وأحوال المعاشِ بالأصالة وبالتبعية أحوال المعاد، والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوساتِ ليعرضها على القوة العقلية التي تدرك الحقائق الكلية وتقبل إشراقاتِ الأنوار الإلٰهية والعلوم الربانية، والمفكرة وهي التي بوصف المعاني الحاصلة والمحصلة ليستنتج منها علومًا نظرية ونتائج فكرية، والقوة القدسية التي هي القوة العقلية التي فقدت عن الصور الوهمية والهيئات الخيالية التي هي عقال العاقلة، ولهذا سميت عقلًا لأنه يعقل النفس الشيطانية عن التصرفاتِ الباطلة والتعطفات العاطلة، فللأمور الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة والمصباح والزجاجة والكوكب والشجرة إشارة إلى الأمور الخمسة المذكورة التي هي المشاعر العشرة خمسة في الظاهِر وخمسة في الباطِن، والشجر إشارة إلى صورة جمعية الكل التي هي لا من شرق عالم المعقولات ولا من حزب مشكاة عالم المحسوس، والزيتون هو كمال استعداد النفسِ الناطقة لقبول إشراقات أنوار المعارف الإلٰهية، هذا ما قاله أهل التفسير والتنزيل سوى ما قدمناه من الحالات وأطوار الشهود والمقامات، ولنضم إليها من بعض الأحوالِ والاعتبارات لتتم أطوار التأويل ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النُّور: 35].

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ متعلق بمشكاة أي يكون في بعض بيوت اللّهِ وهي المساجد، كأنه قيل: مثل نوره يكون في مشكاة في مسجد من المساجد وبقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ [النُّور: 36].

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾﴾

﴿رِجَالٌ﴾ أي يسبح الله في بيوتٍ رجال ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ﴾ ولا يشغلهم عن اللّهِ ﴿تِجَـٰرَةٌ﴾ ومعاملات ﴿وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ عوضت الإضافة عن التاء المعوضة عن العين الساقطة بالأعمال ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾ ويتغير وتتحول في نفسها وتضطرب من الهول والفزع ﴿فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النُّور: 37] أو تنقلب أحوالها بتبدل أعمالها، فإن نفقة القلوب بعد أن كانت مقطوعةً عليها لا تفقه ولا تدرك ولا تبصر الأبصار بعد أن كانت عميًا.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي أحسن أعمالهم ومعمولاتهم متعلق بسبح أو بلا تلهيهم أو يخافون أي ليجزيهم الله جزاءً حسنًا مضاعفًا ﴿وَيَزِيدَهُم﴾ على الجزاء المضاعف إلى غير النهاية ﴿مِّن فَضْلِهِۦ﴾ وإحسانه الغير المتناهي إشارة إلى أن حق العباد أن يصل إلى هذا اللاهي وذلك بفضل الله ووفور إحسانه ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النُّور: 38] تقرير للزيادة وتنبيه على أن فضله منه أنه لا ينقطع أبدًا.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ الشراب ما يرى الظمآن في الفلاة من ضوءِ الشمس وقت الظهر سراب وتذهب على وجه الأرض ويرى كأن ماءً في الأرض البقيعة الغائرة المستوية مثل حال الكافر بحال الرجل العاطش الطالب للماءِ في الأرض الغائرة المستوية التي يرى ويظن ماءً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ وصادفه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ مما يطلبه من الماءِ ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي زبانية اللّهِ وملكهِ الذي وكل على حفظ الأعمالِ وضبطها ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ فلم يبق من أعماله وأفعاله شيء ينفعه ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النُّور: 39] لا يشغله شأن عن شأن

فيجزه إلى النار والإحسان من حسبان جميع الأعمالِ الصالحة يعرض عليه إما بصور حسية أو ثياب قبيحة كل لما يناسبها قال النبي ﷺ: «**يحشر الناس على صور أعمالهم فمنهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت**». وقال أيضًا: «**يحشر الناس على اثني عشر صنفًا**» الحديث.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ عطف على سراب و(أو) للتخيير حتى أن الأعمال لكونها لاغية لا تنفعه كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق والإخلاص الثابت المخلص المحقق كالظلمات المتراكم في لج البحر فإن أعمالهم إن كانت حسنة إلا أنها خالية عن نور الإخلاصِ وكمال اليقين فهي كالسراب المطمع صاحبها بطلب الماء وإن كانت سيئة فظلمات ﴿فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ عميق ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾ بظلمة من فوقه ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ أي الأمور المذكورة هذه ظلمات يكون ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ محكمة بحيث لو كان ههنا أحد ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ﴾ في هذه الظلمة ﴿لَمْ يَكَدْ﴾ ولم يقرب ولم يدانِ ﴿يَرَىٰهَا﴾ لغاية الظلمة ونهاية الدهمة ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النُّور: 40] أي نور الإيمان ونور العلوم والإيمان والأعيان ونور الفعل الصريح والذوق الصحيح الحاكم على الكل ليضيء به في عموم المقاصد وتمام الفنون والقوانين والقواعد وحسن العقائد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة والنفوس والأرواحِ والعقول واللطائف الروحانية والأشباح النورانية والمثل النورية والصعود البرزخية والحقائق الجنسية والطبائع النوعية والملكوت العالية والمتوسطة وسعة في ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ [النُّور: 41] من الإنس والجن والوحوش والطيور والهوام والبهائم وأجناس المعادن وأنواع النبات وأصناف الحيواناتِ والنفوس الأرضية

والملكوت السفلية والمخلوقات المتكونة في طبقاتِ الأرضِ فإنّ لكل طائفة من أجناسِ المخلوقات وأنواع الحيوانات نوع عبادةٍ وطاعة ونوع ذكر وتسبيح وفكر وصلاة ﴿وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ﴾ وهذا التقييد يفيد زيادةً تقرير لكمال عظمة ووفور قدرته وكثرة تصوير لكمال إحاطته وحكمته ﴿كُلّٞ﴾ أي كل فردٍ وشخص من أنواع المخلوقات وأصناف المكوناتِ، فالتنوينِ الذي عوض عن المضاف إليه يعتبر زيادة عمومٍ وكثرة شمول ﴿قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ﴾ بتعليم الله وتعريفه.

فكما أن خصوصية وجود كل واحدٍ منها يغاير خصوصية وجود آخر كذلك لا بد وأن تكون عبادة كل فردٍ منها اللازمة لوجوده لا بدّ وأن تكون مغايرة لعبادة وجود كل واحدٍ منها، لأن تغاير الملزوم يستلزم اللازم وخص الصلاة بالذكر لشرفها وكمال جاذبيتها وشرف خاصيتها وهي كمال التقرب إلى الله تعالى بطريق كمال الجمعية وذلك لكمال جاذبيتها بين الأذكار والتسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد والتهليل والأقوال والأفعال المعلومة والأعمال المخصوصة.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [النُّور: 41] والعايد محذوف لإفادة التعميم وإعادة التعميم أي بتمام أعمالهم وعموم أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم الواردة عليهم أو بمعمولاتهم وبحقائقهم الجنسية والنوعية والضعيفة والشخصية من البدل وأجزائه التي لا يتجزأ من الجواهر الفردة أو المنقسمة والقابلة للأقسام إلى غير النهاية، قوله: (صافاتٍ) إشارة إلى جماعة وفضيلتها لأن الجماعة تستلزم توافق النفوس في التوجه إلى اللهِ ويمد بعضها بعضًا في تصاعد النفوسِ نحو سماء ورحمة الله وقضاء مغفرته وهي فضيلة الجماعة كما قال عليه السلام: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**».

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٤٢﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ وما فيهما من الملائكة المدبرة والنفوس العاملة وغير ذلك من المخلوقاتِ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [النُّور: 42] تقدير وتوضيح لما سبق.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى﴾ ويسوق ويطرد الأجزاء الأرضية والمائية والهوائية ويجعلها ﴿سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ﴾ ويركب ويلتئم ويترتب ﴿بَيْنَهُۥ﴾ أي بين أجزائه الجسيمة والمقدارية بحيث المناسبة بينها فرعًا وأصالة وتركيبًا وجمعًا وترتيبًا، والبقاءِ وضعًا ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ﴾ أي السحاب ﴿رُكَامًا﴾ منتظمًا ومتراكمًا بعضها فوق بعض ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر الحاصل من اجتماع الأجزاءِ المائية الراشحة أو النار من البحر المحيط بالكل ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي مزج أجزاء السحاب المنضمة بعضها إلى بعضٍ، إما بعد التنزل من السماءِ ولبحر الماءِ التي كان عرش الرحم عليها أو بعد الاجتماع ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النُّور: 43] من الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض، والثالثة للبيان. أو الأوليان للابتداء والأخيرة للتبعيض.

يعني أنه ينزل البرد من السماءِ من جبالٍ فيها وعلى الأولِ مفعول ينزل من جبال يحتمل معنيين أحدهما: أن يخلق الله في السماءِ جبالًا من بردٍ كما خلق في الأرضِ جبالًا من حجر أي من جنس الحجر. والثاني: أن يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال: فلان يملك جبالًا من ذهب كما يثبت في طور الحكمة الطبيعية أن في الجوّ كرة بخارية وطبقة زمهريرية فلا بعد ولا امتناع في أن يكون هناك جبال من برد بل من حجر.

مبحث نزول الجبل في شمال
بحر قلزم بين شيروان وأذربيجان

فإن في زماننا هذا في تاريخ سنة ثمانين وثمانمائة وقد نزل في شامِل بحر قلزم بين الشيروان وأذربيجان جبل من حجر طوله قريب من فرسخين وعرضه نصف فرسخ بعض أجزائه يشبه بالزرنيخ المصعد وبعضها يمر تشبيهًا كأن لي صديقًا قد قصد إليه وذهب لديه وأخذ منها قريبًا من رطلين وعاد ورجع إلي فشاهدته وما شهدنا بما علمنا وقد شاهد كثير من الثقاة واجترؤوا به وبلغ إلى حد التواتر.

قد كان في هذا الزمانِ رجل فاضل عالم مولده قريب إلى هذا الموضع وقصد صلة الرحم، ولما وصل إليه وسمِع من جمّ غفير وفرق كثير حكاية نزول الجبل وتحقق عنده حد التواتر، ولما رجع إلى مسكنه تبريز سكت عن قصة الجبل مخافة التكذيب إلى أن بلغ خبره في هذا المسكن أيضًا إلى حد التواتر فسألتُ منه فأخبرني قلت ثم سكت عنه قال خوفًا من التكذيب، والفرض من الإطناب في هذا المقام إلا أن كمال قدرة الله وآثارها لا تكاد تنحصر، وكلما يسمع من الأمور العجيبة والآثار الغريبة وعقلك عاجز عن كيفية تعقله وإدراكهِ وباقي لا ينكره. وأيضًا قد نقل هذا الرجل أن هناك جبلًا عظيمًا يقال له سولان إنه قد جاء من أرض الحجاز ومكة إلى أرض أردبيل وقد كتب حكايته، ويسمى بسولان نامه ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾ بالمطر من عبادِهِ في وقت دون وقتٍ وفي مكانٍ دون [آخر] أي بالأمر الذي يحدث من البليات والحوادث والنكبات الجارية من هذه الحوادث الجليلة ﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾ أي يقرب ضياء برقه ولمعانه وإشراقه ﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [النُّور: 43] ويزيلها سناه فاعل يكاد ويذهب بالأبصار جملة فعليه خبره قرئ مقدرة وممدودة أما الأول فهو بمعنى المضيء وأما الثاني فهو بمعنى العلو والارتفاع.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ ويحول أحدهما بالآخر بكمال قدرته وقوته ووفور حكمته لا بطلوع الشمس وغروبها كما توهمه أصحاب النجوم وكذا تركها إشارة إلى هذه النكتة فيجوز أن يكون طلوع الشمس وغروبها أمارة وعلامة لتعلق حكمها بالقدرة، فالمؤثر في الكل هو الله تعالى، وقد عرفت أن الله تبارك وتعالى هو نور السماوات والأرض وجودهما ووجود ما قرب من الأعيان والأكوان، فمن قال: أن مقلب الليل والنهار هو الشمس فهو صادق أيضًا، ولا يخفى أن وجود الشمسِ ونوره هو من الله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ لدى ذكره ﴿لَعِبۡرَةٗ﴾ واعتبارًا وعبورًا منه إلى شهود الذات الواجب وجوده وإدراكه وإلى أن الفاعل المؤثر والقادر للكل وفي الكل هو الذات الظاهر في السماوات والأرض وما فيهما ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [النُّور: 44] أي البصيرة التي هي بصر القلب.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ أي من يدب ويتحرك من القوائم الأربع وغيرها ﴿مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى﴾ ويتحرك تفصيل لما أجمل والبعض منها من يمشي ويدب وينقلب ﴿عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ ممن ينقلب وينتقل من المرتبة النباتية إلى المرتبة الحيوانية وتميزت من النبات بالحس والحركة الإرادية هي كالحياتِ والدودة التي يتكون في الأرض كالخراطين وهي أول ما يتكون من الخطوب لا يوجد فيها من خصائص الحيوانات إلا قوة اللمس وإذا تمكن في الحيوانية ظهرت سائر الخصائص من الخواص الظاهرة كالأسماك والحوت ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطيور ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ قوائم كالسباع والهوام والبهائم ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ كيف يشاء على أي [ما] يريد وبأي صفةٍ وهيئةٍ ينقص ويزيد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النُّور: 45] ممكن أن يخرج من القوة والإمكان ويمكن في الحيز والمكانِ.

والمراد بالماء إن كان عن نطفة اختص الخلق بالبعض وخرج كثير من المخلوقاتِ كآدم وحواء وعيسى والكائناتِ الدفعة وإن كان المراد بالماء الماء الذي هو أصل الموجودات ومادة حياة كل الممكنات يكون عالمًا شاملًا للكل ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30].

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ موضحات وهو القرآن ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النُّور: 46] وهو الإسلام الموصل إلى السعادة السرمدية والسيادة الأبدية.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ﴾ وبكل ما جاء به من القرآن ﴿وَأَطَعْنَا﴾ الله ورسوله وبما جاء من القرآنِ ولما يستنطق منه الأحكام الدينية والأعلام ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ أي ممن قالوا آمنا ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ القول ﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النُّور: 47]

إشارة إلى الفريقين أنهما ادّعيا الإيمان الحق الباعثِ على صميم القلب وخلوص العقيدة وصفاء الغيب ونفي الإيمان منهما بأنه لو كان الإيمان على ما ادعيا لما عرض الفريق الثاني من الإسلام وما تولى منه ومن المسلمين في الحكم إلى كعب ابن الأشرف نزلت في بشر المنافِق حيث خاصم يهوديًّا فدعاه إلى كعب بن الأشرف وهو أي اليهودي إلى النبي وقيل في مغيرة بن واثل خاصم عليًّا رضي الله عنه في أرض فإنه حاكمه إلى النبي ﷺ.

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٤٨﴾

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [النُّور: 48] الرسول بالحق على ما نطق به الكتاب وذكر الله يشعر بأن حكم النبي في الحقيقة هو حكم الله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النّجم: الآيتان 3، 4]، ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم﴾ من المؤمنين الذين ادعوا الإيمان الخالص ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾ [النُّور: 48] عن النبي والإسلام فلو كان إيمانهم خالصًا حقًّا لما أعرضوا عن الحق.

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ۝٤٩﴾

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ﴾ أي حكم النبي بهم لا عليهم ﴿يَأۡتُوٓاْ﴾ أو يتبادروا يتسارعوا إليه بالرغبة التامة ﴿إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾ [النُّور: 49] أي مطاعين مطاوعين.

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٥٠﴾

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كفر وشرك وميل وحيف وميل وزيغ ﴿أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ إشارة إلى ما في صدورهم من الغلّ والنفاق المتنوع مرض في قلوبهم وشك وارتياب في أمر النبوة والظن الفاسد بأن الله ورسوله يحيف ويميل إلى الظلم وفساد الحكم، أي ليس الأمر على ما ظنوا أن الله يميل إلى الظلم ﴿بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ والقائلون بالله ورسوله ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [النُّور: 50] يعني أنهم يحضرون على نعت الظلم أي ليس لهم نعت وصفة أخرى سوى الظلم.

إشارة وتأويل

وليكن ما ذكرنا من التأويلات دستورًا وضابطة لك فيما بقي من السور والآيات وتأويلاتها أرجو من الواهب للعطايا أن يفيض لك وينزل عليك لمثل ما أفاض علي ونزّهك لديّ من التأويلات.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالرفع والنصب أما الرفع لكونه اسم كان وخبره أن يقولوا في تأويل المصدر المنصوب ﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [النُّور: 51] متعلق به مقدم عليه معنًى مقولةً للقول أما النصب فلكونه خبرًا لكان وأن تقولوا اسم هذا أقوى لأن أولى الاسمين وهو القول المضاف إلى المؤمنين و﴿أَن يَقُولُواْ﴾ المكان في تأويل المصدر إلا أن مقولته وهي ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ﴾ كانت أعرف من الأول وأوغل في التعريف ولا سبيل للنكارة إليه بخلاف الأول فإنه يحتمل أن يكون مقولة غير هذا بخلافه الثاني فإن مقولته منحصرة على المذكور أعني سمعنا وأطعنا ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: 51] جرت على عادته تعالى في اتباع ذكر الحق المُبْطِل والتنبيه على ما ينبغي بعد إنكاره لما لا ينبغي.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ مستقبل من الأفعالِ من اسم متضمن لمعنى الشرط ولذا جزمه، أصله يُطيع استثقلت الكسرة على الياءِ حُولت إلى ما قبلها وإذا دخلت مِنْ الجازمة جزمه، فالتقى الساكنان وحذفت الياء وكسرت العين، لأن الساكن إذا حرك حرك بالكسر ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما يأمر به من الفرائض والسنن ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ ويخاف منه على ما صدر منه من الذنوب ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ مضارع من الافتعال مجزوم لعطفه على يخشَ والضمير المنصوب عايد إلى الله ويخاف الله فيما مضى ويحفظ نفسه فيما بقي من عمره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ المؤمنون القائلون سمعنا وأطعنا ﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النُّور: 52] بالسعادة العظمى والحائزون بالكرامة الكبرى الدولة الأخرى الأبدية.

﴿۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ مستفاد من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها في ذلك إذا بالغ في الإيمان وبلغ غاية شدتها وعتابها. وعن ابن عباس رضي الله عنه: قال الله تبارك وتعالى: «**فقد جهد يمينه**». وأصل جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهدًا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافًا إلى مفعوله كقوله فضرب الرقاب فحكم هذا المنصوب حكم الحال أي جاهدين إيمانهم ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ بالخروج عن ديارهم وأحوالهم وجهاتهم ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ [النُّور: 53] جواب لأقسموا إذ الخطاب للرسول أي قبلوا الأمر وامتثلوا به وانقادوا إليه لا تراخ ومهلة ﴿قُل﴾ يا محمد من ينوب منابه من آمنا به ﴿لَّا تُقْسِمُوا﴾ على الكذب ﴿طَاعَةٌ﴾ هذه ﴿مَّعْرُوفَةٌ﴾ معلومة بلا شك وارتياب كطاعة الخلّص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهرهم أو مبتدأ خبره محذوف أي أمركم، والذي أطلب منكم أو طاعتكم طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [النُّور: 53] ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنًى.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ وإنما التفت من الغيبة إلى الخطاب إذ هو أبلغ إلى التكبيت وإلى الإفحام والتسكيت أمر تبليغ ما خاطبهم الله على الحكاية مبالغة في إفحامهم ومكايدة في تسكيتهم ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أو أعرضوا عنك يا محمد وعمن ينوب منابك ويقوم مقامك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ هو التفات آخر لتأكيد إفادة تطور الأسلوب وتنوع ما أعادهُ من ضروب القلوب من أمر التبليغ وما يتبعه من التفريط والفترة والتخليط ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من عدم الالتفات إلى التبليغ والإبلاغ المبين الظاهر الواضح فإن أوتيتم إطاعة الشيطان ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ في طريق الوصول إلى الحق ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ والتبليغ والإبلاغ ﴿الْمُبِينُ﴾ [النُّور: 54] الواضح فإن تم فلكم وإن توليتم وأعرضتم فعليكم.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ خاطبوا الرسل ومنه ينوب منابه في التبليغ ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ بأن ينصر الإسلام على الكفر ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ويجعلهم فيها خلفاء ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كما يفعل ببني إسرائيل حين أورثهم ديار مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة التي هي بقية قوم عاد ورأسهم ورئيسهم حج بن عتيق من بنت آدم وبعد إغراق الفراعنة والقبط ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وهو دين الإسلام وتمكينه تثبيته وتوطينه وأن يؤمن شرهم ويزيل عنهم الخوف وضرهم الذي كانوا عليه وذلك أن الرسول ﷺ وأصحابه مكثوا [في] مكة عشر سنين خائفين شرهم عائفين ضرهم، ولما هاجروا المدينة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب، وهي قطيف وبحرين، وتحصنوا ثم افتتحوا بلاد المشرق والمغرب ديار العجم والعرب وفرقوا ملك الأكاسرة وتملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الدين على خلاف سيرتهم فكفروا له بتلك الأنعم ففسقوا كما قال ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ للانتقال من مكة إلى المدينة ﴿يَعْبُدُونَنِى﴾ علة في المعنى أي ليعبدونني بالإخلاص وكامل اختصاص الفاضل ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ بيان أي حال من الدين أو استيثاق كأنه قيل ومآل المستخلفين قال يعبدونني ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ من هذه الأمة بالكفران بهذه النعم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النُّور: 55] الخارجون عن طاعة اللّهِ وإطاعة رسوله الجاحدون لأحكام دينه المنكرون لأعلام معالم أهل تعيينه إلى أن ارتدوا بعد وضوح آياته وصروح بيناتِ إماراته وعلاماته.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ عطف على أطيعوا الله ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ أطيعوا الرسول ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النُور: 56] وتكرار طاعة الرسولِ يشعر بكمال غفلة الناسِ

بأنهم في كل ساعة يحتاجون إلى تبليغ أحكام الله ودعوتهم إلى الحق بالحقّ.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أحدًا يعجز الله في الأرض حتى يطمعوهم في مثل ذلك وفيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في الأصل لا يحسبنهم الذين كفروا ﴿مُعْجِزِينَ﴾ ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول وكان الذي يسوّغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت بشيء واحدٍ واقتنع بذكر الاثنين عن ذكر الثالث ﴿فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [النُّور: 57] عطف على (تحسبن الذين) كأنه قيل: الذين كفروا لا يفوقون الله ومأواهم النار وهم المقتسمون حذر أيمانهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النُّور: 58] رجوع إلى تتمّة الأحكام السالبة بعد الفراغ عن الهيئات الدالة على وجوب الطاعةِ فلما سلف من الأحكام وغيره والوعد إليها والوعيد بالإعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال أمر بأن يستأذن العبيد والإماء أو الأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار ثلاثِ مرات في اليوم والليلة قبل صلاة الفجر لأن وقت القيام عن المضاجِع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة لما روي: أنّ غلام أسماء بنت أبي يزيد [دخل] وقت كراهيته فنزلت.

وقيل أرسل رسول الله ﷺ مدلج بن عمرو الأنصاري وكان غلامًا وقت الظهيرة ليدعو عمر وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه، قال عمر: لوددت أنّ اللّهَ عزّ وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن يدخل علينا في هذه الساعاتِ إلا بإذنٍ، ثم انطلق معنا إلى النبي ﷺ فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهي إحدى الآيات

المنزلة بسبب عمر وقيل: نزلت في أسماء بنت أبي مرشِد قالت: إنا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحدٍ. وقيل: دخل عليها غلام لها في وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله وقالت: إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهه، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ والصبيان الذين لم يدخلوا من الأحرارِ فعبر عن البلوغ بالاحتلام لأنه أقوى دلائله ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ في اليوم والليلةِ ﴿مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ لأنه وقت القيام عن المضاجع محله منصوب بدلًا من ثلاث فتراتٍ ومرفوع على خبر المبتدأ المحذوف أي هي من قبل صلاة الفجر ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾ في اليقظة والقيلولة ﴿مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾ بيان للحين ﴿وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ لأنه وقت التجرد عن اللباسِ والالتحاف باللحاف ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾ أي بين ثلاث أوقات ويشمل كل واحدة من هذه الأحوال عورة لأن الناس تختل بسترهم ويحفظهم منها والعورة هي الخلل ومنها أعور الفارس وأعور المكانِ والأعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستئذان، وبيَّن وجه العذر في قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ مبتدأ وخبر أو يكون مرفوعًا بطوافون المضمر بعدهن أي بعد بعدهن الأوقات في ترك الاستئذان ليس فيه ما ينافي آية الاستئذان تسبيحة لأنه في الصبيان والمماليك المدخون عليها يعني أن بكم وبهم حاجة إلى المحاضرة والاستخراج والمداخلة تطوفون أنتم عليه للاستخدام فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقتٍ لأدى إلى الحرج. روي أن مدلج بن عمرو رضي الله عنه كان غلامًا نصرانيًا أرسلنا الرسول ﷺ وقت الظهر إلى عمر رضي الله عنه ليدعوه فدخل عليه إلى آخر القصة ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ لجميع أحوالكم وتمام أعمالكم وعموم ما في قلوبكم وأطواركم في غيوبكم من النيات والسرائر والأمنياتِ ﴿حَكِيمٌ﴾ [النُّور: 58] حاكم على ما في الظاهِر والباطِن وعلى ما يطابق نفس الأمر أطوارًا وأدوارًا وأسرارًا وأنوارًا تواليًا وتواترًا تنوعًا وتطورًا آنًا فآنًا غير منقطع.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ﴾ مِن الأحرار دون المماليكِ ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ في الدخول ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النُّور: 59] أي الذين يبلغون من قبلهم

في قبيلتهم والذين ذكروا من قبلهم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ﴾ [النور: 27] إلخ، يعني الأطفال مأذونون في الدخول بغير إذن إلا في العوراتِ الثلاث فإذا خرجوا عن حد الطفولية وجب أن يعطوا ويمنعوا عن ذلك ويأمره في الاستئذانِ في جميع الأوقاتِ كما فعلوا الرجال ومنعوهم، فالسن الذي يحكم فيه بالبلوغ عند أبي حنيفة ثماني عشر سنة في الغلامِ وسبع عشر في الجارية وعامة العلماء على حسن عشرة فيهما وعن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه أنه يعتبر القامة بقدرة الخمسة أشبار وبه أخذ الفرزدق في قوله نظمه:

ما زال مذ عقدت يداه إزاره فسما فأدرك خمسة الأشبار

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما بين لكم حكم الاستئذان ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الدالة على كمال حكمته وقدرته في إظهارِ سائر الأحكام الدينية والدنياوية ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم وصحة أعمالكم وقتًا بعد وقتٍ ﴿حَكِيمٌ﴾ [النُّور: 59] حاكم عليكم بما ينفعكم ويمنعكم عما يضركم.

﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحًا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠﴾

﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحًا﴾ يعني القاعدة التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا تطلب نكاحًا ولا يطمع فيها ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أي الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار و﴿غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ﴾ أي مظهرات زينة أعني الزينة الخفية التي أرادها في قوله: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النُّور: 31] يعني لا يكون المقصود من الوضع إظهار الزينة والتبرج بها ﴿وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ﴾ من الوضع ﴿خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ﴾ وأصل التبرج إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال يعني إظهار ما يجلب إخفاء من التبرج، هذا التكلف والاستعفاف من وضع الثياب والاستنكاف منه خير لهن من التبرج ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [النُّور: 60] بأحوالكم وعموم أفعالكم وأعمالكم الظاهرة والباطنية البدنية والنفسانية والجنانية والروحانية.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النُّور: 61] كان المسلمون في بداية الإسلام لكمال اتحادهم ووفور شغفهم بعضهم على بعضٍ يذهبون الضعفاء من الأعمى والأعرج والمريض وزوي العاهاتِ إلى بيوت أزواجهم وأولادهم وإلى بيوت أقربائهم وأصدقائهم فيطمعونهم فخالج قلوب المطعمين والمطعمين في زينة في ذلك وخافوا أن يلحقهم في ذلك حرج وكرهوا أن يكون أكالًا بغيرِ حقٍّ لقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النِّساء: 29]، ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني ليس عليكم ولا على من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ﴾ [النُّور: 61] عن عكرمة كانت الأنصار في أنفسهم فرادةً وكانوا يأكلون من هذه البيوت إذا استغنوا.

وقيل: كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناسِ ومخالطتهم والمواكلة بهم لما عسى أن يكون ذلك مؤدّيًا إلى الكراهة من قبلهم لأن الأعمى ربما سبقت إليه عين البله إليه وهو لا يشعر والأعرج تسنح ويوسع في محلّه ويأخذ أكثر من موضعه فتضيق على جليسه وقرينه وقريبه والمريض لا يخلو عن رائحة تؤذي أو جرح يظهر قليلًا قليلًا، أو أنف وبدن وتسيل من ما يكره ويجوز ذلك قيل كانوا يخرجون إلى الغزو ويجعلون الضعفاء في بيوتهم ويدخلون إليهم مفاتيحهم

ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يخرجون. حكي عن الحرثِ بن عمرو أنه خرج غازيًا وخلف مالك بن زيد في بيته فلما رجع رآه مجهودًا فقال: ما أصابك؟ قال: لم يكن عندي شيء ولم يحل لي أن آكل من مالك، فقال: ليس على هؤلاء الضعفاء حرج أن يأكلوا من هذه البيوت.

وإنما ترك الأولاد لاندراج ذكرهم تحت قوله: ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾ لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث: «**إنّ أطيب ما يأكل المرء من كسبه وأن الرجل يأكل من كسبه فيدخل في بيوت عيالكم وأزواجكم**»، أو لأن الولد أقربُ ممن عد من القرابات، فإذا كان بسبب الرخصة هو القرابة، كان الذي هو أقرب منهم أولى ﴿أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ بأن يكون مفاتيح ملكه وبيته وأمواله وبيده وحفظه وبيوت المماليك لأن مال العبد لمولاه ﴿أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ﴾ يطلق على الواحد والجمع وكذا الخليط والقطين.

وحكي عن الحسن أنه دخل داره وإذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالًا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الأطعمة وهم مكبون عليها يأكلون منها فتهللت أسارير وجهه سرورًا وضحك وقال هكذا وجدناهم وهكذا وجدهم، يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين، وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ منه ما شاء فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سرورًا بذلك عن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق أن جعله اللّه من الأنس والشفقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والأب والابن والأخ. عن ابن عباس رضي اللّه عنهما: الصديق أكبر من الوالدينِ أن الجهنميين إذا استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات فقالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ۝١٠١﴾ [الشعراء: 100، 101] وقالوا: إذا دل ظاهِر الحال على رضا المالِك قام ذلك مقام الإذن.

﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ﴾ من مال الصديق والمذكورين ﴿جَمِيعًا﴾ أي مجتمعين ﴿أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ﴾ متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرًا نهاره إلى ليلِه فإن لم يجد من يواكله أكل ضرورة أو في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم أو قد تحرجوا من الاجتماع على الطعام لاختلاف الناسِ في الأكل قلة وكثرة بطرًا وسرعةً ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا﴾ [النور: 61] من هذه البيوتات المذكورة

﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي على أهلِها وإنما عبر عنهم بالأنفس إشعارًا بأن الصديق بغاية الصدق والوفاق في الصداقة ينوب مناب النفس إذ الصدق في المحبة يفضي للاتحاد «**لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولِسانه**». شعر:

أنا من أهوى ومن أهوى لنا نحن زوجان حللنا بدنًا

وجهة الوحدة والاتحاد هو الدين والإسلام وهو سبب عام للتوريث والقرابة سبب خاص ﴿تَحِيَّةً مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي ثابتة وكائنة من عند اللّهِ ويجوز أن تكون صلة للتحية فإنها طلب الحق وهي من عنده مفعول مطلق لأنها بمعنى التسليم ﴿مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النُور: 61] مرجوة بها زيادة الخير وعظم الثواب وكثرة المنفعة وحسن المآب وطيب الرزق. وعن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشرين سنة فما قال لي لشيءٍ فعلته لِمَ فعلته؟ ولا قال لي لشيء لم تركته؟ وكنت واقفًا على رأسه أصب الماء على قدميه فرفع رأسه فقال: «**ألا أعلمك ثلاث خصالٍ تنتفع بها، قلت: يا رسول الله بلى بأبي أنت وأمي، قال: متى لقيت من أمتي أحدًا فسلم عليه يطل عمرك، وإن دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك، وصلِّ صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار والأوابين؟**» وقالوا: إن لم يكن في البيت أحد فليقل: السلام علينا وعلى عبادِ اللّهِ الصالحين من ربنا السّلام علينا ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ما بَيَّنَ بعد بيان الاستئذان كيفية معاشرة الأصدقاء أو مباشرة الأحوال بالله مع الأخلاء ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الدالة على كمال حكمته البالغة وعموم قدرته السابقة والتكرار إشعار بتنوع آثار قدرته وطور أنوار حكمته ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [النُور: 61] بالصلاح في الأمور والفلاح والحق والصدق مرَّ الأعصار والدهور.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٢﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ الكاملون في الإيمانِ الواصلون في أحكام الإسلام ومدارج الإيقان في مخارج الايقانِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ عن صميم قلوبهم وصميم أنوار غيوبهم ﴿وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ﴾ [النُور: 62] أي أمر لا يتأتى

إلا بالاجتماع والجماعة والازدحام كالجمعة والأعياد والجيش في البلاد والحروب والقتال بين العبادِ وغير ذلك إلى يوم التنادِ ﴿لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ عن ذلك الاجتماع ولم ينصرفوا إلى أمرٍ آخر ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ في جميع الأمور فدبر لكمال الإيقانِ المقتضي لتمام الإيمانِ المميز المنجي غمد غياهيب ظلمات النفاقِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ ولا يسرعون في أمرٍ إلا بإذنك وأمرك ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حق الإيمان يعني انحصر الأعيان فاختص بالاستئذان لدلالته على كمال الإيمانِ والوفاق والتجافي عن مرض النفاق ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ مما يعتريهم من المهماتِ ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ على ما يقتضي الحال والمقام والوقت والمصلحةِ في إنجاح المرام إرشاد من الله تعالى لرسوله على الوجه الكلي ولأمته وأصحابه أنّ شأنهم هو التفويض إلى اللّهِ في جميع الأمور الدينية والدنياوية وإن وقع منهم في بعض الأوقات مخالفة بناء على ضعفِ الإيمان ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ واعف عنهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ ستار وستور على ما صدر منهم من المخالفة وتجاوز عنهم غير الشرك ﴿رَّحِيمٌ﴾ [النُور: 62] بفضله يحسن إليه ويرحم من يشاء من المتقاعصين.

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ حالًا يتساوى دعاء الأنبياء لأمتهم وعلى أمتهم على دعاء بعضكم لبعض في إمضاء الأغراضِ وإجراء الأبعاضِ والأعراض وجلب المنافِع وكسب الصحة ودفع الأمراضِ وغير ذلك من خصائص الجواهر ونصائص الأعراضِ والابتهال للإجابة في الكلِّ والأبعاض قيل لا تجعلوا نداء النبي وتسميته باسمه كنداءِ بعضكم بعضًا باسمه ورفعِ الصوت وإساءة الأدب والنداءِ وراء الحجرات وإزالة الحجب وإمالة النقب بل عظموا في النداء مع التوقير والتعظيم ووفور التواضِع والابتهال والتوقير في التبجيل والتكريم وخفض الصوت أو لا تجعلوا دعاء لكم وعليكم كدعاء بعضكم لبعض أو على بعضٍ ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾ ويخرجون على وجه الانسلال والاختفاء عن الجماعة ﴿مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ [النُور: 63] وحال كون بعضهم مستورًا

ببعض من لاذ يلوذ إذا ستر واختفى يعني يختفي البعض بالبعض لئلا يرى خروجهم ولا يظهر انسلالهم وفروجهم قيل كان بعضهم يلوذ ويختفي الرجل إذا استأذن فتأذن له فينطلق به الذي لم يؤذن ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي فعلى الرجال الذين خالفوا أمر اللّهِ وأمر رسوله ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ ومحنة وغصة أو قتل أو سلطان جائر وذو حكم قاهرٍ ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُور: 63] أجلًا يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: 88] وخالفه عن الأمر إذا صدر من دونه، ومعنى الذين يخالفون عن أمره الذين يصدون عن أمر اللّهِ دون المؤمنين هم المنافقون، فحذف المفعول الأول لأن الغرض ذكر المخالف والمخالفة عنه.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من أنواع المخلوقاتِ وأجناسِ المكوناتِ من الجواهِر الشريفة والقواسر الأنيقة وغرائب المبدعاتِ وعجائب المخترعاتِ ملكًا وخلقًا ومملوكًا لا يخفى عليكم أحوالهم المتواردة وحالاتهم المترادفة الكلية والجزئية طرفة عينٍ، فكيف تخفى أحوال المنافقين المعدودين المحدودين وقد اجتهدوا في اختفائها ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ من النفاقِ والكفر والشرك والشقاق ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ ويجازيهم حق الجزاء يجوز أن يكون عامّينِ على سبيل النفاق وأن يكون الأول عامًّا والثاني خاصًّا بالمنازعين، ويكونا عامّين للمؤمنين الموحدين أو للمنافقين والمشركين ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟﴾ [النُور: 64] في الدنيا من العباداتِ والطاعاتِ والمعاصي والسّيئاتِ في جميع الأوقاتِ وعموم الحالاتِ ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ سماوي وأرضي علوي وسفلي جوهري وعرضي ظاهر وباطنٌ غيبيٌّ وظاعنٌ وقاطنٌ ﴿عَلِيمٌ﴾ [النُور: 64] لا يفوت عنه أمر من أحواله ولا شيء من أعمالِه وأفعالِه. عن رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة النور أُعطي من الأجر عشر حسناتٍ لعدد كلّ مؤمن ومؤمنةٍ وبما مضى وفيما بقي**» والله الهادي ليوم التنادي.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 25	سُورَةُ الفُرقَانِ	آياتها 77 مكية

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين ولكافة الكائنين من الجاهلين والعالمين أفرادًا وجمعًا نذيرًا ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي جعل في سماءِ ربوبيته بأسماءِ الهيئة بروج أدوار النور والجمال ودروج أكوار الظل والجلال ليتجلى سر هويته الغيبية سميعًا وبصيرًا ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيامٍ ثم استوى على العرشِ الرحمٰن فاسأل به بصيرًا وخبيرًا.

﴿۞ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ وهو مصدر يناسب التفضيل لفصله بين الحقِّ والباطلِ ولذا سمي القرآن وهو الجمع به فالقرآن يلائم التنزيل والفرقان الإنزال تبارك تكاثر خيره وتزايد وتواتر نفعه وبره من البركةِ والبروكِ وهي كثرة المنافِع والعلو والارتفاعِ وازدياد الدافِع يعني نزل الفرقان بتفاصيل أحكامِه وتفاصيل معالمه وأعلامه في الحضرة الواحدية ومرتبة الجبروتِ على الحقيقة المحمدية التي هي مظهر النبوة الذاتية وحقيقةً للتعيين الأول أرسله الله فالتجلي الذاتي بها على النبوة الذاتية بالشؤوناتِ الذاتية فقبلوا منه وصاروا أمة له كنت نبيًّا وآدم بين الماءِ والطين ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي لحقائق أعيان العالمين وشأنك الاسم الذاتي في فرداريّة دورة التجلي الذاتي العظمى ﴿نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1] بالوجوه الأحدية والعنوانات الذاتية.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي الأدوار النورية الذاتية الجمالية اللامعة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالأكوار الظلية الجلالية هو الموصول بدل من الأول أو مدح مرفوع أو منصوب ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الفُرقان: 2] لما بين الظهورات الأولية وعين الشهود والتجليات الذاتية التي قد تضمنت التجليات الأسمائية والأفعالية والآثارية الإفرادية والصورة الجمعية الناسوتية الظاهرة المشهودة في التجلي الذاتي بالوجه الأحدي، والعنوان الذاتي أشار إلى دفع التوهم إلى أن هذه الظهورات يكون بطريق التولد والتوالد والتوليد، ولم يتخذ ولدًا أي هذه الظهورات ليست بطريق التولد المشروط بالازدواج ببني نوعه، تعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ﴾ في التجلي الذاتي الذي هو شهود الذات ذاته بجميع الأسماءِ والصفاتِ بالعنوان الذاتي والوجه الأحدي في المرتبة الأولى الأحدية ﴿تَقْدِيرًا﴾ [الفُرقان: 2] للتوحيد الذاتي والتجلي الأولي ونفي للشرك والإشراك فقدره وأظهره بالتجلي الأسمائي في المرتبة السابقة، وهي ظلمة الإمكان الذاتي القابل للوجود الغيبي في الغيب والشهادة، أي هي كل شيء وأعده الوجود العلمي والغيبي العيني والشهادة في «**خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه فقد اهتدى ومن لم يصبه فقد ضلّ وغوى**» الحديث.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [الفُرقان: 3] يعني من لم يصبه نور الهداية اتخذ من دون الله الأعيان الأدوار النورية الوجودية إلى النشأة الناسوتية في الدورة الصغرى النورية وعبدوا غير الحق من الأكوان الظلية الجلالية وهم المولود الجني لقوله عليه السلام: «**ما من مولود إلا وله مولود جني يأمره بالشر، قالوا: وإياك يا رسول الله قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير**»، يعني أن الله تعالى أنزل لهم من الأحدية الذاتية بالتجلي الأسمائي وأشهد لهم ذاته في أن له تعالى الواحدية وعهدهم وعدلهم أنهم أوفوا بالعهد

الذي جرى بينهم وبين الاعتراف بالربوبية والإنصاف بالعبودية والإقرار بالألوهية بالتوحيد الذاتي والصفاتي والأفعالي والآثاري والجمعي الصوري والمعنوي وشهود التحقق بالوجوه المذكورة، وأخذ الله ميثاقهم ومجهودهم بعد عقد العهد بعد العهدِ نقضوا ميثاقهم، ونبذوا وراء ظهورهم، وأشركوا باللّهِ وانفكوا عن عهد اللّهِ ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ أي هذه الآلهة لا يخلقون شيئًا قليلًا وأمرًا حقيرًا لا صحيحًا ولا عليلًا ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي والحال أنهم مخلوقون.

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فيه إضمار وتقديم من لا يستطيعون على سر لا على غيرهم ولا لغيرهم ولا لأنفسهم ولا لجر المنافِع ودفع أنصار لا لهم ولا لغيرهم مع أنهم يستطيعون على هذه الأمور لكونهم إلهًا ومعبودًا أولى من الجمادِ الذي يقدر على شيء من هذه الأمور ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً﴾ أي الإماتة والإحياء ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ [الفُرقان: 3] أي لا على البعث والحشر للنشور كما هو شأن الإله الخالق المعبود بالحق وفيه توبيخ وتشنيع على الوجه الأبلغ بأن الذي اتخذ إلٰهًا ليس فيه أدنى صفات المخلوق وهو منع الضرر وجلب النفع والود وفضلًا عن صفات الربوبية لا من النعوتِ الإلٰهة فكيف تصح عبودية.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ باللّهِ وبتوحيدِه وبإمكانِ حقيقته ما أرسله الله كهداية المخلوقات ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ﴾ أي ليس هذا الكتاب وما ادعاه من النبوة إلا كذب محض ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ واختلقه ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ هذا من جملة مقالات الكفار فإنّ هذا الكتاب والكذب كلام كذب وإفك إلا أنّ قومًا آخرين أعان محمدًا على هذا الإفك بالتعليم والتقوية والتفهم ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا﴾ وبهتانًا ﴿وَزُورًا﴾ [الفرقان: 4] وشهادة زور.

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ هذا ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث روستم واسفنديار حروره ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ ويكلف في كتابته وأمر بتكليف كتابته لنفسه ﴿فَهِيَ﴾ أساطير الأولين ﴿تُمْلَىٰ﴾ ويلقي ﴿عَلَيْهِ﴾ [الفرقان: 5] من كتابه فيحفظها

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: 5] أي دائمًا مستمرًّا لا ينقطع أصلًا أو في الخفية، قيل: أن يسرّ الناس ويصل إليهم.

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾

﴿قُلْ أَنزَلَهُ﴾ القادر المريد الحليم ﴿ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ في السماوات والأرض أي كل السر وجميعها الخفية الكائنة ﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فمن تغافل منه وتعاطل عنه التوجه إلى الاطلاع عليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفُرقان: 6].

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ وهو مثلنا في هذه الأحوال فلا مرية في أن لا مرية له علينا ليكون نبيًّا لا نحن ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ يعني ليس ملكًا فلا بدّ وأن ينزل عليه ملك وليس كذلك لأنه مثلنا ﴿فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفُرقان: 7] أي يكون مع ذلك الملك منذرًا.

﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾

﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ هذا ينزل آخرًا أي وإن لم يكن مرقودًا فليكن مرقودًا بكنز يلقى عليه من السماء ليستظهر به في مقام شُبهٍ ولا يحتاج إلى غيره ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ وبستان مشجر مزروع ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفُرقان: 8] هذا ينزل بعد تنزلاتٍ ﴿وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ﴾ الخطاب للصحابة أي لا تتبعون أنتم ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: 8] قلت: عليه السحر وإذًا سحر.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا تلك الصفاتِ والأحوال القادرة فضربوا لك الأمثال ﴿فَضَلُّوا۟فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ إلى الله ﴿سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 9] من نبوة مشتركة بين إنسان وملك وإلقاء كبر عليك من

السماءِ وغير ذلك، فبقوا متحيرين ضالين مضلين لا يجدون ولا يهتدون طَوْلًا يستقرون عليه ولا طريقًا يصلون بهِ إليه، فضلوا وفقدوا طريق الحق، فلا يستطيعون سبيلًا موصِلًا ودليلًا محصلًا للمطلوب.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا﴾ وخيّر لديك خيرًا أي تكاثر خير الذي إن شاء وهب لك في الدنيا ﴿مِّن ذَٰلِكَ﴾ أفعل التفضيل المستعمل مع من أي أفضل ما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وهو مفعول ثانٍ ليجعل ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: 10] بناءً رفيعًا ومنزلًا منيعًا عطف على محل الجزاءِ إن كان مبينًا وهو جعل.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟﴾ إضراب فيما قالوا بطريق الترقي في التكذيب ﴿بِٱلسَّاعَةِ﴾ وبما هو مقدمة له وهو القيامة ربما يظهر فيها من الجناتِ وما فيها من الدرجاتِ وما يقابل فيها من الجحيم والدركات ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ﴾ أي هيأنا ويسرنا للمنذر ﴿بِٱلسَّاعَةِ﴾ ولوازمها وخصائصها ﴿سَعِيرًا﴾ [الفرقان: 11] نار مشتعلة شديد الاشتعالِ أو هي اسم لجهنم فصرفها باعتبار المكانِ.

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾

﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ السعير ﴿مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ ومسافة مديدة من قولهم دورهم تترى وتناظر ومن قوله عليه لا ترى نارًا فيما كان بعضها يرى بعضًا على سبيل المجازِ أي إذا كانت منهم بمرأى النار في البعد ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفُرقان: 12] أي صوتًا صوت المتغيط الزافِر وإذا رآهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبًا على الكفار شهوةً وطربًا وشهروا الانتقام منهم.

﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟﴾ وسقطوا ﴿مِنْهَا﴾ أي من السعير ﴿مَكَانًا﴾ سافلًا ﴿ضَيِّقًا﴾ [الفرقان: 13] لازدحام أنواع العذاب المشاهد ومزاحمة بعضهم بعضًا وشدة

كونها اللازمة للازدحام وضيق المقام، وهي أشد أنواع العذاب وأحد أجناسِ العقابِ، كما أنّ الروح والراحة والريحان والإراحة لازمة لسعة المقام ورحب المكان ويسار القوة وسهولة الإمكانِ وقربه إلى الحدوثِ والحدثانِ، ولنا وصف الله تعالى الجنة بأوسع ما هو في عالم الأجسام وهو الأجرام الفلكية بقوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]، ولقد جمع الله على أهل النار أنواع الضيق في المكانِ السحيق والمحل الزهيق عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله يضيق عليهم الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامِع أو قد قرن مع كل كافرٍ شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد والقيود ﴿مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ﴾ تمنوا ﴿هُنَالِكَ﴾ وفي ذلك المكانِ الضيق ﴿ثُبُورًا﴾ [الفُرقان: 13] وإهلاكًا وموتًا فيقولون واثبوراه أي تعال فهذا حينك وزمانك.

﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾

﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾ أي يقال لهم ذلك القول قولًا واحدًا أو مرةً واحدة ﴿وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفُرقان: 14] لأن عذابكم أنواع كثيرة وأطوار كثيرة كل منها عذاب مستقل وعقاب مستمر يعذبون ويهلكون بشدته ويعاقبون لحدته ويتمنون أن يهلكوا ليتخلصوا منه، وسيجتنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 40] الآية، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ﴾ [النِّساء: 56].

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَذَٰلِكَ﴾ العذاب الشديد والعقاب الحديد المديد الذي هو مقتضي نفوسكم ومرتضى علو شموس كنوسكم ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۚ﴾ [الفُرقان: 15] إضافة الجنة إلى الخلدِ الّذي هو في الحقيقة نعت الدار

والمقام، إما للمدح أو للدلالة على خلودها من باب جرد قطيفة أو من مقولة إضافة الموصوف إلى الصفة فتكون بيانية دالة على خلودها وثباتها في دنيا نفسها أو للتميز عن جناتِ الدنيا ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً﴾ في علم اللّهِ والكتاب المبين واللوح المحفوظ ونفس الأمر الواقِع أو للإيماء والتلويح إلى التلويح إلى المحقق، والتحقق أن ما وعده الله تعالى كالمتحقق الواقِع جزاءً وعوضًا وصلة لأعمالِهم ﴿وَمَصِيرًا﴾ [الفُرقان: 15] مأوى صايرين إليهِ وينتقلون لديه تشريفًا وتعظيمًا لهم متميزين عن غيرهم.

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ١٦﴾

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ وكل بدونِ من أنواع النعم وأجناسِ اللذاتِ ومقتضى الكرم فيقصر كل جذب بما يليق به يشعر بأن كل المراداتِ حاصلة لكل واحد منهم لأنها دار السعادة والفرح فلو منعوا من المشتهياتِ لتغمموا وتحزنوا ووقفوا في الشقاوة والترح ﴿خَٰلِدِينَۚ﴾ دائمين فيها لما مر من أن الجنة دار السعادة والخلدِ فمن دخلها كان آمنًا من لحوق الشقاوة ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ الإدخال فيها والثبات والدوام لديها ﴿وَعْدًا﴾ من الله ﴿مَّسْـُٔولًا﴾ [الفرقان: 16] والوفاء تفضل محقق وإحسان صرف لا واجب لأنه فاعل مختار إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل فلو كان واجبًا لكان السؤال والطلب عبث، وسؤال الإنس والجن والملائكة مبني على أنه في حيز الإمكانِ لا الإيجاب والوجوب، ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا وغير ذلك من الأدعية المأثورة التي لا تشبه كلام الناس.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ١٧﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الملائكة والإنس والجن والنجوم والأصنام والأوثانِ والأهواءِ والآراءِ وغيرِ ذلك من الأشياء ﴿فَيَقُولُ﴾ الله لهؤلاء المخلوقاتِ وتلك الصور المنحوتات ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى﴾ وصرفتموهم عن طريق الحق ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الضالّين المضلّين ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الفُرقان: 17]

وفقدُ الدلائل الذي يوصِلُ إلى الحقِ من تلقاء أنفسهم على مقتضى رأيهم ومرتضاه.

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ١٨﴾

﴿قَالُوٓاْ﴾ المعبودون كل بلسان يناسبه وببيان يقاربه إشعار بأن الله عزّ وجل عالم بتمام أحوال العباد وعموم أطوار أهل البلادِ ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماءِ الآية ﴿سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ﴾ إلٰهًا موجودًا ونختار غيرك وسواك معبودًا ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الفرقان: 18] تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لأن بعضهم ملائكة وأنبياء معصومون مما أبعدهم عن الإضلالِ الذي هو مختص بإبليس وحزبه، أو نطقوا بسبحانك ليدلوهم على أنهم المسبِّحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق الإضلال بحالهم والإغواء بمآلهم، ثم قالوا: ما كان ينبغي ويصح أن يحمل غيرنا على أن يقولون دونك، وما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما يتوهم الكفار، وقال الله تعالى: أولياء الكفار يريد الكفرة وإنما نسب الإضلال إلى هؤلاء المعبودين لأنهم ما أرادوا عبادة الكفار إياهم ولا أمروهم بل الإضلال إنما هو فعل الشيطان بل فعل الرحمٰن كما قال: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف: 155] إشعار بأن الأفعال والأعمال والأحوال والأقوال كلها مستندة إلى اللّهِ، وإنّ ما سوى الله لا فعل ولا أثر بل لا تأثير لهم بل الكل أولًا وبالذاتِ وبالحقيقة لا موجود ولا وجود إلا الله مع الله كما صرح به قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور: 35]، ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 115]، ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [المائدة: 73]، ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ﴾ الخطاب في متعتهم للّهِ وجعلتهم ممتعين بأنواعِ النعم ومرتضياتِ أصنام الكرم ﴿وَءَابَآءَهُمۡ﴾ فتوغلوا في الاشتغال بتعاطي اللذاتِ البهيمية والمشتهيات النفسية والتعاطي إلى المألوفات الطبيعية الحسية فاغتفلوا ﴿حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾ ذكر الله والتذلل له والتفكر في نعمائه فتركوا المولى المنعم ﴿وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا﴾ [الفرقان: 18] هالكين في سابق قضائه وسابق قدرته وحكمه.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ في هذه الأعمال المذكورة والأطوار المسطورة ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ يا معشر الإشراك والكفر ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا﴾ في المحشر الأعظم أي رد العذاب ورَدّ العقاب عنكم ودفعه على قراءة الخطاب، وإما على النسبية فالتجرد راجع إلى الآلهة المعبودين ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ بأن يعينكم في دفع العذاب عنكم ورفع العقاب منكم ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ أيها المكلفون بإعانة الظلم وتهيئة أسباب إبطال حقيقة الحكم ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفُرقان: 19] في الدنيا وعقابًا كثيرًا في العقبى سواء كان كافرًا أو فاسقًا بقدر الظلم والفسق.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ من نوح وهود وثمود وإبراهيم وموسى وداود وعيسى ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ﴾ على مقتضى الطور البشري ومرتضى الدور القيصري ﴿لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ لإنجاح الآمال وإفلاح الأعمال، فلو كانت هذه الأعمال منافية للنبوة لما صدرت عنهم ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ محنة وشدة وغصةً وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ أي جعلنا بعضكم أيها الناس لبعض فتنة ليعلم الصابرين منكم ويظهر المتجرعون من الشاكرين وتميز كافر النعم من شاكر الكرم، ويطلب الصبر الجميل والشكر الجزيل، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: 127، 128] ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفُرقان: 20].

﴿۞ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [الفُرقان: 21] ولا ملجؤون ولا يرتجون شهودنا ومعاينتنا وشرف مشاهدتنا بالخير والكرامة ووفور الدر والسلامة يوم الجزاء ويوم

ميعاد عيان اللقاء لكفرهم وشركهم وإنكارهم يوم البعث، وأصل اللقاء وأصل الجزاء واللقاء من الملاقاة وهي الوصول وحضور المواصلة بالمأمول والرؤية والشهود وهي وصول الرأي وبالمرائي والطالب والمطلوب والمحب والمحبوب وشقاء القلوب لقاء المحبوب والظاهر هو الموصول إلى جزائه ولا يخافون لقائنا بالشر على كونها وجعلت الصيرورة إلى دار الجزاء بمنزلة اللقاء ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مقول القول أي لا ينزل علينا الملائكة لنحاول ونطلب منهم صدق محمد، أو اقترحوا وحاولوا أن ينزل الله عليهم الملائكة ليجزيهم بأن محمدًا صادق في دعواه أي حتى يؤمنوا به ويصدقوه ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفُرقان: 21] جهارًا وعيانًا فيأمرنا بتصديقه واتباعه ولا يخلو إما يكونوا عالمين بأنّ الله لا يرسلُ الملائكة إلى غير الأنبياء وإنّ الله لا يصح أن يرى كل أحد في تمام الأوقاتِ بتمام الحالات، وإنما علقوا إيمانهم بما لا يكون ولا يثبت يقينًا أو استكبارًا كما قال قوم موسى ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: 55] ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الفُرقان: 21] أي أضمروا الاستكبار عن الحق في نفوسهم تغنية وعنادًا كما قال: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر: 56].

﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفُرقان: 21] أي تجاوز عن الحد أو الظلم يعني أنهم لم نجردهم على هذا القول العظيم إلا لأنهم بالغوا في العناد وبلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو ونهاية الاستكبار، وفي نحو هذا الطور دليل على التعجب من غير أحقية التعجب ما أشدّ استكبارهم وما أكثر عتوهم.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ وملائكة الموت والعذاب نصه بإحدى أمرين: إما بإضمار اذكر يوم رؤية الملائكة أو بما دل عليها ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي يوم يرى الملائكة يمنعون البشرى أو بعد موتها ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا﴾ [الفُرقان: 22] عطف على المدلول ويقول الكفرة حيث هذه الكلمة ظنًّا منه إليه أن يمنع لقاءهم وهي ما كانوا يفعلون إلا عند لقاء عدوهم ونجوم جائحة مكروه، أو يقول له الملائكة يعني حرامًا محرمًا عليكم، أو البشرى وهي الصادر والغير المنصرفة المنصوبة بأفعال متروك

إظهارها نحو معاذ الله، وفورك عمرك، وهذه كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو أو هجوم جائحة وركوم خالجة ونزول بلية وغير ذلك يضعونها لموضع الاستعاذة لأن طالب من الله أن يمنع المكروه منه، فالمعنى ما سأل الله أن يمنع ذلك منعًا ويحجره حجرًا ﴿مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: 22] تأكيد كقولهم موت مائتٍ.

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوا من صلة رحم وإغاثة ملهوف وَقَرْي ضيف وأسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم، بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم على أسبابهم وقصد إلى ما تحت أيديهم فأفسدهم ومزقهم كل ممزق ولم يترك لهم أثرًا ولا عشيرًا ﴿فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفُرقان: 23] وهو غبار مرئي في شعاعِ الشمسِ يطلع في كوتي البيت عن الهواء وهو الغبار منثورًا صفته، شبه أهله المخبط في حقارته وعدم نفعه بالمنثور منه في انتشاره وتشتته بحيث لا يمكن نظمه أو تفرقه نحو أَراضهم أي كانوا يتوجهون نحوها أو مفعول ثالث.

﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ مكانًا ليستقر فيه في أكثر الأوقاتِ للإجلاس والتحادث ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفُرقان: 24] مكانًا يأوي إليه بالاستراحة بالأرواح والتمتع بمن يجوز له من مكان قيلولة على التشبيه والتمثيل أو لأنه لا يخلو من ذلك غالبًا ولا نوم في الجنة لا في الظهيرة وهي القيلولة أو في الليل.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ من التفعل حذفت إحدى التائين ﴿بِٱلْغَمَـٰمِ﴾ [الفُرقان: 25] بسبب انتقال الظل والغمام بأن يكون شرط الانشقاق وهو المذكور في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: 210] ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفُرقان: 25] في ذلك الغمام لتشقق السماءِ وتفتتها.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفُرقان: 26] أي الثابت له رجوع جميع الأشياء عليه ما صلته أو صفته والظرف معمول الملكِ لا الحق لتأخره عنه ﴿وَكَانَ﴾ ذلك اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفُرقان: 26] صعبًا شديدًا في الغاية.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ أو يضع فمه وأسنانه ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ ويأخذها من فرط الحسرة وشرط الندامة وكثرة التغابن والخسارة عض اليدين والأنامل والسقوط في اليد وأكل البنان كنايات عن كمال الغيظ والقهرِ وفرط الحسرة والندامة لأنها من لوازمها وروادفها.

قيل: نزلت في عقبة بن أبي معيط كان يكثر مجالسة رسول الله ﷺ، وقيل: اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله ﷺ فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عتبة قال: لا ولكن أبى أن يأكل طعامي وهو في بيتي فاستحييت فشهدت والشهادة ليست في نفسي فقال: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمدًا فلم تبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدًا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله ﷺ: «**لا ألقاك خارجًا من مكة إلا علوت رأسك بالسيفِ**» فقتل يوم بدر، أمر عليًّا كرم الله وجهه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن الأفلح الأنصاري وطعن رسول الله ﷺ أبيًّا المذكور يوم أُحد فرجع إلى مكة فمات، فلام الظالم يجوز أن تكون للعهدِ يراد عتبة صاحبه ويجوز أن تكون للجنسِ ﴿يَقُولُ﴾ للظالم ﴿يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفُرقان: 27] طريق الحق ورفيق الصدق.

﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ بالياء على الأصل للتمني ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفُرقان: 28] كناية عن الإعلام كما أن الحق كناية عن الأجناسِ بأن يريد بالظالِم عتبة وإن أريد به الحبشي لأن الخليل كان من المضلّين.

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي الخليل عن ذكر اللّهِ والقرآن والرسول أو موعظة، ويجوز أن يريد لفظة الشهادة والنطق بها وعزمه على الإسلام ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ الذكر والتحقق به ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الفرقان: 29] الذي اتخذه خليلًا ويجوز أن يكون المراد إبليس الذي حمله على مجالسة المضل ومخالفة الرسولِ، والجنس من الجن والإنس ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: 112] ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾ أي المولود الجني للمولود الإنسي ﴿خَذُولًا﴾ [الفُرقان: 29] ما يخذل ويذل كل من يصدق عليه إنسان، لبوث كمال العدد وإن بينهما لتخالف ربهما فإن الإنسان ومربيه هو الذاتِ يوصف النور والجمال ورب الشيطانِ ومربيه هو الذاتِ بوصف الظل والجلالِ.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى﴾ قريشًا من جانب الأب والأم التي هي الأنصار ﴿ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ والكتاب الذي أنزلت علي ﴿مَهْجُورًا﴾ [الفُرقان: 30] متروكًا مهملًا غير ملتفت إليه.

إشارة وتأويل

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي الأطفال القالبية النفسية، أو القوى الظاهرة الحسية لا يطلبون، فهو نور ذاتِنا والتجلي الذاتي والظهور الأحدي، أي الوجه الذاتي لكل شيءٍ يغاير الوصف والاسمي، قال لكل شيءٍ اسمي وفعلي وآثاري وجوهًا ذاتيًّا يظهر التجلي الذاتي والوجه الأحدي الذي يتضمن سائر الوجوه المذكورة بأن يصنع هذه الوجوه بالوجه الذاتي والعنوان الأحدي، لولا نزل علينا الملائكة أي حقائقها الذاتية وشؤوناتها الأحدية إشارة إلى تغاير مقتضيات الأطوار السبعة القلبية، فإن مقتضى طور القالبي والبدن الجسمي هذا التجلي يحلل الأحكام الشرعية بظاهِر الصلاة وهي الأفعال المخصوصة والأعمال المعصومة، والصوم وهو الإمساك مما سوى اللّهِ تعالى، والحج والزكاة والجهادِ وغير ذلك ومرتضى

الطور النفسي هو تزكية النفسِ عن مقتضيات النفس الشيطانية، وهي الإمارة والضلالة والإضلال وعن مشتهيات النفس السبعة وهي اللوامة ومقتضاها هي أجزاء الشهوات كالقهر والضرب والشتم وغير ذلك، وجذب المنافِع ودفع المضار، وعن مقتضيات النفس البهيمية وهي الشهوات الحيوانية، وكمالها وهو التحقق بالعدالة في الأفعالِ الإرادية الاختيارية وهي الطريقة، ومقتضى الضرر القبلي، ومرتضى الدور الغيبي هو التحقق بعلم اليقين لدى فعل بل القوة النظرية والعملية ومقتضى السري وهو على اليقين بأن أي شيء فعله وعلمه بعلم اليقين شاهد حقيقة ذلك الشيء بعين البصيرة.

واعلم أن الفاعل والمؤثر في الكونِ هو الله تعالى بأنه خلق الأجسام الفلكية والكواكب السيارة كما رأى إبراهيم الخليل بصورة القمر والشمس والكواكب الثابتة، وأما مقتضى الطور الروحي هو أن يشاهِد وجه اللّهِ ويرى دعاءه وذاته ومرآة الفعل والتكوينِ ويسمى التجلي الفعلي، سمي الأول تجلّيًا آثاريًا، وأما الطور الخفي فهو أن يشاهِد لقاء اللّهِ ووجهه بصور الأسماءِ والصفاتِ السبعة الذاتية، ويسمى التجلي الصفاتي والشهود الأسمائي، وأما مقتضى الطور الخفي وغيب الغيوب فهو أن يشاهد الذات الأحدي والوجه اللاهوتي بنفس الذاتِ ويسمى هذا التجلي الذاتي واللقاء الإلهي، وأما مقتضى الكمال الجمعي والجمع الكمالي فهو أن يشاهِد ثم شاهد لبدله في عالم العناصِر كما شاهد موسى بصورة النار في الشجرة، ثم شاهد الأجرام الفلكية والكواكب الثابتة والسيارة، هذه التجليات الجمعية الكون الجامِعُ والمظهر الكامل الواقع، وأنت خبير بأن اللقاء في هذه الصور ليس بمعنى واحدٍ بل بمعاني مختلفة وصور متغايرة، وقس سائر الآياتِ كلٌّ إلى ما يناسبها.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ مرسل صاحب كتاب وشريعة أولًا ﴿عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ فعاداه وأهانه وآذاه فصبر على ما آذوه والعدد يحتمل الواحد والجمع ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ [الفُرقان: 31] إلى طريق فهي علم ورفيق فهمهم وكسرهم

﴿وَنَصِيرًا﴾ [الفُرقان: 31] لأوليائه ومعينًا ومغيثًا وظهيرًا لأخلائه وأصفيائه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مطلقًا أو بمحمد وبما جاء إليهم ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أي هل نزل عليه القرآن والكتاب ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ ودفعة متحدة كالنورية وهو بمعنى أنزل كخبر بمعنى أخبر وهذا اعتراض لا طائل لحقه لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو متفرقة مع أن للتفريق فوائد منها ما أشار إليه الله بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما أنزلناه جملة واحدة وثبتنا فؤادك وسرك كذلك أنزلناه منجمًا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ وقلبك إذ في تكرار الوحي تنشيط للنفس وتطييب للقلب وتشريط للسر والغيب، وأيضًا إن لكل اقتضاء، وكذا أحوال أهل الزمانِ تختلف في الفهم والقبول، فحال عاشه من رزقه من غير حال محمد وأتباعه فقياسه على غيره وتسويته به باطل، والدليل على فساد هذا الاعتراضِ أنهم عجزوا من تحدي نجم واحدٍ من نجوم الكتاب، وكذا عجزوا عن أصغر سورة وأقصرها، فلا تفارق بين الصغير والكبير وبين الكل والبعض والطويل والقصير، فإنهم عجزوا عن الإتيان بالمثل عند التحدي والمعارضة والتحدي إلى المناظرة والمناقضة في هذا التبليغ، وأفيد للإشعار بأن نفس القرآن وأقل ما يطلق عليه اسم الفرقان معجزة لا نزولها جملة واحدة ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ﴾ وقدرناه آيةً بعد آيةٍ وسورة بعد سورة وإن كان أصغر من آيةٍ ﴿تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: 32].

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ [الفُرقان: 33] بحال أو صفة عجيبة وحال غريبة بأن يقولوا: هذا ظنك وحالك بأن يقرن بك ملك ينصرك الله ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: 123] ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [آل عمران: 124] الآية أو يرون الله جهرة، فأخبركم عن صدقه ونصره ألا يلقى إليك كره نحو ذلك ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ﴾ وأعطيناك من الأحوال ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الفُرقان: 33] بالحق لكم في حكمتنا وخشيتنا يعني أن تنزيله وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريقِ والتراتيل وأعجزهم من الإتيان بمثله أدخل في

الحجةِ والإقحام وأشمل في النفي والإلزام من أن يأتيهم بجملة واحدة، فالباعث على هذه الأسئلة الإضلال عن سبيلِ الحق ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33] أو كشفًا وبيانًا وموردًا وصورة ومعنًى.

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ ومناخرهم وجباههم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ قال النبي ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف على الدواب، وصنف على الأقدام، وصنف على الوجوه**»، مرفوع ومنصوب على الذم أو مبتدأ خبره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 34] والفضل عليه هذا الرسول.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: 35] معينًا وشريكًا في التدبير ونصيرًا وهو لأن في النبوة التي هي الدعوة إلى الحق وإعلاء لكلمة الحق والمشاركة فيها لا ينافي الاستقلال إن كان منفردًا.

﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ﴾ يا موسى وهارون ﴿إِلَى ٱلْقَوْمِ﴾ القبط ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وهم فرعون وأشباهه وهامان وأتباعه ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [الفرقان: 36] أي ذهب إليهم فكذبوهما فدمرناهم وأهلكناهم إهلاكًا لم يبق منهم إلا شرذمة قليلة، فذكر حاسبها أولها وآخرها لكونها من المقصودين من القصة بطولها أعني إلزام الحجة بتبعية الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾ أي نوحًا من قبله صريحًا وكان تكذيبهم لواحدٍ منهم تكذيبًا للجمع كإبراهيم فإنهم كذبوا الرسل بأسرها ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ أي إغراق ذلك القوم وقصتهم ﴿لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ [الفرقان: 37] وعبرةً لهم ﴿وَأَعْتَدْنَا

﴿لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفُرقان: 37] عطف على هم في جعلناهم أو على محل الظالمين.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ قوم يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيبًا فكذبوه وأصحاب آثار وسواس، فدعاهم إلى الإسلام والتوحيد، ثم تمردوا وتمادوا إلى طغيانهم وإيذائه، والرس هو البئر غير المطوية. قيل: هو قرية ببلح اليمامة والنهر الصغير فاقتتلوا بينهم فهلكوا وهم بمعية ثمود قوم صالح قيل هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء أي أعظم ما يكون من الطير، سميت به لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح وهوى ينقض ويهوي على صبيانهم فيخطفهم إن أعوذت الصيد، فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم أنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا قيل هم أصحاب الأخدود والرس هو الأخدود قيل: هو نبي مالطا قتلوا فيها حبيب النجار وكذبوا بهم وقتلوا أوس بني دوسره ﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفُرقان: 38] قد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم نسب بذلك الحسب الحاسب أعدادًا متكاثرة ثم يقول كيت وكيت على معنى فلعلك المحبوب أو المعدود الذي لا يعلمه إلا الله.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ مبينًا القصص العجيبة والحصص الغريبة من قصص الأولين ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفُرقان: 39] معيبًا أو كثير من التبر وهو كسائر الذهب والفضة والزجاج، وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضمير بناء وهو أنذرنا وأحذرنا، والثاني تبرنا لأنه فارغ له.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ﴾ بنو قريش مروا مرارًا كثيرة في متاجرهم إلى الشام ﴿عَلَى﴾ ملك ﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ﴾ هلكت بالحجارة ﴿أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفُرقان: 40] أهلكت بالحجارة النازلة من السماءِ والقرية أي سدوم من قرى قوم لوط وكان خمسًا

أهلك الله أربعًا بأهلها وتثبت واحدة ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾ ينظرون إليها نار عذاب الله ونكال فأثار عقاب الإله في مرار مرورهم ومدار أرماهم وهودهم، ويتفكرون في أحوال الهالكين وآثار استئصال المالكين ﴿بَلْ كَانُوا۟﴾ قومًا كفرة وقومًا فجرة ﴿لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: 40] ولا يعتقدون بعثًا ولا حشرًا وحشورًا.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي لا يتخذونك يا محمد وقت الرؤية إلا سخريةً وهزوًا قائلين مستحقرين ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفُرقان: 41] وأرسله دليلًا وهاديًا ورسولًا ونبيًّا مشيرًا إلى النبي ﷺ فإنّ الأولى للنفي والثانية هذه.

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ مخففة بدليل اللام أي الشأن إن كاد ليضلنا عن عبادة ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ خيفة وعدمًا وحقيقةً وعدًا ﴿حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ ويعاتبون أنواع العذاب ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفُرقان: 42] مفعول يعلمون وكالجواب عن قوله (إن كاد ليضلنا)، لأن نسبة رسول اللّهِ ﷺ إلى الضلالِ من حيث إنه لا يضل غيره إلا من هو ضالّ في نفسه.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ بأن أطاع تكليفه وطاوعه بعموم قوته وهجوم همته ووفور نيته وأنيته ونسي الله ونبذ عهده وراء ظهره ولا يكونوا كالّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ﴾ أي على عابد الهوى وقائد النفس إلى البغي والغوى ﴿وَكِيلًا﴾ مخبرًا ووليًّا مجبرًا على دينِ الحقِ وطريق الإسلام وسبيل العدل والصدق ويقول: لا بدّ أن يسلم فهديتنا أو أتيت تنويرًا فليس على الأنبياء والأولياء أو العلماء باللّهِ إلا البلاغ والتبليغ لا الإكراه والجبر ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: 256].

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ منقطعة بمعنى بل أي بحسب هذه المدن أشد منه التي تقدمت حتى يقدم الإضراب عنها إليها وهو كونهم سلوك العقول والأسماع لأنهم لا يلقون إلى الاستماع والإصغاء ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ لكمال إهلاكهم في الضلالة وانغماسِهم في الغباوة والكسالةِ وانسلاكهم في الكلالة فإذا استحقوا الإضراب إلى ما هو نهاية في الغباوة والضلالة والغواية ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 44].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ أي كيف خلق السماوات والأرض وجعل الشمس ضياءً والقمر نورًا وكيف مدّ ظل الأرض مذكرًا بهما وكذا جعل لكل نور ظلمةً ولكل ظلمةٍ ظلًّا، الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ﴾ الظل ﴿سَاكِنًا﴾ بتسكين النيرات وإطفاء المنيرات، وإن لكل نور ظلًّا دائرًا معه دوران العلة مع المعلول أو الدال والمدلول وجهدًا وعدمًا ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفُرقان: 45] دالًّا على أن الشمس أصل وإن سائر النيراتِ فرع سواء كان نجومًا وكواكب ونيرانات كما ذهب إليه جماعة أرباب تنجيم جلال أنوار تمام الكواكب مقتبسة من مشكاة الشمس يعاضد هذا الرأي إن الكواكب يحملها والنجوم بكليتها لو اجتمعت لكانت أنوارها ضعافًا مضاعفة من نور الشمس وضوئها مع ما لا يفيد النهار ولا يعيد الأنوار إلى الأبصارِ، ويجوز أن يحمل الظل على ظلمة عالم الإمكانِ الذاتي والشمس على الوجوب الذاتي، ولو شاء الله لجعله أي صير وجود الممكنات شائعًا باقيًا وكاتبًا على عدميتها الأصلية وأحديتها الأزلية.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ ورجعنا البناء ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفُرقان: 46] أي متدرجًا

قليلًا قليلًا أي شيئًا فشيئًا على سبيل التدريج كما كان التكوين كذلك وكما يقرر من أن مراتب الكون مراتب الفساد إشعارًا بأن تكون الأعيان العقلية وإيجادها وخلقها تدريجي، الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وأن الأعيان العلمية التي في الحقيقة أي الوجودات الفعلية الدفعية تساوي نسبة الأعيان وإضافة الأكوان كلها إلى العلم والوجود الأحدي.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ الذي هو أول الظل وأقدمه ﴿لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ﴾ وهو تعطل عمال الحواس الظاهرة عن الأعمال البدنية وركودها عنها ﴿سُبَاتًا﴾ معطلًا عن الأعمال المذكورة مأخوذ من يوم السبت الذي فرغ الله فيه عن إلحاد العالِم وحلله، إذا ابتدأ كان يوم الأحد ويوم الجمعة فيه خلقة آدم وتكوينه بعد العصرِ كما ورد في الحديث، ولذا أخذ اليهود يوم السبت عطلة لاشتغال المسلمون يوم الجمعة، والنصارى يوم الأحد ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفُرقان: 47] لاكتساب أسباب المعاشرة السبت في الأصل والقطع والموت.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ قرئ الريح ﴿بُشْرًۢا﴾ بسكون الشين المعجمة وبشرًا بالضم الباء والشين جمع بشور وبشرى قرئ بالنون وسكون الشين وتخفيفه بشرًا وهي جمع يعني الإحياء ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾ استعارة أي إقدام المطر ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفُرقان: 48] بليغًا في الطهارة بأن يكون في نفسه طاهرًا ومطهرًا لغيره والطهور على وجهين في العربية صفة واسم، فالصفة قولك: ماء طهور وطاهر وقولك: لا يتطهّر به طهور بفتح الطاء كالوضوء والوقود لما يتأمن به ويتوقد به النار.

﴿لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ بمعنى بلد لوجوب الطباق بين الصفة والموصوف فلأنه غير جار على الفعل جرى مجرى الجامدة ﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾ [الفُرقان: 49] بالفتح

والضم للاسم لغتان، وقيل أي سقاه جعله سقيًا أي يسقى من الماءِ ﴿مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا﴾ ومن يحتمل البيان والتبعيض صفة لأنعامًا أو حال مقدم ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [الفُرقان: 49] جمع أنس أو إنساني شرط إلى طريان على قلب النون والأصل أناسين وطرابين، قرئ بالتخفيف بحذف باء أفاعيل كقولك: أناعيم وأناعِم.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ﴾ أي وصرفنا وبينا وحولنا هذا القول بين الناسِ في القرآنِ وسائر الكتب والصحف المنزلة وهو ذكر السحاب وإنشاء بالمطرِ وإنزال القطر ليتفكروا ويعتبروا، أو المطر أو الفرقان ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ ويتفكروا فعرفوا بكمال القدرة وحق النعمة في ذلك أو استقاموا في أداءِ حقوقها وتأدية الشكر لحوقها أو ليعتبروا بالعرف منهم وإليهم ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان: 50] أي كفران المنعم وجحوده وقلة الاكتراثِ لها قيل: صرفنا المطر إليهم في البلدانِ المختلفة والأوقات المتغايرة على الصفات لا المتفاوتة من وابلٍ وطلٍّ وجودٍ ورذاذٍ وديمةٍ ودهام قالوا: إلا الكفور وأن تقولوا المطر ما في نوء ولا يذكروا كمال قدرته وعموم صفته وهجوم رحمته. عن ابن عباسٍ رضي الله عنه: ما من عام أقل مطرًا من عام لكن قسم ذلك بين عباده على من يشاء، أو تلا هذه الآية. روي أن الملائكة يفرقون عدد المطر ومقداره في كل عامٍ لأنه يختلف فيه البلاء وشرع من هاهنا.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا﴾ وأرسلنا ﴿فِى كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ نبيًّا ﴿نَّذِيرًا﴾ [الفرقان: 51] ومنذر أو لو شئنا لخففنا عنك، أغناه بدار جمع القرى لبعثنا في كل قرية، وإنما قصرنا الأمر عليك وعطفًا بك وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقاتل ذلك بالتشديد دون النصر.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ فيما يريدونك ويحملونك عليه ﴿وَجَـٰهِدْهُم﴾ وقاتلهم ﴿بِهِۦ﴾ بالقرآنِ وبمقتضى ما فيه من الأوامرِ والأحكامِ ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفُرقان: 52] وأعدوا له عددًا كثيرًا وبترك الطاعةِ الذي يدل عليه ولا تطع، والمراد

أن الكفار يجدون ويسعون ويجتهدون في توهين أمرك، فقاتلهم من جدك واجتهادك، وعضك نواجذك بما تغلبهم وتعلوهم به، وجعله جهادًا كبيرًا لما يحتمل فيه من الميثاق العظيم، ويجوز أن يرجع الضمير في به إلى ما دل ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 51] من كونه نذير كافة القرى لو بعث في كل قرية نذيرًا لو جعلنا على كل نذير مجاهدةً قريةً فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها فكان جهاده من أجل ذلك وعظم له مجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادًا كثيرًا جامعًا لكل مجاهدة.

﴿۞وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ الماءين الكبيرين الواسعين ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ البليغ حتى يضرب إلى الحلاوة ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ بفيض القرآن، ومزجهما اختلاطهما، متجاورين متلاصقين، وهو بكمال قدرته يفصل بينهما، ويمر أجزاء أحدهما عن أجزاء الآخر ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ [الفرقان: 53] حائلًا وحدًّا فاصلًا مانعًا من الامتزاج لقوله عز وجل: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان: 10] أي عن مرتبة ﴿وَحِجْرًا﴾ منعًا مانعًا ومنافرًا دافعًا، كان كلًّا منهما بقول الآخر ما يقول الآخر لكان كل واحد من البحرين يغمر ذمة صاحبه ويقول له حجرًا ﴿مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: 53] كما قال: ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: 20] أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة وابتغاء البغي كالتفوق ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه وهو يتعوذ منه أي من جنس الاستعارات وأشهدها على كمال البلاغة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ أي الذي خمر به طينة آدم أو جعله جزءًا من مادية البشرية ليجتمع وليسلسل وينتقل من الأشكال المتقاربة والهيئات والأمثال المتناسبة ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ يعني قسم البشر قسمين ذوي نسب أي ذكور نسب إليهم فيقال: فلان وفلانة من بنت ذوي صهر أي إناثًا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: 39] ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 54]

حيث جعل من النطفة واحدة بشرًا نوعين ذكرًا وأنثى.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ يعني الأصنام المنحوتة الموصوفة والأوثان المصنوعة ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفُرقان: 55] يظهر، والمظاهر كالمعين والمعاون، يعني أن الكافر يُظاهر السلطان على ربه بالعداوة والشرك، روي إنها نزلت في أُبي بن كعب ويجوز أن يريد بالظهير الجماعة كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: 4] أو يريد الكافر فإن بعضهم مظاهر لبعضٍ على إطفاء نور اللّهِ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الصَّف: 8].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين الموحدين بالجناتِ ودرجاتِ شهود التجليات ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الفرقان: 56] للمشركين والعاصين بالسعير والدركات.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على التبليغ والإبلاغ ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ وثواب وصلة وعوض ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الفُرقان: 57] يتوسل به إليه ويتوصل له لديه.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى﴾ القادر ﴿ٱلْحَىِّ﴾ القيوم ﴿ٱلَّذِى﴾ لا ينام ﴿لَا يَمُوتُ﴾ ولا يغيب ولا يفوت ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ﴾ [الفُرقان: 58] أي باللّهِ يمحو الذنوب من عباده فإن كونه حيٍّ بلا موتٍ وحاضرًا كيف شاهد بلا غيبةٍ وقوف حقيقي بأن يتوكل عليه وشفيق يغفر ذنوب العباد كلها دون غيره ﴿خَبِيرًا﴾ [الفُرقان: 59] عالمًا بالأشياءِ كلها ظاهرها وباطنها بأحوالها الكلية.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾

و﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وتخصيصه به لكونه عددًا كاملًا لتساوي كسوره بأصله ٩٩٣٣١ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قد سبق الكلام في بيانِ هذا المقامِ في شرح هذا المرام ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبر الموصول وإن جعلته صفة حيّ يكون المبتدأ محذوفًا ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفُرقان: 59] أي عما ذكر به من سر العددِ واختياره وعن كيفية الاستواء على العرشِ بحقيقته حال كونه عالمًا بحقائق الأشياء ظاهرةً وباطنةً وبخواصِها اللازمة والبارئ به صلة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ الذات الواجبة الفياضة الموجودة المادة لظله على السماوات والأرض وعلى ما فيها وعليها ﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ يجوز أن يكون سؤالًا عن المسمّى لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال من المجهول إنما يكون بـ(ما) الشارحة للاسم والمسمى، ويجوز أن يكون سؤالًا عن معناه لأنه لم يكن مستعملًا في كلامهم ولغتهم كما استعمل الرحم والرحوم والراحم أو لأنهم أنكروا إطلاقه على اللّهِ لما علمت في صدر الكتاب إن رقة القلب والاستعطاف يجب تنزيه الله تعالى عنهما لأنهما من خصائص الأجسامِ المركبة فإطلاق الاسم على اللّهِ إنما يكون بحسب الغاية دون اللغة وغاية رقة القلب إنما هي الرحم والعطوف والتفضل والإحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها من الحنين ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ يا محمد أو يأمرنا المسمى بالرحمن ﴿وَزَادَهُمْ﴾ الأمر بالسجود على الرحمة ﴿نُفُورًا﴾ [الفرقان: 60] وبعدًا وتنفيرًا على الأعيانِ باللّهِ بالتوحيد.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ التاسع وهو العرش الرحماني المسمى بالقدس الأطلسِ وبفلك الأفلاك ﴿بُرُوجًا﴾ [الفرقان: 61] أي حقائق البروج الإثني عشر وهي حمل وثور وجوزاء وسرطان وأسد وسنبلة وميزان وعقرب وقوس والإحدى

دلو وحوت، أما صور هذه البروج فإنه يكون في القلوب الثامنة المسمى بالركي وهو محل الكواكب الثابتة على الشهود وقد وقع على منطقة الفلك الثامن وهي فكرة عظيمة مرت على منتصف هذا الفلك وتقاطعت منطقة الفلك الأعظم، وهي أيضًا دائرة عظيمة تدمرت على منتصف الفلك التاسِع على نقطتين متقابلتين يقال لأحدهما الحمل والأخرى الميزان، وتسمى هذه الدائرة بمعدل النهار.

فالنصف الواقع من فلك البروج شماليًّا من معدل النهار من الحمل إلى الميزان على التوالي على الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة، والأخرى وهو الميزان إلى الحمل جنوبي على الترتيب المذكور أعني الميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ومنها الأسامي قد أخذت من وضع الكواكب الثابتة الواقعة على منطقة البروج فصور البروج المأخوذة من الكواكب الثابتة ينطبق على حقائقها الثابتة في الفلك الأطلس في الفطرة الأولى فإن تحركت منطقة البروج بالحركة البطيئة بأن يقطع في كلامه نسبة درجة واحدة أو في سبعين أو في ستة وستين سنة بدرجة واحدة.

فعلى هذا تنتقل صور البروج عن المحاذاة فبعد برهةٍ من الزمانِ كما في زماننا هذا يظهر الانتقال والتبدل في الكواكب الثابتة وصور البروج المأخوذة من الكواكب كما حكم المنجم بأنّ المشتري والزحل والمريخ قد انتقل من الحملِ إلى الثور أو من الميزان إلى العقرب أو من العقرب إلى القوس ونحن نشاهد إنه ليس كذلك فيعود زمان قد ينتقل وذلك لأن الحساب إنما هو بالنسبة إلى حقائق البروج لا صورها لأنها ثابتة والصور متنقلة فقسموا البروج بالنسبة إلى الكواكب فابتدؤوا بالشمس والقمر لاشتهارهما كما أشار إليه بقوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفُرقان: 61] فخصت الشمس بالأسد وجعلوا الأسد منالها وجعلوا السرطان بيتًا للقمر فجعلوا العطارد بيتان:

أحدهما: من حيز بيت الشمس وهو السنبلة.

والثاني: من حيز بيت القمر وهو الجوزاء ثم جعلوا ليلتين وحيز الشمس هو الميزان والآخر يلي حيز بيت القمر وهو الثور وثم جعلوا للمريخ بيتين أحدهما: من بين حيز مكانِ الشمس وهو العقرب والثاني: من بين بيت القمر وهو الحمل وهذا للمشتري والزحل، فأصل بيت الزحل أحدهما بالآخرِ وهو الجدي والدلو

ولذا صار صاحب غالبًا رفيقًا حاكمًا على الكل ظاهرًا وباطنًا وكان مربوبًا أفضل أشخاصِ الإنسانِ وهم الأنبياء والأولياء والحكماء الإلٰهية والملوك والسلاطين رفيع القدر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ من الشمس والقمر أخذت من خلفة كالركبة من ركب وهي الحالة يخلق عليها الليل والنهار كل واحدٍ منهما الأخرى أي جعلهما ذوي خلفة أي عقبة يعقب أحدهما الآخر يقال الليل والنهار يختلفانِ كما يقال يعقبان ومن اختلاف الليل والنهار ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ ينظر في اختلافهما ويتذكر منهما ويعلم به كمال قدرة خالقهما ووفور عاطفته وعموم رحمته بأن جعل وجود الليل والنهار واختلاف أحوالهما مبدأ لاكتساب أمور المعاش واختلاف أسباب السعادة الأخروية والمعاد فإن عمله أنواع النعم ووفقه لأداء شكره ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفُرقان: 62].

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ وأرادوا مبتدأ وخبر في آخر الآية قالوا سلامًا، والهون هو الرفق واللّين والتواضع للمؤمنين هينون لينون الحديث يعني يمشون على وجه الأرضِ في سكينةٍ ووقارٍ وتواضعٍ لا يضربون بأقدامهم لا يخفقون تبعًا لهم أشرًّا وبطرًا، وذكره لبعض العلماء بالركوب في الأسواق ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ في الطريق والتفتوا إليهم ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفُرقان: 63] تسليمًا منكم، وإذا قالوا وتكلموا قالوا سدادًا والمراد بالجهل هو التبعية قبل آية القتال إلا أن ترك المقابلة ورفض التعرض والقائلة مستحسنة في طور المردة وقاعدة الأدب في الشريعة وأسلم لحفظ العرض ووقع الغرض.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفُرقان: 64] في الصلاة المترتبة

خلاف الظلال وهي أن يهلك الليل، وأصابك في أي مقام كأن نمت أو لم تنم يعني من قرأ شيئًا من القرآن في صلاة وإن قلّ فقد مات ساجدًا وقائمًا، قيل هي ركعتان قبل المغرب وركعتان بعد العشاء، والظاهِر أن المراد هو إحياء الليل بالطاعة والعبادةِ وتلاوة القرآن والذكر والفكر وإن قلّ، يقال فلان يظل صائمًا ويبيت قائمًا.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ﴾ وغيِّر وحول ﴿عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾ [الفُرقان: 65] وإنما أردف إحياء اللّيل وعقبه بذكر دعوتهم هذه إيذانًا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون خاشعون إلى الله صرف العذاب كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: 60]، ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفُرقان: 65] لازمًا ملاصقًا ومنه الغريم لملازمته إشعارًا بعدم الاعتداد بالعذاب والاعتماد على الطاعات.

﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦﴾

﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الفُرقان: 66] في حكم ثابت فيها ضمير منهم مستقرًّا يعينه والمخصوص بالذم محذوف معناه ﴿سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ هي أي جهنم، وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم إن وجعلها خبرًا لها ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أخربت وفيها ضمير اسم إن ومستقرًّا حال أو تمييز والتعليلات يصح أن يكونوا متداخلين مترادفين وأن يكون من كلام الله وهو قوله: ﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفُرقان 65].

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾

وحكاية لقولهم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفُرقان: 67] وسطًا بعيدًا بين الإفراط والتفريط.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وبدا منهم التوحيد في كل الأحوال وتمام الأوقات في مشاهدة كثرات التجلياتِ الذاتية والصناعية والأفعالية والآثارية، والصورة الجمعية إشارة إلى نقاوة أحوال أرباب الكشف والشهود وأصحاب المعارف والإدراكاتِ والعلوم فإنّ منهم من يصرف الهِمم، وأكثر التوجه إلى مشاهدة كثرات المظاهر وتنوعات المرايا والمجالي وإلى السيران والطيران فوق العرش وما تحت العرش، وفي الملكوت والجبروت في الأدوار الإلٰهية والأكوار الغير المتناهية، وهم في مشاهدة التوحيد الذاتي والصفاتي والأفعالي والآثاري والصورة غافلون وكذا العلماء الربانيون والحكماء المتألهون وأن يبتغوا فنون العلوم الحكيمة وهم عن إدراك سر الوحدة والتوحيدات المذكورة غافلون، وإن صعلوكًا من صعاليك مضمار التوحيد في اتباعه من ساعات الليل والنهار لم يغفل عن شهود التوحيد في أكثر الأحوال وليس من مقاصِد الإلٰهية بل القصد الأقصى والطلب الأعلى والدرجة العليا هو أن يشاهِد في جميع الكثراتِ الإلٰهية والكونية فردًا فردًا جمعًا وأفرادًا ومعًا جميع الأدوار والأكوار الذات مع جميع الأسماء والصفات الذاتية والأفعالية والأقوالية والصورة الجمعية بحيث لا يشغله شأن عن شأنٍ في زمانٍ بل في آنٍ من الآنات وعجائب الحالات هذا العارف الموحد المتحقق وغرائب حسن أحواله لا تكاد تنحصر لا يعلمها إلا الله والغائصون في بحار التحقيق والتحقق ﴿وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ الإثم والفعل المحرم ﴿يَلۡقَ أَثَامًا﴾ [الفُرقان: 68] ويلحق معصية وجزمًا وفعلًا.

﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ بدل من يلق فيكون في حكمه لفظًا ومعنى وكون عذابه مضاعفًا لاقتراف صاحبه أعظم الأيام داء ثم المعاصي والفواحش والإجرام، ولذا قارن بالخلود ﴿وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ﴾ وتثبيت ﴿مُهَانًا﴾ [الفُرقان: 69] حال من فاعل يخلد من الإهانة وهي التحقير.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ من تلك الآثام والفواحش ﴿وَءَامَنَ﴾ [الفرقان: 70] حق الإيمان وأذعَنَ كمال الإذعان وبلغ درجة حقيقة الإيقان في إيقان وهو حق اليقين ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحِجر: 99]، ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ مقرونًا بكمال الإخلاص ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: 70]، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هُود: 114] أتبع السيئة الحسنة تمحها وكان الله غفورًا رحيمًا، ومن يأت في مقام النفس وعمل صالحًا بدنيًّا ونفسانيًّا، أما الباطن فهو الصلاة والصوم والحج والزكاة والجهاد، فالأولان يعملن الفقر والغنى، فالحج والزكاة بالأغنياء، وأما الجهاد فهو تارة يعم الكل وتارة يختص بالبعض. وأما النفساني فهو باعتبار المبادئ أربعة: عفة وشجاعة وحكمة وعدالة، ولكل واحدٍ من العفة والشجاعة والحكمة طرفانِ وهما الإفراط والتفريط يتولد من كل منهما أعمال كثيرة سنة، أما الذي يتولد من العفة وهي ملكة ناسخة وصفة راسخة بالنفس يقتدر بها حافظها عن الأفعال القبيحة والأفعال الغير المرضية صريحًا شرعًا وعقلًا وعرفًا، فهي اثني عشر فضيلة: الحياء، الرفق، حسن الهدى، المسألة، والدعة، الصبر، القناعة، الوقار، الورع، الانتقام، الحرية، السخاء.

أما الحياء: فهو انحصار النفس ومحافظتها وإحضارها عن ارتكاب القبائح حذرًا عن استحقاق المؤمن وهي شطر الإيمان لقوله عليه السلام.

أما الرفق: فهو انقياد النفس لأمور تحدث من طريق الشرع وتسمى دماثة أيضًا.

أما الهدى: فهو أن يحصل في النفس لتكميلها رغبة صادقة وقد أسماها الثقة.

أما المسألة: فهي أن يملك زمام النفس عند تنازع آرائه المباينة لأن يحملها على طريق مستقيم موصل إلى الحقِ.

أما الدعة: فهي أن تكون النفس ساكنة وقت هيجان الشهوة ويملك زمام نفسه.

أما الصبر: فهو أن يقاوم من النفس الهوى كي لا يصدر عنها مطاوعة اللذات القبيحة.

أما القناعة: فهو أن يقنع بما يوجد من الأكل والمشارب والملابس والمساكن الضرورية من أي جنس أنفق ويسد الخلل.

أما الوقار: فهو أن النفس لا تضطرب عند الانبعاث إلى تحصيل المطالب وأن لا يستعجل لدى التوجه إلى تهيئة أسبابها بشرط أن لا يفوت المطلوب عند التأني، قال النبي ﷺ: «**التأني من الرحمٰن والعجلة من الشيطان**».

أما الورع: فهو ما يلازم النفس من الأعمال الصّالحة بلا تقصير وفتور وتقتير.

وأما الانتقام: فهو أن يصبر ويحفظ تقدير الأمور المهمة على وجه الوجوب وحسب المصالح وترتيبها ملكة.

وأما الحيرة: فهي أن تصير النفس متمكنة في اكتساب المال من وجوه المكاسب الجميلة وأن يصرف في المصارف المحمودة ويجتنب عن الاكتساب في الوجوه القبيحة وعن الصرف إلى المحامل المذمومة.

أما السخاء: فهو أن يسهل إنفاق الأموال وسائر المقتضيات قدر ما ينبغي، وإن قدر المتحقق أن يقدر الطاعة الإنسانية. وتحت السخاء يندرج أنواع أخر وهي ثمانية: الكرم، العفو، المروءة، النبل، المواساة، السماحة، المسامحة.

أما الكرم: فهو أن يسهل عليه إنفاق الأموالِ الكثيرة في أمور يكون نفعها عامًّا وعظم أمرها على وجه يقتضي المصلحة.

أما الإيثار: فهو ما يسهل على النفس ترك ما يحتاج إليه خاصةً على وجه شخص يكون استحقاقه لديه ثابتًا.

أما العفو: فهو ما يسهل على النفس ترك الملذات مع طلب المكافأة الحسنة مع أنه كان قادرًا على إجراء المحاذاة بدل حسنة «**بني الإسلام على خمسة: التواضع عند الدولة، والعفو عند المقدرة، والسخاء مع القلة، والعطية بغير منّة، والنصيحة عند العامةِ**».

أما المروءة: فهي أن يحصل عند النفس رغبة صادقة على التجلي بالرتبة

ويدل ما لا بد بالزيادة على ذلك.

أما النبل: فهو أن تنتهج النفس على ملازمة الأفعال الحميدة والأعمال السنية.

أما المواساة: فهي معاونة الأصحاب والأخلاء والمستحقين في المعيشة وأن يشاركهم فيها.

أما السماحة: فهي بدل النفقة لطيب النفس بما ليس الواجب عليها بذلها.

أما السماحة: فهي ترك النفقة بما ليس تركه واجبًا بطريق الاختيار ورقيق الاختيار.

وأما جنس السخاوة فالفضائل المندرجة تحتها أحد عشر: كبر النفس، النجوة، وعلو الهمة والثبات، الحلم، السكون، الشهامة، التحمل، التواضع، الحمية، الرقة.

أما كبر النفس: فهي التي لا يبالي النفس ولا يلتفت إلى الكرامات والهوان وأن لا يعثر باليسار وعدمه وأن يقدر على الأمور الملائمة وغير الملائمة.

أما النجوة: فهي التي تكون النفس واثقة في ثبات نفسها ولا يدخل عليها في تلك الحالة لا خوف ولا جزع ولا يصدر عنها حركات مضطربة غير منتظمة.

أما علو الهمة: فهي أن تلتفت النفس إلى السعادة لا إلى الشقاوة الدنياوية ولا يستبشر بسعادتها ولا يتفجر من شقاوتها ولا يخاف من فخامتها حتى إنه لا يبالي من الموتِ.

أما الثبات: فهو أن يكون للنفس قوة وهي تقاوم عروض الشدائد وتتحمل نزول الحوادث الزمانية ولا يتفجر منها ولا يتألم عنها.

أما الحلم: فهو الذي يطمئن صاحبه ويتوفر بملكه بحيث لا يحمله غضب ولا مكروه بسهولة.

وأما السكون: فهو الذي لا يعرض صاحبه في الخصومات والحروب خفة الاستخفاف ولا طيش ولذا سمي يوم الطيش حتى للحرمة.

أما الشهامة: فهي التي تكون النفوس حريصة على إفناء الأمور العظام ابتغاء الرفع والذكر الجميل.

أما التحمل: فهو الذي يجعل بالنفس به الآلات البدنية متقاعدة عن الأعمال البدنية طلبًا لاكتساب الأمور الشرعية.

أما التواضع: فهو الذي لم يجعل صاحبه لنفسه منزلة بالنسبةِ إلى عموم الخلقِ سيما إذا نظر إلى بني نوعه وأقرانه.

أما الحمية: فهي التي لم يتهاون في محافظة الملة والدين أو الحرمة عن أمورها من فطرة.

أما الرقة: فهي التي تناثرت النفس عن مشاهدة آلام أبناء جنسه وغيرهم ويحصل في نفسه رقة وترحم من غير أن يقع في أفعاله تصور.

أما أنواع الفضائل المندرجة تحت جنس الحكمة التي كانت مشهورة منبعثة: الذكاء، والفهم، وصفاء الذهن، وسهولة التعلم، وحسن التعقل، والحفظ، التذكر.

أما الذكاء: فهي ملكة للنفس يحصل بها سهولة استخراج النتائج من المقدمات.

أما سرعة الفهم: فهي أن تصير الانتقال من الملزومات إلى الكلام ملكة.

أما صفاء الذهن: صفاء يحصل للنفس استعدادًا لاستخراج المطلوب ويحصل بلا كلفة ومزيد تكلف.

أما سهولة التعلم: فهو ما ينتهض بالنفس لاكتساب الفضائل واجتلاب الفضول وتعلقهما مشقة.

أما حسن التعقل: فهو أن يراعي في البحث والاستكشاف عن حقائق الأشياءِ مقدارًا ينبغي ويحفظ قدرًا من غير أن يهمل من الداخل شيئًا ويصير من الخارج، وتلك المعاني المجردة وترتيبها.

أما أنواع الفضائل المندرجة تحت العدالة فاثني عشر: الصداقة، الإلفة، الوفاء، وصلة الرحم، والمكافأة، وحسن الشركة، وحسن القضاء، والتودُّد، والتسليم، والتوكل، والعبادة، فحسن الأفعال والأعمال الصالحة مما يحصل إذا حصلت الأجناس الأربعة المذكورة مع فروعها المسطورة للنفس والحركات وتجنيب النفس عن نقائص هذه الفضائل وهولها والاجتناب عن نقائصها لا يتأتى

إلا في أزمنة متطاولة وقرون متنازلة كما سأل منصور الحلاج عن إبراهيم الخواص: أين تروض نفسك؟ قال: في مقام التوكل منذ ثلاثين سنة، قال: قد ضيعت عمرك يا بطال فأين أنت من الفناء في اللّهِ والبقاءِ باللّهِ وشهود التجليات الذاتية والأفعالية والآثارية والصور الجمعية، فالأمر في غاية الصعوبة ونهاية الإشكال، فإن حصول الحالات والوصول إلى المقاماتِ والعروج إلى سماء شهود التجليات الإلٰهية المذكورة ومشاهدات اللطائف الربانية لا يتيسر لأحد بدون تبديل الأخلاق، والجنسين والأوصاف كما علمت في غاية العسر، وإذا ذهب بنو إسرائيل إلى امتناعه وقالوا: أن تبديل الخلق هو تغيير الخلق.

فأقول بعون اللّهِ تعالى وحسن توفيقه وحصول محبته الذاتية كما يشير إليه بقوله تعالى: «**لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وبي ينطق**» فالعبد إنما يتقرب إلى اللّهِ ويشهد لقاءه إذا قربه الله، فإذا قربه إليه محى الله عنه صفاته وأخلاقه وأوصافه الذميمة والحميدة، وأفنى ذاته وصفاته وأفعاله وأخلاقه في ذاته وصفاته وأفعاله وأخلاقه فحيث يصير العبد في نفسه مجردًا عن الوجود وتوابعه فيشهد الحق بالحق عند ارتفاع الحجب الإلٰهية النورانية والظلمانية، إن لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره، وأيضًا: «**أن طين أهل الله إنما هو من طين الجنة وطين سائر الخلق من طين الدنيا**». قال النبي ﷺ: «**إن الله تعالى خلق الفقراء من طين الجنة والأغنياء من طين الدنيا**».

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ٧١﴾

﴿وَمَن تَابَ﴾ ورجع وأناب إلى اللّهِ يتقرب لله بشهود التجليات المذكورة ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الفُرقان: 71] ويرجع من أرض العبودية في مقام النفس والصور إلى سماءِ الألوهية في طور الفؤاد والسر ويشاهِد وجهه بصور الممكناتِ شرقًا وغربًا بعدًا وقربًا قل للّهِ المشرق والمغرب ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ** ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة 115]، ﴿مَتَابًا﴾ [الفُرقان: 71] كاملًا ومنابًا شاملًا وفاضلًا بأن لا يقع نظره إلا على رجاله وذات اليد في ملابس الأسماء

والصفات قد سأل وغلب اليماني عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام في جوابه: أنا لا أعبد ما لا أرى قال: وكيف ترى؟ قال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن لا تدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء وغير ملابس لها بعيد منها غير مباين لها متكلم بلا رؤية.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي لا يشهدون لا له ولا عليه شهادة الزور والكذب والبهتانِ ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ أي إنما يجب أن يلقى ويطرح من الكلماتِ الخبيثة والعبادات الحشيثة بألفاظ غير دالةٍ على المعنى ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفُرقان: 72] بالإعراض عنه وإغماض العينِ عنه غير ملتفت إليه، وهاتان القوتان وصف التائبينِ والمنيبين نحو الله فإنهم لما بدلوا صفاتهم وعدلوا أعمالهُم وعمروا كلماتهم وأصلحوا عباراتهم وأحسنوا أوصافهم وصفاتهم لا يلتفتون إلى معائب لخلق الله وذمائم عباد الله ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: 55] هذه صفات الكاملين لا المرشدين الداعين للخلق إلى الحق فإنّ وظائفهم هي الإرشاد والتكميل والدعوة إلى اللّهِ وهو لا يتأتى بدونه إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحرية الإرشاد والتكميل إلى اللّهِ أعز وأفضل وأبر إلى الله من المرتبة الأولى، ولا يجوز لأصحاب هذه المرتبة مرتبة الإرشاد والتكميل إلا الدعوة إلى الله فإنّ الدعوة تجب على الكل وهي لا تكون بدون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال النبي ﷺ: «**مُر بالمعروف**».

وأما النهي عن المنكر فإنما يحسن ممن له حكومة وسلطنة ليتمكن ويقتدر من إزالة المنكر وإمالتها فربما يؤدي إلى الفتنة والفساد كما أمر الله تعالى بدعوة نفسه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 105]، وكما أشار إليه عيسى عليه السلام: عظ نفسك وإلا استحي من الله أن ينقذ غيرك، وأما أصحاب الدعوة والإرشاد والتكميل فالواجب عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولذا قيل: يجب طلب الرياسة في الدينِ في ذمةِ الحق تعالى.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ وعظًا ونصيحةً وقرآنًا وتدبرًا وتفكرًا عليها في الظاهر وتدينوا لديها حرصًا على أسماعهم ولها، وأقبلوا على مذاكرتها وهم في قلوبهم سامعون بآذان واعية وأذهان راغبةً رائعون لا كالذين يذكرون بها فتراهم في الظاهِر متكئين عليها مكرمين لديها مقبلين على من يذكر بها مذكرين الحرص الشديد على سماعِها ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفُرقان: 73] هم كالصم والعميان والصبيان ساهون عن مضامينها وعن فحاويها لا يتصرون إلى ما فيها ولا يتدبرون معانيها بعدم اعتنائهم بها وانتفاء اعتقادهم واعتدادهم بها.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ هي قرير قرة وقرارًا ولذا لم يجمع مشتق من القر وهو البرد لأن دمعة السرور باردة سخينة العين وحرارتها، وسألوا ربّهم أن يرزقهم أزواجًا أولادًا وأعقابًا عمالًا صالحين، ومطيعين لحكم الله يسرون بكاءهم وتقرّ بهم أعينهم، عن كعب ليس شيء أقر لعين المؤمنِ من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين للّهِ، قيل سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذرياتهم في الجنة ليتم بهم سرورهم في الدينِ ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفُرقان: 74] أفرادًا وجماعات.

﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ الجنة أو غرفة الجنة ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على ما أُوذوا في الدينِ أو على ما لحقهم من الشدائدِ في الطاعاتِ والمشقة في أصناف العباداتِ ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفُرقان: 75] دعاؤهم بالتعمير والسلامة والخلود بها فيعطون الدعة والتخليد بالسلامةِ من كل أمة، اللّهُم ارزقنا طاعتك ووفقنا على عبادتِك الخالِصة عن الرياء والرعونة، واجعلنا مع أهل رحمتك وصواحب كثرة نعمتك، وارزقنا ما ترزقهم في دار رضوانك.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ﴾ [الفُرقان: 76 - 77] أي شيء يفعل بكم ﴿رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ لما وصف عبادة العباد ووعدهم ما وعدهم لأجل عبادتهم، فأمر رسول الله ﷺ أن يصرح للناسِ ويجزم لهم القول بأن الاكتراث والمبالاة لهم عند ربهم إنما هو للعبادة أي صدقها مع التوفيق بحسن القبول وبكمال الإخلاص، بمعنى آخر للعبادة هي المبالات والعبادة والدعاء، وما يتضمن لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب مقول القول، والخطاب لرسول الله ﷺ يعني أنكم لا تستأهلون به شيئًا من عبادة ربكم لولا أن عبادتكم وحقيقة قولكم ما عبأت به وما اعتدت به من قوادح همومي، وربما يكون إحياءً كما يقول: اكترثت له أي ما اعتدت به من كوارث ومما يهمني ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ يقول إذا أعلمتكم أن حكمي أن لا اعتد بعبادتي إلا لعبادتهم ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ وخالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النارِ، ونظيره في الكلام أن يقول الملك إن استعصى عليه: إن من عبادي الأحسن إلي من يطيعني ويتبع أمري، وأنت فقد عصيت ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفُرقان: 77] ترى ما أحل بك بسبب عصيانك، قيل: معناه ماذا يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام، أو ما يصنع بعد قولكم أنكم جعلتم معه آلهة، وهذا الخطاب إلى الناسِ مطلقًا، منهم مؤمنون عابدون ومنهم كاذبون عاصون بما وجد في جنسهم من العنادِ والتكذيب. قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة الفرقانِ لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن وأدخل الجنة بغير نصب**» ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [غافر: 59].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 26 — سُورَةُ الشُّعَرَاءِ — آياتها 227 مكية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي أردف سورة الشعراء ذكر مكذبي الأنبياءِ بذكر الشعراء تنبيهًا على حالهم وتمويهًا بعاقبتهم وسوء مآلهم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي بيّن مراتب الأنبياء ودرجاتهم وعيّن مآرب أتباعهم ومطالب أشياعهم من العذاب والدركاتِ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بسط بساط بسايط كمال رحمته وعموم عاطفته فلم يبق أحد من بحار نعمته وآثار أنوار رحمته محرومًا وآيسًا.

﴿طسٓمٓ ①﴾

﴿طسٓمٓ﴾ [الشُّعراء: 1] ط س م وهي تسع مائة وهي حقيقة ط ح ر و فا ح ب إذا بلغ الزمان إلى هذا العدد ظهر فيه طمس كبير وشهير سمط عند بروز إمارة الإمامة الكبرى وبروز زمر الخلافة العظمى.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ②﴾

﴿تِلْكَ﴾ [الشعراء: 2] الرموز والإشارات والبروز يدل عليها ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الشعراء: 2] منجمًا منجما إلى آخره وفي تفسير كل آية يشاء إلى تأديها.

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ③﴾

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أصله من البخع وهو الذبح إلى أن يبلغ الذبح إلى النخاع وهو مخ فقرات العنق وذلك أقصى حد الذبح ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟﴾ [الشُّعراء: 3] أقوام التي

من القريشي سيما الهاشمي أو جمهور العرب في تأويل المصدر المرفوع فاعل الاسم المخاطب هو النبي ﷺ كان حريصًا على إيمانهم فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا، يعني يا محمد لا تبالغ على الحرص في إيمانهم والتأسف والتجسر في شأنهم حتى بلغ مبلغ إهلاك النفس ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: 56] ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 3].

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾﴾

﴿إِن نَّشَأْ﴾ هدايتهم واهتداؤهم ﴿نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ [الشُّعراء: 4] واضحة الدلالة على ما رمزنا إليها في الكتاب لامحة الإشارة لأولي الأولياء الحاكية مدة ظهور السلطنة العظمى وكيفية مرور أركان الإمامةِ الكبرى ﴿فَظَلَّتْ﴾ وصارت ﴿أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشُّعراء: 4] أي أعناق الجبابرة تلك الجبابرة لتلك الدولة العليا الختمية والسعادة العظمى الإمامية خاضعين المقيمين ﴿سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ﴾ ويجوز على الجر من غير تقدير مضاف إليه كأنه قيل قبلًا وبعدًا ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: 4، 5]، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105] الآية.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ لا يجني للجبابرة الكاره لهذه الدولة الكبرى والشركة العليا ما يذكرهم ويجعلهم متذكرين لها حال كونها نازلًا ﴿مِّنَ﴾ سماءِ السبحات وملك العرش ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ إلى الفلك الثامن وهو مسمى بلسانِ الشرع العرش والكرسي، ثم ينزل على سائر الأفلاك إلى الفلك التاسِع وفلك القمر الذي يسمى بعرق الحكيم الإلهي غفلة بالعقل الفعال وهو سماء الدنيا كما وقع في الخبر أن القرآن ينزل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ثم ينزل منه إلى رتبة الحضرة الختمية والمراد هو القرآن ﴿مُحْدَثٍ﴾ أي ظاهرِ صفة ذكر أي لا يجيئ ولا ينزل من القرآن من سماءِ الرحمة على الجبابرة شيء ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشُّعراء: 5] يعني أن الدولة المحمدية والملة الأحمدية تتزايد شيئًا فشيئًا إلى هذا الزمانِ أي زمان الذكرِ ذ ك ر وصاحب هذا الزمان يهدي آخر الزمان ا خ ر ز م ا ن ط س م

طمس 900 عن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية قال: سيكون لنا عليهم الدولة فتذل أعناقهم بعد سطوة ويلحقهم هوانٌ بعد عزة.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ وعرض عليهم مرة بعد أخرى ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الشعراء: 6] زمانًا بعد زمانٍ المظهر الموعود والشخص المعهود إلى الوقت المحدود وهو المهدي، ولهذا المظهر في كل زمان في الأعيانِ الكاملة ظهور ولخصائصه في كل وقتٍ في هذه الأعيان نور ساطِع وبروز وعبور لامع، فلو صدرت منهم دعوى كي يأتي هادي ومهدي ودعواه صادقة سيما كان إذا مظهرًا جامعًا لفنون الفضائل العلمية والفواضل العملية والأطوار السبعة القبلية حائزًا للكمالات الظاهرة والباطنة فائزًا متحققًا بالذات والصفات الذاتية والأفعالية والآثارية والصورة الجمعية الإلٰهية الكونية وقال: إني إلٰه وحق فدعواه حق وكلامه حق وصدق وقال النبي ﷺ: «**من رآني فقد رأى الحق فإنّ الشيطان لا يتمثل بي**»، «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**». فقد كذبوا بالحقِ والدين والصدق لما جاءهم مرة بعد مرة وكرة بعد كرة ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ آجلًا وعاجلًا وحالًا ومآلًا.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ أظهرنا النبات ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشُّعراء: 7] ومظهر فاضلٍ وشخص كامل عظيم من كل نوع وصنف في أقطار الأرض والظاهر والطول والعمق والعرض إشارة إلى أطوار بالبرزات، فإن النفوس النباتية والحيوانية والإنسانية قد تجتمع وتتعلق بمظهر واحد هذا المظهر من جنس النبات والحيوان، والإنسان قد يمتاز من سائر الأشخاص بعظم التعداد والقدرة والقوة الجسمانية أو النفسانية الإنسانية كما يشاهد التفاوت بين أشخاص الأشجار فإن شخصًا واحدًا في أرض واحدة في غاية العظم وكذا الحيوانات وكذا الشخص الواحد من أشخاص الإنسان كالنبي الفاضل والسلطان الكامل والولي الشامل لأنواع الفضائل العلمية والعملية والحالات المعنوية والمقايسة الرفيعة العالية لأنواع المعجزات وأصناف الكرامات والتفرق في الموجودات الروحانية والأجرام

السماوية والأجسام العنصرية والمعدنية والنباتية والحيوانية والإنسانية.

وأنت خبير بأن هذا الشخص الواحِد يشارك سائر الأشخاص ولا هذه المرتبة والفضيلة ليست من نفس الواحدة بل من الذات المعنية والمظاهر الملكية والجنية والإنسية من الأفراد الكاملة والأشخاص الفاضلة من الأنبياء والأولياء والحكماء الإلٰهية والعلماء الربانية وذلك لأن الكمالاتِ الذاتية غير متناهية والأكوان والأعيان من حيث إن كل واحدة منها حصة من حصصِ الذاتية متعينة وموجودة بالذاتِ بتمام الأسماء والأفعال والآثار لها صلاحية أن تظهر فيها الذات بتمام الكمالات الذاتية والاستوائية بمظاهِر الأعيان الوجودية من الأشخاص الكاملة والأفراد الفاضلة في كل حصة منها لها تعلق بتلك المظاهِر ولها النسب وإضافات بذلك الحصة يظهر آثارها في هذه الحصة بتلك العلاقة والتعلق فكل حصة من الحصص المذكورة مشتركة في هذا التعلق والظهورات بالتقارب إنما هو بالعلم المتعلق بهذا التعلق والظهورات فمن حصل له بالعلم ظهر عنده سر العلوم الظهورات والكمال ولهذا العلم أيضًا أثر وهو الاطلاع على تلك الظهورات وسر البرزات، فمن لم يخصص له هذا العلم حرم عليه بركات هذه الكمالات، اللّهم ارزقنا بركات هذه الكمالاتِ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الإنبات والإظهار ﴿لَآيَةً﴾ وعلامةً من خصائِص الدينِ ولوازمه دلت على صدق ذلك المظهر وحقيقة حاله وصدق مقاله ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعراء: 8] بما ظهر من الحضرات الخفية في كل زمانٍ بطريق البرزة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القوي القاهِر على مخالفي الدين ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 9] بمن آمن باللّهِ وبرسوله وبأحكامه.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ في زمن ظهر فيه أحكام دينه ﴿أَنِ ائْتِ﴾ أمر من تأتي ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: 10].

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١﴾

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ﴾ نصبه إما على الذم أو لكونه بدلًا أو صفة أو عطف بيان ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الشُّعراء: 11] استئناف أتبع رسالة إليهم للإنذار والتحميل عليهم بالظلم تعجيبًا لموسى عليه السلام من سوء حالهم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [الشُّعراء: 12] ويجعلني كاذبًا في دعوائي فحينئذٍ يشوش حالي.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝١٣﴾

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ إشعار بأن طلاقة اللسان وفصاحة الإنسان وبلاغته إنما هو لحصول الحس والقلب وسرور النفس في أطوار الغيب قال النبي ﷺ: «**لا صلاة إلا بحضور القلب**» ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ [الشُّعراء: 13] لطلاقة لسانه وفصاحة بيانِه وبلاغة تبيانه وترجمانه لعلهم يقبلون مني الدعوة والحال أن:

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝١٤﴾

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ﴾ وهو فردد ذلك المقيل حين اشتغاله الذي على الرجل الذي هو من شيعةِ فرعون فقتله موسى ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [الشُّعراء: 14] بكسر النون الدالة على الياء.

﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۝١٥﴾

﴿قَالَ﴾ الله تبارك وتعالى ﴿كَلَّاۖ﴾ ليس الأمر كذلك وهي كلمة الردع والنفي لأن الله وعده دفع عدوه وحفظه ضرّ بأسه جمع الاستجماع يبين في قوله (كلّا) ﴿فَٱذْهَبَا﴾ عطف على الفعل الذي يدل عليه (كلّا) كأنه قيل: ارتدع يا موسى فاذهبا أنت وأخوك هارون ﴿فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ﴾ إلى فرعون وملائه ولا تخافوا ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشُّعراء: 15] قولكما وإشعاركما ونحن بعد ناصرين لكما على كم كانوا عددًا، وكيف كانوا ويظهركما عليهم شركهم وسلطتهم عليكما، يجوز أن يكون ما بعد (إنا) خبرين وأن يكون معكما حالان (مستمعون) خبره، وأن يكون (مستمعون) خبر

ومعكم لغوًا أي يكون زائدًا في الكلام لإجزائه، فإن قلت: لم جعلت (مستمعون) قرينةً معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى أثبت لذاته السميع على الحقيقة، قلت: لا يلزم في كون السمع حقيقة له كون الاستماع حقيقة له، لأن الاستماع عبارة عن الإدراك الحاصل لحاسة السمع وحاسة السمع لا تطلق على الله إلا على سبيل المجاز في الاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية جار مجرى الإصغاء من قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن 1]. ويقال: استمع إلى حديثه وسمع حديث من أصغى إليه وأدركته حاسته، ومن قوله عليه السلام: «**مَن استمع إلى حديث قوم وهم كارهون صبّ في أذنيه الآنك**».

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16)﴾

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشُّعراء: 16] أفرد الرسول لأنه في الأصل مصدر وصف به الشخص فإنه مشترك بين الرسل والرسالة قال كذلك الرسول ولذا اتخذهما أو الآخرة كانت حكمًا واحدًا فكأنه رسول واحدٌ وأريد أن كل واحدٍ منا قال:

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17)﴾

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشُّعراء: 17] أي قال: أرسل لتضمن الرسول معنى القول والإرسال كما هو في المناداة والكتبة وغير ذلك، ومعنى الرسول والإرسال التخلية والإطلاق كقولك: أرسل البازي يريد خلّهم يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت سكناهما ويرى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يردف لهما سنة حتى قال البواب: إن هناك إنسانًا يزعم أنه رسول العالمين فقال له: لعلنا نضحك منه، فأدّيا إليه الرسالة فعرف فرعون موسى.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18)﴾

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ طفلًا سمي به لقربه من الولادة ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشُّعراء: 18].

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19)﴾

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشُّعراء: 19] بنعمتي وقدري

يريد أي إياك يجوز أن يكون معناه أنت فعلته ولذا كنت من الكافرين، افترى عليه أو جهل أمره، لأنه كان مجالستهما التثنية والإضمار والخفية، فإن الله عز وجل عاصم من يريد من كل صاحب كبيرة وصغيرة فما بال الكفرة، ويجوز أن يكون قوله وأنت من الكافرين حكمًا عليه بأنه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم بمن قتل خواص المنعم عليه بدعًا غريبًا منه أو بأنه من الكافرين لفرعون والوثنية أو من الذين كانوا يكفرون من دينهم فقد آلهة يعبدونها لما يدل عليه قوله دينك وآلهتك فأجابه موسى.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشُّعراء: 20] قال تلك الفعلة إنما فرطت منه وهو من الظالمين الجاهلين. ويعاضده قول ابن مسعود في الجاهلين والخاطئين كمن خطأ من غير تعمد فليقتل، والذاهبين من الصواب والفاسقين من قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: 282].

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ جواب لما قالوا لموسى: فلو كان فعلك بما اعتذرت فلم فررت؟ فأجاب موسى ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ جواب تسليمي يعني هَبْ أن قتلي كان بالعمد والقصد إلا أن ربي حكم علي وأمرني بالدعوة إليه ففعلت بأمره وحكمه ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشُّعراء: 21] إليكم لأدعوكم من الكفر والشرك إلى الإيمانِ والإسلام ومن الظلم إلى العدل والإحسانِ.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ مشاورة إلى ما يدل عليه أن عبدت بني إسرائيل هو في محل الرفع لكونه عطف بيان لتلك النعم، نظيرها وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني إسرائيل لي هي نعمة ﴿تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ [الشعراء: 22] أو خطاب إلى فرعون أو القائل وهو موسى إشارة إلى التربية أي تلك التربية نعمة عليّ ظاهرة وهي في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل وأخذتهم وجعلتهم عبيدك وخدمة لك يا فرعون وأمرت بذبح أبنائهم فإنه يسبب في وقوعي في تربيتك وحصولي لديك

فمحل ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ الرفع على (أن) خبر محذوف أو بدل من نعمة ولهذه الآية وجهان:

أحدهما: أنّ موسى لما قال على التهكم والإنكار لفرعون آيةً نعمة لك يا فرعون على أن عبدت ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: 22] وقبلت أولادهم واستعبدت نساءهم فتلك نعمة استفهام في المعنى، يعني أو تلك نعمة فحذف ألف الاستفهام كقوله هم الخالدون، أي أنهم الخالدون قيل: معناه كيف تَمُن يا فرعون عليَّ التربية وقد استعبدت قومي، فعبيدك بني إسرائيل من حبط إحسانك إلي.

والوجه الثاني: أن موسى عليه السلام قد علم النعمة وفرعون أنكرها، وهو أن تعبيدك بني إسرائيل قد صار سببًا لأن فررت منك وغبت من قومي، فجعل الله تبارك وتعالى ذلك وسيلة، فمررت بهذه الدولة وصرت إلى رتبة النبوة فبهت فرعون وانقطع كلامه، فترك هذا الأسلوب وسلك في سلوك آخر.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشُّعراء: 23] أي من ربّ العالمين وما حقيقته وماهيته، فإن ما هي حقيقته يبين ماهية الشيء وحقيقته لا شارحة بين المفهوماتِ المعتبرة والمعاني المعتورة بين أصحاب العرف كما يقول: ما الكلمة والاسم وما الفعل والحرف والكلام وغير ذلك.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قَالَ﴾ موسى في جواب فرعون ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء: 24] بالعينِ في درجة كمال اليقين الصالح وهو التعين الكامل.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ من الملأ والأشراف وأركان دولته وهم خمسمائة رجل أصحاب الأسورة ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [الشُّعراء: 25] كلام موسى وجوابه فإني أسأل وأطالب لبيان شرح الماءِ والحقيقة والأمور الذاتية وهو يجيب بالعرائض والأمور الخارجة.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قَالَ﴾ موسى ثانيًا هو ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشُّعراء: 26] فأجاب ببعض ما أجاب أو الإشعار بأن الحقائق مجهولة لا تعرف ولا شرح بالذاتيات لأن التعريف الذاتي والحد الحقيقي موقوف على الجنس والفصل الجوهري ومعرفتهما متعسر بل متعذر ولمشاكلة الجنس بالعرض العام والفصل بالخاصة اللازمة، ولا يتم الدليل مثلًا بأن الحيوان والناطق في قولنا في تعريف الإنسانِ بأنه حيوان ناطق جنس وفصل قريبان فهو حد تام، فلا طريق إلى معرفة الحقائق إلا الوحي والإلهام الرباني والإعلام الإلهي وهو من الوجدانيات لا ليكون حجةً على الغير ولا يتعدى لها إلا بالمناسبة التامة والمجانسة العامة، وهي ههنا منتفية وبأن معرفة الله تعالى وإدراكه كما هو موقوف على معرفة النفس والعقل ولا يدرك إلا بطريق الربانية والمجاهدة وإدراكها يستلزم إدراك الحق لقوله ﷺ: «**مَن عرف نفسه فقد عرف ربّه**». وإدراك العقل غير كافٍ في إدراك حقائق الأشياء بل لا بد من الوحي كما قال عليه السلام: «**العقل لإقامة العبودية لا لإدراك سر الربوبية**» نظمه آدم الأولياء على المرتضى بقوله:

كيفية ليس المرء يدركه فكيف كيفية الجبار في القدم
هو الذي أنشأ الأشياء مبتدعًا فكيف يدركه مستحدث النسم

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشُّعراء: 27] لأنه جن وستر وأخفى حقيقة الحال يأتي سائل عن الماهية الحقيقية وهو يجيب بالعوارض.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشُّعراء: 28] وإنما عدل إلى ما هو المشهور وأعرف وأظهر إشعارًا بأن معظم إدراكات السائل مقصورة على ظواهِر الأشياء وأظهرها ولذا قال: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إن كان لكم العقل لكن العقل ومقتضاه وهو العلم بأن الأشياء مجهولة منتفٍ لانتفاء العلم بالجنس والفصل لاستحالة الدور والتسلسل.

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشُّعراء: 29] لما عجز عن المناظرة والمعارضة بطرائق الاستدلال والنظر والانتقال عدل إلى التهديد والتخويف والتوعد واللام في المسجونين للعهد من تعرف حالهم فإن طرحهم إلى ويل عميق وبئر لجين فمن وقع فيها لا يخرج أبدًا عنها.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قَالَ﴾ في جواب التهديد ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشُّعراء: 30] أي والحال وخلت عليها ألف الاستفهام معناه أنفعل في ذلك التهديد والحال إن قاعدة أرباب العقل أنهم إذا عجزوا عن المعارضة وسكتوا عنه المناظرة وجب عليهم الانقياد والتسليم سيما لو زاد على ذلك أمر إلهي وطور رباني خارق للعادات وفارق بين نور الهداية وظلام الضلالات.

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشُّعراء: 31] ظنًّا من أنه من الضحكاتِ والاستهزاء والسخرياتِ كما أشرنا قبيل هذا.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: 32] اشتقاقه من بعث الماءِ إذا انفجرت فانفجر.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الشعراء: 33] هذا برهان آخر. روي أن فرعون لما رأى الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج مما فيها فأدخلها من إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ حال كونه ظرفًا يفيد معنى الحالِ مستقرين حوله وحاضرين دوره ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الشعراء: 34] وإنما وصف بالعلم لإصابته في سلك

نظره على وجه عجزوا عن معارضته وأفحموا في مناظرته ومناقضته.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ ودياركم ومساكنكم ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾ بقوة سحره وبسبب قدرته في التصرف في العلم ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشُّعراء: 35] أي بما يأمرون في طريق دفعه ورفيق منعه من المؤامرة والصلاح والمشاورة من الأمر الذي هو مقابل النهي تنزيلًا عن مقام ادعاءِ الربوبية إلى المقام الأدنى وهو العبودية والبشرية والأمر منها وهو المشاورة ماذا تأمرون إما لكونه بمعنى المصدر أيْ أيَّ شيء أمركم إما لأنه مقول من قوله أمرتك الخير.

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ﴾ قرئ أرجئه بالتخفيف وهما لغتان يقال: أرجأته وأرجئه إذا أخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا ينطقون بوعيد الله للنسّاق ويقولون مرجؤون لأمر اللّهِ أي لأمره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة قيل: احبسه ﴿وَأَخَاهُ﴾ هارون ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الشُّعراء: 36].

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشُّعراء: 37] يحشرون السحرة منصوب لكونه مفعولًا له أو لكونه مفعولًا به أي ليحشرها إلي، فجاؤوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ويسكن بعض قلقه.

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشُّعراء: 38] وهي يوم الزينة في ساعة معلومة أي وقت الضحى كما قال: موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به وحدد فيه زمان وعينٍ من موضع مكان منه مواقيت الإحرام.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ [الشُّعراء: 39] استبطأهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه: هل أنت منطلق أو أراد منه

أن يتحرك ويحثه على الانطلاق كما يجعل له أن الناس قد انطلقت وهو واقف ومنه قول تأبط شرًّا.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الشُّعراء: 40] في دينهم إن غلبوا على موسى ألا نتبع في دينه وليس غرضهم باتباع السحرة والترجي باعتبار الغلبة المعصية للاتباع، ومقصوده الأصلي أن لا يتبعوا موسى لا أن يتبع السحرة، فساق الكلام مساق الكناية لأنهم اتبعوهم، لم يكونوا متبعين موسى.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ عوضًا وصلةً وزينةً ومرتبةً ومنزلةً وإنعامًا ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الشعراء: 41] على موسى وأخيه.

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشُّعراء: 42] التزم له من القربة المستلزمة لسائر صنوف الأعيان الذين خلوا في مقابلة موسى.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ بعد أن قالوا له: إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ [الشعراء: 43] ولم يردا به الأمر بالسحر إذ لم يكن السحر في ذلك الزمان محظورًا.

﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الشُّعراء: 44] اهتموا بعزته لفرط اعتقادهم في أنفسهم في شأن فرعون وإيقانهم في إتقان ما يمكن أن يؤتى به من السحر.

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ تبلع وتلتقم ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: 45]

يكذبون ويفترون ويتصدون إظهار الكذب والافتراء فإنهم ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وبكدهم لمن يزورونه فيحيلونه في حبالهم وعصيهم إلى حيات تسعى بالتمويه على الناظرين أو أقلهم يسمي تلك الأشياء إفكًا مبالغة روي أنهم قالوا: إن يك ما جاء به موسى سحرًا فلن يتغلب علينا أبدًا لأننا جم غفير وكم ونفر كثير مهرة في فنون السحر فإن كان من عند الله فلا خفاء إن اللّه غالب على أمره فلما قذف عصاه ألقاه فتلقفت ما أتوا من فنون السحر علموا أنه من الله إن مثل هذا ليس في وسع البشر في النصر والظفر فآمنوا به فأصبحوا سحرة شهيدًا لأمره.

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ [الشُّعراء: 46] أي ألقاهم لله ساجدين.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء: 47 - 48] على عطف لرب العالمين.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ نفس متكلم أصله أذن قلب الهمزة الثانية ألفًا ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال ما فعلتم ونكال ما قدمتم إليه بلا إذني وأمري ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشُّعراء: 49].

﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ﴾ ضورًا ولا ضير علينا ولا نقصان في الحقيقة وفي الواقع يرجع فيما يوعدوننا به من القتل والصلب والقطع والضرب ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 50] لأن رجوعنا في مبدئنا وانقلابنا إلى ربنا علينا وعلى غيرنا وله أسباب من الأشياء والقتل أهون الأسباب وأنفع عند الشهادة أعظم السعادة بعد النبوة والصداقة أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء أي الصلحاء وحسن أولئك رفيقًا ذلك الفضل من اللّهِ.

﴿إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥١﴾

﴿إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشُّعراء: 51] بموسى وبربه ونبوته يعني أن عذاب الدنيا ونعيمها لا اعتبار لها لفنائهما وسرعة انتقالها وانقطاعِها وإنّ الآخرة ونعيمها وشدتها وعذابها وجحيمها وإدراكاتها أبدية لا فناء لها ولا انقطاع عليها فلا ينتفي أبدًا، فالحري على اللبيب العاقل والخطيب الفاضِل أن يؤثر ويختار الباقي على الفاني.

﴿۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٥٢﴾

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ﴾ بقطع الهمزة ووصلِها أمر من الإفعال هذا بعد مدة جرت بينهم ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [الشُّعراء: 52] وإنما علل الأمر من بالإسراء بأتباعِ فرعون وجنوده فيقول الله لموسى وأوحى إليه أني ثبت وقدرت تدبير أمركم وأمر فرعون وقومه بأنكم في الظاهر تفرون منهم إلى البحر وتقدمون في الدخولِ فيه بعد انفلاقه بأمر الله وكمال قدرته هم يقتفون ويتبعون إياكم ويدخلون في البحر وينسلكون مسالككم إلى أن يستغرق البحر إياهم جميعًا ثم أمر الله البحر بالانطباق عليهم فأهلكوا جميعًا.

﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٥٣﴾

﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الشُّعراء: 53] يعني لما أمر الله تعالى موسى الإسراء بقومه السبط إلى البحر فأرسل فرعون إلى حشر جنوده فأجمع ألف ألف ملك وأمير مع كل ملك ألف تبع، فخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة وجعل على كل رجل حصان وبيضة على رأسه وكان قوم موسى ستماية ألف وسبعين ألف كما قال.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ۝٥٤﴾

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ﴾ [الشُّعراء: 54] أي قوم موسى، وتوصيفها بالقلة إشارة إلى أنهم في جنب فرعون في غاية القلة وإلى ضعف ما لهم خفة مآلهم.

﴿وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝٥٥﴾

﴿وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ [الشُّعراء: 55] الغيظ هو الغضب الكامِن والسخط الخفي

الكائن في النفس إلى قوم فرعون، والقائلون هم قوم موسى يعني أن قوم فرعون لنا في غاية الغيظ ونهاية السخط.

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ [الشُّعراء: 56] هذا أيضًا من كلام موسى وقومه يعني أن قوم فرعون في غاية العدة ونهاية الكثرة والقدرة ونحن في غاية القلة والضعف مبغوضون لهم وإنا لجميع حاذرون كل واحد منا ولكمال الضعف والعجز والقلة متصف بالخوف والحذر أخذه بالسيف وآلات الحرب والسلاح الحذر بالذال المعجمة والاحتراز والخوف هذا السمين القوي وإنما جمع جمع السرلامة إيماء إلى أنهم نائلون من الأعداء وهم مكبرون وقد أنكروا بأيديهم وأيدي المؤمنين.

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾﴾

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ أي قوم فرعون ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾ وبستان ورياضٍ ﴿وَعُيُونٍ﴾ [الشُّعراء: 57] وأنهارٍ.

﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَكُنُوزٍ﴾ سماه كنوزًا لأنهم لم ينفقونها إلى طاعة اللّهِ ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: 58] ومنازل بهية ومراحل حسنة سنية.

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل المقام الذي كان لهم أو مثل الإخراج الذي وصفناه ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾ أي أعطينا تلك الجنات والكنوز والمقام ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: 59].

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ [الشُّعراء: 60] داخلين قوم فرعون قوم موسى تابعين لهم في الخروج عن مصر في وقت الشروق وقوم موسى قد أدلجوا وتولوا وخرجوا من مصر في مقدم الليل.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الشُّعراء: 61] قرئ فلا تراءت الفئتان وأي قوم موسى

وقوم فرعون أو بالعكسِ فخاف قوم موسى وهاب منهم فحينئذ ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشُّعراء: 61] ملحقون، قرئ بتشديد الدال وكسر الراء من أدرك الشيء إذا تتابع ومنه قوله تعالى بل أدركه عليهم في الآخرة أي أدرك عليهم في الآخرة أي جهلوا علم الآخرة وهو من باب الافتعال ففعلوا به ما فعلوا.

﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾

﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشُّعراء: 62] وينجيني مع قومي.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ وعلمناه وألقينا إليه ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ﴾ فضربه ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ وكان يد موسى في هذه الحالة يد الحقِّ وكان الحق يد موسى كما أشار إليه كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه فبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وبي ينطق فصار اثني عشر فلقًا ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشُّعراء: 63] من الجبل الكبير المتطاول المرتفع في السماءِ.

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الشُّعراء: 64] أي قريبًا حيث انفلق البحر أزلف الآخرين وهم قوم آخرين ثم بفتح الثاء وهو إشارة إلى مكان انفلاق البحر وأذهبنا بعضهم ببعض مانعين بعضهم بعضًا وجمعناهم في البحر حتى لا يبقى أحد منهم خارج البحر وكان موسى بقومه أجمعين قدامهم في البحر هو أملى لهم مسارعين لأن يلحقهم.

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ [الشُّعراء: 65] من قومه من الأسباط ومن البحر بأن أخرجهم من البحر.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿ثُمَّ﴾ من بعد إنجاء قوم موسى وإخراجهم ﴿أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الشُّعراء: 66] وهم فرعون وقومه وجنودهم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٦٧﴾

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الانفلاق والانجاء والإغراق ﴿لَآيَةً﴾ واضحة وعلامة إلهية وأمارة نبوية مع كمال قدرة الله ووفور عنايته ومشيئته وعموم رحمته في حق موسى وقومه ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعراء: 67] باللّهِ وبموسى ولجنوده أو بنو إسرائيل سبط حيث قالوا لن نؤمن لكم حتى نرى الله جهرةً وغير ذلك بما يدل على كفر بني إسرائيل.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦٨﴾

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب القاهر على الأعداء ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 68] بالمؤمنين والمحبين.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الشُّعراء: 69] أي على موسى وقومه بناء أي خبره وحكايته وقصته.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۝٧٠﴾

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ يعني آزر ﴿وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشُّعراء: 70] أي أيّ شيء تعبدون استفهام توبيخي أنتم وآباءكم الأقدمون.

﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١﴾

﴿قَالُواْ﴾ آزر وقومه القبط ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ أجسامًا مصنوعةً وأجرامًا موضوعة ﴿فَنَظَلُّ﴾ نصير ﴿لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ [الشُّعراء: 71] ثابتين على عبوديتها.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢﴾

﴿قَالَ﴾ إبراهيم لأبيه وقومه زجرًا وتوبيخًا عليهم ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ أي يستمعون نداءكم ودعاءكم ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ [الشعراء: 72] أنتم إياهم.

﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣﴾

﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ يطلبون منهن ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشُّعراء: 73] أي ممن أعرض عن عبادتهما.

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿قَالُوا﴾ نعم هم لا ينفعُنا ولا يضرنا ولا يسمع منا كلامنا لكن قد وجدنا نعم ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشُّعراء: 74].

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ثانيًا توبيخًا عليهم زجرًا لهم ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الشُّعراء: 75] وعلمتم ما تصنعون.

﴿أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾ [الشُّعراء: 76] فالأولية والتقدم والأولى تدل على صحة أمري سيما العبادة ولا يجعل الباطل الظاهِر والفاسد العاطل الباهِر حقًّا ثابتًا.

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي﴾ [الشُّعراء: 77 - 78] وأظهرني ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشُّعراء: 78] ويبين لي طريق الحق وفريق أصحاب الصواب وأرباب الصدقِ.

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشُّعراء: 79] أنواع الطعام وأصناف الأشربة.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشُّعراء: 80] بالأدوية وصنوف الأهوية وغير ذلك من السير الضرورية بحكمته البالغة وقدرته الكاملةِ.

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾ بعد حياتي بحياة الدنيا ثم يميتها بالموت الدنياوي ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشُّعراء: 81] في الآخرة بالحياة السرمدية الأخروية.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ﴾ وأرتجي وأتمنى ﴿أَن يَغۡفِرَ لِى﴾ ويسرّ على ﴿خَطِيٓـَٔتِى﴾ التي اكتسبت في الدنيا ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: 82] ويوم الجزاء ودار الثواب وغار العقاب بكمال العطاءِ.

﴿رَبِّ هَبۡ لِى حُكۡمًا وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿رَبِّ هَبۡ لِى حُكۡمًا﴾ وحكمةً استعلاءً وحكومةً وعلمًا فإنه أصل الجميع وسيره ﴿وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الشعراء: 83] المخلصين المصلحين والمنجين إشعار بأن العالم لا يخلو عن العبادِ أهل الصلاحِ وأولى الفلاحِ كما أشار إليه بقوله يا خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار.

﴿وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٍ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٍ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشُّعراء: 84] أي الثناء الجمعي والدعاء بالخير لدار الجزاء للأجر الجزيل.

﴿وَٱجۡعَلۡنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَٱجۡعَلۡنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشُّعراء: 85] في الآخرة بتصحيح نسبتي بمن هو أهل ومستحق لهذا بالعمل الصالح المقرونِ بكمال الإخلاصِ ووفور الخلاص الذي لا يطمع إليه أحد سواك من الملائكة المقربين ولا الحفظة المقرنين ولا من الأنبياء المرسلين والأولياء المرشدين «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**».

﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِىٓ﴾ بهداية وحسن التوفيق ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشُّعراء: 86] والمضلين.

﴿وَلَا تُخۡزِنِى يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَلَا تُخۡزِنِى يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ [الشعراء: 87] بالعذاب الأليم والعقاب العميم وتقبيحه الثانية وتقبيحه العامة تنبيه على أنه لا اعتداد للعمل ولا اعتماد على العلم والحكيم والعدل.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشُّعراء: 88] أي العمل الصالح والعلم النافع والحال المقام الرفيع الواقع.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعراء: 89] عن الرياء والرعونة وملاحظة الأعمالِ والعلوم والمقامات والأحوال.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ وقربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: 90] عن الشرك والعصيانِ المحض وهو حب الدنيا وطلب العوض وملاحظة الغرض في الأعمالِ والعبادات وصنوف الطاعات وصنوف المجاهداتِ وحسن الظن بنفسه أنه محسن كما روي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ إنه قال: «**المحسن مَن ظنّ أنه مسيئ والمسيء من ظن أنه محسن**».

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ أي أظهرت السعير وعينت النار ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ [الشُّعراء: 91] الغواية ضد التقوى والوقاية.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ أي للغاوين ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الشُّعراء: 92] إياه في الدنيا في أي مقامٍ.

﴿مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ ما تعبدونه من الأوثانِ ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشُّعراء: 93] ويمنعون عنكم العذاب ووفور العقاب والعامل بهم إما الحق أو ملائكة العذاب، فحينئذ سيئت وجوه الذين كفروا، فتجتمع عليهم الغموم وتزدحم إليهم الهموم وتدفع إليهم الحسرات وترتفع عليهم الندامة والحسرات، فينوحون على إشراكهم، ويصرخون على انهماكهم في الشرك، ويقال لهم الذي تضاعف عذابهم

وتعاطف عقابهم أي آلهتكم التي كنتم تعبدونها هل ينفعونكم بدفع العذاب وتخفيفه وهل يتمتعون بانتصارِكم بل هم وآلهتكم حصب جهنم ووقود لها.

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾ أي أسقطوا آلهتهم وأدخلوا فيها ﴿هُمْ﴾ وآلهتهم بدل منه ضمير الجمع بدل الكل ﴿وَالْغَاوُونَ﴾ [الشُّعراء: 94] والكبكبة هي السقوط على وجه الأرض كأنهم إذا ألقوا في جهنم ينكبون مرة بعد مرة حتى يستقر في قعر جهنم اللهم احفظنا منها وقنا عذاب النار.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشُّعراء: 95] عطف على غاوون وهم إبليس والشيطان والمتبعون من عصاة الجن والإنس.

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿قَالُوا﴾ أي العصاة والمشركون مِن الجن والإنس ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي جهنم ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ [الشعراء: 96] أي الأصنام وينطقهم الله حتى يصح منها النقاش والتخاصم.

﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾

﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الشُّعراء: 97] ظاهِر واضح متين فظل بظلم شاكٍ مظلم.

﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشُّعراء: 98] علة الاختصام الكل يعني أنكم وما تعبدون من دون اللّهِ في التخاصم والجدال والمناظرة في درجة السوء لأنا نجعل الأصنام ناطقين بما جرى بينكم كما نجعل الأعضاء والجوارح والأعضاء البدنية شهداء عليكم يوم تشهد عليهم أنفسهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون.

﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ [الشُّعراء: 99] أي الرؤساء والكبراء كقوله: ﴿إِنَّا

أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب 67].

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشُّعراء: 100 - 101] في ذلك اليوم.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعراء: 102] أي فلو أن لنا عودًا ورجوعًا مرةً أخرى إلى الدنيا فنصير من المؤمنين وزمرة المسلمين فالصداقة في الآخرة والخلة في دار العقبى لا تكون إلا بين المؤمنين الكاملين لا المجرمين الكافرين ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: 67]، الحميم إما من الاحتمام وهو الاهتمام أو الحاجة بمعنى الخاصةِ وهو الصديق الخاص، وإنما أفرد الحميم وجمع الشافعين لكثرة الشفعاء وقلة الأصدقاء، والكَرَّة الرجعة إلى الأمور الدنياوية في أمثال هذه المواضع.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ التساوي بين الحامِد والعاقل والعائد والحافل الجاحد وفي الاعتراف بالذنب ﴿لَءَايَةً﴾ واضحةً ودلالة صارحة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعراء: 103].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الشُّعراء: 104] تكرار أسماء الله لكل على كمالِ أجزاء مضامينها ساعة بعد ساعة وكمال غفلة الإنسان فإنه في إثباتِ الإيمانِ وثبته يحتاج إلى الله تعالى لحظة بعد لحظة كما أن الممكن يحتاج في ترجيح الوجودِ على العدم آنًا بعد آنٍ إلى الواجب الوجود.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشُّعراء: 105 - 106] وفي ذكر الأخ وإعادة النوح إشعار بكمال إشفاقه على قومِه ولذا بالغ في دعوتهم وأبرم في هدايتهم.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الشُّعراء: 107 - 109] وإنما كرر الأمر بالإطاعة والتقوى للأمر من أن الإنسان مجبولٌ على العصيان ومحمول على صلة بالبيان لكونه مأخوذًا أو مشتقًّا منه.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشُّعراء: 110 ـ 111] الأقلون النازلون في الجاه والأموالِ وصنوف المنالِ قرئ: (واتبعك الأرذلون) جمع أرذل، وذلك من سخافة عقولهم وقلة تدبرهم وتأملهم في الأمور الإلٰهية والتدبيرات الربانية، فإن قاسوا الأمور الدنية والنواميس الإلٰهية على الأحوال الدينية والدنياوية.

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي﴾ أي علم ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: 112] والمراد انتفاء علمه إخلاص أعمالهم لله واطلاعه على سرائرهم وبواطنهم وإنما قال هذا لأنهم باشروا لهم إياهم قد طعنوا في إيمانهم بأنهم لم يؤمنوا عن صميم قلب وخلوص عقيدة في غيب، وإنما آمنوا هوى وبديهة بلا تأمل وتدبر وسابقة تفكر بل بطمع وجر نفع ولترجي علو بيننا ورفع كما قال إلا الذين هم أراذلنا بادئ الرأي فقال في جوابهم ما على الاعتياد والظواهر دون التفتيش عن أسرارهم والشق على قلوبهم والاستشراف على ما فيها من العقائد، فإن كان لهم عمل فالله يحاسبهم ويجازيهم عليه يعني ليس على الرسول إلا البلاغ والهداية والتوفيق بالأيمان الخالصة، والحق إنما هو من اللّهِ وباللّهِ.

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشُّعراء: 113] ذلك ولكنكم تجهلون وتساقون مع الجهل حيث سرهم وقصد ذلك واعتقادهم وإنكارًا أن يسمى المؤمن

رذلًا وإن كان أفقر الناسِ في الظاهرِ وأحقرهم، وإن المعتبر عند الله إنما هو غنى القلب وسلامته عن الآفاتِ النفسانية والشهوات الشيطانية والكدورات الجسمانية إنما هو عند الله أتقاكم:

من كان مفتخِرًا بالمالِ والكسبِ وإنما فخرنا بالعلم والأدبِ
ليس اليتيم الذي قد مات والده فإن اليتيم يتيم العلم والأدب

قال النبي ﷺ: «**إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم بل ينظر إلى قلوبكم ونياتكم**».

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥﴾

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الشُّعراء: 114 - 115] تباعًا لأهوائكم وتبعًا لشهواتكم وتطييبًا لنفوسكم طمعًا لإيمانكم.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦﴾

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ عما نقول وتدعونا إليه ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ [الشُّعراء: 116] المضروبين بالحجارة.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧﴾

﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ﴾ [الشُّعراء: 117] ليس هذا بإخبارٍ بالتكذيب لعلمه أن اللّه لا يغيب ولا يعذب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل هو عرض حاله وعجز مآله تسلية لنفسه.

﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨﴾

﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا﴾ أي احكم بيني وبينهم، الفتاحة الحكومة والفتاح هو الحكم، لأنه يفتح المستغلق كما يسمى تفضلًا وتفضيلًا وفضلًا لآية يفصل بين الخصوماتِ ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: 118].

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩﴾

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ [الشُّعراء: 119] الفلك المملوء أي السفينة وجمعه: فلك، فالواحد بوزن أسد كسر وأفعيلًا على فُعَل لأنهما أخوان

في قولك: العَرب والعُرب والرَّشد والرُّشد وقالوا: أسد وأُسد وفَلك وفُلك.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الشُّعراء: 120] أي بعد إنجائه ومن معه في الفلك المشحونِ أغرقنا ما عداهم.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الإنجاء والإغراق ﴿لَءَايَةً﴾ واضحة لما في العالم سيما لمن في زمانه على كمال قهره وغضبه ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعراء: 121] في زمانه قيل الإغراق، وأما بعد الإغراق فقد بقي شرذمة قليلة فلا يصدق عليه الأكثر، وبعد نوح عمر الله تعالى العالم بأولاد نوح وأتباعه من المؤمنين ولذا سمي بآدم الثاني، وأهل الله أمته بعضهم قلبه على قلبه، وبعضهم على قلب شيت، وبعضهم على قلب نوح، وبعضهم على قلب إبراهيم، وهكذا بإزاء كل نبي أو ولي من أمة محمدﷺ وهكذا إلى أن [يكثر] المؤمنون ولم يبق أحد حتى يقول لا إله إلا الله فيومئذ تقوم القيامة وتظهر الساعة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القاهر على عباده بالغرق والإهلاك ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 122] على ذريات صلب نوح بأن أخرجهم واحدًا بعد واحدٍ.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشُّعراء: 123] حفدته وأحفاده وذرياته وأولاد عاد اسم لهم هود من أولاد عاد كما قال:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾﴾ [الشُّعراء: 124 - 126] اتقوا الله واعبدوه ولا تشركوا بالله شيئًا واتقوه فإنه قادر على إهلاككم كما أهلك قوم نوح وأنشأكم بعدهم.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾﴾ [الشُّعراء: 125] عادل في حفظ ما أوصانا الله وأمركم بالعبادة على وجه يليق بحالكم.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في كل الأحوال وتمام الأعمالِ ولا تغفروا عن قهرمانِ سلطانه وسخطه وعزة شأنه وكمال استغنائه فإنه كما أهلك قوم نوح ولم ينل كذلك قادر على إهلاكهم ولم يبال ولم يعبأ بكم ولا بعدكم ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الشُّعراء: 126] فيها أبلغه منه الله إليكم لإصلاحِ حالكم وإفلاح مآلكم وإنجاح بالكم.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ وعوض ومنفعة وغرضٍ ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشُّعراء: 127].

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ أي تقصدون إلينا في كل مكان رفيع وأرض عالية وسبغ العيش، ومنه ريع الأرض، أي ارتفاعها يجوز فيه الكسر والفتح ﴿آيَةً﴾ علامة رفيعة وإمارة مضمونة وسيعة كانوا في أسفارهم يهتدون فعمدوا أن يفعلوا ويصنعوا أعلامًا ومعالم طوالًا كالمنارات ليستعينوا بها عن النجوم ﴿تَعْبَثُونَ﴾ [الشُّعراء: 128] بذلك وتلعبون وتلهون بها وإنما سماها الله عبثًا ولعبًا ولهوًا لأنهم قصدوا بها الاستغناء عن النجوم التي جعلها هدايةً لعباده في البر والبحر في الأجسام والجبال والشهرة ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: 97] الآية، أو يتخذون بروجًا للحمام ليلعبوا بها.

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ ليجتمع الماء فيها ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشُّعراء: 129] مزجين الخلود في الأرضِ فتكونوا ذوات لعب ولهو وعبث.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ أخذتم بعنف بقوة سيف أو سوط ورماحٍ وغير ذلك ﴿بَطَشْتُمْ﴾ لها حال كونهم ﴿جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: 130] آخذين ظلمًا وعلوًّا والذي يضرب على الغضب أو ليقتلون بقطعٍ.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٣١﴾

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تتبعوا الجبارين في شيء من خصائصهم القبيحة ونصائصهم الوقيحة ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الشُّعراء: 131] فيما أمرتم به من الأحكام الإلٰهية والأعلام الربانية والمعالم الإسلامية.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ۝١٣٢﴾

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم﴾ وأعانكم وقواكم ﴿بِمَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الشُّعراء: 132] من الأعمالِ البدنية والأفعال النفسية.

﴿أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ۝١٣٣ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝١٣٤﴾

﴿أَمَدَّكُم﴾ [الشُّعراء: 133] وأعطاكم وأنعمكم وأفضلكم ﴿بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ۝١٣٣ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾ [الشُّعراء: 133 - 134] وإنما عدد النعم وفصّلها تنبيهًا على أن الله تعالى قادر على إنعامها وتثبيتها وقادر على سلبها عنكم وإزالتها منكم وعلى أن يعذبكم آجلًا وعاجلًا قال هود لقوم عاد.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٣٥ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ۝١٣٦﴾

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٣٥ قَالُواْ﴾ [الشعراء: 135 - 136] قوم عاد بعد بناء على غفلتهم وعموم جهالتهم بأحوال الآخرة وفرط توغلهم في استيفاء الشهوات واستيعاب جهاتِ تحصيل اللذات، قد قست قلوبهم وانغمست نفوسهم في الاحتفاظ بأجزاء الشهوات وأداء المشتهيات ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ﴾ بنا ونصحتنا جعلنا أهداف سهام سني النصائح ﴿أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ﴾ [الشُّعراء: 136].

﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣٧﴾

﴿إِنۡ هَٰذَآ﴾ الفعل الذي هو الوعظ والنصيحة ﴿إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الشُّعراء: 137] وحرص القوم السابقين وعادتهم ورأيهم في اختلافهم وتكلفهم في النقول كما الأساطير الأولين.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝١٣٨﴾

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الشُّعراء: 138] على ما نحن عليه من الأفعال الجسمانية والأفعال النفسانية من اللذات ومشتهيات الحيوانات هذا يحتمل أنهم ينكرون العذاب ويعتقدون أن لهم لحسن الظن بنفوسهم ينفون العقاب عن نفوسهم خاصة كما قالت اليهود لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودةً.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بسبب تكذيبهم بريح صرصر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الإهلاك بالريح المعهود ﴿لَآيَةً﴾ دالة على كمال استغنائه من المخلوقات كلها يبالي من إهلاكهم ولا يتهيج بخلقهم وتدبيرهم ولا يرُّد طاعتهم ولا يضرّه معصيتهم وكفرهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعراء: 139] باللسان والنفس والقلب والسر والفؤاد والروح والإيمان المعتبر هو أن يظهر من هذا الإعطاء مطابقًا بعضه بعضًا كما قال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفَال 4]، فلو كان في قوم رجلٌ طاهِر النفس حاضر القلب والسر والغيب، كامل في عبادات البدنِ، فاضل بطاعاتِ الأعضاءِ والجوارحِ والأجزاء خلوة وجلوة سرًّا وجهرًا، وكان دعاؤه في دفع البليات ورفع المؤلمات مقرونًا بالإجابة كما قال النبي ﷺ: «**لولا العاملون لهلك العالمون**»، وقال أيضًا: «**إنّ اللّه ينظر إلى هذه الأمة بالعلماء والفقراء، والعلماء ورثتي والفقراء أحبائي**».

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝١٤٠﴾

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القوي الغالب على الأشياء والقادر على من يشاء من الفقراء والأغنياء ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 140] على عباده بزيادة العناية في حقهم.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۝١٤١﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشُّعراء: 141] ساق الكلام في عاد.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٤٢﴾

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشُّعراء: 142] ولا تخافون ولا تحترزون غضب الله وسخطه الذي جرى في قوم هودٍ.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشُّعراء: 143] في أمتي لا أقول لهم إلا ما أمرني الله به.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وقهره وغضبه الذي جرى في يوم هود ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الشُّعراء: 144] في أمر ربي لأبلّغكم أحكامه التي قدّرها لكم في سابق علمه وسائق قدره وحكمه.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ﴾ إلا تبليغ الأحكام وتفريع الأحكام ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشُّعراء: 145].

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ يجوز أن يكون إذكارًا لأن يتركوا مخلدين في نعيم هم لا يزالون عنه وأن يكون تذكيرًا لنعمه في تخلية الله إياهم وما ينتفعون فيهِ من الجناتِ وغير ذلك مع النعمة والدعة ﴿فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ [الشُّعراء: 146] أي الذين استقر في هذا المكان من النعيم فسرها بقوله.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء: 147 ـ 148] لطيف لين التمر وهو الذي يطلع ويظهر من النخل، هذا أيضًا إجمال ثم يفصّل.

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ وتصنعون وتعملون ﴿مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشُّعراء: 149] ساوين فرحين من الفراهة وهي النشاط والمسرة لأن الحاذق يعمل بنشاطِ النفس وطيب قلب.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وتحذروا انتقام بأس الله وشدة بطشه ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الشُّعراء: 150] فيما آمركم من العباداتِ وأبيّن لكم من أنواع الطاعات.

﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشعراء: 151 ـ 152] استعيرت الطاعة التي هي انقياد لأجل امتثال الأمرِ أو استعير لامتثالِ الأمر وارتسامه طاعة لأمرِ المطاع، أو جعل الأمر مطاعًا على المجازِ الحكمي أو المراد كما مر ومنه قوله لك على أمر وطاعة أو بسبب حكم الأمرِ إلى أمره مجازًا ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [الشُّعراء: 152] وفي عطفه إشعار بأن المسرفين مشحون من الفسادِ والإفسادِ بحيث إنه لا مجال فيهم لا للصلاحِ ولا للإصلاحِ فالحري باللبيب الفاضل والأديب الكامل أن يتجنب منهم فضلًا وعن الإطاعة بهم والإشاعة بهم.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ﴾ أصحاب ثمود وأتباعه لصالحٍ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ [الشُّعراء: 153] أي الذين سحروا كثيرًا حتى غلب على عقله، أو من ذوي السحر الذي عذب عقلهم، أو منه ذوي السحر الذي هو الرتبة وهو بشر.

﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ في الخصائصِ الإنسانيةِ واللوازم لأن الذاتية القريبة والبعيدة فليس لك يا صالِح علينا مزية ولا رجحان ولا هوية وإن كان لك حجة ومزية وفضل ﴿فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ﴾ وعلامة وحجةٍ وأمارة على ما ادعيته ﴿إِن كُنتَ﴾ في دعواك ﴿مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: 154].

﴿قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾﴾

﴿قَالَ﴾ صالح ﴿هَـٰذِهِۦ﴾ الدابة التي أخرجها الله من الصخرة بدعائه حيث اقترحوا منه لدى التصدي في معرض المعارضة والتحدي وهي ﴿نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ﴾ [الشُّعراء: 155] ونصيب معين وسهم وحظ مبين من الماء الموعود والنبي المعهود. وقرئ بالضم. روي أنهم قالوا: نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة تلد. فقعد صالِح يتفكر فقال له جبرائيل: صلِّ ركعتين وتنفل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة، كما حاولوا منه فركب بين أيديهم [ونجت شلها سيبا في العظم](*). عن أبي موسى

(*) عبارة غير واضحة في الأصل المخطوط.

أنه قال: رأيت مصدرها فإذا هو ستون ذراعًا كانت يوم شربها تشرب ماءهم كله ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشُّعراء: 155] فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموا في شربها.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشُّعراء: 156] عظيم اليوم تعظيم قهر فيه برضائهم، أو لحلول العذاب فيه، وصف اليومية أنه أبلغ من وصف العذاب به لأن الوصف إذا عظم لسببه كان موقعة العظم وأشد. روي أن سطعًا ألجأها إلى مضيق في شعب وطريق فرماها فأصاب رجلها فسقطت ثم ضربها. روي أن عاقرها قال: لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين لعقرها فتقول نعم وكذلك صبيًّا.

﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ﴾ صاروا ﴿نَـٰدِمِينَ﴾ [الشُّعراء: 157] على عقرها فندامتهم ما كانت ندامة صادقة وصادرة من التوبة الكاملةِ والإنابةِ الفاضلةِ بل للحوقهم ولحوق العذاب وكانت صادقة إلا أنها ما كانت في وقتٍ ينفعها وذلك عند معاينة العذاب.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ الموعود ولحقهم العقاب المعهود ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ العذاب ولحوق العقاب ﴿لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ عند نزول النوائب وحلول الشوائب ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 158].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب المنتقم القهار السالب الهايب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 159] لمن تاب بالإخلاصِ وأناب إلى الله بوفور الاختصاص بعناية الله ورأفته الخاصة.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشُّعراء: 160] بناءً على أن تكذيبهم البعض وهو

تكذيب الكل لكمال اتحادهم وقوة اعتقادهم فالاعتماد على اعتدادهم.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٦١﴾

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشُّعراء: 161] الخالق القاهر الذي خلق الناقة من الصخرة من لا شيء محض وأخذ القوم الذين اتفقوا على عقرها وعقر نتيجها.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٦٢﴾

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشُّعراء: 162] يريد لغيره من إخوانه وقرنائه وعموم قربانِهِ ما يريد لنفسه ولأهله.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٦٣ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٤ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝١٦٥﴾

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٦٣ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٤ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشُّعراء: 163 ـ 165] بين أعيان ﴿الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 165] ويتركون النساء مهجورة ويشتغلون الأدبار لغلبة الشقاوة عليهم.

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ۝١٦٦﴾

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم﴾ ولأجلكم وحفظ نسائكم ﴿مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشُّعراء: 166] مجاوزون عن حد الاعتدال وعلى ما حد خالقه في إجراء الشهوات.

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ۝١٦٧﴾

﴿قَالُوا﴾ في جواب لوط في دعوته إياهم إلى اللّهِ ترك الشهوات التجارية لا على الوضع الطبيعي والطريق المشروع الموضعي الذي وضعه الله لنظام أحوال عباده دينًا ودنيا ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ﴾ بترك ما دعوتنا إليهِ ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشُّعراء: 167] المعينين من بين أظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال يعتدون به واحتباس لأملاكه وكما يكون حال الظلمة إذا أخلوا بعض من يقبضون عليه كما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة من الأصحاب.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشُّعراء: 168] المبغضين الجاذمين غاية البغض والكراهة لا أقف عن الإنكار، قالين من القلي وهو البغض الشديد كأنه يقعد بقلي الفؤاد ويوقد الكبد ويشوش العباد قال:

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

﴿رَبِّ نَجِّنِي﴾ خلصني ﴿وَأَهْلِي﴾ مع أهلي ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشُّعراء: 169] من سوء أقبضته قباحة أفعالهم ووقاحة أعمالهم وسماجة أقوالهم.

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الشُّعراء: 170 ـ 171] وهي أن امرأة لوط وإن كانت معصومة إلا أنها لما كانت راضيةً بأعمالهم القبيحة وأقوالهم الوقيحة والراضي بالمعصية عاصٍ كما أن الرضاء بالكفر كفر والراضي به كافر.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ [الشُّعراء: 172] أهلكنا ما عداهم وهم رضوا بالقبائح فالمستثنى إما منقطع أو متصل لدخولها في الأهلِ والاشتراكِ الاسمي والحقيقي ثم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ من الحجارة والحصى قد أمطرها الله تعالى على شدادِ القوم وأعيانهم فأهلكهم ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الشُّعراء: 173] واللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾﴾

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ عند حلول العذاب المديد ونزول العقابِ الشديد ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 174] إذا لم يكن كذلك لما نزل ما نزل وحل.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾ [الشُّعراء: 175] القاهِر القوي الغالب على ما جرى على مقتضى الطبيعة المدبرة وخرج عن مرتضى الحقيقة التي هي المبدأ.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشُّعراء: 176] هي غيضة وأرض تنبت أشجارًا مثمرة وغير مثمرة بقرب مدين يسكنه طائفة بعث الله إليهم شعيبًا.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشُّعراء: 177] إنما لم يقل أخوهم شعيب لأنه ما كان منهم وفي الحديث: «**إنّ شعيبًا أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة**».

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشُّعراء: 178] وإنما كرر هذه الآية في الكل إشعارًا بأنّ الأمانة شرط النبوة وإن دعوة الرسالةِ واجبة في ذمة الكل وإن الخيانة منافية للنبوة حتى خيانة الأعين، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: 19].

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾﴾

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في كل الأحوال وعموم الأقوال وهجوم الأعمالِ والأفعالِ ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الشُّعراء: 179] في تمام ما آمركم وأدعوكم إليه مما ينفعكم آجلًا وعاجلًا وينجيكم من الشقاوة المكتسبة.

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشُّعراء: 180] في الكل شعار بأن رتبة النبوة لا تليق بملاحظة الغرض ومطالبة العوض أو البغضة والمحبة اللتان تدوران على الأغراض وعلى ملاحظة المنافع والأعواض يعدلان الفكر عن الأصالة قال النبي ﷺ: «**حب الشيء يعمي ويصم**».

قال بطليموس: المحبة والبغضة يعدلان الفكر عن الأصالةِ ومشعران نسبة الله إلى الأشياء وإلى العالم وما فيه من الأهرمان والملائكة عباد الرحمٰن والإيالة والشياطين والأغوال والجان والسماوات والأرض وما فيها، وسائر العناصِر وما فيها، وما ضافه من المعادن والنباتِ والحيوان، وأفراد الإنسانِ وسائر الأعيان على السواءِ كلها تحت ربوبيته مقهورة وإلى حضرته طوعًا وكرهًا مجرورة، والكل باللطافة الخفية مسرورة.

﴿ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾

﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ آتوه وأعطوا حقوق الناسِ تمامًا وكمالًا بلا خيانة ولا خسران ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ [الشُّعراء: 181] حقوق الناس بالتطييب ففي الأخذ الزيادة والتكيف والإعطاء بالتخفيف.

﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿وَزِنُوا۟﴾ بالميزان العدل أخذًا وإعطاء ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء: 182] والميزان السوي من الجانبين إن كان عربيًّا فالقسط وهو الإنصاف والعدل والإيمان وإن كان أعجميًّا فهو الميزان.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ أي لا تنقصوا شيئًا من حقوقهم يقال: بخسته حقًّا إذا نقصته إياه وهو قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق يثبت لأحد أن لا يعصيه عليه مالكه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفًا شرعيًّا ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: 183] يقال: عثى في الأرض وعثى وعاف إذا أسفى فيها وذلك لقطع الطريق والمارة وإهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فسهوا عن ذلك.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾

﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ اللّه الخالق القاهر ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ روحًا وبدنًا، صورةً ومعنًى، ظهرًا وبطنًا، أفرادًا وجمعًا، تدريجيًّا ودفعًا ﴿وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشُّعراء: 184] قرئ مخففًا ومثقلًا على وزن الخلقة والإبلة ومعناهما واحد أي ذي الجبلة نحو قولك والخلق الأولين يعني من بعدهم من الخلائق ويحتمل أن يكون المراد الخلقة التي في الفطرة العليا كما ورد في الحديث: «**كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه**».

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: 2] أي خلقكم في التجلي الذاتي في الزينة الأحدية بالتعيناتِ الذاتية والوجوه الأحدية التي تتميز بعضها عن بعض بالذاتِ لا بالوصفِ والاسم والصفاتِ، فهي كلها عين الذاتِ

وعين كل واحد فيها إذ لا مفهوم ولا ذات آخر ولا اسم ولا صفات ولا وصف والإيمان والكفر والطاعة والعصيان والعلم والعرفانِ كلها عين الذات، والتميز بين هذه المعاني والمفهومات إنما هو بالذات، والتميز بين الكل إنما يكون في التجلي الأسمائي بالوصف والصفات، خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليه من نوره فمن أصابه فقد اهتدى ومن لم يصبه فقد ضل وغوى.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٨٥﴾

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ [الشُّعراء: 185] يا شعيب فقد تقدم قبيل هذا المقام من تفصيل بيان هذا المرام.

﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ١٨٦﴾

﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ في الأحوال والكمالات فلا يكون لنا مزية وفضل حتى يدعى علينا بالتفوق والنبوة ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [الشُّعراء: 186] مخففة من المثقلة بقرينة اللام والشأن والحال إن نظنك من جملة المنفرين وزمرة الكاذبين.

﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧﴾

﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا﴾ بفتح السين وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر بالسكون والحركة جمع قطعة قيل الكسف والكسفة مثل الربع والربعة وهي القطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشُّعراء: 187] في دعواك أي صادقًا فلا بدّ من برهانٍ ودليل وحجةٍ وسبيل وهوان يسقط علينا قطعة من السماء قال شعيب في جوابهم.

﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨٨﴾

﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الشُّعراء: 188] أي بأعمالكم ومعمولاتكم مما تستوجبون لها من العقاب فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف وقطع من السماءِ ففعل وأراد عقابًا آخر قالبه المشيئة والحكم فأخذهم الله على ما اقترفوا أو هم ما يقترفون إلا على وفق ما شاء الله وعلمه وقدره لهم في سابق قضائه وحكمه ﴿وَمَا

تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: 30] الآية.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿189﴾﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشُّعراء: 189].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿190﴾﴾

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي في جعل الأشياء تابعًا لمشيئته وإرادته وجاريًا على مقتضى قدرته وحكمته ﴿لَءَايَةًۖ﴾ دالةً على كمال قدرته وحكمته ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعراء: 190] بالله وبمن أرسله إليهم وهو شعيب.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿191﴾﴾

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القادر على كسف السماء وقطعه القاهر عليم باستقصائهم عليهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 191] بالمؤمنين.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿192﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشُّعراء: 192] أي منزلةً منجمًا وتدريجًا.

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿193﴾﴾

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشُّعراء: 193] أي باستصحاب جبريل بواسطته نزل القرآن.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿194﴾﴾

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: 194] وسرك وفؤادك والوجه الذي يلي الروح، فإنّ للقلب وجهين وجه في النفس يقبل بهذا الوجه ما يتصاعد إليه من صور الأعمالِ ويقال لهذا الوجه الصدر ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزُّمَر: 22] ووجه الروح يقبل به الإشراقات الربانية والمعادن السبحانية وبهذا الوجه يصعد ويرتقي إلى ما قبله من النفس من صور الأعمال والأقوال والأفعال ثم يجردها عن الصور ويجعلها مناسبة للروح فيتصاعد إليه ثم يجردها عن الصور الروحية ويجعلها العالم العقلي فيتصاعد إليه ثم يجرده في الصور الفعلية ويصورها

إلى العلم الذي كانت عليه أولًا ثم يتجرد من العلم ويتصل بالذاتِ كما كانت عليه في التجلي الذاتي ثم ينزل من التجلي بالتجلي الأسمائي إلى عالم العلم ومنه إلى عالم الأمر والمثال إلى الناسوت ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشُّعراء: 194] بكتاب مبين.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشُّعراء: 195] واضح المعنى متعلق بتنزيل والمنذرين وهم هود وصالح وشعيب.

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشُّعراء: 196] أي القرآن موصوف ومذكور في الكتب السالفة والصحف الغابرة.

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ أي القرآن المميزة الآية وهي الفصاحة الكاملة والبلاغة الفاضلة ﴿عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشُّعراء: 197] في تأويل المصدر المرفوع على أنه اسم (يكن) إذا قرئ ﴿ءَايَةً﴾ منصوبة والفعل غائبًا مذكرًا وإن قرئ بالتاءِ جعلت ﴿ءَايَةً﴾ مرفوعة بأنها اسمه وأن يعلمه خبرًا وليست كالأول لوقوع النكرة اسمًا والمعرفة خبرًا وقد أخرج وجهًا آخر ليتخلص من ذلك التكلف فقيل في (يكن) ضمير القصة، وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز أن يكون على هذا أن يكون لهم آية هي جملة الشأنِ وأن يعلمه بدلًا عن آية ويجوز أن ينصب الآية ما تلت لكن كقوله ثم (لم يكن) فتنهم إلا أن قالوا ربنا، والاستفهام للإنكار والتوبيخ، أي أما كان لقريش وسائر الكفرة آية ليعلم بها حقيقة القرآن وصدق صاحبه علم فيها بني إسرائيل حقيقته وحقيقة صاحبه؟

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾﴾

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ [الشُّعراء: 198] الذين لا كتاب لهم ولا كتابة عندهم فإن كمال عقلهم ووفور علمهم ودرور حكمهم وسكونه عريفًا للحق لا بقلة هم بأمره مانِع ألا يقلدهم ولا يقيدهم شيء صافٍ رافِع لإدراك حقيقةِ القرآن وصدق صاحبه.

﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١٩٩﴾

﴿فَقَرَأَهُۥ﴾ وتلا الرسول القرآن ﴿عَلَيۡهِم﴾ أي على الكفار ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشُّعراء: 199] لفرط عنادهم وكمال غيهم وتلال عيهم ووفور طيهم.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ وكما سلكناه على الكفار وآمنوا به أدخلناه أي القرآن وأنزلناه ومكناه على رجل عربي بلسانٍ عربي مبينٍ فسمعوه وفهموه وعرفوا كمال فصاحتِه ونهاية بلاغته وغاية جراحته وملاحته ونظام حسن تلقي بعض العلماء من بني إسرائيل أتاه وقتله بكمال الاعتقادِ وصميم القلب وإمداد مبهم عن عالم الغيب ﴿سَلَكۡنَٰهُ﴾ وأدخلناه ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الشعراء: 200].

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٢٠١﴾

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ﴾ ويشاهدوا ﴿ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [الشعراء: 201] ويعاينوا العقاب العميم ويلجئهم إلى الإيمانِ إلا أنهم لا ينفعهم إيمانهم كما لا ينفعهم شفاعة الشافعين.

﴿فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٠٢﴾

﴿فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الشُّعراء: 202] العذاب المعهود والعقاب الموعود في الدنيا، وليس المراد ترادف رؤية العذاب ومفاجأة وسؤال الفطرة والأعمال المهمة في الوجودِ وفي نفس الأمرِ والمراد ترتيبها وتزيينها في الشدّ والمنع كله قيل لا يؤمنون بالقرآنِ حتى يكون رؤيتهم العذاب مما هو أشد منها وهو لحوقهم العذاب لهم مفاجأة كأنه أفسد منه وهو مسألتهم الفطرة نظيره قولك لمن تعظه وتنصحه إن ساءت مقتلًا ووبخك الصالِحون فمقتك الله فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله لا يوجب عقيب مقت الصالحين فما أشدّ من مقتهم وهو مقت الله.

﴿فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ٢٠٣ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ٢٠٤﴾

﴿فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ٢٠٣ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ٢٠٤﴾ [الشُّعراء: 203 ـ 204] تبكيت

لهم بإنكار وتهكم معناه كيف تستعجل العذاب من هو معرض بعذابٍ يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والإمهالِ والمهل وطُرفة عين والإيجاب إليها ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يولجون به عند استنظارهم يومئذٍ فعلى هذا الوجه يكون ويستعجلون حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل ما بعده فذلك استعجالهم بالعذاب إنما كان لاستعجالهم واعتقادهم أنه كان غير لاحقٍ بهم.

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ يا محمد ومن يليق بهذا الخطأ فيه عباد إليه الصالحون ﴿إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ﴾ وجعلناهم مستمتعين باللذاتِ البهيمية والشهوات الودية والمشتهيات الدينية ﴿سِنِينَ﴾ [الشعراء: 205].

﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [الشُّعراء: 206] من العذاب الأليم آجلًا وعاجلًا.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾

﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾ وأفاد لهم لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشُّعراء: 207] طور الأعمارِ والاتساعِ في أنواعِ المعايش وصنوف الأطوار في الأدوار وعن ميمون بن مهران لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاه فقال له: عظني، فتلا هذه الآية ولم يزد عليهما فقال: لقد وعظتَ فأبلغتَ.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [الشُّعراء: 208] من الرسل يفتدون أهلها.

﴿ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾

﴿ذِكْرَىٰ﴾ منصوبة بمعنى مذكرة هنا وأنذر مترادفان أو لأنها ضمير منذرون أو لأنه مفعول له على معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة أو التذكرة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف يعني هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذورة دفعة، ووجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكت أو صفة بمعنى منذورة أو وجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعول له والمعنى فلا يعصوا مثل عصيانهم لأجل التذكرة والموعظة ﴿وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾ [الشُّعراء: 209]

في إهلاكهم إفراطًا وتقبيحًا وتفضيحًا لا لاستحقاقهم هذا النوع من العذاب بل لإقدامهم على أنواع المعاصي القبيحة يستحق غير هذا أيضًا.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ [الشُّعراء: 210] يقولون أن محمدًا ليس بنبي بل كاهن وساحِر وما تنزل عليه من الله شيء من الكتاب بل يتنزل عليه ما ينزل به الشياطين على الكهنة فرد الله عليهم أن هذا.

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ﴾ أي يستهل للشياطين ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الشُّعراء: 211] ولا يقدرون عليه.

﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشُّعراء: 212] أي عن إشراف ما ينزل من السماء لمعزولون لا يتمكنون عن استماع أعيان الملائكة المدبرة للسموات والأرض.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾

﴿فَلَا تَدْعُ﴾ يا محمد ولا تطلب ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشُّعراء: 213].

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ [الشُّعراء: 214 - 216] وخالفتك عشيرتك أو بعض المؤمنين ولم يلتفتوا إلى ما جئت به من الأحكام الإلٰهية والأعلام الربانية وسلكوا طريقًا آخر ﴿فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشُّعراء: 216] من الكفر والشرك والافتراء والإفك وقل لهم ردًّا عليهم إني لا أبالي بكم ولا بأعمالكم.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الشُّعراء: 217] الذي ينصرك وينصر أولياءك ثم اتبع على سلوته رحيمًا على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وفرع عليه ما هو من

المعفو هو ذكر ما يفعله في جوف الليل من القيام للتهجد.

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨﴾

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ﴾ في جميع الأحوال الذاتية والعرفية الوجودية والعدمية النفسية والعرضية التي ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: 218] في الصلاة.

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى﴾ زمرة ﴿ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: 219].

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٢٠ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١﴾

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٢٠ هَلْ﴾ [الشعراء: 220 ـ 221] يا محمد ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ أخبركم ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشُّعراء: 221] من للاستفهام.

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ۝٢٢٣﴾

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ ومفترٍ ﴿أَثِيمٍ﴾ [الشُّعراء: 222] من شأنهم ومقتضى طبعهم أنهم ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ ويعرفونها للإصغاء وإدراك كيفيات الأشياء المسموعة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشُّعراء: 223] وفي الحديث الكلمةِ يحفظها الجني فيقرأها ويصبها في أذنٍ وليه فيزيد أكثر ما به كذبه.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝٢٢٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥﴾

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝٢٢٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشُّعراء: 224 ـ 225] متحيرون.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝٢٢٦ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝٢٢٧﴾

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝٢٢٦ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟﴾ [الشُّعراء: 226 - 227] ووجدوا النصرة والظفرة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ من الكفار وأهل المعاصي ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعراء: 227] والله الهادي.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 27 — سُورَةُ النَّمۡلِ — آياتها 93 مكية

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي سخر لسليمان الريح حتى القوى النفسانية وشياطين المبادئ الطبيعية وطيور المنادي العقلية والنحول الحسية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي خُصص موسى الطور السري بشهود التجلياتِ مشروطًا بإلقاء عصا الدليل لدى وضوح السبيل منوطًا باليد البيضاء مخلوطًا بمقتضى ظلمة السوداء ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي ميز طور العلماء صاحب الوجود عن طور العرفاءِ أهل الشهودِ.

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١﴾

﴿طسٓۚ﴾ [النمل: 1] بتركِ الميم المشعرة إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي الذي بدايته النهاية ونهايته عين البداية وهي مرتبة آدم إشارة إلى تحول دولة الدين الأحمدية وإلى تبدل الأديانِ بدولة الدين المحمدية والميم في الأصل والحقيقة وهي طه دون نبسط انبساط بسائطها وهي باب الظهور بشيرًا إلى حقيقة آدم فإن الحركة على نفسه وغربها في نفسها يكون منطوية على ط ج ز و ه و ح ب ا والمجموع هو وللدين له أحوال ثلاثة إذا في البداية في غاية القوة «**خير القرون قرني ثم الذين تلونهم**»، ثم ينحط في الأثناء والوسطِ وهو ميم شمس أحكامه ويختفي ويستر أعلام معالمه إلى أن يبلغ إلى ما يدل عليه حكم دوران الميم الدوار وهو ميم الأمانة الكبرى وميم إمارة إمارة الهداية العظمى يعني ثمانمائة فحَ يبدو آثار أنوار ميم شمس الهداية المزبورة وضياء أنجم أسرار الإمامية المذكورة بصورة وصفة السودان كمال العرفانِ كما قال النبي ﷺ: «**إذا رأيتموا السودان**

يظهر من جانب خراسان ألا فاقبلوه فإن فيه هداية الله».

روي أن جبرائيل عليه السلام: جاء إلى رسول الله ﷺ بعمامة سوداء ولباس أسود فسأله: ما هذا اللباسِ يا جبرائيل؟ قال: سيأتي زمان على أمتك يزين الله تعالى الإسلام بهذا للناس، صدق الله وصدق رسول الله ﷺ إيماء إلى ظهور حقيقة الإمامةِ العظمى وحقيقة الهداية الخلافة الكبرى، أولًا بالنور الساطِع والظهور البارع السيد النور نجس وقال أيضًا: «**أنا أول من تكلم بالفيض**» وهو الذي ارتفع وأخذ في الانقاء والظهور بعد الانحطاط والاختفاء والضمور إلى أن برزت الميم في تسعمائة م ي م 90 بظهر مقتضى طسم وهو صاحب الزمان مهدي آخر الزمانِ، وشاعت قصصه في آخر الزمان، وظهرت ميم ملكه في آخر الزمان وهو صورة ميم الإمامية وظاهِر الهداية والخلافة، وتطلع شمس الهداية وترتفع شيئًا فشيئًا إلى أن أشرقت أرض الإرسالات بشمس المعارف الإلٰهية والحقائق الغير المتناهية، والثلث مراتب بأداء حالات الدينِ وأركانه وهي الشريعة والطريقة والحقيقة كمراتب برزات ميم ملك الولاية والهداية والنبوة وكمونها، فبروزاتها في البداية في مرتبة الأحدية الجمعية التي هي موطن التجلي الذاتي الجامِع لتمام التجلياتِ الأسمائية والأفعالية والآثارية والصورة الجمعية الأحادية من الذات والصفاتِ المسبعةِ الذاتية والهيئة الجمعية الوحدانية التي يشير إليها بقوله طسم ط 9 اليسارية في المراتب الوسطانية التي يشير إليها سين إلى أن وصل إلى المرتبة الأخيرة وهي المرتبة الجامِعة لجميع المراتب الإلٰهية والكونية التي يشير إليها الميم الدالة على الجمعية الناسوتية إشارة إلى المراتب المحققة هي هذه الثلاثة والجمعية الأخيرة الناسوتية والإلٰهية النَّاسية ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ إلى ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [النَّاس: 1 ـ 6] يشير إلى هذا السرّ سرَّ اتحاد وبرّه وسنه فتأمل لتصحيح باقي الأسرار السنية التي هي بعينه هي الجمعية الأولى الذاتية.

﴿تِلْكَ﴾ أي ميم مراتب ظهور ميم ملك الأمة والخلافة العظمى ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ﴾ وجمعيتها ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النّمل: 1] واللوح المحفوظ وظاهِر القوة الذاتية السارية في أعيان الأنبياء أولًا ثم في أعيان أمتهم بواسطتهم من الحقيقة المحمدية على أمة محمد، فإن الأحكام الإلٰهية والأعلام الغير المتناهية قد تترتب من الحقيقة المحمدية التي هي صاحب النبوة الذاتية أولًا وبالذاتِ في أممه

الذاتية وهم الأنبياء والمرسلون وأمته الحمادون الذين هم مع الأنبياء في درجة واحدةٍ، وهي الأولية بلا واسطة والتنوين في الكتاب للتعظيم نحو: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 55].

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ إما حالانِ والعامل معنى الإشارة أو هو مرفوع إما على الخبرية والمبتدأ محذوف أي هي هدًى وبشرًى أو على أن يكون خبرًا بعد خبر أو يكون بدلًا من الآيات ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النَّمل: 2] متعلق بما قبله إشعار بأن الانتفاع من الكتاب مخصوص بالمؤمنين المخصوصين.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ويخرجونها من أموالهم البالغة إلى حد النصاب ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ﴾ وبأحوال القيامة وأحكام الساعة وبما يظهر فيها من الجنةِ والنار والصراط والميزان والحساب وما يترتب عليها من الثواب والعقاب ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النّمل: 3] أي المختصون بالإيقانِ الكامِلِ والإيمان الحق الفاضل الذين به اختصوا بالانتفاعِ الكامِلِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ﴾ ولا يوقنون بأحوالها ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ الباطلة وأعمالهم العاطلة وأحوالهم الباطلة فزادها حسنة، وإسناد التزيين إلى اللّهِ بناء على أن لا فاعِل ولا مؤثر في الكون حقيقة إلا هو فيكون إسنادها إلى الشيطان مجازًا، ومن لم ينسب له الأعمالِ وخصص الأفعالِ به دون القبيحة فعكس الأمر فيكون إسناده إلى الله تعالى إما من المجاز الحكمي أو من الاستعارة، أما الاستعارة فلأن الله تعالى متعهم بطول العمرِ وسعة الرزق وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع الشهواتِ ونظرهم وإيثار الروح والترفه ويغادرهم عما فيه من التكاليف الصعبة والمشاقِ المتعبة مكانه زين لهم بذلك أعمالهم كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ [الفُرقان: 18] وأما المجاز الحكمي فيصححه بعض الملابسات ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النّمل: 4]

يتحيرون ويترددون من العمهِ وهو التحير والتردد والضلال.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ في الدنيا كالقتل والسبي والأسر ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ [النّمل: 5] لفقدانِ ما يوصل إلى السعادة في النشأتين أو لاستحقاق التصويت فيهما إذ لو آمنوا لفازوا بسعادة الدارين وخير الكونين.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦﴾

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ وتقبله ﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ﴾ أي من عند ﴿عَلِيمٍ﴾ [النَّمل: 6] بحقائق الأشياءِ وبأحوالها وخصائصها ولوازمها على ما هي عليه في نفس الأمر إشعارًا بأن ما في القرآنِ بعضه حكمة نظرية وعملية وبعضه شرائع وأحكام دينية وأعلام يقينية وبعضه توحيد وعقائد وبعضه حكايات وقصص وأخبار عن أحوال القرونِ وأطوار القراباتِ والوقائع فشرع في بعض منها فقال:

﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧﴾

﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ﴾ لقومه في التيه حيث اقتصروا إلى النارِ واحتاجوا في بعض فجاويهم إليها، ظرف العامل مقدر أي اذكر قصة موسى إذ قال: أي وقت قوله لفوجه ويجوز أن يتعلق بعليم. روي أنه لم يكن مع موسى في تلك الليلة غير امرأته وقد كنى الله عنها بالأهلِ ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ وأدركتها من بعيد يدل عليه سين ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ ينفعكم حالًا ومآلًا ﴿أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ﴾ شعلة مشعشعة أو جمرة متلعلعة ﴿قَبَسٖ﴾ إما صفة أو بدل منه بمعنى المقبوس المأخوذ ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ [النّمل: 7] من الصلاء وهو النار العظيمة أي رجاء أن يستوقد بها ويجتمعوا حولها.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ ووصل إليها موسى ﴿نُودِيَ﴾ قيل له قولًا وجهرًا طالبًا لإقبالهِ راغبًا إلى استقبالهِ ﴿أَنۢ بُورِكَ﴾ [النّمل: 8] أن للتفسير لما في النداءِ من معنى القولِ أي قيل له بورك أو بأن بورك على كونها مصدرية لا يجوز أن مخففة من الثقيلةِ

ويكون تقديره بـ(أن بورك) ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ ويكون الضمير للشأنِ لأنه لا بدّ من قرئ أو تقع من الأرضِ من كان في مكانِ النارِ ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ومكانها هو البقعة التي يتطلب فيها وهي البقعة المباركة والذي بوركت له البقعة وعظمت وارتفعت وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر ديني فيها ودنياوي وهو كليم الله موسى واستثناؤه له وإظهار لجلب المنافِع الدينية وجذب المصالِح الدنياوية وصبر يحدد في بعض البقاع فيبشر بركة ذلك الخير ومنافعه في إفاضتها ويثبت آثار يمنه في أباعدها فكيف يمثل ذلك الأمر العظيم الذي ولج في ذلك البقعة ﴿وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [النّمل: 8] من تتمة ما نودي به لئلا يتوهم من سماعِ كلامِهِ تشبيهًا أو للتعجب من عظمة ذلك الأمرِ أو تعجب من موسى بما شاهده من عظمته.

﴿يَا مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩﴾

﴿يَا مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ إمّا للشأنِ والجملة مفسرة له أو للمبتدأ و(أنا) خبره وأن لبيان له ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النَّمل: 9] أي القوي القادر على تنفيذه على الأوهام الحاكم على الأشياءِ كيف يشاء.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠﴾

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ عطف على (بورِك) أي نودِي من في النارِ وإن ألقِ عصاك بعد قوله إني أنا الله بتكريرات ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا﴾ أي رأى موسى عصاه ﴿تَهْتَزُّ﴾ وتتحرك بالاضطراب ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ أي من موسى على الأدبارِ ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يرجع حال عقاب قاتل إذا كرّ بعد الضرّ ﴿يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ من غيري في كلّ مقام حال لأني عاصمك وحافظك ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النَّمل: 10] حين الوحي عليهم وإلقاء المغاني من عالم القدسِ لديهم بكمال استغراقهم وفرط دهشتهم إلا أن الأنبياء أخوف الناسِ من الله ولذا قال (لديّ).

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١﴾

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ [النّمل: 11] لكن من ظلم استدراك ذلك أي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء أي كالذي فرط من آدم عدم ويونس وداوود وسليمان

وأخوه يوسف ومن موسى بذكره القبطي ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما قال من موسى عدم وهو من التعريفات التي يلطف بأحدهما وسمّاه ظلمًا كما قال موسى ربّ إني ظلمت نفسي فاغفر ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ أي حسن التوبة بعد اقتراف السوء والتقبح استثناء منقطع وقيل متصل ثم بدّل مستأنف عطف على محذوف أي من ظلم بدل ومندبًا لتوبة ﴿فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النّمل: 11].

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ لأنه كان مزرعة صوف لا كم له وقيل: جيب القميص لأنه يجاب ويقطع ﴿تَخْرُجْ﴾ من الجيب بإرادته وتحريكه ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ وآفة وعيب من أبيض ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ وفي جملة تسع آياتٍ وعدادهن أو معها، على أن التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدّم والطمس والجدب في بواديهم والنقص في مزارعهم، وأما اليد والعصا فآيتان سواها فمن عد اليد والعصا من التسع يعد الآخرين واحدًا ولا يعد الفلق منها لأنه لم يذهب به ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ اذهب في تسع آيات استئناف بالأول فيتعلق به إلى فرعون وقومه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [النّمل: 12] تعليل للأولِ وإلى فرعون متعلق بنحو مبعوث أو مرسل.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ ظاهرة المبصر ومحركة ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا﴾ البصر والإبصار أو كونهما خسيئة ﴿سِحْرٌ﴾ [النّمل: 13] وتعلّ أم تحير الفهوم ويذهبها عن إدراك الأشياء على ما هي عليه فتخيله بهذه الهيئة ﴿مُّبِينٌ﴾ [النّمل: 13] ظاهِر وواضِح جعلت كأنها يبصر ويعاين ويهدي لأنّ العمى لا يقتدر على الاعتداءِ فضلًا لأن يهدي غيره ومنه قولهم كلمة وعثاء كلمة غوراء لأن الكلمة الحسنة يرشد إلى السنية يقوي ونحوه قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسرَاء: 102] بصائر فوصفها بالإبصار عن البصرة بالفتح على أنها اسم مكان يكثر فيه التبصرة.

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ وأنكروا تلك الآيات وكذبوها ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ﴾ وطلبت ﴿أَنفُسُهُمْ﴾ اليقين بها ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ متجاوزين عن الحد متكبرين عن الإيمانِ بها مستكثرين عنه بقولها والإذعان بأحكامها ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النَّمل: 14] يعني أنهم جحدوا تلك الآياتِ بألسنتهم واستيقنوا بعلومهم وقبلوها سرائرهم وغيرهم وهو أبلغ من الإيقانِ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ﴾ كاملًا وحكمًا نافعًا شاملًا متعلقًا بالشرائع النبوية والنواميس الإلٰهية والحقائق الغير المتناهية الربانية والكتابية ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾ بالعلم وكمال اليقين ووفور الحِكم منه ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النّمل: 15] وقيد المؤمنين بالإيمانِ لعدم الاعتدادِ بالكافرين وجمعية الفعلِ بافتقار التبع أو لكون التثنية أقل الجمع يشعر أن الفضل والشرف إنما هو بالعلم لا بالعمل المجرد لانتفاء التعويل عليه بل لا يوجد بدونه أو لأن العلم الكامل مما يستتبع العمل التام والفعل العام لأنه حيوية.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ العلم والحكم أو الملك دون سائر أنبيائه من تسعة عشر ﴿وَقَالَ﴾ سليمان لأخوته أو لسائر الخلق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ﴾ إشعار باختصاص الإرث عليه من كل شيء من كل المسخرات تنبيه على أنّ [من] أعطي نعمةً لا بدّ وأن يذكرها ويشهرها لأنها من طلائع الشكر أو نفس الشكر لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: 11] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الإرث والإيتاء ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ﴾ والإحسان ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ [النّمل: 16] الظاهِر الواضح الشاهِر.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النّمل: 17] يقبحون والتعلق كلما يصوب من العز والذي علمه سليمان هو ما يفهم بعضه من بعض من معاينة وأغراضه بالوضع الذي علمه وحده وخصصه به.

حكي أنه مرّ هر على بلبل على شجرة وكان الهر يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ قالوا الله ورسوله أعلم، فقال: يقول: أكلتُ نصف ثمره فعلى الأبناء العفاء والتراب، وصاحت فاختة(*) فأخبر أنها تقول: ليت ذات الخلق لم يخلقوا، وصاح طاووس فقال: كما تدين تدان، وصاح هدهد فقال: استغفروا الله يا مذنبون، وصاح طبطوي فقال: يقولُ: كل حي يموت وكل جديد بال، وصاح خطاف: قدموا لأنفسكم خيرًا تجدوه، وصاحت رخمة تقول: فقال: سبحان ربي الأعلى وقال الحداء: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: 88]، وقالت القطا: من سكت نجا وسلم، وقال الببغاء: ويل لمن للدنيا هواه، ويقول الديك: اذكروا الله يا غافلون، والنسر: عش ما شئت آخرك الموت، والعقاب يقول: في الميعاد الناسِ، والنمل والضفدع يقول: سبحان ربي القدوس. وإيثار الجمع في قوله: (أوتينا) أي لكون المراد هو وأبوه، أو إشارة إلى أن اللّه ما خصص هذا الشرف به بل تعطيه من تشاء وتمنعه ممن تريد وتشاء.

روي أن معسكره كان مائة فرسخٍ في مائة فرسخ، خمسة وعشرون للوحش، وكان له ألف بيت من قوادير على الخشب، فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية، وقد نسجت له الجن بساطًا من ذهب وإبريسيم فرسخًا في فرسخ، وكان يوضع ميزة في وسطِه، وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كرسي من ذهب والعلماء منه على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين ويظلّه الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس ويرفع ريح البساط فيسير مسيرة شهرٍ. روي أنه مرّ بحراثٍ فقال: لقد أوتي داوود ملكًا عظيمًا قال: إنما مشيت إليك لئلا يتمنى ما لا يقدر عليه فقال الحراث: لَتسبيحة

(*) الفاختة: ضرب من الحمام المطوّق إذا مشى توسع في مشيه وباعد بين جناحيه وإبطيه وتمايل، والجمع فواخت.

واحدة يقبلها الله تعالى مما أوتي إلى داوود ملكًا عظيمًا وهم يوزعون بحسب أولهم على آخرهم ويوقف ملاذ العسكر حتى يلحقهم التوالي والتوابع فيكونون مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك لكثرة العظمة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١٨﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ وهو في الشام يكثر فيه النمل ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ﴾ من تلك الوادي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ وفيما يأوون إليه ويرجعون لديه ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ ويطأكم ﴿سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ أدخلهم عليكم ويهلككم ويطمسكم ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النَّمل: 18] ولا يدركون، فتبسم يشعر بعصمة الأنبياء، روي أن سليمان سمع كلام النملة من ثلاثة أميال، وكان اسمها طاحية، حكي أن قتادة دخل الكوفة فقال لأهلها: سلوني ما شئتم، وكان أبو حنيفة غلامًا حاضرًا فقال لشخص: سل أن النملة ذكرًا كان أم أنثى، فسأله فسكت ثم أجاب فقال: كانت مؤنثًا لقوله: ﴿قَالَتۡ﴾ دون قال وتأنيث الفعل ليست للتاء إذ لا عبرة للتاء كطلحة وأيضًا ربما تكون التاء للتنكير والوحدة.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩﴾

﴿فَتَبَسَّمَ﴾ سليمان حال كونه شارعًا إلى الضحك الصريح ﴿ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾ إن من قول النملة التبسم هو الضحك الخفي والضحك الصريح مبني على أمرٍ غريب وشيء عجيب، كما هو شأن عامة الخلق، وأما التبسم فهو عام يشترك فيه العوام والخواص مقدمة الضحك ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ أي اجعلني وأوزع واجمع جميع قواي الظاهرة والباطنة ﴿أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ﴾ واربطها بعضها ببعض بحيث لا تفلت ولا تغيب عن شيء من الشكر حتى لا أنفك عن الشكر ساعة ووفقني أن أشكر نعمتك ﴿ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ إدراج الوالدين يكثر للنعم الظاهرة والباطنة وتعميمًا لها آجلًا وعاجلًا ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا

﴿تَرْضَىٰهُ﴾ تمامًا للشكر وإقدامًا لا يستديم به النعم وإنما آخر لبعده عن خلوص الإخلاص ومظانِ الاختصاصِ ولذا بالغ في وصفه ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ﴾ الواسعة ونعمتك الساطعةِ ﴿فِي عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [النّمل: 19] الذين هم أصحاب الصفة والصفاء في صفة المجاهدين بين المروى والصفا إشعار بأن في كل زمانٍ أشخاصًا كاملةً وأعيانًا فاضلةً يتباعد الأنبياء إلى شرف صحبتهم وهم الأبرار كما قال الله تبارك وتعالى لخليله: «يا خليلي حسن خُلُقَكَ ولو مع الكفارِ تدخل مع الأبرار». قال النبي ﷺ: «**ألا طال شوقي إلى لقاءِ الأبرار**».

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ الهدهد فلم ير ولم يبصر في مكانه ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ الآن في هذا المكانِ ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النّمل: 20] أم منقطعة كأنه لم يره في مكان خلوه إنه ظاهرٌ ولا يراه إما لساتر أو لغيره من الموانِع فقال أو هو غائب، كان يسأل عن صحة ما لاح له.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي لأوذين الهدهد وأصلحه، ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ على ما تقتضي حالته ومصلحته إذ الأنبياء نفوس كاملة بعثهم لإصلاح حال الخلائق وإفلاحِ حالهم ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَـٰنٍ﴾ وحجة قاطعة وبينة ساطعةٍ ﴿مُّبِينٍ﴾ [النّمل: 21] يدل على اعتذاره في مقام التأديب والتزكية والتهذيب.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فَمَكَثَ﴾ سليمان ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ تأملًا في زمانٍ مديد ﴿فَقَالَ أَحَطتُ﴾ واطلعت واحتويت ﴿بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النّمل: 22] أي بأمور خفية وأسرار خبيثة إشارة إلى أنّ اللّه تعالى بعباده ألطافًا خفية ومن المنح الجليلة أصنافًا جليلة ولو كان العبد أحقر العبادِ وأصغر الآحادِ وأقصر الأفراد، هذا في الحقيقة تأديب له اختبار لسليمان حيث حقر الهدهد وصغره في مقام عرض عظم شأنه وجلالة سلطانه فالحري بالعاصي أن لا يعظم نفسه ولا يصغر غيره لئلا يقع في موقع العقاب

وموقع الفتنِ وهجوم العذاب بل يرى كل من أدركه ووقع بصره أفضل وأشرف من نفسه عند اللّهِ ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾ أي أخبرتك من ملك سبإٍ وبلقيس أخبارًا ﴿يَقِينٍ﴾ [النّمل: 22] ملائم بلسان المقدس.

حضر سليمان للحج بمكة ودار بها فوافى الحرم وأقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم السير إلى اليمنِ فخرج من مكة صباحًا يؤم ويقصد سهيلًا فوافى صنعاء وقت الزوال، وذلك مسيرة شهر فرأى أرضًا حسناء أعجبته خضرتها وبهاؤها ونضارتها فنزل ليتغذى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد ذا قيافة ويرى الماء من تحت الأرضِ كما يرى الماء في الزجاجةِ فجاء الشياطين وسلخوا بها كما يسلخ الشاة عن الإهاب واستخرجوا الماء، وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدًا آخر واقفًا وانحط إليهِ فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيءٍ، وذكر له صاحبه ملك بلقيس وسبإ وساكنيها وعظمتهم وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائدٍ تحت كل قائدٍ مائة ألف وذهب معه إلى ملك سبإ لينظر فما رجع إلا بعد العصر وذكر أنه وقعت نفحة ولمحة وقطعة من الشمس على رأسِ سليمان فنظر فإذا موضع الهدهدِ خالٍ، فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب عليّ به فارتفعت ونظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها فقال الله فقال: بحق الله الذي قواك وأقدرك عليّ إلا أرحتني فتركته وقالت: ثكلتك أمك أن نبي الله قد حلف ليعذبنك قال: وما استثنى قال: بلى أو ليأتيني بعذر مبين.

فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرضِ تواضعًا فلما دنى منه أخذ برأسِه فمده إليه فقال: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي اللّهِ، فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله تعذيبه أن يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسِه. وقيل: كان تعذيب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه ويطلى بقطرانٍ أو التشميس أو الإلقاء للنمل ليأكله أو إدخاله في القفص أو الإلقاء بين الأضداد ولذا قيل ضيق السجونِ معاشرة الأضدادِ ومجالسة الأعداءِ الجلاد فإن أتى بعذر واضِح معقول خلص من العقابِ فألهم الله الهدهد ملكًا، فحدث سليمانُ بهذا الكلام على ما أوتي من فضل سليمان النبوة والعلوم والحكمة والمعلومات الكثيرة والإحاطة تنبيهًا على ما قدمنا من الاختبار والابتلاء والعبرة ونفي

الإعجاب بنفسه الذي هو الفتنة الشديدة للعلماء والبلية الشديدة للعقلاء من الأنبياء والأولياء فحكى لسليمان تمهيد المغفرة.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ يعني بلقيس بن سراحيل بن مالك الريان فالضمير لسبإٍ أو لأهلها ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أسباب التمليك للملوك من العساكِر والجنودِ ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النّمل: 23].

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ويعبدونها ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ عبادة الشمس وما يناسبها من لوازم الشركِ ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الحقِّ والطريق القويم البعيد عن الاعوجاج والخرق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النّمل: 24] إلى ذلك السبيل الحقِّ والدليل الصدقِ.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ الأمر الخفي والشيء المختفي ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: 25] من الأعمالِ والأفعالِ والأحوال والأمطار والأفياضِ الحفية، والأنوار والأزهار الخفية وغير ذلك.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: 26] الذي هو أول الأجرام العالية وأجلّ الأجسام الغالية ومحيط بجملتها ومخيط بكليتها وهو أعظمها ويتحرك بالذاتِ حركةً ذاتيةً ويحرك ما دونه حركة عرفية ويسمى بالحركة اليومية والطلوع والغروب إنما هو بهذه الحركة.

﴿۞قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قَالَ﴾ سليمان ﴿سَنَنظُرُ﴾ ويتأمل ويملك ويهملك لنتضح الحال ﴿أَصَدَقْتَ﴾ في دعواك وقولك ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النّمل: 27].

﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ﴾ أمر من ألقى والضمير المنصوب للكتاب ﴿إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ﴾ أمر منه تتولى من أعرض وانصرف ﴿عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النّمل: 28] ما استفهامية أي كيف يرجعون بعضهم إلى بعضٍ ويدبرون الأمر بينهم.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿قَالَتِ﴾ من أرسل إليها وألقى الكتاب لديها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ [النّمل: 29] مكرم مضمونه ومعظم مفهومه أو من سلمه أو لأنه كان مختومًا أو لغرابة شأنه لأنها كانت في بيت مضطجعة مستلقية وكانت مغلقة الأبواب فدخل الهدهد فيه من كونه ويتردد من كوة إلى كوة قد كان مكتوبًا في كتابهِ.

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ واستئناف كأن قيل لها من هو وما هو وما كان بعنوانه وفهرسته قال: إنه من سليمان وإن العنوان ﴿وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النّمل: 30].

﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ أي مفسرة أو مصدرية فتصله خبر المحذوف أي هو أو المقصود أنه لا تعلو أو بدل من كتاب ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النّمل: 31] متوادين أو مؤمنين.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قَالَتِ﴾ بلقيس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾ أعلموني وأخبروني الاستصواب والصلاح بهذا الملك العظيم ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً﴾ فاصلة فارقة ﴿أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النّمل: 32] وتنظروني في أمري وأشاوركم فيه.

﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ﴾ وعساكرٍ وصف له ﴿وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ وشجاعةٍ وبطش تقاتل ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ والصلاح مفوض لديك ﴿فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النّمل: 33] من القتال والمقاتلة والمحاربة والمقابلة أو الصلح والمصالحة.

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ بالتخريب وحرق المزارع ووطئها وتضييع بواعثها وذبح مواشيها وإسقاطها ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النّمل: 34] من تهيئة الأموالِ وتخريب الديار والمساكن.

﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ بيان لما في البين من المصلحة والمصالحة بإرسال التحف وإنزال الهدايا وبذل مكاسب الحرف ﴿فَنَاظِرَةٌۢ﴾ عطف على مرسلة ﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النّمل: 35] بالمواساة والمسائلة أو الجدال والمقاتلة.

روي فعينت خمسمائة غلام عليهم ثيابِ الجواري وحليهن الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغطاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهِر وخمسمائة جارية على مرماكي في زي الغلمان، وألف لبنةٍ من ذهب وفضة، وتاجًا مكللًا بالدّر والياقوت والعنبر والمسك وحقًّا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو والآخر ذا رأي وعقل وقالت: إن كانت نبيًّا ميز بين الغلمانِ والجواري وثقب الدرة ثقبًا مستويًا وسلك في الخرزة خيطًا ثم قال للمنذر: إن نظر نظر إليك نظر غضبانٍ فهو ملك لا يهولنك، وإن نظر إليك بشًّا لطيفًا فهو نبي. فأقبل الهدهد فأخبر سليمان فأخبر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدانٍ بين يديه طوله سبعة فراسِخ وجعلوا حول الميدانِ حائطًا من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها في يمين الميدان ويساره على اللَّبِن وأمر الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار، ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيهِ

واصطفت الشياطين وتصففت صفوفًا فراسخ والإنس صفوفًا فراسخ والوحوش والسباع والهوام والطيور كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت إليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وتوجه شفيق وقال: وراءكم، والتفت إليهم حسن التفاتٍ ثم ردّ الهدية وقال للمنذر: ارجع إليهم فلما سمعت منه حكايته قال: هو نبي ما لنا به طاقة ولا معارضته ومقابلته استطاعة.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ رسول بلقيس ﴿سُلَيْمَـٰنَ﴾ وما امتدت هي ﴿قَالَ﴾ سليمان للرسول ولمن معه وخاطب بهم أو بالمرسل والمرسل على سبيل تغليب الخطاب على الغيبة بقوله ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ قرئ بنون واحدة أو بنونين ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ من علم وحكمةٍ وملك ونبوة بما لا مزيد عليه ﴿خَيْرٌ﴾ وأتم وأشرف وأتم ﴿مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ وأعطاكم من الأموال والأفلاكِ والحشم والعبيد والخدم فليس له عندي عظم ولا مقدار ووقع وحكم ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النَّمل: 36] الهدية اسم المُهدىٰ كما أن العطية اسم المعطى فيضاف إلى المهدي وإلى المُهدى والمضاف إليه ههنا هو المهدى كما يعني أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخارٍ على الملوكِ بأنكم قدرتم على إهداء مثلها لا غير، ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم وحقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحون.

﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ يا رسول بلقيس وقومها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم﴾ بمرسل إليهم ونسلط عليهم ﴿بِجُنُودٍ﴾ وعساكرٍ ﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أو لا طاقة لهم بتلك ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً﴾ وخوارًا ومذلةً ومهانًا ﴿وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [النَّمل: 37] وضمير منها راجع إلى سياق الذل هو زوال ما كانوا عليه من العزّ والمُلك والجاهِ والصغر هو الوقوع إلى أسرٍ واستعبادٍ وقيدٍ.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿قَالَ﴾ سليمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النّمل: 38] فإنها إن أتت مسلمة لم يحل أخذها والتصرف فيها إلا برضاها.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ والعفاريت من الرجال الخبيث المنكر الذي ينفر ويقهر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وكان اسمه ذكوان ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أي مستصحبًا بالعرشِ ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ﴾ قدير ومقتدر على عمله وعلى الإتيان به ﴿أَمِينٌ﴾ [النّمل: 39] لا خائن في عمل العرشِ وفيما فيه وعليه.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ والمنزل وهو علم الوحي والشرائع أو اللوح المحفوظ والذي عنده من الكتاب رجل كان عنده اسم الأعظمِ وهو يا حي يا قيُّوم أو إلهنا وإله كل شيء إلٰهًا واحدًا لا إلٰه إلا أنت يا ذا الجلالِ والإكرام والأكثرون على أنه هو الله أو الرحمٰن أو هو آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان صديقًا عالمًا قيل اسمه أسطوم أو هو جبرائيل عليه السلام قيل هو ملك أيد الله به سلمان أو سليمان نفسه إذ لما استبطأ عفريت قال له أنا ربك ما هو أسرع فما تقول؟ قال بعضهم: هو خضر عليه السلام ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النّمل: 40] وهو تحريك الأجفان دون النظر فوضع موضع النظر أي طرفك إلى شيء.

يُروى أن آصف قال لسليمان عليه السلام: مدّ عينيك حتى ينتهي طرفك بمدّ عينيه، فنظر نحو اليمين ودعا آصف فغار العرش من مكانه بمأرب ثم نبع في مجلس سليمان بالشام بقدرة اللّهِ قبل أن يرتد إليه طرفه، فلا ترين في وقوع مثل هذا الأوثان الأشعة البصير مع أنها من الأعراض الجسمانية يتحرك في طرفة العين ويقطع المسافة التي من آلاف وآلاف ساقه العرش، بل نسبة بينهما،

إذ أن قطع هذه الأشعة تلك المسافة بتحريك العينِ قد وقع في آنٍ واحدٍ، فما ظنك بقطع العرش بتحريك كمال قدرة اللّهِ ووفور قوته الغير المتناهية، فإن أمثال هذه الأفاعيل لا يظهر إلا بتأثيرِ كمال قدرته وجلال قوته.

ولهذا وجه آخر وجيه هو: أن التصرف قد يكون في النفوس البشرية بأن يتصرف فيها بأن يجعلها تشاهِد الوجودات البرزخية الثابتة في الخيالِ المطلق والمثال المحقق ما تحقق من أن لكل شيء حسيٍّ أو نفسي وجودًا في البرزخ المبدئي ربّما تتصرف النفس الكاملة الكلية في النفوس الجزئية ويصعدها إلى هذه المرتبة ويجعلها مدركةً مشاهدةً لما في هذه المرتبة من الأمثال المطابقة للأظلال الموافقة لثبات الأظلالِ كما تعرف النفس النبوية في النفس النبوية في مشاهدة جبرائيل عليه السلام وسأل عن الأسئلة الخمسة فإنّ في ذلك المجلس قد كان غير عمر رضي الله عنه ولم يشاهد الجبريل بل اختصت بعمر.

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ أي سليمان العرش ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا﴾ الشرف والكرامة ﴿مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ ومزيد كرمِهِ وزيادة عنايتِهِ ولطفِهِ ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ﴾ ويعاملني معاملة الاختيار والامتحانِ والابتلاء ﴿ءَأَشْكُرُ﴾ نعمته الشائقة ومنحه السّابقة ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ والشكر يعيد النعم الموجودة ويعيد الكرم والألطاف الممدودة كما قيل الشكر يعيد النعم ويصيد مرتضى الفضل ومقتضى الإحسان والكرم ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأنه يرد النفار ويصد الفرار ويسد القرار ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النّمل: 40] عن الشكر.

﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿قَالَ﴾ سليمان لدى شهود العرش ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي اجعلوه لها متنكرًا متغيرًا عن هيئته وشكله كما ينكر الرجل للناسِ لئلا يعرفوه قالوا: وسعوه واجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله ﴿نَنظُرْ﴾ بالجزم عطف على الجواب للأمرِ وبالرفعِ على الاستئنافِ ﴿أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النّمل: 41] بمعرفته أو للجوابِ الصالِح للصدق والصواب إذا سفلت عنه على الوجهِ المستطابِ أو للدينِ والإيمانِ بنبوة سليمان إذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته وأقفلت عليها الباب ونصبت عليها الجراس.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ﴾ لها وسئلت عنه ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ﴾ ثلاث كلمات حرف تنبيه واسم الإشارة وكان التشبيه إنما لم يقل أهكذا عرشكِ ولكن أمثل هذا عرشكِ، لئلا يكون تلبيسًا قالت ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ ولم تقل هو هو، ولا ليس به لرجاحة عقله ورجاحة فهمه ورجاحة علمه وتفرق خياله ونهمه حيث لم يقطع في المحتملِ ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ من كلام سليمان وملائه بالعرشِ أو بالإيمانِ لسليمان ﴿مِن قَبْلِهَا﴾ أي قبل هذه الحالة ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النّمل: 42] قيل هذا إنما وصل إلينا من الأخبارِ الصادقة والآثار الموافقة.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَصَدَّهَا﴾ ومنعها ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ﴾ أي الشمس في الجاهلية المجوسيةِ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ قيل: صدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حرف الجر وإيصال الفعل ﴿إِنَّهَا كَانَتْ﴾ قبل هذا الأمر ﴿مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [النّمل: 43] يعبدون الشمس.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَۖ﴾ [النّمل: 44] المسدد أو صحن الدار الممرد من المرد والأملس روي أن سليمان قد أمر قبل قدومِها بأن يبني لها قصرٌ من زجاج أبيض وأجرى تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر من السمكِ وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعلق لديه الطير والجن والإنس استعظامًا لأمره وإجلالًا لشأن نبوته وتحقيقًا لما هو عليه من الدينِ القويم والصراط المستقيم، وزعموا أن الجنّ كرهوا أن يتزوجها خوفًا أن يظهر أسرارهم لديه لأنها كانت بنت جنية، أو حذرًا عن أن يتولد منها ولد اجتمع عنده فطانة الجن وكياسةِ الإنس فيخرجهم من ملك سليمان إلى ملك أشد من ملكهِ وأقطع من حكمه، فقالوا له: إنّ على ساقيها أشعارًا وإن رجلها كحافر الحمارِ، فاختبر أولًا عقلها بتنكير العرشِ واختبر ساقها

بالصرح ليعرف ساقها ورجلها فإذا قيل لها ادخلي الصرح ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ﴾ وظنته ﴿لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ اللباس والثياب فإذا هي أحسن الناسِ ساقًا ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ من المرد وهو الأملس كما ورد في الحديث: «**جُرد مُرد**»، والقوارير جمع قارورة وهي طرف زجاجي يمتحن بها البول ليعلم به حال المريض صحةً ومرضًا، شبَّه ساقها بها في اللطافة. وإنما استنكحها سليمان وأحبها وأقرَّها على ملكها، وأمر الجن فبنوا لها سجين وعمدان ومدينتين، وكان يزورها في الشهر مرتين فيقيم عندها ثلاثة أيام، وولدت له، قيل: بل تزوجها وملَّكها وأمر جن اليمن أن يطيعها فبنى لها المصانع، وثم نزل أميرًا حتى مات سليمان ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة غير الله فيما سلف قيل قالت حين رأت اللجة تحسب أن سليمان يغرقها في اللجةِ فلما بدا خلاف ظنها قالت: ظلمت نفسي بسوءِ ظني بسليمان ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النّمل: 44] وآمنت به وبما جاء من البينات.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أن للتفسير ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾ فريق مؤمن وفريق كافر والمراد بهما صالِح وأتباعه ومن كفر به ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ [النَّمل: 45] يتخاصمون.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿قَالَ﴾ صالح لقومه ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [النّمل: 46] كانوا يقولون لفرط جهلهم ووفور عنادهم: إن العقوبة التي يعدها صالِح وينذر قومه بها إن وقعت على زعمه بيننا ورجعنا حينئذ واستغفرنا منذرين إنّ التوبة مقبولة في ذلك الوقت لكن مخالفة للواقع لأن الإيمان بالبأس لا يقبل: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يُونس: 91]، وإن لم يقع فنحن على ما نحن عليه. فخاطبهم صالِح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ قبل نزول العذاب ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النّمل: 46] تنبيهًا على الخطأِ

فيما اعتقدوا وتجهيلًا لهم فيما اعتنقوا.

﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ﴾ صالح ﴿وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾ من أهل الإيمانِ كان الرجل منهم يخرج مسافرًا فيمرّ بطاير فيزجره فإن مر سابحًا فيمُنَّ وإن مرّ بارحًا يتشاءم. فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان مبهمًا من قدرِ الله وقسمته ومن عمل العبد الذي هو في الرحمةِ والنقمة، ومنه قال: طائر الله لا طائرك أي قدر الله الغالب الذي ينيب إليه الخير والشر لا طائرك الذي يتشاءم به فلما قالوا طيرنا بك أي نشأ سنابك وكانوا قد قحطوا ﴿قَالَ طَـٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ أي سببكم الذي يجيء من خيركم وشركم عند الله وهو قدرة الله وقسمه إن شاء رزقكم وإن شاء جرمكم ويجوز أن يريد عملكم مكتوب عند اللّهِ فمن نزل بكم ما نزل عقوبة لكم فتنة، ومن قوله: طائركم معكم ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلۡزَمۡنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾ [الإسراء: 13]، ومعنى تطيرته تشاءمتم به وتطير من نفر منه ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾ [النّمل: 47] يختبرون بتعاقب السراء والضراء ويعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة.

﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ أي الحجر ﴿تِسۡعَةُ رَهۡطٖ﴾ وإنما ساغ تميز التسعة بالرهطِ من الثلاثة إلى العشرة أو من السبعة أو العشرةِ والنفر من الثلاثة إلى التسعة ﴿يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي شأنهم الإفساد المحض المجرد أعلى ثوب الصلاح وثوب النجاة والفلاح ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [النَّمل: 48] أي لا يقصدون الإصلاح ولا يخطر ببالهم وهم الهذيل من عبد رب غنم بن غنم بن مهرج مصدع ابن مهرج عمر ابن كردنة عاصم بن مخرمة سبط بن صدقة سمعان بن صفي فداء بن سالف وهؤلاء سعوا في عقر الناقةِ وكإغنائه قوم صالِح وكانوا من أبناءِ أشرافهم.

﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النَّمل: 49] أي قال بعضهم لبعض تقاسموا أمر حاضِرٍ،

ويحتمل أن يكون خبرًا في محل الحال بإضمار قد، أي قد قالوا متقاسمين ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ بالياءِ والتاءِ والنونِ فتقاسموا مع النون والتاءِ يصح فيه الوجهانِ من الأخبارِ والإنشاءِ، ومع الياء لا يصح إلا أن يكون خبرًا، والتقاسم والتقسيم كالتظاهرِ والتطهير والتخالف والثبات ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾ أي تقاسموا أن يقصدوا إهلاك صالِح مع أهلهِ في اللّيلِ ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ أي تولي عهدِ صالِح لكتمان قبله ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ بفتح الميم واللام وكسرها من هلك، وبضم الميم من أهلك ويحتمل المصدر والزمان والمكان ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [النَّمل: 49] فإن قلت كيف كانوا صادين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخير بخلافِ المخبر عنه. قلت: كأنهم اعتقدوا أنهم إذا بينوا أهله فجمعوا بين النسائين جميعًا، ثم قالوا ما شهدنا لمهلكِ أهلِه فذكروا أحدهما فإذا كانوا صادقين لأنهم فعلوا البنائين والحال إنا لصادقون.

﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠﴾

﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا﴾ بهذه الوصفةِ ﴿وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا﴾ بأن جعلناها سببًا لإهلاكهم ﴿وَهُمۡ﴾ الحال أنهم ﴿لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النَّمل: 50] ولا يحصل لهم إدراك الجعلين فضلًا عن إدراكِ العقلِ والروح والنفس شبه بمكر الماكِر على طريق الاستعارة.

﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥١﴾

روي أنه كان لصالِح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالِح أن يفرغ منا فنحن نفرغ عنه، ومن أهله قيل الثلث فخرجوا إلى الشعب وقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى مكة فقتلناهم. فبعث الله صخرة من الجبل حيالهم فنادوا وطبقت الشجرة عليهم وسترتهم فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وإن الله غلبهم، كلا منهم في كلكلته ولم يدر ما فعل بصاحبه، ويجيء صالح ومن معه من هذه الثلاثة، قيل أرسل الله عليهم الملائكةِ وأمطروا عليهم الحجارةِ وهم يرون الحجارة ولا يدرون من الرامي والمرمي.

﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ﴾ وأهلكناهم ﴿وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [النّمل: 51] برمي الأحجار ورمي الأمطار.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ خالية من السكانِ وأهل المنازلِ والوطار من خوى البطنِ إذ خلى أو ساقطة مهندمة من خوى التخم إذا سقط بالنصب على أنها حال والعامل فيها معنى الإشارة والرفع على أن خبر مبتدأ محذوف ﴿بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ أي بسبب ظلمهم بقتل الناقة وفصيلها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ للإنجاء والإهلاك ﴿لَءَايَةً﴾ وعلامة دالة على كمال قدرته ووفور حكمته على دنو إهلاكهم ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النَّمل: 52] ويدركون الحق والحقائق والأطوار مقتضيات أحوال الخلائق.

﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني صالح ومن تبعه ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [النَّمل: 53] المعاصي ومخالفة الحق وأوامره وارتكاب المناهي.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ اذكر ما أرسلنا بقرينة أرسلنا فيكون عطف المفرد على المفرد أو على الجملةِ ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النّمل: 54] وهو الإهانة بالإدبار.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي تركوا الجماع ممن ثبت تركه بالإجماع ﴿بَلْ﴾ للإضراب على سبيل الترقي ﴿أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النّمل: 55] جهلًا مركبًا وهو أو داء أمراض النفوسِ.

﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

الجزء العشرون: ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النّمل: 56] يرتقون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر والفعل النذر ويغيظنا إنكارهم ويبغضنا على إصرارهم.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ وأنجينا لوطًا ﴿وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا﴾ كونها ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [النّمل: 57] فالتقدير واقع على العبور في المعنى.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: 58 ـ 59] أمر رسول اللّهِ ﷺ يتلو هذه الآية الناطقة بالبراهين على وحدانيته وكمال قدرته ووفور حكمه وعلمه بكل شيءٍ وحكمه وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين المخلصين في كل بلادِه، وفيه تعليم حسن وتأديب لعظيم بين وحث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قيومًا يلقي إلى السامعين وإصغائهم إليهم وإليه وإنزالهم عن قلوب المنزلة، استثنى بنفي السمع ولقد توارثت العلماء وتواترت الخطباءِ كما ترى من غائب عن كابر هذا الأدب طالبًا منه كل الأدب فحمدوا الله وصلوا على رسول اللّهِ أمام كل الوعاظ على مفاد، وكذا في كل أمر ذي بالٍ وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن رفيع ووصف بديع ﴿ٱللَّهُ﴾ الخالق المبدع الرازق ﴿خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: 59] أصلها (أما) فأدغم هي متصلة لا منقطعة أي أينما خير إلزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم فإن من قدر على خلق السمواتِ وعلى ما فيها من الصنائع البديعة والمصانِع الرفيعة خير وأليق وأحق للألوهية من جمادٍ مخلوقٍ مصنوعٍ ومنحوتٍ موضوع لا يقدر على خلق شيء أصلًا.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أم هذه منقطعة بمعنى بل والهمزة أو بل من خلق السماوات ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ خير في الدنيا والآخرة تقرير لهم بأن من قدر على خلقِ العالم خير مما لا حياة فيه غير قادر على خلق شيء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾ [النَّمل: 60] أي

لأجلكم ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطرًا ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾ وسرور ومهجةٍ ونضارة ومسرة التفت عنِ الغيبةِ إلى التكلم تأكيد الاختصاص من الفعل بذاتِه وتنبيهًا على أنّ الخلائق البهية الآثار لا يقدر لا تعد على إيجادها إلا الذاتِ الكاملة بالصفاتِ والنعوت الفاضِلة ﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ﴾ وتثبتوا في قعرِ الأرضِ ليجذب موادها الآثار ولجلب مبادئ الأزهار والأنوار ﴿أَءِلَٰهٞ﴾ ثابت وكائن ﴿مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ يشاركه في الألوهية ويشاكله في الربوبية في الإيجادِ والضبط والإبداع والإعادة والإبداء ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴾ [النّمل: 60] عنِ الحقِ الصريح والنظر الصحيح، أو يجعلون الممكن الناقِص عديلًا للممكن في الألوهية، توبيخ وزجر عليهم فإنهم في غاية الغباوة ونهاية الجهالةِ والضلالةِ.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا﴾ ثباتًا وأعطى لها وقارًا وتمكُّنًا ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ وسطها ﴿أَنۡهَٰرٗا﴾ [النّمل: 61] جارية على وسطِها وسطحها ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾ شاهقات وشوامِخ راسياتٍ وجبال شامخات ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ العذب والمالِح ﴿حَاجِزًاۗ﴾ فاصلًا وبرزخًا حائِلًا مانعًا عن الامتزاج الحقيقي والازدواج الأصلي وإن حصل الاجتماع الحسي فإنّ اللّه يحفظها على وجه لا تختلط أجزاء أحدهما بأجزاءِ الآخر ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ مخالف له في الحكم ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [النّمل: 61] الحق فإنّ الإلٰهية التي عبدوها متخالفةً بالنوع والضعف فإن بعضهم قد عبدوا الملائكة وبعضهم الكواكب، وجمعتهم أفراد الإنسان كعزير وعيسى، وبعضهم عبدوا الإنسان والأصنام وغير ذلك.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النّمل: 62] فيقال: هو الاحتياج الذي يلجئه لكشف الضر والسوء من المرض والجوع والفقر والبلية والشدائد النازلة والنفس الباهرة وغير ذلك بما يضطر العبد في رفعه إلى التضرع والابتهال

والخشوع، والفاعل والمفعول سيان في الاضطرار، قيل هو المجهود الذي لا حول ولا قوة للعبد في دفعه، أو المذنب إذا استغفر، ولإجابة دعاء المضطرين شرائط ومصالح وأسباب ووقت فإذا اجتمعت الأسباب لا تتخلف الإجابة ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي حاكمة فيها على الخلائق بإجراء أحكام الشرع عليهم، والخطاب للنبي وأصحابه ومن تبعهم قرنًا بعد قرنٍ وبطنًا بعد بطن إلى يوم القيامةِ وظهور أشراط الساعةِ ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النّمل: 62] (ما) مزيدة أي تذكرون تذكرًا قليلًا أو زمانًا قليلًا والمراد نفي التذكر إذ القلة تستعمل بمعنى النفي لأنها طريقه.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النّمل: 63] والتكرار من هذا أو في كل المقام تنبيه على كمال غفلةِ الإنسان ووفور نسيانه أو الإنسان مأخوذ من النسيان لأن حقيقته مركبة من الجواهِر المتغايرة والكيفياتِ المتضادة فيحتسب غلبة سلطنة أحدهما يظهر فيه حكم مغاير ويقتضي الأخرى، والمقتضى الهيئة الجمعية التي هي الصورة النوعية الإنسانية، ومقتضى الهيئة الجمعية لكونها واحدة نوعية بالنسبة إلى تلك المقتضياتِ في غاية القلة.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ ويظهره وينشئه ثم يميته ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بأرزاق يأتيه في السماءِ رزقكم وما توعدون ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ أي بينوا الحجة يدل على ثبوتِ بغيكم ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [النّمل: 64] في دعواكم إشعار بأن كل مطلب للبرهان له فهو رد باطل.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ [النّمل: 65] من الأرواحِ والملائكةِ والعقولِ

وغيرهم من مخلوق أشياءِ من الله أعلم به ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وما في طبقاتها السبعةِ المتطابقةِ المنطبقة بعضها على بعضٍ ﴿ٱلْغَيْبَ﴾ عن الحسِّ الظاهِرِ نصبه إما بالتذكر أو بأعني ﴿إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النّمل: 65] ويحشرون في المحشر العظمى يعني أن العِلم بالغيب وبالساعةِ ومما ذكر في آيةِ أنّ الله عنده علم الساعةِ مختص باللّهِ لا يشاركه أحد فيها.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾ أصله تدارك قلبت الدال تاءً فأدغمت فاحتيجت إلى الهمزة المكسورة من الدركِ وهو التتابع والاستحكام وهو على وجهين أحدهما أن أسباب استحكام العلم وتكاملِهِ بأنّ القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم وهم الذين توفرت عناية الحق في حقهم في هذه الحالة على تعينٍ كاملٍ «**لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا**» ﴿عِلْمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِۚ﴾ وبأحوالها بحيث لو أمكن أن يقام على ما يقتضيه أدلة كثيرة وبراهين قطعية لم يخلِ يقينه ولم يزل علمه الوجه الثاني إنما سلك مسلك الهزء والسخرة ومدرك التهكم كما يقول للرجل الناس ما أعلمك ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النّمل: 66] أي يكون عمياء من إدراكِ الآخرةِ وأحوالها المراد بهم هم المشركون الذين هم في الإدراكات والعلوم سيما العلوم الأخروية كالبهائم الذين صار الشرك في حقهم طبيعيًّا لا يندفع عنهم أصلًا، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم وبين هذين القسمين ثم ثالث، ويفعلون الحق إذا قرن بالدلائل العقلية والبراهين النقلية والإضرابات، الثلث يشير إلى هذه الثلاثة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ وصارت أجزاؤنا وجوارحنا وأعضاؤنا منتّفة وشتاتًا متفرقة لمجتمعون ومن الأجداث ﴿وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ [النَّمل: 67].

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ قيل عطف على الضمير المرفوع المتصل ولذا أكد بالضمير المنفصل ﴿مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النَّمل: 68] والأحاديث

الأقدمين والمفسر بأن السابقة.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: 69] تهديدهم على التكذيب وتخويفهم على التخريب بأن ينزل بهم ما أنزل على من قبلهم وإنما غير عن الكفرِ بالإجرام ليكون لطفًا للمسلمين في ترك الحرام.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ في عدم الاتباع بك ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾ وحرج من صدرك من تركهم متابعتكم والموافقة بك ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النَّمل: 70].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النَّمل: 71] في وقوع العذاب المعهود في اليوم الموعود.

﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ أي تبعكم ولحقكم واللام صلة للتأكيد ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النّمل: 72] وهو العذاب الموعود والعقاب المعهود.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ الذي بعثك بالحق وأيدك بنصره وعزه ﴿لَذُو فَضْلٍ﴾ وإحسانٍ ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ وذلك الفضل لا ينقطع طرفة عين وفضل آخر هو أن لا يستعجل العقوبة التي بالغوا في استعجال وقوعها بل يسوف إن شاء الله وفقهم بالتوبة والإيمان أو عذبهم آجلًا وعاجلًا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [النَّمل: 73] لا يعرفون نعمه الظاهرة والباطنة إذ شكرها يتضمن العلم بها وهو هو نفسه.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ وتخفي نفوسهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النَّمل: 74] ويجهرونه.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [النّمل: 75] سمى الشيء يغيب ويختفي غائبة وخائفةً وكانت الفاء بمنزلتهما في العافية والعاقبة ونظيرهما النطيحة والزمنة والذبيحة في أنها أسماء الصفات ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية كأنه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله تعالى وأحاط به وأثبته في اللوح المبين، هو الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة ونحوهم إن أمكن.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ النازل على محمد ﴿يَقُصُّ﴾ ما أنزل ﴿عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النّمل: 76].

﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى﴾ يهتدى به إلى المطالب الدينية الأخروية ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ يقتدى إلى المآرب الدنياوية ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النّمل: 77].

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى﴾ ويحكم ويفصل ﴿بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ﴾ وكتابه الذي فيه تبيان كل شيء ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القوي القاهر الغالب ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [النّمل: 78] بمن يقضي ويقضى عليه وبما يقضي في الوقت الذي يرتضيه.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ الذي خلقك وصورك فأحسن صورك ورزقك من الطيبات ﴿إِنَّكَ﴾ ثابت وقائم ﴿عَلَى ٱلْحَقِّ﴾ والقسط والعدل ونعت الصدق ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ [النّمل: 79] الظاهر والمظهر.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النّمل: 80] تعليل آخر للموكل شبههم أحياء بالموتى

بجامع وهو عدم الانتفاع بالقرآن مع أنهم استمعوه إلا أنه ما وعوا ذلك بآذانهم كأنهم ما سمعوه وكان سماعهم كالإسماع كحال الموتى ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: 80] أي لا ينبغي عنه قوة لاستماع الدعاء والدعوة والنداء منصرفين على التوجه نحو سماعِه.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ بالهدى ﴿إِن تُسْمِعُ﴾ أن تسمع ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ﴾ ويكون في قابليتهم واستعدادهم قبول الحق والإيمانِ به ﴿بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل: 81] منقادون للأحكام والإسلام وحقائق الإيمان ودقائق أحكام الإسلام وحقائق العرفان ودقائق الإشعار والإعلام.

مبحث دابة الأرض

﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [النمل: 82] الدال على الوعد والوعيد ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ وأي الحساسة جاء في الحديث إن طولها ستون ذراعًا لا يدركها طالب ولا يقويها غارب.

روي أن لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان عن ابن جريج في وصفها لها رأس كرأسِ الثور وعين كعين خنزير وأذن فيل وقرن إبل وعنق نعامة وصدر أسدٍ ولون نمر وخاصرة هرة وذنب وما بين المفصلين اثني عشر ذراعًا بذراعِ آدم لا يخرج أن يبلغ رأسها أعيان السماءِ لو يبلغ السحاب.

روي عن أبي هريرة: فيها منه من كل لونٍ وما بين قرنيها فرسخ للراكب. وعن الحسن لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام وعن علي رضي الله عنه إنها يجزع ثلاثة أيام والناس ينتظرون وينظرون ولا يخرج إلا ثلثها. عن النبي ﷺ قيل: من أين تخرج الدابة؟ فقال: «**من أعظم المساجدِ حرمة على الله تعالى**» يعني المسجد الحرام. روي إنها تخرج ثلاثة خرجات تخرج بأقصى اليمين ثم له تخرج بالبادية

ثم تتمكن دهرًا طويلًا بين الناس في أعظم المساجد حرمة فأكرمها على الله فما يهولهم إلا خروجها بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون يطاوي. وقيل: من الصفاء.

﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ بلسان حلو فتقول: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النَّمل: 82] يعني بخروجي إذ خروجها آية من الآيات وتقول الآلهة: ألا لعنة الله على الظالمين. وعن السدي: أنه يكلمهم بمبطلات الأديان كلها إلا بدين الإسلام. وعن ابن عمر رضي الله عنه: يستقبل القبلة فيصرخ صرخة ينفذه ثم يستقبل المشرق ثم اليسار ثم اليمين يفعل مثل ذلك.

روي أنها تخرج من أحساء. وروي أن نبيّنا عيسى صلوات الله عليه وسلم يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ يضطرب الأرض عنهم تحريك التبديل ويشق الصفا مما يلي المسعى فيخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين عينه بعصا موسى فتنكب نكبة بيضاء فتعشوا تلك النكبة في وجهه حتى يضيء بها وجهه أو فتترك وجهه كأنه كوكب دري ويكتب بين عينيه مؤمن ويكتب الكافِر بالخاتِم في أنفه فينشر النكتة حتى يسود لها وجهه ويكتب بين عينيه كافر. وروى فيجلو وجه المؤمن بالعصاءِ ويختم أنف الكافِر بالخاتِم ثم يقول لهم: يا فلان أنت من أهل النار.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ وطائفة ﴿فَوْجًا﴾ بعضًا ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يوم منصوب مضاف إلى نحشر أي اذكر يوم حشر أمة فوجًا فردًا أو زوجًا ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النّمل: 83] أي يجلس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النارِ وهذه عبارة عن كثرة العدد ويدخلون في دين الله أفواجًا. عن ابن عباس: أنّ أبا جهلٍ والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وكذا يحشر قادة سادة تمايز الأمم بين أيديهم إلى النارِ فمن الأولى للتبعيض والثانية للتبيين.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ [النَّمل: 84] متعلق بخبر وغايته يعني يحشر الجميع حتى

وقت مجيئهم لم يبق أحد إلا هو حاضِر في الموقف فـ﴿قَالَ﴾ الله تبارك وتعالى: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا﴾ في بادئ الرأي من غير فكرٍ ونظر يؤدي إلى إحاطة العِلم بكنهها وإنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب أو للعطف أي أجحدتموها ومع جحودكم لم يلقوا أذهانكم ليحققها أو يبصر فإن المكتوب إليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدفع ذلك أن يقرأ ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه ﴿أَمَّاذَا﴾ صلة أم ما أي أم أي شيء ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النَّمل: 84] بها للتبكيت لا غير ذلك أنهم لم يعملوا إلا التكذيب فلا يقدروا أن يكذبوا ويقولون قد صدقتنا بها وليس التصديق بها أو التكذيب ومثاله أن يقول: (لراعتك وقد عرفته روايعي سوء أتأكل تعمل أم ذا تعمل) بها فيجعل ما تبدى به ويجعله أصل كلامك وأساسه هو الذي صحّ عندك من أكله وفساده ويرمي بقولك أم ماذا يعمل بها مع علمك أنه لا يعمل بها إلا الأكل لنبهته وتعلمه وعلمك بأنه لا يجيء منه إلا أكلها وإنه لا يقدر أن يدعى الحفظة والإصلاح لما شهر من خلاف ذلك أو أراد ما كان لكم عمل الدنيا إلا الكفر والتكذيب بآياتِ اللّهِ أم ذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني أنه لم يكن لهم عمل غيره كأنهم لم يجعلوا إلا الكفر والمعصية وإنما خلقوا للإيمانِ والطاعةِ يخاطبون بهذا قيل: كبّهم بهم إلى النارِ، ثم يكبون فيها وذلك قوله:

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ﴾ يريد أن العذاب الموعود والعقاب المعهود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآياتِ الله ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ [النّمل: 85] أي العذاب يشغلهم عن النطقِ والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ﴾ [النَّمل: 86] يعني فانظروا في تعاقب النور والظلمة وتوارد اللّيل والنهارِ على وجه مخصوص متعين بذاته ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم إلى تجويز الحشر وبعثة الرسول وإنزال الكتابِ

وكما أنه بقدرتِه الكاملةِ وسببه الذاتيةِ بقدر على إيراد للفعلِ الذي هو كالدنيا وإخفاء النهارِ الذي هو كالآخرة وبالعكسِ وعلى مقتِه الأنبياء الذين أخبروا عن حقيقة الحالِ وجبلية المآلِ كذلك قادر على إخفاءِ الدنيا في الآخرةِ وإظهار الظلم وأحوالِها في الدنيا بأن تكون الدنيا كالمرآة للآخرةِ، وأنت خبير بأنّ الناظر في نظره وشهود الصورة لا يرى المرآة، وعلى إظهار ما أخبره الله تعالى بلسانِ الأنبياء من السعادة والشقاوةِ المرتبة على إبدال الظلمة نورًا والليل نهارًا كما وقع في الدنيا ما أخبروا عنه من أحكام الشرائع وأوضاعِها وحصل في الدنيا نظام وانتظام في أهل المعاشِ وطريق الانتعاشِ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الاختلاف المتواردِ بالنور والظلمة ﴿لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النّمل: 86] باللّهِ وأسمائه وصفاتِه الكامِلة وأفعالِه المنقذة الفاصلةِ وبما جاء من حمى الأنبياءِ والرسل والشرائع النبوة والإلهية.

﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ٨٧﴾

﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي البوق في المرة الأولى ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وخر صاعقًا من الملائكة والإنسِ والجن وغير ذلك من الكائناتِ وأعيان المكوناتِ ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ ويثبت قلبه من الملائكة وهي جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل قيل الشهداء والحور وخزنة النار وحملة العرشِ وعن جابر منهم موسى لأن صعق مرةً واحدةً وقيل تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاثِ الحياة ﴿وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النّمل: 87] حاضرون في الوقفِ بعد النفخة الثانية أو راجعون إلى أمر داخرين صاغرين ويجوز أن يراد رجوعهم إلى أمره واعتقادهم.

﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨﴾

﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ﴾ ثابتة خامدةً متقررة في مكانها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ وتتحرك ﴿مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النّمل: 88] وحركة النبات من البروز وهو الحركة والعبور السريعة على التأني والشق أي يمر ويتحرك مثل مرور السحاب وحركة الثقاتِ وعبور الأسباب على التأني والشق مثل مرور السحاب عبور النباتِ مرًّا حثيثًا أي كحركة شعاعِ البصر إذا وقعت على الأجرام العظام المتكاثفة الكثيرة العدد المتصل بعضها

ببعض دفعة واحدة متحركة لا يدرك حركة الأجرام إلا بعد مدة بعيدة لأن صدر الهيئات المنتزعة من الهيئة الجمعية الحاصلة لدى الحس لما كانت متشابهة لا يتميز بعضها عن بعض غير متصلًا واحدًا من يرى ساكنه كما أن الأعراض السيالة التي تتجدد الأمثال مع كونها متحركة لا يدرك حركتها، وكما أن النقطة جوالة والقطرة النازلة يدرك منها دائرة وخط مستقيم لا يرى منها حركة أصلًا على النقطة الجوالة والنازلة المتحركة السريعة وليس في الخارج والنقطة والخط المستقيم ليس إلا في عالم وراء عالم الملك والشهادة وغير عالم الملكوت والأمر في عالم البرزخ الحامل بينهما هذا دليل شاهد وسبيل قائد إلى عالم الخيال المطلق والثاني المحقق القسم على ثلاثة أقسام: مبدئي ومعاد وبرزخي حامل لهما ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: 88] وأحكمه بحيث لا يلتبس بعضها ببعض بل في متميز بعضهم عن بعض ذلك البرزخ المبدئي وهو عبارة عن الوجه الذي يلي عالم الأرواح ويقبل بذلك الوجه الفيض الإلهي والإشراق النوري والبرزخ المعادي الذي شكل المعاني المتصاعدة والصور المتعاقدة المركبة من الهيئات الجسمانية والكيفيات المطلوبة والنورانية المتشكلة بأشكل متناسبة وأمثال متقاربة ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100]. وبهذا الوجه تحقق النبوات وبتوفيق أحكام النبوة على أعلام الولاية والتعبيرات ويتوسق بالمعجزاتِ وإظهار الكرامات ووجه ثالث وهو وجه جامع لهذين الوجهين وبرزخ حائل وحد فاصل الأمرين المذكورين، وهو مظهر الحقيقة القلبية المتوسطة بين النفس والروح، فالوجه الذي يلي النفس أفمن شرح الله صدره للإسلام ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [طه: الآيات 25 - 28]. والذي يلي الروح والعقل هو الفؤاد وهو مطية التجلي الإلهي وشهوده ورؤيته ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم 11]، ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ﴾ وهو عالم بالأشياء الظاهرة والباطنة ﴿بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 88] عملًا ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ العقلية والحسنة البدنية والنفسية ﴿فَلَهُۥ﴾ عند الله عوضًا ﴿خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ من تلك الحسنة المعمولة لكونها حسنة فانية قليلة حقيرة وعليلة صورة وأما الذي عند الله فهو شريف باقٍ كثير جليل كبير لا يبلىٰ لا يُقضىٰ ﴿وَهُم﴾ من أصحاب الجنة المقبولة المضاعفة الشريفة الباقية ﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: 89]

من خوف عذاب القيامة الذي سرى في النفوس سريان الروح في البدن ويدغدغها آنًا فآنًا، هذا العذاب أشد من العذاب نفسه لا يرى أن الخوف الشديد كثير ما يفعل دون العذاب وذلك كما في الأصوات العائدة الذي يقطع الأحشاء وتقطعت بها الأعضاء والأجزاء.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ الكفر والشرك والزندقة ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وسقطت ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾ على وجوههم ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم كما أريدت بالأيدي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195] ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النّمل: 90] على طريقة الالتفاتِ لنكتة لا يخفى على أي مسكةٍ أو بإضمار القول أي قيل لهم ذلك.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ أمر الرسول أن يقول لهم ذلك أن يقول أمرت أن أعبد رب هذه البلدة ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ وأحصاها الروح بالعبادةِ واتخذ له شريكًا كما فعلت قريش ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ خلقًا وملكًا من المجرداتِ والماديات والبسائط والمركبات من المعادنِ والنباتاتِ والحيوانات ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النَّمل: 91] ومن الحنفاء البايتين على ملة الإسلامِ المنقادين لحفظ أوضاعِ معاقِد الأحكام الشرعيةِ وقواعدِ الأعلام الإسلامية ليكون ثابتًا بين الأنام في الليل والأيام إلى يوم القيام.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النَّمل: 92] وأواظب على قراءته وعلى تلاوته متأمّلًا في أسرار حقائق نكاته وأنوار دقائق مشكلاته، وفي كمال بلاغته وفصاحته ومزاياه وخصائصه، إلى أن ينكشف إلى حقيقة الحال وحقيقة المآل، واستمع من الله

الكلام القديم القائم بذاته سماع غيب بصيرة قلبي، وهو الحق كما قال الله تعالى: «**لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه بي يسمع وبي يبصر وبي يمشي وبي يبطش وبي ينطق**» هذا هو حق التلاوة كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 121] الآية، ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ باتباعه فيما ذكرنا ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ [النَّمل: 92] بأن وصل بحس متابعته إلى مقام كان في الفطرة الأولى في ذلك المقام سامعًا للخطابِ الأزلي والكتاب الأولي حيث قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فأجاب بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ [الأعرَاف: 172]، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ يا محمد وفقد طريق الهداية وتركه ﴿فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النّمل: 92] فما علي إلا البلاغ المبين والإنذار ولا في ذمتي إلا الإبلاغ والإشعار.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمه السابقة ومنحه البالغةِ وعلى توقيته آنًا فآنًا للعمل بما علمنا ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الباهرة وعلاماته الظاهرة الدالة على وحدانية ذاته وواحدية صفاته وعلى فرداريّة آثاره وأفعاله ﴿فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النّمل: 93] ويدركونها ويعلمون أن هذه الآيات وهي تلك الآيات التي قد علّمها الله إيانا في ذلك المقام وفي ذلك الموطن وقد غفلنا عنه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ القَصَصِ

ترتيبها 28 — آياتها 88 — مكية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي قصّ لعباده ما جرى في بلاده ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي خصص موسى الروح وفرعون النفس الأمارة بهذه القصص ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي يقبض شهود التجليات الإلهيات بموسى الروح ابتداءً بالطور السري في شاطئ وادي الطور العلي.

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [القصص: 1 ـ 2] إشارة إلى كمال ظهور سلطنة تلك الدولة، الدين المحمدي في آخر الدورة الصورية النورية بعد فتورها في أثنائها كما أشار إليه ترك الميم في الوسط وقد فصلنا الكلام في هذا المقام في أول طسم.

﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ﴾ أي نقرأ لديك بعضًا من أخبار موسى ﴿مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ [القصص: 3] محققين لنثبت في فؤادك أمر الرسالةِ وتبليغ أحكام النبوة دعوى ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: 99] ما يثبت به فؤادك وتعلم أن النية الإلٰهية قد جرت على أن كل نبي ورسولٍ بل كل كامل في أمر الدينِ بقدر جاز ويقتضيه الوقت والزمان لا بدّ وأن يظهر في زمانه من

المخالفين في الدين من أعيان المنافقين شخص وفرداريّة مناقضة، ويعاديه ويعارضه ويضاده إذ الأشياء تبين بأضدادها، ولترفيع درجات الأنبياء أو الأولياء والعلماء الربانيين قد استقرت هذه السُّنة واستمرت تلك العادة في كل زمانٍ وعصر وفي جميع دور ودهر ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [القصص: 3] أي من شأنهم الإيمانِ وقبول الحق فإشارة إلى درجات الإيمان وتفاوت مقدمات المؤمنين في التثبت والاستقامة والتمكن ولذا فسر ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6] بالتثبت والاستقامة، وهي من أعظم درجات المؤمنين وأكرم مقامات العارفين.

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤﴾

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ﴾ النفس الأمارة ﴿عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وبغى وجاوز الحدّ في الظلم والفسق، جملة مستأنفة تفسير الجملة المتقدمة كأن قائلًا يقول: كيف حال موسى الروح وفرعون النفس في ملك الوجود ومملكة الدين وطور الشهود، فأجاب بأن في أول الأمر في الآفات والأنفس، قد علا فرعون النفس المبصرة إلى أن يستكمل طور الظاهِر وهو البدن وأحواله، ثم ينتقل الحكم إلى تدبير النفس وتزيينها واستكمالها ﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا﴾ أي أهل الأرض والمسكون فيها ﴿شِيَعٗا﴾ فرقًا مختلفة إشارة إلى اختلاف قوى تلك الوجود والبدن والنفس والروح، فإن لكل منها مبادئ وقوى ففي بداية الحال النفس العاملة مستعلية على الكل، فبعد استكمال البدن وقواها ثم باستكمال موسى الروح، ولذا قدم فرعون النفس وأطواره وأفعاله ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾ من بني إسرائيل من أعيانهم وأشرافهم ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ [القصص: 4] الذين حثه السن وقربت العهد بالولادة، وذلك لأن كاهنًا قال له: يولد في هذا الزمانِ مولود من بني إسرائيل يسلب ملكك ويكون هلاكك في يده، فأمر أن يذبح أبناء ذلك الزمانِ. والعجب أن الكاهن قد كان صادقًا والأمر الذي أخبر عنه يكون كائنًا، لم يدفع القتل الأمر الكائن وإن كذب فما وجه القتل.

فالحكمة في القتل أن «الأرواح» على ما ورد في الحديثِ: «**جنود مجندة**» إلخ، مرتبطة بعضها ببعضٍ، وأن أرواح أطفال بني إسرائيل قد كانت جزئيات تحت كلية روحانية موسى، فلما اقتتلوا توجهت أرواح أطفال بني إسرائيل إلى روح موسى حيث

أعدموا ليمدوه ويعنون إياه ﴿وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ﴾ بأن يأمرهم بالفحشاء والمنكر ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4] أي من شأن فرعون النفس الإفساد وأعظم الفساد في القتل والأمر بالقتل لما ورد في الحديث: «**إنّ النبي بنياني، لعن الله من هدم بنياني**»، وللقتل حكمة أخرى ونكتة أخرى، وهي ما أشار إليه الخضر عليه السلام في إرشاده لموسى، فقتل ذلك الطفل حيث أشار إلى حكمة قتله، فكان أبواه مؤمنين إلخ الآية.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: 5] أي يتفضل عليهم عطف على فرعون لأنها نظر به في كونها تفسير البناء موسى أو فرعون والجن، ونريد حكاية حال ماضية، ويجوز أن يكون حالًا من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ويتصل عليهم والإمكانِ كونِ منة الله وفضله عليهم بالخلاصِ عن شدته، يأمن فرعون قوته الوقوع، جعل وقوعها كأنه مقارن لاستضعافهم ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ متقدمين في الدين والدنيا وقادةً تصدى بها في الخيراتِ ويهتدى بهم إلى السعاداتِ أو دعاء إلى الخير والصلاحِ وولاةً وملوكًا لانتظام أمور المعاشِ في الدنيا واستحصال النجاحِ والنجاة والفلاحِ في العقبى ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: 5] يرثون فرعون وقومه وملكهم وكل ما كان لهم من العقوباتِ والبرزخ وسائر المملوكات.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ﴾ ونجعلهم متمكنين ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي ادخل الشام ومصر وأهل التمكين أن يحصل الشيء مكانًا يتمكن فيه ويستقر دونه ثم استعير للسّليط وإطلاق الأمرِ وإيعاده ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم﴾ من بني إسرائيل ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: 6] منه وهو أن قتلوا أولادهم لئلا يقع المحذور وهو ذهاب الملك من أيديهم واستهلاكهم ويدهم واستئصالهم بيد مولود يولد وقد وقع.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ وألقينا ﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ إلهامًا وخطابًا أو واردًا أو رؤيا ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ﴾ ما أمكنك إخفاؤه بحسن الظن ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى﴾ عليه ﴿وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ﴾ بفرقه ﴿إِنَّا﴾ بكمال قدرتنا ووفور قوتنا ﴿رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ عن قريب من غير أن يقع عليه عين العيونِ الثبوتية المنصوبة لطلب موسى ولمن توالد الفرق بين الخوف والحزن إنّ الخوف غم يلحق الإنسان، يلحقه الأمر الواقِع وأن الحزن حالة نفسانية تلحق النفس عند لحوق أمر متوسم أو مخيل لطريان أمر محذور، وقولهما لدفع ذلك المكروه، والدم الطبيعي يوافقها، وبعبارة أخرى الخوف والحزن حركة النقل من المحيط إلى المركز والغضب حركة النفس من المركز إلى المحيط ولذا ترى الغضوب محمرّ الوجه والخائف والحزين مصفرًّا وجهه ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7] الذين شرط فيهم الكتاب والشريعة إما اقتداء أو ابتداء.

روي أنه ذبح في طلب موسى تسعون ألف ولي أولاد بني إسرائيل وروى أنه لما وقع موسى من بطن أمه والأرض شاهدت القابلة بين عينيه نورًا ساطعًا فارتعدت وتقشعرت كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها، فلما خرجت القابلة جاءت عيون فرعون فلفته أمه في خرقةٍ وألقته في تنور مسجور فظلت العيون عمياء فما رأت أحدًا، فلما خرجت العيون سمعت بكاءه من التنور فانطلقت وتوجهت إليه، وقد جعل الله النار عليه بردًا وسلامًا، فما رأت إلا تنورًا مسجورًا، فلما بلغ فرعون في طلب الولد أوحى الله إلى أم موسى أن ألقيه في اليم فارتفع على وجهِ الماءِ الجاري إلى بيت فرعون وهو مع امرأتِه كانا جالسين في طرف الماءِ فإذا رأيا على وجهِ الماءِ طفلًا محفوفًا بخرقةٍ فأخذته امرأة فرعون وما كان لهما ولد فقالت له: ليس لنا ولد هذا ولدنا كما أشار إليه.

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ﴾ [القصص: 8] أما الأول فلأنه

كان سببًا لهلاكِه وذهاب ملكِه بيده، وأما الثاني فلأنه قد بالغ في دعوته إلى الله فلم يقبل دعوته حزن في رد الإجابة وكثرة الرد ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ في رد أمانة الدعوة ﴿كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: 8] والتعليل وارد على طريقة المجازِ دون الحقيقة لأنه لم يكن غرضهم وداعيتهم من الالتقاطِ أن يكون لهم عدوًا، لكن لما كان نتيجة التقاطهم وثمرته المرتبة عليه ترتب الغاية على ذوي الغاية شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله كان كرام الذي هو نتيجة المجيء والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك: ضربته للتأديب فاستعير هذه اللام لما شبه به كما يستعار الأسد لمن يشبه فعلم من هذا أن الاستعارة كما يجري في الأسماءِ والأفعال يجري في الحروف فليس خطأهم في تربية عدوهم ببديع منهم إذ كانوا مذنبين مجرمين، فعاقبهم الله بأن ربّى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على يدهم. وقالت امرأة فرعون حين التقاط التابوتِ وهي آسية، روي أنهم لما وجدوا التابوت عالجوا فتحه ما قدروا عليه فعمدوا كسره فأعياهم فدنت ـ آسية ـ إليه فرأت في جوف التابوت نورًا ساطع فعالجته بفتحه فإذا هو بعينين طفل نوره بين عينيه وهو يمص إبهامه، فأحبه كل من رآه، وكانت لفرعون بنت برصاء قالت الأطباء: لا تبرأ إلا مِن قِبَل البحر يوجد فيه شبه إنسان فرواها ريقها فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت. قيل: لما نظرت إلى وجهه برأت فقالت: إن هذه النسمة مباركة قد وهبها لنا الله تعالى، أجروا عطفهم عليه فقالت القداة من قومه: هذا هو الصبي الذي يحذر فيه، فاستأذن لها في قتله فهمَّ وقصد بذلك.

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ آسية ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ﴾ فقال فرعون: لك لا لي. روي أنه لو قال هو قرة لي كما هو لك لهداه الله كما هداها، هذا على سبيل الفرض والتقدير أي لو كان غير مطبوع على قلبه كما له لقال مثل ما قالت ولأسلم مثل ما أسلمت. هذا إن صح الحديث فتأويله هنا والله أعلم بصحته خبر مبتدأ محذوف أما إذا جعل مبتدأ ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ [القصص: 9] خبرًا فغير قوي فجعل منصوبًا أقوى ﴿عَسَىٰٓ

﴿أَن يَنفَعَنَآ﴾ فإن فيه ميخايل اليمن ودلايل النفع لأهله وذلك لما عاينت فيه من النور وارتضاع الإبهام وبرئ البرصاء، ولعلها توسمت في سيمائه وتوسمت بما شاهد فيه النجابة الفردية بكونه نفاعًا أو نتبناه لأنه أهل للتبني ولأن يكون ولدًا للملوك ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 9] جملة حالية من آل فرعون أي التقطه والحال أنهم لا يشعرون أنهم على خطأٍ عظيم إلا من القائلة أي القول له أنه تنفعنا وهم لا يشعرون أنهم في هذا الحكم على خطأٍ أن أحد ضميري نتخذه على أن الضمير للناسِ أنهم لا يشعرون أنه لغيرنا وقد نتبناه. أن فرعون جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه وكرة بمعنى خطاهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاضِ بعلم محاسن النظم.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ﴾ أي صار قلبه صفرًا خاليًا من العقل والإدراك والعلم فإنها لما سمعت بوقوعه بيد آل فرعون طار عقلها وصار قلبها لما دهمها من فرط الجزع ووفور الخوف والفزع صفرًا خاليًا عن التعقل والإدراكِ ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ أي قربت أم موسى لتبدي به أي ليظهر بأمر موسى وقصته من فرط الضجرة أو وفور الفرح والمسرة أي أفرغنا الصبر والثبات على قلبها وفؤادها في فراقه وهجرانه وغيبته الحراء أي لولا أفرغ الصبر والاطمئنان منا على قلبها لجزعت وتضجرت ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 10] المصدقين بوعده حيث قال: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القَصَص: 7] متعلق بالاستثناءِ المحذوف لكن تحقق منا الإفراغ ليثبت قلبها ويطمأن نفسها وغيبها وبكل إيمانها لما تقرر منه أن القلوب مراكز العقول التي هي مراكب العلوم ومناكب الإدراكات من النفس والحدود والرسوم والمعارف الإلٰهية والحقائق الغير المتناهية.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَقَالَتِ﴾ أم موسى ﴿لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ﴾ [القصص: 11] ابتغي أثره واقتفي خبره

ليثبت فؤادي وتستقيم نفسي وخلدي ﴿فَبَصُرَتْ﴾ وتربصت وترصدت ﴿بِهِۦ﴾ أي من أمر موسى وحاله ﴿عَن جُنُبٍ﴾ وبعد منه من غير تقريب بمكان فيهِ موسى ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 11] بحالك وسبتك وقربتك ومالك.

﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ﴾ أي منعنا عن موسى ﴿ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل القبض يعني بالتقاط آل فرعون له وقبلته آسية وتبنته وطلبت له المرضعات، فلما عرضت المرضعات له ما قَبِلَ أحدًا منها أو حرم الله ومنعه من قبول ثديها ﴿فَقَالَتْ﴾ مريم أخت أم موسى ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ ويتعهدون حضانته ويتعمدون رضاعته لكم أي لأجلكم ﴿وَهُمْ﴾ أي أهل البيت ﴿لَهُۥ﴾ أي لموسى ﴿نَٰصِحُونَ﴾ [القصص: 12] نافعون من غير أن يشوبه الفساد من النصح وهو إخلاص العمل. روي أنها لما قالت: وهو له ناصحون، قال هامان: إنها لتعرفه وتعرف أهله، فقالت: إنما أردت (وهم لك ناصحون). فانطلقت بأمرهم وإشارتهم فجاءت بأمه والصبي على يد فرعون يعلله ويحركه ويملكه استعطافًا عليه وهو يبكي لطلب الرضاع، فلما وجد ريحها استأنس بها والتقم ثديها فقال لها فرعون: من أنت منه فقد أبى وضع كل ثدي إلا ثديك قالت: إني طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا وقد قبلني، فدفعه إليها وأجزى عليها ومكّنه لديها فأخذته وحملته إلى بيتها فأنجز الله وعده في الرد إليها فثبت عندها واستقر في علمها أنه سيكون بينها واسترشدت حقيقة قوله:

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بأنه يرد إليها فاستأجر لرضاعه فقبولها الأجر لأمرين أحدهما للتقية وإخفاء حالها الثاني أن قبولها لا للأجر بل لأنه مال كافر حربي مباح ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 13] إذا وعد أن يجعله نبيًّا حتى يتّبع، وأنه هو الغرض الأصلي

وإن أراد منه قرة العين وذهاب الحزنِ والرد إلى أمه تبع له.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [يُوسُف: 14] أي مبلغه الذين لا يزيد عليه نشوؤه ونماؤه وهو محبب نقاوة الأمزجة وقوته وضعفه متفاوتة وذلك من إثني وثلثين أو ثمان وعشرين إلى أربعين فإن العقل يكمل حيث روي أنه لم يبعث نبي إلا على رؤوس أربعين. روي أن العقود العشرية والقيود البشيرية له أربع وهو يتضمن كمال مرتبته أعني العشرة ج 1303 والمجموع 10 عشرة كاملة وإن مراتب تدبير الإنسانِ ترتيبه على مقتضى قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السَّجدَة: 5] أربعون وهي البروج الاثني عشر وثمان وعشرون منزلًا ولذا اسم كلمة مراتب الاستكمال العروجي على أربعين أيضًا قال النبي ﷺ: «**من أخلص لله تعالى أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**» ﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعرَاف: 142] فلم يتفاوت أربعين وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أخلص واعتدل وتم استحكامه ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ نبوة وحكمة عملية ﴿وَعِلْمًا﴾ [القصص: 14] وقوة نظرية وهي العلوم الحكمية ومنشأ القوانين العلمية قيل آتيناه سيرة الحكماء والعلماء من قبل البعثة أو المراد التوراة وحكمة الأنبياء وهي سننهم وسيرتهم السنية وعادتهم البهية كما قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزَاب: 34]، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: 84] بالعِلم والحكمة.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَدَخَلَ﴾ موسى ﴿ٱلْمَدِينَةَ﴾ مصر آمنًا من بأس فرعون وشدة بطشه ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ أي زمانًا كان من أهل المدينة مغفلة فيه ما شغلهم فيه وهو بين العشاءين أو وقت القيلولة أو يوم العيد الذي يشتغلون فيه باللهو واللعب ﴿فَوَجَدَ﴾ موسى ﴿فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ ويقاتلان ﴿هَٰذَا﴾ [القصص: 15] وأحدهما ﴿مِن

﴿شِيعَتِهِۦ﴾ وقومه وقبيلته ﴿وَهَٰذَا﴾ الآخر ﴿مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ إن الأول كان من السبطِ والثاني من القبط ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي طلب من موسى العون والنصرة والمدد والقوة، قيل كالسامري ﴿عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ وهو الذي يتسخر الإسرائيلي بحمل الحطب إلى مطبخ فرعون ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾ وغمزه ونقذه بأطراف الأصابع أو بجميع الكف، من الوكز وهو الدفع ﴿مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ وحكم لديه فقتله ﴿قَالَ﴾ الرجل لموسى بعد الوكز والقتل ﴿هَٰذَا﴾ الفعل والعمل كان ﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ ووسوسته وإنما أضاف إلى الشيطان وسماه ظلمًا واستغفر منه لأنه كان مأذونًا في القتلِ وليس لنبي أن يقتل ما لا يأمره ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: 15] أي ظاهِر الإضلالِ والعداوةِ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ في قتل النفس من غير أن أؤمر به ﴿فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: 16].

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ﴾ إني أقسم ﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ﴾ بما أنعمته أو بالإنعام ﴿عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ أو معينًا وناصِرًا ومعاونًا ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: 17] المرتكبين للمعاصي والذنوب أو استعطاف أي بحق إنعامك علي من المغفرة ووفور الرحمة ودرور النعمةِ والنقمةِ وهو ذريعة ومقدمة للشكر في عد أنواع النعم وعرض أصناف مقتضيات الكرم من صنوف النعم.

﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَأَصْبَحَ﴾ وصار موسى ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا﴾ بعد الوكز ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ التعرض من فرعون وحين دنا منه ولي الموكوز والمقتول المرموز ﴿فَإِذَآ﴾ الرجل السبطي ﴿ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ﴾ وطلب من موسى الإعانة والإمداد على خصمه ﴿بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ [القصص: 18] من الصراخ وهو الصوت الذي ظهر من العجز الطالب

للمظاهرة والاستظهار وخبر للذي هو قرين المناجاة ﴿قَالَ لَهُۥ﴾ أي الرجل المستغيث القبطي ﴿مُوسَىٰٓ إِنَّكَ﴾ في هذه الحالة ﴿لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: 18] بين الغواية وظاهِر التسبب للفتنة إذ القتل قد وقع بسببه.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾ ويأخذ بالقوة والعنف موسى بالرجل ﴿بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ أي موسى أي الرجل السبطي من القبطي فإذا ﴿قَالَ﴾ الرجل القبطي لموسى ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى﴾ الآن في غير يوم ظاهِر وسبب باهِر ﴿كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ بغير حق أمرٍ إلهي وإذن رباني ﴿إِن تُرِيدُ﴾ أي ما تريد أنت يا موسى من هذا القتل ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ والجبار هو الذي لا يعقل ما يريد من القتل والضرب والشتم وغيرها إلا بظلمٍ ولا ينظر في العواقب ولا يدفع بالذي هو أحسن أو هو التعظيم الذي لا يتواضع لأمر الله ﴿وَمَا تُرِيدُ﴾ بهذا القتل والفعل ﴿أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: 19] بين الناسِ بل غرضك أن يظهر لهم قوتك وشوكتك فلما قال هذا الرجل هذا الكلام لموسى فشى وشاع واشتهر.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه وهو ابن عم فرعون ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ لأن يخبر موسى وما قصدوه أما وصف رجل أو حال منه ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ وأشراف قوم فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ ويتشاورون من الائتمار وهو المشاورة يقال الرجلان يأتمران ويتآمران إذا شاور أحدهما الآخر لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمرٍ أي يتشاورون بسببك عليك ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ بسبب قتلك والسابق وقصدك هذا الأمر من اللاحق ﴿فَٱخْرُجْ﴾ من المدينة هذه ومن بينهم ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: 20].

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿فَخَرَجَ﴾ موسى ﴿مِنْهَا﴾ من المدينة ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ فتعرض القوم به في الطريق ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: 21] ومن الفرق الكافرين.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ قبالته ووجهته وهي قرية شعيب قد بناها مدين بن إبراهيم عليه السلام فسماهما باسمِه، ولم تكن في سلطانِ فرعون، وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان ليالٍ وكان موسى عليه السلام لا يشاهد الطريق إليها ولا يعتمد إلا بحس ظنّه برأيه فعن له ثلاث طرق فأخذ واختار أوسطها وجاءت الطلاب وسرعوا في الآخرين ﴿قَالَ﴾ موسى في هذه الحالةِ راجيًا طريق النجاةِ وسبيل المناجاةِ ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: 22] ووسط معظم اللجة أوضح هجرته وقيل: خرج خائفًا جائعًا لا يعيش في الطريق إلا بورق الأشجارِ ومرق الأثمار فما وصل حتى سقط خف قدميه قيل جاء ملك على فرسٍ بيده عنزة فانطلق بهِ إلى مدين.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ أي ماءً يسقون منه أهله وكان بئرًا ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ أي على شطريه سقاء ﴿أُمَّةً﴾ وفرقًا وجماعةً ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ نفرًا من الرجالِ والنساءِ ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ في مكانٍ أسفل وأدنى ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ يطردان ويدفعان من الرفد والطرد والدفع من الماء وأخذه وذلك لأنه كان على الماءِ والأخذ منه، ومن هو أقوى منهما فلا يتمكنان من الأخذِ والسقي، أو لأنهما تكرهانِ المزاحمة والممانعة على الماءِ والاستحياءِ وتسترهما ﴿قَالَ﴾ موسى لهما ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ وأي شأنٍ كان ومنه أنتما ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي﴾ الأغنام بهذا الماء ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ [القصص: 23] بضم الراءِ واسم جمع وبكسرها قياس مصدر كقيام وصيام جمع راعٍ وهو من يعهد المواشي أي لا نقدر على سقي الغنم حتى يصدر ويصرف رعاء

الأغنام ونحن ضعفاء عاجزون عن السقي ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: 23] كثير الضعفِ والسن.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ عنهما أي لأجلهما، روي أن الرعاة كانوا يضعون على البئرِ حجرًا كبيرًا لا ينقله ولا يحركه إلا سبعة رجال أو عشرة أو أربعون، وسقى فاستسقى لها وحده، فنزع الماء من البئر بالدلو وصب في الحوض ودعا بالبركةِ، وروى عنهما وأصدرهما وصرفهما ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾ وانصرف ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ انعطف وجلس إلى الظل. روي: أنه دفعهم عن الماءِ حتى سقى لهما، قيل بئر عليها الصخرة المذكورة ولم يقدروا على دفعِها فرفعها موسى وحده واستسقى بها، وإنما فعل هذا رغبة في المعروف وإعانة للملهوف ﴿فَقَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 24] وبر قليل إلى متعلق بأنزلت المخاطب فقير خبر، إني أراني لإنزال الخير فقير محتاج سائل وطالب له ولذا عدى باللام والغرض إظهار الشكر على إنعام نعمةِ القوة ونعمة القدرة على ما ذكر وإشهار الفقرِ والصبر عليه.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾ يعني لما عرضتا الحال على أبيهما شعيب إحداهما إلى طلب موسى فجاءت إحدى الامرأتين إلى موسى حال كونها ﴿تَمْشِى﴾ ثابتة ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ﴾ ويطلبك ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ ويعطي جزاك وكفايتك على ما فعلت بنا ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾ أي جاء موسى إلى شعيب ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ التي وقعت وما جرى بينه وبين قوم فرعون ﴿قَالَ﴾ شعيب لموسى ﴿لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ﴾ ونجيت ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: 25] روي أنه لما قال لموسى ليجزيك كره ذلك ولما قدم إليه الطعام امتنع منه وقال: إنا أهل بيت لا

نبيع ديننا بطلاع الأرضِ وملئها ذهبًا ولا نأخذ على المعروف ثمنًا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا لا نقصد به الأجرة والمكافأة و(القصص) مصدر كالعلل سمي به المقصوص.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ أي التي ذهبت به وانطلقت به وطلبته إلى أبيها ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ﴾ وهي التي تزوجها ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ﴾ إياه من الأشخاصِ هو هذا لأنه هو ﴿ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: 26] فلما قالت هذا الكلام وتكلمت أن شعيبًا قد هيجته الغيرة وبرحته الحمية قال: علمت قوته وأمانته فذكرت إقلال الحجر ونقلها ونزع الدلوِ وإنه صوب رأسه وحفظ بصره وانقاد حتى يبلغه رسالته وأمرها بالمشي خلفه بعد الفراغ عن السعي وإصداره، وقولها إن خير من استأجرت القوي الأمين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه، لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان، أعني الكفاية والأمانة، القائم بأمرك فقد فرغ بالك واستطابت حالك وتم مرادك فأتم ملاكك، هذا تعليل شائع جاري مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستخبار.

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قَالَ﴾ شعيب لموسى ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾ نفسك مدة ﴿ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾ [القصص: 27] وليس هذا بنكاحِ حتى يشترط أن يتعين إحداهما بالإجارة حتى يتعين العوض بل هو توطئة مقدمة وتقديم طلائع لهما وطلب معاهدة ووعدٍ لا معاقدة. وأما جعل المهرِ إجارة نفسه في رعيه الغنم فعند أبي حنيفة لا يصح لأنه لا بدّ وأن يكون مالًا يمكن أن يسلم، أما التزوج بامرأة بأن يخدمها عنده سنة أو يسكنها داره سنةً فصحيح لأنه مال قد سلمه بخلاف الأول، وعند الشافعي: يجوز التزوج على الإجارةِ لبعض الأعمالِ والخدمةِ إذا كان المستأجر له والمخدوم فيه أمرًا معلومًا وأمرًا موروثًا. هذا حاصل ما في الكشافِ،

يدل على أن مثل هذا النكاح جائز عند الشافعي وليس كذلك، ولعل ذلك كان جائزًا في تلك الشريعةِ ويجوز أن يكون المهر ههنا شيئًا آخر ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ أي فإنما من عندِك أي يكون هذا تبرعًا وإحسانًا وتفضلًا منك بلا إلزامٍ وتكليف وإبرام مني ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بإلزام إتمام العشر والمناقشة في مراعاة واستيفاء الأعمال الشاقة وقال شعيب: تسليةً لموسى وتطييبًا لقلبه ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [القصص: 27] في حسنِ المعاملةِ ووطاء الخلقِ ولين الجانب، ويجوز أن يكون المراد الصلاح على العموم ويندرج تحته حسن المعاملة وغيره، والمراد باشتراطِ مشيئة اللّهِ فيما وعد من الصّلاح الاتكال على توفيق الله ومعونته إن شاء الله وإن استعمل خلافه.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قَالَ﴾ شعيب وموسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي عاهدتك وعاهدتني عليه وشارطتك وشارطني لديه قائم بيننا جميعًا لا يخرج كلانا عنه لا أنا ولا أنت ﴿بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ أطولها وأقصرها ﴿قَضَيْتُ﴾ ووفيت إياه فلا ورد باستطابة القلب ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ﴾ ولا ظلم ولا إجبار ﴿عَلَىَّ﴾ ولا في الزيادة على الثمانية ولا على العشرة بل الأمر على الخيارِ والسواءِ إما هذا وإما ذاك من غير تفاوتٍ بينهما في القضاء وإما أتمّه، والإتمام موكول على رأيي وإن شئت أتيت ولا اتبعت وأتيت وأيما صلة لتأكيد الفعلِ أيّما الأجلين فأيما جردت عزمي وقررت إمضاءه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: 28] شاهد وحفيظ وكفيل.

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ الموعود واستوفى الأصل المعهود ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ مع امرأته روي أنه قضى أقصى الأجلين ثم توجه إلى الوطن المألوف والمحتدِ المعروف ﴿ءَانَسَ﴾ وأبصر ورأى ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: 29] بل جبل

الطور ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ وأبصرتها ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أي بخبر الطريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ عود غليظ كانت في رأيه نارًا ولم يكن ﴿مِّنَ﴾ جنس هذه ﴿ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: 29].

روي أن شعيب كانت عصا الأنبياء عنده فقال لموسى عليه السلام: بالليل أدخل ذلك البيتِ فوجد عصا من تلك العصا فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثون تلك العصا حتى وقعت إلى شعيب نسيها فأدركها وأحسّ إنها هي العصا التي هبط بها آدم، وكان مكفوفًا ممنوع البصر فضنّ بها وبخل غيرها فيها، فما وقع في يد موسى أو شعيب إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأنًا وقيل أخذها جبرائيل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلًا. وقيل: أودعها شعيبًا ملك في صورة رجلٍ فأمر بضمه التي أرسلها إلى موسى أن يأتيه بعصا فأتاه بها فردها سبع مرات فلم يقع في يده غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالعٍ فأتاهما الملك فقال: ألقياها فمن وقعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ودفعها موسى ولما أصبح قال شعيب: إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان لها أكثر إلا أن فيها تنينًا أخشاه عليك وعلى الغنم، فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فإذا غشيت وزين لم ير مثله فإذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى داميةً فلما أبصرها دامية والتنين مقتولًا ارتاح وسرّ وتنشط. ولما رجع إلى شعيب فسقى الغنم فوجدها ملاء البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح فعلم أن لموسى والعصا شأنًا رفيعًا وأمرًا عظيمًا بليغًا وقال له: إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ذرع ودرعًا فأوحى الله إليه في هذا المقام: أن اضرب بعصاك مستقيم الغنم، ففعل ثم سقى فما اخطأت واحدة إلا وضعت أذرع ودرعًا فوفى له بشرطه.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص: 30] أي قيل الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لأن

الشجر كانت ثابتة على الشاطئ وطرف الوادي ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: 30] هذا وإن خالق ما في طه والنمل لفظًا فهو طبقه في المخصوص معنًى.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ أي ألق فصارت ثعبانًا واهتزت وتحركت ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ وجن في الهيئة والجثة والسرعة ﴿وَلَّىٰ﴾ وأعرض موسى ﴿مُدْبِرًا﴾ أي تحرك على الأدبار مهزمًا من الخوف ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يرجع ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ﴾ وتوجه إلينا واصرف وجهك لديها ﴿وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ [القصص: 31] من المخاوف.

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿ٱسْلُكْ﴾ وأدخل ﴿يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ بريقًا ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ أي يدك اليمنى واليسرى المبسوطين كالخائف الفزع بإدخالِ اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بإدخالهما في الجيب ليكون تكرير لغرض آخر وهو أن يكون ذلك في وجهِ العذر إظهارًا للجرأة ومبدأ لظهور عجزه ويجوز أن يكون المراد بالنعيم التخلد والثباتِ عند انقلاب العصا حيةً استعارة من حالِ الطائرة إذا خاف يسفر جناحيه وإذا آمن واطمأن ضمهما ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ من أجل الرهب والخوف واضرب إذا عراك وعرض الخوف فاجعل ذلك تجلدًا وطيبًا لنفسك ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ يدلان على حقيقة دعواك ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [القصص: 32].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ بغير نفس ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [القصص: 33]

بها اقتصاصًا وقد تقدم منهم قصدي والحال أن:

﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ ظهيرًا ومعينًا وهو في الأصلِ اسم كالدرئ أن ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ ويعينني في تصديقي ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ أي لأني أخاف ﴿أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: 34].

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿قَالَ﴾ الله تبارك وتعالى تحقيقًا لمأموله وتصديقًا لمحصولهِ ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ ونقوي ظهرك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ واستعلاءً من لدنا ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ﴾ بسوء واستيلاء وبؤسٍ واستعلاء أو سوس أو باحتجاج إما بحجة وبرهان ومعاندةٍ ولجاج فاذهبا أنتما يا موسى وهارون مستصحبين ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ﴾ وسطوع بيناتنا ومعجزاتنا فإذا ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا﴾ من المؤمنين والموافقين الموحدين ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: 35] بإظهارِ المعجزاتِ وكلمة الصدق فاللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ الواضحة والمعجزات اللائحة وخرق العاداتِ الصالحةِ ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ ومختلق وأمر غير معتمد ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي جاء به من الدلالاتِ الساطعةِ ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القصص: 36] وقدمائنا المعولين بفنونِ السحرِ.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [القصص: 37] في كل زمانٍ وأعصارٍ

﴿مِّنْ عِندِهِۦ﴾ لا من غيره فيعلم أنه في هذه الدعوة محق وفي إظهار الحقّ واشتهار الصدق صدق ومحقق، إن من خاصمنا فيها وخالفنا لديها زاهق ومبطل شاهِق ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ العاقبة المحمودة والعافية المعهودة المحدودة إذ المعنى بالدارِ والمنتقى من هوة الغار التي هي الدنيا وعاقبتهما الأصلية هي الجنة لأنهما خلقت مجازًا إلى الآخرة والمقصود منها بالذاتِ أي الجنة وبالعرض هي النار ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [القصص: 37] لا يتقدرون في الدنيا بالهدى وحسن العافية في الآخرة والعقبى.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ وإنما علق الشرك والإشراك بعلمه الذي هو في الواقع هو الجهل أو هو تورية وتشويش الأغلال وتلبيس الإضلال فعلم من هذا أنه لا يجزم بالشرك ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ﴾ مُرْ لأن يبنى لي ﴿عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ قصرًا عاليًا مشيدًا ومحكمًا مسدّدًا ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ وذلك ﴿وَإِنِّى﴾ أي لأبي ﴿لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: 38] روي أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بنّاء سوى الأتباع والأجراء وأمر الآخر بطبخ الآجر والجص وجمع الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من الخلق فكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه، فبعث الله جبرائيل عند غروب الشمسِ فجاءه بجناحيه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة على عسكرِ فرعون فقتلت ألف ألف رجل وقطعة وقعت في البحر وقطعة في الغرب ولم يبق أحد من عماله إلا وقد هلك.

وروي في هذه القصة: أن فرعون ارتقى فوقه فرمى أجواء السماء فأراد الله أن يفتنهم فردت السهام وهي ملطوخة بدم، فقال فرعون: قد قتلت إلٰه موسى، فعندها بعث الله جبرائيل يهدمه والله أعلم بصحته. قال صاحب الكشاف: قصد بنفي علمه بإلٰه غيره نفي وجوده، ومعناه ما لكم من إلٰه غيري كما قال عزّوجل: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا

﴿يُشۡرِكُونَ﴾ [يُونس: 18] أي بما ليس فيهن وذلك لأن العلم تابع للمعلوم لما يتعلق به إلا على ما هو عليه فإذا كان الشيء معدومًا لم يتعلق به فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده في نفسه ويجوز أن يكون محمولًا على ظاهِره وإذ إلٰهًا غيره غير معلوم عنده لكنه مظنون بدليل قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [القَصَص: 38] وإذا ظن أن في الوجود إلٰهًا غيره ولم يكن المعدود ظانًّا ظنًا كاليقين بل عالمًا بصحة قول موسى عليه لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا ربّ السماواتِ والأرض بصائر وإن كان جاهلًا فرط جهل بصفاته الحسنى حيث حسب أنه في مكانٍ كما كان هو في مكان وإنه يطلع عليه كما كان يطلع إليه وإنه ملك الأرض كما هو ملك السماءِ لعلي أطلع إلى إلٰه موسى.

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ والاستحقاقِ أو من غير أن يتبنى على دليل عقلي وبرهانٍ نقلي ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ﴾ [القصص: 39] هذا دليل على أنه معتقد بألوهيته إلا أنه أنكر الحشر والنشر فالأوجه هو ما قدمناه من أنه هو إخفاء وتورية.

﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ﴾ [القصص: 40] كما هو ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: 40] واعتبر بحالهم وسوء مآلهم لئلا تقعوا في ابتلاءِ أشد من ابتلائهم.

﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾ آل فرعون وملئه أي دعوناهم ﴿أَئِمَّةً﴾ وقدوة وسميناهم دعاة ﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ [القصص: 41] كما يدعى خلفاء الحقِّ دعاه إلى الجنة كما يقال: جعله بخيلًا وفاسِقًا إذا دعاه وقال إنه بخيل وفاسِق. ويقال على طريقة أهل اللغة في فسقه وبخله: جعله فاسقًا وبخيلًا وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمٰن

إناثًا، والمراد دعوتهم إلى موجباتِ النار وهي الكفر والمعاصي أو بمنع الألطاف الصادقة ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: 41] بدفع العذاب عنهم كما يبصر الأئمة الدعاء إلى الجنة.

﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ طردًا عن الرحمة وإبعادًا عن المكرمة وحقيقة النعمة ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: 42] المطرودين المنقادين أو ممن تقبح وجوههم قبحًا تكون جارية من قبح أعمالهم وفساد عقائدهم وكساد معاقدهم التي أنها قبحت وجوه قلوبهم ويسري القبح من قلوبهم إلى أعضائهم وجوارحهم كما ورد من أن الظاهر هو عيون الباطن «**وإن لفي جسد آدم لمضغةً إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد سائر الجسدِ ألا وهي القلب**».

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي أعطينا التوراة بعد إهلاكِ القرونِ الأولى من قوم نوح وعاد وثمود وصالِح وقوم لوط وآل نمرود وبعد إهلاك من يعانده من قوم فرعون وجنوده حال كون الكتاب ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ يستبصرون بها حقائق الأشياء وبواطنها وأنوار عيون مواطنها جمع بصيرة نسبتها إلى القلوب نسبة البصر النفوس يدرك ظواهِر الأشياءِ وعوارضها المادية كما تدرك القلوب بنور البصيرة غيوب الأشياء وحقائق الجواهِر العينية ولوازمها الذاتية وخصائصها العينية وكمالاتها الأوليةِ ويتميز بها الحق من البواطِل والرشد والإرشادِ من العاطِل والمحق من المبطل والمماطل ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [القصص: 44] في الاسترشاد وطلب الرشد والرشادِ والتجنب عن الفساد والإفساد رحمةً واسعة ونعمة ساطعة وقوة عملية شائعة فائدة للنفس إلى الأعمالِ كلها، والأفعال جلها ولو علموا بها وعملوا لديها وصلوا إلى نيل كمال رحمته، وميل إلى هجوم نعمته الظاهرة والباطنة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: 43] إرادة تذكرهم،

شبهت الإرادة بالترجي واستعير لها ويجوز أن يراد به ترجي موسى لتذكرهم كقوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه: 44].

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ﴾ المكان ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾ الواقع في شق جانب الغرب، وهذا المكان الذي وقع فيهِ من الطور وكتب الله له في الألواح المراد الوادي أو الطور أي وادي النفس أو طور الطور القلبي الذي هو مجمع الأخلاق ومرجع أوصاف الخلاق ومبلغ القوة النظرية والعملية، والخطاب إنما هو للحقيقة المحمدية المتبينة بالحقائق المحمدية الإلٰهية والشقائق الكونية والدقائق العينية والشهادية أو ما كنت في ذلك المكانِ حاضرًا ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ أي الوقت الذي أوحاه إليه الأمر الذي أردنا تعريفه ﴿وَمَا كُنتَ﴾ من جملة ﴿مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [القصص: 44] لوحي اللّهِ وهم السبعون من النقباءِ الذين اختارهم للميقاتِ والوحي إليه أو على الوحي حتى يقف من جهةِ المشاهدة على ما أجرى من أمر موسى في ميقاتِه وكتب التوراة له في الألواحِ وغير ذلك.

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ ولكنا أوحينا إليك لأنا أنزلنا وأظهرنا قرونًا مختلفة بعد موسى أو لكنا أنشأنا بعد بعد عهدِ الوحي إلى عهدِك قرونًا كثيرة ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ﴾ أي وتطاولت المدد على آخرهم وهو القول الذي أنت فيهم ﴿ٱلْعُمُرُ﴾ [القصص: 45] وهو الأمد والزمان الغير المنقطع أي امتد زمان العمر والحياة وكثر فيهم الجهل والغفلة واندرست العلوم الدينية والمعارف الإلٰهية، وأنعمت النواميس الربانية، فاقتضت الحكمة الإلٰهية واستدعيت العناية الأزلية ترتضي الكفاية الأبدية إرسالك إليهم وإنزال الكتاب الكريم لديهم، فأرسلنا إليهم وأنزلنا بك العرفان لديهم، وأنزلنا القرآن القديم عليهم بعد فترة الوحي وكثرة البغي بين يديهم فإذًا هذا الاستدراك إليهم يتضمن الاستدراكين فحذف المستدرك وأقام سببه مقامه ﴿وَمَا

كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مقيمًا وناويًا ﴿فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾ شعيب والمؤمنين به ﴿تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾ [القصص: 45] إياك مخبرين لك بما جرى في الأزمنة المتطاولة.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٦﴾

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ سائرًا إلى تلقاء مدين دائرًا ليشاهد ما ألقى إلى موسى وأوحى إليه ﴿إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن﴾ علمنا حكمة نافعةً وكرمناك وأعطيناك ﴿رَّحۡمَةٗ﴾ واسعة ونعمة موسعة نازلة مهبطة ﴿مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم﴾ وما جاءهم وحل إليهم ﴿مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ ليبين فترة النبوة وانقطاع الوحي ونذرة الحكمة الإلهية وهي الحكمة العملية ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: 46] يتعظون ويترجون الهداية.

﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾

﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي بسبب تقديم أيديهم واكتسابهم ﴿فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا﴾ (لولا) الأولى امتناعية والثانية تخصيصية وقعت في ساقها لأنها مما أجيبت بها بالفاء ونسبتها لها بالأمر مقول القول المعطوف على نصيبهم بالفاء المقتضية معنى السببية المسببة على أن القول هو المقصود بأن يكون سببًا لابتغاء ما يحاذيه وإنه لا يصدر عنهم حتى يلجئهم للعقوبة والجواب محذوف، والمعنى لولا قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيم ﴿فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ [القَصَص: 47] محتجين علينا بذلك لما أرسلت إليهم يعني أن إرسال الرسل إليهم إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها لقوله تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النِّساء: 165]، ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [القصص: 47] وليس لقائل أن يقول: كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسالِ لا القول لدخول حرف الامتناعِ عليها دونه لأن يقول القول هو بأن يكون

سبب الإرسالِ، ولكن العقوبة لما كانت هي القول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسالِ بواسطة القول فأدخلت عليها (لولا) وجيئ بالقولِ عطفًا عليها بالفاءِ الغضبية إلى معنى السببية، ويؤول معناه إلى قولك: ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا وليكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي أنهم لولا يعاقبوا مثلًا على كفرهم وقد عاينوا ما الجأوا به إلى العلم اليقين ثم تقولوا لولا أرسلت إلينا رسولًا، وإنما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير التأسف على ما فاتهم من الإيمان نجاتهم، وفي هذا من الشهادةِ والعقوبة على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى ولو ردوا لعادوا إلى ما نهوا عنه ولما كانت أكثر الأعمال وأكبر الأفعالِ تباشر وتزاول بالأيدي جعل كل عملٍ مفترًى عنه باجتراحِ الأيدي، واقتراح ظاهِر المبادي وإن كان من أفعال القلوب، وهذا من الاتساع في الكلام ويصير الأقل تابعًا للأكثرِ وتغليب الأكثر على الأقل.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ (٤٨)﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ من الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات إلينا ﴿مِنْ عِندِنَا﴾ وهو محمد وما أنزل إليه وقطعت مقاديرهم وسدّ طريق احتجاجهم ومد سبيل اعوجاجهم ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: 48] وهو الكتاب المنزل جملة واحدة وقلب العصا حية وفلق البحر وغيرهما من الآياتِ فجاؤوا بالافتراءات المبينة على الفتنة والعناد كما قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ [هود: 12] وما أشبه ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ﴾ عليه ﴿مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى كلنا ولي موسى عليه السلام، وكان فرعون عربيًّا من أولاد عاد وكان للعرب وهي أولاد إسماعيل أصل في زمن موسى ألفناه على هذا، أو لم يكفروا إياهم في موسى وهارون حيث ﴿قَالُوا۟﴾ هذان موسى وهارون أو محمد وموسى ﴿سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ [القصص: 48] أو تعاونا وتناصرا بإظهار تلك الخوارق والمعجزات فاشتهار ما اختصا به أنواع خرق العاداتِ

وإفشاءِ الكرامات ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ [القصص: 48] أي بجميع ما ظهر منهما أو بجميع الأنبياء وما ظهر منهم من الإرهاصات والمعجزات الباهرة.

﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد وإنما غير أسلوب الكلام تنشيطًا للسّامِع وتثبيتًا للنفس الجامع ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ أي من كتاب موسى ومحمد ﴿أَتَّبِعْهُ﴾ أنا ولا أتخلف أبدًا مجزوم لوقوعه جوابًا للأمرِ وهو فأتوا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [القصص: 49] في كل ما نسبتمونا إليهِ من السحرِ والتظاهرِ والتعاضدِ والتناصرِ.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ﴾ ولا يقبلوا دعاءك إلى الإتيان بالكتاب والهدى، فحذف المفعول به ولأن فعل الاستجابة يتعدى بنفسه إلى الدعاء وباللام إلى الدعاء به فإذ أعدى إليه حذف الدعاء غالبًا كقولنا استجاب الله دعاءه أو استجاب له ولا يكاد تعالى استجاب له دعاءه معجبًا برأيه ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ﴾ وأكثر ضلالةً وأكبر جهالةً ﴿مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ ويتبع آراءه ﴿بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ وتوفيق منه من الحال المؤكدة والهيئة المقيدة حال عن الدراية ونعت الرواية ولا يهتدى إلى أصل موصلٍ أصلًا بخلاف قاصدِ الضلالة فإنه لا يوافق الحق كما قيل إن الكذوب قد يصدق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: 50] الجامعين للوصفين المذكورين وهم الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم بالإضلالِ والإغواءِ والإذلالِ.

﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: 51] وأنزلنا عليهم الكتاب بالطول والقولِ وأتبعنا بعضه بعضًا في الإنزالِ وفيما فيهِ الإرسال أي أتاهم متتابعًا متواصلًا بالوعدِ وبالوعيدِ أو حكمًا وغير حكم أو مواعظةً ونصائح إرادة أن تتذكروا فيفلحوا أو في النظم ليقرّ الدعاوي وتتجرد الدواعي والمقاصِد بالبراهينِ في تجوز الأفكارِ والأنظار ورفعِ اللجاج والإنكارِ فيؤمنون به ويطيعون.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب وقيل في أربعين من مومني أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من أرض الحبشة وثمانية من أهل الشام. عن رفاعة بن فرطة: نزلت في عشرة أنا أحدهم ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي من قبلِ القرآن ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: 52] ويصدقوك به وبأحكامِه وبكل ما فيهِ من الأحكام والتوحيد والنصائح وغير ذلك.

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ وعلى مؤمني أهل الكتاب الذين يخبتوا من هواء النفس وآرائها الفاسدة وأعراضها المفسدة الكاسدةِ آياتِنا بينات ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ وتذكير الضمير باعتبارِ الكتاب أي آمنا بالكتاب ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ استئناف وتعليل الإيمانِ به ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: 53] أي قبل وجود محمد وقبل ما أنزل عليهِ من الكتاب منقادين ومطاوعين له إشعار باتحاد الإيمانِ والإسلام لما سمعوا من الآباء والعلماءِ والأنبياء ووجدوا في الكتب المتقدمةِ والصحف السالفة والإسلام صفة لكل موحد ونعت لكل مصدق للوحي.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المؤمنون بمحمد بكتابه ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم﴾ وثوابهم وفضلهم في الدنيا والآخرة والعقبى ﴿مَّرَّتَيْنِ﴾ مرة على إيمانهم بكتابهم وأنبيائِهم ومرةً أخرى على إيمانهم بمحمد وبكتابه ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ أي بسبب صبرهم على إيذائِهم من المشركين وطعن الطاعنين أو على مرارة الطاعة، وعلى الأعمال الشاقة وعلى الأفعالِ الدافقةِ للأثوبة الحافة أو مرة قبله ومرة بعده أو قبل الهجرة وبعده كما علمت في المائدة أنهم هاجروا من الحبشة مع جعفر الطيار وجماعة كانوا أول المهاجرين من مكة إلى الحبشة ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ ويدفعون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [القصص: 54] وبالطاعةِ المعصية أو بالحلم الأذية أو بالتوبة الذنب أو بالكلمة الطيبة الكلمة الخبيثة وغير ذلك من الذهاب إن الحسناتِ يذهبن السيئات، قال النبي ﷺ: «**أتبع السّيئة الحسنة تمحها**»

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: 54] في طريق الخير ولو صدرت النشآت عنهم وظهرت المعاصي والذنوب منهم بالكراماتِ تمحها.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ﴾ الكلام الذي لا طائل تحته سيما إذا كان خبيثًا ﴿أَعْرَضُوا۟﴾ وانصرفوا ﴿عَنْهُ﴾ وتركوه منكرين له ﴿وَقَالُوا۟﴾ اللاغين بقرينة اللغوِ ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾ أي أعمال كانت ﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ إن كل أحد يجزى بعمله أي إذا سمعوا الأقوال الخالية عن الفائدة ورؤيا الأعمال البالية عن الفائدة والثمرات العائدة أعرضوا عنها وقالوا لنا ما لنا ولكم ما لكم وإنما تركوا الأقوال اكتفاء بالأعمالِ لدلالتها عليها لعمومِها تنبيهًا على أن لا تعويل على الأقوال والمعول عليه هو بالعمل كما ورد في الحديث: «**أن العلم بلا عمل وبال والعمل بلا علم ضلال**» ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: 55] كما قال وإذ خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا إشعار بأنّ حق العباد ووظائف أرباب الحب والوداد الاستعطاف والشفقة على خلق اللّهِ بالنصيحة ودعاء الخيرة بالسلامةِ عن الآفاتِ الجسمانية والعاهات النفسانية قال النبي ﷺ: «**التعظيم لأمر الله والنفقة على خلق اللّهِ**».

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أي إنك لا تقدر على إدخال من تحب في الإسلامِ من قومك وغيرهم لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه والمصنوع على نفسه وغيبه والألطاف تنفع فيه فيقرن به الطاقة حتى يدعوه إلى القبول ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56] أي القائلين الهداية والقابلين لها بالعناية الأزلية التي تستصحبها الكفاية الأبدية أجمع المسلمون من أهل السنة والجماعة على أنها نزلت في أبي طالب لأن أبا طالب قال في موته: يا معشر بني هاشم أطيعوا محمدًا وصدقوا تفلحوا وترشدوا فقال النبي ﷺ: «**يا عم تأمرهم بالنصيحةِ لأنفسهم وتدعها لنفسك**» فقال: ما تريد يا ابن أخي؟ قال: «**أريد منك**

كلمة واحدة فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول: لا إلٰه إلا الله أشهد أنك عبد اللّهِ» قال ابن أخي: إني علمت أنك على حقٍّ ولكني أكره أن يقال جزع عند الموتِ ولولا أن يكون علي وعليك وإليك غضاضة ومشينة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينيك عند الفراق لما أرى من شدّة شفقتك وحبك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف.

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ والقائلون الحارث بن نوفل بن عبد مناف وغيره من أعيان قريشٍ، فإنهم قالوا: نحن نعلم إنك يا محمد على الحقِّ لكنا نخاف إن أتبعناك وخالفنا العرب بذلك وإنما نحن أكلة رأس قليلون أن يتخطفوا بأمن أرضنا ويسبون ويختلسون من ديارِنا ويلتقموننا التقام الحوتِ أكلة رأس، فرد الله عليهم ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ أي ما جعلت الحرم مباحًا لهم يتمكنون فيه ويتحصنون بحرم البيت الذي يتحولون الأعراب حوله ويتعظمون ويتأخرون له وهم آمنون فيه ولا يخافون وبحرمة البيت يطوفون ويطافون، وبحرمة حرمه صافون وقارون بوادٍ أي غير ذي زرع عند بيتك الحرام ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ ويجلب منه من كان لديه ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ فإذا كان حالهم هذا وهو عبد الأصنام مجمع الأوثانِ فكيف يعتريه الخوف ويطرى عليهم العوف والتخويف إذا ضموا إليه التوحيد وهموا لديه التمجيد والتحميد لله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 57] لأن أغلبهم كفرة وأكثرهم جهلة رزقًا منصوب بعامل مقدر ويرزقون رزقًا أو مفعولًا له إن كان بمعنى مرزوقًا يكون حالًا من الثمراتِ لتخصيصها بالإضافةِ كما ينصب عن النكرة المتخصصة.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: 58] بالتخويف لأهل

مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام اليد عليهم بالرقود في ظلال الأمن وظلال الآمالِ وخفض العيش، وتغمطوا النعمة وقابلوها بالشروع باللهو والترفه وفرط النظر فدمّرهم الله وضرب ديارهم وغرب آثارهم نصب معيشتها، إما بنزع الخافض وإما على الطرق بنفسه نحو: زيد يجيء مقيم أو بتقدير حذف الزمان المضاف أي بطرت أيام معيشتِها كخفوق النجم ومقدم الحاج وإما يتضمن، بطرت معنى كفرت وعظمت، قيل البطر سواء أخطأ الغني وهو أن لا يحفظ حق الله فيهِ ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾ من السكنى ﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي المسافر وماء الطريق يومًا أو ساعة ويحتمل أن يكون شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلًا ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: 58] فيها لتلك المساكن من ساكنها أي تركناها على حال ليسكنها أحد أو خربناها وسويناها بالأرضِ لتتخلف الآثار عن أصحابها حينًا ويدركها البناء فتتبع.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ في كل وقتٍ ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ وأصلِها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها ﴿رَسُولًا﴾ لإلزام الحجةِ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: 59] بتكذيب الرسل وتقليب الخيرات والصلاح إلى الشرور والفساد والتراخ.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾ أي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا وحطامِها ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ﴾ وزخرفها ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب والأجر وحسن الثواب ولطف الخطاب وحسن المآرب والمآب ﴿خَيْرٌ﴾ ومعارج قدسِه ﴿وَأَبْقَىٰٓ ۚ﴾ في ذاته وأسمائه وصفاته لأن بقاءه دائم أزلي أبدي سرمدي ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: 60] وبالباء أبلغ في الموعظة وأوقع في التعريض يستدلون به على ديموميته وسرمديته.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ وهو الوعد بالجنة وشهود اللقاء فإن حسن الوعدِ بحسن الموعود وتقرير وإيضاح لما تقدم إذ حسن الموعود إما بذاته أو بما يلزمه من الدوام والبقاءِ أو بكثرة المنافع وبهائها وشرفها إذ بحسن الوفاءِ به وعدم التخلف عنه وما عند الله شاملٌ للكل ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ وواصل إليه ومن هذا سمى الجنة بالجن نزلت في رسول الله عليه السلام وأبي جهل عليه السلام ما يستحق من الحقِّ، وقيل في علي وحمزة وأبي جهل، أو في عمار وياسِر والوليد بن المغيرة لما ذكر متاع الدنيا وما عند اللّهِ والتفاوت بينهما. فالفاء الأولى تدل على هذا، وأما الثانية فللنسب لأن لقاء الموعود مسبب عن الوعدِ الذي هو الضمان في الحيز ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: 61] فثم للتراخي حال الإحضار عن حال التمتع لا لتراخي وقته عن وقته، وهو راجع إلى المتمتع، فحضوره وإحضاره إما للحساب أو للعذابِ.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ عطف على يوم القيامة أو منصوب باذكر، والمنادي هو الله والملَك ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: 62] حذف مفعولهما أي تزعمونهم شركائي، يجوز حذف المفعولين معًا في باب ظننت ولا يجوز الاختصار على أحدهما.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ [القصص: 63] الحق هو الأمر المطلق الذي يثبت مقتضاه ويحقق مرتضاه، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: 13] ونظيره ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ [الإسراء: 16] ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ [القصص: 63] هؤلاء مبتدأ والموصول صفته والعائد محذوف وأغويناهم

الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيًّا مثل ما غوينا، يعنون أنا لم يغووا إلا بالاختيارِ لا أنّ فوقنا مغوين أغوونا لصرفهم والجأوا، ودعونا إلى الغي وسولوه لنا، فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم، لأن إغواءنا لهم لم يكن وسوسة وتسويلًا للافتراء والإلجاء، فلا فرق إذن بين غينا وغيهم إن كان تسويلنا داعيًا لهم إلى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضِع فيهم من العقلِ وأدلته ومن بعث إليهم من الرسل وما أنزل عليهم من الكتابِ ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ منهم ومن الاختيار ومن الكفر، وهو تقرير للجملةِ المتقدمةِ ولذلك خلت عن العاطِف ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: 63] أي (ما) كانوا يعبدوننا بل يعبدون أهواءهم قيل ما مصدرية متصلة بتبرّأنا.

﴿وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ﴾ من غير استفتاحٍ من فرط الحيرة التي انتفى التميز بها بين الحق والباطل والواقِع في نفس الأمرِ وغير الواقِع ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ لعجزهم عن الإجابة والنصرة وعلمهم بعدم النفع في هذا اليوم بل نصرهم ولهذا قد تميز منهم ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾ [القصص: 64] يحتمل التمني وإن جوابه محذوف أي تهتدوا يعني لو كان في استعدادِهم الاهتداء في دفعِ العذابِ لدفعوه.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 65] عطف على الأول، فإن اللّه تبارك وتعالى يسأل أولًا عن إشراكهم وعن تكذيبهم الأنبياء.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ أي أسرّت الأخبار واختفت عليهم اختفاء المبصراتِ على الرجل الأعمى من البناءِ وهو الخير ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي في ذلك اليوم الذي تخيرت العقلاء في ذلك اليوم لشدة أهواله وحدة أقواله وكثرة أغواله ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [القصص: 66] لا يسأل بعضهم بعضًا ويخبر عنه الجواب لفرط الدهشة

ووفور الخوف واستيلاء الهولة.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك وأناب إلى الله من الافتراء والبهتانِ والإفك ﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي ما يصلح لأن يرفع إلى حضرة قدسه ويتحرى لأن يعرض على عرضته السنية والجمع بينهما يشعر ملاذهما ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: 67] عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز أن يراد ترجي التائب وطمعه وتوقعه الفلاح ومن المذنب النادم العفو والاستغفار، ومن الفقير الصابر بالاستغناء، ومن الغني الشاكر الصدقة والنفقة في سبيل اللّهِ الواقعة في حيز القبول إلى أن ترتقي الأصناف وألوف الآلاف وغير ذلك من الأرباب لعل وعسى.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ﴾ ويوجه ويبدي ﴿مَا يَشَآءُ﴾ يريد ﴿وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ بمعنى التخير كالطيرة بمعنى التطير والظاهر بمعنى الخيار عنهم رأسًا والأمر كذلك، وعند التحقيق أن اختيار العبد باختيار أنه ممكن مخلوق لله باختياره وإرادته منوط بدواع لا اختيار لهم فيها، وقيل المراد أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه مشيئته وإرادته أحدًا ولا أمرًا من الأمور ولذا خلا عن العاطف ويؤيده ما أنه نزلت لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، يعني لا يبعث الرسل باختيار المرسل إليهم وقيل معناه ويختار الذي ليس فيه الخيرة أي يختار العباد ما ليس خيرًا لهم وأصلح وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم من قولهم في الأمرين ليس فيهما خيرة المختار ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهًا له أن ينازعه أحد في أفعاله ويزاحم اختياره ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: 68] عن إشراكهم أو عما أشركوا به بعد.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ تخفي وتستر ﴿صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القصص: 69] من عداوة الرسول وحقره والطعنِ فيه وإهانته.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠﴾

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ المستحق للعبادةِ المستأثر بالألوهيةِ المختص ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة إلا هي ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ لأن المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها بحمده النول في الآخرة كما حمده في الأولى ومدحوه في الدنيا بكل المدائح والمحمدية لقوله: الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجًا بفضله واستخراجًا بمن يدركه ومزيد لطفه ونعمه ﴿وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [القصص: 70] أنتم ذاتًا وصفة وفعلًا وأثرًا ووجودًا.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۖ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١﴾

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا﴾ دائمًا متصلًا من السرد وهو المتابعة، ومن قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والمرتبة مزيدة كدلامص من الدلاص ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ بإسكانِ الشمسِ تحت الأرضِ ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۖ﴾ حين تسكنون بسكونِ الشمسِ تحت الأرضِ ﴿أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾ [القصص: 71].

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٧٢﴾

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [القصص: 72] إن استفادة السمع أكثر مما استفادة البصر إذ استفادة الوعي وجميع الأحكام الشرعية والأعلام العرفية أكثر استفادة البصرِ، ولذا قدم في الكتاب السمع على البصرِ، وإن كانت المبصرات أكثر من المسموعاتِ، ولذا جمع البصر دون السمع في قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ [البقرة: 7]، فإن قيل حديث التقابل يقتضي أن يقال بها ويبصرون كما قيل بليل يسكنون فيه، ويلزمه عدم الإبصار، أقول ذكر الضياء وهو ضوء الشمس أكثر فائدة من الظاهر التي يذكر بالليلِ لأن

المنافِع التي تتعلق به متكاثرة، إذ المعاش والتدبير والحركة للانتعاشِ إنما يتأتى بالضوء لا بالسكون الذي هو لازم الليلِ الذي هو استراحةِ النفس والبدن وقواها، وأيضًا قرن السماع بالليل والإبصار بالنهارِ إشعارًا بأن الحاكم في الليل هو السمع وفي النهار البصر، فذكر السرمد فيهما يشعر بتلازمهما في الوجود والظهور، وباتحادها في الحقيقة، وباختلافهما في الوصف بأن أحدهما يتضمن الآخر ويندرج في الآخر اندراج الدنيا إلى الآخرة والآخرة في الدنيا، فإن أبصر أحدهما يكون الآخر متوهمًا.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أو خلق لأجلكم كلًّا منهما المقابلة وغرض أصلي، أما الليل ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ للاستراحةِ وإزالة الإعياء والإراحة والنهار ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ وتطلبوا وتبتغوا ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ وكمال إحسانه وإفضاله وإنعامِه أمور المعاشِ وظهور الانتعاشِ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: 73] كي تعرفون نعمة اللّهِ وتعلمون أنواع منحِه وأصناف مواهبه وألطاف كرمه وهو حقيقته الشكر.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي اذكر يوم نداءِ الحق للخلق ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: 74] ويقولون هم إلٰهنا ومعبودنا.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي من عملهم وواحد منهم يكون ﴿شَهِيدًا﴾ عليهم وهو نبي كل أمةٍ، فإن أنبياء الأمم هم شهداء عليهم ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا۟﴾ وآتوا ﴿بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ ودليلكم وحجتكم فيما كنتم عليه من الشرك والإشراكِ ومخالفة الرسول وكتابه الذي جاء به ﴿فَعَلِمُوٓا۟﴾ وتحققوا يومئذٍ ﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾ والأمر الثابت المقطوع به إنما هو ﴿لِلَّهِ﴾ ولرسوله لا لهم ولشياطينهم ﴿وَضَلَّ﴾ وبعُد وغاب ﴿عَنْهُم﴾ فقدان الشيء الضائع وغيبته ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [القصص: 75] من

الباطِل والكذب والفرية العاطِل.

﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ﴾ اسم أعجمي مثل هارون وصابون ﴿كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ من بني إسرائيل حسن الصيت، وكان موافقًا في الأول لموسى ظل وأصبح منافقًا، وفاق نبيه موسى كالسامري ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ وطال يد التطاول إليهم وأنشى الخلافة والمعاندة لديه، وذلك عند غلبة الدنيا عليه قيل جعل فرعون قارون حاكمًا على بني إسرائيل ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ وأعطيناه ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ﴾ وترفع المفاتيح ﴿بِٱلْعُصْبَةِ﴾ أي بالجماعةِ الكثيرةِ ﴿أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ صاحب القوة الشدة هذه الجملة صلة ما وهو مع صلة مفعولٍ ثانٍ لأتى قيل إذا كانت السن والمدلج والقربان لهارون لما جاوز موسى بهم البحر وصارت الرسالة والحبورة لهارون يقرب القربان وكان له رأسًا وكان القربان إلى موسى فجعله موسى إلى أخيه فوجد قارون في نفسه حسدهما وقال لموسى: الأمر لكما ولست على شيء إلى متى أصبر به قال موسى: هذا صنع الله وأمره قال: والله لا أصدقك حتى تأتي بآية فأمر رؤساء بني إسرائيل إن يجيئني كل واحدٍ بعصاه، فحزبها وجمعها وألقاها في التيهِ التي كان الوحي ينزل فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل، فلما أصبحوا كانت عصا موسى وهارون لها ورق أخضر وكانت من شجرة اللوز فقال هارون: ما هو أعجب ما تصنع من الشجر فبغى عليهم وظلمهم ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ منصوب بتبنوا ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ﴾ بكنوز الدنيا وزخرفها لأنه نتيجة حبها وثمرة التكالب عليها والاغترار بها والرضاء بلذاتها والانكباب على شهواتها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: 76] بالدنيا وزخارفِها لا يبعد العبد من حب اللّهِ وعبادته ومعرفته وحكمته:

وليست بمعراج إذا الدهر سرّ لي ... ولا جارع من صرفه المنقلب

أشد الغمّ عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالًا

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: 23].

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾ أي اصرف وأنفق ما أعطاك الله من الدنيا وحطامها واطلب في الدنيا ونعيمها الدار الآخرة فنعيمها باقية دائمة وسرمدية لازمة والابتهاج بها آنًا فآنًا متزايدة والاستسرار بها متعاضدة ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي لا تترك الدنيا ترك المغشي لأنها مطية الآخرة ومزرعتها، وهو مذموم شرعًا وعرفًا وحكمة لا تَرَهُّبًا فيه ولا رهبانية في الإسلام، قال النبي ﷺ: «**لا رهبانية في الإسلام**» فما من أحد إلا وله أن يأخذ من الدنيا قدر ما يحتاج إليه حسب الضرورة أي قدرًا يعتاد ويختصّ به، ولذا عبره بالتقيد قدر ما يتقوم به ويحتاج في ذلك في قوامه إليه ﴿وَأَحۡسِن﴾ بنفسك وبغيرك ﴿كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ فيما أنعم الله عليك ظاهرًا أو باطنًا، قيل أحسن بالشكر، والشكر والطاعة كما أحسن الله إليك بالأنعام والإفضال والإكرام ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ ولا تطلب الإفساد في نفسك بأن يقطع نصيبك وما يتقوم به ويقوم نفسك به فحينئذٍ تعمى نفسك قال كرم اللّه وجهه لا تبالِغ في ديانة نفسك حتى تعمى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: 77].

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعًاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾

﴿قَالَ﴾ قارون ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص: 78] أي أعطانا الله الكنز والمنح، وكان ذلك مبنيًّا على علم واستحقاقٍ، وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل بالتوراة وبأحكامها وبما فيها، قيل هو علم الكيمياء لأنه كان في التوراة مذكورًا على التفصيل عملًا وعلمًا، وإيضًا كان موسى عليه السلام عالمًا بعلم الكيمياء، فأفاد يوشع بن نون ثلاثة، وثلث آخر لكالب بن يوقيا، والثلث الباقي لقارون فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه، واختلس علمهما واشتغل

بالعمل دونهما وظن أنه بهذا العلم والعمل ما يحصل منهما من الأثاث والآلات والأدوات وغيرهما من يتوقف عليه العمل فاشتغل بالصنعةِ إلى حدّ كان يحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلًا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على أصبع ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ قارون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ أي قارون وأهل القرون الماضية كقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم ونمرود وغيرهم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ أي من قرون ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: 78] تهديد وإنذار وتخويف بأن اللّه تعالى مطلع على ذنوب المجرمين وأحوال الموافقين وغيرهم من فرق المنافقين ولا يحتاج إلى سؤالهم عنها واستعلامهم لها بأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فلا يخفى من أحوال آل قارون شيء بالنسبة إلى موسى أو قومه أو ظهر أو لم يظهر.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ وأمواله النفيسة والجواهر الشريفة والفواخر اللطيفة والحلل البهية ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ ويترجون بزخارفِها على ما هو عادة الناس من الرغبة وما يوجد فيهم من الرغبة إلى الأموال وتضاعفِها ﴿يَـٰلَيْتَ لَنَا﴾ أموالًا وجهاتًا ومنالًا يكون ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ﴾ لاغيته ليكون حسدًا وحقدًا لا غبطة كما هو شأن الأنبياء وأهل الله، فإن لهم غبطة لا حسد ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: 79] فاضل ونصيب كامل وسهم تام عام شامل من الدنيا وحطامها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ باللّهِ وبأسمائه وصفاته وبأحوال آياته وأطوار آخرته وبقائها ودوام لذاتها وصفاء نعيمها من الكدورات الدنية والظلمات الردية وبأطوار الدنيا وحطامها وعدم بقائها وشوب لذاتها الكدورة بالغصص والآلام وخلط نعيمها بالآثام ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [القصص: 80] دعاء بالهلاك ثم استعمل الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل، لا أبًا لك،

وأصله الدعاء على الرجل بالاقترافِ في الحث على الفعل ﴿لِّمَنْ﴾ قد ﴿ءَامَنَ﴾ وأذعن وصدق باللّهِ بما جاء منه من الأنبياء والكتب ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ الضمير عائد إلى الكلمة التي يكلم به العلماء وإلى الثواب باعتباره أن المثوبة أو إلى الجنة أو إلى اليسرة والطريقة والحقيقة وهي الشريعة والأحكام الإلٰهية والأفعالِ الثبوتية والحالة النبوية وهي الحقيقة «**الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي**» أي لا يصل إلى هذه الحقائق الإلٰهية والدقائق الربوبية واللواحق النبوية ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: 80].

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ﴾ [القصص: 81] أي أغرقنا قارون وداره وما له وما تحرك عليه من مداره وذلك أنه كان يؤذي نبي الله موسى عليه السلام في كل وقتٍ وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة وصالحه عن كل ألف دينار على دينار، وعن كل ألف درهم درهم، فحسبه فاستكثر فشحت نفسه به وبخلت، فجمع بني إسرائيل، وقال: إنّ موسى أرادكم على كل شيء وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا: أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت قال: نرسل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فترفضه بنو إسرائيل، فجعل لها ألف دينار، قيل طشتًا من الذهب مملوء من الذهب، فلما كان يوم عيد، قام موسى فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعناه، ومن افترى جلدناه، ومن زنى وهو غير محصنٍ جلدناه، وإذا كان محصنًا رجمناه فقال قارون: وإن كنت أنت قال: وإن كنت أنا قال: فإن بني إسرائيل يزعمون إنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت: كذبوا بل جعل لي قارون جُعلًا على أن أقذفك بنفسي فخر موسى ساجدًا يبكي وقال: يا ربي إن كنت رسولك فاغضب لي، فأوحى الله إلي: مُر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال: يا بني إسرائيل إن اللّه بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا غير رجلين، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركبة ثم قال: خذيهم فأخذتهم إلى الأوساطِ، ثم قال: خذيهم فأخذتهم إلى

الأعناقِ، وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه، ثم قال: خذيهم فانطبقت عليهم أوحى الله إلى موسى: ما أفظك استغاثوا بك مرارًا فلم ترحمهم، أما وعزتي وجلالي لو إياي استغاثوا لوجدوني قريبًا مجيبًا، فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم إنما دعاء موسى على قارون ليسعد بداره وكنوزه، فدعا الله حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فيذوقون عذابه ﴿وَمَا كَانَ﴾ قارون في أمره هذا ﴿مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: 81] الممتنعين من عذابه من قولهم نصره من عدوه واستنصره إذا منعه منه فامتنع.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ﴾ أمنية اليوم الذي قال قومك وليكن الوقت المستقر على طريقة الاستعارة مكان منزلته من الدنيا ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ ووَيْ أصلها مقطوعة عن كأن وهي كلمة بناء على الخطأ المتقدم، يعني أن القوم تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا ﴿لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ﴾ وأفضل وأنعم ﴿عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: 82] أي لا ينالون الفلاح.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ إشارة تعظيم كأن قيل: تلك الدار التي سمعت خبرها وبلغك وصفها مبتدأ ﴿نَجْعَلُهَا﴾ خبرها ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ﴾ ولا يطلبون ﴿عُلُوًّا﴾ وغلبةً وتفوقًا على غيره إذ هذا الوصف كالكبرياء والعظمة لا يكون إلا لله فمن نازعه فيه يستحق النار كما قال: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني منهما أحد أدخلته في النار**» ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ وظلمًا وإفسادًا وغيًا وبغيًا وعدوانًا ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 83] الذين يتقون اتقاء مستمرًا واتقوا أنفسهم

وحفظوهم من الاستعلاء والتكبر والتفوق. عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: إن الرجل ليصحبه أن يكون شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها. وعن الفضيل: أنه قرأها ثم قال: ذهبت الأماني. عن عبد العزيز إنه كان يردد بهذه الآية ويواظبها حتى قُبِضَ.

قال بعضهم: من يحفل العلو لفرعون والفساد لقارون فتعلموا أن فرعون علا في الأرض ولاتبع الفساد في الأرض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ ثوابًا وهو عشرة أو سبعمائة والضعف الذي لا يعلمها إلا الله ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى﴾ [القصص: 84] إلا مثلها لأن الحسنة من جنته وصنعته، ومن جاء بالسيئة فلو كان جزاؤه مثلها واحدة لكان معاملة للمخلوق كما أن السيئة من صنعه فلا يجزى إلا مثلها أي يدل عليه قوله: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾، ﴿ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ صريحًا ﴿إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [القصص: 84] أي بمثل ما كانوا يعملون أي واحدًا بواحد ويعاضده وضع المظهر موضع المضمر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي أنزل عليك على وجه مقدر ووصف مقدر وأوجب وألزم عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ليثيبك عليها ثوابًا لا يحيط به الوصف ولا ينال إليه الإدراك ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: 85] أي مقام وحده أن يبلغه إليه وهو المقام المحمود والمراد الموجود المعهود وهي مكة أو مقام له منزلة يصل بعد الموت إليه ولا يمكن لغيره أن يصل إلى هذا المقام منذ الموت، وتنوين معادٍ للتعظيم، وذلك أن تشوف ذلك المقام حسيًا كان وهو

مكة، أي عقليًّا ونفسيًّا وهو المقام المحمود، فكان يزداد شوقه كل يوم فلا معاد في ذلك العزم بشأن رفيع وبرهان منيع، لا يبلغ إليه إلا بك لبليغ وسعي وسيع وذلك أن هذه السورة مكية، قيل: نزلت حين بلغ في الهجرة الجحفة وقد اشتاق إلى مولد آبائه وعمومهم إبراهيم وإسماعيل إلى أن بلغ عبد الله بن عبد المطلب فنزل جبرائيل وقال له: أتشتاق إلى مكة؟ قال: نعم، فأوحى الله إليه وبشره بالرد إليه بعد عز الإسلام وغرابته واستيلاء أهله بعد الشدائد الكثيرة والمحن الكبيرة ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: 85].

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ كما كنت ترجو وتتوقع ردك إلى معادك وكما كان الله قادرًا أن يلقي إليك الكتاب وأنزل كذلك قادر على ردّك إلى ذلك المعادِ فكن واثقًا بالله في إنجاحِ هذا المراد كما أنجح مرام إنزال الكتاب بدون الإنجاحِ والمبالغة والإبرام، وكذلك ما كنت ترجو من الله ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ أي لأجل الرحمة وإفضال النعمةِ والترحم، ويجوز أن تكون إلا بمعنى الاستدراكِ أي لكن إنزال الكتاب هو رحمة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ ألقى إليك ظهيرًا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص: 86] بمواراتهم والتحمل عليهم والمساهلة بهم والمشايعة برأيهم إلى مطلبهم.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لا يمنعك عن قراءتها والعمل بما فيها من الأحكام والتيقن بما هي دلالةً عليها من التوحيد والنصائح والموعظة والحكمة الإلهية النظرية والعملية ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ﴾ وعبادته وطاعته والاعتقاد بذاته وبكمال صفاته الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: 87] بمساعدتهم وتقويتهم والاتفاق بآرائهم.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ﴾ هذا تقرير لما فيك وتغريمهن عنهم ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ من المجردات والبسائط والمركبات العلويات والسفليات ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88] إلا الذات السارية في جميع الممكناتِ العافية الملكيةِ والسافلة الفلكية والعنصرية إلى نهاية الصورة البشرية ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ [الأنعام: 62] والقضاء النافذ أولًا وآخرًا وباطنًا وظاهرًا ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فُصّلت: 21] للجزاء والثواب والإجزاء.

قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة القصص كان له أجر بعدد من صدق وكذب ولم يبق ملك في السماوات والأرض إلا شهد له يوم القيامة إن كان صادقًا** ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القَصَص: 88]».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 29 | سُورَةُ العَنكَبُوتِ | آياتها 69 مكية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ المتجلي لقلوب الصادقين بعد الاستيلاء بصنوف الشدائد والاختبار بصنوف المحن، والفوائد بحقائق كمال الإيمان وبدقائق اتقان الإيقانِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ المعطي المصابرة على الشدائد الحوادث والسدائد حوادث الزمان والمكانِ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بعباده المجاهدين وأجناده المخلصين المهاجرين من الخلق فكره ومبناه نظره وطوره هنا كالعنكبوتِ إلى الحق الذي له التحقق والكون والثبوت.

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ [العنكبوت: 1 ـ 2] ليس المرام في هذا المقام ما تقدم في مفتتح الكلامين وبعض السور الألف واللام والميم والإلزام العبث والتكرار، وقد قارن هنا الاستفهام للإنكار، كيف وقد صرح الإمام الأعظم جعفر الصادق بأن كل ألف وقعت في كلام اللّهِ له معنى مغاير لمعنى الأخرى، فلا قسم ههنا بل المراد بهذه الحروف الخطاب بمحمد وأحمد وجبرائيل، وإن الحسبان لا يصح التعلق بمعاني المفردات بل المركباتِ ألا ترى إنك لو قلت ظننت وحسبت زيدًا عمرًا لم يفد حتى تقول عالمًا وكاتبًا وغير ذلك ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ﴾ [العنكبوت: 2] في تأويل المصدر المنصوب مفعول لأحسب أي أحسب الناس تركتهم غير مفتونين وممتحنين بمجرد قولهم آمنّا أي أحَسِبوا أن يصيروا متروكين غير مميلين المفتنين لمجرد القول بأنا آمنا وهم لا يفتنون، أي والحال أنهم لا يفتنون ﴿ءَامَنَّا

﴿وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: 2] ولا يمتحنون، فإن الفتنة في الأصلِ وهي الابتلاء والامتحان بشدة التكليف بالأمور الشاقة من العبادات وصنوف الطاعاتِ والارتكاب بالخيراتِ والحسناتِ ومن الهجران وترك الأوطانِ ومناصرة الإخوانِ والمعصية والعصيان، ومن الفقر والفاقة وحلول النوائب ونزول المصائب وغير ذلك ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: الآيتان 155، 156] الآيات، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج: 11].

قال صاحب الكشاف: فالترك أول مفعول حسب لقولهم آمنًا هو الخبر وأما غير مفتون فتتمة التركِ، لأنه من التركِ الذي هو من التصيير، كقوله: فتركته جزر السباع مشيته، وأنت تعلم أن هذا النوع من التوجيه يقتضي أن يكون وهم بعدادِ الذي ورد في خلدي وثرد في قلبي وفؤادي بإلهام الله تعالى وإعلامه أن المفعول الأول يصير الذي تضمنه أن يتركوا مفعول محذوف، والمغعول الثاني هو أن يتركوا أي أحسب الناس أن الله يصيرهم متروكين معافين بمجرد أن يعملوا، والحال أنهم لا يفتنون باستكشاف ما في بواطنهم، كيف وقد جرت السنة الإلٰهية بذلك.

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ فوجدناهم صابرين في محنة المحبة شاكرين على وفور النعمةِ، صابرين ثابتين على ظهور النعمةِ، ودرور المحبة ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ أي يظهر علم الله بأحوال المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في المحبة وبتحمل الشدائد والمحنة ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 3] فيهما فلا اعتماد على اعتقادهم ولا اعتداد في إيمانهم وإمداده في الالتفاتِ إشعار بأن المؤمنين الصادقين في الغيبة وفي الخيراتِ والسرور يتساوون وفي إعادة العامل في المعطوف تنبيه على أنهم في الغيبة أكير يقينًا لعلمهم بأن اللّه حاضر في الغيبة والحضور والشهادة، وإن علمه متعلق بأحوال الفريقين.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ﴾ عطف على حسب ﴿يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الكفر والنفاق والمعاصي والشقاق أعم من أفعال القلوب والجوارح ﴿أَن يَسْبِقُونَاۚ﴾ وتختفي أعمالهم علينا وتنبغي أعمالهم لدينا فلا نقدر على أن نجازيهم على مساوئهم بأعمالهم ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى، وهو سدّ مسدّ المفعولين، وأم للانقطاع والإضراب إذ هذا الحسبان أفسد من الأول وأشد وأردأ منه ولذا أردف بقوله: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: 4] أي بئس الذين يحكمون به أو حكمًا يحكمون حكمه هذا فالمخصوص بالذم محذوف. قال الفاضل الهندي: فإنا قد فتنا الذين من قبلهم كيف وقد ظهرت بحكمة فيه فليعلمن الذين صدقوا أي ليظهر علمه عند خلقه بصدق إيمان الذين صدقوا فيه بدلالة ثباتهم عليه عند المصائب، وليعلمن وليظهر علمه بكذب دعوى الكاذبين ويجوز أن يكون يعلن مضارع باب التفعيل والإفعال.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [العنكبوت: 4] ويرونها ويشاهدون لها حسنات بإظهارِ أن يسبقونا ويغلبونا بإشهاد المؤمنين على إيمانهم وأعمالهم ساء ما يحكمون من غلبتهم علينا بالحجة، فغاية ما شهد المؤمنون على ظواهرهم لا على بواطنهم لو لم أظهر لهم، فإذا ظهرت لهم انتفت تلك الشهادة عنهم، وإن كانوا حاكمين في الدنيا بإيمانهم ويجرون عليهم أحكامهم. فلو قيل: الابتلاء إضرار فلا يليق بالمؤمنين بل ينبغي أن يقتصر على المنافقين لإظهار نفاقهم وإظهار شقاقهم، يقال في الجواب: لا أضرار على المؤمنين في الحال لأنهم يرجون الثواب يوم لقاء ربّهم ولو في الاستقبال لأنه:

﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾

﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ مثل الوصول إلى حسن العاقبة من يلقى ملك الموت والبعث والحساب والجزاء والثواب مثلَتْ تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد بُعد عهدٍ طويلٍ وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فإن يلقاه ببشر وترحيب لارتضى من أفعالِه أو بضدّ ذلك لما سخط منها بمعنى قوله: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: 5] من كان تأمل تلك الحالةِ وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى هذا على ما في الكشافِ وبناء على إنكارِ الرؤية دون الرؤية وإما على

طريق أهل الله من العرفان، فلقاء إليه هو مشاهدته ورؤيته أما في الدنيا فكما حكى الله بقوله عز وجل عن حال الخليل: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: 78] الآية، وعن حال حكيمه بقول: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [القَصَص: الآيتان 30، 31].

وحكى حبيبه عن حال نفسه بقوله: «**رأيت ربي في أحسن صورة شاب أمرد فقال لي: فيم يختصم الملائكة؟ قلت: أنت أعلم يا ربي، فوضع يده بين كتفي فوجدت برده بين ثديَي فنظرت في ملكوت السمواتِ**» الحديث. عن علي كرم الله وجهه سُئل: هل رأيت ربك؟ قال: لم أعبد ربًّا لم أره قيل: كيف رأيته؟ قال: لا بمشاهدة العيون بل بمشاهدة العيان، بل يشاهد القلوب بحقائق الإيمان. وقال أيضًا: رأيته فعرفته ثم عبدته ثم لم أعبد ربًّا لم أره. وقد حكى عن عموم حال عباده بقوله: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 72] وطريق الرؤية والمشاهدة إما الجذبة أو المجاهدة ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ والوقت المضروب وهو الموت الإرادي والفوت الاختياري ﴿لَءَاتٍ﴾ في القيامة الأنفسية وفي القيامة الآفاقية إن كان الموت اضطراريًّا. والأول تقسيمه لا يتأتى ولا يحصل إلا بالمرشِد الكامل المكمل، أما الجذبة ففي البداية وإن حصل بدون المرشِد في الظاهِر إلا أنه في الاستكمالِ واستيفاء أقسام التجليات وأنواع الشهوداتِ وفي الاطلاعِ على حقائق أطوار المكاشفاتِ ودقائق أقسام المشاهداتِ يحتاج إلى المرشِد الكامل العارف بأطوار المشاهداتِ وأنوار المعايناتِ وأدوار النشآت ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ استدعاء الاسر تعدادات الذاتية والقابليات الأزلية ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: 5] بتمام ما ذكرنا، ومن جاهد وأراح نفسه ارتياضًا مناسبًا فإنما يجاهِد لنفسه أي لأجل استكمال نفسه وبأطوار المشاهداتِ وشهود التجلياتِ إشارة إلى القسمِ الثاني، وكل منهما قسمانِ أما الأول: فهو إما جذبة فقط وجذبة مع السلوك. أما الثاني فهو أيضًا قسمان: إما سلوك وحده أو سلوك مع الجذبة. والقسمان من هذه الأقسامِ الأربعة فهما المجذوب السالك والسالك المجذوب ليتكملان في مراتب الشهود وأدوار مآرب الوجود، وأما المجذوب وحده والسالك بعده فلا استكمال لهما فلا يقتدى بهم، وأما المجذوب فلقوله عليه السلام لا يقتدى بهم ولا ينكسر عليهم وأما السالك برأسه من غير مرشدٍ فلقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ

﴿ٱللَّهُ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [الكهف: 17]. قال عليه السلام: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**» وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: 6] في ذاته وأسمائه وصفاته وكمالاته الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية والصورة الجميلة، إذ ذاته كافية في كل ما لها من الكمالات الذاتية والأسمائية الأفعالية والآثارية والصورة الجمعية. وأما قوله تعالى: «**كنت كنزًا مخفيًّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف**» لا ينافي ذلك. والخلق إما ظاهِر أو باطِن وهو عين الحقِ كما قال: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: 115]، ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النُّور: 35] الآية.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مطابقًا لما آمنوا في الفقرة الأولى يا أيها الذين آمنوا آمنوا باللّهِ ورسوله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إشارة إلى شرائطه القريبة والبعيدة وإلى إكمال أنواعه وأتم أفراعه إذ ربما يظهر اللقاء والشهود والعيان بدونِ العمل في الظاهِر كما هو في الجذبة جذبة من جذباتِ الرحمٰن توازي عمل الثقلين ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ ومحونا تقصيراتهم ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [العنكبوت: 7] في مقام النفس والصدر وطرد القلب، وهو اللقاء الأعظم والشهود الأعم الأتم الذي في مقام الجمعية الكبرى وهي صورة معية الصدر والقلب والفؤاد والسر، ومقتضاها هو ترتيب مبادئ القياسات وشرح مقدماتها والانتقال منها إلى الأفكار والنتائج، وحصول علم اليقين والاستعداد إلى الوصول بعينِ اليقين والشهود الصريح والعيانِ الصحيح إلى أن يصِل إلى مقام حق اليقين والتحقق بالحقائق الإلٰهية والتجليات الذاتية والأسمائية ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ وأمرناه أن يحسن ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ [الأحقاف: 15] الصوري أو المعنوي والولد هو القلب الذي تولد عنه أب الروح وأم النفس وطبيعة الإنسان طينة الحقِّ حسنًا وإحسانًا، إذ السعادة الدينية والدنياوية والسيادة الصورية والمعنوية منوطة بحسن المعاشرة، ومضبوطة بلطف المباشرة

بهما بأن قضى وطرهما أو أمضى حقوقهما وسعى ورضي بأمرهما وإن كانا عند الله غير مرضيين ما لم يأمرها والشرك والكفر بالإشراكِ ولم يجراه إلى الأسفل والدركِ وعدم العِلم ونفي الإدراك وإن جاهداك وأمراك وعاداك وداعاك.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ﴾ وأمراك وعاداك وداعاك ﴿لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ﴾ أي بالإشراكِ ﴿عِلْمٌ﴾ وإن لم يطلع على برهان بطلان يكفيك في الكفِّ عنه أنه شرك وإن امتثال أمرها في مقابلةِ أمر اللّهِ بشبه ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ في ذلك الأمر وإن جاز التكلم بكلمة الكفر إكراهًا وعلى سبيل الحكاية فلا إكراه مع إمكانِه المنع والدفعِ بالمجاهدة ولو قيل: إن بر الوالدين معلوم الثبوت للكل وبطلانِ الشرك غير معلوم لأهل الإفكِ فلو امتثل لهما فيه كان مقدورًا أجيب بأنه أخطر وأخبر وأحظر ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ لا إلى الأبوين وإني لست بمن يلتبس عليه بعض الأمور ولا كلها ﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾ وأخبركم لإحاطة العلمي بالكل القلّ والحقير والجلّ ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ ظاهرًا وباطنًا سرًّا وعلانيًا وأجزتكم من حقوق الوالدين ﴿تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: 8] فخطر العقوق كخطر الشرك.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ إيمانًا غيبيًا وعملًا قلبيًا ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى﴾ زمرة ﴿ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: 9] وإن كان عقوق الوالدين بمخالفة أمرهم لهما بالإثم وكيف لا يأمر بالجهاد وإهماله يفضي إلى الارتداد وذلك أن:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ المعهود الإنسي والمفقود القدسي ﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ لغرض دنياوي ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ بالأضرار ومسّهم أذى من الكفار ﴿جَعَلَ﴾ ذلك الأذى ﴿فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: 10] أي صرفهم إلى الكفر كما أن عذاب اللّهِ

وملاحظته وإدراك تصوره والتصديق به صار للمؤمنين إلى الايمان والصبر والشكر أو كما يجد أن يكون عذاب الله صادقًا ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ وغنمهم اعترضوا وانصرفوا إليهم ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ متفقين بكم في دينكم ثابتين عليه فأعطونا نصيبنا من الغنم ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: 10] الجاهلين والعالمين.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بصميم القلب وخلوص الاعتقادِ ووفور التوجه إلى الغيب متجافين عن الشك والريب في يوم التناد ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: 11] الممثلين قلوبهم من الشكوك والريب والنقص والعيب.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله وبما جاء من عند اللّهِ من الرسل والكتب ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ باللّهِ وبرسوله وبما جاء منه وتحملوا أذى الناس في طريق الحق ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ ومسالك ديننا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ في هذا الاتباع يجب علينا في هذا المسلك حمل خطاياكم بطريق الإلزام للحمل، فأمروا نفوسهم بحمل خطاياهم وإنما قالوا ذلك لإنكارهم كونها خطأً لاعتقادهم كونهم مصيبين في ذلك الطريق وإن كلما عملوا أو يعملون فهو صواب وصدق وثواب ﴿وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ﴾ أصلًا فضلًا عن خطية الكفر والإشراك ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [العنكبوت: 12] في هذه الدعوى لانتفاءِ وفائهم بما عاهدوا منه أو أولى للبيان والتبيين مزيدًا لتأكيد العموم وتأييد الإبرام والنكارة لدى المفهوم دولة الإفهام ولكن يجعلون نفوسهم كالمؤمنين.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أي أثقال المعاصي التي يعجزون عن حملها بعمل اقتراف أنفسهم إياها ﴿وَأَثْقَالًا﴾ والإضلال والضلال ﴿مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: 13] وهي

الأثقال والمعاصي التي كانت سببًا في ضلالهم وهذا الحمل ليس على سبيل التعاقب والإرداف لعدم انقطاعهما أو ألا يسقط بذلك أثقال المحمول عنهم بل ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: 13] على الله من نسبة الشريك والولد، وكفى بالسؤال عن ذلك الحمل ثقلًا ولو منع التحمل من مؤاخذة المحمول عنه ثم يؤاخذ المتأخرين من قوم نوح مع تحمل أوائلهم وتعذيبهم مدة مديدة يمكن جعل بعضها من جهة التحمل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

فإنا ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾ يدعوهم إلى الله إلى ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ من سني ذلك الزمانِ شمسيًّا كان أو قمريًّا وغيرهما من الكواكب السيارة وإن لكل منها اقتضاء دورة ولها سنة يناسبها لكن اليوم في الكلِّ واحد وهو مقدار حركة الفلك الأعظم وتكرار ذكر النوح وغيره من الأنبياء يشعر بكثرة الأدوار ويكون في كل دورة نوح وآدم وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد على طريقة البرزة والبروز كما قدمنا في صدر الكتاب وأثبتناه في كل موضِع يناسبه ﴿إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ المائي الناقص لما تقروا لدى أرباب التنجيم بأنه ما بلغ هذا الطوفان أرض الصين والقنا وبعض بلاد الهندِ والسند فإن النصير الدين الطوسي قدس سره قد ذكر في كتاب الزيج الإيلخاني بأن مذ أربع وأربعين ألف سنة يكون السلطان والحكومة بينهم من غير انتقال من بينهم إلى غيرهم من الطوائف وهم يدعون ويزعمون أنهم ليسوا من أولاد آدم الصفي ومن آدم آخر فإن حقيقة آدم سبعة، إما وكما صرح النبي ﷺ به: «**أن الله تعالى خلق آدم في سبعة آماد**» والأمد هو الدهر الطويل لا يحصيه إلا الله ونحن في الأمد الأخير ﴿وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14].

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ﴾ وأهله لانتفاء الظلم عنه ﴿وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: 15] الذين وكلوا لضبطها وهم الملّاحون يدل عليه العطف وسبب النجاة ليس ركوب السفينة

المحسوسة فقط بل ركوب السفينة العقلية وهي سفينة الإيمان وفلك العدل والإحسان وكمال اتقانِ الإيقان، أشار إليه بقوله: ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾، ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: 15] دالة وعلامة حالة على السفينة المعنوية المنجية في الحقيقة بذاتها والصورية لا ينجى إلا بها وأصحاب السفينة ولساكنها كانوا ثمانية وسبعين نصفهم ذكور والنصف الآخر إناث. قيل: كانوا عشرة، خمسة رجال وخمسة نساء. روي عن النبي ﷺ: «**كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة وأهاليهم**».

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ أي اذكر إبراهيم أو عطف على نوح ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالإخلاصِ وكمال الاختصاصِ به لتكون تلك العبودية لكم لدى طغيان طوفان عالم الطبيعة وسفينته منجية أينما كنتم ﴿وَٱتَّقُوهُ ۖ﴾ ليصير وقاية لها عن الغرق ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي التقوى والعمل الخالص أو كل منهما أو مجموعهما ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من سائر السنن لما فيها من العلم والعمل وجمعيتهما ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 16] الخير والشرّ والنفع والضر وما يشتمل عليهما من الحقائق الضارة والنافعة والسارة والرافعة.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ دون طغيان طوفان كمال الجهلِ والغباوة وجريانِ ماء الكسل والغواية مع أن الدون والسفل لا يستعمل بالأثر والتأثير بدون إلا على أنه لا يصلح للسببية فضلًا عن الفاعلية ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ﴾ ويخترعون كذبًا وشركًا أو يكذبون كذبًا صريحًا بأن الأوثان يستقل بالتأثير حتى زعموا إنها تورق وتثمر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ [العنكبوت: 17] ليستحقوا العبادة فإنها أدنى منكم وقد علمت أنّ الأدنى لا تؤثر في الأعلى

﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الجامع لتمام جهاتِ الكمالاتِ والتأثيراتِ التي بعضها ﴿ٱلرِّزۡقَ﴾ الذي به بقاء تلك الكمالات فيكم ولو طلبتم من دونه الرزق فلا يفيده فيكم فلا يعبدوه بل ﴿وَٱعۡبُدُوهُ﴾ واعتدوا استقلاله بإعطاءِ الرزق فيكم ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ﴾ متوسلين إلى مطالبكم بعبادته مقتدين بما حثكم وبث نيتكم من النعم بشكره والعِلم أو مستعدين للقائه بهما فإنه ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 17].

﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨﴾

﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ﴾ وأهلكوا فلا تكذبوا ليكون سببًا لهلاككم إلا أن ليس على الرسل إهلاككم إذ ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [العنكبوت: 18] مبلغ البرهان المبين ليزول منه الشك وما عليه، وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله: فما كان جواب قومه محتملة أن يكون من جملة مقولة إبراهيم صلوات الله عليه لقومه، وأن يكون إياب ونعت معترضة في شك رسول الله ﷺ وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم وآخرها، وإذا كانت قول إبراهيم فالمراد بالأمم قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم، ولقد عاش إدريس في قومه ألف سنة إلى أن رفع إلى السماء وآمن ألف ألف إنسان على عدد سنيه، وأعقابهم كانوا على التكذيب، وساق هذه القصص والإنسان بهذه النصص لتسلية الرسول عليه السلام والتفتيش ونسبة حال قريش بالرسول كحال إبراهيم بقومه في قوله:

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩﴾

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ﴾ خلق أجزاء الإنسان قابلة للتحلل فتحلل منها ما تحلل ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ﴾ بالغذاء الموردة للنشوء والنماءِ فلا ينسب إلى القوى الضعيفة والمبادئ النحيفة، كيف وقد قيل إن أكثرها أعراض بل إلى الله كيف ولا ينسب إلى الممكناتِ شيء من الأثر والتأثير من الإبداءِ والإلجاء والإعادة والإحياء والإنشاء ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الإبداء والخلق والإنشاء والإعادة والنشوء والنماء والإنماء ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [العنكبوت: 19] وسهل ونذير لعدم افتقاره في الأمورِ المذكورة إلى

شيء غير الذاتيةِ إذ ذاته كافية في كل ما له من الأسماء والصفات ما يقتضيه من الأفعال والأحوالِ والأسماء والصفات وهي إما ظاهرة أو باطنة أو أول آخر فهي عين الذاتِ في الحقيقة لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] واستوى عنده التأثير في الظاهِر والباطِن وهو في الحقيقة نسبة الذاتِ إلى الذاتِ فهي أمر اعتباري لا ثبوت ولا كون له في الواقِع.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ سير الاعتبار ومسير الاستبصار فالأمر بالسير للوجوب لكون تبني الواجب ومقدماته ومقدمة الواجب واجبة هو النظر والتفكر قل انظروا ماذا في السماوات وهذا الأمر للوجوب يشعر به ﴿فَٱنظُرُوا﴾ لأمرِهِ ﴿كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ وإبداء المخلوق القابل للفناء بذاته والبقاء بغيره ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ﴾ دون قوى العالم ومباديه الخفية والجلية التي نسبت الفلاسفة والعقلاء وأصحاب الآراء الضعيفة والتدبيرات الجنسية والتدبيرات الجلية لها وذلك لقصور نظرهم في ذات اللّهِ وأسمائه وصفاته وفي كيفية إبدائه وإنشائه دنيا وآخرة ﴿يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: 20] الأشياء الثابتة والممكناتِ الكافية إنشاء القوى الغاذية والنامية في الظاهِر في باطن المتغذي وإنشاء القوى إنما هو بإنشاء الله تعالى لقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ [النحل: 70] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ معدوم ﴿قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: 20] بالإيجاد والإنشاء والإعادة أو موجود بإيرادِ الأحوال المتجددة وإعداد الأطوار المتحددة، ومع هذا كيف يتجزى للخبير المتبصر واللبيب المختبر أن يرفض القدير في المبدعاتِ والتفكر في المخترعاتِ ويعرض عن أداءِ شكر الله ونعمائه الظاهرة والباطنة في الانتفاعِ والتغذي بها أي الارتزاق بها.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ في إخلال وظائف شكرها وإعمال التفكر فيها أو بالعناءِ بإفضائه إلى المرض وبما يقتضي انتفاء المقصود واختفاء الغرض ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ﴾ فيجعله على ما تقتضي الحكمة على وجه يندفع به المرض ويتأتى منه المقصود برعاية الغرض ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت: 21] فيرجى رحمته ويخاف

عذابه إذ لا مانع كيف وأجلّ الموانع ممنوع وأقوى المقتضى وهو كمال عناية الله وشرف طفه من جانب عالم القدس مسموع.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ربّكم عن إدراككم والعلم بحالكم ومآلكم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وأجزاء الأحوالِ الظاهرة والباطنة من المنافِع والمضاف عليكم ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت: 22] بأن يعرجكم فيها ويخرجكم من مضيق الأرضِ إلى فسحة أوسع الفضاءِ كما أعرج نبينا ﷺ في ليلة المعراج وخلّص أمتِه من الأولياءِ الكاملين والعرفاء الفاضلين والملائكة والأرواح بعروج الملائكة والروح ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: 5]، ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمٰن: 33] بأنفسكم ولا بمعبودكم الباطل ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يعينكم في المقاصِد الدينية والدنياوية ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت: 22] يدفع عنكم من رحمته أو يحرسكم من بلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماءِ ويدفعه عنكم يعني أن الأمرين سيان عنده، وكذا المدح والثناء والحمد والهيجاء كما قال حسان في مدحِ النبي ﷺ: «**لئن يهجو رسول الله ويمدحه سواء هو العذاب والثواب والرحمة والعقاب وإن كان بمشيئة فلا يخالف الحكمة المقتضية نزع الرحمة من الكافرين**».

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالة على الرزق من ابتداء وانتهاء إذ لا مؤثر في الكون سواه وشهوده ﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ الذي فيه الجزاء على الشكر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ فلم يرتجوا إياها وما طلبوها وقبولها، وطلبها شرطٌ للوصول إليها، وحصول المرام لديها كما أن الموهوب لهُ لو لم يقبل الموهوب بردع الموهبة ويدفعها فلا يتملكه ولا يكون له ملكًا بل قضى عليهم بأنه ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: 23] وهو عذاب الحرمانِ وعقاب الندامةِ والخسرانِ وهو أشد

أصنافِ العذاب وأحد أكنان العقابِ فينبغي أن لا ييئس من رحمتي ومن روحي ومغفرتي فإنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولا أن يأمن من عذابه وعقابه إلا إياهم بل يكون المؤمن راجيًا ناجيًا باللّهِ.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ أي قوم إبراهيم له ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ والقاتل هو البعض إلا أنه لما كان الكل راضيًا به أسنده إليهم وذلك ليغفر قبل أن يعذب ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ في تدارك رأيهم ومعاركِ رؤيتهم ﴿مِنَ ٱلنَّارِۚ﴾ الموقدة لإجرامه فكانت عليه بردًا وسلامًا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الإيحاء وذانك الإنجاء ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: 24] ولطائفة يصدقون لاختصاصهم بالانتفاع بها يدل على أن المعذب بالنار هو اللّهِ بطريق الاختيار لا الإيجاب وعلى إبطالِ اليأس من رحمة الله وعلى إنجاء المؤمنين من نار جهنم إنما هو الله تعالى ونوره إذ نور الإيمان يطفئ حرّ النارِ ويدفع جو النيرانِ كما ورد في الحديثِ: «**جُزْ يا مؤمن فإن نورك يطفىء لهبي**» وعلى أنه لو كان للأصنام قربٌ من الله لأحرقه لأجلها وعلى أنه لو كانوا إلٰهًا لمنعوا الله من إطفاء النارِ وتبريدِها.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم وكيف يعجزون اللّه وغاية ما يتوهم به آلهتكم وليست بآلهته ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم﴾ لنفوسكم ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ جمع وثنٍ أي طفورًا وطلسمًا للأرواحِ ويتعلق بها الشياطين وهي وإن أفادتكم لتتوادوا بينكم ويتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وأنفاعكم عليها وابتلائكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب نجاتهم وتصادقهم وأن يكون مفعولًا ثانيًا كقوله: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجَاثيَة: 23] أي اتخذتم الأوثان بسبب المودة بينكم على تقدير المضافِ أو اتخذتموها ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ [العنكبوت: 25] بمعنى مودودةً، قرئ مودودةٌ بينكم

بالرفع وفيه وجهانِ أن يكون خبرًا لإن على أن ما الموصولة وأن يكون خبرُ مبتدأ محذوف والمعنى أنّ الأوثان مودة بينكم أي مودة أو بسبب مودة ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ﴾ تنقطع المودة وتنقلب عداوة ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ التي ترجون فيها نصرهم وشفاعتهم ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ دفعًا لنسبة الشرك إلى نفسه فهذا هو الانقطاع ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ وهذا هو العذاب كيف والحال ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ﴾ بتلك المودة ﴿ٱلنَّارُ﴾ والتي لا أضر منها ولا أشر من شرار شدتها ولا شيء في هذه الحالة أمر يرفعها أو يحجبها ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: 25] يخلصونكم منها ولا يصلحون حالكم بها.

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ أي أول من آمن لإبراهيم وصدق به لوط ابن أخيه هارون حين رأى أن النار لم تحرقه ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ﴾ من كوفي وهي من سواد الكوفة إلى حران ثم منها إلى فلسطين ومن ثمة قيل إن لكل نبي هجرةً ولإبراهيم هجرتانِ وكان منع في الهجرة لوط وامرأته سارة وهاجروا به ابن سبع أو خمس وسبعين ﴿إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ أي مكان يتيسر فيه عبادة ربي ولا أخاف فيه أذية نفسي وإلى حيث أمرني ربي بالهجرة إليه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على الكل لكن قد لا تظهر الغلبة على بعض الناسِ بمقتضى الحكمة ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: 26] الحاكم العالم بحالي الذي لا يأمرني إلا بما هي مصلحتي وصلاحي ومقتضى فلاحي، ثم لما خرج من سواد الكوفة مع تلك الجماعة إلى حرانِ وفلسطين وترك لوط بروم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ولدًا ونافلةً وحفدًا ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي إبراهيم ﴿ٱلنُّبُوَّةَ﴾ والصحف ﴿وَٱلْكِتَـٰبَ﴾ التوراة والزبور والإنجيل والفرقان ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ﴾ على هجرته إلينا ﴿فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ بعد انقطاع النبوة والشريعة بانقطاع التكليف مطلقًا بل التكليف الذي كان من مقتضى الدنيا ولوازمها ﴿لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: 27] أي أولى الأعمال الصالحةِ لأن يشاهد الحق تجلياته

الأربعة الإفرادية والآثارية والأفعالية والأسمائية والذاتية والصورة الجمعية والهيئة المعية الأصلية والفرعية والصورة النوعية يشير إلى الإنسانِ بل لتمام الأعيانِ في الآخرة اكتسابًا آخر ومآلًا دنيا وبانقضاء طورها وانقطاع دورها فيختفي حكمها، فيصير في الآخرة باطنًا خفيًّا والآخرة في حكم الدنيا ظاهرًا ومحسوسًا اعتور فيه أحكام الاكتساب وتداول على أيامها إصلاح التكلم والأخطاء وتداور أطوار الخطاب والتكلم إلى أدوار الاغتياب وتحول مدار الصورة إلى منار الاكتساب وبالعكس ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: 140] وإلا لزم العجز والتعطيل وانقطاعِ اقتضاء الأسماء الإلٰهية وارتضاء الأنوار الربوبية، وأسوار هذه الأطوار لا تكاد تنحصر، وأكثر أهل الفنون بل أهل الحقِّ يمتنعون عن قبول هذا النوع من الأسرار الملكوتية، والذي أمر الله الكليم باستصحاب حضرة الخضر ليتعلم ما علمه الله من لدنه وهي حسنة من حسنات هذه الأسرار وخيرة من خيرات هذه الأدوار وقد لوحنا إلى طور من هذه الأطوار في صدر الكتابِ وفي البعض من سائر مواضعه فليرجعِ إليهِ. وقدر من حجة الإسلام في بعض كتبه وفي الأحياء كثيرًا إلى أن تكرار اسمي الرحمٰن والرحيم في فاتحة الكتابِ إشارة إلى ما ذكر ما قال النبي ﷺ: «**إنّ من العلوم كهيئة مكنونة لو نطق بها لا ينكرها إلا أهل الغرة باللّهِ**».

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَلُوطًا﴾ عطف على إبراهيم وعلى ما عطف عليه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ﴾ بتأكيد الاستفهام الإنكاري ﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: 28] جملة مستأنفة مقررة لقبح تلك الفاحشة التي ما فعل به أحد من السلف.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ [العنكبوت: 29] أإنكم لتأتون

الرجال المخلوقين فيغيرون في خلقه ووضعه ويقطعون السبيل سبيل النسل والتناسل والولادة كما اشتهر أن من أوتي إعجابه سقط من مقام مرتبة الولاية وهي التقرب إلى الله وشهود تجلياته. قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: من أوتي إعجابه قل حياؤه فنقص إيمانه لقوله عليه السلام: «**الحياء من الإيمان**». الحمد للّهِ الذي قد عصمني الله من ذلك القبح والفاحشة ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ أي مجالس الجماع. عن ابن عباس: المنكر هو القذف والخرق بالرمي باللواطة، قيل هو المحاضرة في ناديهم بذلك العملِ وكل معصية فإظهارها أقبح من فعلِها ولذلك جاء: من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له، ولا يقال للمجلس ناديًا إلا ما دام فيه أهله فإذا قاموا عنه لم يبق ناديًا وذلك لأن هذا الاسم مأخوذ من النداء فما دام فيه أهل النداءِ صح هذا الاسم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ [العنكبوت: 29] عند مبالغة لوط في نفيه والزجر على أهله بالإنذار بالوعيد والدعوة إلى طريق الحق ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ وحلول عقابه ﴿إِن كُنتَ﴾ في الإنذار والوعيد ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: 29] فيما قلت وادعيت.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ۝٣٠﴾

﴿قَالَ﴾ لوط لدى الاشتداد في المعارضةِ والاستمدادِ بالمناقضة والمجاهرة في الجهادِ والمجاهدةِ ﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾ بإظهار فحشها وإشهار قبحها أو منعِها ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: 30] بالتوفيق في إيراد البرهانِ العقلي وإفراد التبيانِ النقلي والرد عليهم وسد الحكم الإلهي بين يديهم.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَالِمِينَ ۝٣١﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ بعثناهم لنصرة لوط بمقتضى دعوته ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ أي بالبشارة بالولدِ والنافلةِ وهما إسحاق ويعقوب ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ الإضافة تغطية للتخفيف لا للتعريف والقرية هي سدوم التي قيل منها أمور من أقاص سدوم لأن المعنى مبني على الاستقبالِ ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت: 31] تعليل لإهلاكهم أي بإصرارهم وتماديهم في الظلم

والتجاوز في الحكم إلى الإفراط والتفريط بمهاجرتهم النساء ومباشرتهم الرجال فظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ردًّا على الرسل حيث قالوا إنا مهلكو هذه القرية ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: 32] وهو مؤمن ومن النبي معصوم حيث يعصمهم الله لشرف مقدمة أهل ذلك المكانِ عن الهلاكِ والموبقاتِ وقد أخبر الله عنه وحيه له ودعوته إياهم إلى الله ﴿قَالُوا﴾ الرسل ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ من لوطٍ وغيره من المؤمنين ولذا أبرموا الأعلام والتزموا الإلهام بقوله ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ وتسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وإنهم كانوا غافلين والجواب عنه تخصيص الأهل بما عداه وأهله أو بإفشاء الإهلاكِ بإخراجهم عنها ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: 32] الباقين في العذاب أو القرية.

﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ أي لما ظهرت جثة رسلنا لوطًا ﴿سِيءَ بِهِمْ﴾ مجهول ساء أي ظهر فيه المساءة وبسببهم مخافة أن يقصدهم وإن صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي ضاق شأنهم وتدبيرهم ذرعه وطاقته وقد جعلت العرب ضيق الذرع عبارة عن بعد الطاقة كما قال: رحب الذراع بكذا إذا كان مطيعًا والأصل فيهِ الرجل إذا طال ذراعه قال: ما لا يناله قصير الذراع فضرب ذلك مثلًا في العجز والقدرة ﴿وَقَالُوا﴾ الرسل إذا رأوا في لوط أثر الضجرة وضرر المساءة ﴿لَا تَخَفْ﴾ على نفسك ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ على أهلك ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ ومخلصوك ﴿وَأَهْلَكَ﴾ مع أهلك ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ ومنكوحتك وزوجتك لأنها بسوء فعالها وقبح خصالها ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: 33] وتكرار الغابرين إما لاهتمام لوط بشأنِ امرأته أو لشدة محبته لها لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرًا.

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ التي مر ذكرها ﴿رِجْزًا﴾ هوانًا وعذابًا وهلاكًا من قولهم: ارتجز رجزًا إذا اضطرب لما يلحق العذاب من القلق والاضطراب متبعًا ذلك الرجزِ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: 34] أن بسبب كونهم فاسقين أو بسبب فسقهم.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ﴾ أي من آثار القرية وآبارها ﴿ءَايَةًۢ﴾ وإمارة وعلامة دالة ﴿بَيِّنَةً﴾ ظاهرة بنفسها مظهرةً بغيرها أي حكايتها الثابتة آثارها على صحائف الأوراق الأرضية وأزالوا الجزئية أو الحجارة المصورة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: 35] يستعلون عقولهم في الاستبصار وحصول الاستخبار أو متعلق بتركنا أو بآية.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ أي بعثنا إلى مدين قد مر الكلام فيه من حيث اللفظ والمعنى ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ عبادةً خالصةً ﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ وما يختص به من السعادة الأخروية والكرامة الدينية وافعلوا ما ترجون به ثوابه وجزاءه فأقيم المسبب مقدمة السبب وأمروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الإيمان كما يؤمر الكافر بالشرعياتِ على إرادة الشرط أو هو من الرجاء يعني الخوف ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي تقدر القول حال كونهم ﴿مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: 36] أي مظهرين الفساد على وجه الأرض.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي كذب أهل الأرض المدين الشعيب ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [العنكبوت: 37] والزلزلة الشديدة والصيحة المهلكة وهي صيحة جبرائيل أي القلوب

رجفت وتحركت واضطربت ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ أو يأتوا وظلموا ﴿فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [العنكبوت: 37] هالكين أو تاركين المرتفعين.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا﴾ أي أهلكنا بقرينة جاثمين ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ﴾ ظهر لكم ما وصفه لكم من إهلاكهم ﴿لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ إذا نظرتم إليها نظر الاعتبار وعند مروركم فيها وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم فيبصرونها فيتبصرون ويعتبرون لأنهم عقلاء ممكنون من النظر الصحيح لافترائهم الصريح لكنهم لم يفعلوا لغلبة الشقاوة ومزاحمة الغباوة عليهم ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ القبيحة وأفعالهم السيئة الوقيحة وهي الكفر والشرك والإشراك والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ النبوي الذي بينه الله بلسانه لعباده في أكثر بلاده ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: 38] متمكنين للنظر لكنهم تركوا وفي مقام الجهالة تركوا وسبيل العناد والعنت سلكوا.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ عطف على (عادًا وثمودًا) ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ واستنكروا مناط ويقينًا ﴿وَمَا كَانُوا سَٰبِقِينَ﴾ [العنكبوت: 39] ثابتين على أمر اللّهِ ولا هم قائمين بحكمِهِ.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ وعاقبنا بإثمه ومغبته ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ وريحًا عاصفًا فيها حصباء أو ملكًا وما هم بها كقوم لوط ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ كثمود ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا﴾ وأغرقنا ﴿بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [العنكبوت: 40] كقارون

وأشياعه ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ بالماءِ الطاغي كقومِ نوح الباغي وفرعون وقومه الباغي ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ أي ليعاملهم معاملة الظلم فيعاقبهم بغير الجرم إذ ليس ذلك من عادته ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40] بالتعريض بالعذاب وتقويتهم الأقدار التي هي مدار الأعمالِ الإرادية ومنار الأفعال الاختيارية وإن كان التقوى أيضًا منه.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ﴾ فيما نسجه من الوهن والضعف ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾ التي تبنيها الحيوانات ﴿لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41] لعلموا أن هذا الذي ذكرنا مثلهم أو أن دينهم أوهن من ذلك أو لولا للتمني ويجوز أن يكون المراد بيت العنكبوت من حيث إنه في غاية الضعف والسخافةِ، دينهم يشوش من أدنى سبب لا من حيث إنه مشتمل على فنون الحكمة العملية والعلمية تساوي أضلاع أشكاله المسدسة والمربعة والمثلثة والمخمسة والمسبعة والمثمنة وزواياها الحادة والحادة المنفرجة وغير ذلك من القوانين الهندسية والأعمال النجدية والأفعال النتاجية، فإنها توجب البقاء والثبات إذ النسبة في المركباتِ توجب حفظها وثباتها وكلما كانت النسبة أتم وأقوى وأعم كان المركب أحكم ونقاوة الطور وثباته أكمل، ألا ترى أن نسبة العناصر الأربعة في المركباتِ لما كانت في غاية العدالة والمساواة كان الجسم باقيًا مساويًا دائمًا كالذهب والفضة والياقوتة والفيروزج وغير ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ﴾ [العنكبوت: 42] على إضمار القول أي قل يا محمد للكفرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ﴾ ويفعلون ﴿مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القوي الغالب القاهِر على الأعداءِ والخصماءِ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: 42] العالم بالأشياء على ما هي عليه في نفسه الأمرِ أزلًا وأبدًا.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ أي تبيينها لأرباب العقول الكاملة والنصوص الفاضلة ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ ويدركها الفعل الصريح ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43] الربيون الذين يودون الأشياء من الحقِّ على ما ينبغي قال عليه السلام: «**العالم من يعقل عن اللّهِ فعل طاعته ويجتنب سخطه**».

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أو الموجودات الغالبة عن الإدراك الحسي ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وهو ما يدرك بالحواس الظاهرة والباطنة بكيفية الشكل والهيئة والصورِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل والقسط والحكمة على ما قضى عليه في سابق علمه وشأن حكمه وقضائه أي محقًّا غير قاصدٍ به استكمال ذاته وصفاتِه، وإفاضة الخيراتِ لنفسه، وإضافة الحسنات إلى ذاته عامدًا لتكميل مقاصده وتعليل مراصده ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الخلق والإيجاد ﴿لَأَيَةً﴾ أي ليظهر دلالات ويشهر علامات دالة على ذاته وكمالات آياته وصفاته ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: 44] أي لأجل استكمال نفوس المؤمنين وذواتهم وجلب المنافع لديهم.

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ وأنزل عليك ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت: 45] وما فيه من الآيات ومقاصد الحكميات تقربًا إلى الله بقراءته تحفظًا لنا بالمواظبة على تلاوته والمداومة على قراءته فإن القارئ المتأمل والتالي المتحمل لكتابِ الله قد ينكشف

له بالتكرار ما لا ينكشف له أول ما يقرع صماخه ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وداوم ولازم عليها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تعليلًا للحكم السابق وتقرير له ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ والمعاصي الظاهرة والذنوب الباطنة سيما في الوقت الذي اشتغل فيه بالصلاة بسر جميع أجزائه وأعضائه وبالتأمل في مقام ما قرئ في صلاته واعتقد أن الله حاضر به ناظر إليه وبما صدر منه من الأعمال وإلى ما توجه بقلبه بكليته، ويدركون في هذه الحالة في مقدم الإحسان فلا ارتياب أن المصلي في هذا الوقت محفوظ في سائر الأوقاتِ بتركه للاستصحاب بالصلاة، وفقرات ما يلاقيها، وسرًا في ظاهره وباطنه يكون أيضًا محفوظًا. روي أن فتىً من الأنصارِ كان يصلي مع النبي عليه السلام ولا يدع شيئًا من الفواحِش ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ والزنا، وقد تقدم الكلام في سره فيهما الازكية فوصفه له فقال: إن صلاته تنهاه، فلم يلبثه الآيات ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45] تعليل للنهي، يعني أن ذكر اللّهِ الذي يلتبس به المصلي في صلاته، وعرج به عن حضيض دركات الغفلة وناجى ربه، أكبر أن يمهله المصلي على ما كان عليه قبل الاشتغال بها، ولا يجد به إلى جانب قدسه، ولا يجلسه في مقصد صدقه على مقام السنة. قال النبي عليه السلام: «**المؤمن المصلي يناجي ربه**». هذا هو على النهي في الصلاة عن الأفعال والأعمال بالقصد والتأمل في معانيه والتوجه بالخلاص عن الوسواس وبما لو ردّ من الله من كمال الإخلاص لوفور الاختصاص به وبما يخطر ببالكم من المعاصي وبقصد السيئات الآخذة بالنواصي والأقدام فيجازيكم أحسن الجزاء.

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ولا تناظروهم ولا تباحثوهم ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي﴾ والخصلة والمناظرة التي عند الكفارِ ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ وألين وأبين فعارضوا وقابلوا الحشويه باللينِ والغضب بالكظم والانتقام بالعفو عن ذلك من المفهومات المتقابلة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: 46] وجاوزوا الحدّ وأفرطوا في المخاصمةِ والردِّ، فإن التنزل في امتثال هذا المقام عجز وهو أردأ وأردى من الظلم والتغلب لنقصان

الحمية والحضيرة في الدين من كمال الإيمانِ قال النبي ﷺ: «**الغيرة من الرجال إيمان ومن النساء كفر**». وتنزلوا عن مطايا المعصية ومركبة القوة الغضبية ﴿**وَقُولُوٓاْ**﴾ في هذا المقام ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ وهو القرآن ﴿وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ وهو التوراة والزبور والإنجيل والصحف المنشورة لأن الكل من الله لأجل الإيمان به، بيان لما أجمل لأنه المجادلةِ التي هي أحسن، قال النبي ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا باللّهِ وبكتبه ورسله**»، فإن قالوا حقًّا لم يكذبوه ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ﴾ وهو رب العالمين وخالقهم وحافظهم ورازقهم ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46] نعم البيان بعد الإجمال والإرشادِ وبعد الإبهام والتعليم والإعلام بعد الإيهام مسلمون ومطيعون ومنقادون له خاصة لا يتجاوزون بعبادته إلى غيره.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل الإنزال السابق ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ والفرقان ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ وهم عبد الله بن سلام وأضرابه، وتقدم عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ العرب أو أهل مكة أو ممن عاهد الله ورسوله من أهل الكتابِ ومن هؤلاء ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ما كنا نتابع كما سطوع آياتها وسطوع أنوار علاماتها الدالة على حقيقته ﴿إِلَّآ﴾ القوم ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [العنكبوت: 47] المتوغلون في الكفر فإن جرمهم يمنعهم عن التأمل فيما لا يفيد لهم لكونها معجزة بالإضافة إلى الرسولﷺ كما أشار بقوله:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي من نزول القرآنِ ﴿مِن كِتَٰبٍ﴾ نزل على غيرك من الأنبياء ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: 48] بيان للواقع فإنّ الأغلب لا يكتب ولا يعمل ولا يرقم ولا يخط إلا باليمين إنما هو لقصد التيمن والتبرك، فظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم الحكمية الإلٰهية والكونية، وأصناف

المعارف الحقيقية والأحكام الشرعية وإظهار الحقائق الإلٰهية الخفية والأسرار الخبيئة الغيبية، من رجل لا يعلم الخط ولا مارس الكتابة ولا دارس العلماء، ومع ذلك يظهر من أنواع خرق العاداتِ وأصناف المعجزاتِ التي لا يظهر إلا ممن أيده الله بنور قدسه وبظهور آياته ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48] أي لو كان شيء من ذلك الخط والكتابة والتلاوة وشكوا في أنه نبي أنزل عليه الكتاب وقالوا: الذي نجده في كتبنا أي لا خطاط وكاتب ولا قارئ، أو لأرباب مشركو مكة وقالوا: تعلمه من غيره أو كتبه بيده، وإنما سماهم مبطلين لكفرهم أو لارتيابهم بابتغاء وجد منه وجوه الإعجاز المتكاثرة، أو لأنهم لما وجدوا بعثك على خلاف ما في كتبهم، فيكون الظالم باعتبار الواقع دون العدد المقدر، لأن سائر الأنبياء لم يكونوا أميين ووجب الإيمان بهم وبما جاؤوا لكونهم مصدقين جهة الحكيم بالمعجزاتِ فهب أنه قارئ وكاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا أن بموسى وعيسى على أيهما المنزلين ليسا بمعجزين، وهذا المنزل معجز فإذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو غير أمي.

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿بَلْ هُوَ﴾ أي القرآن ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ دلالات واضحات محفوظة ﴿فِى صُدُورِ﴾ القراء وقلوب الحفاظ المواظبون على تلاوته ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ لما فيه من جميع العلوم يحيطون به ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا﴾ الكافرون ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 49].

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ هلا أنزل عليه أي لا ينزل وما ينزل على محمد ﷺ ﴿ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ينزلها كما يشاء على من يشاء وكيف يشاء ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [العنكبوت: 50] ليس من شأني الإنذار.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ في إلزام الحجة عليهم آية واحدة كما أراد وليس لي أن الخير أكلف على الله إن أنزل علي هذه الآية دون آية أخرى حتى أكون متحركًا وحاكمًا ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْۚ﴾ بدوام دلالته عليه متحدين به ومتعارضين فلا يزال معهم ثابت بهم لا يضمحل بخلاف سائر الآيات كشق القمر وتكلُّم الصبي ومشايعة الأشجار معه وغير ذلك ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الإنزال وبعثة الرسل والإرسال ﴿لَرَحْمَةً﴾ عظيمة ونعمة عظيمة ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ وتذكرة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: 51] أي لطائفة همتهم الإيمان ونيتهم وأنيتهم اتقان الإيقان وقبول الأحكام والإذعان. قيل: إنّ ناسًا من المسلمين جاؤوا رسول ﷺ بكتف كتب عليها بعض ما يقول اليهود فلما نظر إليها ألقاها وقال: «**كفى حذاقة فهم وضلالة قوم إذ رغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء غير نبيهم**».

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًاۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًاۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾ من الأنوار التامة والأرواح المثبتة والملائكة المقرر عليهم تدبير أمر السماءِ والأرض والأرزاق النازلة والأسرار الكائنة والكواكب الثابتة والسيارة، المنزل منها إلى الأرض، وخباياها، قد فوض إبرازها إلى أوضاع الكواكب ونسبة بعضها إلى بعض، والاتصالات الكلية والجزئية بينها ليخرج من أكنة الأرض وأمكنة أجزائها الصور المعدنية والهيئات النباتية والأشكال الحيوانية والصفات الإنسانية والأشخاص ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بغير اللّهِ الذي هو خالق السماواتِ والأرض ومدبرها والعالم بها وبما فيها ملكًا كان أو كوكبًا أو فلكًا وأشخاصًا إنسانية ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ بسبب الإيمان بالباطل ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [العنكبوت: 52] المغبونون في صفقتهم ومتاعهم حيث اشتروا الكُفر بالإيمانِ والضلالة بهداية

الإيقانِ، إلا أنّ الكلام ورد مورد الاتصاف وتنزل المشايعة برأيهم الفاسدِ واعتقادِهم الكاسدِ، وأنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين روي أن كعب بن الأشرفِ وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لكم بأنك رسولِ الله فنزلت:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِۚ﴾ حيث قالوا وأمطر علينا حجارةً من السماءِ إن كنت من الصادقين ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ في كل سرٍّ كائنٍ وشيء نازلٍ باينٍ بأن الله عزّ وجل قد قدر لكل فعلٍ وأثر وعملٍ وقتًا معينًا وميقاتًا مبينًا فإذا جاء ذلك الوقت وجب ظهور ذلك الأمرِ ولم يتخلف عنه، لأن الحكيم المطلق الذي هو الفاعل المختار وأفعاله وأعماله مضبوطة مبرهنة، فلو لم يظهر برهانِ أمرٍ وعمل وفعل وأمر لم يقارن وقته المعين لم يظهر ذلك الأمر والفعل والأثر، ولذا تأخر لعدم مجيئ وقته فلو لم يكن كذلك ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ دفعة واحدة بلا سبق إنذارٍ وسوق اضطرارٍ وسبق تخويف وإشعار ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [العنكبوت: 53] وقوعه ووقت نزول العذاب وزمان حلول العقاب وإنما عجل العذاب استهزاءً وتكذيبًا والنضرِ ابن الحرث هو الذي قال: اللّهم أمطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الأيكة فأسقط علينا كسفًا.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ الأخروي والأول هو العذاب الدنياوي ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: 54] في الدنيا وهم يعلمون فإن كل واحدٍ في الدنيا إما في الجنة أو في النارِ إلا أنه لا علم لهم، فإذا جاءت الآخرة ظهرت الأحوال على ما هِي للكل، إلا أنّ أهل الحق قد شاهدوا مقامهم في الجنةِ حتى أنهم إذا ماتوا ماتوا في الجنة كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدّخان: 56] الآية.

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ
فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَـٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ
كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ
وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا
وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ
فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ
وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 30 — سُورَةُ الرُّومِ — آياتها 60 مكية

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ

ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ ويخرجه ويظهره وينشئ من الأرض القابلية والعرض الاستعدادية في الأدوار النورية الجمالية الصريحة والأكوار الظلّيّة الضمنية ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ على مقتضى سلطان جلاء له الذي تضمن اقتضاءه ضمنًا، فإن المقتضى للإعادة هو الذات بواسطة الجلال سواء آنًا فآنًا، وهي الإعادة الجزئية أو بعد المدة المعينة المديدة من الأدوار والأكوار الظلّيّة الإفرادية والجمعية، وجمعية الجمعية ﴿وَهُوَ﴾ وسواء العود والإعادة ﴿أَهْوَنُ﴾ وأيسر وأسهل لوجود المادة القابلية، وهي القابليات والاستعدادات القريبة والبعيدة، بخلاف الإبداء والإيجاد والتكوين والإنشاء ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ والمراتب العالية والسافلة، أو الأدوار النورية والأكوار الظلّية وما فيها من الأعيان الوجودية والأكوان العدمية متطابقة، والأعيان التي فيها متماثلة، وأمثال متوافقة في الأطوار ﴿وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ﴾ الغالب والقوي الناصر، لا يمنعه من الاقتضاء أمر ولا يشغله شأن عن شأن ﴿ٱلْعَزِيزُ

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الرُّوم: 27] العليم بأحوال الكائنات، الحاكم على أطوار الممكنات، تمر الأمور على مقتضى حكمته ومرتضى مشيئته وإرادته وقدرته.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

و﴿ضَرَبَ﴾ الله ﴿لَكُم مَّثَلًا﴾ وبين قصةً وحكاية وأمورًا جارية ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ منتزعةً من أحوالها المتواردة وأطوارها المتعاقبة عليها وهي أقرب الأمور إليكم، وأنسب مقتضى الدهور لديكم، فيتعرفون بها ما غاب عنكم ونصب عليكم ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ﴾ من الأولى للابتدائية، أي أخذ قصةً وحكايةً وانتزعها من أقرب شيء ثبت منكم وهي أنفسكم. والثانية للتبعيضية، والثالثة صلة للتأكيد الاستفهامي الجاري مجرى النص. فمعناه ترضون لأنفسكم أمورًا وأحوالًا، والحال أن عبيدكم ومواليكم وأمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد، فيشارككم في البشرية كالأحوال العبيدية، فلا يتفضلون ولا يرجحون أنفسكم على أنفسهم فيكلفهم بما لا وسع لهم وبما هو خارج عن طاعتهم وقدرتهم واستطاعتهم، فهم يشاركونكم في الأموال وتوارد الأحوال ﴿فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ أتكونون أنتم وهم فيه على السواء من غير تفضل ورجحان بين الأحرار والعبيد ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ تهابون أن تستبدوا وينصرن دونهم، وأن تغتابوا بتدبيره عليهم كما يهاب بعضكم بعضًا من الأمراء، فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لربّ الأحرار ومالك الأحرار والعبيد، ومسبِّب الأسباب أن يجعلوا بعض عبيده شريكًا له ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا التفصيل ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ ونبيِّنها لأن التمثيل مما يكشف المعاني الخفية ويوضحها لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها لا يرى كيف صور الشرك المشوهة ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرُّوم: 28] المعاني المجرّدة بذريعة الصور والأمثال والهيئات الحسيّة والأشكال.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ وأشركوا وعبدوا ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بل بمجرّد التقليد

وفرط الجهالة ﴿فَمَن يَهْدِى﴾ ويوصل إلى الله ﴿مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ وبعده عنه ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الروم: 29] مخلصين لهم عن الضلالة ويحفظونهم عن آفاتهم.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ أي قَوِّم واصرف وجهك وعدل غير ملتفت عنه يمينًا وشمالًا، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته لديه، واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشيء عقد عليه وسددوا إليه نظره، وقوم وألزم لديه بصره ووجهه مقبلًا به إليه، حنيفًا خال من المؤمنون ومن الدين ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى﴾ نصبت على الإغراء أو المصدر لما دل ما بعده، أو بالزموا أو عليكم معرفة الفطرة التي ﴿فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أي لا يقدر واحد أن يغيِّره، أو ما ينبغي ولا يليق لأحد بغيره ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المأمور بإقامة الوجه له، أو الفطرة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30] الدين القيم.

﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين إليه من أناب ناب إذا رجع به مرة بعد أخرى، أو منقطعين حال من ضمير الزموا ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الرُّوم: 31] خطاب إلى رسول الله وأمّته إذ خطاب الرسول خطاب لأمته مع ما فيه من التعظيم للإمام، ثم جمع بعد ذلك للبيان والتخليص.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ بدل من المشركين إذ تركوا دين الإسلام ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ فرقًا كل واحدة تشايع إمامها الذي أصلها ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ﴾ وطائفة ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 32] سارُّون ظنًّا منهم أنه هو الحق، (كل حزب) مبتدأ، فرح خبره

لما لديهم متعلق بفرح. ويجوز أن يكون فرحون صفة كل من الذين خبره، أي كل من الغارقين دينهم كل حزب فرحون.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ الضرّ الشدّة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ خلاصًا من الشدة منهم ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الرُّوم: 33] أي بالإشراك بربّهم الذي عافاهم.

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ واللام فيه للمجاز مثل ليكون لهم عدو ﴿بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: 34] وبال تمتُّعكم.

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ حجّة ودليلًا ومحجة وذا سلطان أي ملكًا معه وبرهان ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ [الرُّوم: 35] أي الحجة والدليل يتكلم، يدل عليه دلالة مجازًا عن الدلالة كقوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: 29] كناية عن الدلالة والشهادة، كأنه قال: فهو يشهد بشرككم ﴿بِمَا كَانُواْ﴾ مصدرية أو موصولة، ويرجع الضمير إليها، أي يتكلم بالأمر الذي بسببه ﴿بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الرُّوم: 35] ويحتمل أن يكون المعنى: أم أنزلنا عليهم ذا سلطان، أي ملكًا، يتكلم ذلك الملك.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ من مطر أو سعة أو صحة ﴿فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي بلاء من جدب أو ضيق أو مرض، والسبب فيها شؤم معاصيهم فظنوا أن الرحمة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾من المعاصي والسيئات التي اكتسبوا بأيديهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الرُّوم: 36] فيجد القنوط من رحمته وييأسوا من نعمته.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فإنهم لم يحسبوا أو لم يشركوا في السراء والضراء كالمؤمنين ﴿وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي البسط والرزق على من يشاء من عباده وحفظهم من الإشراك فيها ﴿لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الرُّوم: 37] يستدلون بها على كونه فاعلًا مختارًا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ صلة الرحم، جنح به الحنفية على وجوب النفقة على الخادم وهو غير مشعر به ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ﴾ وما وصف لهما وعيّن لأجلهما من الزكاة، والخطاب للنبي ﷺ، أو بمن بسطه له، ولذلك ربت على ما قبله بالفاء ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ وأحسن وأفضل ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ﴾ ورضاءه، أو يقصدون بمعروفه إيّاه خالصًا، أو جهة التقرُّب إليه لا جهة أخرى ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ الذين قصدوا وجه الله ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الرُّوم: 38] حيث جعلوا بما بسط لهم النعيم المذكور.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ زيادة محرمة في المعاملة، أو عطية يتوقع بها مزيد مكافأة ﴿لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ أي ليزيد وتركوا في أموالهم ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ﴾ ويزكو عنده، ولا مبارك، ولا بركة فيه ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الرُّوم: 39] والإضعاف من الثواب، ونظير الوصف والقوي والمؤثر لدى القوة واليسار، والذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم بترك الزكاة. نزلت في ثقيف وكانوا يربون، والمراد بأن يهب الرجل للرجل ويهدي لبعوضة أكثر مما وهب، أو أهدى، فليست هذه الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة. وقالوا: الربا نوعان، فالحرام منهما كل قرضٍ يوجد فيه أكثر منه أو يجرّ منفعة، والذي ليس بحرام أن يستدعي بهبته أو هديته أكثر منها. وفي الحديث: «**المسفر يُثاب من هبته**».

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ بدنًا ونفسًا وروحًا وصورة جميعها، وما نزلت عليها من المزاج وما يتفرع من القوى والأفعال والأعمال والأقوال والأحوال، وما يحتاج إليه كما صرح إليه بقوله: ﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ مما يخرج من الأرض أنواع النبات والأثمار التي تناسب البدن والروح النباتي ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ لدى انقضاء الأجل وانتهاء مقتضى الأمل في الدنيا ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في الآخرة ثم قال لكم: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ في هذه النشأة، ما عبدتم وزعمتم أنها ربّكم ﴿مَّن يَفْعَلُ﴾ ويتمكن ويقتدر على هذه الأمور المذكورة ﴿مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ حقير وأمر صغير فهو لا يقتدر على شيء من هذه الحقار والصغار فضلًا عن العظام والكبار ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ أنزّه الحق وأسبِّح سبحانه ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: 40] في الذات والأفعال والصفات والأسماء، فإنه مبتدأ والموصول بصلة صفته هل من شركائكم خبره من ذلك رابطة لمن الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منها مستقلة للتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾ من الجدب والقحط وقلّة الرتع في الوداعات والربح في التجارات، ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق وعموم الغرق والخرق والظلم والعدوان والجور والعرق وإجفاف الصيادين والقاصة ومحق البركات من كل شيء، وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضارّ ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾ أول ما وقع فيه قتل ابن آدم أخاه، أي قتل قابيل هابيل، ثم شاع واستمر بينهم ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ بعصب السفن وخرقها بقصد إغراق أهلها، والمراد بهما الجزائر والمدن التي فيها ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ أي الشرور والمعاصي بمباشرة الناس ومزاولهم ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ أي وبال بعض أعمال نفوسهم في الدنيا قبل أن يذيقهم في الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرُّوم: 41] عما هم عليه، فاللام مجاز على معنى ظهور الشرور بسببهم.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٤٢)﴾

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ ليشاهدوا مصداق ذلك ويتحققوا صدقه، يعني كيف أهلك الله الأمم السالفة وأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم بدليل قوله: ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الرُّوم: 42] استئناف للدلالة على أن سوء عاقبتهم كان لسوء الشرك وغلبته فيهم، أو كان للشرك في أكثرهم ولما دونه من المعاصي في قليل منهم يدل من أن الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم بل بما دونه من المعاصي يكون سببًا لذلك. قال النبي ﷺ: «**الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم**».

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣)﴾

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ البليغ للاستقامة الذي يتأتى فيه عوج من الله ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ من الله ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ مصدر بمعنى الردّ، أي لا يرده ولا يستطيع أن يردّه أحد كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ [الأنبياء: 40]، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ متعلق بيأتي، ويجوز أن يتعلق بمرد أي ما يردّه الله ليتعلّق إرادته القديمة بمجيئه ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الرُّوم: 43] أي يتصدّعون ويتفرّقون كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الرُّوم: 14].

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤)﴾

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وبال كفره وتكاسره وضرّه علّة جامعة لما لا غاية وراءه من المضارّ لأنّ من كان ضاره كفره فقد أحاطت به كل مضرّة ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ مقرونًا بالإيمان ﴿فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الرُّوم: 44] أي يؤدون لأنفسهم ويهيئون منزلًا بهيًّا وسيعًا من الجنة، ومقامًا سنيًّا رفيعًا، ليستويه لنفسه في الدنيا بمهد فراشه وتوطئة لئلا يصيبه في مضجعه ما يبيّته عليه وينقص عليه من قدّه ومن نتوء قضٍّ وبعض ما يؤدّي الراقد، ويجوز أن يريد: فعلى أنفسهم يشفعون، من قولهم في المسعف: أم فرشت وأنامت، وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أن

ضرر الكفر لا يعود، وما يعود على الكافر لا يتعداه ومنفعة الإيمان والعمل الصالح يرجع إلى المؤمن وغيره من المؤمنين كما أن المؤمن يشفع لغيره.

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ متعلق بيمهدون، وتعليل له ليصعدون من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب، وهذا يشبه الكفاية لأن الفضل يتبع للثواب، فلا يكون إلا بعد حصول ما هو يقع له، أو أراد من عطائه وهو ثوابه لأن الفصول والفواصل هي الأعطية عنده والتكرار وترك الضمير إلى التصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الرُّوم: 45] تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾ الشمال والصبا والجنوب ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الرُّوم: 46] بالمطر لأنها رياح الرحمة، وأما الدبور فريح العذاب. قال النبي ﷺ: «**اللهمّ اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا**»، ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ وهي نزول المطر وما يتبعه من الخصب الذي يتبعه رفاهية الخلق والروح الذي هو مع هبوب الريح وذكاء الأرض، قال ﷺ: «**إذا كثرت المؤتفكات دكت الأرض، وأزالت الخصوبة من الهواء ويدرّ به الحبوب**» وغير ذلك. ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾ في البحر عند هبوبها ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ لأن الريح قد لا تكون موافقة فلا بد من إرساء السفن وإجرائها والاحتيال لحبسها وربما عصفت وأغرقها ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يريد تجارة البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: 46] نعمة الله فيها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الواضحات ﴿فَٱنتَقَمْنَا﴾ وأخذنا الانتقام والعوض ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ وظهر منهم الجرم والمعصية ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: 47] وكان الانتقام منهم حقًّا ثم يبدأ عليهم نصر

المؤمنين. قال النبي ﷺ: «**ما من امرئٍ مسلم يردّ عن عرض إلا كان حقًّا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة**». ثم لما كان قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: 47] تعظيم للمؤمنين ورفع شأنهم وتأهيل لكرامة سننه وإظهار لفضل سابقة ومزية لاحقة حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصر بهم، مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف علي متصلًا تارة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ﴾ أي السماء ﴿كِسَفًا﴾ قطعًا تارة أخرى ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر والماء النازل ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ بالمطر والماء النازل ﴿يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ في أرضهم وبلادهم، والمراد بالسماء سمت السماء ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: 48] على قدر اغتنامهم بذلك.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الرُّوم: 49] لابسين.

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ في الشتاء واختفاء اقتضاء القوة النباتية بالنشوء والنماء ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ القادر ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الرُّوم: 50] شيء ممكن بالإمكان العام والخاص الذي هو سلب الضرر وردّ على الطرفين.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ دبورًا مفسدًا أو مهلكًا ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ [الرُّوم: 51] ولرأيت كل شيء مصفرًّا من النبات والحيوان بل المعادن، فإن تأثير الصبا عام يسري

كالمركبات وبعدها لقبول الصور النوعية بل الشخصية، واللام توطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ﴾ [الرُّوم: 51] جواب ساد مسدّ الجوابين للشرط والقسم ولذا فسرنا بالاستقبال، وهذه ناعية على الكفار لقلّة تثبُّتهم وعَدم تدبُّرهم وسرعة تزلزلهم لانتفاء تفكُّرهم وسوء رأيهم بأنه إذا رزقهم الله المطر استبشروا وابتهجوا، فإذا أرسل عليهم ريحًا من الدبور فتضررت زروعهم بالصفار صحوا وكفروا بنعمة الله، فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة إذ كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله وعموم جوده وكرمه، وأن يشكروا نعمته ويحمدون عليها ولم يزيدوا على الفرح والاستبشار، وأن يصبروا على بلائه، وهم كفروا الريح التي اصفرّ بها النبات بل قلّ في الحيوانات بها الحياة منا تفسد أو مما تكدر الرطوبات الغريزية القائمة بها الحرارة الغريزية التي هي مركب الحياة ومطيتها، يجوز أن يكون ضرورًا وحرضًا وكلاهما مما يضوح له النبات ويصبح هشيمًا. قيل: فرأوا السحاب مصفرًّا لأنه إذا كان كذلك لم يمطر.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ لأن الحياة، وهي العلم والمعرفة والأعيان قد انتفت عنهم فانتفت عنهم الشاعرة العشرة المشاعر الظاهرة والباطنة ﴿وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ والنداء الداعي المنادي إلى الله ﴿إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ [الروم: 52] وأعرضوا عن الحق وسماعه والعمل به. قيد العمل به ليكون له أشد به استحالة إذ الإدبار يوجب البعد المستلزم لضعف السماع واختفاء الاستماع شيئًا فشيئًا إلى أن ينتهي إلى انتفاء الكلية والإقبال عكسه.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ﴾ وإنما نفى السماع والاستماع أولًا عن الموتى عن السمع والبصر إشعار إلى التفريع المذكور وإلى أن الكمالات الصورية والمعنوية منوطة إلى هاتين القوتين ﴿إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ لكمال استعدادهم ووفور قابليتهم وقوة نفوسهم بخلاف الكفار، فإن نفوسهم ضعيفة وقواهم المدركة سخيفة مع أنهم قد منعوها ﴿فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [الروم: 53] منقادون

بتمام قواهم وجوارحهم وأجزائهم بحكم الله.

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ يعني أساس بناء وجودكم ومبنى إدراككم وعلومكم وشهودكم هو الضعف، لأن الممكن في نفسه لا موجود ولا معدوم ولم يقبل كلًّا منهما من الغير على التدريج بينهما في المركبات إلى أن بلغ غايتها قيدًا به مر به الضعف من الولادة أو سقوط النطفة في الرحم إلى أن بلغ وقت الحلم وأوان البلوغ والقوة والنشوء والنماء، وهي إما ثمانية وعشرون، أو اثنان وثلاثون حسب نقاوة المزاج. فإن القوة في تزايد إلى هذين الوقتين ثم تتوقف لما يزيد ولا يضيف إلى أربعين أو خمس أو ستّ وأربعين وهو مرتبة النبوة كما قال النبي ﷺ: «**الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**» وهو مرتبة آدم والصورة الجمعية.

ثم أخذ في الإخطار به على التدريج: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ﴾ [الرُّوم: 54] في الكهولة إلى سبع وستين، وهي صورة جمعية آدم وحواء، وصورة الجمع [illegible] إلى لا نهاية، وشيبة إلى الشيخوخة وهي مائة عشرون أو مائة واثنان وثلاثون فالأولى هي مرتبة كمال النبوة [illegible].

والثاني هو كمال النبوة والولاية وهي الحقيقة المحمدية ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ﴾ كيف يشاء، مما يشاء من المواد البسيطة والأجزاء الأوليّة والجواهر الفردة ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بمراتب الضعف والقوة والمواد المتقاربة ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ [الرُّوم: 54] على إخراج المعلومات من مكامن الغيب إلى موطن الشهادة إما بالكمال والنقصان والغيب.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ وتظهر القيامة ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الرُّوم: 55] وإنما سمّيت بها لأنها في آخر ساعة من الساعات الدنيوية، أو لأنها تقع بدنية وبديهية كما يقول من يستعجله، وصرت علمًا واسمًا مخصوصًا بها كما سمى الثريا والكواكب والزهرة على طريقة الغلبة والتغليب، يقسم المجرمون وأهل المعاصي

يحلفون بالله وبأسمائه وصفاته بأنهم ﴿مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ﴾ مكثوا في الدنيا في حال الحياة وأول العمر أو في القبور، أو فيما بين بناء الدنيا إلى وقت البعث أربعون، قالوا: لا نعلم أهي أربعون سنة أم أربعون ألف سنة، أو ذلك وقت مفتون فيه وينقطع عذابهم، وإنما يقدرون لبثهم بذلك القدر غير ساعة على وجه استقصارهم له أو ينسون أو يكذبون ﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ [الرُّوم: 55] مثل ذلك الصرف، كانوا يصرفون الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا يبنون أمرهم على حق أن الأمر الواقع والمراد منه أول الدنيا إلى آخرها ليس إلا ساعة، إما لكمال دهشتهم، أو لأن الدنيا بالنسبة إلى مدة سني الآخرة والأيام الإلٰهية كساعة من ساعات الدنيا، لما تقرّر من أن يومًا من أيام الدنيا الإلٰهية خمسون ألف سنة، ومقدار السنة ثلاثمائة وستون يومًا من أيام السنة الوجودية، وهي أن يومًا عند ربك كألف سنة، ومدة الدنيا التي نحن فيها سبعة آلاف سنة، وأنت خبير بأن سبعة آلاف سنة نسبتها إلى السنة بحالها التي هي ثلاثمائة وستون يومًا وكل يوم مقداره خمسون ألف سنة يكون مقدار كل يوم من أيام هذه السنة ألف سنة، يكون أقل من ساعة بكثير. والغرض من هذا الكلام تحقير أيام الدنيا وبيان حقارتها وصغرها وقلّتها لا الحصر.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٥٦﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ من الملائكة والإنس والجن ﴿وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ من الإنس والمؤمنين بالحق ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الرُّوم: 56] أي في اللوح المحفوظ أو علم الله وقضائه، أو فيما كتبه أي أوجبه بحكمه أو البرزخ العادي ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100] ردوا ما قالوه وحلفوا عليه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ﴾ وأطلعهم على الحقيقة ثم ضلُّوا ذلك بتعريفهم على إنكار البعث بقولهم: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: 56] أنه حق لتفريعكم في طلب الحق وإبطائه، والفاء جواب الشرط المحذوف، يعني إن صحّ ما قلتم فهذا يوم البعث كما قيل: قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا، ثم اتفقوا فقد جئنا خراسانًا يعني إن صحّ أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا وتوجهنا بخراسانَ.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الرُّوم: 57] من قولك: استعتبني فلانًا فأعتبته أي استرضاني فأرضيته، وذلك إذا كنت جانيًا عليه وحقيقة أعتبته أزلت غضبه. ألا يرى إلى قوله: [شعر]

غضبت تميم أن يُقتل عامر   يوم اليسار فاعتبوا بالضيلم

كيف جعلهم غضبًا، ثم قال: فاعتبوا أي أزيل غضبهم، والعتب في معنى العتب والعتاب، والمعنى لا يقال لهم: ارضوا ربكم بتوبة وطاعة، ومثله قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ وبيّنا لهم ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ ووصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها، وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كقصة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم، وما يقولون لهم، وما لا ينتفع من اعتذارهم ولا يسمع من استغنائهم، ولكنهم بقسوة قلوبهم ومنح أسماعهم حديث الآخرة ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ من آيات القرآن ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [الرُّوم: 58] حسًّا بورود أمر باطل وذلك منهم أمر طبيعي وحال إلٰهي ضمني أو صريح لأن كل أحد من الآحاد وعين من الأعيان والأفراد يدبرهم الله بوصف الجمال والنور ونعت الجلال والمقصود، فإذا كان الحكم بوصف الجمال والنور اقتضى الإيمان والانقياد والإذعان وما يترتب عليه من الطاعات والعبادات صريحًا، والجلال يقتضي الكفر والعصيان ضمنًا في المؤمنين كما يحقق من أن كل مولود يولد معه مولود ضمني جني يأمره بالشرّ والكفر والعصيان، والضرّ كما ورد في الحديث: «**ما منكم أحد إلا وله مولود جني، قيل: وإياك يا رسول الله؟ فقال: وإياي إلا أن الشيطان قد أسلم بيدي لا يأمرني إلا بالخير**». وهذا المولود في الكفار صريح، وفي المؤمنين ضمني، ففي الكفار كفرهم حين يقتضي الكفر، وفي المؤمنين ضمني ولذلك الاقتضاء عرض عريض ومراتب أضيق، لكل اقتضاء اسم من الطبع والربق والختم والقساوة وغير ذلك.

﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٥٩﴾

﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الرُّوم: 59] لأن العلم من مقتضيات النور والوجود، والجهل من مستدعيات الظلّ والعدم والجلال.

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بالنصر والظفر ﴿حَقّٞۖ﴾ وثابت وواقع ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ﴾ أي لا يحملنك على الخفة والعلو جرمًا ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الرُّوم: 60] أي يقولون ويفعلون عن يقين، فإنهم قوم شاكون صادّون لا يستدعي ذلك منهم، قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملكٍ يسبّح الله بين السماء والأرض، وأدرك ما ضيّع في يومه وليلته**».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 31 سُورَةُ لُقۡمَانَ آياتها 34 مكية

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي أنزل على لقمانَ النفس المطمئنةَ الحكمة الإلٰهية بالمشيئة الأزلية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي أرسلَ رسوله بالهدى ودينِ الحقِ ليظهره على الدينِ كله ولو كره المشركون بالهيئة الجاهلية ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي جعلَ الإنسانَ الكاملَ مظهرًا جامعًا للكلماتِ الربانية والحكميات العملية والإلهية والنظرية.

﴿الٓمٓ ۝١﴾

﴿الٓمٓ﴾ [لقمان: 1] أنتَ خبير بأن (ألم) ههنا غير (الم) في الروم وفي غيره لفظًا، أما لفظًا فإن المتكلم غير التكلم، والتلفظ بغيرها، وأما معنىً فلأنَ المعنى تابع للفظ وإنما ذكر (ألم) في أربعة مواضعَ إشارة إلى الأدوار الأربعة النورية الأصلية المستقلة البسيطة و(الرا) في ثلاثة مواضِع تلويحًا إلى الأدوار المثلثة المؤدية الفرعية، وهيَ الأدوار الثلاثة المنسوبة إلى الأسماءِ الثلاثة الذاتية التي هي بمنزلة المواليد الثلاثة، وهي السميع البصير المتكلم، وفي تخايل (المار) بين (الرا) التي ذكر في ستة مواضع إشارة إلى المرتبة الجامعة والرتبة الرافعة من دركات الحضيض البسايط إلى درجات أوج الجمعية، ثم يذكر بعده في سورتين (الرا) إشارة إلى أنَّ الأدوار البسيطة نورية وظلية، ووجودي وعدمي، جمالي وجلالي، وقد فصلنا الكلام في هذا الباب لكشف المرام في (آلمص) الذي يوحي إلى تنوع الكمال الجمعي والجمع الكمالي وتطور المرتبة الجمعية وتبين الرتبة المعية.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الأعيان النورية التي ذكرت في الصدر ضمنًا ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [لقمان: 2] ذي الحكمة أو وصف بصفته عزّوجلّ على الإسناد المجازي ويجوز أن يكونَ أصلَ الحكيم قائلُه فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعًا بعدَ الجر استكن في الصفة المشبهة.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ [لقمان: 3] بالنصب على الحال من الآيات والعامل فيها ما في ﴿تِلْكَ﴾ [لقمان: 2] من معنى الإشارة وبالرفع على أنه خبر بعدَ خبرٍ أو خبر مبتدأ محذوف ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: 3].

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان: 4] بيان لإحسانهم ولا تخصيص بهذه الثلاثة وتكرير الضمير للتوكيد ولما جعلَ بينه وبين خبره.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [لقمان: 5] وإعادة الضمير إشعار بأنَّ الأعيانَ الموصوفونَ قد انحصر عليهم الفلاحُ بالصفاتِ المذكورة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: 6] ما يلهي ويشغل الناس عما يعني لهم إلا ما لا يعني بهم عن شيء أصلًا، كالأحاديث التي لا أصلَ لها، وكالأساطير التي لا اعتبارَ فيها، والمضاحيكِ وفضول الكلام إضافة اللهو إلى الحديث بمعنى من، وهيَ إضافة الشيء إلى ما هو منه كقولك: ثوب قطن وقميص قز وَجبّة حرير وخاتم فضة ومنطقة ذهب وغير ذلك، والمعنى مَنْ يشري اللهو من الحديث لأنَّ اللهو يكون من الحديث ومن غيره فتبين بالحديث،

والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديثِ: «**الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش**».

ويجوز أن تكونَ الإضافة بمعنى التبعيضية كأن قيلَ: ومن الناس من يشري لغو الحديث الذي هوَ اللهو من، ويشري إما من الشري على ما روي عن النضر من يشتري كتب الأعاجم، أو من قوله: ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: 177] أي استبدلوه منه واختاروا عليه ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه أو قرآنه وكتابه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بالتجارة وما يلزمها من الربح والخسارة حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق، والخطأ بالصواب، والعقاب بالثواب، أو بحال ما يشتريه حيث استبدلَ اللّهو بقراءة القرآن ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ أي ويتخذ سبيل الله سخريةً واستهزاءً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: 6] من الإهانة وهي التحقير والاستخفاف لإهانتهم الحق واستبشار الباطل عليه.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ أي أعرض عن الحقِ حال كونه متكبرًا ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ في الموطن الأول بالمسامعِ الأزلية في المراتع الأولية ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ ثقلًا وسدًّا ولا وقر فيها لاستماعهما سائر المسموعاتِ فتشابه حاله حال من يسمع ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ فيه تهكّم واستهزاءً ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: 7] أي أنذرهم بعقابٍ موجعٍ وعذاب مؤلم، والجملة المصدرية الأولى حال من مستكبرًا والثانية لم يسمعها، ويجوز أن يكون مستأنفين والأصل في (كأن) المخففة (كأنه) والضمير للشأن، ويجوز أن تكونَ الثانية بيانًا كما في قوله تعالى: ﴿كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 44]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: 179].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بالإخلاصِ وكمال الاختصاصِ ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ [لقمان: 8] أي حسنات فيها كل نعمة وما تتنعم به من المآكل والمشارب والمناكح والملابس والمسموعات والمنعمات والأعيان والأبعاد

المتناسبة والنقراتِ المطبوعاتِ والأصوات الحسنة المسموعة، وهذه ألذ النغماتِ وأبرز اللذاتِ وأعز الشهواتِ.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ مصدران مؤكدان الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لأن قولهم جنات النعيم وعد الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعدِ وأما حقًّا على معنى الثباتِ أكد به معنى الوعدِ ومؤكدهما جميعًا قوله لهم النعيم ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على شيء وضده فيعطي النعيم من يشاء والبؤس من يشاء ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [لقمان: 9] لا يشأ إلا ما تقتضيه الحكمة ويوجب العدل والمشيئة.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝١٠﴾

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السبع والعرش والكرسي بغير عَمَدٍ ترونها معتمدًا كانَ أو غير معتمدٍ وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله: ﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ [لقمان: 10] كما يقول لصاحبك أنا بلا سيفٍ ولا رمح تراني أما مستأنفة لا محلَّ لها من الإعراب، أو صفة لعمد بغير عمد ترونها، فلا يلزم نفي العمد مطلقًا، لأن انتفاء الخاصِّ لا يستلزم انتفاء العام، وأيضًا أنَّ الكلام إذا كانَ منفيًّا مبتدأ يتوجه النفي إلى القيد بمعنى أن الرؤية للعمد منتفية لأنفس العمد بمعنى إنها معمدة بعمدٍ لا يرى وهيَ استمساك بقدرته وقوته أو بتماسكِ أجزائها بعضها بعضًا على وجه يكون نسبتها إلى الداخل والخارج على السواء، فلا يحتاج إلى العمد الخارجية، فلا تسقط وإلا لم يكن نسبة أجزائها إلى الداخل والخارج على السواء كالكرات المجوفة، فإنها لا تحتاج إلى الجدران الأربع والسقف والسطح، لأن كل جدران وسقف وسطح لتساوي نسبة بعض أجزائها إلى البعض وإلى الكل، ولذا وقعت الأرض في الوسطِ لأن نسبة أجزاء السماءِ إلى الأرضِ على السواءِ، فتتجاذب جميع أجزاء السماءِ والأرض وتتدافعها من جميع الجهاتِ فيلزم

الوسط، فتكون نسبة أجزاء الأرضِ إلى أجزاء السماء على السواءِ يقع ويسقط على الأرضِ هذا إمساك الحق السماء على الأرضِ ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي جبال شامخاتٍ وأجسام شاهقاتٍ خوفًا وكراهة منه أن تتحرك الأرض وتميل إلى جهة، فإن نشأة أجزائها تقتضي تبدل أحيازها وتحول أوضاعِها لعدم أولوية بعض أوضاعِها إليها دونَ الأخرى، وتحيز بعض أجزائها في بعض أجزاء الخير دون الآخر ترجيح بلا مرجح، والقادر المختار بحكمته البالغة أوقع جميع أجزاء الأرض في تمام الأحياز دفعةً واحدةً، وجعل الجبال العظام الشاهقة والأجسام المرتفعة على أطراف الأرض ليبقى على وصفِها الطبيعي ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ استقرارها بجميع أجزائها وإمكان تمكن الأجسام المتحركة وغير المتحركة على أطراف الأرضِ وغير أطرافِها ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمَان: 10] من كل صنف كبير المنفعة كثير المرتعة استدل بذلك على أن الخلقة والقدرة شامل الحكمةِ.

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى جميع السماء والأجسام العنصرية أي مجموع ما ذكر مخلوق الله ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ أي شيء خلقه معبوداتكم هي غير الله، هذا إلزام وتسكيت وإفحام لهم، أيْ أيَّ شيء من الموجودات المتخالفة يخلقون شيئًا من الكائنات وأنواع المكونات ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ على أنفسهم إضراب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتوراة ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [القمان: 11] ليس بعده ضلال لانحسار أنواع الضلالة عليهم، وضع المظهر موضِع المضمر للدلالة على إنهاكهم في الضلالة وانغماسهم في الظلم والجهالة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ﴾ [لقمَان: 12] بن ياغور ابن أخت أيوب النبي وابن خالته قيلَ كانَ من أولادِ آزر أبي إبراهيم وعاش ألف سنة وأدركَ داود عليه السلام

وأخذ منه العلم و﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث داود ارتفع عن الفتوى وانقطع، قيلَ كانَ قاضيًا في بني إسرائيل وأكثر الأقاويل إنه كان حكيمًا.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما كانَ لقمانَ نبيًّا ولا ملكًا ولكن كانَ راعيًا أسودَ فرزقه الله العتق، ورضي قوله ووصيته، كما قص أمره في الكتابِ ليتمسكوا بوصيته قالَ عكرمة والثعلبي: كانَ نبيًّا وقيلَ: خُير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة، روي أنه دخل على داود وهوَ يشرط الدرع وقد ليَّن الله الحديدَ في يده كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت، فلما أتمها لبسها وقالَ: نعم لباس الحرب أنتَ، فقال الصمت حكم وحكمة، وقليل منه عبادة فاعله فقال له داود: لحق ما سميت حكيمًا، وروى أنَّ مولاه أمرَ بذبح شاة وأن يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج اللسانَ والقلب، فسأل عن ذلك فقال لهما: أطيب ما فيها إذا طابا وأخبث ما فيها إذا خبثا. فعن سعيد بن المسيب لأسود: لا تحزن فإنه كان من خير الناسِ ثلاثة من السودان البلال ومهجع مولى عمر ولقمان.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ (أن) هي المفسرة لأن إيتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه وتعالى على أنَّ الحكمةَ الأصليةَ والعلة الحقيقية وهوَ العمل بهما، وعبادة الله وطاعته والشكر له، حيث فسر آيتا الحكمة بالبعث على الشكر، وهو إدراك المنعم ومعرفته، وذكر نعمه وإحصاء آثار وجوده وكرمه ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: 18]، ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأنَّ نفعه عائد إليها، وهو دوام النعم واستحقاق مزيدها في الظاهر والباطن، أما الظاهر فظاهر، وأما الباطِن فهو معرفة المنعم والتقرب إليه ومشاهدة أفضاله وعموم إحسانِه ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بحقوق نعم الله ولم يرفع إليها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ بذاته في أسمائِه وصفاته وفي أجزاء فيوض حكمته ونصوص معرفته على عباده ﴿حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 12] قد حمدَ ذاته بذاته وبأوصاف أسمائه وآثار مقتضيات صفاتِه.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ [لقمان: 13] اسمه العم أو أشكر أو ماثان قيلَ كانَ ابنه

وامرأته كافرينَ فما زال بهما حتى أسلما ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ﴾ تصغير ابن مضاف إلى ياء المتكلم فأدغم أحد اليائين إلى الآخر وحذف الألف للاستغناء عنها ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: 13] لأن التسوية بين من لا نعمة إلا عن منه ومن لا نعمة له منه أصلًا بل لا يتصور أن يكون هي ظلم عظيم لا يكتفي عظمه ولا ينتهي شينه ووخمه.

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤﴾

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ وأمرناه ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا﴾ أي تهن وهنًا ﴿عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾ أي حال كون أمره يضعف ضعفًا فوق ضعف أي يزداد ضعفها ويتضاعف شيئًا فشيئًا لأن كلما عظم ويزداد عظمها ازداد ثقلًا وضعفًا ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ [لقمان: 14] أي فصيل الطفل عن الرضاع كما قالَ: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ﴾ [البقرة: 233] وهي غايته والأمر موكول إلى اجتهاد الأم فإن علمت أنه يقوى على الطعام فيما دونَ ذلك فصلته وإلا كملته ﴿فِي عَامَيۡنِ﴾ سواء الشأن ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان: 14] تفسير لوصينا.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥﴾

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ وسعيا في حقك ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي﴾ أي تجعل شريكًا بي ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ من الأصنام أراد بنفي العلم به بنفيه بعينه أي لا تشرك بي ما ليسَ بشيء أي لا تشرك في العدم والصرف ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ﴾ في الإشراك وسائر المعاصي ﴿وَصَاحِبۡهُمَا﴾ أمرًا أي أطعهما في الاستصحاب ﴿فِي﴾ أمر ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ ومصالحهما أي صرنا صاحبين ومصاحبين ﴿مَعۡرُوفٗاۖ﴾ أي استصحابًا حسنًا أي بخلق جميل وحلم جزيل وبر وصلة وحسن اتصال ووصلة، وغير ذلك مما يقتضيه نعت الكرم وصفة المروءة وطريقة الفتوة ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ [لقمان: 15] ورجع لدي وعلا بينَ يدي يعني اتبع مقتضى دينك ومقتضى اعتقادك

ويقينك لأربتهما، وإن كنتَ مأمورًا بحسن المعاشرة ومحصورًا على لطف المحاضرة ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: 15] ومرجعهما ومرجع الكل فإجازتك على إيمانك وإطاعتك صلة ووصلة وإجازتهما على كفرهما وأجازه الكل على ما فعلوا من الكفر والطاعة والعصيانِ وخلوص العقيدة وصفاء الإيمان وضياء الإيمانِ.

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ﴾ أي الخصلة المحمودة أو المذمومة ﴿إِن تَكُ﴾ من تكون فحذفت الواو لالتقاء الساكنين والنون للتخفيف يعني إن تك تلك الخصلة ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ أي مقدار ثقل حبة ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ [لقمان: 16] مثلًا في الصغر والضمير المؤنث ضمير القصة وكانَ تامة ﴿فَتَكُن﴾ تلك الخصلة وآثارها ومقتضياتها ﴿فِى صَخْرَةٍ﴾ أي حجرٍ صماءٍ صلب ﴿أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ التسع التي يكون ما فيها ثابتة غير متغيرة ولا متبدلة بل تكون محفوظة ﴿أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ السبع في أخفى ما كانَ وأحرزه كجوف صخرة ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ ويحضرها فيحاسب عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعلمه سارٍ في جميع الكائناتِ وعموم المكونات والكل حاضِر عنده وهو ناظِرٌ لها ﴿خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 16] عالم بها ظاهِرها وباطنها فاستوى الحضور والغيبية لديه.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المطلقة أو المكتوبة لتكميل نفسك وتحصيل قرب القلب بربك فإنهما لا تحصلانِ إلا بالصلاة لأنها عبادة جامعة تعم البدن والنفس والقلبَ والفؤادَ والصدر والسر لقوله عليه السلام: «**لا صلاة إلا بحضور القلب**» الحديث ﴿وَأْمُرْ﴾ الخلق بالمعروف لقوله عليه السلام: «**مُرْ بالمعروف**» ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [لقمان: 17] أي بما يكون معروفًا وحسنًا مألوفًا ومطبوعًا معطوفًا إليهِ موافقًا للحكمة الإلٰهية والكونية تعود له عليه السلام ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: 125].

﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ تكميلًا لغيركَ بالتزين البدني بالأحكام الشرعية والأعلام المعرفية والتزكية النفسية عن القبائح الفعلية والفضائح العملية والتصفية القلبية عن الأخلاق الردية والأوصاف الدنية والتخلية السرية عن صور الأغيارِ ودور الأطوار والتجلية الروحية عن مشاهدة أفعال الغير والتخلية الخفية بمشاهدات التجليات الإلٰهية، وبالتحقيق بالتجليات الأفعالية والأسمائية والذاتية ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ في سبيل الجهادِ الأكبر وطريق الاجتهادِ الأكثر ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على البليات ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: 17] مما عزمه من الأمور التي قطعها قطع إيجاب وإلزام كما قالَ عليه السلام: «**لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليلِ ولم يقطعه باللّيلِ**». وعنه: «**أن الله يحب أن يؤخذ برخصته كما يحب أن يؤخذ بعزائمه**».

ومنه قولهم: «عزمة من عزمات ربنا ومن عزمات الملكوت». إذا قالَ لبعض من تحت يده عزمت عليك إلا فعلت كذا إذا قالَ ذلك لم يكن للمعزوم عليه بدٌّ من فعله ولا مندوح في تركه وحقيقته أنه من التسمية المفعول بالمصدرِ وأصله من معزوم الأمور أي مقطوعاتها ومعزوماتها ويجوز أن يكون مصدر في معنى الفاعِل أصله من عازمات الأمور فهذه الآية مؤذنةٌ بقدم هذه الطاعات وإنها كانت مأمورًا بها في سائر الأمم، وأنَّ الصلاة لم تزل عظيمةَ الشأنِ سابقة المدحِ في الزمان لما فيها من خصائص العرفانِ، ولا يواظب عليها إلا من هو كاملُ الإخلاصِ في الإيمانِ، ولذا رجح على ما سواهما موصى بها في الأديانِ كلها.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ بالتشديد والتخفيف وبالألف يقال أصعر خده وصعّره وصاعره كقولك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى واحدٍ والصعر والتصعير داءٌ أي لا تحقر نفسك عند الناسِ لطمع الدنيا ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: 18] أي تمرح مرحًا أو أوقع المصدر بمعنى مرِحًا أو لأجل المرح والأشر أي لا تكن غرضك في المشي إلا البطالة والأشر والبطارة كما هو شأن كثير من أهل الزمانِ يعني غير أن يكونَ غرضهم كفاية منهم ديني ودنياوي نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال: 47] والمختال مقابل الماشي مرحًا وكذلك

الفخر للمصعر خده كبرًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18].

﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ أي توسط واعتدل فيه حتى يكونَ مشيًا بين مشيين ولا تدب دبيب المتماوتينَ ولا تثب وثيبَ الشطار قالَ رسول الله ﷺ: «**سرعة المشي يذهب بهاء المؤمن**». وأما قول عائشة في عمر رضي الله عنهما: كانَ إذا مشى أسرعَ فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت قرئ بقطع الهمزة أي سدد في مشيك من أقصَد الرامي إذا سدد سهمه نحو الرمية ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أنقص منه وأقصر منه قولك يقال فلان نقص من فلان إذا قصر به ووضع منه ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19] وأوحشَها وأخسَّها وأكرهَها من قولك للشيء نكر إذا أنكرته النفوس واستوحشته ونفرت عنه، والحمار مثل في الذم البليغ أنهم يكنون عنه ويرغبونَ عن التصريح به فيقولونَ: الأذنين الطويل كما يكنى عن الأشياءِ المستقذرة وقد عدّ من مساوئ الآداب أن يجري في ذكر الحمار في المجلس من أولي المروءة والفطانة وحسن الرؤية ومن العرب من لا يركب الحمار استنكارًا من اسمه وفيه ما هوَ أشد حذرًا أو هو سراية البلادة منه إلى راكبيه مجردَ الملابسة تؤثر كما اشتهر: الصحبة تؤثر، فتشبيه الرافعينِ أصواتهم وتمثيل أصواتهم بالنهاقِ، ثم إخلاء الكلام من أداة التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة، وإن جعلوا حميرًا وأصواتهم نهاقًا ومبالغة شديدةً في الذم والتهجين وإفراطًا في التثبيط عن رفع الصوتِ والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهةِ الله بمكان ولو حيّد الصوتِ باعتبار الجنس لا الأفراد.

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان: 20] من الكواكب السبعةِ السيارةِ والنجوم الثابتة والملائكة المدبرة والنفوس العاملة بأن حركهم

وأمرهم بتدبير أحوال الإنسانِ من التغذية والتنمية وتوليد المثلِ وما في الأرض من المعادنِ والنباتِ والحيوان ليصل فيها نفعًا لكم ولتحصيل كمال المعرفةِ ووفور الإدراكِ ومرور المشاعرِ الشاعرة العشرة لاستحصال مبادئ النتائج الإلٰهية والمعارج الربانية، واستحصال الأحوال والحالات العالية والمقامات الرفيعة، لأن الغرض من إيجاد السماوات والأرض بين الجن والإنس إلا ليعبدونَ اللَّهَ ويعرفونها من حيث الذاتِ والأفعال والأسماءِ والصفات، ولذا استحق الإنسان لأن تسخر كل الكائنات لكم من الجواهِر المحمودة، والعقول في الأرواح، والنفوس العاملة، والأجرام السماوية والأجسام العنصرية كل منها فيكم لمصلحة العقل للعلوم، والإدراك والنفس للعمل والروح للحياة والجسم المقبول الفيض الإلهي ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَٰهِرَةً﴾ كالحواس الظاهرة والأجزاء تأثير والجوارحِ الشاعرة والبقاءَ المتجدد الدائرة والصحة السائرة ﴿وَبَاطِنَةً﴾ من القوى المدركة وغير المدركة من الأرواح النباتية والحيوانية والإنسانية والأعضاء الحاملة لها كالكبد والقلب والدماغ وما يتبعها من العلوم والإدراكات والمعارف والأموال والأحوال ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ أي يجيز عن صحة هذه الأمور المذكورة ووقوع هذه الأحوال المزبورة ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فإنه ما بلغ إلى مقام هذه الأمور ليتحقق عنده علمها ﴿وَلَا هُدًى﴾ أي ما وصلَ إليه علم هذه الأمور منه كامل حكيم فاضلٍ ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: 20] نازلٍ من الله تكون هذه الأحوال ثابتة فيهِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟﴾ أو تقبلوا ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ على محمد من القرآنِ فيه علوم الأولينَ والآخرينَ ﴿قَالُوا۟﴾ لا نتبع هذا الكتاب ولا نقبل [ما] فيه من الأحكام والشرائع ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من عبادة الأصنام والركوب على مطية المعاصي والكفران والتبرؤ من أهل العلم والعرفانِ من الأنبياء وسائر أفراد بني الإنسانِ ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ الذي أضلهم عن طريق الهدى وأوصلهم إلى الغباوة والغواية والطغيانِ في الهوى ﴿يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان: 21] وعقاب سوء المصير.

﴿۞وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَمَن يُسْلِمْ﴾ ويتوصى ويعقل ذاته ونفسه وقلبه وكليته بأن يتوكل ويفوض أمره ظاهرًا وباطنًا ﴿وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ بأن يظهر في مقام الأشياء الإحسان ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ من باب التمثيل مثل حال المتوكل بحال من أراد أن يبدأ من جبل شاهقٍ فاحتاطَ لنفسه بنفسه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾ تصير وترجع ﴿عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: 22] تقديم المجرور مفيد الحصر.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ باللّهِ ومما جاء منه ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ لأنه بالتخفيف ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ الدنيا أولهم وآخرهم ومآلهم ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [لقمان: 23].

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ زمانًا ﴿قَلِيلًا﴾ بدنياهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: 24] شبه إلزامهم التعذيب وإذعانهم إياه باضطرار المضطر إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه، والغلظ مستعار من الأجسام البسيطة الكثيفة كالأمراض والمراد الشدة في الثقل من العذاب ودوامه وبقائه ولزومه.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وما بينهما من الكواكب وغيرها التي ذكرنا ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ إذ الكل مجهول على ما تقتضيه الفطرة السليمة التي مقتضاها الإسلام كما وردَ في الحديث وتلك يتبصرونَ ويتربصونَ ما يدل على هذا ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إلزامهم وإلجائهم من الاعترافِ بما يوجب بطلان اعتقادهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: 25] إنَّ في ذلك إلزامهم وإلجاءهم.

﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾

﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا وعبادًا فلا يستحق العبادة غيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن حمد الحامدينَ وطاعة المطيعينَ وعبادة العابدينَ وكفر المشركين وعصيان العاصين، وفي الحديث القدسي: يا ابن آدم إنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم لو كانوا على قلب عبد مؤمن ما زادَ في ملكي شيئًا ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على قلب فاجر ما نقص من ملكي شيئًا. ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان: 26] الذي يحمد بذاته ويمدح بأسمائه وصفاته من غير احتياج إلى غيره.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ أي يثبت أن البحرَ المحيطَ يسعه مداد يستمد لسبعة أبحر مملوء بالمداد والواو للحال على معنى ولو أن الأبحار أقلام حال كون البحر ممدودًا فأغنى عن ذكر المدادِ يمده لأنه من مد الدواة لك وأمدها ورفعه للعطف على محل (أن) ومعمولها ويمده حال أو الابتداء على أنه مستأنف والواو للحالِ يعني جعل البحر ممدود بسبعة أبحر وكتبنا بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ لو نفذت البحور وتلاشت الأقلام كما قال قلمي ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: 109]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ قوي قادر على كل الأشياء لا يفوقه عائق ولا يمنعه مانع فائق ﴿حَكِيمٌ﴾ [لقمان: 27] عالم محكم متقن أحكامه وأفعاله.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي إلا كخلقها وبعثها فإن نسبة قدرته وإرادته المخصصة إلى الكل في الإيجاد والبعث نسبتها إلى نفس واحدةٍ لا تفاوت بين الخلقين والبعثين لأنه لما تحقق الخلق والبعث فنسبته إلى القليل والكثير والصغير والكبير على السواء لعدم تناهي مرتضى قدرته ومقتضى إرادته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [لقمان: 28] يسمع دواعي الطالبينَ واستدعاء الراغبينَ لا يفوت عن

سماعِه شيء أصلًا لا قليل ولا كثير ولا خفي ولا جلي ﴿بَصِيرٌ﴾ [القمان: 28] يبصر استعداد الأشياء التي يطلب الظهور والوجودَ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ أعني يندرج أجزاء الليل في أجزاء النهارِ ويندمج فيها اندماج السواد في البياض ويندمج أجزاء البياض في السوادِ وذلك عند تجاوز النير الأعظم من نقطة الانقلاب الشتوي وصاعدًا إلى الأوج فيندمج سواد الليل في بياضِ النهارِ شيئًا فشيئًا إلى أن التساويَ الليل والنهار وهكذا يندرج أجزاء سواد الليلِ في أجزاء بياض النهارِ، وذلك يختلف اختلاف عروضِ الآفاقِ، فإنَّ العرض إذا بلغ تمام الليلِ وهوَ وسق وجلَب في نقطة الانقلاب الشتوي فتندمج جميع أجزاء سواد الليلِ في جميع أجزاء بياض النهار فإذا انماس النيران الأعظم بالأفق فلا تقرب الشمس في ذلك اليوم، فيكون أضوأ النهار في هذا العرضِ أربعة وعشرينَ ساعة، فتصير جميع أجزائه ظلمة الليل بياض النهار. وإذا انقلبت الشمس إلى النصف الآخر وانتكس الحكم ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ في هذا الأمر في هذا العرضِ فإنَّ حالَ القمر أيضًا متفاوت يكون في نصف الشهر إذا كانَ عرضه شماليًّا فوق الأرض، وفي النصف الآخرِ إذا كانَ عرضه جنوبيًّا تحت الأرضِ في جانب الشمالِ وفي جانب الجنوب ينعكس الأمر ﴿كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ في الشمسِ في آخر السنة وفي القمر في آخر الشهرِ أو إلى آخر الدورة النورية الجمالية وإلى آخر الكورة الظلية الجلالية، وهيَ القيمة، والفرق بين قوله إلى أجل مسمى وقوله لأجل مسمى إن الأجل هاهنا منتهى الجري وثم عرضه حقيقة ومجازًا، وكلا المعنيين حاصِل في الغاياتِ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي بمعمولاتهم أو بأعمالهم ﴿خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 29] وعالمٌ بصير ظاهرًا وباطنًا.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ [لقمان: 30] الذي من سعة النبوة وشمول القدرة وعجائب الصنع

وعموم المشيئة وعموم الإرادة وهجوم الحكمة واختصاص الباريء بها ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي الثابت في ذاته الواجب من جيع جهاته والثابت الهيئة ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ هوَ ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾ المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يبصر ولا يجعله أو الباطل والمعدوم الإلهية ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ بذاتِه وأسمائه وصفاته ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان: 30] بكل شيء المتسلط عليه بالألوهية.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي بسبب تحصيل أنواع نعمهِ وتهيئ أسبابه وهو استشهاد آخر على تمام قدرته وكمال حكمته وشمول إنعامه، والباء للصلة أو الجار ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ وعلاماته ودلالاته وإماراته ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي تسخير الشمس والقمر أو في أجزاء الفلك في البحر وإراءة آياته واستبصار آياته ﴿لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الوثاقِ وجهاد نفسه في التفكر والآفاق والأنفس ﴿شَكُورٍ﴾ [لقمان: 31] يعرف المنعم ويتصرف أو الحواس عطفه على صبّار فإن الإيمانَ نِصفانِ صبر وشكر كما وردَ في الحديثِ الإيمان نصفان نصف في الصبر ونصف في الشكر.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ﴾ متراكم ومرتفع ومنخفض فوج فوج ﴿كَٱلظُّلَلِ﴾ أي كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال من جبال أو سحاب أو غيرهما ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ متحققين لكمال الخلوص ووفور الإخلاصِ ﴿لَهُ ٱلدِّينَ﴾ والجزاء يجازيهم على إخلاصهم لخلوهم عما ينازع الفطرة الأولى السليمة من الهوى والرعونة والرياء والتقليد والتعلق وكدورة الدعوى ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ﴾ وأخلصهم وأخرجهم ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ ثابت ومقيم وثابت على الطريق القصد الذي هو الاعتدال في التوحيد والاقتصاد في التفريد ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ جبار متكبر غدار مكار متعظم ﴿كَفُورٍ﴾ [لقمان: 32] للنعم الظاهرة والمنح الباطنة الفاخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ واحذروا عن قهرمانِ غضبه وثوران قهره وانتقامِهِ وسخطه ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي﴾ ولا يغني ولا ينتفع ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ لكمال الحيرة ووفق الدهشة وغلبة الغيرة ﴿وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ﴾ نافع ومغني ﴿عَن وَالِدِهِۦ﴾ لكمال اشتغاله بنفسه ﴿شَيۡـًٔاۚ﴾ من النفع والشفاعةِ لأنَّ الكافرَ لا يتصور في الآخرة منه نفع ما فضلًا عن الشفاعة ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ ثابت لا دافِع ولا رافِع لمقتضاه ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ ولا يخدعكم كثرة لذاتها وحطامها ومنتهياتها وشربها وكرهها لسرعة زوالِها وقلة ثباتها ومشوبها بالغصصِ ومجبولها مصوب بالقرص ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [لقمان: 33] وهو الشيطان أو الدنيا أو يمنعكم في المعاصي المغفرة قيلَ المغفرة باللَّهِ أن يتمادى الرجل ويتمنى على الله المغفرة أو ذكر حسناتك ونسيانك سيئاتك ولأن الشيطانَ يرجيكم التوبة والمغفرة فيخبركم على المعاصي نسيانكم السيئات السابقة وتذكيرك عن السيئات يجزي على الأقلام على ارتكاب الذنوب والمساوئ والمذمومات.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي علم وقت ظهورها روي أنَّ رجلًا من محاربَ وهو الحارثُ بن عمرو أتى رسول الله فسألَ عنها فقالَ: أي الغيب سيأتي من الأرضِ وقد أبطأت عنا السماء فمتى تمطر، وأخبرني عن امرأتي ما في بطنها أذكر هو أم أنثى، وما أعمل غدًا أو أينَ أموت، فنزلت وقال عليه السلام مفاتيح الغيب خمسة وتلا الآية ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ والمطر ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ مذكرًا ومؤنثًا، أخنثى مشكل أو غير مشكل ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾ [لقمان: 34] وما الخير والشر والنفع والضر والطاعة والعصيان والكفر والإيمان، إذ ربما يعزم على

شيء ولا يوفق له بل يفعل خلافه ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: 34] في مكانه أو غيره في البر والبحر بالتعقل أو الفرق أو الخرق كما لا يدري في أي وقت يموت.

روي أن ملكَ الموتِ مر على سليمانَ وكان ينظر إلى رجل من جلسائه فقالَ الرجل من هذا؟ قال: ملك الموت فقال: كأنه يريدني فمر الريح أن يحملني ويلقني في الهندِ ففعل فقال ملك الموت: كانَ دوام نظري إليه تعجبًا منه أمرت أن أقبضَ روحه بالهندِ وهوَ عندك، وإنما جعل العلم لله والدراية للعبد لأن فيها معنى الحيلة فيشعر الفرق بين العلمين فيدل على أنه إن عملَ حيلةً وأبعد فيها وتبعًا لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته، فكيف نغيره فما لم يتعين له دليلًا عليه أنَّ اللَّهَ علَّم الأشياء وأحوالها ولوازمها كلها بعدَ بواطنها وخفياتها كما يعلم الظواهرِ ولوازمها الوجودية والعوارض الخارجية قالَ النَّبي ﷺ: «**مَن قرأ سورة لقمان كانَ لقمان رفيقًا له يوم القيامة وأعطي من الحسناتِ عشرًا عشرًا بعدد من عملَ بالمعروف ونهى عن المنكر**».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ترتيبها 32 — سُورَةُ السَّجْدَة — آياتها 30 مكية

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعلَ الأرواحَ في عالم الملكوتِ والأمر ساجدينَ لكمال ربوبيته شاهدينَ لجماله في مرآة تكوينه ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ الذي دبر أمر المخلوقاتِ أولًا من السماءِ والأحدية وذلك التجلي الذاتي إلى الاستعدادية التي أشارَ إليها بقوله لا يسعني أرضي ولا سمائي وجودًا أو ما يترتب عليه علمًا وشهودًا وما يتركب بهما إيمانًا وطاعة وكفرًا ومعصية وإنكارًا وجحودًا ﴿الرَّحِيمُ﴾ الذي عرج وأعادَ ورجعَ وأفادَ عودَ الكائناتِ وفرد الممكناتِ من مضيق حضيض الكثراتِ إلى أوج فلك غيب الهوية في يوم كانَ مقداره خمسين ألف سنة وإلى ذروة تدوير الوحدة الذاتية والأحدية الجمعية في يوم كانَ مقداره ألف سنة.

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [السَّجدَة: 1 ـ 2] أي بحق ألف امتداد النفس الرحمانية إلى مادة الامتداداتِ الثلاث وهيولى الأبعاد المثلثة ولام الألوهية وميم المرتبة الجمعية الإلٰهية والكونية في النشأتين م ي م وهو آدم في النشأتين آدم أي هو تنزيل الكتاب ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السَّجدة: 2] إشارة إلى الأدوار الأربعةِ النورية وهي العظمى والكبرى والوسطى والصغرى وجود بالإعراب

مشيرة إلى هذه، فالمبتدأ إشارة إلى فرداريّة الدورة العظمى التجلي الذاتي الذي هو بالعنوانِ الذاتي، والأخبار الثلاثة المتوالية تشير إلى الأول الثلاثة التي تكون بالعنوانِ الوصفي، أعني التجلي الاسمي والفعل الآثاري، ويحتمل أن يكونَ (تنزيلُ الكتابِ) مبتدأً وما بعده خبره (وتنزيل من رب العالمين) حالًا من ضمير فيهِ عائدًا إلى مضمون الجملةِ أي لا ريب في كونه منزلًا من رب العالمين، ويشهد لوجاهة قوله:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ لأن قولهم هذا مفترىً إنكار لا يكون من رب العالمينَ وكذا قوله ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ وما فيه من تقرير أنه من الله وهذا أسلوب حسن صحيح محكم أثبت أو لأن تنزيلَه من رب العالمين وإن ذلك لا ريبَ فيهِ ثم أضرب عن ذلكَ إلى قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ لأنَّ (أم) هيَ المنقطعة الكائِنة بمعنى (بل) والهمزة للإنكارِ أضرب عن ذلك إلى إثباتِ أنه الحق من ربك نظيره أن تعلل العالم في المسألة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها أنواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر أول الأفعال الواجبة على الإطلاقِ التي يعزى عن وجوهها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقعَ احترازًا من فرده بتلخيص أنه احترز من ذلك ثم يعود إلى تقرير كلامِهِ وبمشيئته لا يقال: كيف الارتياب وقد وقعَ ما هو أعظم وأغلب وأعلى منه وهو قولهم: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ لأن معنى لا ريب فيه أنه لا مدخل للريب في أنه تنزيل اللَّهِ لأن نافي الريب ومميطه معه ما لا ينفك عنه من العقلِ الذي إذا تأمّل فيه ارتدعَ عنه، وأما الافتراء فإما من هو متعنت به مَعَ علمه أنه فيه لظهور الإعجاز، أو جاهِل بقوله قبلَ التأمل بالنقل والنظر بمجرد التقليد، لأنه سمع من الناسِ ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وهم قريش لم يبعث الله إليهم رسولًا قبلَ محمد عليه السلام أو باعتبار الفترة الطويلةِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السَّجدة: 3] فيه وجهان أحدهما أن يكونَ على الترجي من رسول الله ﷺ

كما كانَ لعله يتذكر على الترجي من موسى وهارونَ الثاني أن يستعار لفظ الترجي للإرادة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وما فيهما ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا وإنما آثرَ العددَ لأنه عدد كامل مساوي بسائطه لما فيهِ من الثلث والسبعة والنصف أعني الواحدَ والاثنين والثلاثة فالمجموع يساوي الكل، أعني الستّ، إشعارَ بأن أفعال الله وآثار قدرته وأنوار حكمته كلها كاملة، وإنَّ مراتبَ الوجودَ سبب لهذا السور وهي مرتبة الذاتِ والأسماء والصفاتِ والأفعالِ، ومرتبة الخيال والمناخ والآثار، والكون الجامع الإنسان الكامل الرافع أعني اللّاهوت والجبروت والملكوتِ والبرزخ والفلك والناسوتِ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي تقرر واستوى واستقر في آخر الأمرِ على عرش الصورة النوعية والهيئة الجمعية أعني الإنسانَ الكامِلَ «**خلق الله آدمَ على صورتِه أو على صورة الرحمنِ**» هذه العبارة مكتوبة في جميع الكتب الإلٰهية وفي الإنجيل أنه قد خاطبَ الله تعالى الملائكة جيئوا وتعالوا حتى تنزل على الأرضِ ونخلق خلقًا على صورتِنا (يدبر الأمر) الإلهي والإنسانَ الكوني مبتدأ من السماءِ الأحدية إلى الأرضِ القابلية والعرض الاستعدادية أولًا في الأحدية الجمعية والشؤوناتِ الذاتية ثم إلى الواحدية بالصورة العلمية والأعيان الثابتة والحقائق الإلٰهية والماهيات الكونية ثم في عالم الملكوتِ بالصور الروحية ثم في المرتبة البرزخية بالمثل النورية والصور الجسمية ثم في عالم الملك بالهيئات الجسمانية ثم في مرتبة الكونِ الجامِع وهي عرش العروج وفرش النزول والولوج ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السَّجدَة: 4] على معنيين أحدهما إنكم إذا جودتم رضاءه لم تجدوا لأنفسكم ناصرًا أو وليًّا ينصركم ويشفعكم إن الله تعالى وليكم وناصركم ومعينكم الذي يتولّى مصالحكم وشفيعكم أي ناصركم على سبيلِ المجازِ لأن الشفيع ينصر المشفوعَ لَهُ فهو كقوله: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشّورى: 31] فإذا خذلكم لم يبق ولي ولا نصير.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي الكورية من الطاعاتِ من الثبات والأعمالِ الصالحةِ من السماءِ الربوبية ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السَّجدَة: 5] العبودية لا يعمل ولا يصل إليه ذلك المأمور به من الطاعاتِ صالِحًا كما يريده الأمر ويرتضيه إلا في مدة متطاولة لعله عبادة الخالِص المخلص وندرة الأعمالِ الصالحة الصاعدة التي تصورها النية الصافية والأمنية الوافية يدل عليه قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المُلك: 23].

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السَّجدَة: 5] أي من الأيام المردة المترتبة الجمالية المبدئية فإن يومًا من أي منها مقداره ألف سنة من أيام مرتبة الملك والشهادة وذلك لما تقرر من الدوائر المداراتِ اليومية المتوازية الموازية لمنطقة الفلكِ الأعظم كلما بعدت من المركز يكون أعظم وإن أفلاك جميع المراتب المترتبة الست وتمام العوالم الخمسِ منطبقة ومتطابقة مناطقها والمدارات الموازية لها متوازية، فمناطق أفلاك عالم الملكِ والشهادة لكونها أقرب من مركز نقطة القلب التي قدر عليها دوائر مناطق أفلاك تمام المراتب كما أشار إليها رئيس الكمال الشيخ العربي الحمد لله أدارَ الأفلاك بأنفاسِ بني آدم أصغر من مناطِق أفلاكه عالم البرزخ ومن دوائرها الدائرة على حقيقة القلب التي هي برزخ بين الملك والملكوت، فيكون مدة قطعها أصغر فكذا مناطق سماوات عالم الأمرِ ومرتبة الأرواحِ أعظم من مناطِق أفلاك عالم البرزخ فيكون من قطعها أكثر كما مر من قوله في يوم كانَ مقداره خمسينَ ألف سنة فاصبر صبرًا جميلًا.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ السماء الذي يكون ابتداء تدبير الأعيان المتعينة الكونية منها وهو عالم الأرواح ومرتبة الأمر والملكوتِ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ الذي لا يدركها بالمشاعر الظاهرة والباطنة ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [السَّجدَة: 6] أعني الملك وعالم الأجسام وقد يعبر عنها بالأرضِ إذا عبر عن عالم المجرداتِ بالسماواتِ وهيَ التي تدرك بالمشاعِر

والحواس الظاهرة، وأما عالم البرزخ فهي التي يحكم ويدرك أعيانها وأحوالها الحواس الباطنة دونَ الظاهرة فعلى هذا عالم الغيب يعم البرزخ وعالم الأرواحَ والملكوتِ والجبروت وأعيانها، وأما عالم اللّاهوتِ فهو غيب الغيوب فالمراد بالتدبير إن كانَ تعين المعلوماتِ المطلقة فحينئذ فهم الشؤوناتِ الذاتية والأعيان الثابتة والعقول في المرتبة الواحدية وعالم الجبروتِ والأرواح والنفوس في عالم الملكوتِ والأشباحِ في عالم البرزخ والأجرام الفلكِ والأجسام العنصرية وما يتركب منها من المواليد الثلاثة في عالم الملكِ وإن كان المراد التدبير وتعلق الأرواحِ بالأبدانِ والنفوس بالأجرام، فالغيب هو عالم الأرواحِ والبرزخ والشهادة هو عالم الملك والأبدان والأجسام ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ القوي الغالب على تعين الأعيان المطلقة في المراتب والعوالم المذكورة أو على تعليق الأرواحِ والمثل النورية والأشباحِ بالأبدانِ والأجرام والأجسام، فعلى الأول يكون الغيب لكل ما يدرك بالحواسِ الظاهرة فيتناول عالم البرزخ، وعلى الكمال يكون الغيب مخصوصًا بالملكوتِ والجبروتِ واللاهوت وأعيانها والشهادة يعم البرزخ وما فيه من المثل النورية والأشباح، لأنها تدرك بالحواس والمشاعرِ الباطنة وأعيانها، وهي أول ما يصور بالصور اللطيفة البرزخية ولا يدركها إلا القوة المتخيلة، ولا يدرك معانيها الجزئية التي يتضمن تلك الصورة إلا القوة الواهمية ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [السَّجدة: 6] لإعادتها وترجيعها إلى شبحها الأولي وأصلها الأزلي والمقام الأصلي.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾

﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ أولًا في عالم الواحدية والجبروت بالصور العلمية ثم في عالم الملكوتِ بالصور الروحية ثم في المرتبة البرزخية بالصور الجسدية والمثل البرزخية ثم في المرتبة الملكية والشهادة بالصورة الجسمانية ثم في عالِم الناسوتِ بالصورة النوعية والهيئة الظلية الجمعية وإليه الإشارة بقوله ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السَّجدَة: 7] وهو بالنسبة إليه حسن إذ إنسان هذه الدورة وهي الدورة الأخيرة من الدورة الصغيرة من الأدوار الأربعة النورية الجمالية مخلوق من الطين الذي جمع العناصِر الثلاثة وهي المرتبة الطينية الرابعة فإن لكل عنصر من العناصِر الأربعة أربع طبقاتٍ وأربع مراتب، فالدورة الأخيرة

تناسب المرتبة الأخيرة على الأرض وهي الطين.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ ذريته سميت به لأنها تنسل وتنفصل منه وتخرج من صلبه ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ خلاصة لأنها تسل من بين الكدر وفضالة ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السَّجدة: 8] متين متميزة.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ [السَّجدة: 9] وعدلَه وقومه نحو ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: 4] ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ من باطنه وعينه لأنه ظاهر وباطن وأول وآخر لأنه خلقه على صورته ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ يسمع كلام الله فلو كانَ المراد السمع الظاهر لاختص بالسمع الحيواني في المخصوصيةِ بإدراك الأصواتِ والحروف ويخرج عنه: «**كنت سمعه وبصره**»، وما في وردَ في الحديثِ: «**لكل قلب عينان وأذنانِ وإذا أرادَ الله لعبد خيرًا فتحهما**» ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ جمع بصرٌ وهو ما يدرك الأشكال والألوان والمقادير، فليس المراد البصر الظاهري الحيواني وإلا لخرج ما ذكر في الحديث، فالمراد منهما أعم ليتناول ما في الحديث القدسي: «**لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافلِ حتى أحبه فإذا أحببته كنتُ سمعه وبصره فبي يسمع وبي يبصر**» إلخ ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ جمع فؤاد وهو وجه القلب الذي يلي الروحَ وهو يشاهِد وجه اليد وتجليات آثاره والأفعالية والأسمائية والذاتية ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 72]، ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: 11] الآية، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السَّجدة: 9] أي يكون شكرهم قليلًا في زمان قليلٍ.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾ واختفينا وغبنا ودفنا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من ضل المكر في اللبن إذا غاب فيه ونفد فيه ويتستر به ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ [السَّجدة: 10] أي خلقنا

خلقًا جديدًا بعدَ الموتِ والقائل أبي بن خلف وجمعها باعتبار الأتباعِ وملاحظة الأشياع ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ أي مشاهدة تجلياته ومعانيه ولقائه في صور مكوناته ﴿كَفِرُونَ﴾ [السَّجدة: 10] جاحدون وسائرونَ ومنكرونَ فلما ذكر كفرهم بالإنشاء أغرب عنه إلى ما هو أبلغ في الكفر وهو أنهم كافرون لجميع ما يكون في العاقبة لا بالإنشاءِ وحده.

﴿۞قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السَّجدَة: 11] ألا يرى كيف خوطبوا يتوفى ملك الموتِ وبالرجوع إلى ربهم بعدَ ذلكَ مبعوثينَ للحساب والجزاءِ والتوفي هو استيفاء النفس في الجسمِ والبدنِ قالَ: الله يتوفى الأنفس حينَ موتها والتي لم تمت في منامِها، وقالَ: أخرجوا أنفسكم وهو أن يقبض كلها لا يترك منها مأخوذ من قولك توفيت حقي واستوفيته أي إذا أخذته وافيًا كاملًا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيانِ في مواضِع من تقصيته واستقصيته وتعجلت واستعجلته، عن مجاهدٍ حوت ملك الموت الأرض وعلت له مثل الطشت يتناول منها حيث يتوفاهم مع أعوان من الملائكة قيلَ ملك الموتِ يدعو الأرواحَ كلها فتجيبه ثم يأمر أعوانه يقبضها.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السَّجدَة: 12] يجوز أن يكون الخطاب للرسول ﷺ وفيه وجهان: أحدهما أن يراد به التمني كأنه قال وليتك ترى كقوله عليه السلام للمغيرة لو نظرت إليها والتمني لرسول الله ﷺ كما كانَ الترجي في لعلهم يهتدونَ لأنه تجرع منها الغصص ومن عوادتهم وضرارهم فجعل الله تمنى أن يراهم على تلك الصفةِ الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وأن تكونَ (لو) الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت أمرًا فظيعًا أو لرأيت سوء حال، ويجوز أن يخاطب به كل أحد كما يقول فلان لئيم إن أكرمته أهانك، وإن أحسنتَ إليه أساء إليك، فلا تريد به مخاطبًا بعينه كأنك قلتَ إن

أكرم وإن أحسن إليه، ولو أراد كلا ما للمعنى وإنما جاز ذلك لما في المترقب من الله بمنزلةِ الموجود المقطوع به في الحقيقة، ولا يقتدر لترى ما يتناوله كأنه قيلَ ولو تكونَ منك الرؤية وإذ ظرف له، يستغيثون بقولهم ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا﴾ [السَّجدَة: 12] فلا يغاثونَ يعني أبصرنا صدق وعدك ووعيدكَ، وسمعنا منكَ تصديق رسلِكَ وكنا عميًا وصمًّا ﴿فَٱرۡجِعۡنَا﴾ إلى الدنيا بقوانا وإدراكاتنا وقوتنا ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ عملًا مقبولًا ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السَّجدَة: 12] أي ذو إيقان ويقين وصاحب إيمانٍ وإيقانٍ.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣﴾

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ على سبيل الإلجاء والقسر ولكنا بيّنا الأمر على الاختيار لا الاضطرار ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي﴾ أي ثبت قضائي وتحقق حكمي ونبت بهائي وهو ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [السَّجدة: 13].

﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾

﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ﴾ أي مشاهدة يوم القيامة الذي يغاير فيه لقاء الله والفوز بمعاينة وجهه الكريم سترونَ ربكم كما ترونَ القمرَ ليلة البدر، وقيلَ ذوق نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها والاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكير يعني أنَّ الانهماكَ في الشهواتِ والانسلاك في تتبع اللذاتِ أذهلكم وألهاكم عن ذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانَها ثمَّ قالَ ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ﴾ على المقابلة أي أجزينا جزاء نسيانكم وقيلَ هوَ بمعنى الترك أي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استئنافِ قوله إنا نسيناكم وبناء الفعل على أن واسمِها تسديد في الانتقام منهم والمعنى ﴿وَذُوقُواْ﴾ هذا أي أنتم فيه من نكس الرؤوس والخزي والغم وذوقوا ﴿عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ الثابت المخلد في جهنم ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [السَّجدة: 14] بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ المؤمنون والأعيان الموقنونَ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟﴾ ووعظوا ونصحوا ﴿بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ وتواضعًا للّهِ وخشوعًا وانقيادًا وخضوعًا وشكرًا على ما رزقهم من الإسلام ﴿وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ونزهوا اللّهَ من نسبة القبائح إليه وأثنوا عليه حامدينَ لَه إشارة إلى كمال الجمعية بين مقتضى دورة الجمال ومرتضى كورة الجلال وهي التشبيه والتنزيه الذين صفة الفاعِل المحذوف وأقيمت مقامه كما أشرنا إليه ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السَّجدة: 15] إشارة إلى أنَّ مقتضى النور والجمال ذو غلب على مرتضى الظل والجلال وأخفاه وقهره وأبقاه على الاستكبارِ.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ أي يرتفع ويبعد أضلاع خلقهم عن المضاجع والفرش الموضوعةِ للنوم، كناية عن ترك الاضطجاع والنوم على الظهر والجنب والبطن ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ داعينَ خالقهم ومربيهم عابدينَ له ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي لأجل الخوف عن عذاب ربهم والطمع بكمال رحمته وعموم رأفته ووفور نعمته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السَّجدة: 16] والمجرور متعلق به مقدم عليه وهم المجاهدونَ في سبيل اللّهِ المتهجدونَ المقيمونَ صلاة اللّيل التي كانت فريضةً على النبي ﷺ والذينَ اقتفوا أثره فجعلوها فريضةً على أنفسهم وهم الأئمة المعصومين من أهل بيته ولذا أجمعوا على وجوب قضائها إن فاتت في النهاية كما قدمنا في صدر الكتابِ في باب البسملة وجهرها عن رسول الله ﷺ في تفسير قيام العبدِ من اللّيل، وعنه أيضًا إذا جمع الله الأولينَ والآخرينَ يومَ القيامة جاء منادٍ ينادي بصوتٍ يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع القوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذينَ كانوا يحمدونَ الله في البأساءِ والضراءِ فيقومونَ وهم قليلٌ فيسرحون جميعًا إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناسِ، وعن أنس رضي الله عنه كانَ أناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلونَ من صلاة المغرب إلى العشاء الأخيرة فنزلت فيهم وقيلَ هم

الذينَ صلاة القيام لا ينامون فيها فهي صلاة التهجد وصلاة القيام تعمها .

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ على بناءِ المفعولِ والفاعل هو الله يجوز فيهِ الوجوه الثلاثة التكلم والخطاب والغيبة من قرة أعين أي لا يعلم النفوس كلًّا من الأنفس واحدة منهن ولا ملك مقرب ولا نبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب ادخر الله تعالى لأولئك وأخفاه من جميع خلائقِهِ لا يعلمه إلا الله مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدةِ ولا مطمع ورائها ثم قال ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجدَة: 17] فجئتم أطماع المتمنين وعن النبي ﷺ يقول الله تعالى: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر ببال بشر قط**»، عن الحسين: أخفى القوم أعمالًا في الدنيا فأخفى لهم ما لا عين رأت .

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ هما محمولان على لفظ ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السَّجدة: 18] محمول على المعنى بقرينة .

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ من الجنان قال الله تبارك وتعالى ولقد رآه نزله أخرى عندَ سدرة المنتهى عندَها جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس قالَ يأوي إليها أرواح الشهداء قيلَ هو عن يمين العرش قرئ جنة المأوى ﴿نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجدَة: 19] عطاءً حاضرًا بأعمالهم والنزل عطاء الضيف النازل ثم صارَ عامًّا .

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟﴾ [السَّجدَة: 20] وخرجوا عنه طاعةِ اللّهِ كافرًا ومشركًا أو ظالمًا من أهل الإيمان الذي اجترى على قيلَ المؤمنين بغير حقٍّ ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾

كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السَّجدَة: 20].

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ عذاب الدنيا من القتل والأسرِ وما محنوا به من السنة سبع سنين قيلَ هو عذاب القبر ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة أي نذيقهم عذاب الآخرة والوصول إليه ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السَّجدة: 21] عما كانوا عليه ويتوبوا عنه من الكفر والشرك والظلم والفسق أي لعلهم يريدونَ الرجوعَ ويطلبونَ العود عنه سميت إرادة الرجوع رجوعًا عذاب الدنيا قبل كما سميت إرادة القيام قيامًا إذ قمتم إلى الصلاة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ فلم يتفكر فيها ثم الاستبعاد والإعراضِ عنها مَعَ كمال رضوخِها وعموم عروجها وإرشادها إلى اكتساب سعادة النشأتين وهو التذكر بها والتفكر والنظر فيها ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السَّجدَة: 22] أي إنا منتقمون، ونكافيهم من المجرمينَ بالعذاب الأدنى والأعلى.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ وأعطينا ﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ أي في شكّ وريب من لقائِكَ الكتابِ فإنه حق ثابت مطابق للواقع لقولِه: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [النمل: 6] أو من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى وبالعكس وذلك يوجب الثبات ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: 120]، ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [السَّجدة: 23] كما جعلناه هدًى لكَ ولأمتك فلأنك في شكّ منه.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ من بني إسرائيل ﴿أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ الناسَ ويدعونهم إلى قبول ما في التوراة من أحكامها الإلٰهية ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إرادتنا ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ على صنوف المجاهداتِ وصنوف الشأن والبليات ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجدَة: 24] يؤمنونَ إيمانًا بلغ إلى كمال اليقين ومرتبة عين اليقين.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يميز الحق من الباطلِ والحق من المبطلِ ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السَّجدة: 25] في الدنيا من أمر الدنيا وحكم أرباب اليقين.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الواو للعطف على نفوس من جنس المعطوف والضمير في لهم لأهل مكة كأنه قيلَ ألقوا وثبتوا على الكفر ولم يهد لهم والفاعل ما يدل عليه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ لأن كم لا يقع فاعلًا فلا يقال جاءني كم رجل تقديره أوله كثرة إهلاكنا القرون أو هذا كما هو مضمونه ومعناه كقولك يعصم لا إلٰه إلا الله الدماء والأموال، ويجوز أن يكونَ ضمير لله لأنه القراءة بالنونِ ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الماضية والأدراك السالفة كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدينَ وغير ذلك ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ يعني أهل مكة يمرونَ في متاجرهم على ديارهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الإهلاك ﴿لَآيَاتٍ﴾ يدل على كمال قدرته وشمول حكمتِهِ وعموم إرادته وخشيته ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [السَّجدَة: 26] الآيات والبينات المعهودة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ﴾ ونطرده ونجيز به ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ [السَّجدَة: 27]

المنقطع نباتها المرتفع علامتها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ عن ابن عباس هي أرض اليمن ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾ من الزرع النابتِ والريع الثابت ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السَّجدَة: 27] ولا يشاهدونَ هذه الحالاتِ فيستدلونَ على كمال قدرته وعموم قوته وعموم حكمته وهموم فضله ورأفته.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [السَّجدَة: 28] أي الظفر والنصر وعده الله لكم علينا أهل تبع إن كانت دعواكم صادقةً.

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد إن ﴿يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ والظفر والنصر ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ وجحدوا وأنكروا بآياته وحقية أنبيائه ﴿إِيمَٰنُهُمْ﴾ بالتقليد وباللسانِ وذلك لما كانَ المؤمنونَ لدى أذية الكفار إياهم ويستعجلون من المشركين قالوا: متى هذا الفتح الذي توعدنا به وتخوفنا، فأمن الله الرسولَ أن يقولَ هذا القول ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [السَّجدة: 29] ويمهلونَ ويتركونَ ويهملونَ.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَأَعْرِضْ﴾ يا محمد في هذه الحالة ﴿عَنْهُمْ﴾ واتركهم ولا تبال بتكذيبهم إياك ﴿وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [السَّجدَة: 30] غلبتهم عليكم والأمر ينعكس عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة ألم تنزيل الكتابِ، وتبارك الذي بيده الملك أعطي الأجر كأنما أحيا ليلة القدر**». وقالَ: «**من قرأ آلم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان في بيته ثلاثة أيام**» صدق الله وصدق رسول الله ﷺ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 33	سُورَةُ الأَحْزَاب	آياتها 73 مدنية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي هزم أضراب النفس وقواها ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أهَّل نوع الإنسانِ بقبول أمانة كمال الجامعية وحمولها وفروعها جموعها وفصولِها ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي جعلَ كثرة الصلاة وسيلةً للنفس وفصولها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: 1] واحفظ نفسك من التعرض لغضب اللّهِ وقهرمانه بالالتفاتِ إلى الغير الخطاب عام وإن كانَ في الظاهِر للنبي كما علمتَ في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السَّجدَة: 12]. عن أبي ذر قالَ: قالَ لي أُبي بن كعب: كم تعدون سورة الأحزاب؟ قلتُ: ثلاثة وسبعين آية قالَ: فوالذي يحلف به أُبي بن كعب إنها كانت تعدل سورة البقرة أو أطول، ولقد قرأنا منها آيةَ الرجم (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالًا من اللّه واللّه عزيز حكيم) لعلّه أراد رضي الله عنه إن ذلك من جملة المنسوخاتِ.

وأما ما حكي أن تلكَ الزيادةَ كانت في صحيفةٍ في بيت عائشة رضي الله عنها فأكلتها شاة داجن فمن التفات الملاحدة والروافض هذا ما في الكشافِ ولعمري أن مثلَ هذا الكلام والطعن معَ اشتماله ظاهرًا على التناقض يوجب

توسيع الوَهَنِ في الدينِ والتشنيع على أهلِ اللَّهِ، وكون هذه الصحيفة في بيت عائشة لا ينافي كونها منسوخة، وآية النسخ أكل الداجن لها وإيراد النداءِ بغير اسم النبي تعليم من اللَّهِ تعالى لعباده طريق تعظيم النبي ﷺ بأن ينادي بما يدل على شرفه وكماله واسمهما الدال على تعيينِه وذاته المستخصة وقد تدركه في غير النداءِ ما ذكر في النداءِ ويقصد منه الإخبار فقط دونَ التعليم والتلبيس نحو: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ﴾ [التوبة: 128]، وقالَ الرسول: يا رب ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21]، ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6] وغير ذلك.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ ولا تساعدهم على شيء ولا تشايع الفاسد منهم طمعًا منهم الدخول في الدينِ لأنك ﴿لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [النمل: 80] الآية، ولا تقبل رأيًا ولا مشورةً لأنهم أعداء الله وخصماء أهل الإيمانِ وأصحاب اليقين، ولا يريدونَ إلا الضررَ في الدينِ والغرر لأهل لإيمانِ ولأصحاب حق اليقين.

روي أنَّ رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة وكانَ يحب الإسلام اليهود قريظة والنضر وبني قينقاع وقد تابعه ناس منهم على النفاقِ فكانَ تلين لهم خائنة وتكرم صغيرهم وكبيرهم وإذا أتى منهم قبيح غير مشروع يجاوز عنهم، وكانَ يسمع منهم فنزلت، روي أنَّ أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس، فقالوا لرسول الله: ارفض ذكر آلهتنا وقل أنها تسمع ندعك وربك، فشق ذلك على رسول الله وعلى المؤمنين وعلى إسلامهم فنزلت. أي اتق الله في بعض ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا إليكَ. روي أن أهل مكةَ دعوا رسولَ الله ﷺ إلى أن يرجع عن دينه ويعطونه شطرَ أموالهم وأن يزوجه شيبة بن ربيعة ابنته، وخوفه منافقو المدينة إنهم يقتلونه إن لم يرجع فنزلَت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما في نفوسهم من النفاق والغرة والخداع وكمال الشقاقِ ﴿حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: 1] حاكمًا عليهم على مقتضى الحكمة ومرتضى المشيئة وظهور الصواب والمصلحة ودفع الخطية والمفسدة على مقتضى الحال والوقت والأمور مرهونة بأوقاتها.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأحزاب: 2، 3] أي معبود وكيلًا في جميع الأمور في الغيبة والحضور وأسند إليه أمرك خيرك وشرك ونفعك وضرك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: 3].

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ﴾ إن القلب بيت الله وبيت نور التوحيد فلا يكون إلا واحدًا ولأن القلب أول ما كوَّن الله من أجزاءِ البدنِ فإن أوّلَ ما خلقَ الله النطفة بعدَ استحالتها علقة ثم مضغة نطفة واحدةً في الوسطِ ثم حركها صعودًا وهبوطًا فخلق من النطفة الأولى مادة القلب ومن النطفة الصاعدة مادة الدماغ ومن الهابطة مادة الكبد ثم سائر الأجزاء والجوارح والأعضاءِ ثم جعلَ النقطة الأولى مادة الروح الحيواني والثانية مادة الروح النباتي والثالثة مادة الروح النفساني.

وأيضًا إنَّ الله تعالى خلق إدراك الأشياءِ المفردة من المعاني والصورِ قوة واحدة بسيطة، وهي القوة العاقلة ولتدبير الأفعال البدنية المفردة قوة واحدة، والنفس العاملة، وأما الإدراكات المركبة والأفاعيل المتقدمة المترتبة وللصور الجمعية والهيئة الكلية الإحاطية الوحدانية، فلا بدّ أن يكونَ لهَا من قوة مركبة وهي القلب خلقه الله تعالى من ازدواج القوة العاقلة والنفس العاملةِ والهيئة المركبة والصورة الجمعية الأحدية، وهو المولود واحد لا يقبل التعدد والتكثر، وأيضًا قد علمتَ أن الفرض من القلب هو إدراك الأمر الواحدِ النوعي والكمال الجمعي والجمع الكمالي، والقلب الواحد يكفي لإدراكه لا يحتاج إلى قلب آخر.

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ﴾ [الأحزاب: 4] يعني أنَّ الله تبارك وتعالى كما لم يرَ في حكمته أن يجعلَ للإنسانِ قلبين كما علمت لم يرَ أيضًا أن تكون المرأة الواحدة لرجلين إمَّا لرجل زوجًا له لأنَّ الأم مخدومة يخفض لهَا

جناحَ الذل، والزوج مستخدم متصرف فيها بالافتراشِ والتمتع والانتعاشِ وغيره كالمملوكة، وهما حالتان متنافيتان ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾ جمع دعيّ كأولياء جمع وليَّ وأتقياء جمع تقيّ، أي يجعل الزوجة والدعي الذين لأولاده بينهما ولو جمع الزوجة والأمومة في امرأة واحدة للزم أن يكونَ الرجل الواحد دعيا لرجل وابنًا له، لأنَّ البنوّة أصالة في النسب وعراقة فيه، والدعة الصادقة عارض بالتسمية لا غير، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلًا وغير أصيل، هذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرًا وكانت العرب في جاهليتها يتعاورونَ ويتسابون فاشتراه ابن حرام لامرأته خديجة فلما تزوجها رسول الله ﷺ ومنعه له وطلبه أبوه وعمه فخير فاختارَ رسول الله ﷺ فأعتقه وكانوا يقولونَ زيد بن محمد فأنزل عزّ وجل هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: 40].

وقيل: كانَ أبو معمر رجلًا من أحفظ العرب وأرواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن أسد القهقري وكانَ يقول هو أن لي قلبين وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله، فقال له: ما فعل الناس؟ فقال لهم: ما بين مقتول وهارب فقال له: ما بال إحدى نعليك في رجلك والأخرى؟ فقالَ: ما ظننت إلا أنهما في رجلي فأكذب قوله وقولهم، وضربه مثلًا في الظهار والتبني، عن ابن عباس كانَ المنافِقونَ يقولونَ لمحمد قلبان فأكذبهم الله وقيلَ سهى في صلاته فقال اليهود: قلب مع أصحابه وقلب معكم، وعن الحسنِ نزلت في أن للواحد نفس تقول: تأمرني ونفس تنهاك، والتنكير في رجل وإدخال من الاستقرائية على قلبين تأكيد أن لما قصد من المعنى كأنه قال ما جعلَ الله من الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه، وفائدة ذكرِ الجوف كفائدة الصدرِ في قوله تعالى: القلوب التي في الصدور، وذلك ما يحصل للسامِع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه، لأنه إذا سمع به تصور لنفسه خوفًا يشتمل على قلبين، فكانَ أسرعَ إلى الإنكارِ والظهار أن يقول لامرأته: أنتِ عليَّ كظهر أمي ونحوه في العبارة عن اللفظ لبى المحرم إذا قالَ لبيك، وأفف الرجل إذا قالَ أفّ. وفي الجاهلية كانَ الظهار طلاقًا وكانوا يجيئونَ المرأة المظاهرة منها كما يجيئونَ المطلقة إذ المراد من قوله: «**أنتِ عليَّ كظهر أمي**»، أي أنت حرام في الاستمتاعِ.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الذي ذكرتموه إلى آخره أو بعضه ﴿قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ﴾ [الأحزاب: 4]

لا حقيقة له ولا معنى موجود في الأعيانِ ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ ماله حقيقة وثبات في نفس الأمرِ ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4] الذي توصل إلى الحقِّ والحقائقِ وإلى معرفته وكمال طاعته وعبادته المقرونة بكمال الخلوص والإخلاص.

﴿ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَـٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾

﴿ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ﴾ أي انسبوهم إليهم وكانَ المقصود منه قوله الحق، وكانَ الرجل في الجاهلية إذا أعجبه جلد الرجل وظرفه وضمه إلى نفسِه وجعل له مثلَ نصيب الذكرِ من أولاده من ميراثِه وكانَ ينسب إليه فيقال فلان بن فلان ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ تعليل له الضمير لمصدر سارعوا، ﴿أَقْسَطُ﴾ أفعل التفضيل قصد به الزيادة مطلقًا من القسطِ والعدل ومعناه البالغ في الصدقِ ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟﴾ إياهم على اليقين أشخاصًا معينة ﴿ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ جزاء الشرط مرفوع على الخبرية ومبتدأ محذوف أي فهم إخوانكم ﴿فِى ٱلدِّينِ﴾ يعني وإن لم يكن لكم علم بخصوصية آبائهم إلا أنه ثابت باعتبار أنهم إخوانكم في الدينِ ﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ وهذا القدر من الانتسابِ كاف في الميراثِ والتوريثِ والولاية فقولوا هذا أخي وهذا مولاي ويا أخي ويا مولاي ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ وحرج وإثم ﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ فيما فعلتموه في الانتسابِ، واعلم أن التبني والانتسابِ بالابن بأن يقولَ ابني لا عبرة له عندنَا وعند أبي حنيفة يوجب عتق مملوك ولا يثبت النسب لمجهود له، وأما معروف النسب فلا يثبت إلا أنه كانَ عبدًا أعتق ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ عن الخطأ والعمل إذا تابَ العامد ﴿رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: 5] أدخل من عفى عنه في رحمته.

﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الكاملينَ في الإيمانِ الواصلينَ لحقيقة اليقين والاتقانِ في الإيقانِ ﴿مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6] وأولادهم ومن كل محبوب ومرغوب فلا

يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحب إليه من ولده ووالده والناسِ أجمعين وعنه أيضًا: ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة. وفي قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنينَ من أنفسهم وهو أب لهم قالَ مجاهد: كل نبي فهو أب أمتِه ولذا صار المؤمنينَ أخوة فالنبي ﷺ أبوهم وأزواجه أمهاتهم ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ أي وذو القرابات في التوراةِ وهو نسخ لما كانَ في صدر الإسلام بالهجرة والموالاة في الدينِ ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في اللوح المحفوظ وفيها أوحى الله إلى نبيه وهو هذه الآية أو آية المواريث أو فيما فرض الله ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ بحقِّ الهجرة إلى أن يتعلق إلى أوليائكم معروفًا استثناء من أعم العام في معنى النفع والإحسانِ كما يقول القريب أولى من الأجنبي إلا في الوصيةِ ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ يريد أنه أحق منه في كل نفع من ميراثٍ وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك إلا في الوصية والمراد بفعل المعروف بالتوصية لأنه لا وصية لوارثٍ وإنما عدَّى بإلى لأنه في معنى يسند أو ينزلوا أو بالأولياء المؤمنين والمهاجرين للولاية في الدينِ ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور في الآيتين جميعًا ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ المشار إليه ثانيًا ﴿مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: 6] مبينًا مزبورًا.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي اذكر حينَ أخذنا من النبيين جميعًا ﴿مِيثَٰقَهُمْ﴾ وعهودهم تبليغ الرسالةِ والدعاءِ والدعوة عموم الخلق إلى الدينِ القويم والطريق المستقيم وهو الإسلام ﴿وَمِنكَ﴾ خصوصًا ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ وتخصيصه بالوصفِ لاختصاصه بمزيد الشرف ﴿وَأَخَذْنَا﴾ في المعهدِ الأول والمرصد المؤول في مقدمة ألست بربكم ﴿مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: 7] عظيم الشأنِ مؤكدًا باليمين والتكرير.

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: 8] ليسأل اللّهَ يوم القيامةِ عندَ توافقِ الأشهادِ المؤمنينَ الذينَ صدقوا عهدَهم ووفوا به من جملة من أشهدهم

على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدِهم وشهادتهم فيشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين وليسأل الصادقينَ المصدقينَ للأنبياء عن تصديقهم لأن من قالَ للصادق صدقتَ كانَ صادقًا في قوله وليسأل الأنبياء الذينَ إما الذي أجابتهم أممهم وتأويل مسألة الرسل بتبكيت الكافرين بهم كقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المَائدة: 116] وتقديم الرسول على نوح وغيره إشعار بأنَّ نبوته ذاتية متقدمة على نبواتِ سائر الأنبياء ولذا صارَ أبَ الأنبياء طرًّا كما علمت. قال النبي ﷺ: «**إني عبد الله لخاتم الأنبياء وآدم منجدل في طينته**»، وأيضًا قالَ: «**كنت نبيًّا وآدم بين الروح والجسد**»، ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 8] لأنهم نقضوا عهودَهم الذي عقدوا في العهَدِ الأول.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ وهم الأحزاب ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 9] وهم الملائكة وكانوا ألفًا بعث عليهم صبًّا باردة في ليلةٍ شاتيةٍ فأحصرتهم وأبردتهم قالَ النبي ﷺ: نصرت بالصَّبا وأهلكت عاد بالدبور، وسفت التراب على وجوههم وضرب الله عليهم وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد، وقطعت الأصفادَ وأطفأت النيرانَ، وأكفأت القدورَ، وماجت الخيول بعضها في بعضٍ، وقذف في قلوبهم الرعب وكبَّرت الملائكة في جوانب عسكرِهم فقالَ طلحة بن خويلد الأسدي أما محمد فقد بذأكم بالسحرِ فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتالٍ وحينَ سمع رسول الله بإقبالهم ضربَ الخندق على المدينة أشار إليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمينَ فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل الظن ونجم النفاق وظهر من المنافقين حتى قال معتب بن قسره: كانَ محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر أن نذهب إلى الغايط وكانت قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش وهي كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سنين وخرج غطفانَ في ألف ومن تابعهم من أهل

نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر.

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من أعلى الوادي من قبلِ المشرق بنو غطفان ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من قبلِ المغرب قريش تحزبوا وقالوا: ستكون جملة واحدة حتى يستأصل محمد ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قالت عن سننها ومستوى خبرها وشخوصًا عميت عن كل شيء فلم يلتفت إلا على عدوها الشدة والروع ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة وهيَ جمع رأس القصبة، وهيَ منتهى الحلقوم، والحلقوم مدخل الطعام والشراب، قالوا إذا انفتحت الرئة من شدة الفزع والغضب والغم الشديد ورتب القلب وارتفع بارتفاعِها إلى رأس الحنجرة ومن ثمة قيلَ للجبان انتفخ نحره، ويجوز أن يكون مثلًا في الاضطراب القلبي ووجنتها وإن لم يبلغ الحناجر حقيقة ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: 10] خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبّت القلوب والأقدام والضعاف القلوب الذينَ هم على حرف واحدٍ والمنافقونَ الذينَ لم يوجد الإيمان إلا باللسانَ فظن الأولون باللّهِ أنه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الذلل وضعف الاحتمال، وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم وظن المنافقونَ بأن المسلمينَ يتناصلونَ.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إشارة إلى أمر الأحزابِ ونصبها ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 11] من شدة الفزع.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف إيمان ونفاق ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12] وعدًا باطلًا، قائله معتب بن قسر قالَ يعدنا

محمد بفتح فارس والروم وما هو إلا وعد غرور.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ هم أوس بن قبطي ومن وافقه على رأيه أو عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ اسم المدينة أو اسم أرض وقعت المدينة في ناحية منها ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بفتحِ الميم أو ضمها أي لا قرارَ لكم هاهنا ولا مكانَ تقيمونَ فيه أو تقومونَ ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلى المدينة وأمروهم بالهرب قيلَ قالوا لهم فارجعوا كفارًا وأسلموا محمدًا وإلا ليست يثرب بمكان لكم ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ للرجوع حال كونهم يقولون ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة أن يعبدونَ ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ بل هي حصن حصينة ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: 13] من القتالِ والمحاربة.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ أي المدينة أو بيوتهم من العساكِر ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أطرافِها أو جوانبها وحذف الفاعل للإيماءِ بأن دخولَ هؤلاءِ المتجرئون عليهم ودخول غيرهم من العساكِر سيانِ في اقتضاءِ الحكم المرتب عليه ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟﴾ عن ذلك الفزع وتلك الرجعة ﴿لَءَاتَوْهَا﴾ الرجعة ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ الردة والرجعة إلى الكفرِ، ومقاتِلة المسلمينَ وقرئ لآتوها أي لأعطوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ﴾ أي بالفتنةِ وما ألبثوا إعطاءَها ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: 14] ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو ما لبثوا بالمدينة بعدَ ارتدادِهم إلا يسيرًا فإن يهلكهم والمعنى أنهم يتعللون بإعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسولُ اللّهِ ﷺ والمؤمنين وعن مضافة الأحزاب الذينَ ملؤوهم هولًا ورعبًا هؤلاء الأحزاب كما لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر ولو قيلَ لهم كونوا على المسلمين لسارعوا إليه وما تعللوا بشيء وما ذلك إلا لمقتهم وبغضهم الإسلام وشدة عداوتهم لأهله وحبهم الكفر الفسوق والعصيان وتهالكهم على حربه.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل ظهور الفتنة واللبث فيها، ورسوله عطف على اللَّهِ، قيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالًا لقاتلنا فيه ﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ﴾ ولا يظهرونَ الإدبارَ عن الفرار عن الزحف ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الأحزاب: 15] مطلوبًا.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ﴾ عن القتالِ ﴿إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ ولا تنتفعونَ بالتأخير عنه وإنَّ ذلك التمتع والانتفاع لا يكون ﴿إِلَّا﴾ زمانًا ﴿قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 16] عن بعض المراونية أنه مر بحائط مائل فأسرع في المشي فتليت له هذه الآية فقال نحن نطلب ذلك القليل.

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وقهره وشدة بطشه وغضبه ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 17].

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ والمناصرين المتبطرين ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ لدى الانتهاء للقتالِ ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ﴾ وسارعوا إلينا عن رسول اللَّهِ ﷺ وهم المنافقونَ الذينَ كانوا يقولون لإخوانهم من ساكِني المدينة من أنصار رسول اللَّهِ عليها ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحمًا لالتقمهم أبو سفيان وأصحابه فخلوا و﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ﴾ أي سارعوا وقربوا أنفسكم إلينا وإنما سوى فيه بينَ الواحدِ والجماعةِ هذا عندَ أهل الحجاز، وأما تميم فيقولونَ هلم يا رجل وهلموا يا رجال ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 18] أي أزمانًا وإتيانًا قليلًا.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ جمع الشح وهو البخل أي بخلًا عليكم بالمعاملة والنفقة في سبيل اللَّهِ أو الطعن، نصبه على الحال، منه فاعل يأتونَ أو المعوقينَ أو على الذم ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ لفظ المغشي عليه أو كدوران عينه ومشبهين بعينه ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ وجرت الغنائم وجمعت وقعتِ القسمة نقلوا ذلك الشح بتلك الصفة والرقرقة عليكم إلى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الأولى واجترؤوا عليكم ﴿سَلَقُوكُم﴾ ضربوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ نصبها على الحالِ أو الذم وليس بمكرر بلا فائدة لأن كلًّا منهما مفيد بوجه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ بالإخلاصِ وصميم القلب ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباط وإفشاء ما في صدورهم ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: 19] إشعار بأنَّ الإحباط المذكور أمر تدعو إليه الدواعي ولا يصرف عنهم صارف.

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ ولم ينهزموا ولم ينقلبوا ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ كرةً ثانيةً عداوةً بالمسلمينَ ﴿يَوَدُّوا۟﴾ يحبوا ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ﴾ أي تمنوا بأنهم لم يتوجهوا إلى عداوة المسلمين وقصد محاربتهم بل كانوا خارجين عن البدو وداخلون ﴿فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ﴾ أي الأحزاب كل قادم من جانب المدينة ﴿عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ وعن أخبار ما جرى ما بينكم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم﴾ اي المنافقين داخلين ﴿مَّا قَٰتَلُوٓا۟﴾ بالأعداء وبمخالفة المسلمين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 20] إلا بقلة ورياء وسمعةٍ ولم يكن المخلص بينهم إلا نفرًا قليلًا.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ خصلة ﴿حَسَنَةٌ﴾ وعادة سنية وقدوة مستحسنة وهيَ التثبت والصبر والتمكن في الحرب كما تثبت في حرب يوم أُحد حتى كسرت رباعيته وشج وجهه فعليكم بالتأسي به الاقتداء فيما هوَ فيه من سائر الأسوة الحسنة ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ﴾ وحسن جزاء وثواب ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21] وذكرًا غفيرًا.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ أشار إلى مدح المؤمنين المخلصين وبيان علو شأنهم وكمال التأسِي والاقتداءِ بمن آمنوا وبما جاءَ وبمن أرسلَ ﴿قَالُوا۟﴾ على سبيل علم اليقين بل عين اليقين ﴿هَٰذَا﴾ المشار إليه ﴿مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: 22] أي الأمرِ الذي وعدنا الله بما يعول عليهم وهو قوله ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ﴾ [البقرة: 214] الآية رسوله حيث فإنا سنشيد الأمرَ باجتماع الأحزاب عليكم والعافية لكم عليهم، وأيضًا قال إنهم سائرونَ إليكم بعدَ تسعٍ أو عشر أي في آخر تسع ليال أو عشرٍ، فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد إيماء إلى الخطب والبلاء ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ باللَّهِ وبمواعيدِه ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 22] لقضاياه وأقداره وأحكامه.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ﴾ قد نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حربًا مع رسول اللَّهِ تبينوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيدالله وسعيد بن زيد وعمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمرو وغيرهم ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ ووطره يعني الموت المتمنى بأن قالَ حتى استشهد وهو حمزة ومصعب وأنس بن النضر ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ﴾ [الأحزاب: 23] الشهادة

كعثمان وطلحة ﴿وَمَا بَدَّلُواْ﴾ العهدَ والنذرَ والوعدَ ﴿تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23].

﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ روي أن طلحة ثبت معَ رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيبَت يده فقال رسول الله ﷺ أوجب طلحة وفي تعريض لمن بدلوا من أهلِ النفاق ومرض القلوب جعلَ المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصدَ الصادقونَ عاقبة الصدق كما في درجة الشهادةِ ونعيمها ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بأسوءِ العذاب ﴿إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ هذا تعليل للمنطوقِ وللغرض به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ للمؤمنين عفوًّا عنهم إن جرى منهم جرائم ﴿رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: 24] للكافرينَ إن تابوا ورجعوا.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ متعظين ﴿لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ﴾ غير صاغرين وهما حالان يتداخلان ويتعاقبانَ ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: 25] بالريح والملائكة والجنود الإلهية.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الأحزاب: 26] أي عاونوا الأحزاب وعاضدوهم ولشوكة الدين وهي مختلفة التي في ساقه لأنه يتحصبن منها روي أن جبرائيلَ عليه السلام أتى رسول الله ﷺ صبحة الليلة التي انهزم الأحزاب ورجع المسلمونَ المدينةِ ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرسِ وعلى السرج قالَ: ما هذا يا جبرائيل؟ قال: من متابعة قريش فجعل رسول الله يمسح الغبارَ عن وجه الفرس وعن سرجه فقالَ: يا رسول الله إن الملائكة لم تضع السلاحَ إنَّ الله يأمرك بالسير إلى قريظة وأنا عائد إليهم فإنَّ اللَّهَ تعالى داقُّهم دق البيض على

الصفا وإنه لكم طعمة فإذا هم في الماء فقال: إن من كانَ سامعًا مطيعًا فلا يصلِّ العصرَ إلا في بني قريظة فما صلى كثير من الناسِ العصرَ إلا بعدَ العشاءِ الأخيرة لقول رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسًا وعشرينَ ليلةً حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله ﷺ: ينزلونَ على حكمي فأبوا فقال سعد بن معاذ فرضوا به فقالَ سعد: حكمت فيهم أن يقتل مقاتلهم ويسبى ذراريهم ونسائهم فقال النبي ﷺ: لقد حكمتَ بحكم الله من فوق سبع أرقِعةٍ ثم أسراهم وخندق في سوق المدينة خندقًا وقدمهم وضرب أعناقهم من ثمانمائة إلى سبعمائة وقيلَ كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ خوف ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: 26] بضم السين روي أن رسول الله ﷺ جعَل عقارهم للمهاجرينَ دونَ الأنصار فقالت الأنصار في ذلك فقال عمر: أما تخمس كما خمست يوم بدر قالَ: لا إنما جعلت هذه لي طعمةً دونَ الناسِ قالَ: رضينا بما صنع الله ورسوله.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

الجزء الثاني والعشرون: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: 27] يعني فارس والروم أو كل أرض تفتح إلى يوم القيامة قيلَ المراد لنسائهم مجاهد أرادت نساء النبي ﷺ شيئًا من الدنيا من الهيئات وزيادة نفعه ويغايرن فعم ذلك رسول الله ﷺ فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها وقد كانت أحبَهنَّ إليه فخيرها وقرأ عليها القرآنَ باختيار الله ورسوله والدار الآخرة، فرؤي الفرح في وجه رسول الله ﷺ ثم اختارت جميعهن ما اختارت فشكر الله ذلك لهن.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ

﴿ٱللَّهَ أَعَدَّ﴾ [الأحزاب: 28 - 29] وهيأ ﴿لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 29] في الآخرة وهو لقاء الله ورضاؤه ورضوانه.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ﴾ معصيةٍ كبيرةٍ ﴿مُّبَيِّنَةٖ﴾ ظاهرةً ومظهرة نفسها بنفسها إفشاء بين الخلقِ ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ وكون ما قبحَ من سائر النساء كانَ أقبح منهن وأقبح من غيرها أي لأن زيادة قبح المعصية زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النقمةِ على المعاصي وليس لأحد من النساءِ من فضل نساءِ النبي وكون الجزاء ثوابًا وحسنًا تتبع الفضل وكون الجزاء عقابًا تتبع كونَ الفعلِ قبيحًا، فمتى ازدادَ الفعل والفضل ازداد العصيان قبحًا، ومتى ازداد العصيان قبحًا ازدادَ العذاب شدةً ونار العذاب حدةً، ولذا فضل حد الأحرار على حد الأرقاء والعبيد التي تشابه البهائم والحيوانات العجم في البيع والشراء، وكذا الكافر في حكم البهائم حتى أن أبا حنيفة وأصحاب لا يرونَ الرجم على الكافِر إذ مناط التكليف الشرعي هوَ العقل المتحد ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ التعذيب والتضعيف من حيث إنهن أزواج النبي ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ [الأحزاب: 30].

﴿۞وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١﴾

﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ﴾ ويطبَع من القنوتِ وهو القنوتُ الطاعة ﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ﴾ عملًا ﴿صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾ قياسًا على العذاب وضعفه ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾ [الأحزاب: 31] لأن الأطراف والأضداد والمرتبة على أمر واحدٍ باعتبار الموضعين المتباينين المتساويين لا بدّ وأن تكونَ متساوية.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ﴾ [الأحزاب: 32] أي كجماعة واحدة ﴿مِّنَ﴾

جماعات ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ أي إذا نقضت آية النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة يساويكنَّ في الفضل والسابقة ومثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحُجرَات: 15] أو لم يفرقوا بينَ أحد منهم تسوية بينَ جميعهم وإنهم على الحقِّ المبين ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ أي أردتن التقوى والحذر عن غضب اللَّهِ وثوران سخطه ووفور قهره وانتقامِه وسقطه وإن كنتن مبقياتِ ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ فالجأنَّ ما بقولكن خاضعًا لينًا خاضعًا ووهنًا على وهنٍ مثل كلام المريضات ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي فجور وريبة، وشيك منصوب لكونه في جواب أحدِ الأشياء الستة وقرئ بالجزم عطف على محل فعل النهي على أنهن نُهِينَ عن الخضوع بالقول ونهي مريض القلب عن الطمع، كأنه قيلَ لا تخضعن فلا تطمع ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 32] بعيدًا عن الطمع بحد وخشونة من غير تحثيث وتحريض أو قولًا حسنًا مع كونه خشنًا.

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَقَرْنَ﴾ أمر من قريقر من باب علم وأصله أقررن فحذفت الراء الأولى وألقيت فتحتها على ما قبلها كما في قولك ظلن أو من قار يقار إذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارًا إذا ثبت واستقر، ويحتمل أن يكون من قارَ يقار ومنه القارة لاجتماعِها ﴿فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ ولا تسكن في البروجِ والبناءِ الرفيعة أي ولا تكلمن ولا تحدثن بالتبرج والتعظيم ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وهما القوم التي ولدَ فيها إبراهيم الخليل عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيلَ ما بينَ آدم ونوح عليهما السلام وقيلَ ما بين إدريس ونوح أو من داود وسليمان، والجاهلية الأخرى هيَ بينَ عيسى ومحمد، ويجوز الجاهلية الأولى الكفر قبلَ الإسلام، والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام أي لا تبرج في الإسلام تشبّهن به بأهل جاهلية الكفر ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبة والسنن المزبورة ﴿وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأحزاب: 33] من المواشي السائمة والنقود والحبوب البالغة بالنصاب

﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي أهل بيت رسول الله ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33] ثم بين ما نهاهن وأمرهن ونصحهن ووعظهن لئلا يقاربَ أهل بيت رسول الله ﷺ الإثم وليتقون بالتقوى واستعارَ للذنوب الرجسَ وللتقوى الطهرَ، لأن غرض المعنى للمتجانب يتلوث بها أو يتدنس كما يتلوث بدنه بالأرجاس وفي هذه الآية من الاستعارة ما ينفر أولو الألباب عما كرهه لعباده ونهاهم عنه وترغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به، ونصب أهل البيت إما على النداءِ أو على المدح يدل على أن نساء النبي من أهل بيته.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ واقرأن ما يوحى في بيوتكن ومساكنكن لأنها مهابط الوحي ومساقط الفيض الرباني، وأمرهن أن لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بيناتٍ يدل على صدق النبوة لأنه معجزة نظامه وشرائع ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ بمعانيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 34] في ذاته وأسمائه وصفاته خبيرًا في أفعالِهِ وآثاره ظاهرًا وباطِنًا يعلم ما ينفعكم ويصلح لكم في دينكم ودنياكم وبمن لنبوته يصلح وبكمال عنايته يفلح وعلم أن الكلام ينزل بحسب المصالح منجمًا ومفصلًا ومجملًا.

روي أنَّ أزواج النبي ﷺ قلنَ: يا رسول الله إن الله ذكر الرجال في القرآن بخير أفينا خير نذكرنه إنا نخاف أن لا ينال منا طاعة، السائلة أم سلمة، روي أنه لما نزلَ في نساءِ النبي ﷺ ما نزل قالت نساء المسلمين أما نزلَ فينا شيء فنزلت:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: 35] المسلم من دخل في السلم بعدَ

الحرب وهو المنقاد الذي لا يعانده، أو المفوض أمره إلى اللَّهِ المتوكل عليه من أسلم وجهه إلى اللَّهِ ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ والمؤمن هو المصدق باللَّهِ ورسوله وبما جاء به وبما يجب أن يصدق به ويذعن ويقبل ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ القانت القائم بالطاعةِ المواظب على ما فرضه الله على عبادِهِ ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ الصادق هو الذي يحبس ويثبت نفسه على مرارة الطاعات الشاقة والعبادات الداقة ويصدق في نيته ويحقق في أمنيته ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ والصابر هو الذي يحبس نفسه على الطاعات والعبادات ويثبت على مرارة المجاهداتِ ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ الخاشع هو المتواضِع لله والمنقاد والمتخاشع لأمر اللَّهِ والمطاوع لحكم اللَّهِ بقلبه وجوارحه وغيبه في أطوار كماله ونقصه وعيبه، قيلَ هو الذي إذا صلى لا يعرف من هو في يمينه ويساره.

﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ التصدق هو من صدق في مقتضى إيمانه بما أوجب عليه أن يخرج حق الله مما رزقه الله تعالى من الأموال الظاهرة والباطنة وينفق ويعطي ويتصدق على المستحقين من الأصناف الثمانية المذكورة في باب صرف الزكاة والصدقاتِ قيل: من تصدّق في كل أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين. ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ الصائم من صام رمضان وأيام البيض من كل شهر ثلاثة أيام ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر إشعارًا بأنَّ مبادئ الأفعالِ والأقوال والأحوال الثلاثة القوة الحيوانية والقوة النفسانية التي هيَ المتصرفة في البدن لأن يستعد لقبول الفيض الإلهي والثالثة النفس الإنسانية التي هيَ الروح الإلهي الذي هوَ مظهر التجليات الإلٰهية الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية والصورة الإنسانية ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ وحافظ هو أن لا يتجاوز في المبتغياتِ الشهوية عن الحدّ أو الشرعية في السدّ.

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: 35] والظاهِر من الذكر وإن كان يتناول الخفي والجهر إلا أنَّ المتبادر من بعضِ الآياتِ وهي الأحاديث المراد من الذكرِ هوَ الخفي ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: 205] قالَ النبي ﷺ: «**الذكر الذي لا يسمعه الملائكة يفضل على الذكر الذي يسمعه سبعينَ ضعفًا**» فلا يسمعه ويتكلم به إلا القلب الذي له عينان وأذنان ولسانان لقوله عليه السلام: «**إنَّ للقلب عينين**

وأذنين **إذا أرادَ الله بالعبد الخير فتحهما**». ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ وعفوًا عن هذه الفرق وسترًا على ذنوبهم ومعانيهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35] عوضًا عن طاعاتهم وجزاء لمجاهداتهم وهو شهود التجليات المذكورة والتحقق بها.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾ خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسولَ الله فأنكحها وساق إليها مهرَها ستينَ درهمًا وحمارًا وملحفة ودرعًا وإزارًا وخمسين مدًّا من الطعام وثلاثين صاعًا من تمر.

قيلَ: هيَ أم كلثوم بنت عقب بنت أبي معيط وهي أول من هاجرت من النساءِ ووهبت نفسها للنبي ﷺ قبلت وزوجها زيد فسخطت هي وأخوها وقالا إنما أردنا رسولَ الله فزوجها عبده والمعنى ما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة والاختيارِ، وجمع ضمير المجرور معَ أنَّ حقه المفرد كما يقول جاءني من رجل فلا أفرد إلا من شأنه كذا كذا بناءً على المعنى لا اللفظ لأن وقوعهما في سياق النفي يفيد العموم والخيرة ما يتخير به ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وخالَفَ أمرهما وتخلف عن حكمهما ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 36] ظاهرًا.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام الذي هو أجل النعم وهو قنك لعتقه ومحبته واختصاصه فهو متقلِّبٌ في نِعَم الله ونعمة رسوله وهو زيد ابن حارث ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: 37] ولا تطلقها، والنهي عن

تنزيه لا تحريم لأنَّ الأولى أن لا يطلق وقيلَ أرادَ فاتق اللَّهَ ولا بدّ منها بالنسبة إلى كبرها وأذى الروح ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ في أن تحدث فيك بالطعنِ والتشنيع ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: 37] في كل الأحوال وذلك أن رسول الله ﷺ رآها بعدَ ما نكحها زيد فوقعت في نفسه فقالَ سبحانَ اللَّهِ مقلب القلوب وذلك أن نفسه ﷺ يحض عنها قيلَ ذلكَ لا يريدها ولو أراد بها لخطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرها لزيد وتظن وألقَى الله في نفسِه كراهة صحبتها ورغبة الرسول منها فقالَ لرسول الله: إني أريد أفارقها فقالَ عليه السلام: ما لكَ أرابَكَ شيء منها؟ فقال: لا والله ما رأيتَ منها إلا خيرًا ولكنها يتعظم على شرفها فقالَ له: أمسِك عليك زوجك واتق اللَّهَ.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ ثم طلقها بعد فلما أعتدت قالَ رسول الله ﷺ: ما أجد أحدًا أوثقَ منكَ في نفسي أخطب علي زينب فقالَ زيد: فانطلقت فإذا هيَ تخمر عجينتها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى أستطيع أن أنظر إليها حينَ علمت أن رسول الله ﷺ يخطبكِ ففرحت وقالت: ما أنا بضايعة شيئًا حتى أؤامر ربي فقامت إلى مسجدها فنزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها وما أولَمَ على امرأةٍ من نسائه ما أولَم عليهَا ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ متعلق بزوجناكها وتعليل لهَا في أزواج أدعيائهم وقد عرفت الأدعياء قيلَ هذا إن فاتها معنى التبني من غير ولادة.

﴿فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب: 37] فبالحري أن يعاتب الله ورسوله حتى كتمه وبالغ في كتمه بقوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ وأن لا يرضى له إلا اتحاد الضمير والظاهِر والثباتِ في مواطنِ الحقِّ حتى يقتدي به المؤمنونَ فلا يستجيبوا من المكافحة بالحقِّ وإن كانَ الأمر كما قلت وتخفي وتخشى الناس والله أحق للحال أي تقول لزيد: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ مخفيًا في نفسك إرادة أن لا يمسكها وتخفى جانبًا، قال الناس ويخشى حقيقًا في ذلك ما يخشى الله والعطف كأنه قيلَ ولا يجمع بينَ قولكَ أمسك وإخفاء خلافه، وخشية الناسِ والحق أن تخشاه حتى لا يفعل مثل ذلك إذا بلغ حاجته من شيءٍ له فيه تتمة قوله فلما قضى منها وطرًا المعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقرأ أهل البيت زوجناكها ومرة أهل

البيت قرأه الحسن بن علي رضي الله عنهم وقرأ علي على رسول الله ﷺ كذلك.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: 37] جملة اعتراضية يعني وكانَ أمر الله الذي يريد أن يكونَه مفعولًا مكونًا لا محالةَ وهو مثل لما أرادَ كونه من تزويج رسول الله ﷺ زينب ومن نفي الحرج عن المؤمنينَ في إجراء أزواج المتبنين مجرى أزواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علاقة الزواج بينهم وبينهن فيجوز أن يراد بأمرِ الله المكون لأنه مفعول بكن وهوَ أمر اللّهِ.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ﴾ قسم له وأوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا. ومنه فروض العسكر لرزقاتهم ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربًا وجندلًا مؤكد لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ﴾ كأنه قيلَ سن الله ذلكَ الأمرَ سنة في الأنبياءِ الماضين وهو أن لا يحرج عليهم في الإقدام على ما أباح الله لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره، وقد كانت تحتهم المهائر والسراري وكانَ لداودَ عليه السلام مائة امرأةٍ وثلاثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة وسبع مائة ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: 38] أي قضاءً مقضيًّا وحكمًا منويًّا.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ تعريض بعدَ تصريح ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: 39] كافيًا مُحاسبًا على الصغيرة والكبيرة من مثلِه.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: 40] أي لم يكن أبا رجل واحدٍ منكم على الحقيقة حتى يثبت عنه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر

والنكاح ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 40] يعني لو كانَ له ولد من النكاحِ بالِغ مبلغ الرجال لكانَ نبيًّا فلم يكن خاتم النبيين كما روي إنه قالَ عليه السلام في ولده إبراهيم حين توفي لو كان عاش نبيًّا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ۝٤١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 41] أي بضروب الثناء من التقديس والتسبيح والتمجيد والتحميد والتنزيه.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: 42] أو في كافة الأوقاتِ قال رسول الله ﷺ: «**اذكروا الله على فم كل مسلمٍ وروَى في قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحانَ اللَّهِ ولا إلهَ إلا الله ولا حولَ ولا قوة إلا باللَّهِ**».

عن مجاهد: هذه كلمات اللَّهِ يقولها الطاهِر والجنب، والفعلان ـ أعني اذكروا وسبحوا ـ متوجهان إلى البكرة والأصيلةِ كقولهم صم وصل يومَ الجمعة، والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص جبرائيل وميكائيل من بين الملائكة، لبيان فضله على سائر الأذكار، لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال وتنزيهه من القبائح، ومثال فضله على عشرونَ الأذكار [في] وفصل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي والطهر من أرجاسِ المآثم على سائر أوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على الطاعاتِ كلها والاشتمالِ على العلوم والاشتهار بالفضائل، ويجوز أن يزيد بالذكرِ وإكثاره بكثير الطاعاتِ والإقبال على العباداتِ، فإنَّ كل طاعة وكل خير من جملة الذكرِ، ثم خصَّ من ذلكَ التسبيح بكرة وأصيلًا وهيَ الصلاة في جميع أوقاتها لفضل الصلاة على غيرها أو صلاة الفجر والعشاءين إنَّ أذانها أشق ومراعاتها أشد وأدق.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ عطف على الضمير المستتر بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم ﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الأحزاب: 43] من

ظلماتِ الكفر والجهل والمعصية والبطالة والبعد من مصاحبة أهل الله من نور النور والإيمانِ والعلم والعقائد الحقة ونور الطاعة والاستغناء بما يعنيه فإنَّ البطالة معنى القلب وإلى نور مصاحبة أهل الحقِّ قال النبي ﷺ: «**اصحبوا مع الله فإن لم تستطيعوا فأصحبوا مع من يصحب معَ اللَّهِ ليوصلكم بركاتِ صحبته إلى الله من أسره أن يجلس مع الله فليجلس مع أهل التصوف**» ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 43] أوصلتهم الله إلى مرتبة عين اليقين وحق اليقين ليتم الذكر بأنواعه وإنما استعير من يتعطف على غيره حنوًّا عليه وبروقًا كعائد المريض في العطافة عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعملَ في الرحمة والترفق ومن قولهم صلى الله عليكَ أي ترحم عليكَ وترأف والمراد بالصلاة الشَّرَكُ وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرككم وقيلَ الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلاة المشتملة للانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعائهم ومن المؤمنين الترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة ومن حيث أنهم أجابوا الدعوة.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ إضافة المصدر إلى المفعول أن يحيون يوم القيامة به ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ أي لقائه عند الموتِ أو الخروج عن القبر ودخوله الجنة ﴿سَلَامٌ﴾ إخبار بالسلام عن مكروه وآفة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: 44] أي الجنة ونعيمها.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ أي على من نعت إليهم بتصديقهم وتكذيبهم وهدايتهم وضلالتهم وشقاوتهم وسعادتهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالقول بالجنة ونعيمها ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: 45] بالنار وجحيمها.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَدَاعِيًا﴾ مطابقًا ومذللًا ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ إلى الإقرار به وبتوحيده وبما يجب الإيمان به من الذاتِ والأسماءِ والصفاتِ وإيجابه المكونات وتكوين الكائناتِ ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بتبشيره وإرادته وتسهيله أطلق له من حيث إنه أسبابه وإنما قيَّد به الدعوة لأنه أمر صعب لا يتأتى إلا بمونة من جانب قدسه ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: 46]

يستضيء به عن ظلمتك الجهالة ويقتبس من نوره نور البصائر.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 47] وهو شهود التجليات والتحقق بالأسماءِ والصفاتِ وبهذا يتصل المؤمنونَ الكامِلونَ والعارفونَ الفاضلونَ في درجاتِ الإيمانِ على سائر الأمم.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ باللَّهِ المشركين بهِ ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بأنهم لا يطابق لسانهم بما في جنانهم ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ إهانتهم واستهزاءهم ولا تكن بهم في مقام المجاراتِ والانتقام، وإجراء المفاوضة في معرض المعارضةِ ومطرح المناقضة ومحل المحازاتِ بالمؤاخذاتِ على كفرهم ولذا قيلَ إنها منسوخة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وفوض أمرك إلى الله لأنه يكفيهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: 48] موكولًا إليه الأمر في الأحوال كلها، ولعله تعالى إذا وصفَ الرسول بخمس قابل كلًّا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهدِ وهوَ المراقبة لأن ما بعده كالتفصيلِ وقابل المبشر بالأمر بالبشارةِ المؤمنينَ والتدبير بالنهي عن مراقبة الكفارِ والمبالاة بأذاهم والداعي إلى اللَّهِ بتيسيره بالأمرِ بالتوكل عليه ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: 46] بالاكتفاءِ فإنَّ من أناره الله برهانًا على جميع خلقه كانَ حقيقًا بأن يكتفي به عن غيره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ تجامعوهن وتدخلوا بهن. وعندَ أبي حنيفة الخلوة الصحيحةَ في حكم الدخول ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾ [الأحزاب: 49] أيام ومدة يتربص فيهما بأنفسهن يستوفون عددَها مأخوذ من عددت الدراهم فأعدها، والإسناد إلى الرجال للإبانة، على أن العدة حق الأزواج إذ الغرض منها إبراء الرحِم عن شغل الماءِ، كما أشعر قوله:

﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ إن لم يكن مهر مفروض فالمتعة واجبة عندنا دونَ أبي حنيفة إلا له وحدها دونَ سائر المطلقاتِ وإن كانَ مفروضًا، فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب، وأما الواجب المفروض لها فنصف المفروض لأنه قبلَ الدخول ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ﴾ وأخرجوهن ﴿سَرَاحًا﴾ خراجًا ﴿جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: 49] معروفًا بلا ضرار ولا منع حقٍّ ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لأنه مرتب على الطلاق والضمير لغير الدخول بهنَّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ﴾ أعطيت ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ لأن المهرَ أجر على البضع وتقييد الإحلال بإعطائها معجلة لا يتوقف عليه بل لامتياز الأصلَ له لتقييده خلال المملوكة لكونها مثوبة بقوله وفاء ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾ فإن قلتَ أم قالَ اللاتي أجورهن ومما أفاد ﴿عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: 50] واللاتي هاجرنَ معكَ وما فائدة هذه التحقيقات؟

قلت: قد اختار الله لرسوله الأفضل والأولى واستحبه بالأطيب والأذكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الأثرِ وذلك أن تسمية المهرِ في العقدِ أولى وأفضل من ترك التسمية، وإن وقع العقد جائزًا بدونها وله أن يماسها وعليه مهر المثل إن دخلَ بها، وسوق المهر إن لم يدخل بها عاجلًا أفضل من أن يسميه ويؤجله، وكانَ التعجيل دَيْدن السلف وسننهم، وما لا يعرف بينهم غيره، وكذلك الجارية إذا كانت سبية مالكها وحظيه سيفه ورمحه ومما منحه الله من دار الحرب أجل وأطيب مما يشتري من شق الجلب والسلب على ضربين سبي طيبة وسبي خبيثة ويدل عليه قوله تعالى مما أفاء الله عليك لأن فيء اللّهِ

وغنيمته لا يطلق إلا على الطيب دونَ الخبيث كما أن رزق يجب إطلاقه على الحلالِ لا الحرام، واللاتي هاجرنَ معَ رسول الله ﷺ من قرابته غير المحارم أفضل من غير المهاجرينَ معه وعن أم هاني بنتِ أبي طالب خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزلَ الله هذه الآية فلم اجعلَ له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وأحللنا لكَ ثم وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرًا من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك، ولذلك نكرها واختلف في اتفاقِ ذلك.

عن ابن عباس رضي الله عنه لم يكن عندَ رسول الله أحد منهن بالهيبة قبلَ الموهوبات أربع: ميمونة بنت الحرث، وزينب بنت خوخة، أم المساكين الأنصارية، وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم قرئ أن وهبت بالشرطِ.

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ ويحتمل تقييد الحل بذلِكَ في حقيقة خاصةٍ ويعاضده قول أم هاني خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ نصبت بفعل يفسرها ما قبله وعطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد لأن ﴿إِن﴾ هي للاستقبال فإنَّ المعنى بالإحلال ما يحل أي أعلمناكَ حلَّ امرأة مؤمنة تهبك نفسها ولا تطلب مهرًا إن اتفق، ولذلكَ نكرها وأحلن في اتفاق ذلكَ والقائل به ذكر أربعًا وهيَ التي ذكرت، والعدول عن الخطاب إلى الغيبة في قوله نفسها للنبي للإيذان بأنه مما خص به وأوثر مجيئه على أحقية النبي أي دلالة على أن للاختصاصِ تكرمة له لأجل النبوة وتكريره تفخيم له وتحقيق لاستحقاقِه الكرامة لنبوته الذاتية التي استحق بها لأن كان أب الأنبياء واستنكاحها طلب النكاحِ والرغبة فيه، وقد استشهد به أبو حنيفة رحمه الله على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله ﷺ وأمته سواء في الأحكام إلا فيما خصّه الدليل، وقال الشافعي: لا يصح وقد خصَّ رسول الله بمعنى الهبة ولفظها جميعها لأنَّ اللفظ تابع للمعنى، وقد خص عليه السلام بالمعنى فقد خص باللفظ، والمدعى للاشتراك في اللفظ يحتاج إلى دليل، قيلَ يجوز عقد النكاحِ بالإجارة لقوله: ﴿ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ وفيه ما فيه لأنَّ الإجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبّد فهما متنافيانِ.

﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ [الأحزاب: 50] شرط للشرط الأول في استحباب الحل فإنَّ هبتها نفسها منه لا يوجب له حلها إلَّا بإرادته نكاحَها فإنها جارية

مجرى القبول ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ نصبها لكونها صفة للمرأة أو حال من ضمير وهب أو صفة مصدر محذوف قرئ بالرفع على أنها المبتدأ المحذوف أي هذه المرأة خالصة لكَ من دونهم ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ أي من شرائط العهدِ ووجوب القسم والمهر في الوطي حيث لم يقسم ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ والجملة اعتراضية بينَ قوله ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ متعلقة بخالصة للدلالة على أنَّ الفرق بينه وبينَ المؤمنينَ في نحو قولك لا بمجرد قصد البر أصبح عليه بل بمعنى يقتضي التوسع عليه والتضييق عليهم تارة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: 50] أو عفوًّا عما ارتكبوا في المناكحاتِ من ترك المهور وتسميتها، رحيمًا بالتعطف والترأف لديهم. روي أنَّ عائشة رضي الله عنها قالت: إني أرى ربكَ يسارع في هواكَ ويبادر في رأيك.

﴿ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾

﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ﴾ أي تؤخر من تشاء وتريد وتترك مضاجعها ﴿مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ﴾ أي تضم، يعني تترك وتؤخر مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع وتضم ﴿مَن تَشَآءُ﴾ [الأحزاب: 51] وتمسك من تشاء وتطلق من تشاء، عن الحسن رضي الله عنه كانَ النبي ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها، وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لأنه إما أن تمسك أو يطلق وإذا أمسك ضاجعَ أو ترك وقسم أو لم يقسم وإذا أطلق وعزل فإما أن يخلي المعزولة لا يبتغيها ولا يطلبها أو يبتغيها ويطلبها، روي أنه أرجأ منهنَّ سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة كانَ يقسم لهن ما شاء وكانت ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خمسًا وآوى أربعًا. روي أنه كان يسوي معَ ما أطلق له وخير فيه إلا سودة فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ وطلبت ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ﴾ التفويض والتبديل إلى مشيئتك ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ وأقرب ﴿أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ أي إلى قرار عيونهن وتقرر أبصارهم ﴿وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ﴾ [الأحزاب: 51] أي قلة حزنهن ورضائهن جميعًا لأنه إذا سوى

بينهن في الإيواء والإرجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لإحداهنَّ مما تريد مثل ما للأخرى وعلمن أنَّ هذا التفويض إنما هوَ عندَ اللَّهِ تعالى وتوجيهه واطمأنت نفوسهن وذهب التشاقق والتغاير وحصلَ الرضا وقرت العيون وسلت القلوب ﴿بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من الإخلاصِ والتواطؤ والتصافي والتطابق ورضا رسول الله والتوافق وما فيه من طيب نفسه وغير ذلكَ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما في قلوبكم وصدوركم ونفوسكم من صور الأعمال والأفعال والنياتِ والأمنياتِ والأحوالِ ﴿حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 51] حكيمًا حاكمًا وموافقًا ومطابقًا لما في نفس الأمر من المقدراتِ.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ أي بعدَ التسع الذي هو من أنصاب أزواج النّبي، كما أن الأربع نصاب أزواج أمته فلا يحل لهم أن يتجاوزوا النصاب ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ أي حسن الأزواج المبدلة وهو حال من فاعل يتبدل دونَ مفعوله، وهوَ من أزواج لتوغله في النكير والإبهام، واختلف في إنها محكمة أو منسوخة، بقوله يرجى من نسائهنَّ ويودي إليكَ من يشاء على المعنى الثاني، فإنه وإن تقدَّمها قراءة فهو مسوق بها نزولًا أن يستبدل بهؤلاء التسع أزواجًا أخر بكلهن أو بعضهنَّ التي أراد الله تعالى لهنَّ كرامة وجزاء على ما اخترنَ ورضينَ، فقصر رسول الله ﷺ وهوَ التسع اللّاتي مات عنهنَّ: عائشة بنت أبي بكر، حفصة بنت عمر، أم حبيبة بنت أبي سفيان، سودة بن زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وصفية بنت حيي الخبرية، وميمونة بنت الحرثة الهلالية، زينب بنت جحش الأسدية، جويرية بنت الحارث المصطلقية من فيء من أزواج لتأكيد النفي، وفائدتها إستغراق جنس الأزواج بالتحريم، وقيلَ معناه لا يحل لك النساء من بعدِ النساء اللّاتي نص إحلالهن لك من الأجناسِ الأربعة ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ استثناء من النساءِ لأنه يتناول الأزواجَ والإماءِ وقيلَ منقطعٌ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: 52] يحفظ أمركم وما يحيط من علمه وحكمه ما حلّه لكم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ أي في وقت الإيذانِ والمأذونِ لكم ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ معلق بيؤذن لأنه متضمن معنى يدعى للإشعارِ بأنه لا يحسن الدخول على الطعامِ من غير دعوة وطلب وإن أذنَ كما أشعرَ به قوله ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ [الأحزاب: 53] غير منتظرينَ وقت الإذنِ حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقتِ والحال معًا كأنه قيلَ لا تدخلوا بيوت النبي إلا وقتَ الإذنِ، ولا تدخلوها إلا غير ناظرينَ، وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول اللّهِ فيدخلونَ ويقعدونَ منتظرينَ لإدراكِه، ومعناه لا يدخلونَ هؤلاء المتحينونَ للطعام إلا أن يؤذنَ لكم إلى طعام غير ناظرينَ إناه وإلا فلو لم يكن لهؤلاء مخصوصًا لما جازَ لأحدٍ أن يدخل بيوت النبي إلا أن يؤذنَ له إذنًا خاصًا هو الإذن إلى الطعامِ فحسب.

قرئ (غير ناظرينَ) مجرورًا صفة لطعام وليس بوجه لأنه حوى غير ما هوَ له، فمن حق ضمير ما هوَ له أن يبرز إلى اللفظ فيقال غير ناظرينَ إناه أنتم كقولك هند زيد ضاربته هي، وأنى الطعام لإدراكه يقال أنى الطعام إنًا كقولك قلاهِ قلا ومنه قوله تعالى: من حميم آنٍ بالِغ إنًا. روي أن رسولَ الله ﷺ أولَم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أن يدعو بالناسِ فترادفوا أفواجًا يأكل فوج فيخرج فيدخل قوم إلى أن قالَ يا رسولَ الله دعوت حتى ما أجد أحدًا أدعوه فقالَ: ارفعوا طعامكم، وتفرق الناس، وبقي ثلث نفر يتحدثونَ فأطالوا فقام رسول الله ﷺ ليخرجوا فانطلق إلى حجرة عائشة فقالَ: السلام عليكم يا أهلَ البيتِ فقالوا: عليكم السلام يا رسولَ الله كيف وجدتَ أهلكَ؟ فطاف في الحجراتِ فسلَّم عليهنَّ ودعونَ له ورجع فإذا الثلاثة جلوس

خرجوا يتحدثونَ وكانَ رسول الله ﷺ شديدَ الحياءِ فتولّى، فلما رآه متوليًا خرجوا ونزلت ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟﴾ في المواضِع المدعو إليه ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾ في ذلك الأمرِ المدخول فيه ﴿فَٱنتَشِرُوا۟﴾ وأفرجوا وتفرقوا منه ولا تسكنوا فيه، فإنه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فدخلوا واستطعموا وقعدوا وجلسوا وأطالوا الجلوسَ وهم قد أمروا بأن لا يدخلوا إلا بالإذنِ ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ﴾ نهوا عنه أن يطلبوا الجلوسَ ليستأنس بعضهم ببعض لأجل ﴿لِحَدِيثٍ﴾ يحدثه به أو عن أن يستأنسوا حديثَ أهلِ البيتِ واستثناء تسمعه وتوحشه مجرور عطف على ناظرينَ أو منصوب بفعل مقدر أي لا تدخلوا ولا تسكنوا مستأنسين لحديث ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ الحديث وإطالته ﴿كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ ويضيق المنزل عليه وعلى أهل بيتِه واشتغاله بما لا يعنيه ﴿فَيَسْتَحْىِۦ﴾ الرسول ﴿مِنكُمْ﴾ من إخراجكم بقوله بأن يأمركم بالخروج عنه ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي من الأمرِ بالخروج الذي هوَ الأمر الثابت على قانون الشرع وقاعدة العرف والعادة أي لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيّ منكم، وهذا أدب أدّب الله العقلاءَ عن عائشة رضي الله عنها حسبك في [هؤلاء] إنَّ اللّهَ لم يحتملهم وقالَ: إذا أطعمتم فانتشروا ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ إنما الأمرَ الضروريَّ والحي والصوري أعني ﴿مَتَٰعًا﴾ أي حاجة ينتفع بها فاسألوهنَّ والضمير المؤنث لأزواج النبي.

كانَ عمر رضي الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهنَّ محبةً شديدةً وكانَ يذكره كثيرًا ويودّ أن ينزلَ فيهِ قالَ: يا رسولَ الله يدخل عليك البار والفاجر فلو أمرتَ أمهات المؤمنين بالحجابِ فنزلت. روي أنه مرّ عليهنَّ وهن معَ النساءِ في المسجدِ فقالَ لهن: احتجبنَ فإن لكنَّ على النساء فضلًا كما أن لزوجكن الفضل على الرجال فقالت له زينب: يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا إلا يسيرًا حتى نزلت.

وقيلَ: أنَّ رسول اللّهِ ﷺ كانَ يطعم معه بعض أصحابه فأصابت بيد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي ﷺ فنزلت: ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ مانِع من مشاهدتهنَّ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ السؤال من وراءِ الحجاب ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطِر النفسانية والهواجِس الشيطانية﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ وما صح لكم ﴿أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ وأن تقولوا ما يكرهه صورةً ومعنىً ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ﴾ أي أزواج النبي لأنه أب أمته وأزواجه أمهاتهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: 53] أي بعدَ

وفاتِه أو فراقه ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ الإيذاء والفراق ﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 53] تعظيمًا من اللَّهِ لرسوله أو إيجاب حرمته حيًّا وميتًا وإعلامه بذلِكَ مما ضنت به نفسه وسر قلبه واستفز سره فإن نحوَ هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلي فكره.

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا﴾ كنكاحِهِنَّ على ألسنتكم ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في صدوركم مما يكره إفشاؤه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 54] يعلم ذلك فيجازيكم في الدنيا والآخرة.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ استئناف لمن لا يحب الاحتجابَ عنهم روي أنه لما نزلت آية الاحتجاب قال: الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أَوَ نكلمهنَّ أيضًا من وراء حجابٍ وإنما قالَ: الأبناء ولم يذكر العمَّ والخالَ لأنهما بمنزلةِ الوالدينِ ولذا سمى العم أبًا في قوله: وإلٰه آبائك إبراهيم وإسماعيلَ وإسحاق أو لا يرى الاحتجابَ عنهما مخافة أن يضعهما الأبناء ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني النساء المؤمناتِ ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ من العبيد والإماءِ ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ أمر من الافتعال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ السر والعلن وظاهِر الحجاب وباطنه ﴿شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: 55] حاضرًا حاكمًا بإثباتِ الأحوالِ الظاهرة والباطنة فلا يتفاوت في علمه الجليّ والخفي والصغير والكبير والعظيم والحقير.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ أي يرحم الله النبي وتستغفر الملائكة له وحث الله تعالى البشر أن يدعو له ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأحزاب: 56] وأذعنوا

بأحكام الله وأقبلوا على كل ما جاء من اللَّهِ بذريعة النبي إليهم وإلينا ﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ وادعوا له واستغفروا له، وليس دليل له على أنَّ اللفظ المشترك يجوز أن يقصدَ به المعاني المتغايرة في آنٍ واحدٍ وزمانٍ متحد، ويكون في الكل حقيقة لأنه موضوع للكل ﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56] أي قولوا السلام عليكم يا رسولَ اللَّهِ والمراد من التسليم الدعاء بالسّلامةِ في بدنه ونفسه عن كل ما يخالف ظاهر الشريعة، ومن الصلاة الدعاء للعبدِ عن كل ما يشغل القلب والسر عن ذكر الله والتوجّه إليهِ وعن عبادته وطاعته، وحقيقته عن الاتصال بحقيقة الحقائق والاتخاذ بها والتحقق بها وبتمام أسمائه وصفاته هذا هو دين الحق كما أشارَ إليه أن الدينَ عندَ اللَّهِ الإسلام، ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى: 13]، الآية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ويخالفونَ الله وأوامره ورسوله ومتابعته ويرفضونَ حدودهم ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وسخط عليهم ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: 57] واعلم أن الصلاة على النبي في التشهد شرط لصحة الصلاة عندَ الشافعي، وفي غير الصلاة واجب على كل أحد من المؤمنين مرة واحدةً في عمره، وأما على غيرِ النبي هل هيَ جائزة أم لا، فالقياس مرخص لقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: 43]، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: 103] وغير ذلك من الآياتِ.

وفي الحديثِ: «**اللهم صلِّ على آل أبي أوفى**».

وقد فصّل العلماء وقالوا إن كانت على التبعية كقولك اللهم صلِّ على محمد وعلى آلهِ وأصحابه فلا كلامَ في جوازها، وإن كانت على الانفرادِ من أهل البيتِ فمكروه لأنَّه من شعائر الرافضة والاقتداء بهم يوجب الاهتمام بالرفض والبدعة والخروج عن حيطة السنة والجماعة والبعدِ عن طريق أهل الله، قالَ النبي ﷺ: «**من كانَ يؤمن باللَّهِ واليومِ الآخِر فلا يقف مواقف التهم**»، وقالَ أيضًا: «**اتقوا مواضع التهم**».

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ بغير جناية توجب الأذية واكتساب جناية ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 58] ظاهرًا نزلت في ناسٍ من المنافقين يؤذونَ أميرَ المؤمنين عليًّا عليه السلام ويسمعونه وقيلَ في الذين أفكوا على عائشة وقيلَ الزناة الذين كانوا يبتغونَ النساء وهنَّ كارهاتٍ، وعن الفضيل في الإنجيل أنه لا يحل لك أن تؤذي كلبًا أو خنزيرًا بغير حق، فكيف لأفراد الإنسانية والآحاد من البشرية. وكانَ ابنَ عون لا يكري الحوانيتِ إلا من أهلِ الذمة لما فيه من الردعةِ عندَ كر الحول.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ يرخينها عليهنَّ ويغطين بها وجوههنَّ وأعطافهنَّ يقال: إذ زال ثوبك عن وجهك أو زالَ الغطاء عن الوجه أو عن وجه المرأة أدني ثوبك على وجهك أي رده عليه وذلك أن النساء كنَّ في أول الإسلام على هجير أهل في الجاهلية متبذلاتٍ يبرزن في درع وخمارٍ لا فصلَ بينَ الحرة والأمة وكانَ الفتيان وأهل الشطارة يتعرضونَ إذا خرجنَ باللَّيل إذ تقضي حوائجهن في النخيل والغيطان للإماءِ، وربما تعرضوا للحرة بعلة الأمة يقولونَ حسبناها أمة فأمرن أن يخالفن في زيهن عن زي الإماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤوسِ والوجوه ليتحشمن ويهبن فلا تطمع فيهنَّ طامعٌ وإليه الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ الزي والستر الذي تتميز به الحرة عن الإماءِ ﴿أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾ [الأحزاب: 59] أي أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهنَّ ولا يلقينَ ما يكرههن ومن للتبعيض يحتمل وجهين، أحدهما: أن يتجلببن ويسترنَ ببعض ما لهنَّ من الجلابيب وهي الستور والمراد أن لا تكونَ الحرة متبذلة وملفوفة في درع وخمارٍ كالأمة الماهنة ولها جلبابان فصاعدًا في بيتها، والثاني أن ترخي المرأةُ بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة قيلَ هو أن تضعَ

رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها أو تغطي إحدى عينها وجبهتها والشق الآخر إلا العين أو يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الإدناء ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لأن هذا مما يمكن معرفته بالعقل ﴿رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: 59].

﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ عن نفاقهم ولم يمتنعوا عن خيانتهم ومخالفتهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وضعف إيمان والمداهنة مع المؤمنين قيلَ هم الزناة وأهل الفجور والتزلزل في الدين ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ مأخوذ من الرجف وهو الخبر والإرجاف هو الإخبار ناس كانوا يرجفونَ ويخبرون أخبار الأراجيف عن سرايا رسول الله ﷺ بأن هزم المسلمون وقتلوا وأجري عليهم كذا وكذا قصدًا لكسر قلوب المؤمنين ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنأمر بك أن تفعل الأفاعيل التي يسوءهم ويحزنهم ويدفعهم ويضطرهم إلى الجلاء عن المدينة ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ أي لا يبقى منهم من يجاورك ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 60] أي شرذمة قليلون.

﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾

﴿مَّلْعُونِينَ﴾ [الأحزاب: 61] أي لا يساكنوك فيها إلا قليلًا ريثما يرتحلونَ ويلتقطونَ أنفسهم وعيالهم ويسمى ذلك إغراءً وهو التحريش على سبيلِ المجاز منصوب على الشتم أو الحال، أي لا يجاورونك إلا ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ دخل الاستثناء على الظرف والحال معًا كما هو في قوله: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: 53] ولا يجوز أن ينتصب عن ﴿أُخِذُوا۟﴾ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبلها، و﴿قَلِيلًا﴾ منصوب أيضًا على الحالِ أي لا يجاورونك إلا الأقلاء أذلاء ملعونين فإن قلت ما موقع لا يجاورونك قلت: لا يجاورونك عطف على ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾ لأنه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى إلى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك، فإن قلت أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء وأن يقال ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ فلا يجاورونك قلت: لو جعل الثاني مسببًا عن الأول لكان

الأمر كما قلت ولكنه جعل جوابًا آخر للقسم معطوفًا على الأول وإنما عطفه بثم لأن الجلاء عن الأوطانِ كانَ أعظَم عليهم وأشد من جميع ما أصيبُوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ﴾ وعوقبوا ﴿وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: 61] لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلَها.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ﴾ قد ﴿خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ [الأحزاب: 62] وقعت في موضع المفرد المصدر والمؤكد أي سَنَّ الله في الذين ينافقونَ الأنبياء وأن يقتلوا حيث ما ثقفوا كما قتل أهل بدر وأسروا، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف: 187] كانَ المشركونَ يسألونَ الرسولَ عن الساعةِ استعجالًا على سبيل الاستهزاء وأهل الكتاب يسألونَه امتحانًا لأن الله تعالى عمى وقتها وأخفاها في التوراة وفي كل كتاب، فأمرَ رسولَ اللّهِ أن يجيبهم بقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 62].

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ بأنه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكًا ولا نبيًّا ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: 63] ثم بين لرسول الله أنها قريبة الوقوع تهديدًا للمستعجلين وإسكاتًا للمستجدين، ولأن الساعةَ في معنى اليوم أو في زمان قريب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب: 64] أي النار المسعورة الشديدة الإيقاد.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ﴾ فيها ﴿وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 65] حافظًا منها واقعًا ومانعًا ودافعًا لحرارتها يوم تقلب.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: 66] قرئ على البناء للمفعول و(تقلب) بمعنى يتقلب وإن قرئ على البناء للفاعِل يكون الفاعل السعير، ومعناه تصريفها في الجهاتِ كما ترى البيضة تدور في القدرِ إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة إلى جهةٍ، ومن سمت إلى سمتٍ وخصت الوجوه بالذّكرِ لأنَّ الوجه أكرم الأعضاءِ على الإنسانِ من سائر أجزاءِ البدن ويجوز أن يكونَ الوجه عبارة عن الذاتِ وجملتها وناصب الظرف ﴿يَقُولُونَ﴾ أو محذوف اذكر فحينئذٍ ﴿يَقُولُونَ﴾ حالًا.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ أي رؤساءنا وأصولنا ورأيتنا ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: 67] الموصِلَ إلى الحقِ والمنجاة وعلو الدرجاتِ وأكرم السعاداتِ.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ ضعفًا للضلال وضعفًا للإضلالِ ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 68] لأنهم قد علموهم الكفر وأصول الشرك والإشراك والمعاصي والافتراء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ باللّهِ وبرسوله وبما جاء به من اللّهِ من حقائق الأحكام ودقائق أعلام الإسلام و﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ﴾ أي أبعده أي: موسى ﴿مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: 69] ذا جاهٍ ومنزلةٍ وقربة عنده ولذا كانَ يميط عنه الهم ويدفع الأذى والغم والهم ويحافظ عليه لئلا يلحقه وهم ونقصان وفصم وكسر وقصم ولا يوصف بنقيضه كما يفعل الملك لمن له عنده قربة ووجاهة وقرئ وكانَ عندَ اللّهِ وجهًا، قوله ﴿مِمَّا قَالُوا۟ۚ﴾ أي: من قولتهم أو مقولهم، فالمراد مواده ومضمونه، وهو الأمر المعيب ألا ترى أنهم سمعوا السّبّة

بالقالة وهو بمعنى القول.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [الأحزاب: 70] قاصدًا إلى الحق والسداد القصد إلى الحقِّ والقول بالعدل سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديثِ زينب من غير قصد وعدل في القول والبحث على أن يسد قولهم في كل باب لأن حفظ اللسانِ وسداد القول رأس الحكمة وعنوان الإيمان والمعنى راقبوا الله في حفظِ ألسنتكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هوَ غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم.

﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾

﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾ أي: يوفقكم للأعمال الصالحةِ ويصلحها بالقبولِ، قيلَ إصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية، وهذه الآية مقررة للنهي، بنيت تلك الآية على النهي عما يؤذي رسولَ اللَّهِ، وهذه الآية على الأمرِ باتقاء اللَّهِ العبدِ في حفظ اللّسانِ ليترادف عليهم الأمرَ والنهي معَ اتباعِ النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الوعيد البليغ، فيتقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه لما قال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 71].

﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾

﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾ [الأحزاب: 72] تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعةِ المخصوصة والعبادة المنصوصة التي سماها أمانة من حيث إنها واجبة الأداءِ يعني إنها لعظمة شأنها وعلو مكانها ورفعة منزلتها إلى الله تعالى بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام والأجسام الكرام وكانت ذات شعورٍ وإدراكٍ لامتنعت المراد من السماواتِ هيَ العقول وعن الأرضِ هو البدن ومن

الجبال هي القوى الجسمانية والمبادئ النفسانية، والمراد من الإنسانِ هوَ القلب الجامِع للنفس والروح والعقل والبدن والأنانية هيَ التجلي الذاتي الجامِع لجميع التجليات الظاهرة في الأحدية الجمعية تمام التجليات بالنعتِ الذاتي والعنوان الأحدي ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ وهو النوع الأخير الجامع لجميع الأنواع والخصائص الذاتية والعوارض الإمكانية واللوازم الوجودية والطوارم الشهودية والأمانات المذكورة والكمال الجمعي والجمع الكمالي الذي اختص بهذا النوع وسع هذه الجمعية والهيئة النوعية جميع الكمالاتِ الذاتية الإلٰهية والكونية والجوهرية والعرضية التي هي العلوم والمعارف والإدراكاتِ والشعورات والأحوال والمقاماتِ والشهودات من التجليات الذاتية والأسمائية والصفاتية والأفعالية والآثارية الإفرادية والجمعية النورية والظلية الوجودية والعدمية وتمام العبادات الخالصةِ البدنية والنفسية والقلبية والسرية والروحية والفعلية والخفية والحقية ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72] علة لثبوتِ الجمعية المذكورة وقبوله إياها وحمل عليها، وهذا القبول والحمل في الظاهِر فهو ظلم، لأنه في الظاهِر جزء من أجزاء العالم وقبول الجزء والكل وجمعيته هو ظلم، لأنه وضع في غير موضعه، والظلم صفة النفس الحيوانية والجهل صفة النفس النباتية، وجمعيتهما هوَ النفس الإنسانية.

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وتوبة اللّٰهِ عبارة عن قبوله توبتهم ورحمته عليهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: 73].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 34 سُورَةُ سَبَإٍ آياتها 54 مكية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي حمد ذاته بمقتضى نجوم أسمائه وصفاته في أسماء الدنيا والآخرة ومرتضى صورة جمعيتهما الباطنة والظاهرة ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أبدعَ حقائقَ المخلوقاتِ بتجلياتِ الأسماءِ الذاتية وأبرع شقائق المكونات بالأسماءِ التكوينية ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي ألج بدائع صنعته التي نزلت إلى النهاياتِ وغاية التنزلاتِ في أرض سبإ القابلياتِ لإظهارِ سناءِ الكمالات الأولى والثانية في أعيان الدورات والكوراتِ.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي في الأدوارِ النورية الجمالية من الأعيان الوجودية ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي في الكون الظلية الجلالية من الأكوان العدمية الإفرادية ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي في الصورة الجمعية والهيئة الإحاطية النوعية الظاهرة في الآخرة والنهاية، إشارة إلى أنَّ طور الآخرة التي كانت خفية ومقتضاها التنزيهي والتقديسي، فجنة يصير عند انقضاءِ نوبة فردارية الجمال ظاهرة فتكون طورة الآخرة ظاهرة وطورة الدنيا جنة، وطور نعيمها خفيًّا فتتبدله النسبة تنزيهًا كما يتبدل طور التنزيه بسببها ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي أحكمَ وأتقنَ أحوالَ أعيانِ الدورتين على ما قضى وعَلِمَ في الدورة العظمى الجمالية والجلالية ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبإ: 1] العليم

بأحوال الأعيانِ النورية الوجودية والعدمية الظلية ظاهرًا وباطِنًا صورة ومعنًى.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ ويندمج نازلًا من سماءِ الأحدية الجمالية في الدورة النورية الجمالية ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الاستعدادية التي هيَ ظاهِر مقتضى الفرداريّة الظلية ورتبها سلطان الظل والجلال ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [سبإ: 2] بعدَ استكمال سلطان الجلالِ، تلك الصورة العملية والشؤونات الذاتية التي هيَ عيوب الأعيان الثابتة والصور العملية والحقائق الإلٰهية إلى سماءِ الدورة الكبرى النورية، ثم يمكث في هذه المرتبة سماواتها التسع، وهيَ صورة جمعية ذاتية والأسماءِ السبعة وهيَ غيب الحقيقة الإلٰهية أعني وبعد ذلك ننزل تلك الحقائق الإلٰهية والماهيات الكونية من سماء الدورة العظمى النورية التي قد ربت صفة العلم أعيانها العلمية أولًا وبالذاتِ واستقلالًا ثم بتبعية الحياة والقدرة والإرادة بالنعت العلمية ثم بصفة الحياة والقدرة والإرادة في الأدوار الباقية الكبرى والوسطى والصغرى النورية الجمالية في عالم الجبروت إلى سماءِ الدورة الكبرى النورية الجمالية في مرتبة الملكوتِ ثم رباها في هذه المرتبة أولًا بالذاتِ في دوراتها العظمى وفي الأدوار الباقية الكبرى والوسطى والصغرى النورية.

ثم ينزل من هذه المرتبة إلى مرتبة البرزخ ورباها بصفة القدرة قياسًا على الحياة والعلمِ فإنَّ كل دورة من هذه الأدوار الأربعة الأصلية ينقسم إلى أدوار أربعة أخرى: فرعية إفرادية، وصورة جمعية، فالمجموع خمسة كل منها يقتضي نوعًا من الحمدِ بإزاءِ التجليات الخمسة وهيَ الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية، والصورة الجمعية فاتحة الكتاب إشارة إلى التجلي الذاتي وسائر الحمدِ إلى التجليات الأربعةِ الأسمائية والأفعالية والآثارية والصورية، وهو الحكيم الذي أتقن وأحكم أحوالَ الأعيان الدورتين الجمالية والجلالية والظلية الوجودية، والفذ الخبير العالم بحقائق الأشياء وصورها بواطِنها وظواهِرها، يعلم ما يلج ويندمج نازلًا في الأرض الاستعدادية التي هي ظاهِر مقتضى الفردارية الجلالية وترتبها لسلطان الظل والجلال، وما يخرج منها بعد استكمال سلطان الجلالِ والشؤوناتِ

الذاتية التي هي مقتضى التجلي الذاتي وحقائق الأعيان والماهياتِ الكونية، ثم يمكث في هذه المرتبة وسمائها بالتبعِ وبعد ذلك.

﴿وَمَا يَنزِلُ﴾ من تلك الماهيات والحقائق الإلٰهية ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبإ: 2] أي سماء الدورة الكبرى إلى السماء الوسطى البرزخية النورية، ثم يمكث في هذه المرتبة وسماواتها إلى أن تستكمل أعيانها بتربية سلطان القدرة، ثم ينزل من هذه المرتبة إلى مرتبة أمر الشهادة والملك، وسمواتها وعناصرها، ثم ينزل من هذه المرتبة إلى المرتبة الجمعية الناسوتية بقداسة كمال أعيانها يزينه اسم الإرادة فإذا حمد الله في العوالم الخمس وأنتَ خبير بأن كل دورة من الأدوار الأربعة الأصلية الإفرادية منطوية على أدوار أربعة فرعية جمالية، فالمجموع ستة عشر، وإن كل دورة محتوية على دنيا وآخرة وسماوات تسع وأرض سبع، وعندَ انقضاء كل دورة وانتهاء اقتضائها والانتقال من دورة إلى دورة تقوم القيامة وتظهر الساعة وإذا تمت هذه الأدوار الوجودية بأقسامِها انتقلت فردارية الدورة، وتوبة فردارية تربيتها من الوجود والجمال إلى العدم والجلال، وأرباب هذه الأكوار الظلية الجلالية باطن هذه الأسماء الأربعة التي هي أمهات الأسماء وعينها، وهي عيب العلم والحياة والقدرة والإرادة، وكل من هذه الأكوار الأربعة الإفرادية أيضًا منطوية على أربعة فرعية فالمجموع اثنان وثلاثونَ، والمركب من الأدوار والأكوار أيضًا أربعة أصلية وفرعية مركبة منها، فالمجموع أيضًا ستة عشر، فارتقى الكل إلى ثمانية وأربعين، وإليه الإشارة في أوائل السور إفرادًا أو جمعًا ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ بالرحمة التامة والنعمة العامة لأعيان الأدوار النورية الوجودية ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ [سبإ: 2] الساتر لأكوان الأكوار الظلية الجلالية العدمية، وإنما قدم الرحيم على الغفور إشعار بتقدمه على الأفعالِ الاختيارية لقوله: «**سبقت رحمتي غضبي**» وإنَّ المغفرة إنما تكون بعد الذنب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [سبإ: 3] أي الأعيان الوجودية والأكوان العدمية

الإفرادية التي ما وصلَت إلى خياشيم أذواقهم رائحة الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ ولما يقوم في أدوارنا القيامة إذ التصديق بها مشروط بالصورة الجمعية والهيئة الكلية المعية ومنوط بالوصفِ المعي ﴿قُلْ﴾ يا محمد ومظهر الكمال الجمعي والنعت المعي للأعيانِ الإفرادية ﴿بَلَىٰ﴾ إيجاب لما نفوا فيكون نفيًا للنفي فاحتيج إلى الشاهِد فاستشهد بالقسم ﴿وَرَبِّى﴾ أي ليسَ الأمر إلا إثباتها ألبتة فأمدّ التوكيد القسمي إمدادًا بما أتبع المقسم به من الوصف فما وصف به إلى قوله: ليجزي لأن عظم الحالِ المقسم يؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة بقائه واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكلما كانَ حال المستشهد به أوعى وأبين وأتم وأمتن صعبًا كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ ويطهركم ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ وذلك لأن الإتيانَ للقيامة وإظهار أشراط الساعةِ من مشاهير الغيب وأدخلها خفية وأجلها مبادرة إلى القلبِ فيكون أقوى تأثيرًا في نفي الشك والريب لأنه من جملة ما شهد به من ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي له ما في الأدوار الوجودية الأصلية الأربعة، وفي الأدوار الفرعية، وفي سماواتِ كل منها وفي أرضها لما غلب أن في كل دورة سماواتٍ وأراضٍ ودنيًا وآخرةً.

أو المراد من السماواتِ هيَ الأدوار النورية الوجودية بأقسامِها ومن الأرض هي الأكوار الظلية العدمية بأنواعها وسماواتها وأراضيها وسماوات الأكوار وأراضيها هي بعكس سماوات الأدوار وأراضيها، وكذا دنياوات الأكوار الظلية الجلالية وآخرتها بعكس دنياوات الأدوار الوجودية الجمالية وآخرتها، فإن مدينًا الأكوار باطنة وخفية وآخرتها جلية ظاهرة للبصر وسائر القوى الجسمية، وأيضًا سماوات الأكوار الظلية أسفل وأراضيها علو ومستقلة، كما ترى في إناء فيهِ الماء والسماوات وما فيها من الكواكب منتكسة لا يعزب عنه أي لا يبعد من العزوب وهو البعد، ومن هذا سمي الرجل المجرد عزبًا لأنه بعيد من النساءِ قرئ ﴿وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبإ: 3] بالرفع على أصل الابتداءِ وبالفتحِ على نفي الجنس كقولك: لا حول ولا قوة إلا باللّٰهِ بالرفع والنصب، وهو كلام منقطع عما قبله.

فإن قلت: هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل: لا يعزب عنه

مثقال ذرة ولا أصغر ولا أكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرفِ، كأنه قيلَ لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر قال أصغر من ذلك ولا أكبر، قلتُ يأتي ذلك حرف الاستثناء إلا إذا جعلت الضمير عند العين، وجعلت العين اسمًا للخفياتِ قيل أن تكتب في اللوح نوع من البروز عن الحجابِ على أنه لا ينفصل عنه أصل ذلك الغيب شيء، فلا يزل عنه إلا هو مسطور في اللوح.

﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾

﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [سبإ: 4، 5] بالإبطالِ وفي أحكامِها بالإهمالِ والإمهالِ ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ سائغين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبإ: 5] أي بعض من شدة العذاب المؤلم.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أي أعطوا العِلْم والمعرفة عن الصحابة ومن نظر أعقابهم ويقتفي آثارهم من علماءِ الأمة أو علماء الكتاب الذينَ أسلموا مثل كعب الأحبارِ وعبد الله بن سلام ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ الكتاب والقرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ الثابت وأحكامه والثابت أعلاه بالرفعِ هو خبر المبتدأ الذي هو هو والجملة مفعول يأتي، قرئ وبالنصب عطف على ليجزي أي وليعلم أولي العلمِ عندَ مجيء الساعة إنه الحق علمًا ﴿وَيَهْدِىٓ﴾ ويُدل ويوصِل ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ وطريق مستقيم ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ القوي الغالب ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبإ: 6] الذي حمد ذاته بذاته وأسمائه وصفاته الذاتية والأفعالية.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي القريش ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ﴾ ويخبركم بأعجوبة من الأعاجيب وهوانكم ﴿إِذَا مُزِّقۡتُمۡ﴾ وجعلتم قطعة قطعة ذا أجزاء متفرقة ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ وقطعتم ﴿إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ [سبإ: 7] أي تبعثونَ بعدَ هذا وتنشؤون وتخلقونَ خلقًا جديدًا.

﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ۝٨﴾

﴿أَفۡتَرَىٰ﴾ هذا الرجل ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ وقصد عليه ﴿كَذِبًا﴾ صريحًا وافتراءً صحيحًا ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ جنون، فقبح توهمه وتخيله ذلك فيحكم على مقتضى وهمه وتخيله ويلغي ويجري على لسانِه ما جرَى ثم قالَ الله سبحانه وتعالى: أمحمد من أهل الافتراءِ والجنونِ ﴿بَلِ﴾ هؤلاء الكافرونَ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ ولا يصدقون ﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ كائن ﴿فِي ٱلۡعَذَابِ﴾ الشديد والعقاب السديد والكآب المديد ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ﴾ [سبإ: 8] وهم غافلون عن ذلك أجن الجنونِ إذ الجنون فنون وهم على أردأ أنواعِ الفنونِ هذا رد من اللّهِ عليهم وإثبات لهم ما هو أقطع من القسمين وهو الضلال البعيد من الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه.

﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٩﴾

﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أفلم ينظروا ويتوجهوا إلى جانب السماءِ ووجه الأرضِ وإنها حيث ما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم ويمينهم ويسارهم محيطتان بهم لا يقدرونَ أن ينفذوا من أقطار السّماوات والأرض ولم يخافوا ﴿إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ ونعرفهم ونولجهم فيها ﴿أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا﴾ وقطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [سبإ: 9] النظر والتوجه والفكر ﴿لَأٓيَةٗ

﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سبإ: 9] لَبيبٍ وفطن راجع إلى اللَّهِ فإنه يكون كثير التأمل بل عزيز التدبر في الملكوتِ وعامِرِ الأمرِ والجبروتِ.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ على سائر الأنبياء والناسِ ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبإ: 10] أن ارجعي معه في التسبيح أو التوجه على الذنب بدل من فضلًا أو من آتينا بتقدير قولنا يا جبال وقلنا يا جبال، وذلك إما بخلق صوت لها مثل صوته ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع، يدل على كمال قدرته وعموم حكمته وأولوهيته ووفور ربوبيته حيث جعلَ الجبالَ بمنزلة العقلاء الذينَ إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا، وإذا دعاهم سبحوا وأجابوا إشعارًا بأنه ما من حيوان ونبات وجمادٍ صامت إلا هوَ منقاد لمقتضى قدرته ومعاد إلى مرتضى إرادته ومشيئته، والطير رفعًا ونصبًا عطفًا على لفظ الجبالِ ومحلها إذا جوزوا وأن يكونَ مفعولًا معه، وأن يعطف على فضلًا بمعنى سخرنا له الطير ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبإ: 10] من اللين أي جعلناه لينًا مطاعًا كي يعملَ فيه كالطين والعجينِ والشمع الملين نصرفه ونغيره ونبدله وننقله ونحوله من حال إلى حالٍ ومن طور كيف يشاء من غير تأثير آلة ولا ضرب مضربة، وذلك إما لكمال قدرته ووفور بطشِه وغرور قوته، فإنه بها قادر على التصرف في كل جسم صلب كتصرف الواحد على الأجسام اللينة ونصير أو تصير الأجسام الصلبة لينةً.

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾ يا داوود ﴿سَـٰبِغَـٰتٍ﴾ [سبإ: 11] وقرأ صائغاتٍ وهي الدرع الواسعةِ الصافية، وهيَ أول ما اتخذها وكانوا قبل صفايح وكان يبيع كل واحدة منها بأربعةٍ آلاف فينفق منها على نفسها وعلى عيالِه ويتصدق على الفقراء، قيلَ كانَ يخرج حين ملك بني إسرائيل متفكرًا، أو سأل الناس عن نفسه ويقولونَ لهم ما يقولونَ في داوود ويثنونَ عليه، فقبض الله ملكًا في صورة بشر فسأله عن عبادتِه

وخصائله فقال: نِعم الرجل لولا خصلة فيهِ وهي أنه يطعم عياله من بيتِ المال فسأل عندَ ذلك ربه أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المالِ فعلمه صنعة الدرع ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ أي لا يجعل المسامير رقاقًا تنفلق ولا غلاظًا فيعصم الحلق، والسرد نسج الدرع وضم بعض أجزائه إلى بعض ويصده ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ الضمير لداوود عليه السلام وأهله وأعوانه أي اعملوا صالحًا حرًّا ولائقًا لحضرته إنه بما تعملونَ من صنائع الحديد من الدروع الحديد ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبإ: 11].

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ [سبإ: 12] منصوبة بضميرٍ أي سخرنا لسليمانَ الريحَ ومن رفعها مبتدأ خبره محذوف أي لسليمان الريح مسخرة ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ أي جريها بالغداة في الشام مسيرة شهرٍ ﴿وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ أي جريها بالعشي كذلك وعن الجنس كانَ يغدو في الشام فيقيل باصطرخ ثم يروح فيكون رواحة بكابل. يحكى أنَّ بعضهم رأى مكتوبًا في ناحية دجلةٍ قد كتب فيها هكذا ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ﴾ وأجرينا ﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي معدن النحاسِ كما أنَّ الحديد لاينه داوود قيلَ كانَ يسيل في الشهر ثلاثة أيامٍ ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي عندَ سليمانَ عطف على الريح ومن الجن حالٌ متقدمة أو جملة من مبتدأ ومن الجن خبره أي من يعمل في صورة بعض من الجن ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ وأمره وإرادته متعلق بهما ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾ أي يعدل وينصرف من الجن العملةِ ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ وحكمنا إشعار بأن أمرَ سليمانَ وحكمه هو أمر الله وحكمه لأنه خليفة الله وظله ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبإ: 12] في الآخرة.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ﴾ أي يطيعونَ الجن لسليمان أي شيء يريد وكيف يريد ويشاء من غير استنكارٍ من الجن يعملونَ له ويفعلونَ له ما يشاء ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ [سبإ: 13] المساكنُ والمجالس الشريفة والمحافل الأنيقة أي القصور والبروج

الظريفة أو المساجد من قبيل المجازِ المرسل المصونة عن الابتذال، سمع بها لأنه يحامي عليها ويحارب ليعلمها ويهم إليها كهانهم ويقصد في المساجد إلى المحراب ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ وصورًا يصورونَ فيها صور الملائكة والأنبياء والصالحينَ على ما هم عليه في عباداتهم وخصائص عاداتهم ليراها الناس فيعبدوا مثلَ عباداتهم ويتعودوا مثلَ عاداتهم.

وفي الكشاف: هذا مما يختلف فيه الشرائع لأنه ليسَ من مقبحاتِ الفعول كالظلم والكذب والفسق والفجور وعلى ما هو مذهبه إذ المعتزلة صرحوا بأن ما يكونَ من مقبحاتِ العقول لا يجوز أن يختلف فيه الشرائع وأما غير ذلك فيجوز وأما عندَ أهل السنة والجماعةِ فيجوز في الجميع إذ الحاكم في الكل هو الشرع لما تقرر من أنَّ مجرد الفعل غير كافٍ في الإلهيات بل في الكل كما وقع في الحديث أن العقلَ لإقامة العبودية لا لإدراك سر الربوبية.

وقد وقع من عيسى في جواب سؤال أفلاطونَ من أنَّ مجردَ العقلِ لا يكفي في سواءِ السبيل، وعن أبي العالية لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاكَ محرم، ويجوز أن تكونَ صورَ الأشجار لا الحيوان، لأنَّ التمثالَ كل ماله صور على مثل صورة غيره حيوانًا كانَ أو غيره أو تصور محذوف الرأس أو متروك العين. روي أنهم عملوا له أسدينِ في كرسيه ونسرين فوقه، فإذا أرادَ أن يصورَ هبط للأسدان له ذراعين وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ أي صحائف نحو الأحياض الكبيرة وهي معرب كوآب وهو وهاد كبير مجمع فيه الماء وجفان جمع جافية من الجفانة وهي من الصفاتِ الغالبة كالدواب قيلَ كانَ يقعد على الجفنة ألف رجل ﴿وَقُدُورٍ﴾ جمع قدرة وهو ما يطبخ فيه الطعام ﴿رَّاسِيَٰتٍۚ﴾ ثابتات على الأثافي من غير أن ينزلَ منها لعظمتها ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وأعضائه وجوارحه وصرف كل ما خلقَ لأجل الله ومع ذلك لا يوفى حقه ولا يؤدى سوقه لأن توفيقه للشكر نعمة يستدعي شكرًا آخر إلى غير النهاية.

عن ابن عباسٍ رضي الله عنه من يشكر على أحواله كلها أو من شكر على الشكر إلى أن ينتهي إلى العجزِ فهو شاكرٌ، روي أن داوودَ عليه السلام قد وزع وَجَزّأ أجزاء الليل وساعاتِ النهارِ على أهلِهِ فلم يبق ساعة من الساعات إلا وواحد منهم

قائم يصلي ويعبد عن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلًا يقول: اللهم اجعلني من القليل فقالَ عمر: ما هذا الدعاء؟ قالَ الرجل: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] فأنا أدعوه أن يجعلني من ذلكَ فقال عمر: كل الناسِ أعلم من عمر.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا﴾ وحكمنا ﴿عَلَيْهِ﴾ أي على سليمانَ ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ الطبيعي ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ أي الأرضة وهي الدويبة التي يقال لها السرقة والأرضة فعلها فأضيفت إليها يقال أرضت الخشبة أرضًا إذا أكلته الأرضة وقرئ بفتح الراء من أرضت الخشبة أرضًا وهو من فعلته ففعل كقولكَ أكلت القوارحَ الأسنان أكلًا فأكلت أكلًا ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ وهيَ العصاة لأنه ينسأ بها أي يطرد ويؤخر، وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبًا وجدًا وكلاهما ليس بقياسٍ منسأته على مفعالة كما يقال في الميضأة ميضاءة ومن سأته ساءه أي من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لغتانِ كقولهم قح وقحة ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ أي علمت بعدَ القياس الأمر عليه من تبين الشيء إذا ظهر وتجلى ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبإ: 14] أن مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمالِ كقولك يبين زيد جهله والظهور له في المعنى، أي ظهر لو أن الجن يعلمونَ الغيب ما لبثوا في العذاب أو علم الجن كلهم علمًا بيِّنًا بعدَ التباسِ الأمرِ على عامتهم وضعفهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقونَ في ادعائهم على الغيب، أو علم المدعونَ علم الغيب عجزهم وإنهم لا يعلمونَ الغيبَ وإن كانوا عالمينَ قبل ذلك بحالهم، وإنما أريدَ التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل إذا دحضت حجته وظهر إبطاله كقولك أهل تبينت أنك مبطل وأنتَ تعلَم إنه لم يزل كذلك متبينًا وقرئ على البناءِ المفعول.

روي أن داوود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط، موسى عليه السلام، فمات قبلَ تمامه، فوصى إلى سليمان عليه السلام فأمر الجن

بإتمامه، وكانت الشياطين مجتمعة حولَ محرابه أينما يصلي فلم يكن ينظر إليه في صلاة إلا احترق، فمرّ الشيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فإذا سليمان قد خرّ ميتًا ففتحوا فإذا العصا قد أكلها الأرضة وكان من عادته أن يعتكف في مسجد بيت المقدس فلما دنى أجله لم يصبح إلا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله تعالى فيسألها: لأي شيء أنت فتقول: لكذا حتى أصبح ذات يوم فرأى الحربة فسألها فقالت: بيت محراب هذا المسجد فقالَ: ما كانَ هذه بمعجزته وإن بي التي هيَ على وجه إهلاكي وخراب بيت المقدس فينزعها في حائط له فقال له: اللّهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس إنهم كانوا يسترقونَ السمع ويموهونَ على الإنس أنهم يعلمونَ الغيب قالَ لملك الموتِ: إذا أمرت بي فأعلمني فقال: أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الجن فبنوا عليه صرحًا من قوارير ليسَ لها سبب فقام يصلي متكأً على عصاءٍ فقبض روحه وهو متكئ فبقي كذلك حتى أكلت الأرض منسأته وسقط ثم فتح عينيه وأرادَ أن يعرفوا وقتَ موته فوضعت الأرضة على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقدارًا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة، وكانَ عمره ثلاثين سنةً أو ثلاث وخمسينَ وملك وهو ابن ثلاث عشر سنة وابتدأ عمارة بيت المقدسِ لأربعة مضين من ملكه روي أنَّ فريدونَ جاء ليصورَ كرسيَّه فلما دنى ضرب الأسدان المعمولان في أعلاه ساقه فكسراه فلم يقدر أحد أن يدنو منه.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ أي لأولاد سبأ بن سحت بن حطان في مسكنهم بفتح الكاف وكسرها هو موضع مكناهم وهو مولودهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها أو مسكن كل واحد منهم ﴿جَنَّتَانِ﴾ [سبإ: 15] بدل من آية أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح يدل عليه قراءة النصب: جنتين والجنتان ليستا في أنفسهم آية أي علامة دالة على وجوب الصانِع المختارِ وإنه قادر على إيجاد الأمور العجيبة والأشياء الغريبة وهي من جملتها مجاز للمحسن والمسيء يعاضده البرهان السابق كما قضى داوود وسليمان وإنَّ

أهلهما أعرضوا عن التأمل فيهما والشكر عليهما فجزاهما أو أبدل عنهما الخمط والأثل وهو ضرب من الأراكِ له حمل يؤكل منه ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ يعني جامعتين من النشأتين جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شمالها وكل واحدة من الجماعتينِ في تقاربهما وتضامنهما كأنها جنة واحدة أو أرادَ لسبإ في كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قالَ جعلنا لأحدهما جنتين من [الثمار] فلم يرد أنهما جنتان فحسب ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ مما رزقكم الله من أنواع الثمار وأصناف الحبوب والخيار إما حكاية لما قالَ لهم: آتينا المتبعونَ إليهم ولما قالَ لهم لسان الحال وهم أحقاء بأن يقال ذلك، ولما قالَ لهم كلوا من رزق ربكم ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبإ: 15] يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره على نعمائه وصبر على أنواع بلائِه عن ابن عباس رضي الله عنه كانت أخصب البلادِ وأطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكيل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فتميل تلك المكيل بما يتساقط فيه من الثمرة الطيبة لم تكن بسبخة ولا فيها بعوضة ولا ذبابة ولا حية ولا عقرب ولا براغيث ولا حشرات سمّية فأعرضوا عن شكر ما رزقهم.

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ أي المطر الشديد أي انصرفوا عن شكر النعم فأنزلنا عليهم سيل العرم أي ذا سيل عظيم أو الحرد الذي نقب عليه السكر الذي يحبس الماء وقيل: هو البناء الرصين الذي بنته بلقيس الملكة ليسد ما بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقًا على مقدار ما يحتاجونَ إليه وقيلَ: بعث الله إليهم ثلاثة عشرَ نبيًّا يدعونهم إلى الله ويذكرونهم نعمه لهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف للَّهِ نعمةً سلط على سدهم الخلد والفأر فثقبه من أسفله فغرقهم وقيلَ: العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة المجتمعة ويقال للكدسِ من الطعام الحزمة والمراد المثناة التي عقدوها شكرًا وقيلَ: العرم اسم الوادي ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبإ: 16] وُصِفَ بالقلة لما أن جناه وهو النبق مما يطيب أكله.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧﴾

فـ﴿ذَٰلِكَ﴾ وكذا عرش بالنشأتين ذلك الجزاء المذكور الذي هو العقاب الآجل والذهاب العاجل للكافرين بنعم اللّهِ التي أنعم الله عليهم والجزاء عام لكل مكافأة يستعمل تارة في معنى العاقبة وأخرى في معنى الإثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله تعالى: ﴿جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ﴾ أي عاقبناهم بسبب كفرهم ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [سبإ: 17] أي نعاقب وهو الصحيح.

﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨﴾

﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا﴾ ووسعنا النعم ﴿فِيهَآ﴾ على أهلها وهي قرى الشام ﴿قُرٗى ظَٰهِرَةٗ﴾ متواصلة يظهر بعضها لبعضٍ لتقاربها فهي ظاهرة لأعين الناظرين أو راكبة متن الطريق وقيل: كان الغادي منهم يبيت في قرية والرايح يبيت في قرية إلى أن يبلغ الشام لا يخاف جوعًا ولا عطشًا ولا عدوًا ولا يحتاج إلى حمل زادٍ ولا ماءٍ ﴿وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا﴾ أي قلنا لهم سيروا ولا قولَ ثَمَّ ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلكَ وأذن لهم فيهِ ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبإ: 18] أي سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهارِ إذ الأمن لا يختلف فيها باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنينَ لا تخافونَ وإن تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أيامًا وليالي أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة أعماركم فإنكم في كل حين وزمان لا تلقونَ فيها إلا الأمن والأمان.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩﴾

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ [سبإ: 19] نظروا النعمة وآثروها ويشتموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكدّ والتعب كما طلب بنو إسرائيل البصلَ والثومَ مكانَ المنّ والسلوى وقالوا لو كان هي حياتنا أبعد كانَ أجدرَ أن يشبهه وتمنوا أن يجعلوا بينهم وبينَ الشام مغاور ليركبوا الرواحلَ فيها ونزود الأروادَ وجعلَ الله لهم الإجابة بتخريب القرى المتوسطة وصارت مغاور ﴿وَظَلَمُوٓاْ

﴿أَنفُسَهُمْ﴾ حيث بطروا النعمة وآثروها ولم يشكروا لها ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ وأمثالًا يتحدث بهم تعجبًا من قبح حالهم وضرب مثل ويقولونَ ذهبوا أيدي سبأ وتفرقوا أياد سبإ ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ﴾ وفرقناهم تفريقًا ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ وتفرقة حتى لحق غسان منهم بالشام [منهم] بيثرب وأحدهم بتهامة والأزد بنعمان ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الأمر المذكور من أحوالِهم ﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أي صبار عن المعاصي وأخذهم النفوس بالوجوه والنواصِي ﴿شَكُورٍ﴾ [سبإ: 19] النعم الظاهرة والمنح الباطِنة.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف، ورفع إبليس، ونصب الظن فمن شدد فعلى معنى أنه حقق ﴿عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ وواحدة صادقة، ومن خفف فعلى من صدق في ظنه، أو صدق يظن ظنًّا، نحو فعليه جهدك، ونصب إبليس ورفع الظن، ومن شدد فعلى معنى وحده ظنه صادقًا، ومن خفف فعلى معنى قال له ظنه الصدق حينَ جعله إغواءهم يقولونَ صدقك ظنك، وبالتخفيف ورفعهما على معنى صدق عليهم ظن إبليس، ولو قرئ بالتشديد معَ رفعهما منه فظن بهم أنهم يطيقونه ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبإ: 20] أي اتباعهم به إلا فريقًا هم المؤمنونَ ثم تتبعوه والضمير في عليهم واتبعوه، وأما لأهلِ السبأ أو بني آدم وتعليل المؤمنينَ بقوله إلا فريقًا لأنهم قليل بالإضافة إلى الكفارِ كما قال ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 62].

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لَهُ﴾ للشيطان ﴿عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾ تسلط واستعلاء وتحكم واستيلاء بالوسوسةِ إلا لغرض صحيح وحكمة بينة وأمر صريح وهو قوله ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي ليظهر العلم للخلق بأمرنا وتوفيقنا، أو ليظهر علمي وقضائي وحكمي ﴿مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ﴾ [سبإ: 21] وأحوالِها أي يتميز المؤمن بالأمرِ الآخرِ غير الدنيا وهوَ آخر الأمرِ والآخرة وهوَ الحق والعلم به وبأحكامِه يرجع الأمر كله إليه وآخرًا منه بدأ وإليه يعود، أو لتختبر وتتبلى، أو ليعامل مع الخلق معاملة الاختبار والابتلاء، ليتميز المؤمن الكامل والعارف الفاضِل من غيره، فإنَّ الوسوسة لا

يلقيها الشيطان إلا في المؤمن ولا في الكافِر لأنه من زمرته فلا يكون منها فائدة ﴿مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ تام كامل وانتفاء العلم باللَّهِ ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ممكن لبسيط ومركب وجود وعدم وحدوث وقدم، جهلٍ وعلم، تصور وتصديق وحكم ﴿حَفِيظٌ﴾ [سبإ: 21] وإنما عدل التسليط بالعلم والمراد به ما يتعلق به العلم أيَ ليتعلق عملنا أي ليظهر تعلق عملنا للممكن ظهورًا يترتب عليه الجزاء في نظم المصلطين نكتة شريفة لا تخفى على ذي مسكةٍ.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي قل للمشركين يا محمد من قومك أي اطلبوا الَّذينَ زعمتم أنهم آلهة تعبدونهم من غير الله من الأصنامِ والملائكة والإنسان والكواكب، وتسمونهم باسمِه كما تدعون اللَّهَ والتجؤوا إليهم مما يعروكم وهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ من خير وشر ونفع وضر في بحر وبر ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق بلا يملكون وتفصيل لما قبله فإن الآلهةَ بعضهم سماوية وبعضهم أرضية، أو لأنَّ الأسبابَ القريبةَ للخير والشر سماوية وأرضية والجملة استئناف بيان حالهم ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم﴾ في هذين الجنسين من شرك في خلق ولا مال منهم أي ليسَ للشريك من هؤلاء المشركين ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبإ: 22] ومعينٍ وناصرٍ ومعاون يعينه على تدبير خلقه يريدانهم على هذه الصفة من العجز والبعدِ عن أحوال الربوبية فكيف يصحّ أن يدعو كما يدعى ويرجو كما يرجى.

واعلم أن أخذ مفعولي زعمتم من الضمير المحذوف الراجع إلى الموصول وأما الثاني فلا يخلو إما أن يكونَ من دونِ اللَّهِ أو لا يملكونَ أو محذوفًا فلا يصح كالأول لأن قولكَ هم من دون اللَّهِ لا يلتئم كلامًا، ولا الثاني لأنهم ما كانوا يزعمونَ ذلك فكيف يتكلمون بما هوَ حجة عليهم وبما قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقيَ أن يكون محذوفًا تقديره زعمتموهم آلهة من دون اللَّهِ، فحذف الراجع إلى الموصول كما حذف في قوله ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: 41] استخفافًا لطول الموصول لصلته، وحذفه آلهة لأنه موصوف صفته ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾

والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كانَ مفهومًا، فإذن مفعولًا زعم محذوفًا جميعًا بسببين مختلفتين ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ تقول الشفاعة لزيد على معنى أنه الشافع كما يقول الكرم لزيد وعلى معنى أنه المشفوع له كما تقول القيام لزيد، فاحتملَ قوله:

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا﴾ كائنةً ﴿لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبإ: 23] أي لشفيعه أو هي اللام الثابتة في قولكَ: أذن زيد لعمرو أي [يطلق] كأنه قيلَ إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله، وهذا الوجه أوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعائنا عندَ اللَّهِ فإن قلت بما اتصل بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبإ: 23] ولأي شيء وقعت حتى قلت بما فهم من هذا الكلام من أن غاية ثمَّ انتظارًا للإذن وتوقعًا وتمهلًا من الراجين للشفاعةِ والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن لهم وإنه لا يطلق الإذن إلا بعدَ [فترة] من الزمانِ وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عزّ من قائل: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبإ: الآيتان 37، 38] أي يتربصونَ فزعين حتى إذا كشف عن قلوب المؤمنينَ الشافعينَ أو المشفوع لهم وقيلَ: الضمير للملائكة لتقدم ذكرهم ضمنًا ﴿قَالُوا۟﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ في الشفاعة ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ أي القول وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى. وعن ابن عباسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ فإذا أذن لمنَ أذن المن أذن أن يشفع فزعته الشفاعة وقرئ إذنَ له أي أُذن له أي أذن له الله وأُذن له على البناء للمفعول ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبإ: 23] والعلو والكبرياء أي ليس بملك ولا نبي أن يتكلم ذلكَ اليوم إلا بإذنه.

﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تقرير لقوله لا يملكونَ ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ إذ

لا جواب سواه، وفيه إشعار بأنهم إن اسكنوا أو تفوهوا بأن اللَّهَ رازقهم مخافة الإلزام فهو مقرون به قلوبهم ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبإ: 24] أي أن الفريقين من الموحدين القائلين بوحدة الرازقِ والقدرة الذاتية والمشركين به الجمال الذي لا شريك يوصف بالقدرة أصلًا لعلى أحد الأمرين من الهدْي والضلالة.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ وعصيناه على الذنب أجزيناه ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبإ: 25] هذا أدخل في الإنصاف بوجوهٍ:

أحدهما: أن الأجرامَ قد أضافه إلى نفسه والعمل إلى أنفسهم.

والثاني: أنه قد تنزلَ وجعل نفسه بأنفسهم في درجة واحدة ومرتبة متحدة.

والثالث: أنه قد تقدم أنفسهم على نفسه وخاطب بهم.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يومَ القيامة في حشرِ الأجسادِ ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ ويفصل بأن يدخل المبطلينَ في النارِ والمحقينَ في الجنة ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ الحاكم في الفصل في القضاء المختلفة ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبإ: 26] بما ينبغي أن يقضي على ما هو الحكمة البالغة بيننا.

﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ﴾ أمر من باب الأفعالِ جمع مذكر، ﴿أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ أي جعلتم إياهم ملحقًا باللَّهِ إشراكًا له في الألوهية ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم من المشاركة بعدَ إبطالِ المقالة ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سبإ: 27] الموصوف بكمال الغلبة المعروف بوفور القهرِ وعموم القوة وهجوم آثار القدرة وأنوار الإرادة التي تطلق الممكناتِ على مقتضى الحكمة ومرتضى المشيئة.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ دعامة لأولي الرجاءِ والإناس أي ما أرسلناك إلا إرسالًا لكافة الخلق وعامة الجمع والفِرَق، وأرسلناك جامعًا للخلقِ في الإنذار والإبلاغ فجعله حالًا من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون للمبالغة كتاءِ الراوية والعلامة، ومن جعلَه حالًا منَ المجرور مقدمًا عليه فقد أخطأ لأن تقدم حال المجرور عليه في الإحالةِ بمنزلة تقدم المجرور على الجارِ ﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبإ: 28] كونك مرسلًا لكافة الناسِ فيحمل جهلهم على مخالفتنا.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٩﴾

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ المبشر له والوعيد المنذر عنه أو الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [سبإ: 29] في هذا الوعد والوعيد الخطاب للرسول والمؤمنينَ.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٠﴾

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ﴾ يجوز أن ينتصب يومًا ويجر بالإضافة أما النصب فعلى المدح وأما الجر بالإضافة فلبيان أن راعني يومًا أو يومًا صفته كيت كيتَ أما وقع ميعادَ ومضاف للتعظيم أي لكم ميعاد يوم عظيم ﴿لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [سبإ: 30] ولما كانَ السؤال للإنكار والتعنت لا للاسترشادِ وإظهار الحقِ فلذا جاء الجواب على طريق التهديد والتسديد مطابقًا للسؤال وإنهم يترصدونَ بيوم يفاجئهم فلا تستأخرونَ تأخرًا عنه ولا تقدمًا عليه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [سبإ: 31]

وبمحمد ﷺ ﴿وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ونقدم عليه فيه حديث هذا الرسول، وكيفية يقينه من الكتب المتقدمة، سألوا أهل الكتاب عن الرسولﷺ وكيفية حاله وكيفية مآله فأخبروهم إنهم يجدون بعثته في كتبهم فغضبوا عليهم إفشاء لحاله وإخبارًا وإنشاءً من شرف مآله، وقالوا ذلكَ وقيلَ الذي بينَ يديه يوم القيامة ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾ [سبإ: 31] ويحضرونَ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في موقف الحسابِ ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ ويدفعه زخرف ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ الذي ظاهره حسن وباطنه قبيح يتجاذبونَ أطراف المحادثة وأقطار المجاورة ويتراجونَ القول بينهم فرأوا العجب ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ أو هم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ وهم المتبوعونَ من الساداتِ والرؤساءِ المتقدمينَ ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾ في الوجود والكونِ والخارج وإضلالكم إيانا وإغوائكم لنا وصدكم بنا عن الإيمانِ ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبإ: 31] باللَّهِ وبما جاء منه ونتبع طريق الحق الموصل إليه.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾ وطريق الحق الأبهى ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم﴾ قومًا ﴿مُّجْرِمِينَ﴾ [سبإ: 32] مخرجينَ نفوسكم عن انقياد الحق والاعتداد بطريق يوصِل إلى اللَّهِ وبأسمائِه وصفاتِه، حيث أعرضوا بالاختيار عن الهدى وآثروا التعبدية والتقليد عليه ولذا بنوا الإنكارَ على الاسم أعني نحن الذي أولى حرف الإنكار لأن العرض للإنكار، وأن يكونوا هم الصادينَ لهم عن الإيمانِ باللَّهِ وإثبات أنهم هم الذينَ صدوا أنفسهم وامتنعوا عنه بأنفسهم، وأنهم أوتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا نحن أحضرناكم وجعلنا بينكم وبينَ كونكم ممكنين مختارينَ بعدَ إذ جاء، أي بعدَ أن صممهم على الدالِ في الإيمانِ وصحة ثباتكم في اختياره، بل كنتم كافرينَ لاختياركم إياه لا لقولنا وتسويلنا بل أنتم منعتم أنفسكَمُ عن احتفاظكم بالإيمانِ وآثرتم الضلال على الهدى، والإغلال في الجهل على مقتضى العقلِ ومرتضى النهي، وأطعمتم أمر البغي والشهوات دونَ أمر الناهي عنها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ في جواب المشركين إضراب عنه إضراب كل من الفريقين أي ليس الإجرام والإضلال لا من جهتنا ولا من جهتكم ﴿بَلْ﴾ من جهة ﴿مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ فنحن وأنتم داخلونَ تحت حكم الليل والنهار كما هو حكم الدهر بين بأن جميع ما وردَ على نفوسنا وجدت في ظاهِرنا وباطِننا إنما هوَ مقتضيات تكرر اللَّيل والنهار كما قالَ الشاعِر:

أشابَ الصغير وأفنى الكَبيرُ كذا الغداء وأمر العشي

بل مكر اللَّيل والنهار مكركم في اللَّيل والنهار فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة الليل إليه معنوية بمعنى في أو إضافة لفظية أي اللَّيل والنهار المأكدون على الإسناد المجازِ، رفع لكونه مبتدأ وخبرًا أي سبب ذلك ومكركم أو مكركم بسبب ذلك والنصب على معنى بل يمكرون الإغواء مكر الليل والنّهارِ ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ﴾ أنتم في حال تمكنكم من الأخبار ﴿أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أي الفريقان أضمروا الندامة على الضّلالَةِ والإضلالِ، وأخفى كل منهم عن صاحبه مخافة المصير والتوبيخ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قيلَ أظهروا الندامة حين كشف الغطاء منَ الفريقين ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سبإ: 33] أي لا يجزون إلا على مقتضى عملهم إن خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فشرًّا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ من النبي ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ ومسموها ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ من النبي والكتاب وما فيه من الأحكامِ والشرايع ﴿كَٰفِرُونَ﴾ [سبإ: 34] مقولُ قال: ولتسلية رسول الله ﷺ.

﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ فيما يدعون منها النبوة والاستيلاء على الممالكِ أولى وأليق وأحرى وأحق، والحال أنَّه ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبإ: 35] لكرامتنا ووفور منَّتنا عندَ الله فلا يمنينا بالعذاب ولا يحقرنا بالعقاب.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ردًّا لحسناتهم وشدًّا عليهم لفرطِ طمعنا ﴿إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبإ: 36] إنَّ كثرة الأموالِ وجماعةِ الأولادِ قد يكون للاستدراج والمكرِ.

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى﴾ أي بالخصلة التي ﴿تُقَرِّبُكُمْ﴾ وتوصلكم ﴿عِندَنَا﴾ ويحصل لكم لدينا ﴿زُلْفَىٰٓ﴾ أي قربةً ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ استثناء من مفعول نقربكم أي الأموال والأولاد تقرب أحدًا إلا المؤمن الصالحَ الذي ينفق ماله في سبيلِ اللَّهِ ويعلم ولده الخير ويربيه، وعلى الصلاح يلحيه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ أي يجازوا جزاءً مضاعفًا ويعاوضوا عوضًا مترادفًا ﴿بِمَا عَمِلُوا۟﴾ أي بسبب أعمالهم ﴿وَهُمْ﴾ وهم في الجنة ﴿فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبإ: 37] من المكاره.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ مسابقينَ أو طائعينَ وإنهم يقولونَ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [سبإ: 38] أي عذاب الآخرة حاضرونَ.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ في الدنيا والآخرةِ والأول مخصوص بالدنيا وحُطامِها ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ [سبإ: 39] في الدنيا مما

رزقكم الله من أنواعِ الرزق الصورة المعنوية الظاهرة والباطنةِ ﴿فَهُوَ﴾ أي الحق ﴿يُخْلِفُهُۥ﴾ أي يعوضه ويجعله خلفًا وبدلًا من ويضاعفوا ضعافًا كثيرة على ما تفرد من العشر أو سبعينَ أو غير محصورة ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبإ: 39] من سلطان يرزق جنده ومعيل يرزق أهلَه وعياله وغير ذلكَ فهو من رزق اللّهِ أجراه الله على يد هؤلاءِ، وهو خالق الرزق وخالق الأسباب ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم: الحمد لله الذي أوجدني وجعلني ممن لا يشتهي فكم من مشتهٍ لا يجد وواجدٍ لا يشتهي.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يوم القيامة المستكبرين والمستضعفين ﴿جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ خطاب للملائكة وتقريع للكفارِ ووارد على المثلِ السائِل ﴿إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبإ: 40] ويحق يقول قوله عزّ وجل: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: 116]، وقد علم سبحانه كونِ الملائكة وعيسى عليه السلام منزهينَ براء بما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والعرض، يقول أن يقولوا ويسألَ ويجيبوا فيكون تقريعهم أشد وتعبيرهم واحد وخجلهم أعظم، وهم أنهم ألزم، ويكون اقتصاص ذلك لفظًا لمن سمعه وزاجرًا لمن اقتصر عليه.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ والموالاة خلاف المعادات ومنه اللّهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وهي مفاعلة من الولي وهو القريب والقربة كما أنَّ العاداتِ من العدواء وهو البعد، والولي يقع على الموالي والموالى جميعًا والمعنى أنت الذي نواليه من دونهم إذ لا موالاة بيننا وبينهم فتثبتوا بإثباتِ موالاة اللّهِ وبمعاداةِ الكفارِ براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كانَ على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ [سبإ: 41] أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادةِ غير اللّهِ، وقيلَ صورَّت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكةِ فاعبدوهم، وقيلَ كانوا يدخلونَ في أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدونَ

بعباداتها ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبإ: 41] الضمير الأول للإنس والثاني للجن و(أكثرهم) بمعنى الكل.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا عطف على لا يملك مبين للمقصود ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبإ: 42] وإنما قدم الجارَ والمجرورَ إشعارًا بأنَّ تكذيبهم منحصر عليها بناءً على أن نفيهما وانتفائها ليستلزم أو انتفاء تمام الوعيدانِ وإثباتهم يستلزم إثباتهم، فالأمر في ذلك اليوم وحده لا يملك فيه أخذ منفعةٍ ولا مضرة لأن الدارَ دار ثوابٍ عقاب والمثيب والمعاقب هوَ الله تعالى فكانت حالها حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيما حل بينهم متضادونَ ومتعارضونَ ولا نافعَ ولا ضارَّ إلا هو، ثم ذكر معاقبة الظالمينَ بقوله:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ﴾ أي ما هذا القرآن إلا إفك وكذب ﴿مُّفْتَرًى ۚ﴾ أي بهتان وكذب متعمد لعدم مطابقته لما في نفس الأمرِ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بمحمد وبما جاء به وهو القرآن ﴿لِلْحَقِّ﴾ للحق أن الكتاب الثابت في نفس الأمرِ ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سبإ: 43] ظاهر.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ﴾ من للبيانِ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ﴾ من الأمم السالفة والقرون المخالفة ﴿مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبإ: 44].

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [سبإ: 45] آتيناهم من الكتب التي كانوا يتدارسون بها ويتمسكون في الأحكام بها كما قالَ ﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الزخرف: 21] فحين كذبوا رسلهم جاءهم الندامةِ والاستئصال ولم يبق لهم عذاب ولم يغنِ عنهم استظهارهم بما هم به يستظهرونَ ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ وهو كالمرباع والمخماس وهو العشر والربع والخمس ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبإ: 45] كقولك ما بلغ زيد معشارَ فضل عمر فيفضل عليه.

﴿۞قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾﴾

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾ أي بخصلةٍ واحدةٍ قد فسرها بقوله ﴿أَن تَقُومُواْ﴾ على أنه عطف بيان لهَا، وأرادَ بقيامِهم إما القيام عن مجلس رسول الله وتفرقهم عن مجتمعهم عنده، وإما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمينِ، ولكن الانتصابَ في الأمرِ والنهوضَ فيه بالهمة والمعنى إنما أعظكم بواحدةٍ إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا لوجه الله خالصًا متفرقينَ اثنين اثنين وواحدًا واحدًا ﴿مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ أي محمد وما جاء به، أما الاثنانِ فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه ينظرانِ فيه متصادقين متضايفين لا يميل بهما اتباع هدى ولا يفيض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصَّالِح والنظر الصحيح الفالِح والتوجه الصريح على حال الحقِّ وسببه الفائِح، وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة وإنصاف من غير أن يكابرها ويعرض فكره على قانونِ عقله ومعيار ذهنه وما استقر عنده من عبادةِ العقلاء ومجاري أحوالهم ويمنع الرذيلة ويتخلط القول ومعَ ذلك يقل الإنصافُ ويكثر الاعتساف ويثور لجاج العصبتين ولا يسمع الآخرة المذهب ولا يرفع إلا فرصة المشرب بقوله: ﴿إِنۡ هُوَ﴾ [سبإ: 46] أي ليسَ هذا الأمر العظيم الذي يحبه ملك

الدنيا وملك الآخرة ﴿إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي إلا رجلان إما مجنون لا يبالي بافتضاح نفسه إن طولب بالبرهانِ فيعجز عن الإثباتِ بل لا يدري ما الافتضاح وما ربقة العواقب، وإما عاقل راجح العقلِ ومرسخ النبوة ومختار من أهل الدنيا لا يدعي شيئًا إلا بعد نصحته وانتهاضِ برهانه وحجته، وإلا فالحري بالعاقلِ والواجب على الفطن الكاملِ أن لا يدعي أمرًا لا يقتدر على إثباتِه وإلا افتضح في الدنيا وهلكَ في الآخرة، وقد علمهم أن محمدًا ﷺ هوَ من حيث إنه مظهر العقل الكل ومصدر التعين الأول، هو أعقل العقلاءِ وأفضل الفضلاء، كيف يدعي أمرًا وهو عاجز عن إثباتِه بل أعلمهم أنه راجح عقلًا وأورثهم عملًا وخبرةً وقضاءً وحكمًا وأثقبهم ذهنًا وأصلحهم رأيًا وأصدقهم قولًا وأصوبهم رأيًا وأبرهم نفسًا وأجمعهم لما يحمد ويجمع عليه الفضلاء ويمدحونَ به، وكانَ مظنة لأن يطيعوا به الخبر وترجحوا به جانب الصدق على الكذب، وإذا لحقوا ذلكَ كفاكم أن تطالبوه بأنه هادي وبشير متين ونذير مبين، ويجوز أن يكونَ بصاحبكم كلامًا مساقًا بينها من الله تعالى على طريقة النظر في أمر رسول الله ﷺ ويجوز أن يكونَ المعنى ثم يتفكروا أو يعلموا ما بصاحبهم من جنة. وقد جوز بعضهم أن تكونَ ما استفهامية ﴿لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبإ: 46] كقوله عليه السلام: «**بقيت في نسيم الساعة**».

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ كقوله ما يفتح للناسِ من رحمةٍ ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبإ: 47] جزاء الشرط وفيه معنيان: **أحدهما**: نفي طلب الأجر ومنع مسألته رأسًا كما يقول الرجل لصاحبه: إن أعطيتني شيئًا فخذه؛ وهو يعلم أنه لم يعطِه شيئًا ولكنه يريد البتَّ لتعليقه الأخذ بما لم يكن، **والثاني**: أن يريد بالأجرِ ما أرادَ في قوله لا أسألكم عليه إلا من شاءَ أن يتخذ إلى ربه سبيلًا، وفي قوله: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: 23] لأن إيجادَ السبيل إلى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لأن القرابة قد انتظمه وإياهم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبإ: 47] حفيظ حاضر أمين يعلم إني لا أسأل الأجرَ ولا أطلبه على نصيحتكم وموعظتكم ودعوتكم إليه إلا منه فلا أطمع منكم شيئًا.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ ويرمي منَ القذفِ وهو توجيه السهم ونحوه بدفع واعتمادٍ، واستعير بمعنى الإلقاءِ، ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعبَ ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [طه: 39] أي ألقيه ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [سبإ: 48] بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو صفة الرمي أو منصوب بناء على اللفظ أو على المحل.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ وظهرت مشعشعة أنوار جماله ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ وما يظهره بل يبقى على خفائه أبد الآباد والباطل يقبض الحق وهو النفي المحض والعدم الصرف والممتنع، فالممتنع لا يقبل الوجود والظهور أصلًا، بل يبقى على عدميته أزلًا وأبدًا كما أن الحق وهوَ الثابتَ والكونَ والوجودَ لا يقبل العدمَ، ولا ينتفي في نفسه، ولا يجاوز عن حده، وهو التحقيق والثبوت، بل ثابت على حقيقته وكمال حقيقته فإن كل ما يتصوره العقل ثلاثة أقسام واجب الوجود، وممكن الوجود، وممتنع الوجود، فالثابت والحق هو الواجب الوجود، والمنفي والممتنع هو العدم الصرف والمنتفي المحض ثابت على العدمية ولا يقبل الوجودَ، والممكن هو في نفسه ليسَ بوجودٍ ولا معدوم، بل يقبل الوجودَ والعقلَ عن الواجب الوجود وهو مورد الأحكام الوجودية والعدمية، فإذا زالت أحدهما عادت إليها، فالقابلية للأحكام تنحصر في الممكن، وهو في كل آنٍ يوجد وينعدم ويبدأ الواجب ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبإ: 49] فالإبداء والإعادة دائرتان على الممكن قبولًا وتأثيرًا، وأما الممتنع فليسَ بقابل ولا مؤثر.

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ [سبإ: 50] وخفيت في أطوار شأني الوجودية والعدمية الإفرادية إشارة إلى تفصيل أطوار أعيانِ الأدوار الوجودية وأدوار الأكوان العدمية الإفرادية، وتطور أحوالها وتنوع أطوارها الواحدية، يعني قل يا حقيقة

المحمدية والتعين الأول الساري في تمام التعيناتِ الوجودية النورية الجمالية والتكوناتِ العدمية الظلية الجلالية إن أضلت وسترت واختفت بملابس تعيناتِ الأعيانِ الوجودية في الأدوار النورية والأكوار الظلية في التنزلاتِ في مراتب الظهوراتِ ومناقب الخفياتِ ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ﴾ اختبأت على نفسي لاحتجابي واستنادي لحجب خصوصيات التعيناتِ الوجودية والتكونات العدمية، وأما إذا استكملت بالذاتِ والأصالةِ ﴿عَلَىٰ نَفْسِىۖ﴾ واستكملت الأعيان المندرجة تحت حقيقتي بالتبعية والضمنية الفرعية الإفرادية، ولم يبق لي ولا للأعيانِ في الضمنية الفرعية والأكوان الخفية التبعية حالة منتظرة انتقلت إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ﴾ إلى الصورة الجمعية والهيئة الكلية الإحاطية ﴿فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓۚ﴾ [سبإ: 50] أي فذلك بسبب الوحي المشروط بكمال الجمعية ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ۝٥٤﴾ [سبإ: 50 ـ 54].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 35	سُورَةُ فَاطِرٍ	آياتها 45 مكية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ فاطر السماوات الجواهِر المجردة والفواخِر المعددة والأرض المتعددة قاهرًا أعداءه بملائِكة ورسل أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلقِ ما يشاء من الممكناتِ المتجددة في الجهاتِ المتحددة ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الساتر على بدني كل شيء ومادة وجوده النوعية والصفاتية والشخصية ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي صعدَ به إليه كلمة كل كائن وحقيقةِ كل أمينٍ وخائن بالعملِ الصالحِ الذي يرفعه إلى ما كانَ عليه من حقيقة الحقائق.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومبدعها وخالقها ومجتمعها من فطر يفطر فطرًا وفطرةً إذا انشق كأنه شق العدم وانشق بإخراج الممكناتِ عنه، والإضافة معنوية لأنه بمعنى الماضي لتحققه أزلًا وأبدًا، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قالَ: ما كنت أدري تفاطِر السماوات والأرضِ حتى اختصم إليّ أعرابيانِ في بير فقالَ أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدأتها بالشق ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ومصيرهم ﴿رُسُلًا﴾ وسائط بينَ الله وبين أنبيائِه ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾ ذوي أجنحةٍ وهو اسم جمع، لذو كما أن أولاء اسم جمع لذا، ونظيرهما في الممكنة المخاض والخلفة ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ﴾ [فاطر: 1] صفات لأجنحةٍ وإنما لم تصرف لتكرر العدل فيها، وذلك إنها

عدلت من ألفاظِ الأعداد عن صيغ أي صيغ أخر كما عدل عمر عن عامر، وحدام عن حدامه، وعن تكرير إلى غير تكرير. وأما الوضعية فلا تفترق في الحال فيها بينَ المعدولة والمعدول عنها يعني أنَّ مِنَ الملائكة خلقًا أجنحتهم اثنان اثنانِ وخلقًا أجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقًا أجنحتهم ﴿وَرُبَٰعَ﴾ أربعةً أربعةً ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ [فاطر: 1] استئناف للدلالة على أن تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيئته ومرتضى حكمته ومؤدى إرادتِه لا أمر يستدعي ذواتهم، لأن اختلاف الأصنافِ والأشخاصِ والأنواع إنما هو بالفصول والخواصِ واللوازم الذاتية والوجودية، والعوارض المشخصة، وإن كانَ لذواتهم المشتركة لزمه زماننا في لوازم الأمور المتفقة وهو محال، قوله: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ﴾ متناول لزيادة الصور والمعاني كملاحة الوجوهِ وطلاقة اللّسانِ والقوة وحسن الوجه والصوتِ وحصافة العقلِ وسماحة النفس ووجود العقلِ وازدياده وعدالته وغير ذلكَ من الأحوال الظاهرة الباطنة بالنسبة إلى الممكناتِ المادة، وكزيادة الأجنحة بالنسبة إلى الجواهِر المجردة، إذ الأصل منها هو الجناحان لأنهما بمنزلة اليدين والرجلين، والثالث والرابع زيادة على الأصلِ لإفادتهما القوة والقدرة على الطير والطيرانِ والتصريف والدورانِ.

فإن قيل: قياس الشفع من الأجنحة أن يكونَ في شق نصب في الصورة الثالثة في وسط الظهرِ بينَ الجناحين يمدها بقوة وقدرة على الحركة أو لعلة لغير الطيرانِ، أقول فقد تحقق في بعض الكتب لي أنَّ صنفًا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلقونَ بهما أجسادهم، وجناحانِ يطيرونَ بها في الأمور الإلٰهية، وجناحان مرخيانِ على وجوههم حياءً منَ اللّهِ تعالى.

عن رسول الله ﷺ أنه رأى جبرائيل في ليلة المعراج له ستمائة جناح وإنه سأل جبرائيل أن يترآى له في صورة، فقال إنك لن تستطيع ذلك قالَ إني أحب أن يفعلَ ذلك فخرجَ رسول الله ﷺ في ليلة مقمرة فأتاه جبرائيل في صورته فغشي رسول الله ﷺ، ثم أفاق وجبرائيل مسنده وإحدى يديه على صدره وأخرى بينَ كتفيه، فقالَ سبحانَ الله ما كنت أرى شيئًا مِنَ الخلقِ كذا فقال جبرائيل كيف لو رأيتَ إسرافيل لَه اثني عشر جناحًا جناح منها بالمشرقِ وجناح بالمغرب، وأن العرش على كاهلِه وإنه ليتضاءل إلا حافينَ بعظمة الله حتى يعود مثل الوضع وهو العصفور الصغير روي عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾

وهو الوجه الحسن والشعر الحسن، وقيلَ هو الحظ الحسن وعن قتادة الملاحة في العينينِ، ولاية مطلقة كلية يتناول كل زيادة في الخلقِ من طول قامةٍ واعتدال صورة وتمام في الاعتدال والأعضاء، وقوة في البطش وجودة في العقل وجزالة في الرأي وحرارة في القلب وغير ذلك مما ذكر وغيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطِر: 1].

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ أي يطلق ويجوز ويرسل ﴿مِن رَّحْمَةٍ﴾ والآية ونعمته ومقتضى كرمه من وفور الرزق وأسبابه من نزول المطرِ أو الصحة والعافية والأمن وكمال الأمانة، وغير ذلك من صنوف نعمائه وصنوف آلائه التي لا يحاط بعدّها ولا يجاد بأمدها، ويتكثر للإشاعة والإيهام كأنه قالَ من آية رحمته سماوية كانت أو أرضية ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ ولا مانع لحصولها ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾ أي ما يمنعه الله ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ أي لا معطي ولا محصلَ له وإنما أنث الضمير في الأولِ، وذكر الثاني لكون الوصول في الأول مفسرة بالرحمة، وفي الثاني مطلق يتناول لها ولغيرها أو لتغليب المذكر على المؤنث ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي بعدَ إمساكِه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب القاهر القوي على ما يشاء ليسَ لأحد أن ينازعه فيه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطِر: 2] العالم بظاهره وباطنِه، الحاكم بوقوعه ثمانين آية، الموجد للملك والملكوتِ والتصرف فيها بأمر الناسِ بشكر نعمائه فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ احفظوها بنحو معرفة حقها والاعتراف بها وبحق معرفة منعمها ومواليها، ثم أنكر أن يكونَ لغيره في ذلك مدخل فيستحق أن يشرك به بقوله ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ولذلك عقبه بـ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطِر: 3] أي فمن أي وجه ينصرفونَ عن التوحيد إلى إشراك غيره به وإنما رفع (غير) للحمل على محل من (خالقٍ) فإنه وصف ومحل خالق المرفوع لأنه مبتدأ، ويرزقكم خبره، ومن بيان للخالقية، أي ليسَ خالق في

السماواتِ والأرضِ يرزقكم غير الله والاستفهام للإنكار أي ليس خالق في الأرض ولا في السماءِ غير الله حتى يرزقكم، فإذًا لا إلٰهَ إلا هو فأنى يؤفكون ويصرفونَ الأمورَ إلى غيره، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ إما وصف لخالقٍ تابعًا لمحله، أو بدل منه واستئناف مفسر له، أو كلام مقيد فعلى الأخير يكون إطلاق هل من خالقٍ مانعٍ من إطلاقه على غير اللَّهِ.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي اصطبر وتحمل ولا تضطرب لأنه قد كذبت فتلك رسل كثيرة فتأسّ واقتدِ بهم في التحمل والاصطبار على تكذيبهم، فوضع قد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب، تنكير رسل إما للتعظيم أو التكثير مهما يقتضيا الزيادة التسلية والحث على المصابرة ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [فاطِر: 4].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بالحشر والجزاءِ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي لا يجعل لكم الدنيا وحطامها وزخرفها وزينتها وأسبابها وتنوع أبوابها مغرورًا ومستخدعًا ومسرورًا وغافلًا عن اللَّهِ ومنكودًا، وعن العمل الصالح شاكرًا ومشكورًا ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطِر: 5] أي بمعرفة الله وبمشاهدته وبالعملِ الصالِح وبالأحوالِ والمقامات، فإن كثيرًا من عباد اللَّهِ قد أغروا بمعرفة الله وحسن عبادتِه وعلو حالاته ومقاماته واغتراره لقصوره في كمال معرفة الله ولذا نكر على غيره. قال النبي ﷺ: إن من العلوم كهيئة المكنونِ وإذا نطقوا بها لم ينكرها إلّا الغرة وهو مصدر غر كاللزوم والنهوك والدخول والخروج، أو جمع غار كقاعد وقعود والمرور والمار.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [فاطِر: 6] يدعوكم إلى ما يضركم عاجلًا وآجلًا كما

دعا أبوكم وأمكم آدم وحواء إلى أكل الشجرة فأخرجكم من الجنة إلى مقام الحَنَّة(*) ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ ولا تعملوا بما دعاكم إليه ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ﴾ وفرقه وأتباعه ونصره وأشياعه ﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6] بيان وتقرير لعداوته.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ وتجاوز عن السيئات ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [فاطر: 7] وعوض كثير، ومن شهود اللقاءِ ومعاينة التجليات والتحقق بها وعد لمن أجاب دعاءه وأناب لقاءه وجمع الأطماعَ القارعة ورفع الأماني الكاذبة المصارعة وذلكَ مبني على كمال الإيمانِ ووفور الاتقانِ وظهور الإيقانِ وهو يتضمن ارتفاع الشكّ والعصيانِ.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ يعني أن هذين الفريقين ليسا في درجة السؤال فإنَّ من زيَّن له سوء عمله بأن زين الشيطان أعماله ﴿فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ بل عبد وهم وهواه علَى عقلِه وانتكس رأيه ونظره وانعكس تدبيره وفكره فرأى الباطلَ حقًّا والحق باطلًا فرآه حسنًا ليسَ كمن لم يزين بل وقف حتى عرف الحق وأحسن الأعمالَ الصالِحة واختارها على الأفعال الطالحة واستقبحها، فجوابه محذوف يدل عليه ما رُوَى عن رسول الله ﷺ حيث قالَ في جوابه لا فقال ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ يعني تزيين العملِ والإضلالِ واحد قيلَ تقديره فمن زين له سوء عمله فذهبت نفسك عليهم حسرةً فحذف الجواب لدلالة قوله ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: 8] على غيهم وإصرارهم على التكذيب، فالفاء في الثلاثة السببية غير أن الأولين دخله على السبب والثاني على المسبب، وجمع الحسرات للدلالة على التضاعفِ، فاغتمامه على سوء أحوالهم وكثرة مساوئ أعمالهم المقتضية إلى التأسف والتحسر عليهم لتبين صلة لها إذ صلة المصدر لا تتقدم

(*) الحقد والغضب.

عليه بل صلة يذهب كما تقول هلك عليه صبا وهاب عليه حزنًا أو بيان للمحسر عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر: 8] ويعملون أعمالًا صالحةً وطالحةً فيجازيهم عليها ثوابًا وعوضًا وعقابًا.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩﴾

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ﴾ وتنشر وتبشر ﴿سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ﴾ وطردناه وصرفناه ويعملون ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: 9] على حكاية حال ماضية استحضار تلك الصورة البديعية والهيئة المنيعية الدالة على كمال قدرته وعموم حكمته البالغة ووفور مشيئته، ولأنَّ المرادَ بيان أحداثها بهذه الخاصةِ، فظهر منها آثار الحياة من الحركاتِ الطبيعية والهيئات الطينية من النشوء والنماءِ، وإظهار ما هو مبدأ التوليد المثل لحفظ النوع والبقاء الشخصي بعدَ موتها، أي بعدَ يبسها واختفاء مقتضى القوة النامية في فصل الشتاء والالتفاتِ من التكلم إلى الغيبية لكونه أدخلَ في الاختصاصِ وأدل عليه، كذلك مبتدأ وخبر تقديم الخبر للاختصاصِ، يعني أن إحياء الأمواتِ الزايلة الزابلة، وإعادة الأجسام البالية، وإفادة الحالات التالية والمقاماتِ العالية في الوقت المعين المخصوص وهو القيامة واليوم الموعود، والنوم المعهود كإحياء الأرض بعدَ موتها وسببها في الفصل المعهود.

فإن قدرة القادر الغير المتنافية كما تتعلق بإحياء الأرض وإخراج أنواع النباتِ منها كذلك تتعلق بإحياءِ الأمواتِ وذلك لما تقرر من أن الّذاتِ بحسب خصوصية اسم من الأسماءِ الذاتية اقتضاءً خاصًا صاحب اسم النور والجمال وسلطان ارتضاء الجلالِ صريحًا وضمنًا وتبعًا في دور مخصوصٍ وكور منصور وإن لذلك الاقتضاء مدة معينة وبرهة بينة، وإن لَه دنيا وآخرةً وسماءً وأرضًا وطولًا وعرضًا، وإذا كانَ الحكم بالجمالِ صريحًا فحينئذٍ ينقل سلطنة الدورة وفردارية النوبة إلى سلطان الجلال ويصير اقتضاؤه صريحًا وهو يوم الآخرة وما يناسبها من الجنة والنار وما يتبعهما من الحساب والميزانِ والصراط والثواب والعقاب، فكما أن مقتضى أدوار الفلك الدنياوي لا يتخلف في الفصول الأربعة أو الثمانية

كما هيَ في خط الاستواءِ، فإن فيه التساوى لنسبه وضع جرم الشمس إليه وأهلهِ قربًا وبعدًا ومرورًا على سمت رؤوسهم في السنة مرتين، يكون صيفان أحدهما عندَ حلول الشمس في نقطة الحمل، وأخرى في نقطة الميزانِ وهاتين الحالتين تكونان وسط زمان صفهم.

فإذا انتقلت الشمس من سمت رؤوسهم شمالًا وجنوبًا يظهر ربيعان وخريفان وشتاءان، كل فصل منها خمس وأربعونَ يومًا، عن مقتضاه كذلك اقتضاء الفلك الأخروي، وهو ارتضاء سلطانِ اسم الظل والجلال الذي كانَ لدى صراحةِ اقتضاء النور والجمال ضمنًا وتبعًا لا يتخلف عن مرتضاه أصلًا أصالة ولا فرعًا ولا صريحًا وضمنًا وتبعًا، فانقرض اقتضاؤه ضمنًا دونَ انقراض فرداريّة الجمال صريحًا لا بدّ وأن ينتقل لاقتضاء الصريح إلى سلطان الظل والجلال ويظهر أصالةً وأولية وصراحةً، ويصير اقتضاء النور والجمال ومقتضاهما وهو الدنيا ضمنًا وتبعًا وخفيًا، وهاتان الحالتانِ ثابتان في دورة كل اسمٍ من الأسماءِ الأربعة الذاتية أصالة واستقالةً، وفي الثلاثة الأخيرة، وهيَ السميع والبصير والمتكلم نوعًا وشراكًا كما مرت في صدر الكتاب في المقدمة الموطوءة فارجع إليها، ويدل على صدق هذا ما قيلَ يحيي الله القلبَ بما يرسله من تحت العرش من الرجال يثبت من أجساد الخلق وأبدانهم.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾ الهيبة والعظمة والرفعة والشرف في كل القطر والطرق أو القهر والقوة والغلبة والقدرة ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ كانَ الكافرونَ يتفردونَ ويتعظمونَ بالأصنام كما قال: الّذينَ يتخذونَ الكافرينَ أولياء من دونَ المؤمنين، أيبتغون عندهم العزة ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ يعني لا عزة ولا غلبة إلا لله ولرسوله وللمؤمنين، فوضع قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر: 10] موضعه بقرينة جميعًا استغناء به عن أرباب الدين عن المدلولِ فلا بدّ أن يطلب العزة عنده لرجوع أنواع العزة إليه إذا بشيء لا يطلب ولا يعمل إليه إلا عند صاحبَه ومالكيه ونظيره قولك

من أرادَ النصيحة والموعظةَ فهي عندَ الأبرارِ عن الآخرة، أي فيطلبها عندهم، وهيَ أتم وأولى أن يقولَ منه كمالًا يخفى ضد الذوق السليم لدلالته على أن العزة بأنواعِها عزة الدنيا، وعزة الآخرة كلها مختصة باللّهِ، ثم عرف أن ما يطلب به العزة وينال به إليها هو الإيمان باللّهِ والتوحيد والعمل الصالح بقوله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: 10] وهي كلمة التوحيد والإيمان باللّهِ وبما جاء به اللّهِ ورسوله.

قيل: هوَ كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل ودعاء وتلاوة القرآن والاستغفار وغير ذلك، وأفضلها لا إلٰه إلا الله وإذا قالَها العبد عرج بها الملك إلى السماءِ فحيا بها وجه الرحمة فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل من وقال أيضًا لا يقبل الله قولًا إلا بعمل وقولًا إلا بنيّة بينة إلا بإصابته السنة، قيلَ القول بلا عمل كثريد بلا دسم، وسحاب بلا مطرٍ، وقوس بلا وترٍ، يعني أن هذه الكلماتِ لا تصعد إلى السماءِ إلا بالعملِ، ولا تكتب إلا حيث تكتب الأعمال المكتوبة كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [المطفّفين: 22] قيل: الرافِع هو الكلم والمرفوع هو العمل، لأنه لا يقبل عمل إلا من موجد أو الرافع هو الله والمرفوع هو العمل والكلم. وفي تفسير القاضي صعودهما أي مجاز عن قبول الله إياهما، هذا هو قول من يفيد في درجة العقل المثبت بأذيال الوهم والخيال، وتوقف في قبول هذا النوع من الأمور التي أدركها بطور من الأطوار الخارجة عن أطوار العقلِ، فإن الأحكام الشرعية والأعلام الإلٰهية أكثرها مما لا مدخلَ للعقل فيه كما مرّ في الحديث: من أن العقلَ لإقامةِ العبودية لا لإدراك سر الربوبية فإن كلما نطق بالكتابِ حقيقة والركون إلى المجازِ لا يكون إلا لقصور وإدراك المعنى المطابقي والمعنى الحقيقي، كما تقرر عندَ أرباب التحقيق أنَّ الوجهَ واليدَ والإيقانَ في حق الله تعالى كما قالَ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البَقَرَة: 210] وكما وقع في الحديثِ القدسي: «**يا خليلي مرضت فلم تعدني**» وغير ذلك من تجلى إلى المحبوب من كل جهةٍ فشاهدته في كل معنى وصورة حقيقة في الكل.

وكنت مريضًا فقال لي: تسلية لي يا حسام الدين عليّ لا تحزن ولا تغمم فإن المرضَ كالحزنِ والإمراض صفة من صفاتي كاليد والوجه فلا أعطيها إلا عبدًا صديقًا وفقيرًا شفيقًا على عبادي، وهِيَ في الحقيقة وإن كانَت في الظاهِر مخالفة

لطور العقلِ الحاكم على المجاز والحقيقة ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [فاطر: 10] أي مكروا المكراتِ السيئاتِ أو أصناف المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حينَ اجتمعوا في دار الندوة وتداولوا الرأي في إحدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول اللّهِﷺ إنها الإثبات أو القتل أو الإخراج كما قال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: 30]، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ﴾ الذين مكروا تلك المكراتِ المذكورة ﴿هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: 10] يكبد ويبطل ويفسد دونَ مكر الله بهم جميعًا وحقق فيهم مضمون قوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30]، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43].

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11)﴾

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ كخلق آدم فإن اجتماعَ الأفياض الإلٰهية وازدواج الأنوار الغير المتناهية إلى الأرض وإلا تراضى الجو الأخير سبب إليها لما تقرر من أن الجامعَ بالقبول والمؤثر فيه هو العلة الأخيرة، ثم خلق منه ما يجانسه وهو الحواء فصار التوالد بالازدواج فأشارَ إليه بقوله: ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ إن كل من ظهر منهما من ذكر وأنثى كما قال أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ أن تحمل واحدة من أنثى أو يكون أنثى فاعل تحمل، ومنه صلة يوكد النفي ﴿وَلَا تَضَعُ﴾ الحامل ذكرًا أو أنثىً ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ أي مطابقة وموافقة بعلمِهِ أو منصوبة تقديرًا بمعنى أن معلومة في موضع الحالِ متعلق بالكل، عن قتادة زوج بعضهم بعضًا بعلمه ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن﴾ أحد فمعمر وإنما سماه ﴿مُّعَمَّرٍ﴾ بما هو صاير إليهِ لا يقال الإنسان إما معمر أي طويل أو منقوص العمر أي قصيره فأمان يتعاقبَ عليه التعمير وخلافه فحينئذٍ فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ [فاطر: 11] لأنَّ هذا من الكلام المسامح إذ لا يلتبس على أحد إحالةِ الطول والقصرِ في عمر واحد وعليه كلام الناسِ من المستفيض يقولونَ لولا يثبت الله عبدًا أو لا يعاقبه إلا بحق هذا على ما في الكشافِ، فهو موافق لمذهبه لأنَّ مذهبه أن استحقاق العقاب بالكبيرة يحيط استحقاق الثواب بالطاعةِ، فعلى هذا لا يكون

هذان الوصفانِ لشخص واحدٍ، وأما عندَ أهل السنة فلا بدّ في أن يستحق شخص واحد عقابًا باعتبار، وله تأويل آخر وهو أنه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: 11] مبين.

وصورته: أنه قد كتبَ في اللوحِ إن ما حج فلان أو ما غزا فعمره أربعونَ سنةً وإن حج وغزا فعمره ستونَ سنةً، فإذا اجتمع بينهما فبلغ الستينَ فقد عمر، وإذا أقروا أحدهما فلم يتجاوز الأربعينَ فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستونَ، وإليه أشارَ رسول الله ﷺ في قوله: «**إنَّ الصلاة والصدقة يعمران الديارَ ويزيدان في الأعمار**». وعن كعب الأحبار أنه قالَ حين طعن عمر رضي الله عنه: لو أن عمر دعا اللَّهَ لأخر في أجلهِ، فقال الكعب: أليسَ قالَ الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النّحل: 61] قال: فقال الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ وقد استفاض على الألسنة: أطالَ الله عمرك فقالَ وفسح في يديك وما أشبه ذلكَ، وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنةً ثم يكتب في أسفل ذلكَ ذهب يوم وذهب يومان حتى يأتي على آخره، وعن قتادة العمر من بلغ ستينَ، والمنقوص من عمره من يموت قبل ستينَ سنةً، والكتاب اللوح. وعلم اللَّهُ وصحيفته الإنسان ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الأمر المذكور من التعمير والتنقيص ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: 11].

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ ضربهما مثلًا للمؤمن والكافر بأن العذبَ الفرات السابغ هو الذي يسهل انحداره ليسكن العطش والأجاج والملح هو الذي لملوحته ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ﴾ أي من كل واحد من هذين البحرين يحصل من جنس السمكة ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [فاطر: 12] وكذا يحصل منهما اللؤلؤ والمرجان، وتجري الفلك لمنافع التجارة إلا أنَّ هذه المنافع استطراديّة لا توجب التساوي في الذاتِ، وشتان بينهما كما علمتَ فإنَّ الكافرَ كالماء المالح والأجاج الخالي عن النفع الذاتي وهو ما يكون مقصودًا بالذاتِ وهو الإيمان كما

أنَّ النفع الذاتي من الماءِ ولتسكين العطشِ وترويح القلب وتعديل العدالة الغريزية وترطيب الأعضاءِ المتحركة المنتسخة وترقيق الغذاء الغليظ اليابسةِ وبذر فيه، وتعديل الحرارة الكبدية وغير ذلك، هذا هوَ المناسب للمؤمن النافِع الموافق ظاهره وباطنه والماءَ المالِح بخلافه ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ فيها ﴿حِلْيَةً﴾ من اللؤلؤ والمرجان والدر ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ وتزيين بهما ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ أي آلة في الفلك ليشق الماء الفلك ويخرقه بمواخره ليجرر فيه حزنًا سهلًا حسنًا ﴿لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلق بمواخر، ويجوز أن يتعلق بما دلت عليه الأفعال المذكورة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: 12] على ذلك الأمرِ المذكور من النعم والحرف للترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهِرُ الحال.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ وقد مر الكلام في هذا المقام في سورة القمان فارجع إليه. وأما التكرار فإشارة إلى تكور الأدوار وتكثر الأكوار وتدور الأطوار ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وذكر الشمس والقمرَ لاختصاصهما بهذا الحكم كما مرَّ في الصورة المذكورة ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ إشارة إلى الذاتِ الموجب المولج وهو مبتدأ وما بعده خبره ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ جملة ظرفية خبر ثالث ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ وتعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ من الأفلاك وأجرام الأفلاك والعناصرِ والمركباتِ، وحذف المفعول إشارة إلى هذا التعميم ﴿مَا يَمْلِكُونَ﴾ ولا يتصرفونَ في المكوناتِ سيما فيما يقرب منا من الأشجار والأثمار ﴿مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: 13] أي في أقل الأشياء أو أضعفهما وهو الغش الرقيق الذي يحتوي ويحيط على اللباب ويحفظها.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِن تَدْعُوهُمْ﴾ [فاطر: 14] يطلبوهم للإعانة والتقوية ودفع البلية ﴿لَا يَسْمَعُواْ

دُعَآءَكُمْ﴾ وطلبكم إياهم لأن ما سوى اللَّهِ تعالى من الملائكة والنفوس والأفلاك والعناصِر وما يتركب منها من الأشجار والجماد والأحجارِ في حدود ذواتهم أعدام ليسَ لها وجود ولا لها ما يتبعه من الإدراكاتِ النفسية والحالات الحسية ﴿وَلَوْ﴾ فرضنا أنهم ﴿سَمِعُوا۟﴾ لكن ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ أي لا يجب دعاؤكم ومقترحاتكم ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ وإشراككم لهم وعبادتكم لهم يقرون ببطلانه أو يقولونَ ما كنتم إيانا تعبدونَ بل عبدتم الشيطان ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطِر: 14] أي لا يحرك بالأمرِ بخير هو مثل خبير عالم بالظاهِر والباطِن يريد أن الخبيرَ بالأمرِ وحدَه ظاهرًا وباطنًا هو الله العالم لحقيقة الحال، متفرد به دونَ سائر المجترئ به، والمعنى أنَّ هذا الأمر الذي أخبرتكم به من حال الأوثانِ بأنه باطل هو الحق لأني خبير بما أخبرت به لا غيري إذ ليس موجود عالم خبير وسميع وبصير إلا أنا.

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ في الظاهِر والباطن في الوجود وفق البعد ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطِر: 15] وإنما صرف الفقراء قصدًا بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناسِ وغيرهم لأنَّ الفقرَ مما يتبع الضعف وكلما كانَ الفقر أضعفَ كان أفقر وقد شهد الله سبحانه وتعالى على الإنسان بالضعفِ في قوله: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء: 28]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الرُّوم: 54] ولو نكر لكانَ: أنتم بعض الفقراء لما أثبتَ فقرهم إليه وغناه عنهم، وليسَ كل غني نافعًا بغناه إلا إذا كان الغني جوادًا منعمًا، فإذا جادوا يعم جملة المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل على أنه الغني النافع بغناه خلقه، الجواد المنعم عليهم المستحق لإنعامه عليهم بأن يحمدوه والحميد على ألسنة مؤمنيهم.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ ويهلككم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطِر: 16] أي مخلوقين محدثينَ.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾

﴿وَمَا ذَٰلِكَ﴾ ذلك الخلق الجديد والمحدث الجديد ﴿عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: 17] أي ممتنع هذا غضب عليهم باتخاذهم له أندادًا وكفرهم بآياته ولعصيانهم لأمره، كما قالَ وأن تتولى ليستبدل قومًا غيرهم. عن ابن عباس: يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئًا.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝١٨﴾

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: 18] الوقر والوزر إخوان ووزرَ الشيء إذا حملَه والوزارة صفة النفس. والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذي اقترفته ولا يوجب نفس يذهب نفس آخر كما يأخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجارِ بالجارِ، والفرق بين هذا وبين قوله ويحمل أثقالهم معَ أثقالهم أن تلك الآية في الضالينَ المضلينَ وإنهم يحملونَ أثقال إضلال النَّاسِ معَ أثقال ضلالتهم، وذلك كلمة أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم ألا يرى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ بقوله: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [العنكبوت: 12]، ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ أي نفس أثقلها الأوزار ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ ليحمل بعض أوزار ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ أي لا عقابَ يومئذٍ لمَن استغاثَ حتى أن نفسًا قد أثقلتها الأوزار ويهبطها لو دعت إلى أن يخفف بعض وقرأها لم ولم تفت ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المدعو المستغاث ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ أي ذات قرابة من أب وأم أو ولد أو أخ أو عم ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ أنت يا محمد الأشخاصِ ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ غايبينَ عن عذابه ويخشونَ عذابه غائبًا عنهم وهذه أي صفة الأعيان الذين كانوا مع رسول الله ﷺ من أصحابه فإنَّ عادتهم المستمرة أن يخشوا اللّهَ، وأطاعوا أمرَه وأمر رسوله وهم الذينَ ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبة ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ وتطهر ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ﴾ ويتطهر ﴿لِنَفْسِهِۦ﴾ عن المعاصي والذنوب ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [فاطر: 18] والمرجع والمعاد فيجازيهم على تزكيتهم

وتطهيرهم وتنقيتهم عن الآثام وتعبد الأصنام.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [فاطر: 19] أي الكافر والمؤمن.

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ [فاطر: 20] أي الكفر والإيمان والجهل والعلم ولا الباطل والحق والضلالة والهداية.

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ [فاطر: 21] أي الثواب والعقاب والشقاوة والسعادة.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ أي المؤمنونَ والكفار أو العالمونَ والجهال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ هدايته وكلامه ونصيحته ومرامه وموعظته وحاله ومقامه ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: 22] أي أموات قبور الأجساد وأرواحِ أحداث الأجسام والأبدان أو أنَّ اللَّهَ يسمع ويقدر على أن يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسرِ والإلجاءِ وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق وأما أنتَ يا محمد فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذينَ هم بمنزلة الموتى بَلْ: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 23] فما عليكَ إلا الإنذار وأما الإسماع فلا.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ محقين أو محقًّا أو إرسالًا مصحوبًا بالحقِّ ويجوز أن يكونَ صلةً لقوله ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ بالوعدِ والوعيدِ ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾ أهل عصرٍ وسكان دهرٍ ﴿إِلَّا خَلَا﴾ مضىٰ ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24] من نبي أو ولي دنا عهد أو عالم ربّاني وحكيم إلهي إشعار بأنَّ مشيئة اللَّهِ تعالى قد خلت من قبل واستمرت حالًا ومآلًا بأن يبعث في كل زمانٍ شخصًا كامِلًا وفردًا فاضلًا ليدعو الخلقَ إلى الحقِّ وهوَ إمام زمانه ومقتدى عصره وأوانه قال النبي ﷺ: «**من مات ولم يعرف إمام**

زمانه مات ميتة جاهلية». وإعادة الإنذار واحدًا بعدَ واحد مشرع بالخدعِ، وتقديم الظالم إشعارًا يبالغ في التخويفِ والإنذار ولا يذكر المبشرات والمرجيات إلا على سبيل الضرورة فإنَّ الأهم تكتمل النفوس الناقصة وذلك لا يتأتى إلا بتزكيتها عن الملكاتِ الردية والهيئات الدنية والأخلاق الرذيلة والأوصاف السبعية والصفاتِ البهيمية والهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية التي لا يزول إلا بالسياسة الإنسانية والرياسة الإنسية وهي الخلافة العظمى و[الإماتة] الكبرى والهداية العليا، ولما كانت حية النفس الأمارة كلما قتلت أحياها الله تعالى، فإذا الأبدان يتداوم الإنذارَ ويقام معهم التخويفَ والإصرار.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ فلا تغمم ولا تحزن ﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي في زمان يكون قبل زمانك كموسى وعيسى وإبراهيم ويحيى وزكريا ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ من المعجزات والإرهاصاتِ وإظهار الكراماتِ وخرق العاداتِ الدالة على صدق النبواتِ وحقيقة أحكامِها ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ وبصحف إبراهيم وموسى ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [فاطر: 25] كالتوراة والإنجيل والزبور على إرادة التفصيل دون الجمع، ويجوز أن يراد بهما واحدًا، وأما العطف فلتقارير الصفتين، لما كانت هذه الأشياءِ في جنسهم وتخفيف في نوعهم أسندَ المجيء بهما إليهم إسنادًا مطلقًا، وإن كانَ بعضها في جميعهم وهيَ البينات وبعضها في بعضهم وهيَ الزبور والكتاب وفيه مستدلًا لرسول الله ﷺ.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ﴾ [فاطر: 26 - 27] أنواعها كالرمان والعنب والتفاح والتينِ وغيرها مما لا يحصيها، أو هيئاتها من الحمرةِ والصفرة والخضرة

والأسود والأبيض ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ﴾ بالضمتين أي وجدد وحطط وطرائق جمع جديدة، وبمعنى الجدة وبفتحتين هوَ الطريق الواضِح ﴿بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا﴾ أي تطور تلونها شدةً وضعفًا أو تنوع أمثالِها ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾ [فاطِر: 27] عطف على بيض أو على جدد كأنه قيلَ ومن الجبال جدد مخطط وجدد منها ما هو على لون واحدٍ غرابيب قيلَ هي الجبال الطوال السود الغرابيب مفرده تأكيد للأسود يقال أسود غربيب وأسود حلكوك، وهوَ أبعد من السواد وأغرب فيه، ومنه الغراب، ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكدَ كقولك أصفر فاقع وأبيض وما أشبه ذلك.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾ [فاطِر: 28] أي حقائقه جنسًا ونوعًا ووصفًا، أي هذه الأشياء والأجناس والأنواع والأصناف من كل نوع داخلةٍ في حد النظر والذي دلَّ على وجوبه ألم تر لأنَّ الاستفهام لطلب النظر والرؤية في التأمل في الحكمةِ في خلق هذه الأشياء الحقائق المختلفة، والآثار المتنوعة الأطوار بدائع صنعها وسواطع حكمتها ليستصعد النفوس من حضيض درك الطبيعة إلى أوج فلك الحقيقة، لمن صعدَ بعدَ أن يبعدَ عن مساحة مركز علّية التعبد إلى مواجهة محيط نهاية القرب، فقد خشي الله وباللَّهِ و﴿كَذَٰلِكَۗ﴾ أي فكما أن النظر والرؤية والفكرَ في حقائق الأشياءِ إنما يتأتى من العلماءِ كذلك ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ أو شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاتِه وأفعاله، فمن هوَ أعلم به فهو أخشى منه، ولذا قال النبي ﷺ: «**إني أخشاكم للَّهِ وأتقاكم له**» ولذلك أتبعه ذكر أفعالِه الدالة على كمالِ قدرته وتقديم المفعول لأنَّ المقصودَ حصر الفاعلية على الله ولو أخر لانعكس الأمر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ قوي قاهِر غالب على أمرِهِ ﴿غَفُورٌ﴾ [فاطِر: 28] يعفو كل خاطئ ومخطئ وعاصي ومذنب تعليل لوجوب الخشية من الله، على أنه مُعاقب المصر على طغيانِه، غفور للتأديب عن عصيانه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ ويداومونَ قراءته ويلازمونَ على تلاوته، والمراد جنس الكتاب الإلهي التي يتضمنها القرآن فمن قرأه فكما أنه قرئ جميع الكتب السماوية ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبة إن كان الأمر للوجوب أو المطلقة إن كانَ الأمر للاستحباب ﴿وَأَنفَقُوا۟﴾ وصرفوا وبذلوا ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: 29] لن يبطل ويفسد.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ عنه المدلولة، أي ينتفي عنها الكساد ويختفي عنها الفساد ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ على ما يقابل أعمالهم ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ عفو لفرطاتهم ﴿شَكُورٌ﴾ [فاطر: 30] لطاعاتهم ويجازيهم عليها علة للتوفيه والزيادة.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ وأنزلنا عليك ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ والقرآن من للتبيين أو الجنس أو التبعيض ذكر الكتاب وإرادة القرآن إشعار بأنَّ القرآنَ أصل جميع الكتب الإلٰهية ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت أحكامه النابت أعلامه حال كونه ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي مثبت ومبين لما هوَ ظاهر بين يديه من الكتب المتداولة والصحف المصورة أو أنه مصدق لما تقدمه من الكتب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: 31] عالم بالبواطِن والظواهِر على وجه المعاينة والمشاهدة.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ [فاطر: 32] عطف على أوحينا أي أوحينا وحكمنا بتوريثه

بعدَ ذلك أو نورثه والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه وثبوته أو أورثنا من الأمم الماضية وعطف على أن الذين يتلون والذينَ أوحينا اعتراض بيان كيفية التوريث ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ واخترنا ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ يعني علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم والأمة بأسرهم لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالتقصير بالعلم بالقرآنِ وأحكامهِ وبأجزائه وبأعلامه، وجميع ما فيه بغيره والعمل بمقتضاه ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ عالم منحصر على نفسه لما يتعدى إلى غيره علمه وعمله ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وهم العالمون والعاملون الكاملونَ بنفوسهم متكلمون لغيرهم وهم الذينَ قاموا الصلاة في قومه كالنبي في أمتِه وهم الأئمة الذينَ بعثهم الله للخلق لتبين لهم أحكام الدين وتعين لديهم أعلام اليقين ويوصلهم إلى مقام علم اليقين وعين اليقين، ومنه إلى حق اليقين، وإلى هذا أشارَ النبي ﷺ: «**الناس ثلاثة: عالم ومتعلم والباقي كالهمج**». قيل: الظالم والمجرم والمقتصد الذي خالط الصالحَ بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته سيئاته بحيث صارت مكفرة، وهو معنى قول عليه السلام السّابق الذي ترجحت حسناته سيئاتِه، فأولئك يدخلونَ الجنة، يرزقون فيها بأنواع النعم وأصناف ما يظهر من الفضل والكرم بغير حساب، وأما الذينَ اقتصدوا فأولئك يحاسبونَ حسابًا يسيرًا، وأما الذينَ ظلموا أنفسهم فأولئك يحاسبون في طول المحشر ثم يلقاهم برحمتِه، وقيلَ الظالم الكافر ﴿ذَٰلِكَ﴾ ذلك التوريث والاصطفاء والسبق ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: 32].

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بدل من الفضل مبتدأ خبره ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر: 33] نزل منزلة السبب في نيل الثواب والميل إلى رتبة الحق ومرتبة الصواب كأنه هوَ الثواب وفي اختصاصِ السابقين من بعد التقسيم يذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر، فليحذر المقتصد وليملك الظالم نفسه، وعليه بالتوبة النصوح المخلص من عذاب اللّهِ. وفي الكشاف: أو لا تعتبروا بما رواه عمر رضي الله عن رسول الله ﷺ: «**سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مفغور له**» فإن شرطَ ذلك صحة التوبة لقوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 102]. هذا على وفق مذهبه

قوله: إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، ولقد نطق بذلكَ في مواضع من استقرأها اطلع على حقيقة الأمر ولم يعلل نفسه بالخدع وفي تقديم الظالم إشعار بكثرة عددهم ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ خبر ثانٍ ﴿وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: 33] جملة اسمية حالية.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ من خوف العاقبة وأعمهم من أجل المعاش وإقامته أو من وسوسة النفس وغيره ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للمذنبين والمطيعين ﴿شَكُورٌ﴾ [فاطر: 34] يقبل الشكر من عباده كما قال: ﴿كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 3] أي قابلًا لتوبة المذنبين.

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ وعار الإقامة ومحل الاستكانة ﴿مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ومشقة ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: 35] كلال وكلالة وملال وكدورة إذ لا تكليف فيها وما يتفرع عليها، والفرق بينهما أن النَّصَب نفس التعب والمشقة والكلفة التي يصيب من فضله المنتصب للأمر المزاول له، وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب والنصب نفس الكلفة والمشقة واللغوب نتيجته وما يتفرع عليه من الكلل والفترة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر: 36] جواب النفي في الظاهر ولذا حذف النون وفي المعنى قيد المنفي لا النفي، يعني لا يقضي عليهم الموت فيموتونَ لكن لم يقض عليهم بالموتِ فلا يموتونَ في الجنة لأن أجزاءهم الأصلية وأركانهم الأولية البرزخية قد صاروا بواسطةِ كثرة النشآتِ والتردد في الشؤونات في غاية التشاكِل والتضاهِي والتعادل، فلا يتطرق عليها الانفصال أو التفرق والانفكاك فصارت باقية، وأما أهل النار فلكون أجزائهم

متخالفةً لا بدّ أن يعدلوا بالغاسلة من شأنها تفريق المتخالفاتِ وجمع المتماثلات بأن يفارق ويفرق على ما عرضَ على النفوسِ من الأمور الغريبة المباينة لها فصارت نقية عن الكدورات الطبيعية وعن الظلمات الجسمانية فحينئذٍ يرجع إلى أصلِها وهو عالم القدس ومرتبة الإنسِ وراتبة الأنسِ وهي جنة الروح والنفس ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: 36] أي عذاب جهنم التي كانت في ضمن النفوس العامِلة والعكوس الأمارةِ واللوامة ما دامت هيَ ثابتةً في ضمنها، وأما باعتبار عموم عنايته الأزلية وهجوم كمال رحمته الغير المتناهية، وفطرتها التي هي مولودة عليها وهيَ الإسلام فالنفوس كلها ترجع إليها ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُمَر: 53]، قال النبي ﷺ: «**لو علمَ الكافر ما عندَ الله لما قنط من رحمته قط**» الحديث ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: 36] أي مثلَ جزاءِ الكفار في النار يعطي جزاء كل من كفر بنعم الله تعالى وَسَرَّها وترك عبادته وتعبد الأصنامِ، والأول إشارة إلى الكافِر الذّمي، والثاني إلى الكافر الحربي.

مطلب دركات الأرض

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ﴾ ويتصارخونَ ويعتقلونَ من الصرخ وهو الصياح والصيحة بالشدة والقوة ﴿فِيهَآ﴾ [فاطر: 37] في النار ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ من هذه النار وعذابها من السعير وشدة عقابها ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ﴾ العمل ﴿ٱلَّذِى كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿نَعْمَلُ﴾ ونزاول فيها به أو لم نعمركم وذكر عن العمل لزيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح معَ الاعتراف به أو لأنهم كانوا يحسبونَ أنهم يحسنونَ صنعًا فقالوا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نحسبه صالحًا ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ توبيخ وزجر وجوابَ أي ما جعلناكم في الدنيا معمرًا طويلًا العمر، أما أعطاكم مهلة وفرصةً ونصرًا وإنكم ضيّعتم عمركم وأهملتم فرصتكم ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: 37] وهو متناول

لكل عمر يمكن التكلف فيه من الشكر ومن إصلاحِ الشأن وإن قصر إلا أنَّ التوبيخ في التطاول أعظم، (وجاءكم النذيرَ) عطف على معنى (أولم نعمركم) لأن لفظه استخبار ومعناه إخبار كأنه قيلَ وعمرناكم ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ المخوّف وأخبركم عن مبدئكم ومعادكم وعن كيفية الأعمالِ وكمية الأفعالِ ﴿فَذُوقُواْ﴾ الآنَ العذابَ العظيمَ والعقابَ الأليمَ العميم ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ كنفوسهم والمتعدين على نفوسهم ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: 37] معينٍ في دفع العذاب ومنع العقاب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وملكوتها ونفوسها وأرواحها وجبروتها وحقيقة ربوبيتها ونعت ألوهيتها ﴿وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [فاطر: 38] وغيبها وملكوتها المستعملة وما فيها من المخلوقات المتنوعة، كما أشارَ إليه ابن عباس بأن لَها سبع طبقات وفي كل طبقة طائفة من المخلوقاتِ، والطبقة الأولى اسمها الرفكاء ومن تحتها الريح العقيم قد زُمَّت بتسعين ألف زمام كل زمام، بيد سبعين ملك، وبها قد أهلك الله قوم عاد، وخرجت عليهم منها قدر ثقب الخاتم، لسبقت جبالهم وطغت ديارهم وعفت جبالهم ومساكنهم ومدائنهم وأماكنهم وقد يسلط على الدنيا وإذا أراد تخريب الدنيا وقيام الساعةِ وإظهار العقبى وذلك قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: الآيات 105 - 107] ساكن هذه الطبقة أمة يقال لهم: البوشم، عليهم تكاليف وعليهم حساب وعقاب وثواب ودرجات وسعير وجنات ودركات. وثانيها: الجلد وفيها أصناف من أهل النارِ وساكنها أمة يقال لها الطمس يأكلونَ من لحومهم ويشربونَ من دمائهم. وثالِثها: اسمها حرفة وفيها عقارب كالبغال الدهم لَها أذناب كالرماحِ لكل ذنب ثمانية وَسبعونَ نعارة، في كل قرارة ثلاثمائة وستون قلة من سم لو وضعت منها على الأرضِ لماتَ من فيها من المخلوقاتِ، وساكنها أمة يقال لَها العيش، طعامهم التراب وشرابهم الندا. ورابعها: اسمها الحرباء فيها حيات وعقارب لأهل النارِ كأمثال الجبالِ عظمًا وطولًا، لكل حية أنياب كالنخيل الطويل إذا ضربَ أعظم جبل جعلته دكًّا رميمًا وساكنها يقال لهم:

الجهام، ليست لهم عيون ولا أقدام، لهم أجنحة كأجنحة القطاء فلا يموت إلا هرمًا. وخامسها: اسمها الملتاع وفيها حجارة الكبريت تتعلق في عنق الكافِرِ فإن اشتعلها كانَ كالوقود في صدرهم واللهب على وجوههم، ويقال لساكِنها أمة عبات، لا يحصونَ لكثرتهم، ويتوالدونَ توالدًا كثيرًا، يأكل بعضهم بعضًا. وسادسها: سجين فيها، وإن أهل النار وأعمالهم الخبيثة وساكنها أمة يقال لهم القنطاط وهم على صورة الطيور و يعبدونَ اللَّهَ حق العبادةِ. وسابعها: عجبها وهي مسكن إبليس، وفيها أمم يقال لهم الحيهشوم، وهم سود وأظفارهم مخاليب كمخاليب السباع، وهم يتسلطونَ على اليأجوج فيهلكون على أيديهم.

ويقال: إنَّ إبليسَ محبوس فيها موثوق يديه أمامه، ورجليه خلفه، ويأتي جنوده بالأخبار، قد استوحشه الشياطين وعفاريت وأرواح الفجارِ، إذا ما أتوا تحت جلد إبليس وتحت هذه الطبقة حجاب من ظلمة في إحدى جانبيه سموم وإليه إياب من سفر في الجانب الآخر الزمهرير، وأسفل من ذلك ظلمة عظيمة فإذا قامت القيامة أمر الله تعالى أن يكشف غطاءهم ليخرج منها فارطًا يحرق جهنم من الحر، فإذا دخلت إلى البحر المطلق على سفر جهنم وهو البحر المسجور ينسف من حرها ما كانَ فيه من الماءِ، وهذا البحر هوَ البحر المطلق على جهنم الحايل بينها وبينَ الأرض، فإذا انصب ماء ذلك البحر اشتعلت في الأرض السبع جيدها حمرة وحدة ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطِر: 38] الذات ومضمراتها وما اختفى منَ السراير والخواطِر والضماير وهي ما بينت:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ جمع خليفة وهو المستخلف والخليف والخلايف جمع الخليفة يعني أنَّ الله جعلكم خلفاءَ في الأرضِ قد مكنكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها، وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والصفاتِ العظمى الكاملةِ والأسماء الحسنى العاملة الفاضلة والطاعاتِ المفروضةِ والعباداتِ المقبولةِ ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ﴾ [فاطِر: 39] أي يرجع وبال كفره ونكال جحد شكره بأن غط مثل هذه النعم السيئة وخبطَ في شكر هذه المنح

الجليلة الغير الخفية ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ هلاكًا وهو وبال الكفرِ وترك الشكر وجحده ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: 39] المقت أشد البغض، ومنه قيلَ لمن ينكح امرأة أبيه مقتي لكونه ممقوتًا في كل قلب وهذا الخطاب عام. وقيل: خطاب لمن بُعث إليهم رسول الله ﷺ أي جعلكم أمة خلفته من قبلها، ورأيت وشهدت فيمن سلف ما ينبغي أن يعتبر به، فمن كفر منكم فعليه كفره أي فعليه جزاء كفره من مقت الله وجزاء كفره وإهلاكه، وخسارة الآخرة الذي هوَ نهاية الخسور للظالمينَ والكفور.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد للمشركين ﴿أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ [فاطر: 40] وتطلبون وتعبدون إياهم ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ منَ الأوثانِ والأصنام والملائكةِ والكواكب والإنسان والحيوان ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟﴾ أخبروني أن شركاءكم وأصنامكم أي شيء خلقت ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ وفيها من البسايط والمركباتِ والمعادنِ والنباتِ والحيوانِ، وهم في أنفسهم أعدام ليسَ لهم من ذواتهم ووجود ظهورهم ليتمكنوا من إيجاد غيرهم إذ المآلة لا تكون إلا كذا ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي يكون لهم شركة معَ الله في السماواتِ ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾ أي أم يكون معهم كتاب من عندَ اللَّهِ ينطق بأنهم شركاؤهم ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ أي يكونونَ في مسلكهم على حجة وبرهانٍ وبينةٍ من ذلك الكتابِ أو الضمير في آتيناهم للمشركينَ ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا﴾ أي [الاستثناء] للإتباع ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: 40] إلا خداعًا واغترارًا وهو قولهم: هؤلاء شفعاؤنا عندنا أو يقربنا إلى اللَّهِ ويجعلنا زلفًى.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أن ﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: 41] أي كراهة أن يزولا أو يمنعهما من أن يزولا، لأن الإمساكَ منع وهو ممكن لا يكون ولا يثبت

إلا به ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ جواب القسم في (ولئن زالتا) ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ غير معاجل بالعقوبة حيث لا يعاقبهم بإسقاطهم عليهم وإهلاكهم به ﴿غَفُورًا﴾ [فاطر: 41] مجاوزًا عن سيئاتهم ويعفو.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ﴾ أي يكونونَ أكثر هدايةً وأوفر درايةً ﴿مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ نزلت حينَ بلغ قريشًا قبل مبعثِ الرسول أن أهلَ الكتاب كذبوه في إحدى وجهان، أحدهما: من بعض الأمم ومن واحدة من الأمم من اليهود والنصارى وغيرهم، والثاني: من الأمة التي يقال إحدى الأمم متصلًا لها على غيرهم في الهدى والاستقامةِ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ مِنَ ﴿نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: 42] إسناد مجازي لأنه هو السبب في أن زادوا أنفسهم نفورًا عن الحقِّ واستبعادًا عن الحقِّ كقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: 125].

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ أي لأجل الاستكبارِ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وكمال الاستنكارِ فيها منهم أو حال بمعنى مستكبرين وماكرينَ برسول اللّهِ والمؤمنينَ ويجوز أن يكونَ ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ معطوفًا على نفورًا أصله وإن مكروا السيء أي المكر السيء ومكر بدليل قوله ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: 43] ولا يحيق الله وتعد حاق بهم قالَ عليه السلام: ولا يمكروا ولا يعينوا ماكرًا فإنَّ اللّهَ يقول: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: 23] قالَ كعب لابن عباس: قرأت في التوراة من حفر بفوات وقع فيها، قالَ أنا وجدت ذلكَ في كتاب اللّهِ وفي أمثالِ العرب من حفر جبًّا لأخيه وقع فيه منكبًّا ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ وينتظرونَ ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ودأبهم وعادتهم أو سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: 43] وتكريرها باعتبار كثرة المتعلق والمتبوع من المؤمنين والكافرينَ والمشركينَ والمنافقينَ.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ استشهاد عليه بما شاهد منه في سيرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضينَ وأخبار السَّالِفينَ الراضينَ أو غير الراضينَ ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وأكثر أموالًا وأولادًا وعددًا وقدرةً ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالأشياءِ كلها جواهِر كانت أو أغراضًا، بسيطًا أو مركّبًا، فلكًا كانَ أو ملكًا ﴿قَدِيرًا﴾ [فاطِر: 44] عليها بالإخراج عن العدم إلى الوجود ومن القوة والإمكانِ إلى العقل ومن [الغيبة] للشهود.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ ويعاقبهم ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ من المعاصي والخطايا والذنوب ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ أي على وجه الأرضِ مما يدب ويتحرك من سامةِ معاصيهم ورداءة ما يتوجهون إليه بوجوههم ونواصيهم قيلَ: المراد الإنس واحدة بدليل قوله: ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهوَ يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾ [فاطِر: 45] مشاهدًا وناظرًا لجميع أحوالهم ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ شرائره فيجازيهم ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سَبَإ: 3]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزّلزَلة: الآيتان 7، 8] فيجازيهم إن خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فشرًّا. قالَ النبي ﷺ: «**من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي باب شئت**» الحديث.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 36	سُورَةُ يسٓ	آياتها 83 مكيـة

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي خص حبيبه بالخطاب الكريم، وشرّفه بالقرآن الحكيم، وأقسم به على أنه من المرسلين على الصراطِ المستقيم والطريق القويم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي جعلَ شمس نبوته جارية في مستقرها إلى أن تمت دائرتها واستكملت دورتها بتقدير العزيز العليم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي قمره دائرة قمر الولاية المطلقة، دائرة في منازل بروجِ تعيناتِ أعيان الأنبياء، إلى أن اجتمعت مع شمس النبوة ثانية، ثم انصرف عنها واختفى في مدارك الأمانة ومسالك الهداية بوجه الحسنِ ووجهِ الحسين على ما كانَ في قاب قوسين منزلًا على درجات الأئمة الهدى والمعالم الأعلى والأدنى جمعًا وسدى إلى تعين في فلك مشحون المطهر الموعود، صاحب الزمان المحمدي، المعهود بأن يخرج في آخر زمان ويجتمع في فلك وجوده ثانيًا شمس لنبوته وقمر الولاية بأن ينطبق مركز دائرة أحدهما على مركز الأخرى وإلى هذا أشارَ السير الدائرة في الأول والآخر والباطن والظاهر ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: الآيات 105 ـ 107] وبعدَ انطباق دائرة النبوة والولاية والاجتماعِ الكامل يظهر سر الألوهية عن تمام الأحيانِ الوجودية الجمالية والأكوان العدمية الجلالية بان لكم وأنا الحق وغير ذلك من العباداتِ والإشاراتِ يظهر عنه الكل، أنا الله وأنا الإله ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ

﴿نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: 3] فإن للدين ثلاثةَ أركانِ الشريعة والطريقة والحقيقة كما قالَ النبي ﷺ: «**الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي**» ويشير إلى هذه المذكورة.

﴿يسٓ ۝١﴾

﴿يسٓ﴾ [يٰس: 1] يعني ياسين سورة كتاب الصورة النوعية الإنسانية والإلهية الكلية الناسية يعني القوة الفاعلية الآدمية التي هي متقدمة بالذاتِ والنعت على القوة التي هيَ الحواء التي هي الغير المقصودة بالذاتِ لأنها لأجل قبول تأثير المناهِل ولذا ظهرت منه لانحصار التأثير والتأثر وقبول الأثرِ عليه، ولذا قيلَ إن كمالَ قابلية القابلِ بعينه هوَ تمام فاعلية الفاعِل، كما اشتهر أنَّ حواء قد تولد من جانب أيسر آدمَ لأن الأيمن هو الله الذي صدر منه آدم، ولا شكّ أن مصدرية آدم غير مصدرية حوا لتقديرهما نعتًا ووصفًا، وتبين إشارة إلى آدم حوا يٰس هذا باعتبار اقتضاء اسمِ النور والجمال صريحًا، واتحاد يٰس وبيناته وتساويهما يدل على صدق ما قلنا من فاعلية الفاعل هي نفسها قابلية القابل، وأما باعتبار ارتضاء اسم الظل والجلالِ ضمنًا فهو طه ط ه فط هيَ آدم والهاء هيَ حوا بحسب البسائطِ (ط ح د د ه د ح ب آ) فالمجموع آدم (ه د ح ب آ) فالمجموع حوا فطه هو يٓس في الدورتين، ولذا قارن القرآنَ الذي هو صورة جمعية آدم وحواء في الموضعين بهما كقوله: ﴿۞طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾ [طه: 1 ـ 3] هي كامل في الإعراب والمعنى والأسرار والنكاتِ وسائر الأحوال والأطوار وقد قدمنا بعضها الكلام فيها في موضعِها عن ابن عباسٍ معناه يا إنسان بلغه (ط) على أن أصله السين فاقتصر على سطره كما قالوا في القسَم مَ اللَّهِ في أيمن لكره النداءِ به.

﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾

﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يٰس: 2] ذو الحكمةِ البالغة وألو القصة الواسعة الغير الزائلة أولًا فيه دليل لكمالِ الحكمةِ كما يحيي أولها كلام حكيم يوصف بصفة المتكلم.

مطلب رفع التكليف من المجذوبات

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يٰس: 3، 4] هو الطريق الموصل إلى المقصدِ والمتوجه إلى المقصد وأقرب إليه من الواقف فضلًا عن المتولي عنه والمنحرف منه، ولا يلزم من هذا أن يكونَ سائرُ الأنبياءِ على غير الصراطِ المستقيم، كما لا يلزم من إنك من المرسلينَ أن لا يكونَ غيره من المرسلين، نعم التفاوت بحسب الكمال والنقصان، والتقدم الذاتي والعرضي بأنه في النبوة مقدم على سائر الأنبياء، كما قالَ عليه السلام: «**نحن الآخرونَ السابقونَ كنتُ نبيًّا وآدم مجندل في طينته**».

وفيه معنى لطيف يعلم من فساد قول الناجية الذينَ يقولونَ المكلف قد يصير واصلًا إلى اللَّهِ فلا يبقى حينئذٍ عليه تكليف، فالله يبين أنَّ المرسلينَ ما داموا في الدنيا فهم سالكونَ سياحونَ سباحونَ مهتدونَ منتهجونَ السَّبيل المستقيم، فكيف ذلك الجاهل العاجِز، هذا كلام الإمام الرازي في تفسيره.

أقول: فيه بحث لأن كلام الناجينَ مجمل لَه احتمالات أحدهما أن يكونَ الوصول على طريقة الجذبة القوية الكاملةِ المنفية لذات الواصلِ المزيل للعلة، وتميزه جذبة من جذباتِ الرحمٰن توازي عملَ الثقلين، ولا مرية أن الواصلَ هذا يسقط منه التكليف، الثاني أن يكونَ المراد أنَّ الواصلَ حين الوصولِ يكون كالنايم والمغمى عليه فيسقط منه التكليف، إذ ربما يغني عنه الوصول عن خصوصية هويته الشخصية قال النبي ﷺ: «**لي مَع اللَّهِ وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**».

فلا يبقى عليه التكليف، الثالث أن تكون هذه الحالة ممتدة يومًا أو يومين أو ثلاثة إلى آخر العمر وأنتَ خبير بأن في هذه الآية والأوقاتِ ليسَ تكلف لزوال مناطِ التكليف وهو العقل، والتمييز كما وقع لكثير من الأولياءِ والأبناءِ والحكماءِ الإلٰهية، روي أن رئيسَ الكل محيي الدين بن العربي قد كانَ يغلب عليه السكر الإلهي والجذب الرباني شهر وشهرين إلى ستة أشهر ليس الجبر كالموتِ فإنا قد شاهدنا هذه الحالة والغيبة والحالة في بعض السلاك يومًا أو يومين أو ثلاثة أيام

فتبصروا واعتبروا يا أولي الألباب، واحمل الكلام على الاختصاصِ فله وجه وجيه بأن يكون المراد من الصراطِ هوَ الصراط الثابت الموصل إلى التجلي الذاتي والأفعالي والآثاري وجمعيتها، والتوحيد الذاتي والصفاتي والأفعالي والآثاري، وتوجيه المجموع وغير ذلك من الخصائص الختمية المحمدية اليتيمية، ولا شك أن هذا النوعَ من الحالاتِ والمقاماتِ مختصر بالمحمدين ﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: 142 ـ 143] الآية، قال النبي ﷺ: «**إن اللّه أعطاني التجلياتِ وأعطى موسى الكلام**»، ولذا قد تمنى اثني عشر نبيًّا أن يكون من أمة محمد لقوله عليه السلام: يتمنى اثنا عشر نبيًّا أن يكونَ من أمتي ومنهم موسى ابن عمران وعيسى ابن مريم.

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾﴾

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يٰس: 5] بالحركاتِ الثلاث على الخبرية والبدلية وعلى المدح.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ بجميع المخلوقاتِ التي في زمانِ صاحب الزمانِ المهدي لكونه مظهرًا للرحمة العامةِ ومنه خصائص بركاتِ مقدمة الشريف أن لا يبقى أحد ولا شيء وفرد إلا وقد احتظ من عموم فيضه الذاتي احتظاظًا وأولى منه نصيبًا كاملًا وافرًا ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يٰس: 6] أي ما وصل لهم دعوة نبي أصل من الجن والإنسِ والجنودِ والأتباعِ والأهرمن وغير ذلك مما كانَ في غيب هويته الذاتية.

مطلب اسم من الأربعين

كنت ذات ليلةٍ في بلدةِ تبريز فخاطبني الله وأمرني يا حسام الدين علي، واستقبل طائفةً من جنود اللّهِ قد خرجوا من غيب هويته الذّاتية وهم ألف ألف دورة من الأدوار الإلٰهية مذ خرجوا من مكمن غيب الهوية الذاتية إلى هذا العالم،

وقد حانَ وصولهم إلى هذا العالم لا يعلم عددهم ولا عظمتهم إلّا اللَّهَ، وقد بلغت في هذه الليلةِ في السماءِ وقد كانت صافية من السحاب من أول الليلةِ [إلى] آخرها فإذا قمت في هذه الليلة وانتقلت إلى جانب الغرب منهم خرجوا من هذه الجهةِ شاهدت عجائب قدرة اللَّهِ تعالى وغرائب قوته بأن ملأت السماوات والأرض والبحار والملكوت والجبروت، فرأيت السماوات والأرض وعالم الملكوتِ والجبروتِ ترتعد وتضطرب ارتعادَ الرجل العريانِ في ليلة الشتاء شديدة البرد من عظمة هذه الطائفة ومهابتهم فناديت لله: يا رب الأرباب ما أصنع وأنا عبد ضعيف ما للتراب وأنت رب الأرباب فقالَ: اقرأ هذه الأسماء الثلاثة: يا واحد الباقي أول كل شيء وآخره يا قاهر ذو البطش الشديد أنت الذي لا يطاق انتقامه يا مذل كل جبار تقهر عزيز سلطانه وتوجه إليهم فاشهد عجائبَ اللَّهِ وغرائب عزته وسلطانه.

فلما قرأت وتوجهت إليهم اضطربوا فقلت لهم: من أنتم ومن أينَ وإلى أينَ كانَ كبيرهم ورأسهم ورئيسهم أربعة نفرٍ أسماؤهم عبد الجليل وعبد الجميل وعبد الرحيم وعبد الكريم ومن ربكم؟ قالوا: ليس لنا رب لأنا ما رأينا أحدًا غيرنا فليس لنا رب سوى نحن قلت لهن: إياكم فيما كنتم عليه وفيه فبهتوا وسكنوا، فقلت لهم: ربكم هو الذات الوجود القادر الذي خلقكم ورزقكم وأبقاكم إلى هذا الوقتِ فأخرجكم من ذلك إلى هذا العالِم، وقد كانَ في سرمدية ذاته وما كانَ معه شيء ولأنه هوَ موجود وقائم بنفسه ولَيس معه أحد فأمرني الله أن ألقي إليهم الإيمان، فألقيت إليهم الإيمانَ بأركانه الستة آمنت باللَّهِ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخِرِ والقدر خيره وشره من الله تعالى، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريكَ لَه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللّهمَّ صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، وأمرتهم بالصلاة، وألقيت لهم الذكر الخفي بشرائطه، فأمرهم الله بالرياضةِ والمجاهدةِ فاطَّلع وأوقد على فؤادهم نار الهدي إلى المحبةِ الذاتية ففعلت بواطنهم من تلك النارِ واحترقت أحشاؤهم من تلك البوار، وعذبهم الله عذابًا شديدًا لا يعلم كيفيته وشدّته وَحِدّته إلا الله.

فاطلع أهل السماءِ والأرضِ ومساكن الجبروتِ والملكوت والبرزخ والملك إلى الناسوتِ، وأدركوا شيئًا من كيفية عذابهم فاستغاثوا باللَّهِ من هوله وحدة

غوله، فإذا استكملوا في الرياضةِ والمجاهدةِ واستعدوا للمشاهدةِ فإذا تجلى الله عليهم وأشهد لقاءه لديهم فشاهدوا جمالَ الله وكمالَ جلالِه وأسرارَ سبحات عزته وأنوار ألوهيته، فإذا أمرني الله لأن أميلَهُم إلى جانب الشرقِ ووجههم إلى ذلكَ الصوب إلى أن ظهر المظهر الموعود والمهدي المعهود، فالآن هم في ذلكَ الطرفِ يشتغلون بعبادةِ اللَّهِ وطاعته، وقد وقع في بلدة تبريز زمان وصولهم وباء عظيم وبلاء عميم واضطراب جسيم، وكذا في أدوار أهله ففروا وخربت فالمخلوقات الإلٰهية والمكوناتِ الربانية، لا يكاد تنحصر أجناسهم وأنواعهم وأصنافهم وما يعلم جنودَ ربك إلا هوَ.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ لما بين الإرسالَ والبعث والإنزالَ ليسَ لهداية الكلِّ واهتدائهم وإنما المقصود وهو الإنذار وقد لا يؤمن من المنذرينَ كثير من الجن والإنسِ والمراد من القول هو قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: 85] لأنه قد سبق في علمه تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التّغَابُن: 2] أي تعلق علمه وإرادته بأنَّ بعضًا منهم يؤمن وبعضهم لا يؤمن يموتون على الكفر، والفاء في فمنكم لجواب الشرطِ أو للتفريع ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يٰس: 7] تمثيل ومثل لتصميمهم وثبتهم على الكفر لما بيَّن أنهم لا يؤمنونَ بينَ أن ذلك من اللَّهِ فقال:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾

﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ [يٰس: 8] إلخ نزلت في أبي جهل وصاحبيه المحرومين حيث حلف أبو جهل أن يشج رأس محمد فرآه ساجدًا فأخذ صخرة ورفعها ليضربها على رأسه فلزقت الصخرة بيده ومالت يده إلى عنقه ودقته فصارت علة عليه، وهذا هو الظاهِر وليس هذا أمرًا مستحيلًا ويجوز أن يكونَ عن منع الله إياه عما قصده هوَ وأصحابه بأن جعلهم كالمعلولين المقحمين في أنهم غير قادرين على إجراء ما أرادوا على أنهم لا يتمكنونَ إلى الحقِّ وإجراءِ أحكامه ولا يقطعون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له، فهم كمن وقعَ بينَ سدين لا يبصرونَ القدامَ والخلف، فهم متعامونَ عن النظر في آياتِ اللَّهِ وإلى الحق.

﴿فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا﴾ أي الأغلال والقيود، والأغلال قد امتدت واتصلت ﴿فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ﴾ جمع ذقن وهو مجمع الحنكين وحفره في منتهى الوجه إشارة إلى عرض القول وغلظه وتبرزه ﴿فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ﴾ هو رفع الرأس وغض البصر يقال بعير قامِح إذا قمح رأسه فلم يشرب الماءَ ولم يطأطئ الرأس ليشرب فالإيمان كالماءِ الصافي الزلال الذي به الحياة كأنه تعالى قالَ: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ﴾ [يس: 8] أي الأغلال متصلة إلى الذقن، فهم في هذه الحالة لا يقتدرون ولا يستطيعون إلى شرب ماء الإيمان، وزلال المعارف وكمال اليقين والإيقانِ.

﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩﴾

﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا﴾ بضم السّين وفتحها فما كانَ بالضم فمن خلق اللّهِ وبالفتح من المخلوق، فالسدان هما الكفر والتقليد والعصيان أو الدنيا والآخرة الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، وهما حرامان على أهل اللّهِ تعالى، أو القوة النظرية أو العلمية أو الجاهِ والمال، أو دورتانِ جمالية وجلالية إفرادية، أو السيران إلى اللّهِ ومن اللّهِ، فإن من يقيد بهما صارَ محرومًا عن الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ﴾ غطيناهم وسترناهم عن الحق والحقائق وإيثار الأوفق والأحق ﴿فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يس: 9] ولا ما هو بالقبولِ أليق وأحق لأندادهم إمامًا وخلفًا.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠﴾

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ أي استوى الإنذار وعدم الإنذار بالنسبة منكَ إليهم فهم ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يس: 10] لانطباعهم على الكفر والشرك وامتناعهم عن قبول الإيمان بالقلب وطور السر ولطيفة الغيب.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ۝١١﴾

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ أنت يا محمد بدعوتك وتخويفك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾ وانتفع

من النظر والفكر ﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي بسر الغيب وجيب حقيقة القلب بالتقليد والشك ووفور الريب، إشارة إلى طريقة الكشف ووظيفة أرباب الاستدلال بالشرح والوصف، يعني أن شرط قبول دعوة الأنبياء هو صحة الفكر والنظر، وحقيقة الكشف والمشاهدة التي يكون بالرياضة والمجاهدة ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ أي أصحاب النظر والفكر يستر ما فات من استعمال شرائط الفكر والتقصيرات عند غلبة الكسالةِ وصحة الجهالةِ والبطالةِ ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يٰس: 11] في حسن قبول الدعوة إلى تلقي شهود التجليات وكمال جمعيتها وغير ذلك من الحالاتِ وعلو المقاماتِ ورفعة الدرجاتِ في مراتب الجناتِ النورية الجمالية والظلية الجلالية.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي الأموات الطبيعية بالبعثِ وأموات الجهل بالعلم والحكمة والضالّين بالهداية والغافلينَ بالتذكرة والعاقلينَ بالتبصرة ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ وسبقوا وأمضوا من الخيرات والحسناتِ والأعمالِ الصالحاتِ والأفعال السنية والأحوال العلوية والأقوال الصادقة الصائبة ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ الحسنة ورسومهم السنية وأنوار أعمالهم الصالحةِ وأفعالهم الفالحةِ والأحوال العاليةِ والمقاماتِ الرفيعةِ الفاتحة، وتجميع تلك الأعمال والأحوال في ديون الصفايح ومجمع المصافِح، وهيَ دفاتر الأفعال والأقوال وآثارهم وهي النتائج والثمراتِ كالعلوم المدونة والكتب المصنفة والسنن السنية والخيرات الجارية والحسناتِ السارية قالَ النبي ﷺ: «**يموت ابن آدم وينقطع عمله إلا عن ثلاثة الولد الصالح والعلم المنتفع والخيرات الجارية**» ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ﴾ وحصرناه وعددناه ﴿فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يٰس: 12] واللوح المحفوظ ينبأ الإنسانِ يومئذ بما قدم وأخر بل الإنسان على نفسه بصيرة قيلَ هي آثار المشائين إلى المساجدِ أو آثار الوضوء والصلاةِ.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾ [يٰس: 13] أي مثل لهم مثلًا من قولهم عندي من هذا الضرب

أي من هذا المثال وهذه الأشياء على ضرب واحد، أي مثال وأنموذج واحدٍ واضرب لهم ﴿مَثَلًا﴾ أي بين لهم مثلًا مثل ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ وحالهم أي اذكر لهم قصة عجيبة وحكاية غريبة وهيَ قصة أصحاب القرية الأنطاكية ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يٰس: 13] أي وقت مجيء رسل عيسى إلى أهلها وسكانها يدعونهم من الشركِ والكفر إلى دينِ الحق والإسلام، فلما دنى منهم اثنان إلى القرية والمدينة رأيا شيخًا يرعى غنماتٍ له وهوَ حبيب النجار وصاحب ياسين، فسألهما فأخبراه فقالَ معكما آية فقالا: نشفي المريضَ ونبرئ الأكمه والأبرصَ. وكانَ له ولد مريض مند سنتين فمسها فقام وآمنَ حبيب وفشا الخبر، فشفي على أيديهما خلق كثير، ورقى حديثهما وخبرهما وما فعلا به إلى الملكِ وإلى القرية وقال لهما: أوَ لنا ولكم إلٰه سوى آلهتنا؟ قالا: نعم، من خلقك وآلهتك فنفاهما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يٰس: 14] أي بعث عيسى شمعونَ فدخل متذكرًا وعاش مع حواشي الملك وأركانَ دولته على وجه استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فدعاه وصاحبه وأنس به فقالَ له: ذاتَ يوم بلغني إنك حبستَ رجلين فهل سمعتَ يا ملك ما يقولان؟ قالَ فدعاهما فقالَ شمعون لهما: من أرسلكما؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليسَ له شريك وصاحب ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال: وما آتاكم أو علامتكما تدل على صدق ما ادعينا؟ قالا: نعم، ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا اللَّهَ حتى انشقَ له بصر وأخذ بندقتين فوضعاهما في حدقتين فكانتا مقبلتين بنظريهما فقال له شمعون: أرأيتَ يا ملك لو سألت إلٰهك حتى يصنع مثل هذا فيكون رفعه لك وشرقتما له قال الملك لشمعون: ليسَ لي منكَ سر مخفي إنَّ آلهتنا لا تبصر ولا تسمع ولا تقرأ ولا تنفع ولا تضر ولا تمنع ولا تأمر ولا تصنعُ.

وكانَ شمعون يدخل معَ الملك على الأصنام فيصلي ويتضرع وينهل في صلاته على الأصنامِ وهم يحسبون أنهم يحسنونَ إنه منهم ثم قالَ: إن [قدرت]

آلهتكما على إحياء ميت آمنا به، فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال الغلام: إني دخلت في سبعة أودية من النارِ وأنا أحذركم ما أنتم فيهِ فآمنوا، وفتحت أبواب السماءِ فرأيت شابًّا حسن الوجه يشفع [في] هؤلاء الثلاث قال الملك: فمن هم؟ قال شمعون وهذان، فتعجب الملك فلما رأى شمعون إن قوله قد أثر في الملكِ نصحه فآمن وآمن قومه ومن لم يؤمن صاح عليهم جبرائيل عليه السلام فهلكوا فعززنا: قوينا يقال المطر يعزز الأرضَ إذا لبدها وقواها وشددها قرأه بالتخفيف من عزه يعزه إذا غلبه أي فغلبنا وقهرنا بثالِث أي برسول ثالث وهو شمعونَ ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ [يٰس: 14] لما كانَ الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف به من حسن التدبير حتى عز الحقِّ وذل الباطل ورفق وكانَ الكلام منصبًا إلى غرض من الأغراضِ جعل سياقه له وتوجهه إليه كان ما سواه مرفوضًا مطرح ولذلك ورفض ذكر المحكوم عليه.

﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥﴾

﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ في الأكل والشرب والوطي وغير ذلك من لوازم البشر ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ من كتاب وإلهام وخطاب وإعلام ووحي مستطاب وإلقاء المعفى في الروح ﴿إِنۡ أَنتُمۡ﴾ يا أيها المرسلون ﴿إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [يٰس: 15] على اللّهِ.

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ [يٰس: 16] وأنتَ خبير بأنه كلما ازدادَ الإنكار ازدادَ التأكيد، وأدائه في رفع الإنكار، ومن أنفسكم ولام التأكيد وإن، والجملة الاسمية الدالة على الدوام والثباتِ، وما علينا في دعوة الخلق إلى الحقِّ وقبول أحكام شريعته وهداية أرباب الكثراتِ وأصحاب الفرق إلى التوحيد والجمع وإلى التحقيق بالحقائق الإلٰهية والمحبة الذاتية ووفور المودة وفرط التشوق.

﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٧﴾

﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [يٰس: 17] على ما يقتضي حال المبلغ إليه من الإنكارِ ومراتبه وكيفيته وكميته فإنه إن كانَ خاليًا ذهنه عن التردد والشك يكون إيراد الكلام مجردًا عن التأكيد وأدواته وإن كانَ متلبسًا بالإنكارِ يؤكد وإن كانَ معَ الشك إنكار حسن تأكيده وإن كانَ بهما إنكار وجب التأكيد ومراتب الإنكار كثيرة، فكلما ازداد الإنكار ازداد التأكيد وجوبًا، هذا هوَ على مقتضى الحال والمقام، وربما يورد الكلام على غير مقتضى الحال والمقام، بأن ينزل المنكر منزلة الغير المنكر، ويورد الكلام بلا تأكيد وبالعكسِ، إذا حفت القرائن المخاطب، وتكون دالة على الإنكار مثل جاءني يشفق عارضًا رمحه إن بني عمك فيهم رماحُ وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: 1 ـ 2] الآية.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٨﴾

﴿قَالُوٓاْ﴾ للرسل أناس ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي جعلناكم شؤمًا وذا شآمةٍ وصاحب نكتة منتدبة والوشاة متخلفون ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ﴾ ولم تمتنعوا من دعوتكم هذه ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ ونهلككم بضرب الأحجار، هذا كلام بعض أهل القرية الذينَ لم يؤمنوا بهم ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يٰس: 18] قالَ الرسل العيسوية في جواب ذلك البعض:

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝١٩﴾

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم﴾ أي الذي يتطير به أنتم ويتقربون منه ويكرهونَ منه هو ﴿مَّعَكُمْ﴾ أي سبب الشآمةِ وهو ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ [يٰس: 19] شرط محذوف الجزاء يدل عليه الكلام السابق دخلت عليه همزة الاستفهام للاستبعاد والإنكارِ أي أن ذكركم الله وأنبهكم بما علمكم الله في بدو الفطرة وسابق حكمه في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] لتذكرتم وعرفتم حالكم فإن سبب الشامةِ إنما هوَ منكم والشرك والإشراك مستصحب بكم إن كان لا يتفرق منكم ولا ينفك عنكم ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ

﴿مُسْرِفُونَ﴾ [يٰس: 19] خارجونَ عن الحدِّ من العصيان متجاوزونَ عن السد في الطغيانِ.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ وهو حبيب بن إسرائيل النجار وكانَ ينحت الأصنام وهو ممن آمن برسول اللَّهِ ﷺ وبينهما ستمائة سنة، كما ابنَ تبعّ الأكبر، وورقة بن نوفل، آمن به أكثر أهل الكتاب كما في أكثر الكتب السماوية، بعث محمد ووصفه إلا أنه لما جاء نفروا به، أو شأن العلم التقليدي هو هذا، وكذا آمن به أفلاطون اللّدني وكتب إليه وإلى علي وإمام جعفر الصادق رفعه كتابًا، إن علم الجفر وقانون تكسير الحروف وتكثير أواني المعاني والطرق، وترتيب أصولها، وتركيب فروعها على وجه الخصوصِ، نتبين بها الحوادث الزمانية أزلًا وأبدًا وقد كان ديارًا بينَ الحكماء ولم يكن تامًّا لعدم اقتضائه أوضاع الأفلاك وكانَ شرط اتمامه هوَ وجود خاتم النبيين وظهر به من أهل بيته أعني عليًّا، وقد كتبَ كتابًا آخرًا إلى ولده الفاضل العاشق إمام جعفر الصادق إن علَم الجفر كانَ ناقصًا غير مترتب قد يتم بزمانِ جدكم واهتمام أحكام وأنا قد آمنت برسول هو جدك، وقد كتب عيسى عليه السلام إلى أفلاطون ودعا إلى دينه فكتب في جوابه إنك بعثتَ لتكميل النفوس الناقصة، وليس لي حاجة إلى تكميلك، وإن احتياجي وغرضي ومقصودي إنما يحصل من رسول هو خاتم النبيين وقد آمنت به عن رسول اللَّهِ ﷺ: «**إن سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا باللَّهِ طرفة عين علي بن طالب وصاحب ياسين وموسى آل فرعون**».

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يٰس: 20] الذينَ بعثهم الله إليكم والقائل هذا هو الرجل أتى من أقصى المدينة.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿ٱتَّبِعُواْ﴾ واقتدوا ﴿مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ﴾ على دعوته إياكم إلى اللَّهِ ﴿أَجْرًا﴾ وعوضًا وأجرةً ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يٰس: 21] برسول بعثه الله إليكم وهوَ عيسى عليه السلام.

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢﴾

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ وخلقني وأنشأني ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يٰس: 22] تعريض حسن وتشنيع وتفويض متين من عيسى ورسوله أبرز الكلام في معرض الموعظة الحسنة والنصيحة البينة لنفسه، وهو يريد منا صحتهم ليلطف بهم ويداريهم لأنه دخل في أمحاض النصح حيث لا يريد بهم إلا ما يريد لنفسه ولقد وضع قوله: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ مكان قوله: ما لكم لا تعبدونَ الذي فطركم بدليل قوله: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ وإلا إنه قصد ذلك لقالَ الذي فطرني وإليه أرجع، منه وإليه، وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قالَ: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ [يٰس: 25] اسمعوا قولي وأطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معول عنه إنَّ العبادة لا تصح إلا لمن منه يدانيكم وإليه مرجعكم ونهايتكم ومفادكم.

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ۝٢٥﴾

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ﴾ إيصال شر ﴿لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ أي لا تغني شفاعتهم من الله وعذابه ﴿شَيۡـٔٗا﴾ قليلًا وأمرًا يسيرًا إذا أرادَ الله نزول عذابه وحلول عقابه ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يٰس: 23] ولا ينجونني منه في وقت من الأوقات ﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾ أي في وقت عبادة الأوثانِ وترصد الشفاعة وتفقد الممانعةِ منهم معَ كونهم في نفسهم غير ضارين ولا نافعين ﴿لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [يٰس: 24] ظاهرٍ لا يخفى على أحدٍ ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ﴾ وصدقت وأقررت ﴿بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ [يٰس: 25] الَّذي خلقكم وخلقني وخلق كل شيء، وقبلت كل ما حكمني به وأذعنت لأمره وامتثلت.

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ [يٰس: 23 - 25] قيلَ واصغوا أثرَ إيماني وإسلامي باللّٰهِ واستسلامي به. قيل: بعد قلته وموته بعد علمه.

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ والقائل هوَ الله والملك وحقيقة نفسه وآنية زوجته، قيلَ لما هموا بقتله رفعه الله إلى الجنة واستقبلته الملائكة وعظموه وكرموه بالتسليم، قالوا سلامًا وتحية منهم له وتعظيمًا وتكرمة لقدومه ﴿قَالَ﴾ [يٰس: 25] المقتول في سبيل الله حبيب النجار: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ حسن حالي وكرامة أفعالي وشرف مآلي.

﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ متعلق يعلمون ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يٰس: 27] وما أنزلنا على قومه من بعده أي الصلب والقتل ورفعه وعظم منزلته وشرف رتبته ووقعه عند الله من جندل ينزل ويهبط من السماء لإهلاك أعداء الله وخصماء أوليائه وأحبائه وذلك كما وقعَ يوم بدرٍ ويوم الخندق.

﴿۞وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ [يٰس: 28] ما كانَ يصح في حكمنا وحكمتنا أن تنزل إهلاك قوم حبيب النجار جندًا من السماءِ سماء ربوبيتنا أو ما كانَ يصبح أن ينزلَ جنودنا من غير سبب ظاهرٍ وأمر عظيم باهر.

﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿إِن كَانَتۡ﴾ جنودنا وعساكرنا وعسكر غيبنا أو الآخذة والعقوبة ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ أي صاحَ بها جبرائيل يدل على أن جنودَ الله والعسكرِ الغيب يظهر بصور كثيرة غير متناهية، فإذا حالهم مدون استعارة بالكناية وذكر الخمود يرشح، وذكره وإثباته لَه تخييل من خمدت النار إذا انطلقت وصارت رمادًا ﴿فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾ [يٰس: 29].

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ [يٰس: 30] نداء الحسرة على القوم من جانب المقتول

وهيَ حال استهزائهم بالرسل بإهانتهم وأسمائهم والمعنى أنهم أحق بأن يتحسر ويندب ويبكي ويندم عليهم المتحسرونَ، فمن كانَ قرابة ومودة ويتلهف على سوء حالهم المتلهفون، أو هم متحسرونَ ومتحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنينَ من الثقلين، ويجوز أن يكونَ من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ويجبوها، وفرط إنكاره وتعجيبه من قراءة من قرأ يا حسرتا بقصد هذا الوجهِ لأن المعنى يا حسرتي وقرئ: يا حسرة العبادِ على الإضافة إليهم لاختصاصِها بهم من حيث إنها موجهة إليهم، ويا حسرة على العبادِ على إجراء الوصل مجرى الوقفِ على الهاء ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يٰس: 30] بسبب الحسرة والندامةِ.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ أي لم يعلموا وهوَ معلّق عن العملِ في (كم) لأن (كم) لا يعمل فيها عامل قبلها لأنها استفهام يقتضي الصدارة أو للخير، لأن أصلَها الاستفهام إلا أنَّ معناها نافذ في الجملةِ كما نفذ في قولك ألم يروا أن زيدًا المنطلق، وإن لم يعمل في لفظه يعني أن (كم) لا يعمل فيها ما قبلها، وإن كانت خبرية لأن أصلَها الاستفهامَ ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يٰس: 31] بدل من (كم أهلكنا) على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة إهلاكنا القرونَ من قبلهم، كونهم راجعين إليهم، يحكى عن ابن عباسٍ أنه قيلَ لَه إن قومًا يزعمونَ إنّ عليًا مبعوث قبلَ يوم القيامة فقالَ: بئسَ القوم نحن إذن نكحناهم وقسمنا ميراثهم.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يٰس: 32] قرئ (لما) بالتخفيف على أن ما صولة للتأكيد، و(إن) مخففة منَ الثقيلة وهيَ مثقلة باللام الفارقة بين الثقيلة والخفيفة، وبينَ النفي لا محالة و(لمّا) بالتشديد بمعنى إلا كالتي في مسألة الكتاب، فإنَ سيبويه قال: فيه نشهد لكَ باللّٰهِ لما فعلتَ، بمعنى إلا، فقلت للنفي، والفرق بينهما: لما وما النافية أن يقال في جواب من قالَ قد فعل زيد لا يفعل، وفي جواب من فعل لم يفعل أحد بتأكيد النفي، فلما وإلا كأنهما حرف النفي، استعمل أحدهما مكانَ الآخر، والتنوين في كل عوض من المضاف إليه

يعني لما بينَ الإهلاك إن كلهم يحشرونَ مجموعون محضرونَ للحساب يوم القيامةِ، قيلَ محضرونَ معذبونَ، والفرق بين كل وجميع: إن الكل يفيد معنى الإحاطة بأن لا انقلت، ولا يجمع ولا يفرّ منهم أحد، والجميع معناه الاجتماع، فلو خرج منه واحد أو اثنان أو ثلاثة لا يحل بمعنى الاجتماع، بخلاف الكل والإحاطة، هذا أمر ذوقي يحكم عليه الذوق الصحيح، لا برهاني يحكم عليه الفعل الصريح، والجميع فعيل بمعنى مفعول، يقال على جميع صار جميعًا أي مجموعًا، والواو في وإن كل العطف حكاية على حكاية فعول بنيت لك ما ذكرت، واثنين إن كلًّا لدينا محضرونَ وكذا الواو وآية.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ﴾ كأنه يقول وأقول أيضًا آية لهم الأرض ﴿ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يٰس: 33] جنس الحب عذابته أو ذوابته أو يتيمة مضرة أو مهلكة، (فمنه) أي من بعضٍ يأكلونَ أو من كله بعضها للغذاء وبعضها للدواءِ، أو المنافع وغرض يكون الخروج من ساعة.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ﴾ والتنوين للتنكير والنوع ويجوز أن يكونَ تنوين حبًّا إليه للتنكير والنوع والأول أولى ﴿وَأَعْنَٰبٍ﴾ وجمعها لعموم وجودها في الآفاق ولكثرة احتياج الناس إليها، وتخصيص ذكرها لكثرة منافعها وعموم نفقتها، ولذا خصها بالزكاة من بين الفواكه، وإسناد الفعل إلى الله يشعر بأن المؤثر في الكل هوَ الله لا الطبيعة كما قالَ الطبيعيونَ، ولا الكواكب كما قالَ المنجمونَ، ولا الملائكة كما ذهب المليون ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ [يٰس: 34] والاختصارِ على العيونِ يدل على أن أصلَ الأنهارِ والجداول كلها عيون قد انفجرت منَ الأرضِ بإذن الله وأمره وتأثيره وصنعه وتدبيره.

﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ [يٰس: 35] أي ثمر الله المصنوع أصل الطعم من ثمرنا

أي الله، قد التفت من المتكلم إلى الغائب إشعارًا بأن المؤثر في الغالبِ والمتكلم والحاضِر والباطن والظاهرِ والساكن والدائر والواقف والسائر والمقبل والدائر هو الله تعالى، ونخيل وفجرنا مشعر بأن تفجير العيونِ مما يتوقف عليه وجود الحبات، وبأن الأكلَ لكونه علة عامة متأخر عن الكل، وبما أن الماء من الضروريات للنباتِ بل المعادن والحيوانات ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يٰس: 35] من الزرع وغرس الأشجار وإخراج المعادن وتدبير الحيواناتِ من السقي والآبار والمصانِع والكشح وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ كل منها إلى كماله اللائق، أو إبان أكله وألوانه، يعني أن الثمرَ في نفسه نقل في جوابه إليه وصنعته وخلقه، وإن كانَ في بعضها آثار من كدِّ بني آدم وسعيهم لأنواع نعم الله وأصناف منحه وعطاياه.

﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ أي الأنواع المزوجة من الجنس والفصل الجوهري والعرضي للأصناف والأفراد المزوجة من الذكور والإناثِ والكمالات الذاتية والأسمائية أو القوة الفاعلية القابلية أو الهيولى والصورة أو الجوهرِ أو العرض والملكوت أو العقل والقبول أو الموت والحياة وغير ذلك مما يناسبهما ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ ومن أنفسهم الاستعدادية، أي الله ينبت ويظهر من أرض استعداداتكم الذاتية من تنوعات الأفعالِ الجسمانية والأعمال البدنية والإدراكات الحسية وذراع النباتية والأفعال السنية من التعدية والثمنية وتوليد المثلِ وما تتوقف هي عليه من الإمساكِ والهضم والجذب والدفع، وأشجار القوى التي هي مبادئ هذه الأفاعيل وجيوب المعارف والإدراكات الكلية، وأزهار الأحوال الغيبية، وأنوار المناماتِ القلبية ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [يٰس: 36] عندَ التخلق بالأخلاق الإلٰهية والنعوت الربوبية، فحينئذٍ يظهر من الحق والبدائع المجردة والصنايع المحددة «**يا عبدي اطعني أجعلك مثلي وليسَ لي مثل فبي تبصر وبي تنطق وبي تمشي وبي تبطش**»، أو المراد المولود الإنسي والجني فإنه يصدر من كل منهما من الأفعال الحميدة والناقصة الذميمة والطاعاتِ والسرور والمعاصي والسيئات ﴿وَمِمَّا لَا

﴿يَعْلَمُونَ﴾ [يٰس: 36] من المخلوقات الخفية المصنوعات الحفية المخفية لا يطلع أحد إلا الله «**أعددت لعبادي الصالحينَ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»، ولم يجعل لهم طريقًا إلى معرفتها لأنه لا حاجة لهم في الظاهر إلينا، وإن كانَ في الباطن والحقيقة عندَ التحقق بالنعوتِ الإلٰهية يحصل للعرفاءِ المتحققين كلهم ما يدل على كمال ملكه واتساع ملكوته وجبروته وعدم نهاية مقدوراته ومعلوماته.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧﴾

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يٰس: 37] آية مبتدأ والليل خبره، لهم نعت وصفتها، والجملة من الليل، أي آية عظيمة يحصل لهم الليل حال كونه ينسلخ منه النهار، أي نزيله ونكشفه ونظهره من مكانه، مستعار من سلخ الجلد، مأخوذ من سلخ الحية أي جلدها، فاستعير لإزالة الضوء وكشفه من مكان الليل وملقى ظله، فالليل والنهار إما عبارتان عن كيفيتين وجوديتين متضادتين متواردتين على سبيل التبادل والتعاقب في محل واحدٍ ومتداخلين أحدهما في الأخرى كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [آل عمران: 27] وأمران دائران على وجود الشمس وطلوعها وغروبها واختفائها، أو على نفس طلوعها وغروبها واختفائها ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يٰس: 37] أي داخلونَ في الظلام والظلمة، أو صيرناهم آية ظلمة وظلام، وقد ذهب إلى كل منها طائفة وفي الآيات القرآنية دلالة على كل منها وجعلنا اللَّيلَ والنهارَ آيتين فمحونا آية الليلِ وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلًا من ربكم، وكذا الدنيا والآخرة والنار والجنة، يدل عليه جواب رسول الله ﷺ لسؤال هرقل عظيم الروم حيث وصلت إليه هذه الآية: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عِمرَان: 133]، فقالَ: أينَ النار؟ فقالَ ﷺ: سبحان الله إذا جاءَ النهار فأين اللّيل؟

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يٰس: 38] أي ثابتة ومتقررة في مدار منطبق في دائرة منطقة البروج، فلا ينعقد عنها أصلًا لا شمالًا ولا جنوبًا، كما يبعد سائر الكواكب السيارة عن منطقة البروج ويحصل لها بالحركة العرضية بعد عرض

عن منطقة البروج التي تسمى مدارج الشمس سيما القمر، فإن له عرضها عنها، إذ لو عادَ في الاجتماع والاستقبال وكانَ على مدار الشمسِ لموقع الخسوف والكسوف دائمًا، أي أن الشمسَ في مسيراتها ثابتة في دائرة منطقة البروج لأنها مقرها ومستقرها والمتلقي ويجري ويتحرك كل يوم على مدار بل هوَ مواز لمعدل النهار فإن مركز الشمس يرسم كل يوم بحركة معدل النهار دائرة توازي معدل النهار، وتقطع منطقة معدل البروج إلى أن يصلَ إلى نقطة الانقلابِ فحينئذٍ يرسم من مركز الشمسِ في هذه الحالةِ دائرتان عظيمتان موازيتان لمعدل النهار أحدهما مدار رأس السرطانِ والأخرى مدار رأس الجدي، وبهما يتماسان لمنطقة البروج شمالًا وجنوبًا، وهما أعظم المدارات اليومية، يتقاطعان بالأفق لا على التناصفِ بل على القوسِ التي يكون مدار رأس السرطان فوق الأرض التي تحت الأرض، فيكونَ النهار أطولَ من الليلِ في الآفاق المايلة، وأما في الأفق الاستوائي فالليل والنهار أبدًا مساويان، لأنَّ معدل النهار يقطع جميع المدارات اليومية على التناصف فيكون قوس النهار مساوٍ لقوس الليل، وأما المدارات الجنوبية فالأمر فيه بالعكسِ، فإن القِسِيَّ التي فوق الأرض أصغر من التي تحت الأرض، فالنهار في هذه الحالة أصغر من الليل إذا كانت الشمس على مدار رأس الجدي وليله أطول الليالي ومداره كمدار رأس السرطانِ أعظم المدارات اليومية والقوس التي يكون فوق الأرض أصغر من التي تحت الأفق، ولذا صارَ نهارها أصغر ولیالها أطول، وهذا لا يبعد الشمس عن منطقة البروج أصلًا لأنها تجري في مكانها الثابت المتعزز وإلى هذا أشارَ بقوله: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ ذلك ﴿تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ﴾ على نهج واحدٍ ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يٰس: 38] الغالب القادر، القائل الحكيم الذي قدر في سابق عهده وسابق قضائه وحكمه كمية حركاتها اليومية العرضية والسنوية الذاتية، فإنها إذا كانت صاعدةً ففي البداية كانت حركتها كل يوم، لكونها في الحضيض في غاية السرعة، وفي وسطه نط لمتوسطها في السرعة والبطؤ وفي نهايته لغاية بطئها في الحركة لكونها في الأوج وهوَ في ثالث السرطانِ تقريبًا وإذا كانت هابطةً انعكس الأمر وهم دورتها بالحركة الخاصةِ الذاتية في سنةٍ واحدةٍ.

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ منصوب بفعل يفسره ما بعده قرئ بالرفع بالابتداء وما بعده خبره أو العطف على الليل أي قدرنا للقمر مسيراته ودوره وحركاته ﴿مَنَازِلَ﴾ وهيَ ثمانية وعشرونَ منزلًا فإنَّ القمر إذا اجتمع بالشمسِ في منزلٍ من المنازلِ تحرك فيها ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ [يٰس: 39] ورجعَ إلى منزل الاجتماعِ فقد سارت الشمس بحركتها الخاصةِ مقدارًا في هذا الزمان من فلك البروجِ وهو منزلان بالتقريب، وإذا تحرك القمر هذا القدر ووصلَ الشمس واجتمع معَها ثابتًا أهل الشهر القمري من اجتماعِ النيرين في دقيقة واحدة في درجة واحدة من فلك البروج إلى اجتماعِ آخر منَ الأيام والساعات والدقائق، وصعدها في دفترهم ودستورهم، وكانَ ذلكَ على ما وجدَ في الرصدِ الجديد بفراغ تسعة وعشرينَ يومًا واثنا عشرة ساعة وأربعًا وأربعينَ دقيقة، فجعلوا أيام الشهر الأول ثلاثين يومًّا لما تقرر بينهم وهو المحرم مثلًا، على أن الكسرَ إذا جاوز النصف أخذوه تامًّا وجعلوا أيام الشهر الثاني تسعة وعشرينَ يومًا ليكون كسره جبرًا لنقصان الشهر الأول وهو أحد عشر ساعة وستة عشر دقيقة.

وإذا أعطى هذا القدرَ من كسر الشهر الثاني وهو أحد عشر ساعة وأربع وأربعون دقيقة بقي ساعة واحدة وثمانية وعشرونَ دقيقة، فتكون أيام الشهر الثاني أصغر تسعة وعشرينَ يومًا وثمانية وعشرينَ دقيقة. ولما لم يكن الكسر زايدًا على النصف ما اعتبروا يومًا وأيام الشهر الثالث وربيع الأول، لما كانت اثنا عشر ساعةً وأربع وأربعين دقيقة وتسعة وعشرين يومًا، قد بقي من الشهر ساعةً وثمانية وعشرون دقيقة، وإذا اجتمعنا لكسرين من الباقي وهو ساعة وثمانية وعشرونَ دقيقة، ومن الباقي وهو اثنتا عشر ساعةً وأربع وأربعونَ دقيقة، حصل لنا ثلاثة عشر ساعة واثنان وسبعونَ دقيقة، أخذنا للسنتن ساعةً وجمعنا هذا معَ ثلاثة عشر ساعةً فكانَ لَنا أربعة عشر ساعةً واثنا عشر دقيقة، فأخذنا الشهر الثالث أعني الربيع الأول ثلاثين يومًا، وكذا الشهر الرابع أعني الربيع الثاني تسعةَ وعشرونَ يومًا وأربع وأربعون دقيقة واثنا عشر ساعة، وقد كانَ اثنا عشرَ دقيقة باقيةً من اثنين وسبعين دقيقة، فإذا جبر كسر الربيع الأول لأنه ما كانَ تامًّا بل كانَ أربع

عشر ساعةً واثنا عشر دقيقة من كسر الربيع الثاني بقي ساعتانِ وست وخمسونَ دقيقة أخذ أيام الشهر الربيع تسعة وعشرينَ يومًا، وأما الشهر الجمادي الأول فهو أيضًا اثنا عشر ساعة وأربع وأربعونَ دقيقة وتسعة وعشرونَ يومًا، وقد كانَ معنا من الكسر السابق ساعتانِ وستة وخمسون دقيقة فلما أضفنا إلى هذا القدر من الشهر الخامس بلغ إلى خمسة عشر ساعةً وأربعين دقيقة فأخذناه تامًّا، وهكذا أخذ شهر ثلاثين يومًا وشهر تسعة وعشرينَ يومًا.

وقد اجتمع من الكسر الزايد على النصف يوم وهو أربع وأربعونَ دقيقة وهذه الجملة خمس يوم مسدسة، ففي كل ثلاثين سنة يجمع من الأخماسِ ثلاثونَ أخماسًا وهي ستة أيام بالتقريب فأيام السنة الشمسية تبلغ إلى ثلاثمائة وستة وستونَ يومًا بالتقريب والمنازل هذه 1 الشرطين البطين 2 الثريا 3 الدبران 4 الهتعة 5 الهنعة 6 الذراع 7 النثره 8 الطرفة 9 الجبهة 10 الوبره 11 المغْرفة 12 العوا 13 السماك 14 الغفرة 15 الزباني 16 الإكليل 17 القلب 18 الشولة 19 النعايم 20 البلده 21 سعد الدابح 22 سعد بلمع 23 سعد السعود 24 سعد الأخبية 25 فرع الدلو المقدم 26 وفرع الدلو المؤخر 27 وبطن الحوت 28.

﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يٰس: 39] يعني إذا كانَ القمر في آخر منازله في ميسرة دق واستدق وقوسَ واستقوسَ وتقوس وعادَ في سيره كالعرجون وهو عود العذق والنخلة ما بينَ شماريخه أي لمنبته من النخلة.

قال: العرجون هو فعلون من أي الانعراج وهو الانعطاف وهو مأخوذ من العرج وهو النقصان في الرجل يمنع الاستقامةِ في الشيء والحركة، والقديم هو التقادم في الزمان وطول المكث، يقال بناء قديم أي طويل الزمان لا أنه غير مسبوق بالقدم، فإن ما سوى الله ليسَ بقديم أي مسبوق بالقدم سبقًا زمانيًّا والقدم في الزمانِ وطول المكثِ فيه يوجب التحولَ والدقة والانحناءِ والاعوجاج والصغر، فشبه به بثلاثة أوجه في التحول والانحناء وعدم الاستقامةِ، فالقديم هوَ المحول ولذا فعل أقل مدة الموصوف بالقدم هو الحول، فلو أنَّ رجلًا قالَ كل مملوك لي قديم فهو حر أو كتب ذلك في وصيته عنىٰ منهم من مضى عليه حول وأكثر، والحال أن القمرَ في مسيرته على المنازل يشبه بمن تقادم زمانه ونحل وصغر جيئته، فإذا وصلَ وحل في آخر منزله يكون مثل شخص طويل العمر قد

بلغ إلى موته الطبيعي في آخر عمره، ويكون مثل النخل المتقادم يتصف بما اتصف به النخل والشخص في الأمور الثلاثة المذكورة.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ أي لا يصح أن تتصل الشمس بالقمرِ وتجتمع معه، لأن حركة الشمس أبطأ من حركة القمر، والبطيء لا يصل بالأسرع، فالقمر بسرعةِ حركته يتصل بجميع الكواكب السيارة وبعض الثابتة الواقعة في ممره دون العكس، ولذا جمعَ في التقادم صفحة للقمر خاصة وما جعل لنا في الكواكب السيارة ولاتصال بعضها صحيفة مستقلة خاصةً، بل كتب لإيصال بعضها ببعض أرقامًا في الحواشي من الجانب الأيمن في التقويم، وتخصيص نفي إدراك الشمسِ بالقمرِ دون سائر الكواكب لغاية ظهوره ويعلم بطريق الأولوية، فإن الشمس نعم إنها أسوغ من سائر الكواكب لا تتصل بالقمرِ، فعدم اتصال ما في الكواكب بطريق الأولى، وأما السفليان وهي عطارد والزهرة فهما ينطبقا على مركز الشمس، فإذا حكمهما هو حكم الشمس لأنهما لا يبعدانِ عنهما إلا بما يساوي نصف قطر تدويريهما فإنه مركز التدوير.

﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ والمراد من الليل سلطان وهو القمر ومن النهار الشمس ما ذكر الحركة الخاصةَ المخصوصة بالكواكب السيارة والثابتة المتميزة بعضها عن بعض أرادَ أن يذكر الحركةَ المشتركة بينَ الحركة اليومية فإن الشمس والقمر وغيرهما من السياراتِ مشتركة في هذه الحركة ومقدارها فأن أفلاك تمام الكواكب مشتركة في هذه الحركة اليومية الحاصلة الكل تجري لمستقر لها. ذكر أن القمر بحركته السريعة لما كان يسبق الكل في المسيرات والمنازل وهم أن مربوبه ولازمه ومنسوبه هو الليل لما يدل أن يكون سابقًا على مربوب الشمس ومنسوبهما وهو النهار أيضًا بقي ذلك التوهم بقوله: ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [يٰس: 40] ولأن الليل والنهار يحصل بحركة الفلك الأعظم ونسبته بالشمسِ والقمر متساوية والليل والنهار أي تحصيل تحريك فلك الأفلاكِ وهو المنهي بلسان الشرع بالعرش خاصة دون سائر الكواكب حتى أنه لو لم يكن النير الأعظم

لم يحصل الليل والنهار إذ النهار إنما يظهر من طلوع الشمس والليل بغروبها وباختفائها مع أنه لو جمعَ أنوار الكواكب الثابتة والسيارة حتى القمر يكون أضعافًا وآلافًا بالنسبة إلى نور الشمس معَ أنه لا يقبل ذلك وجودَ النهار، فالنهار يختص بالشمسِ وكذا اللّيل بالقمرِ، وإن كانت ظلمة أو الليل ليس مجرد الظلمة والظلام بل ظلمة حاصلة من اختفاء الشمس وغروبها.

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [يٰس: 40] وقد يطلق الفلك بحسب اللغة على الجسم المستدير والكرة الحسنة، وعلى هذا ذهب أهل التنجيم أن الفلك جسم يحيط به سطح مستدير في داخل نقطة يكون جميع الخطوط الخارجة منها إليه على السواء وهو أعم من أن يكون له سطحان متوازيان كالأفلاك الكلية المحيطة بالأرضِ وغير متوازيين كالمتممات الحادثة والمحوية أو سطح واحد كالتدويرات وليسَ هذا تعريفًا للفلك وإلا انتقص تكون العناصر والكواكب، بل هذا حكم من الأحكام بعدَ كونها معلومة بوجه واحدٍ ووجوه، وقد يطلق على غيره كالفلكة العزل إلا أنه لا بد فيه أن يكونَ نوع من الاستدارة فإن فلكه يكون العزل وإن لم يكن في جميع الجهاتِ مستدير، وإلا أنها لكونها أسطوانة لو انفصلت أجزاؤها يحصل فيها دائرة متوازية، ومن هذا ذهب بعض المفسرين أنَّ الأفلاكَ أجسام مخروطة كالخيام التي أذيالها مرسلة على جبل القاف الذي أحاطه بالأرض، وإنها لا محيطة بالأرضِ من جميع الجهاتِ.

وأما ما قاله المنجمونَ من أنها مستديرة استدارة حقيقية محيطة بالعناصِر وأقاموا عليها برهانًا آنيًا غير تام لأن كل ما قالوا من أحوال الكواكبِ من تساوي أجرامها في جميع الجهاتِ طلوعًا وغروبًا واستواء لا يدل على إنها مستديرة استدارة حقيقية، لجواز أن يكونَ أهليجيًّا وثلجيًا وتكون هذه الأحوال كلها حاصلة لها، والطريق الذي يدل على استدارة الحقيقة استدارة حسية أو حقيقية فهو البرهان الذي كما ذُكِرَ في موضعه وأيامًا كانَ، فثبوت استدارة السماوات لا يقدح حقيقة الشرائع وأحكامَها من القيامةِ ووقوع الحشرِ والنشر والبعث والصراط والميزان والجنة والنيران وغير ذلكَ لجواز أن يقع الخرق والالتئام على السماواتِ التي خلقها بإرادته وقدرته والقادر القوي العزيز القاهِر كما هو قادر على إيجادها وخلقها وتكوينها قادر على إعدامها وتبديل

هيئات أجرامِها وتفكيك أجزائها وتفكيك بسائطها، والتنوين في كل عوض من المضاف إليه أي كل واحد من الكواكب السيارة والثابتة في فلك مخصوص ﴿يَسۡبَحُونَ﴾ أي يتحركون في موضعه الذي هو معروف فيه على أن كل كوكب من الثوابت كالسيارات فلا خرق ولا التئام، معَ أن وقوع كل معها في موضعه ونفوذه وغرقه فيه هو الخرق، معَ أن نسبة كل كوكب إلى جميع أجزاء فلكه على السواء، فوقوعه في ذلك الموضع ترجيح بلا مرجح، وليسَ له وضع سابق لتخصيصه بوضع لاحقٍ معَ ظاهِر الآية تدل على كل كوكب والكل إفرادي لا مجموعي فيلزم من هذا أن يكونَ لكل كوكب ثابت فلك خاص والدليل على هذا ﴿يَسۡبَحُونَ﴾.

فإن قيلَ: المذكور هوَ الشمس والقمر فكيف يصبح الحكم للجمع عليهما أجيب بأن ذكرهما للوضوح والشهرة وهما قريبتانِ بأن المرادَ كل الكواكب، وحمل الكل في السيارات على الإفرادي، وفي الثوابت على المجموعي بحكم الإنسان، ﴿يَسۡبَحُونَ﴾ [يٰس: 40]: يدل على ذوي العقول، والكواكب ليست كذلكَ أجيب بأن الأفلاك وما فيها من طور الفلاسفة أحياء ذوات نطق وحركة إرادية لها إدراكات كلية وعقول ونفوس، وأما في طور أهلِ الشرع، فالأشياء كلها عالمة بربها مسبحة له، وإن الخالق هو المريد والمختار بإرادته واختياره قد خصص كلّ الكوكب وأجزائه في موضع مخصوص وكل جزء في موضعه إلخ، الذي يسبح بحمده ولكن لا تفقهونَ تسبيحهم الآية.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ۝٤١﴾

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ وأولادهم الَّذين يبعثونَ في التجارة أو صبيانهم الذينَ يتعلقوا بهم أو بنسائهم إذ الذرية عليهم وعلى النساءِ أيضًا مزارعهم وفي الحديث إنه نهى عن قتل الذراري أي النساء ﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ أي المملوء.

قيل: المراد فلك نوح وسفينته واستقرارهم فيها اشتق وحمل لله ذرياتهم فيها باعتبار أنه يُحمل فيها آباؤئهم الأقدمونَ وفي أصلابهم وذرياتهم وإنما ذكر ذرياتهم دونهم لأنهم أبلغ في الامتنانِ عليهم وأدخل في التعجب من قدرته في حمل أعقابهم إلى يوم القيامة في سفينة نوح.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي من مثل ذلك الفلك ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يٰس: 42] فيها من السفن والزوارق، واللام في الفلك يجوز أن تكونَ للجنس فتكون إشارة إلى أن أرواحَ الذرياتِ وهيَ روح آدم الذي هوَ روح الله إنما يتنزل منَ سماء الأحدية الذاتية وهي التجلي الذاتي إلى أفلاك الأدوار النورية والسماوات الجمالية إلى أن ينتهي إلى ذلك عالم الناسوتِ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172]. ويجوز أن يكونَ للعهد الذهني أو الخارجي بأن يكونَ فلك عالم الإنسان وهو فلك الكمال الجمع والجمع الكمال أو يكون فلك نوح النفس المطمئنة في الطور الآفاقي والطور النفسي إو فلك نوح المعهود الخارجي فإذا الضمير في (من مثلِه) يجوز أن يرجع إلى كل واحدٍ من الأفلاك المنسوبة إلى الأدوار المذكورة ويجوز أن يرجع إلى الفلك المعهودِ.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ أي الذريات الآفاقية المنزلة من سماءِ اللاهوتِ إلى فلك الناسوتِ أو إلى فلك نوح المعهود المنعوت، وإغراقهم إنما هو بإغراق الآباء والأصول والأنفسي وهي العقول النفسانية والمبادئ الجسمانية واللطائف الروحانية والنسب العقلية والصور الإدراكية ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ [يٰس: 43] فقيل ما بمعنى الفاعل أي لا مغيث أو بمعنى المصور أي لإغاثة يحرسهم وتنجيهم من الغرق الذي يقتضيه الطوفان، أو الاستغاثة كما قيلَ أتاهم الصريح أي الاستغاثة.

واعلم أن الطوفانَ إما ذاتي أو وصفي أو اسمي أو فعلي أو آثاري، أما الذاتي فعبارة عن غلبة حكم الذاتِ الذي اقتضاؤه الذاتي، هو الإهلاك والإغراق والاستهلاك. وأما الوصفي فاقتضاؤه الظهور والإظهار في مظهر جلالي في الإهلاكِ، وأما الإسمي والإخفاء أو جمالي في الإظهار والإهلاكِ وهو بحسب اقتضاءِ فردارية الأدوار وفردارية نوبة الإنذار إما كلي أو جزئي، أما الكلي فهو إما عنصري أو فلكي. أما العنصري فهو إما ترابي أو مائي أو هوائي أو ناري، وأيًّا ما كان إما بطريق التخلخل والتكاثف إن كانَ اقتضاء الذاتِ ظاهرًا فمرتضى الهوائي ومادة المادة بأن يزدادَ صورةً إحدى العناصِر وتربو أو تخفي صورة في

العناصِر فيها أو بطريق الإفاضة على سبيل اقتضاءٍ القدرة الفاعلية وارتضاء القوة الدورية والكورية، بأن اقتضى الحكم الإلهي وارتضى الذاتي بأن يفيض على هيولي العناصر الأربعة ومادتها وهيَ واحدة صورةً واحدة، وذلك لإظهار القدرة الإلٰهية والقوة الذاتية التي لا يعلم كيفيتها وحكمتها إلا هوَ، والطوفان قد يكون علامة ومقدمة وإثارة لمظهر الساعة، والقيامة قد تكون نفس الساعةِ، والقيامة إما الطوفان الجزئي كما وقعَ في زمان نوح في بعض المواضِع وبعض أجزاء الأرضِ، وإما الطوفان الفلكي فكمثل طوفانِ العناصِر أيضًا، يكون على سبيل التخلخل والتكاثف إذ حقيقة الأفلاك وملكوتها واحدة، فيجوز أن يظهر فيها صورة واحدة إما بطريق التخلخل والتكاثِف أو بطريق الإفاضةِ الإلٰهية وأما ما فعل من الأفلاك لا يعقل التخلخل والتكاثف فهو كما قيلَ من أنه لا يقبل الخرق والالتئام ولا يظهر ساعة ولا تقوم قيامة وغير ذلك فهو من المزخرفات الفلسفية والمموهات الطبيعية، لا يلتف إليها لأنه ظهور العقل وطور العقل في تحقيق الأشياءِ وظهور أحوالها مطروح في الطريق، وطور العقل إنما هوَ لإقامة العبودية وضبط الأمور الدنياوية من أجزاء الأحكام الدنية والسياسية وغير ذلك، لا لإدراكِ الأسرار الإلٰهية والأمور الأخروية وأحوالها، قالَ النبي ﷺ: «**العقل لإقامة العبودية لا لإدراكِ سر الربوبية**».

﴿وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ﴾ [يٰس: 43] ولا ينجونَ ولا يخلصونَ من نكباتِ الطوفان وسكراتِ الموتِ عند الطغيانِ.

﴿إِلَّا رَحۡمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿إِلَّا رَحۡمَةً مِّنَّا﴾ أي لظهور رحمتنا لكم ليتمتعوا في الدنيا بالحياة الطبيعية والأمور الصناعية ﴿وَمَتَٰعًا﴾ أي تمتعًا في الدنيا بالحياة الحسيّة واللذات النفسية ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يٰس: 44] وأجل مقدر ووقت مفرد تموتون فيه.

ولم أسلم لكي أبقى ولكن سلمت من الحِمَام إلى الحِمَامِ

أي من الموتِ إلى الموتِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [يٰس: 45] أي ما تقدم من أمور دنياكم

ودينكم وما تأخر من الوقائع التي قد خلت ومضت وابتلت بها الأمم المكذبة بأنبيائهم وبما جاؤوا به من كتاب، أما الذي فيه صلاح أحوالهم الدينية والدنياوية ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ [يٰس: 45] من أمر الآخرة وأحوال الفياضة أو من الفتن والبلايا التي ستوجد، قال النبي ﷺ: «**اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا**»، وهيَ فتنة اليأجوج والمأجوج والدجال والحوادث الزمانية الظاهرة في كل وقت وزمان متعاقب متفاوت فإن في كل زمانٍ ووقت يأجوجًا ودجالًا ودابة الأرض وإمامًا يقاتِلونَ معهم وإن كانوا في الظاهِر بالأحكام متقيدين بالدين ويقومونَ لإصلاحِ أهل العالم لقوله عليه السلام: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**». ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: 71] الآية، أو من الحوادِث الزمانية والفتن السماوية النازلة بغتة وتؤدةً كالطوفانِ والبليات الواجبة كالصواعقِ والوباء وغير ذلك قالَ أفلاطون اللدني القضاء والقدر غير معين لا يُحَس قبل وقوعه ولا يُدْفَع بعدَ وقوعه تخوفي منك ولا تسلك علي ثم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يٰس: 45] أي ليكونوا راجينَ رحمةَ اللَّهِ وحاجين إلى عناية الله ونعمته وجواب (إذا) محذوف دل عليه قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ أي إذا قيلَ لهم أن اتقوا أعرضوا في الساعةِ. قالَ الإمام الرازي في تفسيره في قوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ فائدتان:

أحدهما: أن في حال النعمةِ ينبغي أن يؤمنوا من عذاب الله.

والثانية: جواب سؤال مقدر أن الطبيعي يقولُ إنما عملت السفينة مجوفةً إذ لو كانت مضمنة لأغرقت إذ مقتضى طبيعة الجسمِ الثقيل المصمت الميل إلى الأسفل والمركز فردهم الله، بل لو شاء الله إغراقهم لأغرقهم وإلا فلا فليسَ على مقتضى الطبيعة.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [يٰس: 46] مزيد توبيخ وزيادة تعبير على الكفارِ والمشركين وأهل الكتاب المتقيدين بأن دأبهم وعادتهم المستمرة وقاعدتهم المستقرة إنما هوَ الإعراض عن القول الحق وقبوله والإضراب عن دعوة الأنبياء وتكليفهم عليها أو عن أسلوبهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من أنواع النعم وأجناسِ المنح ومن مقتضياتِ الجود ومرتضياتِ الكرم ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي كفار مكة أو المشركون الذينَ قالوا بالتعطيل ومنع الصانع، قال للمؤمنين بمكة تهكمًا بهم وسخرية واستهزاءً معهم لإقرارهم وإيمانهم بالصانع وأسمائه وصفاته الذاتية والأفعالية والآثارية ولتعليقهم الأمور كلها بالإرادة الوصفية والنشأة الذاتية على وفقِ الحكمةِ والمصلحة ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ استفهام على سبيل الإنكارِ أي لو كانَ وصولَ الأرزاق بالمخلوقينَ بمشيئة اللَّهِ فليطعم من يشاء إطعامه أو فليقلب قلوبنا لينفق إنفاقه وإطعامه وليسَ كذلكَ.

عن ابن عباس: كانَ بمكة زنادقةٌ فإذا مروا بالصدقة على الفقراء والمساكينَ قالوا: لا والله، يفقره الله ونحن نطعمه. وقيل: كانوا يزعمون أنَّ اللَّهَ تعالى لما كانَ قادرًا على طعامهِ ولا يشاء إطعامه وترزيقه وإنفاقه فنحن أحق بذلك، نزلت في مشركي مكة حينَ قال فقراء مؤمنون برسول الله للأغنياء أعطونا مما رزقكم الله، وأنما غير الجواب من الإنفاق إلى الإطعام إذ المبالغة في نفي إثم في الإطعام مما في الإنفاقِ ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 47] أي ما أنتم إلا في جهلٍ مبين وغباء باهِر حيث يأمروننا بما يخالف سنة الله ويجوز أن يكون جوابًا من الله اسم وحكاية عن جواب المؤمنين.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالجنة ونعيمها والوعيد بالنارِ وعقوبتها ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يس: 48] في الوعد والوعيد.

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون ويرصدونَ ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ هي النفخة الأولى التي هيَ من آثار القيامة أو القيامة نفسها التي أمات الله بها الموجودات الغيبية الخارجية العينية الغيبية تأخذهم وتهلكهم بغتة ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: 49]

ويتخاصمونَ ويتشاجرونَ في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمونَ فيهِ يعني إنما يبعثهم وهم في أمنهم وأنيتهم وسيق أمنيتهم وغفلتهم عن وقوعِها ولا يخطرونها ببالهم مشتغلين بمعاملاتهم.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝٥٠﴾

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ ولا يقدرون في هذه الحالةِ أن يؤمنوا في شيء من أمورهم توصيةً ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يٰس: 50] ولا يقدرونَ على الرجوع إلى منازلهم ومراحِلهم مجيئًا فجأةً.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ [يٰس: 51]، [وقال]: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمَر: 68]، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101] الآية، ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ والقبور جمع جدث وهو القبر ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يٰس: 51] يسرعونَ بعدَ البعث والنشر والحشر والسرعة لا ينافي القيام كما قال: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمَر: 68] وفيه بيان وإشارة إلى كمال قدرته ونفوذ مشيئته وعلو إرادته إذا نفخ في الصور فإن الله تعالى قادر في هذا الوقتِ على جمع الأجزاء وترتيبها وإحيائِها وقيام الأموات بعدَ النفخ والإحياء والنظر والنبل والإسراع في زمان واحدٍ.

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا﴾ قرئ: يا ويلتنا ﴿مَنۢ بَعَثَنَا﴾ من هنا وينبهنا من نومنا، قرئ: من هينا بمعنى من أهنا ﴿مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ ومنامنا أي مكان نومنا من الرقود وهو المنام وتحسبهم أيقاظًا وهم ﴿هَٰذَا﴾ الذي رأيناه وشاهدناه ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في الدنيا وأنذرنا وأخبرنا عنه ونحن كذبناه ﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يٰس: 52] فيما وعدنا وأنذرنا جملة اسمية، وما إما مصدرية أو موصولة محذوفة العائد. قيل: هذه الجملة جواب الملائكة أو المؤمنين عن سؤالهم أو مبتدأ محذوف الخبر أي ما

وعدَ الرحمٰن وصدق المرسلونَ به حق ثابت لا شكَّ فيه أصلًا. عن ابن عباسٍ وعن الحسن: إنها كلام المتقين أو كلام الكافرينَ يتذكرون ما سمعوا من الرسول في الدنيا فيجيبوا أنفسهم أو بعضهم بعضًا.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿إِن كَانَتْ﴾ لنفخة في الصور ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وديعة واحدة ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يٰس: 53] أي جمع الخلائق بعدَ البعث لدينا أي عندَنا عاجزين فجأةً هذا في الصيحةِ الثانيةِ والتكرار في المواضِع المتعددة إشارة إلى تعدد الأدوار كالأصلية والفرعية والاستقلالية والتبعية وتكثر الأكوار بأن الصيحة الأولى عند انتقال الدورة، ونوبة المرتبة من اسم إلى اسم آخر عندَ انتهاء الدورة، وحكم ترتيبها في الأدوار النورية الجمالية مثلًا إذا انتهت فردارية ظاهِر المريد إلى الدورة الصغرى النورية الجمالية الوجودية الصريحة انتقلت الفردارية إلى القدم والجلال الضمني فصورة تربية العدم والجلال وهيَ الإهلاك والإعدام إنما تظهر بصفة النفخة والصيحة، فإذا انقضت صورة تربية العدم والجلال انتقلت إلى اقتضاء فردارية النور والجمال فظهرت صورة اقتضاء سلطان النور والجمال بصورة النفخة الثانية التي أظهرت الموجودات المستهلكة بالنفخة الجلالية ومقدار ما بينَ النفختين لا يعلمه إلا الله.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ﴾ ظرف مقدم عليه لبيان الاختصاصِ ﴿نَفْسٌ شَيْئًا﴾ ما حقر فضلًا عن الخطرةِ ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يٰس: 54] إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يٰس: 55] متنعمون متلذذون مقيمونَ في النعم والتنعم منه الفكاهةِ وهيَ التنعم ومنه الفاكهة في شغل فاكهونَ لا يوصف ولا يعلم حاله أو المراد هو الملك الكبير والنعم الكثير أو كمال هول يوم القيامة فإن مشاهدته تشغله عن جميع الأشغال أو المراد مشاهدة جمال اللّٰهِ

تعالى وكمال جلاله والتجليات الجمالية والجلالية التي قد شاهده في سائر الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية، فإنها في هذه الحالةَ كلها حاضرة عنده على وجه أتم وطور أحسن وأهم وهو ناظِرٌ نظرًا كاملًا ناظرًا إلى ربه متفهمًا بها على وجه لا يعلمه إلا الله.

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة وهيَ العرش السرير يشاركهم في ذلك الشغل والتفكه والتنعم والترفه والاتكاءِ على الأرائك تحت الظلال قيلَ الأريكة هي العرش (هم وأزواجهم) يدل على مشاركتهما في جميع ما ذكر العطف على هم الأزواج في طور الكشف أي النفوس العاملة بأنواعِها وهي المادة الشيطانية واللوامة السبعية والملهمة البهمية والمطمئنة الإنسانية، أو المولود الجني فإنها إذا وقعت القلب والستر والروح والعقل المزكاة عن الصفاتِ الشيطانية والهيئات السبيعية والنعوت البهمية، وتحققت بالوصف الجمعي والكمال المعي، فإنها تشارك القلب في مشاهدة التجليات الآثارية في الطور السري، والأفعالية في الطور الروحي، والصفاتية في الطور الخفي، والذاتية في طور غيب الغيوب ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يٰس: 56].

﴿لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ﴾ علوم حقيقته وإدراكات نفسيته أو المراد الإطلاقات المرضية، وجواهِر الملكاتِ الفاضلة والتجليات الذوقية والمشاهدات الشوقية، وهي برزخ بينَ الشهود والحضور بينَ إدراك الحضور الحصول، وبينَ الإدراك الحضوري والعلوم الشهودي ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يٰس: 57] من صور الأفعال الصادرة عن النفس المزكاةِ والأحوال العلية الظاهِر عنه بكمال الصفاء وتمام السناء حال كونه صافيًا عن الصفات الذميمة والأوصافِ الرذيلة.

﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يٰس: 58] يدل مما يدعونَ كأنه قال لهم سلامه تعالى لهم قولًا من جهة رب رحيم، والمعنى أن اللّهَ يسلم عليهم سلامًا كثيرًا

عظيمًا كبيرًا إما بواسطة الملائكة أو بغير واسطة ذلك السلام، فنبههم وقد أعطاهم وشرفهم به تكريمًا لهم وتعظيمًا لشأنهم، قال ابن عباس فالملائكة يدخلونَ عليهم بالتحية من رب العالمين، هذا أقوى وظائف الزهادِ والعبادِ والعلماء أهل الاستدلال، كانوا في استدلالهم بالرشادِ وكمال التفطن والسداد متاجفين عن المكابرة والعناد، وأما الذي بلا واسطة فهوَ الذي يستشرف به أهل الكشف والشهود الذينَ عبدوا الله بلا حجاب وغفلة ونقاب، قالَ علي كرم الله وجهه: رأيته فعرفته ثم عبدته، لم أعبد ربًّا لم أره، لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا، ولهذه الآية مربع أربع في أربع لَه خصائص شريفة ونصائص لطيفة منها أمارة الخائفينَ من بطش الملوكِ والسلاطين وحصول هذا النوع من المشاهدة.

﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ﴾ أي انفردوا وتفردوا، وهم الكافرونَ بظلمة الكفر والنفاق ﴿أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يٰس: 59] عن المؤمنينَ المتلبسين بكمال الإيمان وحقيقته ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الروم: 14 ـ 17] الآية. عن الضحاكِ لكل كافر بيت من النارِ يكون فيه ولا يرى هو امتيازهم عن المؤمنين.

﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [يٰس: 60] في المعهد الأزلي والعقد الأولي في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] قالوا: بلى، والمراد أن العهدَ كان معَ كل قوم على لسان رسول اللّهِ في موطن النبوة، اتفق العقلاء على أن الشيطان يأمر بالشر وإن أخلفوا في حقيقته وكيفيته ﴿أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ العهدَ الوصية وعهدَ إليه إذ أوصاه وعهد الله إليهم ما ركب فيه من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم وتزيينه لهم ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يٰس: 60] تعليل للحكم المعهود والأمرِ المحدود أي ظاهِر العداوة وباهر المعادة.

﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِي﴾ عطف على النهي ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يٰس: 61] إشارة إلى ما عهدَ إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمٰن وكمال طاعة الملك المنانِ، والمالك المدانِ إذ لا صراط أقوم وأتم وأحكم منه، يعني هذا صراط بالغ في استقامته ساطِع في أصالته جامع لكل شرط، يجب عليه الرعاية والمحافظة والغاية ويجوز أن يكون هذا بعض الصراط المستقيم الذي هو أقوم الطريق وأحكم أقوال المؤمنون، يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك، كما يقول الرجل لولده قد نصحه النصح البالغ الذي ليسَ بعده نصح غيره كاللانصح، هذا فيما أعلن قول نافع غير ضار توبيخًا له على الإعراض عن نصائحه.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [يٰس: 62] فيه ست لغاتٍ كسر الجيم والباء بتشديد اللام، ضمهما مع التشديد وكسرها معَ التخفيف، وضمهما معًا، وتسكين الباء وتخفيف اللام مع ضم الجيم ومعَ كسرة الباءِ، وإن الجيمَ والباءَ واللام لا يخلو عن معنى الاجتماعِ والجبل فيه اجتماع الأجسام الكثيرة، وجبل الطين فيه اجتماع أجزاء الماء والتراب، وجبل الشاة وشاة الجبل إذ كانت مجتمعة اللبن الكثير، فالجبل هو الجمع العظيم، حتى قيل إن دون العشرة لا يكون جبلًا، أي أضل منكم جمعًا كثيرًا، أو فرقًا كبيرًا عظيمًا والعظيم والكثرة يطلقا إما بحسب الكمية وهي المقدار، أو بحسب الكيفية، وهيَ إما نفسانية أو جسمانية، والأولى إما الإدراكات والعلوم والحالات والمقامات، أو الملكات الفاضلة والأوصاف والصفات الكاملة والأخلاق الرضية المرضية، والثاني هو الجاه والشوكة والرياسة، يعني أن الشيطانَ يضل كبرائكم وأغنيائكم الكاملينَ الفاضلينَ الحاكمين العالمينَ العاملين، فأينَ الصاغرون الجاهلونَ العاصُونَ بالإضلال على وجهين: تولي وتبّري. أما التولي فهو أن يأمره بترك عبادة اللّهِ وعبادة غيره أما تبرّي فهو أن يأمره ويغويه لأن يبعد عن الحق والصواب والصدق، ويعبد غيره، من الأوثانِ وسائر الأعيانِ ويؤثر الباطلَ ويختاره، اللّهم أرِنَا الحق حقًّا أو في فعله واتباعه وأرنا الباطلَ باطلًا وارزقنا اجتنابه، اللّهم أرنَا الأشياء كما هيَ ﴿أَفَلَمْ

تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ﴾ [يٰس: 62] أي ليس عليكم عقل يدرك الحقَّ والباطلَ من طريق العباداتِ والطاعاتِ والعقائد والعلوم والإدراكات والأحوال والمقامات والأخلاق الرضية والأوصاف المرضية، وفاضل الملكات الملكية، فأكثر قصد الشيطانِ وإغوائه وإضلاله وإغرائه إنما ينطق بحبال العلماءِ، وجبل الفقراء أصحاب الكشف والشهود والمشاهداتِ سيما في باب التجليات وأرباب خرق العادات، وأهل الكراماتِ، فإن إبليس كثيرًا ما يتجلى على السلاك يقول له: يا فلان أنا ربكم الأعلى.

فالواجب على السالك السائر وصاحب التجليات أن يعلم أن إبليسَ لا يمكن له أن يظهر ويتجلى له من عيب ونقص وإنه لا يتأتى له أن يرى تارة الظلماني بصورة النور، وكذا لا يتيسر له أن يجردَ عن العيوب والكدورات وشائبة الظلمات، فإن الشيطان في نفسِه كدر ظلماني، ولا يمكن انفكاك الشيء عن نفسه، وكذا لو قصدَ أن يصبح أجزاء وجوده وأعضاء شهوده وتجردها عن العيوب والنقائص لا يمكن أن يرى وجهه عن النقص، فإن عينه إما أعمى أو أعور أو أزرق أو أحول أو أبلق، وكذا يزاحم دعاء العقلِ ويجعل الوهمَ والخيال معارضًا للقوة العاقلة، ويلبس الباطل صورة الحق ويعرضها عن العقلِ، فيقبل منه تلك الصورة الباطلة بعنوان الحق، مثلًا لو كانَ في بيت ميت فالعقل يحكم أنه ميت حكمه حكم الجماد لا يضرك ولا ينفعك، فلا بدّ على العاقل أن لا يخاف منه ولا يهربَ عنه، وكثير من العقلاء لا يتمكن ولا يمكن نفسه أن يبيت فيه مع ذلك الميت، أليس لأن وهمه يزاحم صريح عقله ويوهمه.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٦٣﴾

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [يٰس: 63] يجوز أن تكونَ هذه الجملة بدلًا من المفعول المحذوف، وأن تكون مفعولًا لـ(يعقلون) إشارة إلى ما يدعو إليه الشيطان بإضلاله وإغوائه، فإنَّ جهنم التي قد أخبر الله عنها وحقيقته بلسان الأنبياء والأولياءِ والعلماء الربانيين، وليسَ العقل الصريحَ أن يجوز تواطؤ هذه الأكابر على الكذب، والشيطان قد يلقي على العبد المتيقن المتحقق الشك في وقوعه لأن العارف المتحقق يتقي إلقاء الشيطانِ بأمر اللّهِ وحكمه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا

مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحَجّ: 52] الآية.

﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [يٰس: 64] أي ذوقوا حرّها واشربوا شرها وضرها بسبب كفركم في الدنيا.

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ ونطبع على قوة تكلمهم وتحدثهم ونمنع ذلك الطبع والتختم عن التكلم والحديثِ ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يٰس: 65] في الدنيا بالأيدي والأرجل، إشارة إلى أن جميع الأجزاء والقوى ومبادي الأفعال وتمام الأعضاءِ لها صلاحية التكلم وقابلية التحدث والتنطق، وكذا لكل منها صلاحية السماع والإبصارِ والتذوق والتشمم والتلمس وإدراك الكيفياتِ الملموسة، وما أثبتَ للبعضِ مقتضى بعض الأجزاءِ وهو النطق، لا بدّ وأن يثبت للبعض الآخر وإلزام التحكم، تكلمنا في الوجوهِ عيوننا ونحن سكوت، والهوى يتكلم، وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة أنا لا أجيز علي شاهدًا إلا من نفسي، فيختم على فيه ويقال للأركان انطقي فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبينَ الكلام، يعني أن اللَّهَ يأمر الأعضاء بأسرها بالكلام والشهادة فيشهد كل منها يتكلم على ما أرادَ الله تعالى.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ الطمس الشق والطبع والختم والضرب على شيء بالخفيف على وجه يمسحه ويسويه، فطمس العين جعلها ممسوحة ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ [يٰس: 66] أن تسابقوا وتسارعوا في الشيء قصدًا من كل منهم أن يسبق جناحيه أي تسابقوا إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكها انتصابه بنزع الخافض أي الصراط، ويتضمن معنى الابتداء أي ابتدروا وسارعوا إلى الصراطِ أو يجعل الصراطَ مسبوقًا لا مسبوقًا إليه، فحينئذ لا حاجة إلى إضمارٍ أن جعلوا الصراط مسبوقًا لا مسبوقًا إليه، أو ينصب على الظرفِ بمعنى لو شاء لمسح

أعينهم، فلو رموا وطلبوا أن يسبقوا إلى الطريقِ المهيج الذي اعتادوا سلوكه إلى مساكنهم وإلى مقاصدهم المألوفة التي ترددوا إليها كثيرًا كما كانوا يستبقونَ إليه ساعينَ في متصرفاتِهم ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ [يٰس: 66] أي الطريق وجهه السلوك فضلًا عن غيره للاستبعادِ والنفي.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ أي بدلنا صورتهم بصورة هيَ أدنى وأقبح وأنزل ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ أي ثابتين على مكانهم ومرتبتهم ومنزلتهم المكانة والمكان كالمقام والمقامةِ واحد، أي مسخناهم مسخًا بجهدهم وكأنهم لا يقدرون أن يتحركوا ويرجعونَ لا بإقبالٍ ولا إدبار ولا على مضي ولا رجوع واختلف في المسخ عن ابن عباس رضي الله عنه لمسخنا قردةً وخنازيرَ، وعبدة الطاغوتِ قيلَ حجارة قل كونوا حجارة أو حديدًا ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ لا اقتدروا ﴿مُضِيًّا﴾ بحركاتِ الثلث في الميم كالفِتِى والفَتى والفُتى ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [يٰس: 67] أي لا رجوعًا لينتظم النسق ويصير واحدًا، فوضع الفعل موضعه للفواصلِ، وقيلَ لا يرجعون عن تكذيبهم يعني لما تمكنوا ولا يقتدروا مضيًّا ولا وضوعًا، أي إقبالًا وإدبارًا، أو مستقيمًا وعودًا على ما يقتضيه النور والجمال، ويرتضيه الظل والجلال.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾ وطولنا عمره وحددنا حياته ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ [يٰس: 68] نقلبه فيهِ لنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل، وذلك إنا خلقناه على ضعف في جسدٍ وخلو في عقل وروحٍ وحياة وعلم، ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال إلى حال، ويرتقي من درجة إلى درجة، إلى أن بلغ الشدة ومثقال قدرته وحكمته وعلمه ومعرفته فيدرك مآله ويعلم حاله ومآله، فإذا انتهت الغاية وبلغت النهاية أخذ بالانحطاط ونفذ عقله في النقص والاختلاط، ونبذ التميز وراء ظهره وحبذ بالاحتباط إلى أن وصلَ إلى مقام الصبى والخرافة وأرذلَ العمرِ، هذا من خصائص طول الحياة وامتداد العمرِ وذلك لأن القوة المدبرة للبدنِ للتهذيب غير

تدبير البدنِ لكثرة ما يتخلل عن البدنِ، وقلة بدل ما يتخلل، وعجزت النفس لاستيلاء ضعفِ القوةِ الشهوية عليها في إيراد بدل ما يتخلل البدن فحينئذٍ اضطربَت النفس إلى القوة العاقلة ليمد مرامها، فانصرفت إلى إمداد القوة الشهوية وقل امتيازها وإدراكها إلا من شاء الله هذا هو الخرافة ﴿فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يٰس: 68] أي أن من قدر على ذلك قدر على انطماسِ الأعين وانمساح الأعيان وانفساخ الأعوانِ.

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ أي ما جعلنا محمدًا شاعرًا ﴿ٱلشِّعْرَ﴾ أي علمناه في القرآن الشعرَ ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾ أي ما يصح للقرآن أن يكون شعرًا، أما قوله: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»، وكذا قوله: «**هل أنتِ إلا أصبع دميتِ وفي سبيل اللَّهِ ما لقيتِ**» فليس بشعر لأنه ما قصدَ به الشعر، والشعر كلام موزون مقفى صادر بالقصد والاختيار، وذلك كما يتفق في كثير من الإنشاءات والمحاورات كلام موزون مقفى وليسَ بشعر، ولما نفى أن يكونَ القرآن شعرًا قالَ: ﴿لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ وعظة ونصح وإرشاد من الله للعالمين ﴿وَقُرْءَانٌ﴾ كتاب سماوي خطاب إلهي ﴿مُّبِينٌ﴾ [يٰس: 69] يقرأ في المحاريب ويتلى في التعبدات والروحِ والنفس والقواليب، وينال بتلاوته والعِلم به والعمل بما فيهِ فوز الدارين وجوز سعادة النشأتين، فأينَ بينه وبينَ الشعر الذي يكون في البعض من همزات الشياطينِ.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياء والتاءِ ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ عاقلًا متأملًا إذ الغافل والفتى الجاهل كالميت، أو من كانَ ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناسِ ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ أي يجب ويثبت كلمة العذاب والقول بحلول العقاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يٰس: 70] العاقلين والمشركين الجاهلينَ الذينَ لا يرتجى منهم الإيمان ولا ينجى بهم الأعيان.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا﴾ وأنشأنا واخترعنا ﴿لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يٰس: 71]

أي دوابًّا ذات القوائم الأربع، وتولينا إحداثه بتعلق قدرتنا، وبتحقق إرادتنا ومشيئتنا، وذلك لإظهار البدائع الكونية والصنايع الغيبية والبرايع العينية، وعمل الأيدي استعارة من عمل من يعملونَ بالأيدي ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يٰس: 71] أي خلقناها لأجلهم لا بالإصالة بل بالتبع، إذ الأرزاق وذرايعها إنما يكون للمؤمنين خاصةً وللعارفينَ خالصةً، قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هيَ للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةً لهم، وهم متصرفونَ فيها تصرف الملاك في المملوكاتِ ومختصون بالانتفاع.

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ أي أطعنا تلك الأنعام سيما الإبل والبعير والفرس ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ أي مركوبهم ومحمولهم يحملونَ أثقالهم عليها يتنقل من مكان إلى مكان آخر، ومن بلدة إلى بلدة أخرى ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يٰس: 72] لحومها وألبانها.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كثيرة من الجلود والأصواف والأوبار ﴿وَمَشَارِبُ﴾ إما بأن يشرب من ألبانها ومخاضها أو من الماءِ التي تحمل عليها وتأتي من بعيد، إما اسم موضع جمع مشرب مكان الشرب أو المصدر ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يٰس: 73] نعم الله ومنائحه في ذلكَ إذ لولا خلقها له وتذليله إياها كيف يمكن التوسل إلى التوصل بهذه المنافِع المهمة والمصانِع المتمة.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ أشركوها به في العبادة بعدما رأوا منه تلك النعم الظاهرة والقدرة الكاملةَ الشاهرة، وعلموا أنه المتفرد بها ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ [يٰس: 74] رجاء أن ينصروا.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ [يٰس: 75] أي جنود لآلهتهم معدونَ محضرونَ يخدمونهم ويذودونَ عنهم، ويغضبونَ لهم وللآلهة التي يعبدونها لا استطاعة لهم والأمر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامةِ جند

معدونَ لهم محضرونَ لعذابهم لأنهم يجعلونَ وقودًا للنّارِ.

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٦﴾

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ من حزنه وأحزنه أي لا يوقعك قولهم في الغم المتفاقم والهمّ المتقادم والحزن المتراكم ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ ويسترونه من عداوتهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يٰس: 76] من النفاق وكثرة المخالفة والشقاقِ ويجارونهم عليهم فالأحق منك والأليق بك أن تقتنع بهذا الوعيد وتتسلى بهذا القدرِ من البشر القريب لا البعيد، ويستحضر في نفسه صورة حاله وصورة حالهم، وكيفية مآلهم في الآخرةِ حتى ينقشع عنه الهمّ ويرتفع من الحزن والغم.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يٰس: 77] تسليةً وطريقة ثانية بأن قبح الله عزوجلّ إنكارهم البعث والحشر وتوبيخًا صريحًا بأن يرى أعجب منه وأبلغ وأغرب بأنهم ما يتأملون في كيفية خلقهم من ماءٍ مهينٍ، وهو النطفة المدرة الخارجة من الإحليل الذي هوَ قناة النجاسة ومعبر الخباثة، وارتقى من هذا، من أقبح من هذا، وهوانهم مع كونهم تركوا الفكرةَ ورفضوا الفتية في التأملِ في أصلِ الفترة، خاصموا ربهم بالشرك والإشراكِ والبهتان والإفك بأنّ الملائكة هيَ بنات اللّهِ، فإذا هو خصيم مبين أي الإنسان يخصم ربه، والمراد منه النطق أي يتكلم في أفضلِ أحوالِه وهوَ الكمال، والبلوغ بأكمل خصاله وهو الإقرار والاعتراف بألوهيته وكمال ربوبيته وتمام قدرته ووفور قوته وحكمته بأنه رتب حقيقة الإنسان أولًا بأهون حال وربّاه، وهكذا يزداد بالتربية إلى أن وصلَ إلى أفضل الأحوال وأكمل الأقوالِ وهوَ النطق والتخلق والتحقق والاعتراف بكمال ألوهيته.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾

﴿وَضَرَبَ﴾ وبين ﴿لَنَا مَثَلًا﴾ أمرًا عجيبًا وهي نفي القدرة الظاهرةِ وآثار أنوارها وأنوار خصائصها وهيَ الإحياء والإماتة وتصريف الرياح والسحاب المسخر وغير ذلك وأعجب من هذا أنه فقد كيفيته ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ [يٰس: 78] خلقنا إياه أولًا في عالم الجبروتِ بالتعين العقلي والتجلي العلمي، ثم في عالم الملكوت بالظهور

الروحي والنعت الحيي، ثم في عالم البرزخ بالصور المثالية والهيئة الخياليةِ والشبح النوري، ثم في عام الملك بخصوصية اقتضاءِ كل كوكب ثابت وسيّار، ثم في عالم العناصِر إلى أن بلغ في مرتبة الناسوت فأحياه بالحياةِ الحسية الجامِعة لتمام أنواع الحياة العلوية والسفلية، كما أماته وأفناه من هذه الصورة وجرده منها إلى أن وصلَ إلى ما كانَ عليه ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ﴾ وهي خصوصيات تعيناته في كل مرتبة منها ﴿وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يٰس: 78] متفرق ومختلف مقتضى آثارها في المراتب.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وأبدعها وأظهرها في المراتب إلى أن وصلَ إلى مراتب الناسوت فإن خلق الإنسان وإبداعه في أول الأمر من غير أن يكونَ مسبوقًا بمادة ومدة وملحوقًا بمعنى وصورةً أشق وأصعب وأشد، فإن تنزله بعدَ الترقي والفناء في مقام الأحدية الجمعية على المنازلِ والمراحِل في المراتب الغيبية والعينية إلى مرتبة الناسوتِ أهون ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ من الأعيان النورية الجمالية الظاهرة في الأدوار الأربعة الوجودية الإفرادية والجمعية وكذا بكل خلق جديد من الأكوان الظلية الجلالية المتعينة في الأكوار الأربعة الوحدانية والمركبة الجمعية وأحوالها المتواترة المتواردة المتعاقبة ﴿عَلِيمٌ﴾ [يٰس: 79] أي هذه الأشياء حاضرة عنده لا يغيب عنه شيء أصلًا طرفة عينٍ.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يٰس: 80] أي من بدائع خلقه وعجائب صنعه بأنه يبعد حينئذ النار من الشجر الأخضرِ معَ مضادة الأخضر الذي أصله ومادته للنار لا نطقًا بها بما عنى الزنادَ التي توري بها الأعراب وأكثرها من المرخ والقفارِ، وفي أمثالهم في كل شجر نار واستمجد لمرخ والقفار بقطع الوصل فيها غضتين من مثله السواكين، وهما خضروان يقطر منهما الماء فيستحق المرخ وهو ذكر على القفارِ، وهي أنثى فينقدح النار بإذنِ الله عن ابن عباس: ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الأولى والثانية والثالثة بلا مادة في الدورة العظمى والكبرى والوسطى ولا مدة وهيَ الزمان ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ﴾ أي مثل الأناسي وآحادها وأشخاصِها وأفرادها في أصل المادة والهيولى والأركانِ والصورة مع أنه تعالى خلق الإنسان وأفرادها بلا سبق أمثال وأنموذج وأشكالٍ ﴿بَلَىٰ﴾ جوهر من اللّهِ العزيز لتقرير ما بعدَ النفي مشعر بأنه لا مجيب ولا جواب إلا هوَ ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يٰس: 81] كثير المخلوقات غفير المعلومات.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يٰس: 82] إشارة إلى عموم الخلق والتكوينِ بأنه لا اختصاصَ له نوع دونَ نوعٍ وممكن دون ممكن في دورة دونَ دورة ونشأة دونَ نشأة وكن وكنا عن انضمام الإرادة بالقدرةِ المعبرتين باليدين والشيء، وإن كانَ بحسب الصدقِ والمفهوم أعم من الموجودِ والمعدومِ إلا أنه ههنا مختص بالمعدوم لاستحالة تكوين الكائن وإيجاد الموجود بالظاهِرِ والباطِنِ من الموافق والبائن.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ﴾ وتحت قدرته وإرادته ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يٰس: 83] موجود بل معدوم أي غيبه وباطنه أو روحه وأمره، والملكوت إما من الملاكِ وهو الأصل يقال ملاك الأمرِ كذا أصله وحقيقته، أو مبالغة الملك كما أن الجَبروت مبالغة في الجبر، واللاهوت مبالغة في الإله، والناسوت مبالغة في الناسِ، والملكوت هيَ النفس والروح، وهوَ على ثلاثة أقسام: أعلى وأوسط وأسفل، أما الأعلى فهو ملكوت السماوات العليا من فلك الأفلاك إلى فلك الشمسِ وهيَ ست، وأما الأوسط فهو ملكوت السماوات السفلى وهيَ الثلاث الأخيرة، وأما الأسفل فهو ملكوت العناصِر وما يتركب منها، والملكوت لكونه متضمنًا ومنطويًا على الجبروت لا محالة، ينقسم الجبروت أيضًا إلى ثلاثة، وأما اللاهوت فنسبته

إلى الكل على السواءِ إنما أمره وشأنه إذا أراد شيئًا أي وجود معدوم وإيجاده أن يقول له مبتدأ وخبره وإذا ظرف يقول مقدم عليه كن يقول القول فيكون جواب ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يٰس: 83] أحكامهم وأحوالهم في المعاد بل في المبدأ أيضًا فإن ظهور الأشياء دوري وطورها كوري، إما آنًا بعدَ آنٍ أو بعدَ أيان، وإذ ليجازي كل شيء بما عمل أو علم أو بهما، قالَ رسول الله ﷺ: «**إنَّ لكل شيء قلبًا وإنَّ قلب القرآنِ يٓس**». من قرأ ياسين يريد بها وجهَ اللَّهِ غفر الله له وأعطي من الأجرِ كأنما قرئ القرآنَ اثنين وعشرينَ مرة، وأيما مسلم قرئ عنده وإذا نزلَ به ملك الموتِ سورة يٓس وينزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومونَ بينَ يديه صفوفًا يصلون عليه ويستغفرونَ لَه ويشهدونَ غسله ويقفونَ على جنازته ويشهدونَ دفنه، وأيما مسلم قرئ عنده ياسين وهوَ في سكرات الموتِ لم يقبض ملك الموت روحه حتى يحليه رضوان خازن الجنة ويشربه من شراب الجنة، يشربها وهو على فراشِه، فيقبض ملك الموت روحَه وهو ريان، ويمكث في قبره وهوَ ريان لا يحتاج إلى حوض من حياضِ الأنبياءِ حتى يدخلَه الجنة وهو ريان. قال النبي ﷺ: «**إن في القرآن سورة يشفع لقارئها ويغفر لمستمعها ألا وهيَ سورة ياسين**».

فهرس المحتويات